North Europe Academy For
Science& Scientific Research

College of Basic Education
University of Sulaimani

وقائع المؤتمر الدولي الثامن للعلوم الإجتماعية والإنسانية
لأكاديمية شمال أوروبا ـ الدنمارك

المنعقد تحت شعار

التحول الرقمي ومستقبل العلوم الإجتماعية والإنسانية

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية
للمدة من 26- 11- 2025 الى 29-11- 2025

North Europe Academy For
Science& Scientific Research

College of Basic Education
University of Sulaimani

وقائع المؤتمر الدولي الثامن للعلوم الإجتماعية والإنسانية
لأكاديمية شمال أوروبا ـ الدنمارك

المنعقد في كلية التربية الأساسية - جامعة السليمانية
للمدة من 26-11-2025 الى 29-11-2025

بالتعاون مع

جامعة السلطان مولاي سليمان ـ المغرب ، وجامعة أبن طفيل ـ المغرب ، وأكاديمية منيسوتا ـ تركيا ، وجامعة أفريقيا للعلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية ـ ليبيا، معهد تقني السماوة، الجمعية العراقية للأرشاد النفسي والتوجيه التربوي ـ العراق، والجمعية التونسية للبحث العلمي والإبتكار والملكية الفكرية، ومركز التدريب الدولي للعلوم التطبيقية ـ الدنمارك . والمركز العربي الدنماركي للدراسات المستقبلية ـ الدنمارك ، الجمعية العربية لعلم الإجتماع، الجمعية التونسية للإعلام الجغرافي الرقمي .

تحت شعار

التحول الرقمي ومستقبل العلوم الإجتماعية والإنسانية

أعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر

أ.د. مهند محمد عبد الستار	كلية التربية ـ جامعة ديالى	العراق	رئيس اللجنة العلمية
أ.د. لؤي علي خليل	كلية التربية ـ جامعة قطر	قطر	عضواً
أ.د. وائل فاضل علي	Psychotherapy Center	السويد	عضواً
. د. قحطان حميد كاظم	كلية التربية ـ جامعة ديالى	العراق	عضواً
أ.د. طلال ياسين العيسى	كلية القانون ـ جامعة عجلون	الأردن	عضواً
أ.د. إسلام عبد القادر	DACFS - Denmark	الدنمارك	عضواً
أ.د. جواد نعمت حسين	كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية	العراق	عضواً
أ.د. علي عز الدين الخطيب	كلية التربية الأساسية ـ جامعة واسط	العراق	عضواً
أ.د. ادريس بويحيى	كلية الأداب ـ جامعة مولاي اسماعيل	المغرب	عضواً
أ.د. بهاء الدين مكاوي	كلية الأداب والعلوم/ اقسم الشؤون الدولية ـ جامعة قطر	قطر	عضواً
أ.د. مسفر علي السلطاني	كلية الأداب ـ جامعة الملك فهد	السعودية	عضواً
أ.د. كمال صبحي سعيد نزال	كلية التربية ـ جامعة جدارا	الأردن	عضواً
أ.د. يوسف حدوش	كلية الأداب ـ جامعة بن طفيل	المغرب	عضواً
أ.د. سامان حسين أحمد	كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية	العراق	عضواً
أ.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب ـ جامعة بغداد	العراق	عضواً
أ. د. ديلم كاظم سهيل	كلية الآداب ـ جامعة بغداد	العراق	عضواً
أ.د. فاضل دحام منصور	كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة ـ جامعة واسط	العراق	عضواً
أ.د. محمد رسن السلطاني	كلية التربية الأساسية ـ جامعة بابل	العراق	عضواً
أ.د. ماجد مطر الخطيب	كلية السلام الجامعة	العراق	عضواً
أ.د. مبارك بلال	كلية الأداب ـ جامعة أدرارا	الجزائر	عضواً
أ.د. محسن عبود كشكول	كلية الإعلام ـ الجامعة العراقية	العراق	عضواً
أ.د. نيان نامق صابر	كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية	العراق	عضواً
أ.د. محمد يحيى أحمد	كلية الأداب ـ جامعة الأنبار	العراق	عضواً
أ.د. خميس خلف الفهداوي	كلية الإدارة والإقتصاد ـ جامعة المعلرف	العراق	عضواً
أ.د. رياض نايل العاسمي	كلية التربية ـ جامعة دمشق	سوريا	عضواً
أ.د. علي حمزة عباس	كلية التربية ـ جامعة الموصل	العراق	عضواً
أ.مشارك.د.عبد الرحمن أحمد	DACFS - Denmark	الدنمارك	عضواً
أ.م.د. سعد علي ريحان	DACFS - Denmark	الدنمارك	عضواً
أ.م.د. نجاة اسماعيل سايخان	كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية	العراق	عضواً
أ.م.د. فيحاء مولود	كلية الأداب ـ جامعة بغداد	العراق	عضواً
أ.م.د. لمى عبد المناف رحيم	كلية التربية ـ جامعة واسط	العراق	عضواً
أ.م.د. أمين الغرياني	كلية الأداب ـ جامعة سوسة	تونس	عضواً
أ.م.د. سعاد تيرس	كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة جلايلي	الجزائر	عضواً

أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر

أ.د. أثمار كاظم سهيل ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ رئيس اللجنة التحضيرية

أ.م.د. وفاء محمد حسين ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

ا.م.د. نزيرة صالح محمد ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

م.د. ضياء ماجد حسن ـ كلية الإمام الكاظم / الجامعة

م.د. هاجر محمود علي ـ مركز التعليم والتطوير المستمر ـ جامعة بغداد

د. ديار محسن محمد ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

د. ژيان فاضل اسعد ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

د. شارا رؤوف صالح ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

م.د. نجية مجبل صالح ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد

د. نور محمد سلمان ـ الجامعة العراقية

د. محمود صالح عبد ـ معهد الفنون الجميلة ـ مديرية تربية صلاح الدين

م.م. أحمد ماجد أحمد ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد

م.م. سه ركه وت جمال محمد ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة السليمانية

م. شيماء عبد الجبار صبري ـ وزارة التعليم العالي

مقدمة وقائع المؤتمر الدولي الثامن للعلوم الإجتماعية والإنسانية

التحول الرقمي ومستقبل العلوم الإجتماعية والإنسانية

انعقد المؤتمر الدولي الثامن للعلوم الاجتماعية والإنسانية الذي أقامته أكاديمية شمال أوروبا . الدنمارك بالتعاون مع عدد من المؤسسات الأكاديمية والمراكز العلمية، في كلية التربية الأساسية بجامعة السليمانية تحت عنوان ***(التحول الرقمي ومستقبل العلوم الاجتماعية والإنسانية)*** ، في مرحلة تاريخية دقيقة يشهد فيها العالم تحولات متسارعة فرضتها الثورة الرقمية والتكنولوجية على مختلف مجالات الحياة. وقد جاء هذا المؤتمر استجابةً واعيةً لحاجة ملحّة إلى إعادة النظر في أدوار العلوم الاجتماعية والإنسانية، ومناهجها، وأدواتها البحثية، في ظل واقع جديد يتسم بتداخل الفضاءات المادية والافتراضية، وتغير أنماط التفكير والتواصل والمعرفة.

لقد أضحى التحول الرقمي اليوم أحد أبرز ملامح العصر، إذ لم يعد مقتصرًا على الجانب التقني أو الاقتصادي فحسب، بل امتد ليشمل البنى الاجتماعية والثقافية والتعليمية، مؤثرًا في طبيعة العلاقات الإنسانية، وفي تشكيل الوعي الفردي والجماعي. ومن هنا برزت أهمية هذا المؤتمر بوصفه فضاءً علميًا يجمع نخبة من الباحثين والأكاديميين من داخل العراق وخارجه، لتبادل الرؤى والخبرات، ومناقشة الإشكاليات الراهنة، واستشراف آفاق المستقبل في ضوء هذه التحولات العميقة.

سعى المؤتمر إلى تسليط الضوء على موقع العلوم الاجتماعية والإنسانية في العصر الرقمي، ودورها في تفسير الظواهر الجديدة التي أفرزتها التكنولوجيا الحديثة، مثل المجتمعات الافتراضية، والهوية الرقمية، والتغيرات في منظومات القيم، والتحولات في أنماط التعليم والعمل والتواصل. كما هدف إلى بحث السبل الكفيلة بتطوير المناهج البحثية والأطر النظرية لهذه العلوم بما يتلاءم مع متطلبات العصر، ويعزز من قدرتها على مواكبة التطور السريع في المعرفة الإنسانية.

وقد تميزت أعمال المؤتمر بتنوع محاوره العلمية وتعدد تخصصاته، حيث شملت مجالات التربية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، واللغة، والتاريخ، والإعلام، والدراسات الثقافية، القانون، والعلوم السياسية

وغيرها من الحقول المعرفية ذات الصلة. وقد عكست البحوث المقدمة مستوىً علميًا رفيعًا، إذ تناولت قضايا معاصرة تتعلق بتأثير الرقمنة على الهوية والثقافة، ودور التقنيات الحديثة في التعليم، وأبعاد التحول الرقمي في المؤسسات الاجتماعية، إلى جانب مناقشة التحديات الأخلاقية والمعرفية التي تطرحها البيئة الرقمية.

إن انعقاد هذا المؤتمر الذي أقامته أكاديمية شمال أوروبا يؤكد على الدور الريادي للمؤسسات الأكاديمية في قيادة الحوار العلمي حول القضايا المصيرية التي تمس مستقبل المجتمع والإنسان. كما يعكس حرص الأكاديمية على تعزيز البحث العلمي، والانفتاح على التجارب العالمية، وبناء جسور التواصل بين الباحثين من مختلف الخلفيات الثقافية والعلمية. وقد وفر المؤتمر بيئة حوارية خصبة أتاحت للمشاركين فرصة تبادل الأفكار، ومناقشة الإشكالات، وصياغة رؤى مشتركة تسهم في تطوير مسارات البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ويكتسب هذا المؤتمر أهميته من كونه لا يكتفي بوصف الواقع الرقمي وتحولاته، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة فهم أبعاده العميقة، وتحليل آثاره بعيدة المدى على الإنسان والمجتمع. فالعلوم الاجتماعية والإنسانية، بما تمتلكه من أدوات تحليلية ورؤية نقدية، قادرة على مرافقة هذا التحول، وتوجيهه نحو خدمة الإنسان والحفاظ على قيمه وهويته الثقافية. ومن هنا جاءت توصيات المؤتمر لتؤكد على ضرورة إدماج التقنيات الرقمية في البحث والتعليم، مع الحفاظ على البعد الإنساني والأخلاقي للمعرفة. وفي ضوء ما تحقق من نقاشات علمية مثمرة، وما طُرح من أفكار ورؤى، يمثل هذا المؤتمر محطة مهمة في مسار تطوير العلوم الاجتماعية والإنسانية في المنطقة. فهو يفتح آفاقًا جديدة أمام الباحثين، ويحفز المؤسسات الأكاديمية على إعادة التفكير في برامجها ومناهجها بما ينسجم مع متطلبات العصر الرقمي. كما يسهم في ترسيخ الوعي بأهمية هذه العلوم في فهم التحولات الراهنة وصناعة مستقبل أكثر توازنًا، يجمع بين التقدم التكنولوجي والعمق الإنساني.

أ.د. عباس ناجي الإمامي
رئيس أكاديمية شمال أوروبا ـ الدنمارك

الفهرست

اسم الباحث	عنوان البحث	رقم الصفحة
أ.د. قسمة مدحت حسين درويش	الأنغام الصوفية عند (سيد خليل عالي نجاد وعلاقتها بعلم العروض أوزان الشعر دراسة تاريخية من 1980- 2001 م	18 - 1
أ.د. انتصار كمال العاني أ.د. شيماء صلاح العبيدي	السلوك الحكيم لدى المراهقين في ضوء بعض المتغيرات	45 - 19
أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي	الفجوة التقنية الرقمية بين الدول وأثرها على الاسرة المسلمة في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية - دراسة تحليلية	83 - 46
أ.د.نضال محمد قمبر	الدلالات الاقتصادية في معجم الفيروز آبادي وأثرها في مفاهيم التنمية المستدامة	100 - 84
ا.د قحطان عدنان بكر ا.د. زبن خلف نواف	التنمية المستدامة في المدن الإسلامية قراءة تاريخية في إدارة الموارد والعدالة الاجتماعية خلال العصر العباسي	130 - 101
أ.د.ابتسام حمود محمد	مكتبة مكنزي ودورها في نشر الفكر الماركسي في العراق	144 - 131
أ.د. افتخار محمد مناحي الرفيعي	الذكاء الاصطناعي واثاره في الاقتصاد الكلي	166 - 145
أ. د . مصطفى جواد عباس م.م. ثمينه مزهر محمد الشمس	الجاهلية في الفكر الاسلامي	185 - 167
أ.د. قحطان حميد كاظم أ.د . قسمة مدحت حسين	أثر تنوع الفرق والطوائف الإسلامية في الوحدة الإسلامية رؤية تأريخية معاصرة	204 - 186
ا.د. شيماء سالم عبد الصاحب	المجتمع الاسلامي في القرن الرابع الهجري في ضوء كتاب مسالك الممالك للاصطخري "ت 346هـ	227 - 205
ا.د. جعفر عبد الدائم بنيان المنصور	أهم الاسر البصرية جذورها التاريخية ودورها في التاريخ الحديث	252 - 228
أ.د.حميد سراج جابر	مسارات التكامل المعرفي في وصايا الإمام علي لإبنه الحسن عليهما السلام (دراسة في نهج البلاغة)	266- 253
ا.د زين العابدين موسى جعفر ا.د سعد سلمان فهد	الإبادة الجماعية (الجذور والامتداد)	292 - 267
ا.م.د.هُدى ناجي عبيد	الردودُ النحْويّة في مصنفاتِ اللغويين ردودُ ابنِ خروف(ت609هـ)على ابنِ طاهر(ت 580هـ) اختيارًا	306 - 293
أ.م. د غصون مزهر حسين	موقف عشائر العمارة من فتوى المرجعية الدينية في ثورة العشرين	316 - 307
أ.م.د. كوثر ناصر عباس	الإدارة المستدامة لمياه الري في العمليات الزراعية (قضاء المحمودية أنموذجا)	338 - 317
أ.م.د محمد شفيق فريحات أ.م.د سليم عبد الرحمن العسولي	تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام	347 - 339
أ.م.د. علي نجم عبد الله	قوهستان واثرها السياسي والحضاري من القرن الثاني وحتى القرن السادس هجرياً	360 - 348

أ. م. د. سعد علي ريحان المحمدي م.د. بلال جاسم صالح القيسي	تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي (الاستراتيجية: من المحادثات الذكية إلى صياغة السياسات= البيئة العراقية إنموذجاً	**392 - 361**
أ م.د. وفاء محمد حسين احمد التميمي	أنشطة فنية مقترحة لمادة علم النفس الفني قائمة على العمليات النفسية الأساسية لطلبة المرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية	**408 - 393**
أ.م.د كمال جاسم محمد	تأثير المرونة المعرفية في تعلم مهارتي المناولة والطبطبة بكرة اليد للطلاب	**419 - 409**
أ.م.د. ولاء مهدي الجبوري	إشكالية المرأة في المجتمع الإسلامي ـ نماذج مختارة	**433 - 420**
أ.م.د.حفصة عطا الله حسين م. د. بلال جاسم صالح	من المدن الذكية إلى الأسواق الذكية: توظيف الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في التسويق المعاصر	**458 - 434**
ا.م.د. فيحاء مولود علي م.م. مصطفى داخل حسين	التحول الرقمي في علم الآثار: أهمية ادوات الذكاء الاصطناعي في استكشاف وحفظ وعرض النتاجات الاثرية	**468 - 459**
أ .م. د. خليل حســين عبد الله الجوراني ا.د. مهند محمد عبد الســتار النعيمي	استراتيجيات التعامل مع الضغوط وعلاقتها بالتعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات في العراق	**493 - 469**
د. كافي سلمان مراد الجادري	التهجير القسري و آثاره الأجتماعية على الكرد الفيلية ما بين عامي1970-1980 . دراسة تأريخية (الكرد الفيلية) (حزب البعث) (التهجير) (الأبادة الجماعية)	**510 - 494**
د. كوسار رشيد أمين م.م. نه وشيروان علي حسين	التحليل المقارن لرسومات الأطفال من منظور علم النفس النمائى والتعبير الإبداعى والإدراك الداخلى استنادًا إلى نظريات (لوفينفيلد، كلاگ، بياجه، فرويد، وينيكات	**535 - 511**
د. محمد مجيد حسين	السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا بعد عام 2014	**546 - 536**
م. د. منتهى علي حسين	أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط ـ دراسة في نماذج مختارة	**567 - 547**
م. د نور عماد تركي	التوترات الجيوستراتيجية في منطقة بحر الصين الجنوبي واثرها في الاستقرار الاقليمي	**578 - 568**
م.د مصطفى صادق عواد	الانتقال نحو الدولة الرقمية: التحول الرقمي وإعادة صياغة السياسات العامة في العالم العربي – دراسة حالة العراق	**601 - 579**
م.د.معد صالح حسن	النمو الإقتصادي وأثره على النظام السياسي	**624 - 602**
م.د. رنا عبدالحسين علي الدليمي	تحولات الدبلوماسية التقليدية في ظل الذكاء الاصطناعي: من القوة الناعمة إلى القوة الرقمية	**644 - 625**
م.د هناء رحيم زيدان	بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003: الفرص والتحديات	**664 - 645**
م.د. علي اياد حميد أ.م.د. نبيل خليل ابراهيم	دور الحركة الكشفية في تنمية ثقافة السلام والتعاون الدولي لدى الشباب: دراسة تربوية معاصرة	**870 - 665**
م.د. هاجر محمود علي أ.د. ديلم كاظم سهيل	الزمن الأسطوري في بعض نماذج الرواية العربية	**681 - 671**

م.د امال ياسين محمد	التعليل النحوي عند ابن كمال باشا (ت940 هـ/1534م) في كتابه أسرار النحو – دراسة تحليلية	698 - 682
م.د محمد فاضل ابراهيم	دور النسور في تطور المحكمة الدستورية الأردنية / دراسة تاريخية	709 - 699
م.د. أمينة داخل شلش التميمي	حادثة اغتيال جون كينيدي عام 1963 بين نظريات المؤامرة والوثائق السرية	726 - 710
م.د . سيف رعد سعد عبد الستار	رقابة القضاء الإداري على أعمال الإدارة في العراق	751 - 727
م.م. مروة علوان راضي	توظيف الذكاء الاصطناعي في ادارة التهديدات الاقليمية العابرة للحدود : العراق انموذجا	766 - 752
م.م. نشوان علاء حسين	الدبلوماسية الثقافية كأداة لتعزيز العلاقات العراقية ـ الإيرانية في إطار القوة الناعمة والتكامل الإقليمي	774 - 767
م.م نور الدين حساني شرقي	لعلاقات الدولية والصراعات السيبرانية بين القوى الكبرى	787 - 775
م.م عبدالله محمد قاسم	دور التنبؤ الاستراتيجي لادارة الصراع السيبراني بين ايران واسرائيل	801 - 788
م.م. الحسن جلال عبد الواحد م.م. نور موفق عبد الغني	دور التحول الرقمي في توجيه الرأي العام السياسي المحلي والدولي	818 - 802
م.م. فاتن عبدالستار جبار	العراق و جامعة الدول العربية : دراسة في حدود الفاعلية الإقليمية بعد مرحلة الانكفاء	838 - 819
م. اثير حمزه خليل شديد المعموري ا.م .د رضا طعمة عبيد نزام العجيلي	مهارات التفكير المستقبلي وعلاقتها بأبعاد الوعي الأخلاقي للذكاءالاصطناعي لدى طلبة المرحلة الثانوية المتميزين	859 - 839
م.م. فرح عدنان ابراهيم	أثر انموذج Hakkarainen في التفكير المنطقي لدى طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الرياضيات	873 - 860
م.م.نور ثائر عبدالقادر	فاعلية التدريس باستخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي في تنمية مهارات التفكير التحليلي لدى طالبات الصف الاول متوسط لمادة الرياضيات	897 - 874
م. م نداء سلام جميل صالح	انثروبولوجيا الذكاء الاصطناعي وتغير الانظمة الذكية في بنية العلاقات الانسانية	905 - 898
م. م. زينة قاسم جواد	الأساليب النحوية لأفعال المشيئة في القرآن الكريم	927 - 906
م م منى عليّ عبد أبو نايلة	حروف المعاني وفق المعايير النّصيّة "القرأن الكريم أنموذجًا"	945 - 928
م.م. إلياس محمد ابراهيم أ.م.د. عكاب يوسف جمعة	إسهامات علماء الأندلس في خطة الكتابة خلال القرنين (7-8 هـ/ 13-14 م) بكتاب الوافي بالوفيات للصفدي(ت 764هـ/1362م	958 - 946
م.م نوره خالد جهاد	واقع استخدام التقنيات الرقمية في تدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية من وجهة نظر مدرسي المادة	974 - 959
م.م. لبابه حسين علي	المدن في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي مدينة نيسابور نموذجا (31_618هـ)	1000 - 975
م.م.حيدر سلطان حسين	المَرأة في العَصر العَباسِيّ الأوَّل (الخَيزَران بِنتُ عَطاء أنموذجاً	1008 - 1001

م.م. ريم كاطع عطية البديري	نهج البلاغة في بيئة الذكاء الأصطناعي : مقاربة رقمية لتحليل خطب ورسائل الإمام علي (عليه السلام)	**1024 - 1009**
م.م غفران حكمت خضير	الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين برنارد لويس انموذجا	**1030 - 1025**
م.م. ميرفت عبد الكاظم	الدراسات الأثرية في العراق : إرث حضاري وتحديات معاصرة	**1046 - 1031**
م.م. سامر رضوان قاسو	أثر التحول الرقمي على تكلفة رأس المال. دراسة تحليلية	**1052 - 1047**
م.م. زينب عبدالستار عبدالجبار كاظم	مدينة طبرستان (مازندران) دراسة في الجغرافية التاريخية	**1067 - 1053**
م.م فاطمة هادي شاكر	خطبة محمد بن الخلفة(ت:1247هـ) في كتاب البند ـ دراسة بيانية	**1080 - 1068**
م.م. عمار عايد كطوف	إشكالية القيادة في الدول العربية بعد التغييرات السياسية: تونس بعد العام 2011 انموذجاً.	**1102 - 1081**
م.م قمر ثامر صبري	التكامل بين مساري التحول الرقمي والخصخصة في إعادة تعريف الدور الاقتصادي للدولة: مقارنة تحليلية بين الأردن وهولندا	**1123 - 1103**
رسل أكرم محسن يحيى أ.م. وسن عدنان رشيد	أثر إستخدام الذكاء الإصطناعي في تنمية مهارتي القراءة والتحدث لدى تلميذات الصف الثالث الإبتدائي في مادة اللغة الإنكليزية واتجاهاتهن نحوها	**1144 - 1124**
الأبحاث	**باللغة الأنكليزية**	
Asst.prof. Hind Tahseen Hameed Asst.prof. May Tahseen Hameed	Pragmatic Intent and the Negotiation of Identity in English Social Media Discourse: A Multimodal Discourse Analysis	**1156 - 1145**
Dr. Zhian Fadhil Asaad (Lecturer) Dr. Hoshang Farooq Jawad (Professor)	AI Translation and Cognitive Semantic Challenges of Kurdish Conceptual Metaphors	**1173 - 1157**
Dr.Tazhan Kamal Omer Rabar Azad Mahmood	Classroom Management Strategies in English Language Teaching: Teachers' Perspectives in Secondary Schools of Sulaimani	**1186 - 1174**

1204 - 1187	"Digital Transformation in English Language Teaching: The Impact of Artificial Intelligence on the Future of Humanities"	Asst. Lect. Ameen Hussein Jbarah,
1221 - 1205	Evaluating Sustainability Discourse in Iraqi Media: An Appraisal Theory Analysis of Climate Action Initiatives	Asst. Lect. Sarah Hatem Jaddoa Asst. Lect .Haya Abdulsalam Jasim
1238 - 1222	Linguistic Errors Made by EFL Students in Writing Essay	Asst. Lect. Younis Salih Fatah
1245 - 1239	The Impact of Technology on Second Language Acquisition: A Study of Mobile-Assisted Language Learning	Asst. Lect. Mayada Khdyar Yas
1256 - 1246	An Investigation into Grammatical Cohesion in Academic Writing: A Comparison between EFL Students and AI-Generated Texts	Asst. Lect. Kozhin Omer Ismael Asst. Lect. Hazha Hiwa Mohammed Asst. Lect. Hana Anwar Sher Ali
1267 - 1257	The Impact of Informatics Studies on Educational Systems and Contemporary Teaching Methods: A Novel Computational Participatory Design with Micro-Randomized Trial Framework	Asst. Lect. Farah Jaber Khalaf Asst. Lect. Husham Riyadh Shaker
1279 - 1268	Assessment of Changes in Geological and Biological Diversity Using the Water Index to Detect Change in Sawa lake	Asst. Lect. Sally Hussein.
1291 - 1280	Image of Home in Saadi Yusuf`s “The Ends of The African North” and Warsan Shire`s “Home”: A Lacanian Approach	Asst. Inst. Najlaa Muqdad Said
1304 - 1292	Implicature in Selected Texts of Forster's A Room with a View/ A Pragma-linguistic Study	Asst. Inst. Ibraheem Ahmed Shakir
1319 - 1305	Indicators of Critical Minerals Marketing: Global Figures and Facts	Huda Fadhil Gatea
1331 - 1320	Using the Socrative Tool to Identify Grammatical Weaknesses among EFL Learners	Bahra Taib Rashid

الأنغام الصوفية عند (سيد خليل عالي نجاد)
وعلاقتها بعلم العروض (أوزان الشعر) من 1980- 2001م
دراسة تأريخية

إعداد

أ.د. قسمة مدحت حسين درويش
جامعة بلاد الرافدين
كلية العلوم الإنسانية
قسم حوار الاديان والحضارات
dr.qmhd333@gmail.com

المستخلص

لقد انفرد(سيد خليل عالي نجاد) بأسلوبه الخاص بفن الأنغام الصوفية على آلة الطنبور ، هذه الأنغام لها ارتباط وثيق بأوزان الشعر الصوفي ، مما أدى الى إلهام الناس به والميل الى استماع نغماته، لذلك يجدر البحث في هذا الموضوع الذي لم يتطرق اليه أحد من الباحثين .

فرضت طبيعة الموضوع تقسيمه الى فصول ثلاثة : المبحث الأول : سيرته وبداية حياته الفنية. المبحث الثاني: علم العروض وعلاقته بالانغام الصوفية ، والآلات الموسيقية التي تناولها في ألحانه. المبحث الثالث : بعض النماذج التطبيقية من الشعر الصوفي لشعراء معروفين بالتصوف .

من المصادر المهمة للبحث : أشعار حافظ الشيرازي ،وأشعار شمس التبريزي لجلال الدين الرومي. وبسبب أتغامه المؤثرة في التاريخ الحديث كانت له منزلة عظيمة في عالم الانغام الصوفية .

Abstract

Sayyed Khalil Aa li Negad distinguished himself through a unique approach to the art of Sufi melodies, performed on the tambour drum.

His compositions were deeply intertwined with the aesthetic and spiritual ,inspiring audiences and fostering an appreciation for these resonant tunes which is not investigated by scholars .Thus ,the research is divided into three chapters-:

Chapter one studied his biographic overview and the beginnings of his artistic career. Chapter two investigated the science of Arabic prosody and its relationship to Sufi melodies with an examination of the musical instruments employed in his works .Chapter three examined models as examples from prominent Sufi poets. Sources of Research: Selected poems by Hafiz Sherazi & Poems of Shams Al-Tabrizi for Jalal Al-Din Al-Rumi.
Owing the enduring influence of his melodies in modern history ,Sayyed Khalil achieved an esteemed position within the tradition of Sufi music.

المقدمة

لقد انفرد (سيد خليل عالي نجاد) بأسلوبه الخاص بفن الأنغام الصوفية على آلة الطنبور ، هذه الأنغام لها ارتباط وثيق بأوزان الشعر الصوفي ، مما أدى الى إلهام الناس به والميل الى استماع نغماته ، لذلك يجدر البحث في هذا الموضوع الذي لم يتطرق اليه أحد من الباحثين .

فرضت طبيعة الموضوع تقسيمه الى فصول ثلاثة : المبحث الأول : سيرته وبداية حياته الفنية . المبحث الثاني : علم العروض وعلاقته بالانغام الصوفية ، والآلات الموسيقية التي تناولها في ألحانه. المبحث الثالث : بعض النماذج التطبيقية من الشعر الصوفي لشعراء معروفين بالتصوف .

من المصادر المهمة للبحث : أشعار حافظ الشيرازي ،وأشعار شمس التبريزي لجلال الدين الرومي . وبسبب أتغامه المؤثرة في التاريخ الحديث كانت له منزلة عظيمة في عالم الانغام الصوفية .

سنوضح المقدمة من خلال الفقرات الاتية : –

الهدف من البحث: –

تعريف القارئ والباحث بشخصية (سيد خليل عالي نجاد) الموسيقية بأنغامه والحانه في الشعر الصوفي فهو الموسيقي الصوفي المائز وله جهود عظيمة في الانغام الصوفية والذي أثّر في الاجيال القادمة من بعده والملهمين للاستماع الى نغماته والحانه في القرن العشرين وما بعده .

مشكلة البحث

ان هذا النوع من البحث عند جهود (سيد خليل عالي نجاد) لم يكتب فيه احد ولم يتطرق اليه احد ولم يتطرق الباحثون اليه في موضوع الانغام الصوفية وهنا يأتي البحث جديداً كل الجدة ، لذلك عزمت البحث فيه وتسليط الضوء عليه .

أهمية البحث

للبحث أهمية كبيرة ، لان انغام الصوفية هي أنغام تعبدية روحية مستوحاة من شعراء التصوف المسلمين ، فضلا عن العلاقة الوثيقة بين الشعر الصوفي واوزان الشعر في علم العروض مما تتولد عنه النغمات والايقاعات والالحان الجميلة المعبرة والمؤثرة في المستمعين .

منهج البحث :

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي .

هيكلية البحث :

فرضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : وفيه تناولت سيرته وبداية حياته الفنية .

المبحث الثاني : الأنغام الصوفية وعلاقتها بعلم العروض ، والآلات الموسيقية التي تناولها سيد خليل في الحانه .

المبحث الثالث : بعض النماذج التطبيقية من الشعر الصوفي لشعراء معروفين بالتصوف .

وحينما أُستشهد (سيد خليل رحمه الله) في يوم الاحد 2001/11/18 م ترك لنا تراثاً موسيقياً خالداً بتنوع الحانه . رحم الله سيد خليل لما قدّم للأجيال من اشراقات موسيقية ونغمات روحية معبرة ومؤثرة في التاريخ الحديث .

المبحث الاول : سيرته وبداية حياته الفنية:

ولد سيد خليل عالي نجاد في مدينة (صحنة) وهي قضاء تابع لمحافظة كرمنشاه شمال غرب ايران من (عائلة كردية) وذلك في 11 حزيران 1957م ، وتوفي في 2001/11/18م وذلك في يوم الاحد بعد استشهاده في مدينة(غونتنبرغ) السويدية ملحق رقم واحد •.

وبعد (مقابلة شخصية)• اجريتها مع كل من (محمد حسين سباطي وعلي سباطي) لمعرفة المزيد عن سيرته الذاتية وبداية حياته الموسيقية توصلت الى انه كانت عائلته قبل زواجه تتكون من (ابوين وولدين وخمس بنات) الاّ ان اخاه المدعو سيد عباس توفي قبله بحادث وقوعه من على ظهر حصان مما ادى الى وفاته في الحال واثر ذلك عليه كثيرا في حياته .

وبعد زواجه الذي اختاره مرتين كانت الثمرة من ذلك ولد واحد وبنت واحدة ، اما مراحل تعليمه فهي ان السيد خليل قد اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية في مدينة (صحنة) ثم اكمل دراسته في كلية (كشاورزي) في محافظة كرمنشاه ، وكشاورزي تعني بالفارسية الزراعة (حسنين عبد المنعم محمد 1982: 538) ، وبعد تخرجه من هذه الكلية عيّن موظفاً واشتغل في (بنك) اي (مصرف صحنة) وبعد ثلاث سنوات من تعيينه ترك الوظيفة لأجل الالتحاق بدراسته الاكاديمية في الموسيقى ولأجل الحصول على شهادة البكالوريوس في الموسيقى وذلك لان ملكة الابداع تنمو عند الموسيقيين الموهوبين ثم يتفتح عنفوانها وحيويتها حينما يتواصلون دراستهم الاكاديمية لكي تشمل فروع النغم والايقاع وتطبيقاتها .

• ملحق رقم (1) صورة تشييع _ سيد خليل عالي نجاد) .

• تاريخ المقابلة يوم الجمعة الموافق 2024/9/13 م – طهران .

فالموسيقى : (صناعة في تأليف النغم والاصوات ومناسباتها وايقاعاتها وما يدخل منها في الجنس الموزون والمؤتلف بالكمية والكيفية) . (الفارابي ت339 هـ ، 2009 : 15) .

وبذلك انتقل سيد خليل من مسقط راسه في (صحنة) الى العاصمة (طهران) فالتحق بقسم الموسيقى في جامعة طهران ونال فيها شهادة البكالوريوس في الموسيقى بأطروحته التي كانت بعنوان : (الطنبور من البداية حتى الآن).

وقد كانت له خلفية ثقافية قبل التحاقه بجامعة طهران لأنه تعلم العزف على الطنبور على يد كل من : سيد امر الله شاه ابراهيمي والدرويش امير حياتي والسيد عابدين خادمي .

وبعد التحاقه بقسم الموسيقي بجامعة طهران ، درس الموسيقى على يد أساتذة جامعيين مختصين ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور : تقي بينش والسيد محمد رضا درويش والسيد حسين الميثمي .

وبعد (مقابلة شخصية اجريتها مع كل من محمد حسين سباطي وعلي سباطي)• توصلت الى ان سيد خليل كان موهوبا في تعلم الموسيقى والارتقاء بالفنون الموسيقية واصدار النغمات منها : وانه كما وصفه معاصروه رجلاً شجاعاً اميناً جميل الشكل مليح الصورة بهياً ذا مهابة ، يحب الخير للجميع عازفا عن مغريات الحياة وزينتها مخلصاً في عمله محباً لفنه وتأكيداً لما ذكره معاصره فقد شهد له استاذه : (درويش محمد رضا 383 ش : 313) بقوله : لقد كان سيد خليل ضابطاً للالآت الموسيقية ، وفضلا عن ذلك انه يتميز بصوته الجميل العذب في تلحينه للأشعار الصوفية وادائِه لها بطريقة روحانية . كما انه يتميز بشخصية قوية تؤهله دائما للنجاح والتفوق والتاليف في شتى المجالات كما كان الكثيرون يعتبرونه العازف المميز والصوفي المثال في القرن العشرين. http ://ar.wikipedia.org

وهكذا افنى سيد خليل حياته في سبيل تقديم الخير للبشرية والوصول بالمستمعين لألحانه الى الصفاء الروحي والنفسي تعبيرا عن اسمى المشاعر وانبلها في الحياة الإنسانية .

المبحث الثاني: الأنغام الصوفية وعلاقتها بعلم العروض :

للانغام الصوفية علاقة وثيقة بعلم العروض علاقة وثيقة بالانغام الصوفية وذلك من خلال اوزان الشعر الصوفي التي الذي يؤثر في المستمعين تاثيراً كبيراً، فعلم الع رض هو علم اوزان الشعر بأنواعه المتنوعة ومن الشعر الصوفي ويعود الفضل في معرفة هذه الاوزان الى العالم الكبير صاحب كتاب العين (خليل بن احمد الفراهيدي ت 173هـ) ضابطاً الايقاع الموسيقي الشعري ضبطاً دقيقاً (الراضي 1975 : 8) لذلك فان العروض هو : (ميزان الشعر به يعرف مكسوره من موزونه ، كما ان النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه) (المصدر نفسه) .

ولعل اوضح ما في الشعر من خصائص ومميزات هذا النغم الموسيقي المنساب والمنبعث من مقاطعه الذي نسميه (الوزن) واصل العروض في اللغة : الناحية (ابن منظور 2003 : 183/6) .

• تاريخ المقابلة يوم الجمعة الموافق 2024/9/13 م .

والعروض : ميزان الشعر لانه يعارض بها (وهي مؤنثة ولا تجمع لانها اسم جنس) (الرازي 1983: 426).

ومن ذلك قولهم (انت معي في عروض لا تلائمني) اي في ناحية ، لذلك فيحتمل ان يكون سمي هذا العلم عروضاً لأنه ناحية من علوم الشعر ، وقيل : يحتمل ان يكون سمي عروضاً لأنه الشعر معروض عليه فما وافقه كان صحيحا ، واما ما خالفه فقد كان فاسداً . والشعر كله مركب من سببٍ ووتدٍ وفاصلةٍ وربما كان السبب منفرداً او وليه سبب مثله ، فالمنفرد نحو (فا) من (فاعلن) و(لن) من (فعولن) والذي يليه سبب مثله نحو(عيلن) من(مفاعيلن) و (مستف) من (مستفعلن)، هذا عند بعض العروضيين وعند الاكثر ان السبب سببان ، والوتد وتدان والفاصلة فاصلتان . (الخطيب التبريزي 2018 :15)• .

والشاعر الذي يتجاهل علم العروض يحرم نفسه من العزف على اوتار شتى تجعل شعره منوع الانغام والالحان ومن ذلك تتجلى اهمية علم العروض والالمام بأصوله وقوانينه . وبعد معرفة ان العروض هو علم موسيقى الشعر نجد ان هناك صلة تجمع بينه وبين الموسيقى بصورة عامة . وهذه الصلة تتمثل في الجانب الصوتي . (فالموسيقى تقوم على تقسيم الجمل الى مقاطع صوتية تختلف طولا وقصرا ، او الى وحدات صوتية معينة على نسق معين ، بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها .

وكذلك شان العروض فالبيت يقسم الى وحدات صوتية معينة ، او الى مقاطع صوتية تعرف (بالتفاعيل) بقطع النظر عن بداية الكلمات ونهايتها . فقد ينتهي المقطع الصوتي او التفعيلة في آخر كلمة ، وقد ينتهي في وسطها ، وقد يبدأ من نهاية كلمة وينتهي ببدْء الكلمة التي تليها (عبد العزيز عتيق 1987 : 11– 12) .

والطريقة لوزن الشعر ان تقطع البيت الشعري الى اجزاء او الى عدد من التفعيلات التي يوزن بها ، ثم تقابل الساكن من حرفه بالساكن من حروفها ، والمتحرك بالمتحرك دون مراعاة نوع الحركة ، والعبرة هنا باللفظ دون الخط ، ويثبت كل ما يلفظ ويترك كل ما لا يلفظ (الراضي 1975 : 13) ، وقد جاء شعر الصوفي من التصوف والتصوف في اللغة من (الصفوة) وصفوة كل شيء : خالصه ، والصفاء مصدر الشيء الصافي) (ابن منظور 2003 :5 /360) ومن ثم انتقلت اللفظة من اللغة الى الاصطلاح لكي تعني : الزهد عن الدنيا وملذاتها (المصدر نفسه).

فالتصوف يُعنى به (الوقوف مع الاداب الشرعية ظاهراً ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر ، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال) (الجرجاني 2013 : 59) .

لذلك فالتصوف كله جدّ ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل . وقيل : تصفية القلب عن الاطماع الدنيوية واخماد صفات البشرية والتعلق بعلوم الحقيقة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الشريعة . وقيل عنه ايضا الاخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق والاستغناء عما في ايدي الخلائق . (المصدر نفسه).

• يأتي توضيح (السبب والوتد والفاصلة) في المبحث الثالث .

فعلاقة الشعر الصوفي بالأوزان الشعرية قوية جداً الى درجة لم نجد بيتاً شعرياً من الشعر الصوفي الاّ ويتكون من عدة تفعيلات ، والتي أدت الى التأثير في النفوس وهذه مستوحاة من اعمال الشعراء الصوفيين المسلمين الذين لحّن لهم (سيد خليل) اعذب الالحان التي تتفق مع اوزانهم الشعرية .

ولما كان التصوف هو (مذهب اسلامي روحي معروف) (عارف تامر 1990 : 96) تفرعت المتصوفة الى فرق ومذاهب ، وهذه الفرق والمذاهب جميعها اسلامية واختلافاتها بالطقوس والطريقة . والسماع الى الانغام الصوفية يقصد به : احداث حالة الوجد وزيادة المعنوية الروحية ، وقد يرافقها في بعض الأحيان (الرقص) الدائري الذي عللوه وبرره بتمثيل دورة الافلاك (المصدر نفسه : 97) .

فالنغمة هي وحدة البناء الاساس في الفن الموسيقي وجمعه (انغام) والنغمة في اللغة تعني : الصوت الخفي ومنه قيل : فلان حسن النغمة اي حسن الصوت (الرازي 1982: 671) والنغمة : جرس الصوت (ابن منظور 2003 : 635/8) فالانغام الصوفية فن رائع ومؤثر يعتمد على تسلسل النغمات والايقاعات والالحان الجميلة المناسبة .

الآلات الموسيقية التي تناولها سيد خليل في ألحانهِ :

لقد أتقن سيد خليل الآلات الموسيقية جميعها في دراسته الاكاديمية للموسيقى ، ومن هذه الآلات الطنبور والناي والدف والمزمار وقد شهد له استاذه (درويش محمد رضا 1383 ش : 313) بقوله : لقد كان سيد خليل (عالماً في ضبط الآلات الموسيقية كما ضبط الدساتين وهي : (علامات توضع على سواعد الآلات الموسيقية ذوات الاوتار على نسب مخصوصة ليستدل بها على مخارج النغم من اجزاء الوتر) فضلا عن الآلة الموسيقية التي اكتشفها بنفسه دون تقليد لاحد وسماها (التنتارة) :•

فالآلات الموسيقية التي اتقنها سيد خليل هي• : الآلات القرعية مثل : الدف ، الآلات النفخية مثل : الناي والمزمار ، الآلات الوترية مثل : الطنبور الذي اشتهر به .

اما التصنيف العلمي لهذه الآلات فقد تم على يد (الفارابي ت 339 هـ) ، فقد كان يعتمد على احداث خروج الصوت من الآلة اساسا لهذا التقسيم (الفارابي 2009، 2 / 496) ومن الآلات القرعية التي استعملها سيد خليل في تنوع الحانه :

1. الدف : وهي آلة ايقاعية ذات اطار خشبي او معدني مغطى بالجلد وتستخدم الدفوف التي لا تحتوي على اجراس بشكل عام في سياق ديني . ويصدر الصوت من هذه الدفوف عن طريق قرع (نقر) الغشاء الجلدي باليد . وقد كان سيد خليل يستعمل الدف ليدل على انغام الموسيقى التي تعزف . http ://en.wikipedia.org

اما الآلات النفخية فقد استعمل منها سيد خليل (الناي) والناي : آلة موسيقية شرقية يرجع اصل هذه الآلة الى ماض عتيق ، وعلى الرغم من بساطة تركيبه فانه يحدث رنة متميزة ، وذلك لاستعماله الفني بصورة عامة .

• وهي آلة مزدوجة نصفها طنبور ونصفها الاخر منها ستار .

• تمّ تصنيف الالات بحسب الحروف الهجائية .

يتكون الناي من تسع عقل بها ستة ثقوب على استقامة واحدة وثقب آخر من الخلف يتحكم به الابهام . يملك عازف الناي مجموعة من النايات وكل واحد منها يطابق سلماً (نجلاء عبد الغني 2013 : 92) الا ان سيد خليل العازف الحقيقي على الناي كان يكتفي بناي واحد بسبب مهارته في الاداء أثناء تغيير شفتيه والرأس او بسد الثقوب وبذلك كان قادراً ومؤثراً ومبدعاً على الانتقال من مقام لحني الى آخر دون اللجوء الى نايات أخرى (المصدر نفسه) .

http ://www.kurdipedia.org

ومن الآلات الوترية اشتهر السيد خليل باستعماله للطنبور : •

الطنبور : آلة وترية ، وقد أشار اليها الفارابي بقوله :

(ونتبع ما قلناه في العود ان نقول في الآلات التي تجانسه ، واقرب ما يجانسه من الآلات هي الآلة التي تعرف بالطنبور ، اذ كانت هذه الآلة تستخرج منها النغم بقسمة الاوتار التي تستعمل فيها (الفارابي 2009 : 2/ 629) وفيها وتران او ثلاثة أوتار ، وقد اشار سيد خليل ايضا الى هذه الآلة قائلا : (ان هذه الآلة تحظى باحترام كبير في طقوسنا الدينية كوسيلة مهمة في مجالس الذكر والدعاء والتسبيح والاحتماء بالمعبود ولا سيما عند اهل الحق ... لان صوت الطنبور وأنينه مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالنفس البشرية منذ الآف السنين) (سيد خليل عالي نجاد 1997 : 11) .

المبحث الثالث : بعض النماذج التطبيقية

بعض النماذج التطبيقية من الشعر الصوفي لشعراء معروفين بالتصوف ومنهم

1. جلال الدين الرومي (ت 672 هـ – 1273 م) .
2. حافظ الشيرازي (ت 792 هـ – 1390 م) .
3. سيد خليل عالي نجاد 1421 هـ – 2001 م .

فمن المقاطع الشعرية لجلال الدين الرومي• قوله في شرح العشق (جلال الدين الرومي2001 : 733) :

1. اي خدا اين وصل را هجران مكن
   سرخوشان عشق را نالان مكن
2. بر درختي كآشيان مرغ توست
   شاخ مشكن مرغ را پران مكن

• ملحق رقم (2) عزف سيد خليل على الطنبور .

• جلال الدين الرومي : شاعر وعالم بفقه الحنفية (متصوف) ، مسلم وهو صاحب المثنوي المشهور ، وصاحب الطريقة المولوية ، توفي في مدينة قونية ، ودفن فيها .

https :// arwikipedia.org
https :// ganjoor-net

3. اين طناب خيمه را برهم مزن
خيمه توست آخر اى سلطان مكن
4. گرچه دزدان خصم روز روشنند
آنچ مى‌خواهد دل ايشان مكن
5. آتشست إين بانگ ناي ونيست باد
هركه إين آتش ندارد نيست باد
6. همچوني زهري وترياقي كي ديد
همچوني دمساز ومشتاقي كي ديد
7. آفتاب آمد دليل آفتاب
گر دليلت بايد از وي رو متاب

وبعد كتابة الابيات باللغة الفارسية وبحسب ما جاء في ديوان شمس التبريزي ، نترجمها الى اللغة العربية وبنفس التسلسل الذي قام بادائها (سيد خليل) :

1. (اي خدا .....)
هنا جاء بالقول بصيغة الدعاء يقول :
يا رب هذا الوصل لا تقلبه هجراناً
ولا تبكي من كان في العشق نشوانا
2. (برختي...)
يمكث على شجرتك عش طائر
لا تكسر الغصن لا تدع للطير طيرانا
3. (اين طناب...)
لا تقطع حبل الخيمة هذا
خيمتك هي النهاية يا سلطان
4. (گرچه ....)
على الرغم من ان اللصوص هم اعداء ضوء النهار
لا تفعل ما يريده قلبهم
5. (آتشست ...)
ان هذا الانين(صوت الناي) نار وليس هواء
وكل من ليست لديه هذه النار ليكن هباء
6. (همچوني ...)

فمن راى كالناي سُماً وترياقاً

ومن راى كالناي نجيا ومشتاقا ؟ !

7. (آفتاب .....)

الشمس تكون دليلا على الشمس فان اعوزك الدليل لا تشح عنها بالوجه .

فبعد ترجمة هذه الابيات الى اللغة العربية نرجع الى الابيات باللغة الفارسية مرة اخرى لنبين ما فيها من (الاسباب والاوتاد والفواصل) وهذه الثلاثة هي اركان علم العروض فأركان علم العروض اوزانه وتفاعيله التي هي : عبارة عن متحركات وسكنات متتابعة على وضع معين ومعروف (الهاشمي 2008: 5)

من ذلك قول جلال الدين الرومي :

1.

أي خدا إين	**وصل را هجرا**	**ن مكن•**
I O I OO I O	I O I O O I O	I OO I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
سر خوشان	**عشق را نا**	**لان مكن**
I O I OO I O	I O I O O I O	OIO
		IO
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

2.

بر در ختي	**كآ شيان مر**	**غ توست**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
شاخ مشكن	**مرغ را يرا**	**ن مكن**
I O I O O I O	I O I O O I O	IOO I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

3.

أين طناب	**خيمة را بر**	**هم مزن**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
خيمة توست	**آخر أي سل**	**طان مكن**

• رمزنا للمتحرك بالدائرة (O) ، وللساكن بالالف الساكنة (I) .

I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

.4

گرچه دز دا	**ن خصم روز**	**رو شنند**
I I I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
آنج مي خوا	**هد دل آيشا**	**ن مكن**
I O I O O I O	I O I O O I O	IOO IO
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

.5

آتش ست أي	**ن بانك ناي و**	**نيست باد**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
هركه أين	**آتش ندا رد**	**نيست باد**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

.6

همجو ني زه	**ري وتر يا**	**قي كي ديد**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
همجو ني دم	**سازومشتا**	**قي كي ديد**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد

.7

آفتاب آ	**مد دليل**	**آفتاب**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O
سبب + وتد + سبب	سبب + وتد + سبب	سبب + وتد
گـر دليلت	**بايد أز وي**	**رو متاب**
I O I O O I O	I O I O O I O	I O O I O

سبب + وتد + سبب سبب + وتد + سبب سبب + وتد

ومن هنا نجد ان (الاسباب والاوتاد والفواصل) هي التي تؤدي الى تاليف البحر الذي تنتمي اليه ابيات الشعر الصوفي فالابيات تبدا بسبب خفيف (فا) + وتد مجموع (علا) + سبب خفيف (تن) فالتفعيلة هي (فاعلاتن)

والتفعيلات في هذا الشعر : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن , وهذا يعني ان الابيات من بحر الرمل (مسدس محذوف) وهنا وقع الحذف وهو الحذف السبب الخفيف من العروض والضرب فالعروض اخر جزء من الصدر وهي مؤنثة

والضرب اخر جزء من العجز وهو مذكر (الهاشمي 2008 : 19) فالحذف الذي وقع في اخر (تفعيلة) وهي حذف (تن) وهو السبب الخفيف من العروض والضرب وهذا من العلل التي تكون بالنقص . وهناك نجد ان اوزان الشعر في هذه المقطوعة الشعرية الموزونة هي التي يتم على اساسها تحديد الايقاع الداخلي لها وكيفية التاثير في المتلقي بحيث تمنحه الجرس النغمي الخاص به ، لاسيما ما عند تكرار عبارة (يا علي يا علي يا علي ازتو شد ايينه أي دل منجلي) ، وترجمته الى اللغة العربية : (يا علي بفضلك انجلت مراة قلبي) هذا الايقاع الملائم هو الذي يساعد على نقل الافكار الصوفية والمشاعر والاحاسيس بطريقة مؤثرة وفهم الجمال الروحي النابع من لحن (سيد خليل) لها ، وتاثيره على نفس المتلقي . فتكرار الوحدات الايقاعية التي تتكرر في المقاطع الشعرية هو الذي يعمق الشعر الروحي مما يساعد على خلق جو تاملي روحاني مما يجعل المقطوعة الشعرية متناغمة متضمنة اشارات الى الذكر والصفاء الروحي والتامل والوصول الى حالات وجدانية خاصة بالعشق الالهي . ويصل الصوت النابع من الايقاع الى المستمع بكل وضوح وسلامة وانشراح وبهجة .

ومن هنا ياتي دور المقام الموسيقي للمقطوعة الشعرية (شرح العشق) فالمقام هو السلم الموسيقي المؤلف من الدرجات الموسيقية https: ar.wikipedia.org

فهو من مقام (شور) الذي يتميز بتدفقه الصوتي ، الذي اداه (سيد خليل) بشكل روحي مائز فهو مرتبط بالروحانية والتعبد فمقام (شور) من المقامات الاساسية في الموسيقى الفارسية الصوفية ، وانغامه مائزة من حيث التاثير الروحي فهو مقام اصيل لانه يثير مشاعر العشق الالهي ، والوجد الرباني الممزوجة بالفرح والتامل الروحي ويضيف جواً من الانشراح والبهجة على الحضور .

وبعد ان ذكرنا (الاسباب والاوتاد والفواصل) في الابيات الشعرية من قصيدة الرومي والتفعيلات المتكونة منها مع ذكر البحر الذي تنتمي اليه القصيدة فضلاً عن الاشارة الى المقام الموسيقي لها سنذكر فيما بعد المقطوعة الشعرية من ديوان حافظ الشيرازي واتباعاً للمنهج العلمي الصحيح نتدرج في الابيات الشعرية الى ذكر الحركات والسكنات فقط من دون ان نذكر الاسباب والاوتاد والفواصل وذلك تجنباً للتكرار والاطالة ثم نذكر التفعيلة العروضية والبحر الذي تنتمي اليه تلك الابيات الشعرية فمن ذلك قول (الشيرازي : 2019: 227)

1. دست از طلب ندارم تا كام من بر آيد

يا جان رسد به جانان يا جان زتن بر آيد

2. بگشاي تر بتم را بعد از وفات و بنگر
كز آتش درونم دود از كفن بر آيد
3. بنماي رخ كه خلقي واله شوند و حيران
بگشاي لب كه فرياد أز مرد وزن بر آيد
4. بر بوي آن كه در باغ يا بد گلي جو رو يد
آيد نسيم وهر دم كرد جمن بر آيد
5. كو يند ذكر خيرش در خيل عشقبا زان
هر جاكه نام حافظ در انجمن برد آيد

وبعد كتابه الابيات باللغه الفارسيه نترجمها الى اللغه العربيه

1 دست ..

لن اتوقف عن المطالبة والسعي حتى تتحقق امنيتي فاما ان اصل انا الى الحبيب واما ان تخرج روحي من بدني

2 بكشاي تر تبم ...

فاذا مت فافتح انت تربتي ومرقدي بعد وفاتي وانظر فيه ستجد الدخان يتصاعد من اكفاني ، اثر نار العشق من اعماق قلبي

3 (بنماي رخ ...)

فاطلع علينا بطلعتك حتى يعشقك الناس ويحتاروا في جمالك البهي وتكلم فالصراخ يعلو من الخلق رجالا ونساء

4. (بر بوي)

تنمو الزهور على رائحته في الحدائق دع النسيم ياتي والعشب سوف ينمو في كل حين

5 (كو يند ..)

كلما ورد اسم حافظ في هذا المجلس او ذاك يذكرونه بالخير بين جماعه العاشقين .

اما التقطيع العروضي فهو كالآتي : •

.1

دست از	**طلب ندا رم**	**تا كام**	**من بر آيد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن
يا جان	**رسد به جانان**	**يا جان**	**زتن بر آيد**

• رمز المتحرك على شكل دائرة (O) ، ورمز الساكن بالالف الساكنة (I)

O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

.2

بكشاي	**تربتم را**	**بعد از و**	**فات وبنكر**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن
كز آتش	**درونم دو**	**د از كف**	**ن بر آيد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

.3

بنماي	**رخ كه خلق**	**واله شـ**	**وند وحيران**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن
بكشاي	**لب كه فريا**	**د از مرد**	**وزن بر آيد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

4. ب

بربوي	**ان كه در با**	**غ يا بد كـ**	**لي جو رويد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

آيد نسـ	**يم وهر دم**	**كرد چـ**	**من بر آيد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

.5

كو يند	**ذكر خيرش**	**در خيل**	**عشقبا زان**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن
هر جا كه	**نام حافظ**	**در إنجمـ**	**ـن بر آيد**
O I O I O	I O I O O I O	O I O I O	I O I O O I O
مفعول	فاعلاتن	مفعول	فاعلاتن

في هذه المقطوعة الشعرية تطرقت الى البحر الشعري بطريقة اخرى وهي ذكر التفعيلات مباشرة بعد ذكر المتحركات والساكنات من الكلمات والحروف والجمل التي دخلت نطاق نغمات الشعر الصوفي من ديوان حافظ الشيرازي• فالبحر في هذه الابيات الشعرية هو (بحر مضارع مثمن اخرب) ، وهنا عبر الحافظ الشيرازي عن المعاني الوجدانية للحب الالهي (العشق الرباني) بالتعبير الشعري ، لأن التعبير (كمصطلح يعبر عن كل ما هو مكبوت في دواخل الأشياء ، وهو اصطلاح شائع في اللغة والفن) (الجابري 2019 : 19) اما النغمة الموسيقية لهذه المقطوعة الشعرية فهي نغمة (اصفهان) التي توحي بالتامل والتفاؤل وارتياح النفس لما تصبو اليه ، لان النغمة هي : (اصغر جزء صوتي لحني) (المصدر نفسه : 18)لان الصوت حينما يبقى زماناً يسمى نغمة وهي التي (تتأسس من خلاله الجمل الموسيقية الصغيرة والكبيرة والتي تشكل مكونات لحنية متكاملة في القوالب والالوان الموسيقية والغنائية الدينية) (المصدر نفسه : 19) .

وما اشعار (سيد خليل) فسنذكر منها ثلاثة ابيات بعد مقابلة شخصية اجريتها مع كل من (محمد حسين سباطي وعلي سباطي)• وهي كالاتي باللغة الفارسية :

1 سوختم در آتش جور و فراق

جان نياسود از لهيب اشتياق

2. سوز دل جاري ز چشمم هر زمان

• حافظ الشيرازي : هو شاعر ومتصوف مسلم له بالفارسية والعربية ، توفي توفي ودفن في شيراز ، ويعد ضريحه في الحافظية بشيراز مزاراً للباحثين : https://ganjoor.net

• تاريخ المقابلة يوم الجمعة الموافق 2024/9/13 م.

چون شقايق، بر دلم آثار داغ

3. از مزارم سر زند گلبانگ عشق

بعد مرگم گر ز من گيري سراغ

وترجمتها الى العربية

1. سو ختم ... :

احترقت بنار الفراق لم تحرق روحي بلهيب الشوق

2. سوز دل ... :

ينساب من عيني شوق في كل لحظة كزهره خشخاش اثار حارة على قلبي

3. ازمزارم ... :

من قبري ستزهر زهره الحب بعد موتي لا تبحثوا عني

لقد جاءت هذه الابيات على بحر الرمل ايضا (مسدس محذوف) لذلك اكتفي بالاشارة الى نغمتها الموسيقية دون تقطيع الابيات تجنباً للتكرار غير المبرر فقد جاءت قصيدة شرح العشق لجلال الدين الرومي على البحر نفسه فلا نعيده هنا .

لقد جاءت هذه الابيات على نغمة (دشتي) وكان البعض يعدها من المقامات الفرعية يقال فيه مقام (دشتي).(http://ar.wikipedia.org (Dasti

ولنغمة (دشتي) طابع حزين في بعض الاحيان وفي احايين اخرى يحمل طابعاً نفسياً مفعماً بالبهجة والسرور والارتياح توحيه الكلمات : (لهيب اشتياق گلبانك عشق) ، وتعني بالعربية : (لهيب الشوق ، زهره الحب) وكلها تحمل رموزاً للعشق الالهي وبذلك تألق دور اللحن المبدع الذي اداه (سيد خليل رحمه الله) .

الخاتمة

وفيها نتطرق الى أهم النتائج والتوصيات

اولا النتائج

من اهم النتائج لما سبق عرضه من خلال المباحث :

1 – لقد كانت تدريبات ودراسة سيد خليل العزف على الطنبور مصدر الهام له وامكانيات ابداعية لإنتاج انغام صوفية جديدة توحي بالعشق الالهي والحب الرباني من خلال ابيات شعرية موزونة التي اثرت على المستمعين له والحضور في آن واحد .

2 – ليس لكلمة الاصالة معنى الاّ اذا ارتبط بوقت محدد وهذا ما وجدناه عند (سيد خليل من 1980– 2001 م) على شكل انغام صوفية وايقاعات والحان مؤثرة على المستمعين بشكل خاص ، فقد كان ولا يزال هو المبدع والمبتكر والصوفي المثال.

3 – ان تاريخ الموسيقى ومنها الانغام الصوفية كانت تسير نحو الارتقاء ومن الحقبة الزمنية الممتدة من حياة (سيد خليل) من (1980– 2001 م) .

4 – يُعدّ علم العروض وسيلة مهمة لألحان موزونة أداها (سيد خليل) بجدارة فائقة على وفق البحر الشعري العروضي الذي ينتمي اليه الشعر الصوفي مثل بحر الرمل (مسدس محذوف) من قصيدة شرح العشق لجلال الدين الرومي فضلا عن مقام شور ودرجاته النغمية المرتبطة بالتعبد والعشق الالهي والصفاء الروحي .

5 – حدد (سيد خليل) الوحدات الايقاعية التي تتكرر في البيت الشعري كما جاء في شعر حافظ الشيرازي من بحر المضارع (مثمن اخرب) مما ساعد اداؤه لها على خلق جو تاملي روحاني تكمن فيه حالة من البهجة والسرور والارتياح النفسي ، والتي كانت تنبع من نغمة (اصفهان) الموحية بالاثارة والتشويق لدى المتلقي.

6 – لقد تميزت نغمة (دشتي) في اشعار (سيد خليل) من خلال ادائه لها بالحزن والرقة والحنين المؤطر بالجمال الروحي والارتياح النفسي .

7 – كان (سيد خليل) قائداً روحياً للانغام الصوفية ومتميزا في تخصصه الفني (الموسيقى التقليدية) كما كان بارعاً في عزفه على الطنبور واشتهر من خلال ذلك بصوته العذب القوي المعبر وبقوة ادائه فهو صاحب صوت ذي مساحة عريضة ونفس طويل ، استطاع من خلال قدراته السلمية الانتقال من مقام الى اخر دون تكلف أسّر به قلوب مستمعيه في رحلات ومقامات روحية لا يمكن نسيانها ، وذلك للوصول بهم الى النشوة الروحية وهذا ما جعل منه شخصية مهمة بارزة متألقة في عالم الانغام الصوفية في اواخر القرن العشرين .

ثانيا التوصيات

1 – استماع الاجيال الجديدة الى انغامِهِ وايقاعاته ليكون عوناً لهم في الارتقاء الفني (النغمي) بمختلف انواعه.

2 – الحث على وحدانية الله والعمل الصالح والفضيلة من خلال الأنغام القائمة على الخشوع والتأمل وطلب الرحمة والمغفرة ومحاولة التنويع فيها .

3 – الاهتمام بالانغام الروحية لأجل الصفاء الروحي ولمعالجة الضغوط والتورات النفسية التي قد تحصل لدى بعض الناس.

المصادر

1- ابن منظور محمد بن مكرم (ت 771 هـ ، 2003) لسان العرب دار الحديث القاهرة .

2 – تامر عامر (1990) معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة بيروت لبنان.

3 – التبريزي الخطيب ابو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ ، 2008) الكافي في العروض والقوافي (ط2) منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

4 – الجابري وليد حسن (2019) التوظيف الفني للنغم والتعبير في تجويد القرآن الكريم (ط1) . منشورات نصوص بغداد العراق .

5 – الجرجاني علي بن محمد بن علي (ت 816 هـ ، 2013) كتاب التعريفات تحقيق عادل انور خضر (ط2) دار المعرفة بيروت لبنان .

6 – درويشى محمد رضا (2004) الآلات الموسيقية في ايران (ط7) طهران.

7 – الرازي محمد بن ابي بكر (ت 666 هـ ،1983 م) مختار الصحاح (ط1) دار الرسالة الكويت .

8 – الراضي عبد الحميد (1975) شرح تحفة الخليل في العروض والقافية (ط2) مؤسسة الرسالة بغداد العراق .

9 – الرومي جلال الدين محمد بلخي (ت672 هـ ، 2001) ديوان شمس الدين التبريزي طهران .

10 – الشيرازي محمد الشيرازي(ت 792 هـ، 2014) ديوان حافظ (ط1) ،مهر انديش طهران ، وطبعة (2019) ،تحقيق قاسم غني ، محمد قزويني دار فانوس دانش طهران .

11 – عالي نجاد سيد خليل (ت 1421 هـ ، 1997) الطنبور من البداية حتى الآن (ط1) ،منشورات دانش وفن طهران .

12 – عبد الغني نجلاء (2013) الآلات الموسيقية واستخدامها في التربية الموسيقية (ط1) دسوق دار العلم والايمان للنشر والتوزيع مصر .

13 – عتيق عبد العزيز (ت 1396 هـ ، 1987 م) علم العروض والقافية منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان .

14 – الفارابي ابو نصر محمد بن محمد (ت 339 هـ ، 2009) الموسيقى الكبير ، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة الدكتور محمد احمد الحفنى .

15 – محمد حسنين عبد المنعم (1982) ، قاموس الفارسية فارسي عربي (ط1) دار الكتب الاسلامية القاهرة

16 – الهاشمي السيد احمد (ت 1361 هـ ، 2008) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب (ط2) دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

المواقع الالكترونية

17. http:// ar.wikipedia.org

18. https://en.wikipedia.org
19. https:// www.kuripedia.org
20. https:// ganjoor.net
21 المقابلات الشخصية
مقابلة شخصية اجرتها الباحثة يوم الجمعة الموافق 2024/9/13 في طهران.

الملاحق

ملحق رقم (1)

تشييع (سيد خليل علي نجاد)

الملحق رقم (2)

ملحق رقم (2) عزف سيد خليل عالى الطنبور

السلوك الحكيم لدى المراهقين في ضوء بعض المتغيرات

إعداد

أ.د. انتصار كمال العاني

كلية التربية للبنات /جامعة بغداد

shaimaa.salah@coeduw.uobaghdad.edu.iq

أ.د. شيماء صلاح العبيدي

/كلية التربية للبنات جامعة بغداد

dr.intasar@coeduw.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

يهدف البحث الحالي الى :

1- التعرف على مستوى السلوك الحكيم لدى المراهقين .

2- التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الحكيم تبعا لمتغير الجنس (ذكور – اناث) أي نوع المدرسة (متميزين –عاديين) .

3- التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الحكيم تبعا لمتغير نوع المدرسة (متميزين –عاديين) .

4- التعرف على دلالة الفروق في السلوك الحكيم وفق متغير المعاملة الوالدية (تسامح - تسلط – اهمال).

وتكونت عينة البحث من (420) طالب وطالبة من طلبة الصف (الثاني والثالث و الرابع) اعدادي وتم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية من مديريات تربية الكرخ في محافظة بغداد ، اما عينة التحليل الاحصائي قد بلغت (400) طالباً وطالبة ، ولاغراض البحث قامت الباحثتان باعداد اداة لقياس السلوك الحكيم ، وتم التحقق من خصائصه السيكومترية ، المتمثلة في الصدق والتميز والثبات ، كما تم استخدام عدد من الوسائل الاحصائية منها : الاختبار التائي لعينتين ولعينة واحدة ومعامل ارتباط بيرسون واختبار شيفيه .واظهرت النتائج ان افراد العينة يتمتعون بمستوى من السلوك الحكيم ، وان هناك فروق ذات دلالة احصائية تبعاً للمعاملة الوالدية

ولصالح التسامح ، و توجد فروق تتبعاً لمتغير المدرسة ولصالح المتميزين ، وكشفت النتائج ايضاً لاتوجد فروق ذات دلالة احصائية وفق متغير الجنس .

وتوصلت الباحثتان الى عدد من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية : السلوك الحكيم ، مرحلة المراهقة .

Abstract
The Wise Behavior among Adolescents in Light of Some Variables
Dr. Intisar Kamal Al-Ali – College of Education for Women, University of Baghdad
Shaimaa Salah Al-Obaidi – College of Education for Women, University of Baghdad
The current research aims to:
Identify the level of wise behavior among adolescents.1
2-Identify the significance of the differences in wise behavior according to the gender variable (males – females.(
3-Identify the significance of the differences in wise behavior according to the type of school (distinguished – regular.(
4-Identify the significance of the differences in wise behavior according to the parental treatment variable (authoritarian – neglectful – permissive.(
The research sample consisted of 420 male and female students from the second, third, and fourth grades of intermediate schools, selected through a stratified random sampling method from the directorates of education in Al-Karkh and Al-Rusafa, Baghdad.
The statistical sample reached 400 students in total.The researchers prepared a Wise Behavior Scale, and verified its psychometric properties, including validity, reliability, and discrimination power. Several statistical tools were employed, such as the t-test for two independent samples, one-way ANOVA, factor analysis, and Pearson correlation coefficient.
The results indicated that adolescents, in general, possess a low level of wise behavior.
They also revealed statistically significant differences in wise behavior according to the parental treatment variable, in favor of the permissive (tolerant) style, and significant differences according to the school type variable, in favor of distinguished school students.
However, no statistically significant differences were found according to the gender variable.
The researchers concluded with a number of recommendations and suggestions for future research.
Key words: Wise behavior, Adolescence stage.

مشكلة البحث:

السلوك الحكيم هو التصرف بشكل مدروس وواعٍ يتسم بالنضج الأخلاقي والفكري، ويشمل القدرة على ضبط النفس واتخاذ قرارات صحيحة في المواقف الصعبة .إنه انعكاس للقيم والمبادئ، ويتضمن التسامح، والاحترام، وتحمل المسؤولية .كما أن "فن التغافل" يُعد مثالاً على السلوك الحكيم لأنه يساهم في تجنب الصراعات غير الضرورية والحفاظ على العلاقات الإيجابية .

وعلى صعيد آخر تجتهد المجتمعات والمؤسسات التربوية لتثبت نفسها لإيجاد مكان لها في هذا العالم المليء بالتناقضات والتحديات والمشكلات التي تتطلب التصرف بحكمة، إذ ان المنافسة في القرن الحالي لن تكون باكتساب الكم الهائل من المعلومات والخبرات ، وإنما باكتساب الأساليب والطرائق المنطقية العقلية والإبداعية لاستثمارها، وتوظيفها للتغلب على هذه التحديات في الحياة (أيوب، 2012 :4)

ويشير (Baltes & Staudinger ,2000) إلى أن السلوك الحكيم هو نتاج لتفاعل معقد بين المعرفة والخبرة الحياتية والفضائل الأخلاقية ، ويظهر من خلال الفهم المتوازن للمواقف الحياتية المعقدة مع مراعاة مصالح الفرد والآخرين على حدّ سواء. (Baltes & Staudinger ,2000 : 124)

أن غياب الالتزام الأخلاقي أو انعدام الميل الطبيعي لمساعدة الآخرين قد يشكل حاجزًا أمام نمو هذا النمط من السلوك في مرحلة المراهقة إذ توصلت دراسة(2009,Narvaez) إلى أن التنمية الأخلاقية المبكرة تُعدّ أساسًا للسلوك الأخلاقي الحكيم لاحقًا ، وأن المراهقون الذين لا يتلقّون نماذج واضحة في الالتزام الأخلاقي غالبًا ما يُظهرون أنماطًا من التفكير الأناني ما يقلل من احتمالية تطور السلوك الحكيم لديهم. (Narvaez,2009 : 310) ، ويلاحظ أيضًا أن ثقافة الفرد ومحيطه الأسري والتربوي تسهم بشكل مباشر في تعزيز أو إضعاف الاستعداد لمراعاة مشاعر وحقوق الآخرين وهو جزء لا يتجزأ من تطور الحس الأخلاقي الذي يدعم اتخاذ قرارات وتصرفات حكيمة ،فقد اكدت دراسة (Grusec & Hastings ,2015) أن التنشئة التي تُهمل مفاهيم العطاء والمسؤولية الاجتماعية تضعف من فرص نمو الحكمة العملية لدى المراهق، بما في ذلك قدرته على التفكير في الآخر، والتخطيط بعيد المدى، والمرونة الأخلاقية في مواجهة المواقف الحياتية. (Grusec & Hastings,2015: 43)

واشارت دراسة ويبستر (Webster ,2010) الى وجود علاقة ارتباطية سلبية بين السلوك الحكيم وبين بعض القيم السلبية في المجتمع ، وانخفاض المهارات والقيم المرتبطة بالتعامل مع الآخر كالنرجسية وحب الذات . (Webster, 2010 :75)

إن من المشكلات الخطيرة التي تواجه المراهقين خصوصا عند وصولهم لمراحل بداية النضج هي مشكلة افتقار سلوكهم للحكمة حيث يؤدي ذلك الى عدم تمكنهم من مواجهة المشكلات والتحديات التي تعترض طريقهم في مواقف الحياة, وإن تكامل مقومات الفرد وقدراته هو ما

يمهد الطريق أمام السلوك الحكيم للظهور وخاصة عندما يصل الفرد إلى أقصى حد ممكن من قدراته. (Pascal Leane, 1995 :105)

وتشعر الباحثتان بقلق علمي عميق إزاء ما يلاحظونه من تباينات سلوكية وانفعالية لدى المراهقين لا سيما ما يتعلق بغياب مؤشرات السلوك الحكيم وظهور مشاعر الحيرة والتشتت وعدم وضوح الاتجاه لديهم، وهو ما يمكن تفسيره بوجود شعور خفي أو ظاهر بالضياع، و لقد دفعت هذه الملاحظة الباحثتان إلى التساؤل حول ما إذا كان السلوك الحكيم - بما يحمله من توازن واتزان في اتخاذ القرار وضبط الانفعالات - يمكن أن يشكل حماية نفسية للمراهق ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث كمحاولة لفهم العلاقة بين السلوك الحكيم وبعض المتغيرات ، خاصةً في ظل متغيرات مجتمعية وثقافية متسارعة تفرض ضغوطًا تفوق قدرة المراهق على الاستيعاب والمواءمة، وعليه فأن مشكلة البحث الحالي يمكن ان تتحدد بالإجابة على السؤال التالي :

هل هناك علاقة بين السلوك الحكيم لدى المراهقين وبعض المتغيرات ؟

- اهمية البحث

يُعد السلوك الحكيم من المفاهيم النفسية الحديثة التي تلعب دورًا محوريًا في بناء شخصية الطفل المتزنة والقادرة على التكيف مع التحديات الحياتية والاجتماعية، وان دراسته لدى المراهق يعتبر من الموضوعات البالغة الأهمية في ميدان علم النفس التربوي، لما لهذا المتغير من دور حاسم في تشكيل شخصية المراهق وتنمية قدراته على التفاعل الإيجابي مع ذاته ومحيطه .فالسلوك الحكيم لا يُمثل مجرد استجابة عقلانية للمواقف، بل هو منظومة متكاملة من العمليات الفكرية والانفعالية والاجتماعية التي تُسهم في توجيه الطفل نحو اتخاذ قرارات مدروسة، والتعامل مع التحديات اليومية بمرونة واتزان(Sternberg ,2000 :116) . وقد أكد بالس وستاندنج (Baltes & Staudinger, 2000) أن الحكمة تمثل قمة النضج الإنساني والمعرفي، وتجمع بين عمق الفهم، وبعد النظر، والقدرة على التوفيق بين المصالح المختلفة، وهي خصائص يمكن غرسها في مرحلة الطفولة إذا ما توفرت بيئة تعليمية واجتماعية حاضنة .كما يرى فيغوتسكي إلى أن اكتساب المراهق للسلوك الحكيم يتم من خلال التفاعل مع المحيطين به، خصوصًا في سياقات التعلم والتعليم، حيث يُسهم هذا التفاعل في تعزيز قدراته على التفكير التأملي، وضبط النفس، وتقدير وجهات النظر المختلفة، وهي كلها قدرات أساسية للحكمة السلوكية ، وان تنمية هذه القدرات تبدأ من التفاعل الاجتماعي والتعلم الموجه، مما يعني أن المدرسة والأسرة تلعبان دورًا رئيسًا في تنمية السلوك الحكيم لدى المراهق . (Richardson & Pasupathi, 2005:149)

وتشير دراسة Grossmann et al. (2010) إلى أن الأفراد الذين يتسمون بالحكمة يُظهرون قدرة عالية على التفكير التأملي، وتقدير وجهات النظر المختلفة، وضبط الانفعالات، وهي

سمات تُعد من عوامل الوقاية النفسية، وتُسهم في بناء علاقات اجتماعية مستقرة .وفي الاتجاه ذاته، أكدت دراسة Brienza & Kung (2017) أن السلوك الحكيم يرتبط إيجابيًا بالصحة النفسية، والرضا عن الحياة، والقدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية متوازنة ، وتقليل التحيزات الاجتماعية، وتحفيز النمو الأخلاقي. (Ardelt, 2019: 275)

وقد تزايدت الحاجة إلى تنمية السلوك الحكيم لدى المراهقين ، نظرًا لما يواجهونه من تحديات بيئية ونفسية ناتجة عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتسارعة فضعف برامج الإرشاد النفسي، وتراجع الدور التربوي لبعض المؤسسات التعليمية، قد يؤدي إلى إضعاف المهارات الضرورية للسلوك الحكيم، وهو ما يجعل من دراسته وتحليله ضرورة ملحة في الوقت الحاضر.

ومن هنا، تنبع أهمية هذا المتغير في كونه يمثل ركيزة أساسية في تكوين شخصية المراهق السوية، ودعامة للتنشئة النفسية والاجتماعية السليمة، كما أن فهم آليات ظهوره وتطوره يمكن أن يسهم في تُعزيز قدرات المراهقين على مواجهة تحديات العصر بعقلانية وتعاطف واستبصار، بما ينعكس على صحتهم النفسية والاجتماعية في الحاضر والمستقبل.

ويرى البياجيين الجدد "نيو بياجيه" Neo-Piagetian بأنه بمجرد وصول المراهقين إلى مستوى العمليات الرسمية في مرحلة المراهقة، فهم قادرون على دمج المعرفة الأكثر واقعية ووجدانية حتى يتم السيطرة على العواطف لاتخاذ قرارات أفضل. (Massanelli 1 ,2016)، فهم يرون أن السلوك الحكيم يتطور لأول مرة في مستوى العمليات الرسمية أي ما بعد ١١ أو ١٢ سنة. (Sternberg ,2005: 17)

كما اشارت دراسة (شوقي ،٢٠٠٦) ان السلوك الحكيم يعد موجهاً فاعلا للسلوك نحو الفضيلة، فعن طريقه يمكن للفرد أن يحسن حياته و يفهم كيف ينظم أفعاله لتحقيق تجانساً أكبر مع العالم المادي المحيط، فضلاً عن أنه يشكل ركيزة الفلسفة الشخصية التي تمكن الأفراد من تطوير أنفسهم والآخرين (شوقي، ٢٠٠٦، ٣٥٦)

وترى دراسة (قنديل،٢٠١٩) ان تصرفات الأفراد يمكن أن تنتج عن حكمة، فالمهارة في إدارة شئون الحياة بكفاءة، ومهارات حل المشكلات، والخبرة في مجال من المجالات المختلفة والتصرف بناء عليها، والقدرة على استشفاف المشكلات والاستعداد لها، ومهارات التخطيط وتحقيق الأهداف، كلها ولا شك تنطوي على درجة من درجات السلوك الحكيم ، وان احراز مستوى من الحكمة فيما يقوم به الفرد من سلوكيات وممارسات في شتى مجالات الحياة، وذلك عن طريق استطاعة الفرد التوافق بين أفكاره، ومشاعره وسلوكه، ووضع أهداف في الحياة وتنفيذها، والوصول إلى النتائج، قد يساعد على تحقيق مستويات عالية من الأداء النفسي والاجتماعي، مما ينعكس بالتالي بإيجابية على المجتمع ككل. (قنديل،٢٠١٩ : ٣)

مبررات اهمية البحث :-

1- يُعد العمر(14–16) من أهم مراحل الانتقال النفسي والاجتماعي، حيث يبدأ المراهق بتكوين هويته واتخاذ قراراته الأولى في الحياة، مما يجعل فهم السلوك الحكيم ضروريًا لدعم نموه السليم.

2- ان دراسة السلوك الحكيم تساعد على تحديد العوامل التي تُنمّي قدرة المراهق على اتخاذ قرارات متوازنة ومبنية على التفكير التأملي وليس الاندفاع.

3- الوقاية من السلوكيات الخطرة .

4- السلوك الحكيم يرتبط بانخفاض احتمالات الانحراف، والعدوان، والاندفاع، والجنوح، ما يجعل البحث فيه ذو قيمة وقائية عالية.

5- يساعد السلوك الحكيم المراهق على التعامل مع الضغوط الأكاديمية والاجتماعية، مما يرفع قدرته على مواجهة التحديات اليومية.

6. تعزيز الصحة النفسية حيث يرتبط السلوك الحكيم بانخفاض القلق والاكتئاب والشعور بالضياع، مما يدعم الصحة النفسية في مرحلة حساسة من النمو.

7- يعد السلوك الحكيم من الابحاث القليلة جدًا (على حد علم الباحثتان) في البيئة العربية والعراقية، خصوصًا مع فئة المراهقين، مما يجعل هذا البحث إضافة علمية جديدة تُثري الأدبيات المحلية والعربية .

8- السلوك الحكيم يعد من خصائص الشخصية السوية والمتوازنة، وفهمها لدى المراهقين يساعد على رسم خارطة خصائص يجب تعزيزها لبناء جيل قادر على التفكير الأخلاقي والعملي معًا.

- أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي الى :

1- التعرف على مستوى السلوك الحكيم لدى المراهقين .

2- التعرف على **الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الحكيم تبعا لمتغير الجنس** (ذكور – اناث).

2- التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الحكيم تبعا لمتغير المدرسة (عاديين- متميزين).

3- التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السلوك الحكيم تبعا لمتغير المعاملة الوالدية (تسامح - تسلط – اهمال).

- حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بطلبة الصف (الثاني والثالث والرابع) ثانوي للدراسة الصباحية في مدارس العاديين و مدارس المتميزين الحكومية فقط و لكلا الجنسين (ذكور – إناث) في محافظة بغداد ولمديريات تربية (الكرخ) للعام الدراسي (٢٠٢٥- ٢٠٢٦).

- تحديد المصطلحات :

اولاً / السلوك الحكيم Wise Behavior

عرفه كل من :

١- شوقي (٢٠٠٦) : "القدرة على اتخاذ القرار الصائب، والالتزام بمسار صائب أيضا". (شوقي،٢٠٠٦ : ٦٠)

٢- Meeks & Jeste) 2009): "القدرة على التعامل مع المواقف الاجتماعية بإيجابية، والقدرة على صنع القرار الاجتماعي من خلال المعرفة الواقعية بالحياة، والقدرة على تحقيق التوازن العاطفي، وفهم الذات، والتسامح". (Meeks & Jeste ,2009)

3-عبد الوهاب (٢٠١٧) : "قدرة الفرد على استخدام المعلومات الموجودة لديه بشكل هادف في سياق اجتماعي، واستثمار ما يتمتع به من ذكاء بطريقة تساعده على تحقيق أهدافه في إطار من المشروعية الاجتماعية". (عبد الوهاب ، ٢٠١٧، ١٠٠٢)

التعريف النظري للباحثتان : القدرة على التصرف بتوازن ومسؤولية في المواقف الحياتية المختلفة بحيث يجمع الفرد بين الحكمة والاخلاق والتقدير الاجتماعي لتحقيق نتائج ايجابية للذات والاخرين ، ويظهر هذا السلوك من خلال خمسة ابعاد متكاملة هي : مساعدة الاخرين و التوجه والالتزام الأخلاقي و الضبط الوجداني واعتبار الآخر والاستبصار الذاتي.

اما التعريف الاجرائي للسلوك الحكيم فهو : الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب من خلال اجابته على فقرات مقياس السلوك الحكيم الذي قامت الباحثة ببنائه.

اولاً: اطار نظري

السلوك الحكيم Wise Behavior

- مفهوم السلوك الحكيم:

يعد مفهوم الحكمة والسلوك الحكيم من المفاهيم التي استرعت حديثاً انتباه عدد من علماء النفس أي في النصف الأخير من القرن العشرين؛ نظرًا للتغييرات في الحياة، وذلك في المجتمعات التقنية والصناعية التي جعلتهم يتساءلون عن الخصائص والقيم الإنسانية والوجود الإنساني، والأكثر أهمية هو كيف يمكن أن يكون العمر خبرة إيجابية ؟(Ambrosius, 2001: 27-28)

في المعجم الوسيط يلاحظ أصل الفعل حكم بالأمر - حكما قضى حكم حكما صار حكيمًا، أحكم الشئ والأمر: أتقنه أحكمت التجارب فلانا جعلته حكيمًا الحكمة العلم والتفقه والعله، وهي الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه (أنيس، و منتصر، و الصوالحي، و خلف الله ٢٠٠٤: ١٩٠). وفي السان العرب الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والحكيم بمعنى الحاكم، والحكيم المتقن للأمور (ابن منظور، ٢٠٠٢: ٩٥١ ٩٥٤).

وفي موسوعة علم النفس والتحليل النفسي أن السلوك الحكيم عبارة عن التعقل والتحوط والتأني في تدبير الأمور، وإعداد العدة لكل ما يقبل عليه الفرد من تصرفات أو يتخذه من قرارات، مع خبرة في الحياة ومعرفة بدروبها وطبيعتها، وإحاطة كبيرة بمعلومات كثيرة عن أمور شتى (عبد القادر، ٢٠٠٩: ٤٩٢).

- <u>النظريات المفسرة للسلوك الحكيم :</u>

الإطار النظري لنظريات ونماذج الحكمة والسلوك الحكيم

1- <u>نموذج حكمة برلين والحكمة الشخصية</u> (Berlin Wisdom Paradigm)

طوّر بالتيز وستودينغر نموذجًا يُعدّ من أشهر النماذج في تفسير الحكمة. ويعرّف هذا النموذج الحكمة بوصفها معرفة اختصاصية متقدمة تُستخدم لفهم قضايا الحياة الأساسية واتخاذ قرارات معقدة في سياقات مشبعة بالغموض.

يرتكز النموذج على خمسة مكونات أساسية:

1. المعرفة الواقعية بقضايا الحياة.
2. المعرفة الإجرائية لحل المشكلات.
3. الفهم السياقي لعوامل العمر والثقافة.
4. النسبية في القيم وتقدير اختلافها.
5. إدارة اللايقين والتعامل معه بمرونة.

دلالة النموذج للسلوك الحكيم:

السلوك الحكيم هو تعبير عملي عن قدرة الفرد على اتخاذ قرارات متوازنة في مواقف معقدة، مراعيًا اختلاف القيم والسياق والنتائج.

2- **<u>نظرية التوازن للحكمة</u>** (Sternberg's Balance Theory of Wisdom)

يرى ستيرنبرغ أن الحكمة هي قدرة الفرد على تحقيق توازن بين ثلاثة أنواع من المصالح:

1. مصلحة الذات.

2. مصلحة الآخرين.

3. مصلحة الجماعة والمجتمع.

ويتم هذا التوازن عبر استخدام الذكاء العملي والإبداعي للتحرك نحو الخير العام.

وتتضمن الحكمة — وفق النظرية — اختيار السلوك الملائم الذي يحقق الانسجام بين الأهداف والقيم في موقف واقعي.

دلالة النظرية للسلوك الحكيم:

السلوك الحكيم ينتج عندما يعمل الفرد على اتخاذ قرار عادل ومتزن يحقق أفضل نتيجة للذات والآخرين والمجتمع.

3- **أنموذج برلون (براون) للارتقاء بالحكمة** Brown's Model of Wisdom Development

قدم جايسون براون Jason W. Brown نموذجًا تطوريًا للحكمة ينتمي إلى الاتجاهات المعاصرة التي ترى أن الحكمة ليست سمة ثابتة، بل عملية نموّ ديناميكية تتطور عبر العمر، وبشكل خاص عبر الخبرات الصعبة والمواقف الوجودية.

يرتكز النموذج على الفكرة الأساسية التالية:

الحكمة عملية ارتقاء (Growth Process) تتشكل عندما يعيد الفرد تنظيم خبراته العاطفية والمعرفية بطريقة أكثر عمقًا واتزانًا.

- **فرضيات النموذج:**

1. الحكمة ناتجة عن تراكم الخبرات الحياتية المعقدة وليس مجرد معرفة نظرية.

2. الأزمات والضغوط والتحديات تسهم بشكل مباشر في نضج الحكمة.

3. الحكمة تتطلب تحولًا داخليًا في طريقة إدراك الفرد لنفسه وللآخرين.

4. الارتقاء بالحكمة عملية مستمرة تعتمد على التأمل وإعادة تفسير الأحداث.

ثانياً: مكونات نموذج برلون للارتقاء بالحكمة:

يركز النموذج على أربعة عمليات تطورية رئيسية:

1. إعادة تفسير الخبرة (Reinterpretation)

قدرة الفرد على رؤية الحدث من زاوية جديدة، وفهم أعمق، بدل التفاعل السطحي.

2. البحث عن المعنى (Meaning-Making)

تحويل التجارب – خاصة المؤلمة – إلى معنى ودروس ووعي جديد.

3. التكامل النفسي (Integration)

دمج المشاعر والمعرفة الجديدة مع الخبرات السابقة بطريقة متماسكة.

4. النمو الأخلاقي (Moral Growth)

صقل القيم، وتعزيز التعاطف والمسؤولية واتخاذ قرارات أخلاقية أكثر نضجًا.

ثالثاً: دلالات النموذج في تفسير السلوك الحكيم

وفق هذا النموذج، يظهر السلوك الحكيم عندما:

1- يعيد الفرد تفسير المواقف بدل التفاعل الاندفاعي.

2- يبحث عن معنى عميق في التجربة لا السطح فقط.

3- يدمج العقل والعاطفة بطريقة متوازنة.

4- يتصرف وفق قيم أخلاقية تطورت عبر الخبرة.

5- وبذلك فإن السلوك الحكيم هو نتيجة ارتقاء تدريجي في طريقة فهم الحياة وصنع القرار.

رابعاً : أهمية النموذج للبحوث

يمتاز نموذج برلون بأنه يربط بين:

1- الخبرة الحياتية

2- النمو المعرفي

3- النمو الانفعالي

4- بتطور القيم

5- ظهور السلوك الحكيم

4- انموذج بزوغ الحكمة :

طرحته كارولين باسيت عام 2005، وعرّفت فيه الحكمة على أنها: امتلاك وعي كافٍ في موقف معين يتيح للفرد أن يتصرف بطريقة تحقق فائدة أوسع، وقد اعتمدت على فكرة أن الحكمة مفهوم معقد وله أبعاد متعددة، فجمعت بين الرؤى النظرية والمقابلات مع 24 شخصية فكرية متنوعة (من أساتذة، رجال دين، ناشطين، رجال أعمال، إلخ) اعتبرهم الآخرون حكماء، لتحليل ما يجعل الشخص "حكيمًا".

وخلصت إلى أن الحكمة تتكوّن من أربعة أبعاد رئيسة، وكل بُعد يحتوي على (سمة مركزية تصفه ، ثلاث كفاءات سلوكية ، مظهر واضح ،محفزات تعليمية تُنمّي هذا البعد مع الوقت) اما الأبعاد الأربعة للحكمة هي: البصيرة (بعد معرفي)

الاحترام (بعد وجداني)

الانخراط (بعد سلوكي)

التحول (بعد تأملي)

وتؤكد باسيت أن هذه الأبعاد ليست منفصلة، بل مترابطة ومتفاعلة، ويمكن تطويرها بالممارسة والخبرة مع الوقت. (Bassett, 2005a, 6-7; Bassett, 2005b, 3; Warm 2015126)

- مكونات أنموذج بزوغ الحكمة:

يحدد الأنموذج أربع عمليات أساسية تُنتج الحكمة عندما تتفاعل معًا:

1. التنظيم الانفعالي (Emotional Regulation)

قدرة الفرد على تهدئة الانفعال، وضبط ردود الفعل، وعدم التسرع أثناء المواقف الصعبة.

2. التفكير التأملي (Reflective Thinking)

تحليل الموقف من عدة زوايا، وفحص الافتراضات، والنظر بتأمل قبل إصدار الحكم.

3. التعاطف والفهم الاجتماعي (Empathic Understanding)

القدرة على فهم نوايا الآخرين ومشاعرهم وظروفهم، وتقدير وجهات نظر مختلفة.

4. التكامل المعرفي (Cognitive Integration)

دمج المشاعر والمعرفة والقيم والمعطيات الواقعية في قرار واحد متوازن.

5- الحكمة كتعقل ذاتي :

في بحث حديث للتحقق من الحكمة العامة، عرف جروسمان وزملاؤه (Grossmann, Na Varnum, Park, Kitayama & Nisbett, 2010: 7246) التعليل الحكيم بأنه (استخدام أنواع معينة من تعليل الأمور الأساسية لاجتياز التحديات الهامة في الحياة الاجتماعية، وتقوم الأنواع المتصلة بالتعليل للأمور الأساسية على التفكير الجدلي، والتواضع الفكري فهي تظهر نفسها في القدرة على اتخاذ وجهات نظر مختلفة، والتعرف على القيود المفروضة على المعرفة، واحتمالية التغيير جعل التنبؤات مرنة، والبحث عن حلول جذرية ووسط للصراع(Glück, 2017: 1970-1971)

6- النظرية الجديدة للحكمة : دمج الذكاء والاخلاقيات:

اقترح فنجيان وهونج (2012) أن الحكمة هي القدرة على دمج الذكاء العقلي مع الفضائل الأخلاقية. فالأخلاق توجّه الفرد للتصرف بشكل جيد، والذكاء يساعده على فهم المواقف المعقّدة واتخاذ قرارات فعالة. وعندما يجتمع العنصران، يصبح السلوك حكيماً ويحقق منفعة للفرد وللآخرين، وقد صنّفا الحكمة إلى حكمة أخلاقية وحكمة طبيعية. Fengyan & Hong, 2012: 64)

وفقًا لهذه النظرية، تتكوّن الحكمة من الذكاء والأخلاق، حيث يعمل كلاهما معًا لمواجهة مشكلات الحياة اليومية والبحث العلمي. فالحكمة لا تقتصر على الحياة الشخصية فقط، بل تمتد أيضًا للمجالات العلمية. وهي قدرة على الفعل بكفاءة، تنتج عن دمج الفضائل الأخلاقية بالذكاء. يشمل الجانب الأخلاقي ثلاثة عناصر: النية لخدمة الصالح العام، والتصرف وفق المبادئ الأخلاقية، وتحقيق نتائج إيجابية تعود بالنفع على الجميع.. (Fengyan & Hong, 2018)

7- نظرية كولبرغ – النضج الأخلاقي:

تركز على تطور التفكير الأخلاقي، من الاعتماد على المكافآت والعقوبات إلى التفكير في العدالة والمصلحة العامة. وهي مرتبطة لدى المراهقين بـ:

التوجه والالتزام الأخلاقي: القدرة على اتخاذ قرارات عادلة وملتزمة بالقيم.

اعتبار الآخر ومساعدة الآخرين: مراعاة مصالح الآخرين في اتخاذ القرار.

- نظرية التعلم الاجتماعي – Bandura

تشير إلى أن الحكمة يمكن تعلمها من خلال الملاحظة والنماذج الاجتماعية. وتدعم هذه النظرية:

مساعدة الآخرين: التعلم من أفعال الآخرين وممارسة السلوك الاجتماعي الإيجابي.

الاستبصار الذاتي واعتبار الآخر: اكتساب مهارات التعاطف وفهم الذات من خلال مراقبة النماذج فاعتماد الباحثتان على الإطار التكاملي لأنه:

1. يغطي جميع أبعاد السلوك الحكيم التي يمكن ملاحظتها عند المراهقين في عمر (14-16 سنة).

2. يدمج النمو المعرفي، النضج الأخلاقي، الخبرة الحياتية، والتعلم الاجتماعي في نموذج واحد متوازن.

3. يوفر أساسًا متينًا لبناء المقياس الخاص بالسلوك الحكيم في الدراسة.

- دراسات سابقة تناولت السلوك الحكيم :

فيما يتعلق بالسلوك الحكيم، لم تَشهد الأدبيات الأكاديمية في الوطن العربي العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر. على الرغم من ذلك، هناك بعض الدراسات التي تناولت "أبعاد السلوك الحكيم" إلا أن البحث في السلوك الحكيم ذاته لم يكن محورًا رئيسيًا في الدراسات العربية.

وفي الصعيد العالمي وجدت الباحثة دراسة واحدة تناولت السلوك الحكيم Wais behavior بذاته .

- دراسة قنديل (٢٠١٩) "ابعاد السلوك الحكيم ومحددات ارتقائه لدى المراهقين "

هدفت الدراسة إلى معرفة ما إذا كانت أبعاد السلوك الحكيم تختلف عبر مراحل المراهقة (المبكرة، المتوسطة، المتأخرة)، وهل يمكن للعوامل المعرفية (مثل الذكاء وأبعاد التفكير الناقد)،

والشخصية (مثل التفتح للخبرة)، والمتفاعلة (مثل الإبداع)، والديموغرافية (كالتحصيل الدراسي والمستوى الاقتصادي) أن تتنبأ بالسلوك الحكيم.

بلغت العينة: 600 مراهق ومراهقة من محافظة أسيوط، مقسمين بالتساوي بين المراحل الثلاث.

الأدوات المستخدمة: مقاييس متعددة لقياس السلوك الحكيم، الذكاء، التفكير الناقد، الشخصية، الإبداع، الحكم الأخلاقي، وأساليب التفكير.

واظهرت النتائج لا يوجد اختلاف في أبعاد للسلوك الحكيم بين المراحل الثلاث، منها: الالتزام الأخلاقي والمعرفة العميقة والرؤية المستقبلية ، و يوجد اختلاف في بعد الرغبة في خدمة الآخرين والتوازن، و تسهم جميع العوامل المدروسة (معرفية، شخصية، متفاعلة، وديموغرافية) في التنبؤ بالسلوك الحكيم في مراحل المراهقة. (قنديل ، ٢٠١٩)

منهجية البحث واجراءاته :

منهجية البحث: إن المنهج الوصفي لا يهدف الى وصف الظاهرة كما هي في الواقع فقط ، وانما يهدف الى الوصول الى استنتاجات وتعميمات تساهم في تطوير وفهم الواقع، وكذلك يعتبر المنهج الوصفي شكل من اشكال التحليل الذي يفسر ويصور الظاهرة او المشكلة تفسيرا علميا منظما ويصنفها ويحللها ويخضعها للدراسة بشكل دقيق (عبيدات، 2000، 247)، لذلك اعتمد البحث الحالي على استخدام المنهج الوصفي (الدراسات المقارنة) ، وهو احد أساليب البحث العلمي، ويعتمد هذا المنهج على دراسة الواقع او الظاهرة كما موجودة في الواقع، ويعبر عنها تعبيرا كيفيا من خلال وصفه للظاهرة وتوضيح خصائصها، او تعبيرا كميا باعطاءه وصفا رقميا يوضح مقدار الظاهرة او حجمها، ودرجات تأثرها بالظواهر الأخرى.

مجتمع البحث : يتألف مجتمع البحث الحالي من طلبة المراحل الثانوية من مدارس المتميزين والعادين للصفوف (الثاني، الثالث، الرابع العلمي) لمديرية التربية في قضاء الكرخ في بغداد للعام الدراسي (2024– 2025)، وقد بلغ عدد طلبة مدارس المتميزين (1125) طالب وطالبة ، موزعين بحسب متغير الجنس بواقع (531) من الطلبة الذكور الذين يمثلون (47%) من المجتمع، في حين بلغ عدد الاناث (594) طالبة بنسبة (52%) من المجتمع، حيث بلغ مجموع المرحلة المتوسطة (532) بنسبة (47%) ، وبلغ مجموع المرحلة الإعدادية (593) بنسبة (53%) .

أما بالنسبة لمدارس العادين في مديرية تربية الكرخ بلغ عدد الطلبة (22737) طالباً وطالبة ، يتوزعون بحسب متغير الجنس بواقع (11141) طالبا بنسبة (49%) و(11595) طالبة بنسبة (51%) ، ويوزعون بحسب متغير المرحلة بواقع (12051) طالبة وطالبة للمرحلة المتوسطة بنسبة (53%) و(10686) طالب وطالبة للمرحلة الأعدادية بنسبة (47%).

عينة البحث : لقد أختيرت عينة طبقية عشوائية بلغ عددها (420) طالبا وطالبة بنسبة (9%) من مجتمع البحث ، بواقع (210) طالب وطالبة من مدارس المتميزين و(210) طالبا وطالبة من مدارس العاديين ، والجدول (1) يوضح ذلك.

الجدول (1) عينة البحث موزعة بحسب نوع المدرسة والجنس والصف

نوع المدرسة	الصف الثاني		الصف الثالث		الصف الرابع		المجموع
	ذكور	أناث	ذكور	اناث	ذكور	أناث	
العادين	35	35	35	35	35	35	210
المتميزين	35	35	35	35	35	35	210
المجموع	70	70	70	70	70	70	420

أداة البحث : لتحقيق أهداف البحث تطلب توافر أداة لقياس السلوك الحكيم ، وبعد أن قامت الباحثتان بحصر الدراسات ذات الصلة بهذا المتغير ولم تتوافر أداة مناسبة لعينة البحث الحالي ، لذلك توجب بناء أداة لقياس السلوك الحكيم الذي عرفته الباحثتان بأنه (القدرة على التصرف بتوازن ومسؤولية في المواقف الحياتية المختلفة بحيث يجمع الفرد بين الحكمة والاخلاق والتقدير الاجتماعي لتحقيق نتائج ايجابية للذات والاخرين ، ويظهر هذا السلوك من خلال خمسة ابعاد متكاملة هي : مساعدة الاخرين و التوجه والالتزام الأخلاقي و الضبط الوجداني واعتبار الآخر والاستبصار الذاتي).وقد قامت الباحثتان بوضع تعريف لكل بعد من الابعاد وكما يلي

- أبعاد السلوك الحكيم :

1. مساعدة الآخرين Helping others : القدرة على تقديم الدعم والمساندة للآخرين، مستمدة من ، وتظهر من خلال تصرفات عملية تساعد الزملاء أو الأصدقاء.

2. التوجه والالتزام الأخلاقي Ethical Orientation and Commitment : القدرة على اتخاذ قرارات قائمة على القيم والمبادئ الأخلاقية، مستمدة ، وتظهر في احترام العدالة والمساواة عند التعامل مع الآخرين.

3. الضبط الوجدانيEmotional Regulation : القدرة على التحكم في الانفعالات والمشاعر عند مواجهة مواقف صعبة، وتظهر في تجنب الانفعال المفرط واتخاذ قرارات متوازنة.

4. اعتبار الآخر Considering Others: القدرة على فهم مشاعر الآخرين ومصالحهم والتصرف وفق ذلك، وتظهر في التفاعل الاجتماعي الإيجابي وحل النزاعات بروح التعاون.

5. الاستبصار الذاتي Self-Insight : القدرة على فهم الذات، نقاط القوة والضعف، والتعلم من التجارب السابقة، وتظهر في التفكير التأملي واتخاذ قرارات مستنيرة.

لذلك صاغت الباحثتان (35) فقرة بأسلوب التقرير الذاتي / العبارات التقريرية Self report في بناء فقرات كل بعد من أبعاد المقياس الخمسة (مساعدة الآخرين ، الألتزام الأخلاقي ، الضبط الوجداني ، أعتبار الآخر ، الأستبصار الذاتي) وبواقع (7) فقرات لكل بعد على وفق الاغراض التي سيستعمل المقياس من اجلها ، وخصائص وطبيعة المجتمع الذي سيطبق عليه ، والامكانيات المتاحة، وحدود الوقت ، والتكاليف ، وقد اتبع الباحثتان الخطوات الاتية :

1. صاغ الباحثتان عددا من الفقرات من خلال اطلاعهما على الادبيات ذات العلاقة بموضوع البحث الحالي.

2. اعد الباحثتان سبعة من الفقرات لكل بعد لمفهوم السلوك الحكيم ، وبهذا بلغ عدد الفقرات (35) فقرة موزعة على الأبعاد في بداية بناء الفقرات .

3. استعمل الباحثان اسلوب العبارات التقريرية في صياغة فقرات المقياس تعبر عن بعض المواقف الحياتية التي يمر بها الطالب المرحلة الثانوية .

وقد وضعت ثلاثة بدائل (دائما ، أحيانا ، أبدا) تقابل كل فقرة من الفقرات وهذا العدد من البدائل يناسب طلبة المرحلة الثانوية.اما بالنسبة للمعاملة الوالدية فقد اعتبرت الباحثتان انه متغير ديموغرافي .

التحليل المنطقي لفقرات المقياس : تشير هذه العملية الى التحليل المنطقي لمحتوى المقياس او التثبت من تمثيله للمحتوى المراد قياسه (Alen & Yen , 1979 : 67) ، اذ يفحص المقياس بهدف الكشف عن مدى تمثيل فقراته جوانب السمة التي يفترض ان يقيسها . (عبد الرحمن ، 1998 : 185)

لذلك عرض الباحثان أبعاد السلوك الحكيم الخمسة مع الفقرات التي تمثلها على (15) محكم من المتخصصين في العلوم التربوية والنفسية ، والقياس والتقويم ليحللوا الفقرات ويبينوا اراءهم

في مدى ملاءمتها وصلاحيتها لقياس ما وضعت من اجل قياسها وارتباطها بالبعد ، وفي ضوء ارائهم اتضح ان الفقرات حظيت جميعها بموافقة (100%).

حساب الخصائص السيكومترية للفقرات : ان اختيار الفقرات ذات الخصائص السيكومترية المناسبة والجيدة قد يؤدي الى بناء مقياس يتصف بخصائص قياسية جيدة (Ghisell , etal , 1981) لذلك فقد عمد الباحثتان الى حساب اهم الخصائص السيكومترية لفقرات مقياس البحث الحالي ، وعلى النحو الاتي :

1. حساب القوة التمييزية للفقرات :

بعد الحصول على الدرجات الكلية لافراد عينة التحليل الاحصائي البالغة (400) طالب و طالبة ، وبعد استبعاد الاستمارات التي لا تتوافر فيها الدقة في الاجابة ، رتبت الدرجات ترتيبا تنازليا من اعلى درجة كلية الى ادنى درجة كلية على مقياس البحث الحالي ، ثم حددت المجموعتان المتطرفتان بالدرجة الكلية بنسبة (27 %) من افراد العينة في كل مجموعة، فاصبح عددهم (108) فردا في المجموعة العليا ، و (108) فردا في المجموعة الدنيا ، تراوحت درجات المجموعة العليا بين (88 – 117) درجة ، ودرجات المجموعة الدنيا بين (32 – 61) درجة وبعد استخدام الاختبار التائي (t – test) لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق الاحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة من فقرات المقياس البالغ عددها (35) فقرة، اذ ان القيمة التائية المحسوبة تدل على القوة التمييزية للفقرة (Edwards,1957:153-154) ، وقد تبين وعلى ما موضح في الجدول (7) ان جميع الفقرات لها القدرة على التمييز بين افراد المجموعتين العليا والدنيا .

2. حساب معاملات صدق الفقرات : يستخرج معامل صدق الفقرة تجريبيا في المقاييس النفسية من خلال استخراج معاملات ارتباطها ، بمحك خارجي او داخلي والذي يعد اكثر اهمية من صدقها المنطقي ذلك بسبب تاثر نتائج الصدق المنطقي بالاراء الذاتية للخبراء (Helmstader , 1966 : 90) ، ويشير الصدق التجريبي الى مدى ارتباط المحتوى التكويني للسمة او الخاصية بعضه ببعض (عبد الرحمن ، 1983 : 414 – 415) ، أي ان الصدق التجريبي يهدف الى الكشف عن مدى قياس كل فقرة بالسمة او الخصيصة التي تقيسها باقي الفقرات في المقياس (احمد، 1981 : 293). ولغرض التحقق من صدق فقرات مقياس البحث الحالي ، اعتمدت الباحثتان على الدرجة الكلية للمقياس بأعتباره محكا داخليا يمكن من خلالها استخراج معاملات صدق فقرات المقياس وذلك في حالة عدم توافر محك خارجي

(Anastasi , 1988 : 211) ، واستخدمت لذلك معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمجيب . وبعد استحصال النتائج ومقارنة معاملات الارتباط المحسوبة بالقيمة الحرجة الجدولية لمعامل الارتباط تبين ان جميع الفقرات بدلالة احصائية .

الجدول (2)

القوة التمييزية وأرتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس السلوك الحكيم

ت الفقرة	القوة التمييزية للفقرة	معامل صدق الفقرة	ت الفقرة	القوة التمييزية للفقرة	معامل صدق الفقرة	ت الفقرة	القوة التمييزية للفقرة	معامل صدق الفقرة
1	4.086***	0.98**	13	3.001**	0.142**	25	3.999***	0.133**
2	1.994*	0.098*	14	7.938***	0.134**	26	9.772***	0.121*
3	5.306***	0.383***	15	8.881***	0.131**	27	2.871**	0.132**
4	3.105**	0.183***	16	2.272*	0.116*	28	2.789**	0.189***
5	3.017**	0.269***	17	2.175*	0.195***	29	2.851**	0.197***
6	5.356***	0.219***	18	2.830**	0.186***	30	8.390***	0.109*
7	1.974*	0.098*	19	6.011***	0.183***	31	6.310***	0.109*
8	2.767**	0.191***	20	9.111***	0.169**	32	4.086***	0.143**
9	4.581***	0.099*	21	9.644***	0.171**	33	2.891**	0.170**
10	2.757**	0.189***	22	2.991**	0.157**	34	6.332***	0.163**
11	3.882***	0.127*	23	10.013***	0.180***	35	2.888**	0.149**
12	2.817**	0.159**	24	6.057***	0.134**			

-القيمة التائية الجدولية بدرجة حرية(214)عند مستوى*(0.05)=(1.96)،(0.01)=(2.756)،***(0.001)=(3.291)**

-القيمة الحرجة لمعامل الارتباط بدرجة حرية(398)عند مستوى*(0.05)=(0.098) ،(0.01)=(0.128) ، ***(0.001)=(0.180)**

حساب الخصائص القياسية (السيكومترية) للمقياس :

أ. صدق المقياس : تعد خصيصة الصدق من احدى الخصائص القياسية المهمة والواجب توافرها في المقاييس النفسية ، ويعد التحقق منها اجراء ضروري في بدايات بناء المقياس ، ذلك لانه يشير الى قدرة المقياس على قياس السمة او الخاصية التي وضع من اجل قياسها .

(Kline , 1979 : 1) وقد عمد الباحثتان الى التحقق من صدق مقياس البحث الحالي باستعمال مؤشرين للصدق هما: الصدق الظاهري ، وصدق البناء ، وعلى النحو الاتي:

الصدق الظاهري : وقد حققت الباحثتان من الصدق الظاهري لمقياس البحث الحالي من خلال تحليل تعريف السلوك الحكيم ،وكذلك اعداد الفقرات لكل بعد من أبعاده . وقد تحقق الباحثان من الصدق الظاهري لمقياس البحث الحالي عندما اتفق الخبراء المتخصصون في العلوم التربوية والنفسية على صلاحية الفقرات وملاءمتها للمكونات السلوكية في قياس سمة الحداثة وقد حظيت الفقرات جميعها بموافقة (100%) من أراء الخبراء.

صدق البناء : يعد صدق البناء اكثر انواع الصدق تمثيلا لمفهوم الصدق ، (المصري ، 1999 : 39) ويسمى احيانا بصدق المفهوم لانه يستند الى تحديد المفاهيم او البنى المقومة للظاهرة المقاسة ومن ثم التثبت منها تجريبيا ، فاذا تطابقت نتائج القياس مع الافتراضات النظرية جاز القول بان المقياس حقق صدق بنائه (Bechtolodt , 1956 : 627). وعليه فقد تم التحقق من صدق البناء لمقياس البحث الحالي من خلال قدرة فقراتها على التمييز بين اجابات المجموعتين المتطرفتين عن كل فقرة ، وكذلك من خلال ارتباط فقرات المقياس بالدرجة الكلية للمقياس اذ كانت جميعها بدلالة احصائية ،اذ يعد ذلك مؤشرا لصدق البناء (خير الله ، 1981 : 16-17).

ب. ثبات المقياس : هناك مؤشران للثبات هما مؤشر التجانس الخارجي الذي يمكن التحقق منه حينما يستقر باعطاء نتائج ثابتة ومستقرة بتكرار تطبيقه عبر الزمن ، ومؤشر التجانس الداخلي الذي يمكن التحقق منه من خلال كون فقرات المقياس جميعها تقيس المفهوم نفسه (Fransella , 1981 : 47).ولحساب الثبات في مقياس البحث الحالي ، اعتمدت الباحثتان طريقة اعادة الاختبار التي تؤشر التجانس الخارجي (ابو حطب وسيد، 1976 : 90) ، وقد بلغ حجم تلك العينة (50) طالب وطالبة أختيروا عشوائيا من مجتمع البحث وبعد تحديد عينة الثبات حسبت ثبات مقياس البحث الحالي بطريقتين واعادة الاختبار ، وعلى وفق ما ياتي:

*حساب الثبات طريقة اعادة الاختبار :يعتمد حساب الثبات بهذه الطريقة على تطبيق الاختبار او المقياس على عينة ممثلة ثم اعادة التطبيق بعد فاصل زمني تحدد على وفق طبيعة العينة والسمة المقاسة ، ثم يحسب معامل الارتباط بين درجات التطبيقين الذي يمثل معامل الاستقرار عبر الزمن (Zeller & Carmines , 1986 : 52).ولغرض حساب معامل الثبات بطريقة

اعادة الاختبار طبق الباحثان المقياس على عينة الثبات عددها (60) طالب وطالبة وبعد مرور اسبوعين من التطبيق الاول ، وبعد تصحيح أجريت العمليات الاحصائية في التطبيق الثاني ، ومن ثم استعملت معامل ارتباط " بيرسون " بين درجات التطبيقين الاول والثاني وقد بلغ معامل الثبات المحسوب بهذه الطريقة لمقياس البحث الحالي (0.87) وهو معامل ثبات جيد ، لذا فان مقياس البحث الحالي يتميز بالاستقرار عبر الزمن .

- الوسائل الاحصائية :

1- الإختبار التائي **(t-test)** لعينتين **:** وذلك لإحتساب معاملات التميز فقرات مقياس السلوك الحكيم .

2- معامل إرتباط بيرسون **(:coefficient Pearson correlationt)** لإيجاد العلاقة الإرتباطية بين كل فقرة من فقرات مقياس السلوك الحكيم مع الدرجة الكلية للمقياس ، وإستخراج معامل الثبات للمقياس بطريقة إعادة الإختبار.

3- معادلة الفا كرونباخ **(:Croubach Alpha)** لإستخراج الثبات لمقياس السلوك الحكيم ، وذلك بطريقة الاتساق الداخلي (Internal consistency).

4- الإختبار التائي **(t-test)** لعينة واحدة **:**وذلك لإحتساب الفرق بين الوسط الحسابي لعينة البحث والوسط الفرضي لمقياس السلوك الحكيم .

الفصل الرابع :
عرض نتائج البحث وتفسيرها:-

الهدف الاول : التعرف على السلوك الحكيم لدى طلبة المرحلة الثانوية (المتميزين ، العاديين).

لتحقيق الهدف قامت الباحثتان بحساب المتوسط الحسابي لدرجات عينة البحث لمقياس السلوك الحكيم والمتوسط النظري للمقياس[1] تم استعمال الأختبار التائي لعينة واحدة One Sample t.test ، فكانت النتائج كما موضحة في الجدول (3).

الجدول (3)
نتائج الأختبار التائي لعينة واحدة للمقارنة بين المتوسط الحسابي لعينة البحث على مقياس السلوك الحكيم والمتوسط النظري للمقياس

المتغير	العينة	المتوسط الحسابي	الأنحراف المعياري	المتوسط النظري	القيمة التائية	
					المحسوبة	الجدولية
السلوك الحكيم	420	93.946	6.409	87.5	21.706	1.960

***القيمة التائية الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (419) تساوي (1.960).**

[1] . المتوسط النظري للمقياس = أعلى درجة للمقياس + اقل درجة للمقياس / 2 = 72 + 18 / 2 = 90 / 2 = 45

يتبين من الجدول (3) ان القيمة التائية المحسوبة لدرجات مقياس السلوك الحكيم لدى طلبة المرحلة الأعدادية دالة أحصائيا حيث كانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (21.706) أكبر من الجدولية البالغة (1.960) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (419) ، وهذا يعني يوجد فرق ذو دلالة أحصائية بين متوسط العينة على مقياس السلوك الحكيم والمتوسط النظري ولصالح متوسط عينة البحث مما يدل على أن السلوك الحكيم لدى عينة البحث بمستوى فوق المتوسط، وتفسر الباحثتان النتيجة أن عينة البحث من المراهقين تتسم بمستوى من النضج المعرفيً والانفعاليً وألاخلاقيً والذي يتوافق مع ما تؤكده النظريات الحديثة في إطار الحكمة. فوفق المنظور المعرفي– النمائي، يصل المراهق في هذه المرحلة إلى درجة متقدمة من التفكير المجرد والقدرة على تحليل المواقف واتخاذ القرارات بناءً على تقدير العواقب، مما يمنحه قدرة أكبر على التصرف برشد وتبصر. وهذا النضج المعرفي يُعد أساسًا للسلوك الحكيم، إذ يساعد المراهق على التفكير الهادئ، وتجنب الاندفاع، واختيار الحلول الأكثر ملاءمة لمشكلاته.

وعلى المستوى الاجتماعي–الانفعالي، يبدأ المراهق بإظهار قدرة أعلى على التعاطف وضبط الانفعالات وفهم وجهات نظر الآخرين، نتيجة التطور التدريجي في وظائف القشرة الجبهية المسؤولة عن التنظيم السلوكي. وتؤدي هذه العوامل إلى تعزيز سلوكيات تتسم بالتوازن والتعقل في التعامل مع المواقف اليومية، وهو ما ينسجم مع مكونات السلوك الحكيم مثل ضبط النفس والمرونة والتفكير المتّزن، كما يرافق هذا التطور نمو واضح في الحكم الأخلاقي؛ إذ ينتقل المراهق من التركيز على القواعد الخارجية إلى تبني قيم داخلية وقرارات أخلاقية قائمة على المسؤولية واحترام الآخر، وهو ما يجعل سلوكه أكثر حكمة ونضجًا في السياقات الاجتماعية المختلفة.

- كما حسبت الباحثتان المتوسطات الحسابية والأنحرافات المعيارية لأبعاد السلوك الحكيم (مساعدة الآخرين ، الألتزام الأخلاقي ، الضبط الوجداني ، أعتبار الآخر ، الأستبصار الذاتي) وأستعملت الأختبار التائي لعينة واحدة ، فكانت النتائج كما مبينة بالجدول (4).

الجدول (4)

نتائج الأختبار التائي لعينة واحدة للمقارنة بين المتوسط الحسابي لعينة البحث على أبعاد مقياس السلوك الحكيم والمتوسط النظري لكل بعد للمقياس

المتغير	العينة	المتوسط الحسابي	الأنحراف المعياري	المتوسط النظري	القيمة التائية	
					المحسوبة	الجدولية
مساعدة الآخرين	420	15.578	3.099	17.5	12.40 -	1.960
الألتزام الأخلاقي	420	20.102	4.128	17.5	12.63	1.960
الضبط الوجداني	420	11.054	5.121	17.5	25.18 -	1.960
أعتبار الآخر	420	22.874	3.209	17.5	33.588	1.960
الأستبصار الذاتي	420	8.282	4.326	17.5	-	1.960

	42.676					

***القيمة التائية الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (399) تساوي (1.960).**

يتبين من الجدول (4) ان القيمة التائية المحسوبة لدرجات أبعاد مقياس السلوك الحكيم (مساعدة الآخرين ، الألتزام الأخلاقي ، الضبط الوجداني ، أعتبار الآخر ، الأستبصار الذاتي) لدى طلبة المرحلة دالة إحصائيا دالة أحصائيا حيث كانت قيم الأختبار التائي المحسوبة البالغة أكبر من الجدولية البالغة (1.960) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (419) ، وهذا يعني يوجد فرق ذو دلالة أحصائية بين متوسط العينة على أبعاد مقياس السلوك الحكيم والمتوسط النظري لهما ولصالح متوسط عينة البحث بالنسبة لمجالي الألتزام الأخلاقي وأعتبار الآخر مما يدل على أن البعدين لدى عينة البحث بمستوى فوق المتوسط ، أما الأبعاد الثلاثة المتبقية فهي لصالح المتوسط النظري مما يدل على أن مستواها دون الوسط.

الهدف (الثاني): التعرف اذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0،05) على مقياس السلوك الحكيم وفق متغير الجنس (ذكور/ اناث).

ولتحقيق هذا الهدف أخضعت الباحثتان بيانات العينة البالغ عددها (420) طالب وطالبة ، ثم أجرى استخدام الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين ، واظهرت النتائج كما مبين بالجدول (5).

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لتعرف الفروق السلوك الحكيم تبعا لمتغير الجنس.

العينة	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	التائية الجدولية	الدلالة
420	الذكور	210	93.98	6.47	0.13	1.96	غير دال
	الاناث	210	93.90	6.31			

يتبين من الجدول (5) تأثير متغير الجنس (ذكور ، أناث) بلغت القيمة التائية المحسوبة (0.13) وهي أصغر من القيمة الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجتي حرية (418) ، مما يدل على أنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين الذكور والأناث في السلوك الحكيم ، وهو ما يعكس أن الحكمة في هذه المرحلة العمرية تُعد سمة نمائية مرتبطة بالتطور المعرفي والانفعالي أكثر من ارتباطها بالجنس. فمن المنظور المعرفي، يمر الذكور والإناث في منتصف المراهقة بمرحلة متقاربة من النضج العقلي، إذ يصل كلاهما إلى مستوى متشابه من التفكير المجرد، وتحليل المواقف، والقدرة على استشراف العواقب، وهي جميعها مكونات أساسية للسلوك الحكيم، مما يجعل تباينهم في هذا الجانب محدودًا أو غير موجود.

أما من الجانب الانفعالي–الاجتماعي، فإن تطور الضبط الانفعالي، والمرونة المعرفية، والتعاطف، والقدرة على تبني وجهات النظر للآخرين، تصبح خصائص مشتركة لدى الجنسين في هذا العمر، مدفوعة بالتغيرات البيولوجية المتقاربة والتجارب الاجتماعية المتشابهة داخل

البيئة المدرسية والعائلية. وهذا التشابه في الخبرات الاجتماعية اليومية يجعل مستوى السلوك الحكيم متقاربًا بين الجنسين ولا يتأثر بالفروق النمطية بين الذكور والإناث..

الهدف (الثالث): التعرف اذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0،05 على مقياس السلوك الحكيم وفق متغيرالمدرسة (عاديين/ متميزين).

ولتحقيق هذا الهدف أخضعت الباحثتان بيانات العينة البالغ عددها (420) طالب وطالبة ، ثم أجرى استخدام الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين ، واظهرت النتائج كما مبين بالجدول (6) .

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لتعرف الفروق السلوك الحكيم تبعا لمتغير المدرسة.

العينة	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	التائية الجدولية	الدلالة
420	العاديين	210	92.88	6.12	3.35	1.96	دال
	المتميزين	210	94.98	6.70			

يتبين من الجدول (6) ان تأثير متغير نوع المدرسة (المتميزين ، العاديين) بلغت القيمة التائية المحسوبة (3.35) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (418) ، مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية تبعا لنوع المدرسة ، ولصالح مدرسة المتميزين كون متوسط درجاتهم أعلى من متوسط درجات طلبة المدارس العاديين ، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء الإطار التكاملي للحكمة الذي يرى أن السلوك الحكيم يتشكل من خلال تفاعل القدرات المعرفية، والمهارات الانفعالية– الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، إضافة إلى تأثير البيئة التعليمية. فمدارس المتميزين توفّر بيئة أكاديمية عالية المستوى تُنمّي مهارات التفكير العليا، مثل التفكير التأملي، وحل المشكلات، والاستدلال المنطقي، وهي مهارات مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالسلوك الحكيم. كذلك تُحفّز هذه البيئة الطلبة على الانضباط، وتحمل المسؤولية، والالتزام بمعايير أداء مرتفعة، مما يعزز السلوك الرشيد واتخاذ القرارات الواعية.

كما أن الأنشطة الصفية واللامنهجية في مدارس المتميزين عادة ما تركز على العمل الجماعي، وتنمية المهارات القيادية، وتشجيع التفكير المستقبلي، وتزويد الطلبة بفرص أكبر لممارسة المرونة المعرفية والتفكير الأخلاقي، وهي جميعها عناصر تشكل بنية الحكمة حسب النماذج المعاصرة. إضافة إلى ذلك، فإن الدعم الأسري والاجتماعي الذي يحظى به طلبة هذه المدارس يسهم في توفير بيئة نفسية مستقرة تعزز ضبط الانفعالات وتنمية القدرة على التعاطف واتخاذ المواقف المتزنة.

وفي المقابل، قد لا تتوفر في المدارس العادية ذات الدرجة من التحفيز الأكاديمي أو العمق المعرفي أو التنشئة التعليمية الموجهة نحو التفكير التأملي، مما يجعل مستوى السلوك الحكيم

أقل نسبيًا لدى طلبتها. ومن ثم، تبدو الفروق بين المجموعتين منسجمة مع التفسير التكاملي الذي يؤكد أن الحكمة ليست نتاج القدرات الفردية فقط، بل هي أيضًا محصلة للبيئة التعليمية، وطبيعة الأنشطة، ومستوى التحديات الفكرية التي يواجهها الطالب ، وبذلك فإن تفوق طلبة مدارس المتميزين في السلوك الحكيم يُعد نتيجة منطقية لارتباط هذا السلوك ببيئة تعليمية داعمة ومحفزة للنمو المعرفي والأخلاقي والانفعالي، مما يعزز تكوين شخصية أكثر نضجًا وحكمة في التعامل مع المواقف الحياتية.

الهدف الرابع : التعرف اذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية علة مقياس السلوك الحكيم وفق متغير المعاملة الوالدية (تسامح – التسلط – اهمال).

جدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمقياس السلوك الحكيم وفق متغير المعاملة الوالدية.

المعاملة الوالدية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التسامح	147	97.47	7.18
التسلط	133	92.11	5.95
الاهمال	140	92.17	6.07
الكلي	420	93.94	6.40

جدول (8)

تحليل التباين الاحادي للكشف عن دلالة الفروق في السلوك الحكيم وفق متغير المعاملة الوالدية

مصدر التباين **s.of.v**	مجموع المربعات **s.of.s**	درجة الحرية **D.F**	متوسط المربعات **M.S**	القيمة الفائية **F**	الدلالة **Sig**
بين المجموعات	2516.80	2	1258.40	30.92	دال
داخل المجموعات	16986.54	417	40.73		
الكلي	19503.34	419			

تشير النتيجة أعلاه الى أن هناك فرق دال احصائيا في السلوك الحكيم وفق متغير المعاملة الوالدية، إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة أعلى من القيمة الفائية الجدولية ، والبالغة (3) عند مستوى دلالة (0.05)، ودرجة حرية (1-416) .

ولمعرفة الفروق في السلوك الحكيم تبعا لحالات المعاملة المختلفة تم أستعمال أختبار شيفيه للمقارنات البعدية ، وجدول (9) يوضح ذلك .

قيم الفروق بين الاوساط وقيم شيفيه الحرجة لتعرف الفروق في السلوك الحكيم وفق متغير (المعاملة الوالدية(تسلط ، تسامح ، اهمال)

المقارنات	العدد	المتوسط الحسابي	الفرق بين الوسطين	قيمة شيفيه الحرجة	الدلالة
تسامح تسلط	147 133	97.47 92.11	5.36	1.90	دال احصائيا لصالح تسامح
تسامح اهمال	147 140	97.47 92.17	5.30	1.85	دال احصائياً لصالح التسامح
تسلط اهمال	133 140	92.11 92.17	0.06	1.88	غير دال

أظهرت النتائج في جدول (9) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات مقياس السلوك الحكيم تبعًا لأنماط المعاملة الوالدية، مما يدل على أن نمط معاملة الوالدين يُعد من العوامل النفسية المؤثرة في تشكيل السلوك الحكيم لدى المراهقين ، وقد أظهر اختبار شفيه أن الفروق كانت دالة لصالح التسامح مقارنةً بنمطي التسلط والاهمال، أي أن المراهقين الذين يتعرضون لمعاملة التسامح هم الأكثر ميلاً نحو السلوك الحكيم ، في حين كان المراهقين الذين يُعامَلون بتسلط واهمال أقل ميلاً لذلك ، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء الإطار التكاملي للسلوك الحكيم الذي يؤكد أن الحكمة لدى المراهقين لا تتشكل عبر النمو المعرفي فقط، بل تتأثر بعمق بجودة العلاقات الأسرية وأساليب التنشئة. فالأسر التي تعتمد أسلوب التسامح – بمعناه التربوي الصحي الذي يجمع بين المرونة والانفتاح والاحترام – توفر للمراهق بيئة آمنة نفسيًا، تشجع على الحوار وتسمح بالتعبير عن الرأي، مما يعزز التفكير التأملي والقدرة على اتخاذ القرارات بطريقة ناضجة. وهذه الممارسات تسهم مباشرة في بناء ملامح السلوك الحكيم مثل

ضبط النفس، والمرونة المعرفية، وتقدير العواقب قبل التصرف ، كما يرتبط التسامح الوالدي بعلاقات أسرية قائمة على الثقة، والدعم غير المشروط، وتقبل الأخطاء بوصفها جزءًا من التعلم، وهو ما يمنح المراهق مساحة واسعة للتجربة والتفكير، ويقلل من الخوف والاندفاع، ويطور لديه القدرة على فحص مشاعره وإدارتها بطريقة رشيدة. وتشير الأدبيات الحديثة في علم النفس الأسري إلى أن الأساليب التربوية المنفتحة تسهم في تعزيز التعاطف وفهم وجهات النظر المختلفة، وهما من أبرز مكونات السلوك الحكيم وفق التصورات المعاصرة ، وفي المقابل فإن الأساليب الوالدية المتشددة أو السلطوية أو القاسية غالبًا ما تحدّ من قدرة المراهق على اتخاذ قرارات مستقلة، وتقلل من ثقته بنفسه، وتزيد من السلوك الاندفاعي أو التمرد، ما ينعكس سلبًا على نمو الحكمة. وبالتالي، فإن تفوق المراهقين الذين يحظون بمعاملة والدية متسامحة ينسجم مع الإطار التكاملي الذي يرى أن الحكمة تنمو عندما تُتاح للفرد حرية التفكير والحوار وتقبّل الذات في بيئة أسرية داعمة ، وعليه، فإن النتيجة تشير بوضوح إلى أن التسامح الوالدي يعدّ عاملاً بنائيًا مهمًا في تعزيز السلوك الحكيم لدى المراهقين، من خلال توفير بيئة نفسية وتربوية غنية تساعدهم على تنمية التفكير الهادئ، وضبط السلوك، وتكوين أحكام أكثر نضجًا ومسؤولية.

- التوصيات :

1. تطوير برامج مدرسية تُعنى بتنمية السلوك الحكيم لدى المراهقين من خلال تعزيز التفكير التأملي، وحل المشكلات، وضبط الذات، لكلا الجنسين وبجميع المدارس.

2. الاستفادة من خبرات مدارس المتميزين في توفير بيئة أكاديمية محفزة للمهارات العليا، والعمل على تعميم الممارسات التربوية الفاعلة على المدارس العادية.

3. إشراك الوالدين في ورش تربوية تُعزّز أساليب المعاملة الوالدية المتسامحة بوصفها عاملًا مهمًا في دعم الحكمة لدى الأبناء.

4. تصميم أنشطة مدرسية وأسرية تكاملية تُشجع الطلبة على اتخاذ القرارات الواعية وتحمل المسؤولية بما يسهم في ترسيخ السلوك الحكيم في حياتهم اليومية.

المصادر العربية :

1. الحيالي، م. و كاكي، ع. (2023). الشعور بالتماسك النفسي وعلاقته بالحكمة لدى طالبات قسم رياض الأطفال. المجلة العراقية لعلوم التربية، 12(2).

2. الحمداني، ر. و الغزي، ف. (2022). التفكير القائم على الحكمة لدى طلبة الجامعة. مجلة جامعة ذي قار للعلوم التربوية، 9(1).

3. أيوب، أ. و إبراهيم، س. (2013). تطور التفكير القائم على الحكمة لدى طلاب الجامعات في دول الخليج العربي. مجلة دراسات تربوية، 5(2).

4. البندر، زينة شهيد علي. (2023). التفكير الإيجابي وعلاقته بالأداء القائم على الحكمة لدى المرشدين التربويين. مجلة التربية والنفس، 8(1).

5. عبدالوهاب، محمد . (2017). القدرة التنبؤية لأبعاد السلوك الحكيم بالشعور بالأمن النفسي لدى الشباب الجامعي. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 10(3)، 100-120.

6. الياسري، علي. (2011). تطور الحكمة في مرحلتي المراهقة والرشد. جامعة بغداد، كلية التربية. (أطروحة ماجستير).

المصادر الاجنبية :

7- Ardelt, M. (2003). Empirical assessment of a three-dimensional wisdom scale. Research on Aging, 25(3).

8- Bassett, C. L. (2012). Wisdom and its development: Learning to become wise(r). In M. Ferrari & N. Day (Eds.), The Oxford Handbook of Wisdom (pp. 45–70). Oxford University Press.

9- Dong, X., Li, Y., & Smith, J. (2022). Thirty years of psychological wisdom research: What we know and what we do not know. Frontiers in Psychology, 13, 845678. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2022.845678

10- Glück, J., König, S., Naschenweng, K., Redzanowski, U., & Dorner, L. (2013). How to measure wisdom: Content, reliability, and validity of five measures. Frontiers in Psychology, 4, 405.

11- Narvaez, D. (2009).In D. Narvaez (Ed.), Handbook of Moral and Character Education. Routledge

12- Staudinger, U. M., & Smith, J. (2000). Seeds of wisdom: Adolescents' knowledge and judgment about difficult life problems. International Journal of Behavioral Development, 24(4).

13- Sternberg, R. J. (2005). Wisdom, intelligence, and creativity synthesized. Cambridge University Press.

8- Targowski, A. (2013). Harnessing the power of wisdom: From data to wisdom. Knowledge Management & E-Learning, 5(2.)

14- Staudinger, U. M., & Glück, J. (2011). Psychological wisdom research: Commonalities and differences in definition and measurement. Review of General Psychology, 15(3).

15- .Rauthmann, J. F., & Funder, D. C. (2011). The psychology of wise behavior: Social and personality perspectives. Personality and Social Psychology Review, 15(1).

16- Grossmann, I., & Kross, E. (2014). Exploring “the wise self”: How self-distancing relates to wise reasoning, affect, and well-being. Journal of Experimental Psychology: General, 143(2).

17- Grossmann, I., & Brienza, J. P. (2020). Wisdom in context: Social, emotional, and cognitive correlates across the lifespan. Current Opinion in Psychology, 33.

18- Webster, J. D. (2010.) .Wisdom and positive psychosocial values in young adulthood. Journal of Adult Development, 17(2).

الفجوة التقنية الرقمية بين الدول وأثرها على الاسرة المسلمة في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية – دراسة تحليلية

إعداد

أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي
جامعة بغداد / مركز البحوث التربوية والنفسية
Sabah_hassan56@yahoo.com

المستخلص: -

لقد أصبحت التغيرات السريعة والهائلة التي أصابت المجتمع مصدر قلق وتأثير على كيان المجتمع المكون من الفرد والأسرة، وخصوصا بعد ظهور الفجوة التقنية الرقمية بين الدول التي تمتلكها وبين الدول التي لا تمتلكها حيث. أصبحنا نواجه مشاكل كثيرة ومتنوعة مع تعدد وسائل الاتصال والتكنولوجيا والالكترونيات التي ساهمت في تطو هذه المستجدات ومنها ظهور الذكاء الاصطناعي الذي يحاكي تفكير الانسان من حيث اللغة والصوت والصورة والحركة وخزن كميات كبيرة من المعلومات والبيانات واسترجاعها الذي إثرت على بنية المؤسسات المجتمعية ولاسيما الاسرة وافرادها وبخاصه القيم والعادات والتقاليد الثقافية. التي تربى عليها الأجداد والاباء ومنها القيم الأخلاقية الإسلامية النبيلة

وفي ضوء ما تقدم ان لكل مجتمع قيمه وعاداته وتقاليده يحاول ان يتمسك بها ومنها المجتمع الإسلامي الذي يستمد اصوله من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامه الإسلامية والتي تمثل العمود الفقري للمجتمع الاسلامي في السلوك الاجتماعي ومن المعلوم ان القيم الأخلاقية الإسلامية التي تعد من المفاهيم الجوهرية في بناء المجتمع وافراده من جهة وتأثيرها على جميع ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى العلمية .....

وتظهر مشكلة البحث الحالي من خلال طرح السؤال (ما تأثير الفجوة التقنية الرقمية بين الدول على القيم الأخلاقية الإسلامية وبالذات الاسرة المسلمة؟ وما طبيعة التقنية الرقمية وفجوتها (الإيجابية والسلبية) على بنية الاسرة المسلمة مستقبلا. ثم الخروج بمجوعة من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

Abstract

The rapid and profound changes that have swept through society have become a source of concern and have a significant impact on the very fabric of society, comprised of the individual and the family. This is especially true after the emergence of the digital technology gap between countries that possess it and those that do not. We now face numerous and diverse challenges with the proliferation of communication methods, technologies, and electronics that have contributed to these developments. Among these is the emergence of artificial intelligence, which mimics human thought in terms of language, voice, image, and movement, and stores and retrieves vast amounts of information and data. This has affected the structure of societal institutions, particularly the family and its members, and especially their cultural values, customs, and traditions. These are the values upon which our ancestors and fathers were raised, including noble Islamic moral values.

In light of the foregoing, every society has its values, customs, and traditions that it strives to uphold. Among these is the Islamic society, which derives its principles from the Holy Quran, the Prophetic Sunnah, and the righteous predecessors of the Muslim Ummah. These represent the backbone of Islamic society in social conduct. It is well-known that Islamic moral values are fundamental concepts in the formation of society and its individuals, and they influence all aspects of social, economic, political, and even scientific life. The current research problem arises from posing the question: What is the impact of the digital technology gap between countries on Islamic moral values, particularly within the Muslim family? What is the nature of digital technology and its gap (positive and negative) on the future structure of the Muslim family? The research then proceeds to arrive at a set of conclusions, recommendations, and

(المبحث الاول) مدخل عام ضم

مشكله البحث

من المعلوم ان الاسرة عمادة المجتمع ولا تكتمل الا من خلال التربية الاسرية والتنشة الاجتماعيه وذلك بتعزيز القيم الاخلاقيه الإسلامية التي تساهم في بناء الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي . لذلك نلاحظ ان علماء النفس والتربية قد اهتموا بالقيم الاخلاقيه الإسلامية والتربية والتنئشة للفرد المسلم والمجتمع الإسلامي التي تساهم في بناء شخصية الطفل واكتسابه معايير وقيم وانماط مختلفة من السلوك الذي يرتبط بالمجتمع ثقافيا

واجتماعيا وسياسيا واقتصادي وعلميا وتكنولوجيا بقصد جعل الانسان يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه وبذلك يعيش افراد المجتمع بامن ولاسلام ظل الحياة الاجتماعية (**الزبيدي : 2014**)

وفي ضوء ما تقدم ان الانسان المسلم في الاسرة المجتمع الاسلامي اليوم يواجهون تحديات اجتماعية وثقافية وعلمية وصناعية وتكنولوجيه ومعلوماتية والالكتروني واخرها (التقنية الرقمية المتمثلة 0 الانترنت – الأجهزة المحمولة – وتواصل الاجتماعي . والذكاء الاصطناعي –وتعدد الوسائط التكنولوجيا والالكترونية) التي امتلكها الدول المتقدمة والتي قطعت أشواط كبير في التطور متمثلة بالدول الغربية والتي قامت باحتكارها في الأسواق العالمية مما خلقت الفجوة الرقمية بين الدول التي تمتلكها والدول التي لا تمتلكها مما اثرت على الاسرة والمجتمع ولاسيما القيم الأخلاقية الاسلامية اذ نشرت القيم أخلاقية جديدة وغريب عن المجتمعات من قيم وعادات وتقاليد التي تختلف في نظر الإسلام عن الواقع)

ومن المعلوم ان المجتمع الإسلامي متمسك بالقيم الأخلاقية النبيلة التي استمدها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلق الصالح في الامة الإسلامية التي اكدها القران الكريم من خلال (الأوامر. والنواهي – والعادات والتقاليد (المباحة وغير المباحة) التي على المسلم والمجتمع تجنبها ....

تنطلق مشكلة البحث ان الفرد المسلم في الاسرة والمجتمع الاسلامي يواجه تحديات خطيرة تهدد امنه الثقافي والفكري مما يشكل خطر على وجودة الانساني. اذ نعيش اليوم في ظل التطور علمي وتكنولوجي ومعرفي ومعلوماتي الذي تميز بظهور تقنيات الاتصال الحديثة المتمثلة (تقنيات الرقمية. – التي خلفتها ورائها ما يسمى (الفجوة التقنية الرقمية وعليه، أن الثورة المعلوماتية أوجدت فجوة الرقمية **Digital Divited**)) التي ويقصد بها الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ الى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استعمالها في مجالات الحياة المختلفة : وتوليدها من جديد واستثمار ومن ثم احتكارها في السوق العالمية مستخدمته سلاح علمي . تكنولوجيا معلوماتي والالكتروني ضد الدول النامية . مما خلقه فجوة بين الدول التي تمتلها وبين الدول التي لا تمتلها في مجالات الحياة المختلفة ما تأثير هذه التقنية الرقمية على الاسرة المسلمة في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية التي تساهم في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي. وماهي فوائدها وماهي مظاهرها؟

أهمية البحث:-

من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى ارسل الرسل والانبياء وعدهم (124) الف نبي للإصلاح وهداية الناس الى الطريق الصحيح. واخرهم الدين الإسلامية متمثله بالرسول محمد (ص) ومعجزته القران الكريم. ومؤكد على ضرورة التمسك القيم الاخلاقيه الإسلامية في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامية استنادا الى قوله تعالى (رَبَّنَا

وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة البقرة : أي بعث الله سبحانه وتعالى الانبياء والرسل واولياء الصالحين لنشر المبادي والقيم الاخلاقية السامة لكي يتحقق العدل الالهي ومن هذه الاديان (اليهودية – المسيحية – الإسلامية) وبذلك اراد الله سبحانه وتعالى وهو خالق كل شيء بعلمه وهو عالم الغيب والشهادة استنادا الى قوله تعالى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إله إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الحشر :22 علاوة على ذلك جعل الحياة البشرية تسيرعلى هدى الاسلام استنادا الى قوله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة ال عمران : 85 الذي هو اخر الاديان من خلال ما يحمله من قيم وعادات وتقاليد تحمى المجتمع بصورة عامة والمجتمع الاسلامي بصورة خاصة (الزبيدي: 2023)

وفي ضوء ما تقدم ان الإسلام حرص على تربية الانسان المسلم والمجتمع الإسلام على القيم الأخلاقية المحافظة والمستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفه والسلف الصالح في الامة الإسلامية في القيم والعادات والتقاليد. وقد حصنت الانسان من القيم الثقافيه الغربية عبر التمسك بالقيم العبادية الفرائض التي امر الله بها سبحانه وتعالى وكذلك حددتها العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية تحت مسميات (مباحة وغير مباحة

ومن هنا تأتي أهمية البحث من خلال ما يلي:-

1- بناء الانسان المسلم وفق القيم الأخلاقية الإسلامية. وجعله ذا شخصية اسلامية قوية في العقيدة الإسلامية في الفكر الإسلامي ومتمسكة بتطبيق القيم الأخلاقية الإسلامية التي تنعكس مستقبلا في الاسرة والمؤسسات المختلفة وبذلك تشكل هذه القيم الخطوط العريضة في بناء المجتمع الإسلامية الذي يسير وفق هدي القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح

2- بناء مجتمع إسلامي في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية التي تستمد من أصولها وهو القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامة الإسلامية مستقبلا

3- بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي ما يرد الله سبحانه وتعالى من أوامر وهي العبادات والفرائض وكذل النواهي التي انهى عن ممارستها وكذلك المباحة من العادات والتقاليد الممتثلة ب (من حيث (المأكل + المشرب + الملبس + المسكن + وطرق وسبل تعامله مع الانسان المسلم وغير المسلم؟ وفق المنهج اسلامي معتدل قائم على الايمان ب(الايمان بالمعتقد اي العقيدة الاسلامية + الشريعة الاسلامية + الوحدة الاسلامية وتجسيد القيم الاسرية الإسلامية في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية لمواجهة التحديات المختلفة ومنها (التقنية الرقمية – التي افرزت قيم وعادات غير إسلامية اثرت على الاسرة والمجتمع)

3- ان الفجوة الرقمية أي التقنية الرقمية المتمثلة. بتطور الشبكة الانترنت + الأجهزة المحمولة + وسائل التواصل الاجتماعي + الذكاء الاصطناعي + الوسائط المتعددة – التي خلقت فجوة رقمية بين الدول التي تمتلها والدول التي لا تمتلكها مما اثرت على الحياة بجوانبها المختلفة ومنها القيم الاسرية المتمثلة بالقيم الأخلاقية – وبالذات القيم الأخلاقية الإسلامية – التي تستمد مصادرها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامة الإسلامية – أي محافظة على تلك القيم) التي ويقصد بها الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ الى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استعمالها في مجالات الحياة المختلفة : وتوليدها من جديد واستثمار ومن ثم احتكارها في السوق العالمية مستخدمته سلاح علمي . تكنولوجيا معلوماتي والالكتروني ضد الدول النامية. مما خلقه فجوة بين الدول التي تمتلها وبين الدول التي لا تمتلكها في مجالات الحياة المختلفة

4- ان الفجوة الرقمية بين الدول خلقت ضعف في العلاقات الاسرة المسلمة وكذلك اثرت على القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الانسان المسلمة والمجتمع الإسلامي ولابد التصدي لها واستيعاب المفيدة منها مستقبلا

اهداف البحث:- يهدف البحث الإجابة على الأسئلة التأليه :-

1- ما طبيعة الفجوة التقنية الرقمية بين الدول التي تمتلكها والدول التي لأ تمتلكها وا أثرها علي القيم بصورة عامة؟

2- ما طبيعة القيم الأخلاقية للأسرة المسلمة في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي في ضوء الفجوة الرقمية (الفجوة التقنية الرقمية) ؟

3-ما طبيعة القيم الأخلاقية الإسلامية للأسرة المسلمة في بناء الانسان المسلم والمجتمع الاسلامي في ضوء الفجوة التقنية الرقمية ؟

تحديد المصطلحات: -

أولا:- الفجوة التقنية الرقمية -:- وتعرف كل من

•هي التفاوت في الوصول التكنولوجية المعلومات والاتصالات واستخدامها بفعالية بين مختلف الأفراد والمجتمعات والدول. وتنشا بسبب عوامل (اقتصادية واجتماعية وجغرافية) مما تؤدي الى تعميق عدم المساواة بين الدول في استخدامها . من حيث جودة الاتصال وتكلفة الخدمة والمهارات اللازمة لاستخدام التكنولوجيا بفعالية.

•**وتعرف اجرائيا: --وهي التفاوت في القدرة على الوصول الى (التكنولوجيا الرقمية) التي تعني وهي** (البيانات والمعلومات التي تعتمد على التقنيات باستخدام الأرقام الثنائية (. و1) لتمثيل البيانات وتشمل مجموعه من التطبيقات مثل(شبكات الانترنت . الأجهزة المحمولة. شبكة التواصل الاجتماعي. والذكاء الاصطناعي.

والوسائط المتعددة) التي تتعامل مع كم هائل من البيانات والمعلومات ومعالجتها من حيث الحفظ والخزن والاسترجاع بوقت وكفاءة عالي مما تساعد على زيادة الإنتاجية وتوفير الوقت والجهد المبذول . اضافه الى ذلك تخلق الفجوة التكنولوجيا (بين سكان المدن والريف، الأغنياء والفقراء، الدول المتقدمة والنامية، والأفراد ذوي مستويات التعليم المختلفة

ثانيا :الأثر:- وتعرف كل من :-

- **الاثر :- لغة :- وورد في المعجم الوسيط "بانه/ أثر فيه/ ترك فيه أثراً / وتأثر الشيء / ظهر فيه الأثر / وبالشيء تطبع به (الشبكة العنكبوتية)**
- **الأثر:- اصطلاحا :- الخبر المنقول عن الصحابة أو التابعين /. العلامة التي يخلفها الشيء. (فقهية)**
- **الأثر يطلق على ما ينسب إلى الرسول (ص) ، او على ما ينسب إلى الصحابة والتابعين يقال له أثر. والغالب (الشبكة العنكبوتية**
- **ويعرف اجرائيا:** - وهو ما يترك او ينقل او ينشا من اقوال وافعال وسلوك للفجوة الرقمية التي تحصل بين (الدول التي تمتلكه التقنية الرقمية المتمثلة بالتقدم المعلوماتي والتكنولوجي والالكتروني في النفوذ في المعرف واستيعابها وانتاجها من جديد واحتكارها والتنافس في الأسواق العالمية والتي تترك اثرها على الاسرة المسلمة وبالذات الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي والتي تمس القيم الأخلاقية الإسلامية والمستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح مستقبلا)

ثالثا :- القيم الأخلاقية للأسرة المسلمة :- وتعرف كل من

(ا)القيم: - وتعرف نظريا

- عرفها الطهطاوي:-(مجموعه المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به اعمالهم ويحكمون تصرفاتهم المادية والمعنوية **(الطهطاوي: 1996)**
- عرفها الشناوي وآخرون، هي معايير وجدانيه فكرية يعتقد بها الافراد وبموجبها يتعاملون مع الاشياء بالقبول او الرفض (الشناوي **وآخرون: 2001)**
- ويعرف اجرائيا وهي مجموعه من المبادي والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها المجتمع ويتخذونها معيارا في قياس سلوك الافراد وهي على نوعين (قيم خير وقيم مذمومة) فالقيم الخير او الفاضلة وهي التي تبنى الانسان المسلم المتكامل الشخصية يتفاعل مع مجتمعي الإسلامي . فهي مؤكد في القران الكريم (أوامر ونواهي – ومباحة وغير مباحه) حددها الشرع الإسلامي

(ب) القيم الأخلاقية للأسرة المسلمة:- وتعرف كل من

القيم الاخلاقية. :-

- عرفها عبد العزيز وهو كل نشاط يؤديه الفرد في المجتمع مطابق للمعايير الاجتماعية التي تسود المجتمع والقيم الاخلاقية اذن هي مجموعة رغائب الفرد وميولة الفاعلة التي تجعله على استعداد للإتيان ببعض الافعال ومغرما ببعض النتائج وفي الوقت نفسه هو كارها لبعض الافعال والنتائج الاخرى. **(عبد العزيز: 1981،ص[238]).**
- عرفها احمد , بانها مجموعه من العادات والتقاليد والمعاير والاهداف العليا التي يؤمن بها المجتمع وتعمل على تنظيم الحياه الاجتماعية وتوجيه السلوك الاخلاقي نحو وجهه الخير والفضيلة ودرء الاخطار والمشكلات التي تواجه المجتمع (**احمد 1982 ,ص 365)**
- وتعرف اجرائيا القيم الأخلاقية الإسلامية وهي مجموعه العادات والتقاليد والمعايير والاهداف العليا التي يؤمن بها الإسلامي . والمتمثلة بالأوامر والنواهي) والمستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح التي تساير طبيعة الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي والتي اقرها الشرع الإسلامية ومنها (المباحة وغير المباحة)

الاسرة المسلمة: - وتعرف كل من

(1) الاسرة :-

- **عرفها النورة جي:-** وهي الوحدة الاجتماعية الاولى التي تهدف الى المحافظة على التنوع الانساني وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة ويعتبر نظام الاسرة نواه المجتمع لذلك كان اساسا لجميعالنظم (**(النورة جي : 1990)**
- **عرفها ميشيل :-** هي جماعه من الافراد تربطهم روابط قويه ناتجه من صلات الزواج الدم والتبني وهذه الجماعة تعيش في دار واحده وتربط أعضاؤه علاقات اجتماعيه متماسكه اساسها المصالح والاهداف المشتركة **(معجم علم الاجتماع: 1980)**
- **عرفها طاهري:** عباره من خليه اجتماعيه تتكون نتيجة زواج امراه برجل ويكملها الابناء الذين يكونون ثمره ذلك الزواج **(ظاهري:2003)**
- **اما الاسرة المسلمة :-** هي جماعه من الافراد تربطهم روابط قويه نابعة من الدين الاسلامي ومستمده اصولها من القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة والسلف الصالح وهي اسرة محافظة في تقاليها واعرفها ومتبعة الشريعة الاسلامية بدا من الزواج حتى نهاية العمر لكل افراد الاسرة

▪ **ويمكن تعريفها اجرائيا:**- وهي الوحدة الاجتماعية التي تتكون من (الاب + الام + الأبناء) تكونت نتيجة الزواج المقدس وفق العقيدة والشريعة الإسلامية التي حددت الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة في تكوينها في ضوء تعزيز القيم الأخلاقية الإسلامية المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصاح وفق الأوامر والنواهي التي امر الله سبحانه وتعالى وكذل وفق العادات والتقاليد (المباحة وغير المباحة)

(ج) بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة ويعرف كل من

(ا) البناء : (Structure) ويعرف بعدة تعاريفها منها (النظرية والإجرائية)

- **نظريا** (وهو تنظيم دائم نسبيا تسير اجزاؤه في طرق مرسومه ويتخذ نمطه بنوع النشاط الذي يتخذ , فيقال (البناء الطبقي , البناء الاجتماعي) **(البدوي: 1977)**
- **البناء : يعرف اجرائيا** :- وهو عمليه . تنظيم القيم الأخلاقية في الاسرة المسلم والمجتمع الإسلامية في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية (الأوامر والنواهي – المباحة وغير المباحة) والتي تستمد من القران الكريم والسنة النبوية الشريفه والسلف الصالح في الامة الإسلامية والتي تلعب دور في بناء الانسان المسلم متكاملة الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي الصالح مستقبلا

(ب) بناء الانسان والمجتمع الاسلامي؟ ويمكن تعريفها اجرائيا

- يعرف **المجتمع** نظريا : ((بانه مجموعه من الافراد يعشون فوق بقعه معينه من الارض ويتسمون بالتعاون والتضامن ويربطهم تراث ثقافي معين ولديهم احساس بالانتماء والولاء لمجتمعهم ويكونوا مجموعه من مؤسسات تقدم لهم خدمات تحقيق اشباع حاجاتهم ولهم تنظيم من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مكونين حضارة انسانيه**((ابراهيم :1983)**
- ويعرف المجتمع الإسلامي تعريف اجرائيا :- بانه صاحب رسالة ودعوة الى الداخل والخارج , فهو مجتمع متميز له خصائص ومميزات تميزيه عن بقية المجتمعات الانسانية , فهو مجتمع القدوة او المجتمع الوسط وقوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً, سورة البقرة : 143) ومجتمع وهو المجتمع الذي يؤمن بمجموعه من المبادي والمعتقدات التي ترشد الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي نحو تعزيز السلوك الصحيح في المجتمع متمثلة (الصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، والاحترام، والكرم، والشجاعة والوفاء بالعهد . ورد الجميل. وحسن الجوار واغاثه الملهوف واجارة المستجير. التضحية في سبيل الله . وبر الوالدين وصله الرحم والعطف على اليتامى ومراعاة حقوق الجار . ... الخ . والابتعاد عن القيم الأخلاقية المذمومة (الكذب. السرقة. الاحتيال. الخيانة. النميمة. الوشاية – اللبس غير الشرعي – شرب الخمر والمسكرات. ولعب الأقمار. واكل لحم الخنزير. والسماع الى الغناء الفاحشة. ...الخ

ويؤمن بممارسة العادات المباحة والابتعاد عن غير المباحة في (المأكل. المشرب. الغذاء. الهندام والملبس. وممارسة الشعائر والطقوس الدينية والوطنية في المناسبات كالعياد والعطل والتي يمكن بالوقف ضد التقنية الرقمية او الفجوة الرقمية مستقبلا

منهجية البحث :-

اعتمد الباحث على المنهج المسحي الوصفي التحليلي للأدبيات التي تناولت التقنية الرقمية – الفجوة التقنية الرقمية المنشورة حتى عام 2024 وكذلك الادبيات التي تخص القيم الأخلاقية للأسرة بصورة عامة والاسرة المسلمة بصورة خاصه في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية – وهي الأوامر والنواهي – المباحة وغير المباحة والمستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامة الإسلامية . واثر الفجوة التقنية الرقمية على قيم الاسرة المسلمة بالجوانب الإيجابية والسلبية ومن ثم الوصل الى عدة استنتاجات وتوصيات ومقترحات

المبحث الثاني

طبيعة القيم الأخلاقية للأسرة المسلمة في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الانسان المسلم والمجتمع وضم (محورين هما:-

المحور الأول: – طبيعة القيم الأخلاقية للأسرة المسلمة:-

عرفت الاسرة. بانها جماعه من الافراد تربطهم روابط قويه ناتجه من صلات الزواج (الدم والتبني) وهذه الجماعة تعيش في دار واحده وتربط أعضاؤه علاقات اجتماعيه متماسكه اساسها المصالح والاهداف المشتركة **(معجم علم الاجتماع: 1980)**

ويرى الباحث ان الاسرة المسلمة مكونه من (الاب + الام + الاخوة .) تكونت هذه الاسرة نتيجة للزواج المقدسة الذي يربط الزوج وزوجته . وقدد حدد الشرع الإسلامي حقوق الزوج وحقوق الزوجة والحقوق المتبادلة. في تكوين الاسرة وتربية الأبناء

. اسيتنادا الى قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الروم : 21

ومن المعلوم ان تكوين الاسرة مسؤولية دينية وأخلاقية وان الله سبحانه وتعالى كرم الانسان . استنادا الى قوله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (سورة الاسراء: 70) أي اهتم الإسلام ببناء الأنسان المتكامل عقلا وجسما وروحا اضافه تكريمه على بقيه المخلوقات لما يملك من القدرات والاستعدادات وعليه ان الإسلام نظر الى بناء الانسان نظرة فلسفية متكاملة (**الجسم + العقل + الروح**) اذا جعل فيهماا الانسجام التام في من خلال زرع القيم الأخلاقية الإسلامية في تكوين شخصية الانسان أي انسان متكامل ومتوازن بين ا(لوراثة والبيئة) وحسب فطرة الانسان مع وبيئته (**الزبيدي :2018**)

خصائص الاسرة المسلمة:-

من المعلوم ان الاسرة المسلمة تتصف بعدة خصائص منها :-

1-**تتمسك الاسرة المسلمة- بأصول الدين المعروفة** (ا- التوحيد ب- النبوة -ج الامامة د- العدل .هـ- الميعاد)

2-**تتمسك الاسرة المسلمة بالفرائض الإسلامية الواجبة :-(الصلاة. الصيام. الحج. الزكاة. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد في سبيل الله)**

3-**تتمسك الاسرة المسلمة الشريعة الإسلامية** -وهي :-

* **المعاملات** :- يدرس الفقهاء ما يعرف في الاوساط الفقيه بالمعاملات وتقسم الى كتاب الشرائع للمحقق الحلي وكتاب العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدي الى (3)

1. **العقود :-** وهي الاحكام الفقيه التي لا يمكن اجراؤها الا بوجود طرفين مثل (عقد الزواج , أي الزوج والزوجة . وعقد البيع , أي (البائع والمشتري) وعقد الايجار . أي (المؤجر والمستأجر) وتعرف بالقانون العقود (العرف القانوني)
2. **الايقاعات :-** وهي الاحكام الفقيه التي يمكن لطرف واحد ايقاعها وتنفيذها ولو كان الحكم يتعلق بأكثر من طرف مثل (الطلاق) ممكن للزوج الذي يقوم به اتجاه زوجته ولو كانت غير راضيه . والنذر , واليمين)
3. **الاحكام :-** وهي الاحكام الفقيه التي تشمل حدود التغيرات مثل المواريث والديات وبقية الاحكام الفقيه التي تندرج في القسمين السابقين

التعاليم الاخلاقيه الإسلامية :- وهي القيم والسلوك الانساني نحو المعاملة الحسنة التي تعزز وحدة المسلمين في المجتمع الاسلامي والتي ترجع الى ملائمة الفطرة الانسانية التي منحها الله سبحانه وتعالى **كما اكد عليها الشرع الإسلامي ((الفضلي :عبد الهادي :3013)**

- تعتمد الاسرة المسلمة في تكوينها على الزواج المقدس الذي يربط الرجل المسلم والمرأة المسلمة بتحديد (الحقوق الزوجية والواجبات الزواجية بينهما . أي تحدد حقوق الزوجة وحقوق الزوج وكذلك واجبات الزواج) وحسب الشريعة الإسلامية
- تتمسك الاسرة المسلمة بالعادات والتقاليد المباحة التي رسمها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامه الإسلامية. من حيق (ا-المأكل ب- الملبس ج- المشرب د- المسكن هـ- الهندام و- وممارسة الشعائر الدينية – كالزيارات الى الأماكن المقدسة – والاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى – وممارسة الدعاء في المناسبات ... الخ
- تتمسك الاسرة المسلمة بالابتعاد عن بالعادات والتقاليد الإسلامية المذمومة (الكذب . السرقة. الاحتيال. الخيانة. النميمة. الوشاية – اللبس غير الشرعي – شرب الخمر والمسكرات. ولعب الأقمار. واكل لحم الخنزير. والسماع الى الغناء الفاحشة.
- تتمسك الاسرة بالوحدة الإسلامية. من حيث العبادات وممارسة الشعائر الإسلامية في الأعياد والمناسبات وتوحيد صف المسلمين للدفاع عن المقدسات والأرض والعرض

وبذلك يرى الباحث ان خصائص الاسرة المسلمة مستمدة من العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية التمسك بالقيم الأخلاقية الإسلامية في تربية أبنائها وبناء المجتمع الإسلامي الموحد

وظيفة الاسرة المسلمة:- تكمن ب

من المعلوم ان الوظيفة تعرف بانها مجموعه من الادوار الاجتماعية الحيوية التي يؤديها الفرد او المجتمع او الجماعة الصغيرة او النسق الاجتماعي او البناء الاجتماعي لتحقيق شيء معين او مجموعه اهداف محدده تتناسب مع طبيعة الفرد او الجماعة او النسق

وقام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وتم عرضها بالشكل الاتي :-

1-الوظيفة البيولوجية :-

يعتبر اشباع الحاجات البيولوجية من اهم الوظائف التي تقوم بها الاسرة مثل الطعام والشراب وغيرها كما ان الدافع الجنسي قوي وملح ولابد من تحقيقه والا قامت صراعات فرديه واجتماعيه وتسبب في تكوين مشكلات نفسيه تنقص حياه الفرد ,

وفي ضوء ما تقدم ان الاسرة هي المجال المشروع الاجتماعي الذي يساهم في اشباع هذه الدوافع الجنسية ويعمل على تنظيم العلاقات الجنسية بين الازواج ويكون علاقه قويه بينهم

2- الوظيفة الاجتماعية:

يحظى موضوع التنشئة الاجتماعية باهتمام كثير من العلوم لإنسانيه والاجتماعية وقد افرزت بعض هذه العلوم فصولا عقيده من دراستها ووجهت ابحاثها بالاستمرار نحو هذا الموضوع الذي يهم الفرد والجماعة والمجتمع

وفي ضوء ما تقدم ان عمليه التنشئة الاجتماعية مازالت تمثل اهم وظائف الاسرة التي بقيت لها ويبدوا ان تأثيرها في الاسرة واضح ولاسيما خلال السنوات الخمسة الاولى من حياه الطفل ونموه وهي التي يألفها عاده المنزل قبل ان يلتحق بالمجتمع الخارجي عن طريق الجماعة والمدرسة . وبذلك ان مراقبه الابناء بالنسبة للاب والام للأطفال دور مهم في عمليه التنشئة الاجتماعية وعاده يتولى الاب والام هذه العملية في توجيه الطفل

3- الوظيفة العاطفية / النفسية: -

ان هناك حاجه قويه لدى كل انسان للاعتماد والامن في اشباع حاجاته وذلك عن طريق الأسرة , ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة للكبار , وبذلك يعتمد الازواج والزوجات على الصحبة والجاذبية الجنسية لاحتفاظ احدهم بالأخر جنبا الى جنب . ولابد ان يدرك الازواج ان هذه العاطفة المتبادلة نحو الابناء وهي مزيج متوازن من الحب والحزم كفيله برسم الاسرة السلمية للسلوك بحيث يمارس الطفل انشطته في جو من الود والحنان وابعاد الابوين عن التدليل الزائد لانهما يضران على صحة الطفل مستقبلا

4- الوظيفة الاقتصادية: -

من المعلوم ان الاسرة تشارك عن طريق افرادها في عمليات الانتاج وقد ترتب على استخدام الاله في الصناعة ان أصبح الابناء والزوجات يشاركون بنصيب كبير في المعمل الصناعي ويساهمون في دخل الاسرة وماتزال الأسرة في بعض البلاد الصناعية كاليابان تؤدي وظيفيه اقتصاديه لها شانها. فهي التي تقوم بأمداد المصانع بالأيدي العاملة، وقد انعكس على زيادة دخل الاسرة في الهيئات الصناعية وأصبح لها دور واضح في الاستهلاك والانتاج كما اصبح للمرآه دور في اتحاذ قرارات اقتصاديه في توزيع ميزانيه الأسرة على بنود الانفاق

5- والوظيفة تعليميه:-

من العلم ان للتعليم دور كبير في البيت والمدرسة وان للأسرة دور اخر في دفع نفقاته وبالرغم مجانية في بعض المجتمعات الان الأسرة لها مساهمه كبيره في تعليم الابناء ودفع مصاريف المواصلات والادوات والملابس فضلا عن الدروس الخصوصية التي ترهق كثير من ميزانيه الأسرة

6:-الوظيفة السياسية :-

ان التفاعل بين الاسرة والسياسية لا يكون ظاهرا ومباشرا، فالأسرة تذعن للقرارات التي يفرضها النظام السياسي ولا يكون لها اي قوى للتأثير مباشره على المستوى الاجتماعي وهذا الاذعان

والطاعة من ناحيه الأسرة يعتمد على مقدره النظام السياسي في حل مشاكل الاسرة العديدة. مثل الشرطة والقضاء في محاسبه المنحرفين. والنظام السياسي في الأسرة يخلق نوع ما ضبط وهو الامتثال للسلطة. وبذلك نق مسؤوليه التوافق والامتثال للوقع السياسي القائم في المجتمع ومؤسساته لاسيما اذا كان افراد الاسرة يؤمنون به وبتشريعاته ويدينون الولاء والانتماء اليه

7-:الوظيفة الثقافية :-

تعتبر الوظيفية الثقافية للأسرة من اهم وظائف الأسرة حيث ان الثقافة التي تمثل الكل المعقد من العادات والقيم والتقاليد والاعراف والدين واللغة. فالأسرة تكتسب هذه العناصر من المجتمع الذي تنتمي اليه. فيكتسب الطفل الكثير من هذه العناصر والمعاير الثقافية وبذلك تلعب دور كبيره في تكوين شخصيته الثقافية

8- الوظيفة الدينية:

تعتبر الوظيفة الدينية من الوظائف الهامه التي تضطلع بها الأسرة قديما وحديثا في الاسرة هي المناخ الاول والملائم لإشباع حاجات الطفل الى القيم الدينية والتعاليم الدينية. فالأنباء مثلا يتعلمون الصلاة واداء الفرائض الاخرى عن طريق الاسرة الممثلة في الوالدين وقد يبد الصغير الى اقامه فرائض الصلاة عن طريق تقليد الوالدين في المنزل ثم يندرج بعدها الى اقامه الشعائر الدينية المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية السليمة فتعلم الصغير من والديه والمحيطين به حب الفضائل ونبذ الرذائل

وفي ضوء ما تقدم دخل الارشاد في الاسرة نتيجة التغيرات والتطورات التي طرأت على الاسرة في تكوينها ووظائفها وعلاقتها مع افرادها. فقد كانت الأسرة فيما مضى عائله كبيرة وكان رب الأسرة هو الذي يقدم للأسرة ما تحتاج. اذ كان للأبوين دور اساسي في تربيه ابنائه وتوجيهم في جميع النواحي. الاجتماعية الدينية. المهنية. فقد كانت الأسرة الممتدة. وبعدها ظهرت الأسرة الزواجية. الصغيرة والمستقلة. فساهمت في تربيه الأطفال ولكن بعد ان خرجت الام الى ميدان العمل وابتعاد الام عن البيت تغيرت العلاقات الاجتماعية والزواجية وكذلك انعكست تلك التغيرات على الاطفال **(السنهوري : 1994 ص 112)**

اهمية الاسرة المسلمة في الاسلام :-

تنطلق اهمية الاسرة من انها تهتم(بالتربية , والتنشئة الاجدتماعية في زرع القيم الاخلاقيه في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي . حيث ان طبيعة الاسرة المسلمة تختلف عن بقية الاسر الأخرى لانها تستمد قيمها ومبادئها من الدين الإسلامي الحنيف . استنادا الى قوله تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ سورة النحل : 72

ومن هنا فالاسرة المسلمة لها اهمية كبيرة في تربية الابناء فهي المنبت الصالح لتعزيز القيم الاخلاقية الفاضله والتسامح ومن هنا حث الاسلام الاهتمام بالاسرة ولاسيما(الزوج والزوجه):-

❖ **اختيار الزوجة الصالحة لتكون اما صالحة لانشاء ابناء صالحين** وفي الحديث الشريف (اختاروا لنطفكم) (اداب الحمل في الاسلام :16) أي **اختيار منبت البذرة الصلحة في الزواج (للزوج والزوجة)** : اكد الاسلام على اختيار الزوجة الصالحة لكي تنبت الانسان نباتا حسنا ويصبح الوليد (المولود) على نشاة صحيحة في بناء كيان الاسرة استنادا الى قول الرسول الكريم محمد (ص(((اياكم وحضراء الدمن . قالوا: يارسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال ((المراة الحسناء في المنبت السوء))(احياء علوم الديم الغزالي 2 / 243 وبذلك فقد حذر الرسول الكريم محمد (ص) في اختيار . وقول الرسول الكريم محمد (ص) (تخيروا لنطفكم العرق نزاع . وفي رواية اخرى)(تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس **عبد الرؤوف الشاوي زين الدين الشافعي** (الوفائق في حديث خير الخلاق . (ص 49)

❖ **اختيار المراة المسلمة لتوفير الحصانه السليمه للاسرة المسلمة :-**

من المعلوم ان للحصانة لها دور كبير في سلوك الطفل حيث اشترط الاسلام في الحاضنه ان تكون اهلا لهذه المهمة الانسانية وهي الزوجه او الام . وذلك من خلال :-

(ا) ان تكون عاقله امينه صادقة في اقوالها وافعالها ومهذبة في اخلاقها وبذلك اكد الخليفة ابو بكر (رض) (الام اعطى والعطف وارحم وخير وارق وهي احق بوليها مالم تتزوج **(ابن قيم الجوزية زاد المعاد في هدى خير العباد ج /331)**

(ب) ان تهتم بالذرية الصالحة لان هدفها زيادة النسل واعمار الارض بالذرية الصالحة وفي الحديث الشريف (تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم غدا يوم القيامة **(الوسائل : باب النكاح / ابواب احكام الاولاد ب 1 /ج/14)**

(ج) ان تساهم في غرس القيم الأخلاقية الاسلامية الفاضلة في نفوس ابنائها لكي ينمو الاطفال نموا صحيحا وسليما . وفي وصية الرسول الاعظم محمد (ص) (ياعلي حق الولد على والده ان يحسن اسمه , وادابه . ويضعه موضعا حسنا (ميزان الحكمة – ج ٣ – ص ٢٥٢٢) وبذلك يرى الباحث ان الام هي التي تغرس مبادى الاسلام المحمدي بصورة عامه في ترسيخ التربية والقيم الاسلامية الفاضة محاولة ابعاد القيم الاخلاقية من عادات وتقاليد الضارة عن محيط الاسرة وبذلك فهي تساير المنهج الاسلامي القائم على منهج القران الكريم ومنهج رسول الله محمد (ص) من اقوال وافعال وسلوك ووصايا . وكذلك منهج الائمه المعصومين (عليهم السلام) في تجسيد القيم الاخلاقية الفاضلة في نفوس ابنائها

(د) ان تعليم افراد الاسرة عادات وتقاليد الاسلامية ومنها التمسك على القيم في الشرب والاكل وترشيد في الانفاق والاستهلاك وقوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ سورة الأعراف :31 لانها تعد تعد المحطة الاولي في غرس مفاهيم النظافه والتجميل استنادا الى قاله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ: **(سورة الاعراف 31 -32)**

(هـ) ان توفر الأمن الاقتصادي كما توفر الأمن الأخلاقي والاجتماعي والعاطفي وتؤدي إلى التكامل والترابط بين العلاقات ، وبذلك فهي تؤسس لنظام واسع جداً وأكثر إنسانية من الأمن الاجتماعي والاقتصادي.**(البطاط 2017 ص 27)**

(و) ان **تربي أبنائها تربية بدنية وصحية** :-فقد اعطى الاسلام دور كبير للام في التربية والتنشئة . فالطفل يرتبط بالاسرة منذ الحياة الاولى من حياته فتقوم الاسرة بتعليمية وتهذيبه وفق القيم الاخلاقية الفاضله وبذلك تعد الاسرة الوعاء الذي تنفتح فيه الروح في المستقبل

وبذلك يرى الباحث . ان تنمية القيم الاخلاقية ياتي من خلال دور الاسرة المكونه (الاب والام والاخوة) حيث ان الطفل يقلد الكبار في العائلة وبذلك على الاسرة ان تكون القدوة له في السلوك والتصرف حيث تؤثر الاسرة في تكوين شخصية الطفل استناد ا الى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(سورة التحريم : 6) (**مصطفى ابراهيم 1986 ص 6-8)**

(هـ) ان ترضع اطفالها من حليبها . فقد اعطى الاسلام عناية كبيرة لارضاع الطفل من حيث حليب الام لما له من تاثير في تكوين شخصية الانسان وسلوكة في المستقبل . وبذلك امر القران الكريم ان يكون الارضاع من حليب الام استنادا الى قوله تعالى (والوالدت يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضافعة سورة البقرة : 333)

لذألك يرى الباحث ان توفير الحصانة السليمة للمرأة المسلمة لها دور كبير في التربية الاسرة المسلمة), حيث تعلمهم على الطاعة والأخلاق والسلوك الصحيح بما يضمن لهم العمل والخير , فهي تربي أبنائها على الطهر والعفة والشجاعة والصدق والحلال والخطيئة ... ومن هنا, نجد إن الإسلام اعترف بفضل المرأة المسلمة في تربية الأولاد , لذا جعل الجنة تحت إقدام الأمهات , كما رخص الإسلام للمرأة إن تترك العبادة كالصيام حفاظا على صحة طفلها , وفي توفير الرضاعة والراحة له , ويقول الشاعر (إلام مدرسة) **(الزبيدي : 2024)**

❖ **اختيار الاب المسلمة لتوفير الحصانه السليمه للاسرة المسلمة :-**

من المعلوم ان للحصانة لها دور كبير في سلوك الطفل حيث اشترط الاسلام في الحاضنه ان يكون الاب اهلا لهذه المهمة الانسانية . وذلك من خلال :-

✓ **ان تكون القيومه على العائله** . ومن المعلوم ان القيومه في الصرف وسد حاجات الاسرة المادية والمعنوية . استنادا الى قوله تعالى لرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) سورة النساء : 34 . وهو القائم عليها بالحماية والرعاية، فعليه الجهاد دونها

✓ **ان يكون النموذج والقدوة في تربية ابنائه** . فهو النموذج الاعلى الذي يقلده الابناء في عاداته وتقاليده المباحة وغير المبحة

✓**ان يؤمن بالقيم الاخلاقيه الاسلامية (القيم العبادية** – الفرائض – العقيدة الاسلامية – القيم المعنويه المباحة وغير المباحه وكذلك العادات والتقاليد اللمباحه وغير المباحة) التي تساير فطرة الانسان وتواكب طبيعة المجتمع الاسلامي . التي اكد عليها القران الكريم واحاديث الرسول محمد (ص) وكذلك ما سار عليه السلف الصالح في الامه الإسلامية في تعزيز القيم الاخلاقيه الإسلامية الفاضة والابتعاد عن القيم والعادات التي حرمها الاسلام ومنها (شرب الخمور والمسكرات . والفساد والرذله ...

✓وبذلك يرى الباحث . ان تنمية القيم الاخلاقية يأتي من تقليد الاب والام في التنشئة الاجتماعية التي تبدا من ثلاث اشهر حتى السنة السادسة من عمرة وكذلك دور الاب ولاسيما الأخوة الكبار في العائلة وبذلك على الاسرة ان تكون القدوة له في السلوك والتصرف حيث تؤثر الاسرة في تكوين شخصية الطفل استنادا الى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(سورة التحريم :6)(**مصطفى ابراهيم:1986 ص 6-8)**

✓**إن يعلم زوجته القضايا الدينية والاخلاقيه حسب منهج الإسلام** , فيعلمها أمور دينها , ويأمرها بتقوى الله وحسن قيامها في الفرائض والعبادات والعقيدة , عملا بقوله تعالى (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (سورة طه , 132) وقولالرسول محمد (ص) (رحم الله امرأ قال , يا هلا صلاتكم , صيامكم , زكاتكم , مسكينكم , يتيمكم , جيرانكم , لعل الله يجمعكم معه في الجنة) وبذلك فان من واجب الرجل المسلم اتجاه زوجته ان يعلمها الحلال والحرام والسيرة النبوية المطهرة , وان يشجعها على قراءة القران الكريم وسماع الدروس الإسلامية والمحاضرات ...

✓**ان يكون حريص على زوجته . أي يصون العلاقه الزوجية ولا يخونها ويحافظ على شرقها وعفتها امام الناس**

أي الغيرة على الزوجة هو إكرام الزوج لزوجته وبذلك فهو الذي يصون العلاقة الزوجية باعتبارها شريكة حياته في السراء والضراء وعدم التقصير في حقها مستقبلا على

وبذلك هناك عدة مظاهر للغيرة على الزوجة من قبل الزوج وهي :-

- إن لا يسمح بدخول بيته الغرباء في غيابه , وان لا يدخل عليها من لا يخاف الله من الرجال , وبهذا يقول الرسول محمد (ص) (ثلاثة لا يدخلون الجنة , العاق لوالديه , والديوث , ورجلة النساء) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ السيوطي (ت 911 ...
- إن لا يأذن لها بالخروج في الاماكن العامة , لاج لان يصونها من نظرة الرجال إليها, وقول الامام امير المؤمنين علي (ع) (الا تستحون , إلا تغارون , بترك امرأته تخرج بين الرجال) –منقول عن الحسن البصري – رحمه .. إن لا يأذن لها بمخالطة زواره من الأجانب غير المحارم ولوكان اقرب الأصدقاء , حيث الاختلاط بهم لآيات بخيرها
- إن لا يعرضها لفترة طويلة عند غيابة إلى سماع والاستئناس مما يثر لدى الآخرين هذا التصرف
- إن لا يدع في حجرة الجلوس الأشياء الخاصة بالزوجة من ملابس ومشاكل ذلك **(الزبيدي : 2024)**

المحور الثاني :- طبيعة القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي :-

وقام الباحث بعرضها بالشكل الاتي :-

(1) : - <u>بناء الانسان المسلم في القران الكريم</u>

من المعلوم ان بناء شخصية الانسان المسلم في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية. مستمدة من القران الكريم.

وقد قام الباحث باستنباطها من القران الكريم وعرضها بالشكل الاتي: -

1- أكد القران الكريم علي بناء الانسان المسلم وفق العقيد الإسلامية. استنادا الى قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وملائكته وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ سورة القره /285) اي ان بناء الانسان يؤمن الانسان السوي والمتكامل من خلال ايمانه بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وملتزم بتعليم الاسلام وعامل على نشر الفضيلة . استنادا الى قوله تعالى

2 – اكد القران الكريم على بناء الانسان المسلم متزن نفسيا ومنضبطا في شهواته . استنادا الى قوله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى سورة النازعات /40-41

3- اكد القران الكريم على بناء الانسان المسلم مهتدي بأخلاق الرسول محمد (ص) في الصدق والأمانة. الشجاعة. الصبر. التعاون. الاخاء بين المسلمين. التواضع. الكرم والسخاء .... الح استنادا الى قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ سورة القلم /4)

4- اكد القران بناء الانسان المسلم الذي يكسب معيشته عن طريق العمل استنادا الى قوله تعالى ((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ{ سورة الجمعة / 10)

5- اكد القران الكريم على بناء الانسان المسلم نشيطا في الحياة بعمل الصالح استنادا الى قوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) سورة الزلزله :7

اهداف بناء الانسان المسلم في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية :

من المعلوم ان الاسرة المسلمة لها دور كبير في بناء الانسان المسلم في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية: تكمن أهميتها :- قام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وهي:-

اولا:- بناء الانسان المؤمن :-

من المعلوم ان الهدف الأساسي للإسلام هو بناء الانسان والمجتمع المؤمن : اي ان الشريعة اكدت على رفض عباده الانداد . بل على عباده الله الواحد الاحد . الفرد الصمد. استنادا الى قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ{2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4} سورة الاخلاص / 4) وقوله تعالى 0 (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{162} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ{163} **سورة الانعام / 162-163)**

وفي ضوء ما تقدم ان عباده الله الواحد سبحانه وتعالى . هو طريق الأخوة والرحمة والحرية الكاملة التي تنقذ الانسان من الشرك الذي يؤدي الى سيطرة الطواغيت والجبارة . لذا فان الشريعة الإسلامية اعتمد على نظام روحي متوازن في الجمع بين (الروح والمادة والدنيا والأخرة) ولا يؤدي الى الإرهاب التي نهى غنها القران الكريم استنادا الى قوله تعالى (اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة الحديد : 27

وبذلك ساهم الاسلام والشريعة الإسلامية في بناء الانسان والمجتمع الاسلامي بطاقة روحيه اعتمدت على التوحيد وعدم الشرك به

ثانيا:- بناء الانسان الفاضل :-

لقد اكد الإسلام على تهذيب غرائز الانسان وانقاذها من الانحرافات السلوكية والامراض النفسية. وبذلك حرمت الفواحش بأنواعها استنادا الى قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ

لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ سورة الاعراف / 32 (**عبد الحميد :2000**) وفي ضوء ما تقدم ضبطت الشريعة الإسلامية السلوك الانساني من الامراض النفسية والعقوبة من خلال تكوين الانسان والمجتمع الفاضل الذي يؤمن بالقيم الأخلاقية الفاضلة من خلال ايجاد مؤسسات تربوية واجتماعيه وعلميه وتربوية تتعده بتهذيب النفس . استنادا الى قوله تعالى (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{ سورة ال عمران /104

ثالثا:- بناء الانسان العامل :-

من المعلوم ان الشريعة الإسلامية اكدت على ان الانسان مستخلف في الارض يثاب بعمله . وكذلك المجتمع الاسلامي العامل . استنادا الى قوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{1} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُسورة ال عمران /102

وفي ضوء ما تقدم ان الاسلام جعل المعيار الحقيقي في الحياه هو العمل الصالح. فان الله يبارك فيه . وبذلك يعد العمل الصالح ركنا اساسيا في الجيأة وجعل العمل والجب استنادا الى قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**{97}** سورة النحل / 97 . وكذلك قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ **سورة التوبة /105** وبناءا على ما تقدم لم يكتف الاسلام بدعوة الناس الى العمل فحسب بل جعله نظاما له اصوله وقواعده في تحقيق العدالة الشاملة في المجتمع وذلك بإيجاد فرص للعمل الشريفة متكاملة يستفيد من الامه الإسلامية من استثمار طاقاتها في بناء الحضارة الإنسانية ورفض البطالة في المجتمع . استنادا الى قول الرسول الاعظم محمد (ص)(**اليد العليا خير من اليد السفلى**) التخريج : أخرجه البخاري (1427)، ومسلم (1034)، وكذلك قوله (ص) (الا يأخذ احدكم حبله . فيأتي بحزمه حطب على ظهره فيبيعها . فيكف الله بها وجه . خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب الاستعفاف عن المسألة

رابعا:- بناء الانسان العالم :-

من المعلوم ان الشريعة الإسلامية اكدت على بناء الانسان والمجتمع العالم . اي يتسم بالعلم والابداع والمنهج العلمي الذي يكتشف اسراه الحياه ويمقت العقلية الاجتماعية الخرافية والجهل . فالعقلية العلمية الإبداعية المعتمدة على المنهج العلمي هي التي تقود انبائها نحو بناء الحضارة الإنسانية **(عبد الحميد :2000)** وفي ضوء ما تقدم اكد القران الكريم على اكتشاف الاسرار الكون استنادا الى قوله تعالى (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ{سوره يونس /101 وكذلك قوله تعالى 0آياته(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ{22}. سورة الروم /22 وقوله تعالى 0(إِنَّمَا

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌسورة فاطر /28 وبناء على ما تقدم . اكدت الشريعة الإسلامية على اقامه شواهد حيه على المنهج العلمي والعقلي الذي يبط الانسان والمجتمع استنادا الى قوله تعالى (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ{سورة يونس /36. وبذلك اكدت الشريعه الإسلامية الاخذ بالدليل والنظر ودعت الى التدقيق في الكون والشاهد . استنادا الى قوله تعال (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{20} سورة العنكبوت /20) اي استخدام الحواس . كالمسمع، البصر والعقل ..

خامسا:- بناء الانسان العادل :-

من المعلوم ان الشريعة الإسلامية اكدت على بناء الانسان والمجتمع العادل . فقد كرم الله سبحانه وتعالى الانسان وجعله خليفته في الارض ليحكم بالعدل والقسط ولا يظلم . استنادا الى قوله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً{سورة الاسراء /70 . وفي ضوء ما تقدم جعل الله الله سبحانه وتعالى العدل قانون الهي في الارض وكذلك المساواة بين الناس ورسم القران الكريم نظاما العدل والمساواة في المجتمع الاسلامي . استنادا الى قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{سوره الحجرات /10 وكذلك قوله تعالى 0 يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم سورة الممتحنة /8 (عبد الحميد:2000)

<u>خصائص بناء المجتمع الإسلامي في ضوء القران الكريم</u>

من المعلوم ان بناء المجتمع الإسلامي الموحد في ضوء القيم الأخلاقية مستمدة من القران الكريم وسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامه الإسلامية . وقد قام الباحث باستنباطها من القران الكريم وعرضها بالشكل الاتي

<u>خصائص بناء المجتمع الاسلامي</u> :-

1. مجتمع يوحد الله وطاعة الرسول محمد (ص) وقوله تعالى (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)(, **سورة النساء :59)**
2. يقدس الدين والقيم الاخلاقية , اي الايمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الاخر والقضاء والقدر استناد إلى قوله تعالى محمد (ص) (ولما سئل النبي عن معنى الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر, وتؤمن بالقدر خيره) (رواه مسلم والبخاري).
3. يحترم العلم ويقوم على طلب العلم ويعد طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة , حيث ان العلم هو الطريق الموصل الى الله والى الهداية ليكون اهلا لخلافة الله في ارضه استنادا الى قول انس بن مالك قال (:

قال رسول الله محمد(ص): (طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب» الشيخ عبد المحسن العباد–سنن ابن ماجه–028–11

4. يواكب التغيير والتطور إن التغيير في القرآن يرتبط بمفهوم الثورة إلى حد كبير، لا يقبل بالواقع المرير، مما يجعل الإنسان يؤكد القرآن الكريم، على كفاح الأنبياء عبر التاريخ الانساني. استنادا الى قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(سورة الانفال : 53)

5. يقدر العمل والمال ويجعل المال وظيفية اجتماعية, وان المال مال الله , وان البشر يستخلفون فيه, لذا يجب مراعاة مصادر الكسب ومصادر الانفاق واخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين افراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات في صالح الاسلام والمسلمين استنادا الى ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة الحديد :7.) **(الزبيدي :- 2018)**

6. نظام اجتماعي يقوم على العدل والمساواة بين الافراد بدون تفرقة اي بعيد عن الجنس واللون والمراكز الاجتماعي يحترم العلاقات الدولية التي اساسها احترام حقوق الانسان وعدم العدوان والتأكيد على التعاون في كل خير , مع رفض الذلة في النفس او التفريط في الحقوق وتوجب على المسلمين أن يقيموا العدل بين الناس دون النَّظر إلى لغاتهم، أو أوطانهم، أو أحوالهم الاجتماعيَّة، فالعدل بين المتخاصمين، والحكم بالحقّ، لا ينظر إلى المحكوم لهم إن كانوا أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء، عمالاً أو أصحاب عمل، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة المائدة :8)

7. يرفض الظلم والطغيان وعباده الاصنام والاوثان . والاخلاص في عباده الله وحده . والايمان برساله محمد (ص) لانقاض البشرية . والصلاة بخشوع تقربا لله جل ثنائه . واعطاء الزكاة للفقراء والمحرومين والمحتاجين برغبه قلبيه ونفس راضيه وحجج بيت الله الحرام للقادر واصلاح شؤون الناس والنهوض بالبلاد الإسلامية من خلال القضاء على الجهل والفقر والمرض والظلم الاجتماعي والقضاء على التنازع والصراع والخلافات الطائفية وجعل المصلحة العامة فوق المصلحة الشخصية وعلية فان المجتمع الاسلامي هو مجتمع (ما يتمسك به الاسلام والمسلمين كامة خير وفلاح بعيدة عن الغلو والتطرف والارهاب كافكار جاء به الجالون من كذب في تشويه تاريخ وحضارة الاسلام. .استنادا الى قوله تعالى (. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، «سورة الاعراف : 47 فالشريعة الاسلامية تحث على العدل والتعاون وتنهى عن الظلم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...)، «(سورة النحل : 90)

دور المجتمع الإسلامي في بناء الاسرة المسلمة في في ضوء القيم الأخلاقية الاسلامية الفاضلة :-

من المعلوم ان الاسرة المسلمة لها دور كبير في بناء المجتمع الإسلامي في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة :- من خلال :-

- تبني الاسرة المسلمة المجتمع الإسلامي وفق القيم الأخلاقية الإسلامية الواردة في القران الكريم وهي (وهي (العدالة الاجتماعية. الحرية. الاخاء والمساواة. التعاون. الاتحاد. تحسين احوال الفقراء والعطف على الضعفاء من الرجال والنساء ومعالجه المرضى. وحسن ومعاملتهم. وكذلك بر الوالدين، وصله الرحم. والعطف على اليتامى، ومراعاه حقوق الجار. والاحسان الى المحرومين. والايثار والصدق في القول واداء الأمانة والاخلاص في القول والعمل والدفاع عن المظلوم والعفو والصفح والتسامح عند المقدرة والوقوف بجانب الحق والوفاء بالعهد والوعد. وكذلك حرم الاسلام (الفقر .الزنا , وشرب الخمر ولعب الميسر والقمار . والتعامل بالربا. السرقة. واكل مال اليتامى والاعتداء على الضعفاء ... الخ **(الابراشي : 1974)**
- تبني الاسرة المسلمة المجتمع الإسلامي معتمد على الايمان بالعقيدة الإسلامية وهي أصول الدين (العقيدة الاسلامية :-(ا-التوحيد ب- النبوة ج-الامامة د- المعاد هـ- العدل) وكذلك الشريعة الإسلامية (1 -العبادات 2- المعاملات وتشمل (العقود . الايقاعات. الاحكام) والتعاليم الأخلاقية وتشمل (الواجبات على الانسان المسلم -) **(الفضلي :عبد الهادي :3013)**
- تبني الاسرة المسلمة المجتمع الإسلامي وفق مفاهيم الوحدة الإسلامية. استنادا الى قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ سورة ال عمران 110 وكذلك قوله (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ سورة ال عمران 103 وكذلك قوله تعالى (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ سورة الأنبياء : 92

المبحث الثالث

طبيعية الفجوة الرقمية (التقنية الرقمية) بين الدول وطرق واثارها علي القيم الأخلاقية الاسرية في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية والطرق المقترحة في سدها وضم:- محورين هما

المحور الأول: - طبيعة الفجوة التقنية الرقمية بين الدول واثارها(السلبية والإيجابية) :-

ويرى الباحث ان الفجوة في التقنية الرقمية لها عدة أنواع. وأسباب. وعناصر. وتأثير في عدة مجالات ومخاطر. وطرق مقترحة في سدها لذلك قام الباحث بعرضها بالشكل الاتي

(أولا:-) انواع الفجوة في التقنية الرقمية بين الدول :-

قام الباحث باستنباطها وعرضها بالشكل الاتي:-

1. **فجوة الوصول :(Access Divide)** وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على التفاوت في القدرة على الوصول المادي إلى البنية التحتية الرقمية المعلومات والاتصالات، مثل شبكات الإنترنت واسعة النطاق والأجهزة الرقمية **(حواسيب، هواتف ذكية).**
2. **فجوة الاستخدام :(Usage Divide)** وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على التفاوت في الوصول، الى كيفية الى المهارات الرقمية ، ومدى صلة المحتوى الرقمي بحياة المستخدمين، والحافز لاستخدام التقنية.
3. **فجوة المهارات (Skills Divide)** وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على توفير المعرفة الرقميةا لتي تتعلق بالقدرة على استخدام التقنية بفعالية وكفاءة. تشمل المهارات الأساسية لتشغيل الأجهزة والبرامج، والقدرة على البحث عن المعلومات وتقييمها، والتواصل عبر الإنترنت، والحفاظ على الأمن الرقمي.
4. **فجوة الجودة :(Quality Divide)** وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على توفير الفروقات في جودة الاتصال من حيث (سرعة الإنترنت، الاستقرار)، ونوعية الأجهزة المستخدمة، ومدى تطور البرمجيات والتطبيقات المتاحة.

5-الفجوة في المحتوى ((Content Gap وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على توفير وحدة المحتوى الرقمي المتاح والمتمثل باستخدام اللغات المختلفة ومجالات تطبيقها اما الدول التي لأتملكه المحتوى فهي تعاني من صعوبات الحصول على المحتوى الرقمي الملائم المفيد بلغه الام وفهم واستخدامه بشكل صحيح

6-الفجوة في الفرص والمشاركة ((Opportunity Gap وهي التفاوت من حيث قدرة الافراد والمجتمعات والدول على توفير الفرص المتاحة للاستفادة من المشاركة في الاقتصاد العالمي الرقمي من حيث الحصول على فرص العمل والتعليم والتجارة الإلكترونية والابتكار في الطرق التقنية. اما الدول التي لا تمتلكه هذه الفرص فهي تعاني صعوبة الحصول على المشاركة بسبب ضعف التعليم وضعف فرص العمل وضعف في التجارة الإلكترونية الرقمية في العالم . **https://www.google.com/search?q**

وتأسيسا على ما تقدم . ان الفجوة التقنية الرقمية بين الدول تكاد تكون واضحة في الدول النامية وبين الدول المتقدمة

بوضوح صارخ. فبينما تتمتع الدول المتقدمة ببنية تحتية متطورة، ومعدلات انتشار عالية للإنترنت، ومستويات متقدمة من المعرفة الرقمية، بينما لا تزال الدول النامية تكافح لتوفير الوصول الأساسي للأفراد والجامعات والمؤسسات الى ردم هذه الفجوة في مجال اتاحة الفرص الاقتصادية والتعليمية، ولكن تجد صعوبة أكبر في مواكبة الاقتصاد الرقمي العالمي والاستفادة من إمكانياته الهائلة. يؤدي هذا إلى تفاقم عدم المساواة العالمية مما تعرقل جهود التنمية المستدامة في الدول النامية

(ثانيا) :-أسباب الفجوة التقنية الرقمية في الدول النامية:-

من الملاحظ ان هناك أسباب متعدد ومتداخلة معقدة ولكن يمكن اجمال هذه الأسباب بعدة مؤشرات وتحديات:

1. **<u>العوامل الاقتصادية:</u>**- تعاني الدول النامية في المستوى الاقتصادي للأفراد والدول. في ظل تطور التقنية الرقمية مرتفع تكلفة الأجهزة والاشتراك في خدمات الإنترنت يشكل عائقاً كبيراً أمام ذوي الدخل المحدود والمجتمعات الفقيرة. كما أن ضعف الاستثمار في البنية التحتية الرقمية في الدول الأقل نمواً يفاقم المشكلة.
2. **البنية التحتية:** تعاني الدول النامية ضعف في البنية التحتية للاتصالات، بخاصة في المناطق الريفية والنائية، مما يحد من إمكانية الوصول إلى الإنترنت عالي السرعة. والتكلفة
3. **التعليم ومحو الأمية الرقمية تعاني الدول النامية:** نقص المهارات اللازمة لاستخدام التقنية بفعالية وبذلك يمثل عائقاً كبيراً عند توفر الوصول. الى التقنية الرمية وبخاصه وجود الأمية التقليدية مما يزيد في صعوبة اكتساب المهارات الرقمية.
4. **العوامل الاجتماعية والديموغرافية:** تعاني الدول النامية ضعف في العوامل الاجتماعية والديمغرافية (فجوة بين الأجيال)، في العمر والنوع الاجتماعي (بين الجنسين)، والموقع الجغرافي (بين الحضر والريف)، والمستوى التعليمي.
5. **السياسات والتنظيمات تعاني الدول النامية:** ضعف في السياسات الحكومية في الدول النامية في نشر وتعزيز التقنية الرقمية، مما يعيق توسيع نطاق الوصول والنفوذ والاستخدام وتوليد المعرفة التكنولوجية والالكترونية في التقنية الرقمية

6. **المحتوى واللغة. تعاني الدول النامية** ضعف في المحتوى الرقمي المتوفر باللغات المحلية والاحتياجات الثقافية في التقنية الرقمية في استخدام الإنترنت لبعض الفئات المجتمع وكذلك بين الريف والمدينة (https://www.google.com/search?q=1).

(ثالثا) أسباب حدوث الفجوة التقنية

ويرى الباحث علاء الدين سراج الدين ان أسباب حدوث الفجوة التقنية الرقمية في الدول النامية تعود الى عدة أسباب وهي :-

1- **تخلف البنية الاقتصادية والاجتماعية:** اي تخلف البنية الاقتصادية والاجتماعية وهو ان المستوى التقني المتخلف في الميادين الإنتاجية مما يجعل انتاجية العمل متدنية ولا يلبي الحاجات كافة ويقلص من امكانية التراكم الاستثماري ويزيد الوضع تأزما.

2- **التخلف التكنولوجي:**-لقد ادت ثورة العلم والتكنولوجيا الى حدوث تطور سريع في بروز عدد من التكنولوجيات الجديدة التي ادت الى تأثيرات واضحة في مجالات العمل التكنولوجي ولاسيما ان هذه التغيرات أدت الى تفاقم الفجوة التكنولوجية نحو اقتصاد المعرفة وتزايد تركيز توليد التكنولوجيا المتطورة في عدد قليل من الدول وتعاظم قيمة المعرفة وتناقص في اهمية المواد الاولية

3- **التخلف المعلوماتي:** من المعلوم ان الانفجار المعرفي وهي المحور الرئيسي للنمو الاقتصادي حيث تسعى الدول لتأمين المعلومات السريعة واستثمارها في التنمية بينما الدول الأقل تعاني من تخلف في استثمار فرص الوصول للمعلومات فالتشغيل تهيمن عليها الدول المتقدمة (جاوش : 2008 ص 125-132)

(رابعا) :- عناصر الفجوة التقنية الرقمية بين الدول النامية والمتقدمة :-

_انظر الى المخطط رقم(1) يمثل عناصر الفجوة التقنية الرقمية بين الدول النامية والمتقدمة

من المعلوم ان عناصر الفجوة التقنية الرقمية تمثل الدورة الكاملة لاكتساب المعرفة والتي تشمل النفاذ الى المعلومات وتنظيم المعلومات واستخلاص المعرفة وتطبيق المعرفة الجديدة فضلا عن عناصر صناعة المعلومات والتي تشمل محتوى (-الحدراوي ،حامد كريم ،وسجاد محمد عطية : 2013 ص 115)

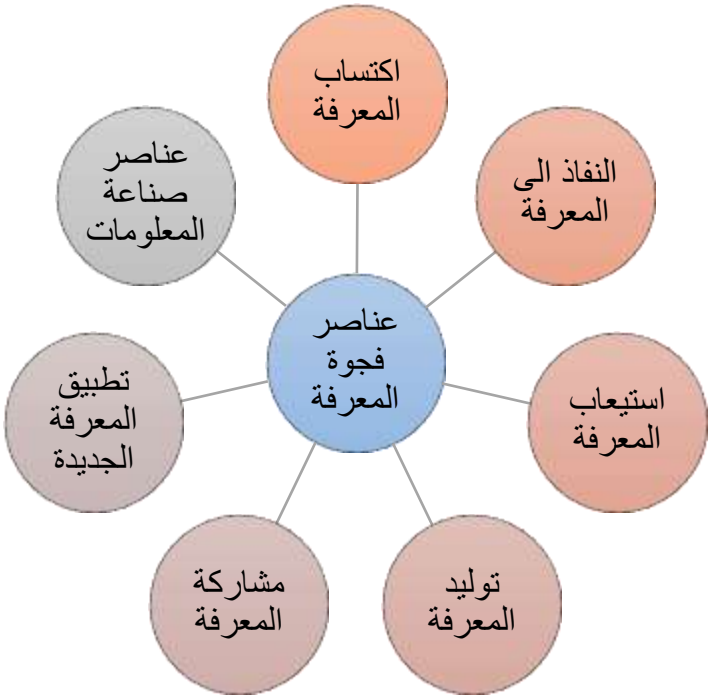

(خامسا) :-تأثيرات الفجوة التقنية الرقمية بين الدول النامية والمتقدمة :-

من المعلوم ان تأثير الفجوة التقنية الرقمية بين الدول المتقدمة فهي التي تمتلكه (التقنية الرقمية) بينما الدول النامية التي لا تمتلكه التقنية الرقمية أصبحت هناك فجوة تسمى الفجوة التقنية الرقمية ببين الدول المتقدمة والدول النامية . حيث ان تاثير التقنية الرقمية في الدول المتقدمة وهو توفير التكنولوجيا الرقمية المتمثل بالاتصالات (شبكة الانترنت – الأجهزة المحمولة – شبكة التواصل الاجتماعي – الذكاء الاصطناعي وتعدد والوسائط الذي ساهم بوجود الاختراعات والاكتشافات والابداع في زيادة المعرفه والمعلومات والذكاء الاصطناعي وتعدد الوسائط في زيادة الإنتاج واحتكار السوق العالمية في التنافس في مجال المحيط إلكتروني فيزيائي الذي ساهم في إعادة النظرة الشاملة في طريقة عمل الموارد وطرق التصنيع. والصناعة في عصر الثورة الرقمية والعالم الافتراضي،

وفي ضوء ما تقدم اوجد الإبداع والابتكار في الكفاءة وأمان ودقة. المعلومات والبيانات التي تشمل التأثيرات الثلاثة الرئيسية للتقنيات الرقمية على العالم الصناعي من خلال: تحسين الأداء أو الإنتاجية والمرونة، وإعادة التنظيم الضخمة لسلسلة التوريد والتخصيص الشامل للتقنية الرقمية

وبناء على ماتقدم اثرت التقنية الرقمية الى خلق فجوة في مجالات عدة بين الدول المتقدمة والدول النامية في عدة مجالات (المعرفي –المعلوماتي – التكنولوجي. الاقتصادي والاجتماعي والتنظيمي والسياسي والصحي والتعليمي وحتى العسكري...الخ –.

(سادسا) تأثير الفجوة التقنية بين الدول في المجالات المختلفة :-

ويرى الباحث ان تأثير الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية. سوآءا بالإيجاب والسلب وانعكاسها في القيم والعادات الأخلاقية ومنها الإسلامية.

وقام الباحث بعرضها اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم و المجتمع الإسلامي وذلك في عدة مجالات . انظر الى المخطط رقم (2) يمثل تأثير الفجوة على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي في وانعكاسها على القيم الأخلاقية الإسلامية وفي غدة مجالات : وقام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وعرضها بالشكل الاتي :-

(اثار الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي في المجالات ختلفة)),

(1) المجال المعرفي :-اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي:-

لقد عرفت الفجوة التقنية المعرفية بانها مصطلح يعبر عن التفاوت في المعرفة بين الفئات الاجتماعية نتيجة للاختلاف الكمي والنسبي واختلاف السرعة في الوصول للمعلومات عبر الوسائل والمصادر المختلفة اذ ان استخدام المعرفة يعزز السرعة في اكتساب المعلومات مما يؤدي الى حدوث فجوة بين الذين يملكون القدرة على الوصول الى المعلومات والذين لا يمتلكون ذلك فلا يوجد مدى معينا لتوسع تفاضلات المعرفة **(SUSAN B. NE UMAN) /2013 (**

لقد اثرت الفجوة التقنية الرقمية بين الدول المتقدمة بانها تمتلك المعرفة والمعلومات والتطور والمعلوماتية الهائلة من وسائل اتصال ومعلومات مثل برامج الحاسبات وشبكات الانترنيت الدولية وغير ذلك من تقنيات سمعية وبصرية ومن المتوقع أن تشغل هذه المستجدات حيزا كبيرا من اهتمامات أفراد الأسرة اما بالنسبة للدول النامية

(2):- المجال (المعلوماتية التكنولوجية, الالكترونية والاتصالات) اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد عرفت الفجوة التقنية الرقمية من قيل سعد الانصاري وصالح مهدي) بانها تتضمن الفجوتين الرقمية والتكنولوجية وتعبر عن ما يجب معرفته من المعلومات وعن الفرق بين المعرفة المتوقع زيادة الطلب عليها والمعرفة المتوافرة فعلا وتقدر بالاعتماد على متغيرات اساسية كالتعليم والانفاق على انشطة البحث والتطوير وبنية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تعد متغيرات اساسية لقياس حجم الفجوة المعرفية.(**(الانصاري ، سعد ،وصالح مهدي. 2013).**

(3):- المجال الاقتصادي:- اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد اثرت الفجوة التقنية الرقمية الى حدوث مشاكل في العمليات التجارية ولاسيما في الوظائف والمهن فقد ظهرت تقنيات الالكترونية ساهمت في زيادة الإنتاج الالكتروني في الدول المتقدمة اما الدول النامية فقد زادت معدلات البطالة والفر في الدخل مما قلل الموظفين قليله الخبرة في مجال التقنية الرقمية التي اعتمدت عللا الاتمة والذكاء الاصطناعي في العمليات التجارية التي ساهمت في رفع مستوى عملياتها، وهي تشمل التسويق الرقمي وإدارة البيانات وتكنولوجيا التجارة الإلكترونية وتكنولوجيا المعلومات. مما يعزز الابتكار وزيادة الإنتاجية وتوفير فرص عمل جديدة . وبالتالي يؤدي الى تحسين الخدمات في وصول تلك الخدمات الى المواطنين

(4) :- المجال الاجتماعي:- اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد ساهمت تطور التقنية الرقمية في الدول المتقدمة بالتوصل بين الأفراد في أي وقت ومن أي مكان؛ بالاتصال الافراد والجماعات في محيط الكرة الأرضية الالكترونيا من خلال وجود شبكات التواصل الاجتماعي مع استخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر بينما تجري في الدول النامية إلى ظهور العزلة الاجتماعية في بيئة الاسرة

(5) :- مجال التعليم والتدريب اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

من المعلوم ان التقنية الرقمية ساعدت على ظهور المستجدات والمستلزمات التربوية والتعليمة في الدول المتقدمة ومنها :-

- **ظهور الكتب الالكترونية: تُعد** الكتب الإلكترونية هي البديل عن الكتب المطبوعة التقليدية، ومع ظهورها تمكن المستخدمين من استخدام جهاز محمول في الوصول إلى عدد من مواد القراءة، كما أنها تتيح للقارئ تغيير حجم الخط، وهو ما لا توفره الكتب المطبوعة. باتت الكتب المدرسية الرقمية هي البديل المناسب للكتب المدرسية الورقية التقليدية، إذ يُقدم المحتوى الدراسي على كتب بصيغة PDF والتي يمكن تحميل المئات منها على جهاز واحد، كما أنها ليست عُرضة للتمزق مثل الكتب التقليدية

➢ظهور **الكمبيوتر التعليمي:** – ظهر هذا النوع من التعليمي في قطاع التعليم مثل التعليم القائم على الكمبيوتر وأدوات التعلم التفاعلية والأنظمة السمعية والبصرية والموارد عبر الإنترنت، وهو ما أحدث ثورة في طرق تعلم الطلبة والتدريس

➢**ظهور البرامج والاتصالات** :– ظهرت هذه البرامج والاتصالات السلكية واللاسلكية، والتي ساهمت بها الشركات في تخزين البيانات وإرسالها واستردادها بسهولة..

➢**ظهور برامج التعلم التفاعلي :– وهي** برامج التعلم التفاعلي في التطبيقات التعليمية والمحاكاة والألعاب المصممة لإشراك الطلاب، إلى جانب تعليمهم المفاهيم الأساسية، مما ساعدهم على فهم الموضوعات بشكل أعمق وافضل

➢**ظهور نظم إدارة التعلم:** – من المعلوم ان نظم إدارة التعلم هي عبارة عن منصات رقمية تدير المحتوى والموارد التعليمية بطريقة سهلة، وتمكن المعلمين من تنظيم مواد الدورة والتقييمات والتواصل مع الطلبة في مكان واحد.

➢**ظهور الفصول الدراسية الذكية:**– وهي الصفوف التي تعتمد على استخدام أجهزة رقمية ذكية وهي اللوحات الرقمية التفاعلية أو أجهزة التلفزيون الذكية أو الألواح البيضاء الرقمية أو أجهزة العرض الذكية، وهي أدوات تساعد على خلق بيئة تعليمية تفاعلية

➢**ظهور التطبيقات التعليمية :– ان** لتطبيقات التعليمية هي تطبيقات الإلكترونية يستخدمها الطلبة للوصول إلى المعلومات التي يحتاجون إليها، مثل تطبيقات تعلم اللغة والرياضيات إلى جانب تطبيقات التعلم الشاملة، وجميعها متاحة على الأجهزة اللوحية والهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر.

(6):– المجال الصحي :– اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد اثرت الفجوة التقنية الرقمية الى حدوث مشاكل صحية نتيجة استخدام التقنية الرقمية التي تشمل أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية والإنترنت التي اصبح جزء من حياتنا اليومية مما أدى الى استخدامها المفطر الى حدوث مشاكل صحية جسدية، مثل اضطرابات النوم وعدم وضوح الرؤية وآلام العضلات ....الخ

(7) المجال السياسي والتنظيمي اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد ساهمت تطور التقنية الرقمية في الدول المتقدمة بالتوصل بين الأفراد وتمكين المواطنين المخلصين بالاشتراك في تطوير الوطن وتطبيق عمل الشفافية في مؤسسات الدوله وخلق المواطنة الصالحة

(8)ا:– المجال العسكري او الحربي: اثر الفجوة التقنية الرقمية على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي

لقد ساهمت التقنية الرقمية على النمو السريع في التكنولوجيا الرقمية في الدول المتقدمة في تصنيع واستخدام أسلحة الدمار الشامل في شن الحروب، مثل استخدام الذكاء الاصطناعي في صناعة الطائرات دون طيار لشن هجمات عن بُعد على أهداف العدو=https://www.google.com/search?q

(سابعا) مخاطر استمرار الفجوة التقنية الرقمية في الدول النامية :-

يؤدي استمرار الفجوة التقنية الرقمية إلى تفاقم المشكلات وتحديات القائمة ومنها :-

1. **عدم المساواة** :أي عدم المساواة في المجال الاقتصادي والاجتماعي في مجال امتلاك التقنية الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية
2. **الإقصاء من سوق العمل** :أي ظهور الاقصاء في سوق العمل مما يساعد على عدم الحصول على الوظائف وهدر في الموارد الاقتصادية والكساد
3. **عرقلة التنمية: الشاملة** أي عرقه خطط التنمية الشاملة التي تعتمد على تنمية الموارد البشرية والموارد الأولية مما يعيق خطط وبرامج التنمية المستدامة للدول النامية وبجعلها دول متخلفه في المشاركة في التنمية الشاملة التي تتطلب استخدام الخطط والبرامج التنموية بالاستفادة من التقنية الرقمية .
4. **الحرمان من الخدمات الأساسية**- : من المعلوم ان التقنية الرقمية تقدم خدمات الالكترونية وتكنولوجية تتميز بالكفاءة واستثمار الوقت وسد الحاجة. وعلية فا حرمان الدول النامية من هذه الخدمات التنقية الرقمية في مجالات الخدمات كالصحة والتعليم والخدمات الحكومية أخرى
5. **فجوة في المعرفة والمهارات**:- أي ان المعرف والمهارات تزداد في مجال التقنية الرقمية التي تحتاج الى مهارات مختلفه بينما الدول التي لاتمتلكة هذه المهارات تعد عاجزة من توفر المعرفه والمهارات مما تخلق الفجوة بينتها وبين الدول المتقدمة (https://www.google.com/search?q=

اثار الفجوة التقنية الرقمية على القيم الاسرية في ضوء القيم الأخلاقية في الدول النامية السلبية وهي :- قام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وعرضها بالشكل الاتي :-

- انتشار الجريمة الالكترونية – الابتزاز الالكتروني
- تمجيد العنف والقتل والارهاب
- ظهور الادمان الالكتروني. بين أفراد العائلة نتيجة التواصل المستمر على شبكة الانترنت ورد على الرسائل الالكترونية مما يؤدي في النهاية إلى حالة الإدمان الالكتروني
- فتور العلاقات الزوجية:- وذلك بسبب توجه الزوج لغرف الدردشة- مثلاً- وتفضيلها على الجلوس مع زوجته والتحدث معها مباشرة ، إذ إن هذه الغرف قد تسببت في حدوث طلاق من نوع جديد يعرف باسم (الطلاق

العاطفي) وهذا النوع من الطلاق يحدث عندما يجلس احد الزوجين مما يؤدي الى التفكك في العلاقات الاسرية وبالتالي الى الطلاق

➢طهور المجتمع الافتراضي. الذي اوجده التواصل الاجتماعي في استخدام شبكة الانترنت الذي يتكون هذا المجتمع من يدخل هذه الشبكة مما ينقل القيم والعادات وتقاليد هذا المجتمع اثر على النتشة الاجتماعية مستقبلا وغيرها ،

➢طهور التفكك الاسري والطلاق وظهور الامراض النفسية والجسدي بكل اشكاله نتيجة التواصل مع الشبكة العالمية

➢ظهور مشاكل صحية نتيجة استخدام التقنية الرقمية التي تشمل أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية والإنترنت التي أصبح جزء من حياتنا اليومية مما أدى الى استخدامها المفطر

(ثامنا) اثار الفجوة التقنية الرقمية على القيم الاسرية في ضوء القيم الأخلاقية في الدول النامية الايجابية

وهي:– قام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وعرضها بالشكل الاتي :–

✓تعليم الاسرة معلومات ومفاهيم جديدة تواكب الحياة اليومية في رسم معالم التطور والتمدن البشري

✓ظهور أفكار ومهارات جديدة (مرغوبة) فالمرغوبة تساير القيم والاهداف التربوية وتلائمها مع طبيعة المجتمع المتقدم

✓استخدام المعرفة يعزز السرعة في اكتساب المعلومات والقدرة على الوصول الى المعلومات

✓زيادة الطلب على المعرفة بالاعتماد على متغيرات اساسية كالتعليم والانفاق على انشطة البحث والتطوير وبنية تكنولوجيا المعلومات

✓ظهور الوظائف والمهن ذات تقنيات الالكترونية تساهم في زيادة الإنتاج الالكتروني للدوله

✓اعتمدت على الاتمة والذكاء الاصطناعي في العمليات التجارية التي تساهم في رفع مستوى عمليات التسويق الرقمي وإدارة البيانات وتكنولوجيا التجارة الإلكترونية وتكنولوجيا المعلومات

✓توفر الكتب المدرسية الرقمية للقارئ وكذلك تغيير حجم الخط، واحداث التعلم التفاعلية واستخدام الأدوات السمعية والبصرية والموارد عبر الإنترنت مما تساعد في تخزين البيانات وإرسالها واستردادها بسهولة. .وادارة نظم التعلم واستخدام منصات رقمية تدير المحتوى والموارد التعليمية بطريقة سهلة واستخدام أجهزة رقمية ذكية وهي اللوحات الرقمية التفاعلية أو أجهزة التلفزيون الذكية أو الألواح البيضاء الرقمية أو أجهزة العرض الذكية تطبيقات تعلم اللغة والرياضيات إلى جانب تطبيقات التعلم الشاملة

✓تصنيع واستخدام أسلحة الدمار الشامل في شن الحروب، مثل استخدام الذكاء الاصطناعي في صناعة الطائرات دون طيار لشن هجمات عن بُعد على أهداف العدو

✓استخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر في خطط وبرامج التنمية المستدامة للدول النامية

✓ا استخدام الخدمات التنقية الرقمية في مجالات كالصحة والتعليم والخدمات الحكومية أخرى

(تاسعا) طرق مقترحة في سد الفجوة التقنية الرقمية من قبل الدول المتقدمة الى الدول النامية

قدمت الدول المتقدمة مقترحات في سدة الفجوة التقنية الرقمية للدول النامية وهي مستمدة من تجاربها.

وقام الباحث بعرضها بالشكل الاتي :-

1. **توفير البنية التحتية الرقمية** :- اي يجب العمل على توفير البنية التحتية الرقمية المناسبة، التي تشمل شبكات الإنترنت عالية السرعة والمتاحة للجميع. يمكن تحسين الوصول إلى التكنولوجيا الرقمية من خلال توفير شبكات اتصال قوية وتوسيع نطاق التغطية اللاسلكية والألياف البصرية في المناطق النائية والمحرومة
2. **تقليل تكلفة الوصول** :-**أي** يجب تخفيض تكلفة الاتصالات والأجهزة الرقمية، بما في ذلك الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية وأجهزة الكمبيوتر. كما يمكن تحقيق ذلك من خلال تعزيز المنافسة في سوق الاتصالات وتقديم حلول اقتصادية بديلة مثل الشبكات الاجتماعية المجانية والهواتف المحمولة ذات التكلفة المنخفضة.
3. **التركيز على التعليم والتدريب** :-**اي** يجب تعزيز التعليم والتدريب على التكنولوجيا الرقمية وتعزيز المهارات الرقمية لدى الأفراد. وذلك من خلال تضمين المهارات الرقمية في المناهج التعليمية وتقديم برامج تدريبية وتثقيفية للشباب والبالغين في مختلف المجالات. وتوفير أدوات تعليمية وفرص تعلم عن بعد مما يعزز الفهم لدى المتعلم
4. **توفير التطبيقات والمحتوى عبر الإنترنت** :- **اي** يجب توفير محتوى رقمي ملائم ومتاح بلغات مختلفة ولمختلف الفئات العمرية والثقافات. عن طريق ترجمة المحتوى إلى لغات متعددة وتطوير محتوى تعليمي وتثقيفي متنوع يلبي احتياجات الجميع.
5. **تشجيع الابتكار المحلي : اي** يجب تشجيع الابتكار المحلي وتطوير حلول تكنولوجية محلية لتلبية احتياجات المجتمعات المحلية. عن طريق دعم الشركات الناشئة والمبتكرين المحليين وتوفير منصات لعرض وتبادل الأفكار والمشاريع التق
6. **محو الأمية الرقمية**:-**اي** يجب تعزيز الوعي بأهمية التكنولوجيا الرقمية وفوائدها وكيفية استخدامها بشكل آمن وفعال. وذلك من خلال إقامة حملات توعية وتثقيف في وسائل الإعلام والمدارس والمجتمعات المحلية

https://www.google.com/search?q=%

المحور الثاني:- دور القيم الاسرية المسلمة في ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة بالوقوف ضد الفجوة التقنية الرقمية وتوظيفها في المناهج الدراسية

قام الباحث باستنباطها من عدة ادبيات وعرضها بالشكل الاتي :-

- غرس القيم القيم العبادية . الفرائض (الصلاة والصوم – والحج – والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك اقامة ترسيخ أصول الدين. القائمة على التوحيد- النبوة – العدل والميعاد – واليوم الاخر. وكذلك ترسيخ العقيدة الإسلامية. أصول الدين (التوحيد- النبوة – العدل والميعاد – واليوم الاخر)
- تعويد الأبناء على ممارسة الشعائر والطقوس العبادية في المناسبات والاعياد الدينية لانها توحد أبناء الامة الإسلامية على ترسيخ القيم الأخلاقية الإسلامية بعيدا عن الغلو والتطرف
- ان يكونا قدوة حسنة في ممارسات العادات والتقاليد الإسلامية (المباحة وغير المباحة) وتعويد الأبناء عليها ولاسيما العادات ((المأكل (الحلال)- الملبس(الحشمة والوقار) – المشرب(الحلال) – الهندام او الجسم النظيف – ونظافة الماوي واحترام الاخرين...الخ والابتعاد عن المحرمات (لحم الخنزير . شرب الخمر والمسكرات – لعب الأقمار. ...الخ
- ان يكونا قدوة حسنة في ممارسة القيم الإسلامية الفاضلة (الصدق. العدل. مساعدة الفقراء والمحتاجين. واحترام الكبير والصغير. الأمانة. المسؤولية. الحرية المنضبطة. التعايش السلمي مع الاخرين. التسامح مع الاخرين. الحوار وقبول الاخر.. وكذلك الابتعاد عن القيم الضارة في المجتمع ومنها (الغيبة. النميمة. السرقة. التجسس. الخيانة. الفساد بكل اشكاله ....الخ
- ان يكونا نموذج في التربية الاسرية وتعويد أبناء على الطهر والعفة والشجاعة والصدق (غضّ البصر، وخفض الصوت، وعدم التبرّج، وعدم الخضوع

اما توظيفها في المناهج الدراسية:- يرى الباحث يمكن وضع برنامج خاصة بها او تدريسها على شكل موضوعات ا و تضمينها على شكل وحدات دراسية وتضمينها في الموضوعات مختلفة في مجال الدراسات الإنسانية او العلمية .

المبحث الرابع: -وضم

أولا:- الاستنتاجات :-

1- ان الفجوة الرقمية أي التقنية الرقمية المتمثلة . بتطور الشبكة الانترنت + الأجهزة المحمولة + وسائل التواصل الاجتماعي + الذكاء الاصطناعي + الوسائط المتعددة – التي خلقت فجوة رقمية بين الدول التي تمتلها والدول التي لا تمتلكها مما اثرت على الحياة بجوانبها المختلفة ويقصد بها الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة

والدول النامية في النفاذ الى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استعمالها في مجالات الحياة المختلفة : وتوليدها من جديد واستثمار ومن ثم احتكارها في السوق العالمية مستخدمته سلاح علمي . تكنولوجيا معلوماتي والالكتروني ضد الدول النامية . مما خلقه فجوة بين الدول التي تمتلها وبين الدول التي لا تمتلكها في مجالات الحياة المختلفة

2- ان الفجوة الرقمية بين الدول خلقت ضعف في العلاقات الاسرة المسلمة وكذلك اثرت على القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الانسان المسلمة والمجتمع الإسلامي التي تستمد مصادرها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامة الإسلامية – أي محافظة على تلك القيم)-

3- ان القيم الأخلاقية الإسلامية وهي مجموعه العادات والتقاليد والمعايير والاهداف العليا التي يؤمن بها الإسلامي. والمتمثلة بالأوامر والنواهي) والمستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح التي تساير طبيعة الانسان المسلم والمجتمع الإسلامي والتي اقرها الشرع الإسلامية ومنها (المباحة وغير المباحة) لابد للإنسان المسلم ان يتمسك بها وكذلك المجتمع الإسلامي ضد سلبيات التقنية الرقمية. **فالاسرة المسلمة** :- هي جماعه من الافراد تربطهم روابط قويه نابعة من الدين الاسلامي ومستمده اصولها من القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة والسلف الصالح وهي اسرة محافظة في تقاليها واعرفها ومتبعة الشريعة الاسلامية بدا من الزواج حتى نهاية العمر لكل افراد الاسرة ومنها تقع المسؤولية على الاسرة المكونه من (الاب + الام + الأبناء) التي تكونت نتيجة الزواج المقدس وفق العقيدة والشريعة الإسلامية التي حددت الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة في تكوينها في ضوء تعزيز القيم الأخلاقية الإسلامية المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصاح وفق الأوامر والنواهي التي امر الله سبحانه وتعالى وكذل وفق العادات والتقاليد (المباحة وغير المباحة) (وهي الأوامر – العبادية – الفرائض والشعائر الإسلامية وهي ا- الصلاة ب- الصوم ج- الحج د-الزكاة هـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله) التي رسمها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامه الإسلامية. وفق العادات الإسلامية وهي (ا-المأكل ب- الملبس ج- المشرب د- المسكن هـ- الهندام و-وممارسة الشعائر الدينية – كالزيارات الى الأماكن المقدسة – والاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى – وممارسة الدعاء في المناسبات ... الخ والابتعاد عن القيم الاخلاقيه المذمومه ((الكذب . السرقة. الاحتيال . الخيانة . النميمة . الوشاية – اللبس غير الشرعي – شرب الخمر والمسكرات. ولعب الأقمار. واكل لحم الخنزير. والسماع الى الغناء الفاحشة. وقد شاعة التقنية الرقمية بعض القيم والعادات المخالفه للقيم الاخلاقيه الإسلامية ومنها

- انتشار الجريمة الالكترونية – الابتزاز الالكتروني

➢تمجيد العنف والقتل والارهاب

➢ظهور الادمان الالكتروني. بين أفراد العائلة نتيجة التواصل المستمر على شبكة الانترنت ورد على الرسائل الالكترونية مما يؤدي في النهاية إلى حالة الإدمان الالكتروني

➢فتور العلاقات الزوجية: – وذلك بسبب توجه الزوج لغرف الدردشة– مثلاً– وتفضيلها على الجلوس مع زوجته والتحدث معها مباشرة ، إذ إن هذه الغرف قد تسببت في حدوث طلاق من نوع جديد يعرف باسم (الطلاق العاطفي) وهذا النوع من الطلاق يحدث عندما يجلس احد الزوجين مما يؤدي الى التفكك في العلاقات الاسرية وبالتالي الى الطلاق

➢طهور المجتمع الافتراضي. الذي اوجده التواصل الاجتماعي في استخدام شبكة الانترنت الذي يتكون هذا المجتمع من يدخل هذه الشبكة مما ينقل القيم والعادات وتقاليد هذا المجتمع اثر على النتشة الاجتماعية مستقبلا وغيرها ،

➢طهور التفكك الاسري والطلاق وظهور الامراض النفسية والجسدي بكل اشكاله نتيجة التواصل مع الشبكة العالمية

➢ظهور مشاكل صحية نتيجة استخدام التقنية الرقمية التي تشمل أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية والإنترنت التي اصبح جزء من حياتنا اليومية مما أدى الى استخدامها المفطر

4– ان الفجوة التقنية الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية اصبح لها تأثيرات (إيجابية . سلبية) واضحة في مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والمعلوماتية والصناعية والتكنولوجية والخدمات في مجال التعليم وتطوير وإدخال الذكاء الاصطناعي في الخدمات الصحية لمعالجة الامراض والخدمات الأخرى والتسريع في عجلة التنمية الشاملة فقد استثمرت الدول المتقدمة في تطوير بلدانها في كل مجالات الحياة وأصبحت تضاهي الدول النامية في الكثير من المميزات اما الجوانب السلبية فقد تركت اثار صحية على المستخدمين ومنها الاتيزاز الالكتروني والجريمة والادمان وظهور امراض العصر المختلفة ما تسمى الامراض الاجتماعية ومنها الغزلة الاجتماعية والادمان وضعف في بنية الجسم إضافة الى ذلك اثرت على القيم الاسرية التي أدت الى احداث التفكك الاسري والطلاق العاطفي وترويج للقيم الأخلاقية السيئة ومنها الانحراف والجريمة ....الخ

ثانيا:– التوصيات والمقترحات لمواجه الفجوة التقنية (السلبية) وهي

1. –ضروه ادخال القيم الأخلاقية الإسلامية لبناء الانسان المسلم وبناء المجتمع الإسلامي في ضوء الفجوة الرقمية في المناهج الدراسية لتوعيه الطلبة بمضمون القيم الإسلامية المحافظة رغم التطور في التقنية الرقمية

2. **3-ضروة ان** تتمسك الاسرة المسلمة بالقيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة التي امره الله سبحانه وتعالى (وهي الأوامر – العبادية – الفرائض والشعائر الإسلامية وهي ا- الصلاة ب- الصوم ج- الحج د-الزكاة ه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله) وكذلك تتمسك الاسرة المسلمة بالعادات والتقاليد المباحة التي رسمها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والسلف الصالح في الامه الإسلامية. من حيق (ا-المأكل ب- الملبس ج- المشرب د- المسكن ه- الهندام و-وممارسة الشعائر الدينية – كالزيارات الى الأماكن المقدسة – والاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى – وممارسة الدعاء في المناسبات واعتماد على الزواج المقدس وليس الزواجي المسمى بالزواج المثلي ... الخ
3. **ضروة** بالابتعاد عن بالعادات والتقاليد الإسلامية المذمومة (الكذب . السرقة. الاحتيال . الخيانة . النميمة . الوشاية – اللبس غير الشرعي – شرب الخمر والمسكرات. ولعب الأقمار. واكل لحم الخنزير. والسماع الى الغناء الفاحشة. الت إشاعة التقنية الرقمية في جانب العادات والتقاليد المباحة وغير المباحة وتوعية الانسان المسلم والمجتمع بمخارطها مستقبل في هدم الاسرة المسلمة

المصادر :-

1. ابراهيم، , التربية وثقافه المجتمع , دار الفرقان , الاردن 1983
2. البدوي , احمد زكي , قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية , مكتبه لبنان , 1977
3. الحدراوي ،حامد كريم ،وسجاد محمد عطية . الفجوة المعرفية بين الدول العربية والاجنبية بحسب منهجية تقييم المعرفة . مجلة دراسات الكوفه . العدد (3) 2013 . ص 115
4. الابراشي، محمد عطية، الاسلام منقذ للإنسانية , مكتبه مصر, مصر ,1974م
5. الزبيدي. صباح حسن عبد. التربية وعلم النفس وطرائق تدريسها. مكتب االراتب العلمية. دار الحسن للنشر والطبع. الأردن: 2014
6. الزبيدي. صباح حسن عبد. المنهج المدرسي المعاصر والكتاب المدرسي. مكتبه الايام. الاردن 2018
7. الزبيدي. صباح حسن عبد البحث الموسوم (الهوية الاسلامية في تراث الامام امير المؤمنين علي بن ابي الطالب (ع) واثرها في بناء الانسان والمجتمع الاسلامي، ووضع استراتيجية للهوية الاسلامية مقترحة وتوظيفيها في المناهج التربوية) بحث مقدم المؤتمر الدولي الاول – الذي يقام برعاية العتبة العباسية المقدسة . وبالتعاون مع جامعة الكفيل وجمعية العميد العلمية والفكرية تحت شعار (الامامة نظام الامة – الامام علي (ع) ميزان الحق يوم 6 / تموز / 2023

8. الزبيدي . صباح حسن عبد البحث الموسوم((الزواج حق من حقوق المرأة المسلمة في ضوء الشريعة الاسلامية لبناء الاسرة المسلمة – ووضع استراتيجية لتوعية الشباب في المجتمع العراقي بعد عام 2003 عن الزواج الناجح دراسة مستقبلية المؤتمر العلمي (نحو استراتيجية وطنية لتنمية المرأة العراقية على وفق المنهج الاسلامي والثوابت الوطنية والاجتماعية) بغداد 2024
9. السيد حسون البطاط. التنمية البشرية. افكار ورؤى وتطبيقات في التنمية دار الفيحاء. لبنان 2017
10. السنهوري –احمد محمد . الخدمة الاجتماعية في مجال الاسرة والطفولة . مكتبه المعارف الحديثة / الإسكندرية 1994 ص112
11. الشناوي، محمد واخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع , الاردن , 2001
12. الطهطاوي، سيد احمد، القيم التربوية في القصص – القران الكريم، دار الفكر، القاهرة 1996
13. ظاهري حبيب الله .. مشاكل الاسرة وطرق حلها ط/1 دار الهادي. بيروت 2003
14. عبد الحميد . محسن . منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام . السلسلة البيضاء المجموعة الثانية (20) مكتبه الرشد بغداد 2000
15. عبد العزيز، امير , الانسان في الاسلام , دار الفرقان , بيروت 1984
16. علاء الدين سراج الدين جاويش . العولمة والمستقبل الاقتصادي للدول النامية .– بغداد : المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، 2008. ص ص 125–132[أطروحة دكتوراه]
17. الفضلي ,عبد الهادي. النهضة الحسنية . المركز الاسلامي الثقافي . 2017
18. معجم علم الاجتماع. دينكن . مشيل ترجمة د. احسان محمد الحسن . دار الرشيد للنشر . 1980
19. النورة جي , احمد خورشيد , مفاهيم في الفلسفة والاجتماع , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد,1990م

المراجع والمصادر الأجنبية :-

- SUSAN B. NE UMAN. The Knowledge Gap Implications for Early Education.pp.32-33. Available on www.sbneuman.com/pdf/knowledgegap.pdf. Date of visit . 15/11/2013 http://www.iasj.net/iasj
- www.iasj.net/iasj?fun=fulltext&aldPros and Cons of Social Media | Brown University Health
- https://www.google.com/search?q=%

➢علي محمد رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005، ص 136.

➢علي الأعصم ، العرب وثورة المعلومات- عوامل إنجاح شبكة انترنت عربية: تقنية، تخطيط، استثمار، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة كتب المستقبل العربي (44) ، 2005، ص 127.

➢ضرغام محمد صالح ، كيف تستخدم الانترنت، عمان: دار الإسراء للنشر والتوزيع، 2004،ص13.

➢-محمد محمد الهادي، تكنولوجيا الاتصالات وشبكة المعلومات مع معجم، القاهرة: مطابع الدار الهندسية، 2001، ص186.

➢زيد الشهيد، الانترنت والحكومة الالكترونية، مجلة التواصل ، السنة الأولى ، العدد 9، بغداد ، 2006،ص6.

➢سامر محمد سعيد، الأنترنت المنافع والمحاذير، بيروت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، 1998، ص 57.

➢نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة (265)، الكويت: مطابع الوطن، 2001، ص 92.

➢فوزي الشربيني، عفت الطناوي ، الموديلات التعليمية-مدخل التعليم الذاتي في عصر المعلوماتية ، القاهرة: مركز الكتاب للنشر ، 2006، ص 14.

الدلالات الاقتصادية في معجم الفيروز آبادي وأثرها في مفاهيم التنمية المستدامة

إعداد

أ.د.نضال محمد قمبر

كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

جامعة البصرة

nedal.camper@uobasrah.edu.iq

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الجذور التراثية لمفاهيم التنمية المستدامة في المعجم العربي، وذلك من خلال تحليل الدلالات الاقتصادية الكامنة في كتاب "القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروزآبادي (ت817هـ)، وعلى الرغم من أن القاموس ليس معجماً اقتصادياً متخصصاً، إلا أنه يحوي مفردات (كالبيع، الربح، الزكاة، الزرع) تحمل أبعاداً اقتصادية عميقة. يهدف التحليل إلى مقارنة هذه المفاهيم التراثية بمبادئ التنمية المستدامة المعاصرة بأبعادها الثلاثة (الاقتصادي والاجتماعي والبيئي)، مما يبرز أن التراث اللغوي العربي احتفظ بمفاهيم للإنتاج والعمل والتبادل التجاري وتوزيع الموارد، تتسق مع أسس التنمية الحديثة (كالاقتصاد الأخضر والعمل اللائق). وقد توصل البحث إلى أن هذه المبادئ التنموية لها جذور راسخة في الفكر العربي، داعياً إلى تعزيز التفاعل بين التراث اللغوي والفكر التنموي الحديث لبناء نموذج تنموي عربي أصيل.

Abstract

This research seeks to uncover the heritage roots of sustainable development concepts in the Arabic lexicon by analyzing the underlying economic connotations in Majd al-Din al-Fayruzabadi's (d. 817AH) "Al-Qamus al-Muhit" (The Comprehensive Dictionary). Although the dictionary is not a specialized economic lexicon, it contains terms (such as sale, profit, zakat, and agriculture) that carry profound economic dimensions. The analysis aims to compare these heritage concepts with contemporary sustainable development principles in their three dimensions (economic, social, and environmental). This highlights that the Arabic linguistic heritage has preserved concepts of production, labor, trade, and resource allocation that align with the foundations of modern development (such as the green economy and decent work). The research concludes that these developmental principles have deep roots in Arab thought, calling for enhanced interaction between the linguistic heritage and modern developmental thought to build an authentic Arab development model.

المقدمة

يعد كتاب المعجم اللغوي **(القاموس المحيط)** لمؤلفه مجد الدين الفيروزآبادى (ت817هـ/1415م) من أبرز المعاجم اللغوية في التراث العربي، إذ يُمثّل موسوعة لغوية ضخمة تهتم بشرح معاني المفردات، وتوضيح استخداماتها اللغوية، وأصول اشتقاقها، والسياقات المختلفة التي ترد فيها، ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المعجم ليس معجماً اقتصادياً متخصصاً، أي أنّه لا يتضمن باباً خاصاً بالمصطلحات الاقتصادية الحديثة كما هو الحال في معاجم الاقتصاد المعاصرة، إلا أنّه يحتوي على مفردات لغوية ذات استخدام محتمل في السياقات الاقتصادية، مثل كلمات: "المال"، و"التجارة"، وغيرها من المفردات العامة.

ويهدف هذا البحث الموسوم بـ (الدلالات الاقتصادية في معجم الفيروزآبادي وأثرها في مفاهيم التنمية المستدامة) إلى الكشف عن الأبعاد الاقتصادية الكامنة في القاموس المحيط ، وتحليلها في ضوء مفاهيم التنمية المستدامة الحديثة، والتي تقوم على ثلاثة أبعاد رئيسة : الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي ، ويبرز البحث كيف أن التراث اللغوي العربي، كما تمثله المعاجم التراثية مثل معجم الفيروزآبادي، قد احتفظ بمفاهيم اقتصادية تعبّر عن ثقافة الإنتاج، والعمل، والتبادل التجاري، وتحقيق العدالة في توزيع الموارد.

ويعتمد البحث على تحليل مجموعة من المفردات الاقتصادية الواردة في "القاموس المحيط"، مثل: "بيع"، "ربح"، "قرض"، "زكاة"، "زرع"، "سقاية"، وغيرها، ويقارنها بمفاهيم تنموية معاصرة مثل :**الاقتصاد الأخضر، العمل اللائق، والاستهلاك الرشيد** .وقد توصّل البحث إلى أنّ العديد من المبادئ التي تقوم عليها التنمية المستدامة في الوقت الحاضر لها جذور راسخة في التراث اللغوي والفكري العربي، مما يعزز الحاجة إلى إعادة قراءة هذا التراث من منظور معاصر. ويختتم البحث بالدعوة إلى ضرورة تعزيز التفاعل بين التراث اللغوي العربي والفكر التنموي الحديث، من أجل بناء نموذج تنموي عربي أصيل، يستمد قوته من جذوره الثقافية والقيمية، ويواكب في الوقت ذاته متطلبات العصر الحديث.

اما خطة البحث فمقسمة وفقاً للمحاور الاتية :

المحور الاول: معجم الفيروزآبادي (القاموس المحيط) – نظرة تحليلية

- ترجمة موجزة للفيروزآبادي.
- **قراءة عامة في (القاموس المحيط) ومنهجه المعجمي**

المحور الثاني: الدلالات الاقتصادية في المعجم

- تصنيف المفردات بحسب الوظيفة الاقتصادية.
- دراسة السياق الاجتماعي واللغوي لهذه المفاهيم.

المحور الثالث: المفاهيم الاقتصادية في المعجم وأثرها على مفاهيم التنمية المستدامة

- مقارنة بين المفاهيم الاقتصادية في المعجم ومبادئ التنمية المستدامة (العدالة، الموارد، التوزيع، العمل).
- إمكانية الاستفادة من المعجم في ترسيخ فهم عربي أصيل للتنمية المستدامة.

المحور الاول: معجم الفيروزآبادي (القاموس المحيط) – نظرة تحليلية

- ترجمة موجزة للفيروزآبادي.

هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزآبادي الشيرازي **[الخزرجي،2009: 64]**، ولد بشيراز في سنة(729هـ) كنيته ابو طاهر

ولقبه مجد الدين ولقد نسبه البعض الى ابي اسحاق الشيرازي وبعضهم كان يستغرب من انتسابه إلى أبى بكر الصديق ، من جهة الشيخ أبي إسحاق **[الفاسي، 1998: 430]**، سمع من مشايخ عدة في شيراز وبغداد وبدمشق وببيت المقدس وبمصر **[الفاسي: 1998 ،426]** ، استقر به المطاف في مكة **[المقريزي،1418هـ :260]**.

ويعد من مشاهير العلماء في اللغة والحديث والفقه ، له مصنفات عدة نذكر منها (شرح الفاتحة) ، و(شرح على البخاري) وكتاب في الأحاديث الضعيفة ، وكراس في علم الحديث ، و(الدر الغالي في الأحاديث العوالي) ، و(الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر)، و(المغانم المطابة في معالم طابة) ، و(الوصل والمنى في فضائل منى) ، و(الروض المسلوف فيما له إسمان إلى ألوف) ،و(تجبير الموشين في السين والشين)، و(الإسعاد إلى رتبة الاجتهاد) **[المقريزي، ،1418هـ: 93]**.

ومن مصنفاته في التفسير كتاب (بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز) ، وكتاب (تنوير المقباس في تفسير ابن عباس) ،و(تيسير فاتحة الإياب في تفسير فاتحة الكتاب)، و(الدر النظيم المشير إلى مقاصد القرآن العظيم) وغيرها **[الفاسي،1998م :426]**.

وعن نتاجاته المعرفية في الحديث نذكر نماذج منها (كتاب شوارق الأسرار العلية شرح مشارق الأنوار النبوية) وكتاب (منح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري) **[خليفة 2021م: 318]**، وكتاب (عمدة الحكام في شرح عدة الأحكام) ، وكتاب (الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر) ، وكتاب (أحاسن اللطائف في محاسن الطائف)،و (روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر)،و(منية السول في دعوات الرسول) **[المقريزي ،2006م :261]**، اضف إلى ذلك فقد كان مولعاً بالشعر وصاحب خط جيد وسريع في الكتابة وسريع الحفظ **[الفاسي،1998: 427]**

تسنم منصب قاضي القضاة ببلاد اليمن لمدة (20)عاماً بعد ان حظي بمكانة مرموقة من قبل صاحب اليمن الملك الأشرف عقب مصاهرة بينهما إذ تزوج الأشرف ابنة الفيروز ابادي ، اما وصوله لليمن ففي حدود سنة (766هـ) اقام بها عدة سنوات ما بين (5) او (6) سنوات ثم غادر اليمن وعاد اليها مجددا ، إذ شد رحالها الى الطائف وله فيها بستان **[المقريزي ،2006: 262]** ، وعرف بكثرة تنقلاته إذ دار في البلاد حتى وصل إلى عدن ، ومجمل رحلاته زاستقراره ما بين مكة والمدينة والطائف واليمن ففي سنة(802هـ) قصد مكة من بلاد اليمن بعد الحج واتخذ داراً مجاورة للصفا ، وزار المدينة النبوية ، واستقر بها مثل ما فعل بمكة ، ثم عاد إلى مكة ، ثم إلى اليمن قاصداً الأشرف الا انه اعرض عن الذهاب لموت الأشرف قبل وصوله إليها ، وفي سنة(805هـ) قصد الطائف قبل الحج بعدها أقام بمكة مدة ، وبالطائف ، في سنة (806هـ) حج وتوجه إلى المدينة مع الحجاج ، ثم عاد إلى مكة بعد أن ظفر ببعض قصده ،

وتوجه إلى اليمن ، على طريق السراة ، وأقام بالخلف والخليف تسعة أشهر ، ثم توصل منه إلى زبيد ، وأقام بها غالبا ، وبتعز مدة ، لما كان فوض إليه من تداريس مدارس بها ، منها : (المؤيدية) و(المجاهدية) ، وغير ذلك . وكان يرغب في الرجوع إلى مكة ، فما قدر له ذلك حتى مات . وكان يحب الانتساب إلى مكة**[الفاسي،1998م :430]**.

وافق تاريخ وفاته ليلة الثلاثاء في العشرين من شوال سنة (817هـ) ودفن بمقبرة الشيخ إسماعيل الجبرتى ، بباب سهام **[الفاسي ،1008م:431]** .

- **قراءة عامة في (القاموس المحيط) ومنهجه المعجمي**

(القاموس المحيط) هو عنوان مختصر لمؤلفه المعروف بالفيروز ابادي وهو كتاب لغوي اسمه الكامل (قاموس المحيط وقابوس الوسيط الجامعُ لِما ذَهَب من العرب شماطيط) **[خليفة،2001 م:316]**.

ولقد اهتمت المصادر بتقصي اسباب تأليفه للكتاب واغراضه ومحتواه ناقلين ما ورد في خطبة الكتاب ما نصه ((...ولمّا أعياني الطلاب]شرعتُ [في كتابي الموسوم بـ (اللامع المُعلَم العُجَاب بينَ المُحكّم والعُباب ... "غير أنه خمَّنتُه في ستّينَ سِفرًا يُعجِزُ تحصيله الطلاب، فصرفتُ صوب هذا القصد عَناني وألَّفتُ هذا الكتاب محذوف الشَّواهد، مطروحَ الزَّوائد، ولخَّصتُ كلَّ ثلاثين سفرًا في سفر، وضمَّنتُه خُلاصة ما في (العُباب) و (المُحكَم) فأضفتُ إليه زياداتٍ مَن الله بها علي وأسميته بذلك لأنه البحر الأعظم. ولما رأيتُ إقبال الناس على صِحَاح الجوهري وهو جَديرٌ غير أنه قد فاته نصفُ اللُّغة أو أكثرُ إمّا بإهمال المادّة أو بتَرْكِ المعاني الغريبة، فكتبتُ بحُمرة المادة المهملة لديه. وإذا تأمَّلت هذا وجدتَه مُشتملا على فوائد أثيرة من حُسن الاختصار وتقريب العبارة وتهذيب الكلام، وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة...يَسَّر الله تعالى إتمامه بمنزلي على الصَّفا المشرفة تُجاه الكعبة المعظمة) **[خليفة ،2001م:318]**.

ويظهر من نص قوله انه وقف على امور عدة اهمها :

1- **تحديد محتوى كتابه ومضمونه**

2- **دوافع التأليف واهميته** : **ك**استجابة لحاجات الطلاب العلمية والبحثية ، ورغبة المؤلف في تبسيط مصادر ضخمة مثل (المحكّم) و(العباب) لتكون في متناول المتعلمين كذلك معالجة النقص أو الإغفال في كتب سابقة، مثل صحاح الجوهري، خاصة فيما يتعلق بالمادة المهملة أو المعاني الغريبة.

3- **أهداف الكتاب:** تبسيط وتحقيق الاستفادة القصوى من المصادر الكبيرة والمعقدة ، واختصار المعلومات ، وحذف الزيادات والشواهد غير الضرورية لتسهيل الدراسة والفهم ، كما جمع خلاصة ما في كتب أساسية مع إضافات علمية جديدة.

4- **مميزات الكتاب وفق رؤية مؤلفه:** اختصار مدروس يجعل الوصول إلى المعلومة أسرع وأكثر فعالية، تقريب العبارة وتهذيب الكلام لتسهيل الفهم، توفير المعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة، ما يرفع من قيمة الكتاب التعليمية والبحثية، تنظيم المادة بطريقة علمية تسمح للطلاب بالاستفادة العملية دون الإرباك بالتفاصيل الكثيرة.

5- **ظرف إنجاز الكتاب:** وقف على مكان تأليفه بوصف روحاني له كونه مطل على الصفا المشرفة تجاه الكعبة، ما يعكس الجانب الديني والروحي في تأليف الكتاب.

المحور الثاني: الدلالات الاقتصادية في المعجم

- تصنيف المفردات بحسب الوظيفة الاقتصادية.
- دراسة السياق الاجتماعي واللغوي لهذه المفاهيم.
- **تصنيف المفردات بحسب الوظيفة الاقتصادية.**

ان الانشطة الاقتصادية على كثرتها تتسم بالتنوع من ناحية التصنيف الوظيفي فبشكل عام تتخذ صفة انتاجية واخرى استهلاكية ، وثمة تصنيف اكثر تفصيلي وفقاً لعوامل عدة مرتبط بنوع المنتج وطبيعة العمل ووسائله وما سوى ذلك من محددات خاصة بكل تصنيف لنستخلص منها الزراعية والتجارية والصناعية والنقلية وغيرها من الوظائف التي تحمل دلالة اقتصادي او تمارس هذا النشاط .

وكون دراسة هذا البحث تقف على تحصيل جملة من المفردات ذات البعد والتوجه الاقتصادي من (القاموس المحيط) للفيروز ابادي نود الاشارة هنا انه على الرغم من ان هذا الكتاب هو معجم لغوي يهتم يالمفردة اللغوية من نواحي لغوية واعرابية ومعانيها ، وليس معجماً اقتصادياً إلا ان البحث وقف في تقصيه وتتبعه وحليله على بعض الالفاظ والمفردات المرتبطة بالاقتصاد من بينها الموارد المتنوعة من نباتية وحيوانية ومعدنية ، ومن ضمنها ايضا ما له علاقة بالانشطة الاقتصادية مثل بيع وشراء وانتاج

ولمقتضيات الدراسة قسم هذا الموضوع بحسب التصنيفات الوظيفية للانشطة الاقتصادية الاتية

- زراعية
- صناعية
- تجارية
- انتاجية
- **زراعية**

اهتم الفيروز ابادي بتقصي جذور لفظة (زراعة) ومشتقاتها ومعانيها والتي تحمل تصورات ذات بعد اقتصادي ما نصه (زرع ... طرح البذر ...وأصله : أزترع أبدلوها دالا لتوافق الزاي ،.. والمزروع : زروع ، وموضعه : المزرعة ، مثلثة الراء والمزدرع : الشئ المزروع ... ما ينبت في الأرض المستحيلة مما يتناثر فيها أيام الحصاد . والزرعة ، بالضم : البذر ... وما في الأرض زرعة مثلثة وتحرك : أي موضع يزرع فيه . وزرع له بعد شقاوة ... وأزرع الزرع : طال ، والناس : أمكنهم الزرع . والمزارعة : المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ، ويكون البذر من مالكها) [الفيروز ابادي :ج3 /ص24]

ومن تحليل النص وفق رؤية ومضمون اقتصادي يعطي جملة من التمثلات منها ماهو مرتبط بالنشاط والانتاج الزراعي وكيفيته ، كذلك تناول بالشرح المعاملات التجارية التي تندرج من ضمن انظمته المتمثلة بنظام المزارعة ، فضلا عن طرح مسميات خاصة بالزرع وانواعه والانتاج المتمثل بذكره لمفردة الحصاد .

وعن المحاصيل وردت بعض المسميات النباتية منها (الكتأة : نبات كالجرجير) [الفيروز ابادي:ج1،ص25] ، و(الكمء : نبات م ، ج : أكمؤ وكمأة) [الفيروزابادي،ج1،ص26] ، و(والحثربة ، بالكسر : الحثرمة ... نبات سهلي)[الفيروز ابادي:ج1،ص52]،و(والحنزوب، بالضم : نبات)[الفيروزابادي :ج1،ص54] ، و(وذنب الخيل : نبات)[الفيروز ابادي:ج1،ص69] ،و(البلختة ، بكسر الباء واللام ، وسكون الخاء : نبات ينبسط ولا يعلو ، وإذا تغرغر به أسقط العلق) [الفيروز ابادي:ج1،ص144] ،و(النمت : نبات له ثمر يؤكل)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص159] ،و(الإسفاناخ : نبات م ، معرب ، فيه قوة جالية غسالة ، ينفع الصدر والظهر ،ملين)[الفيروز ابادي:ج1،ص261] ،ونباتات كثر بمسميات مختلفة مع وصف لبعضها وفوائدها .

اضف الى ذلك فصل في شرح معاني عدة لبعض النباتات والمفاهيم المتعلقة بها من بينها (القصب ، محركة : كل نبات ذي أنابيب ، الواحدة : قصبة ، وقصباة . والقصباء : جماعتها ، ومنبتها . وقد أقصب المكان ، وأرض قصبة ومقصبة . وقصبه يقصبه : قطعه) [الفيروز ابادي:ج1،ص116] ، وكذلك (الكركب ... نبات طيب الرائحة ...الكرنب

بالضم ... السلق ، أو نوع منه أحلى وأغض من القنبيط ، والبري منه مر)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص123] ، ولفظة (والبردي : نبات م ، وبالضم : تمر جيد) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص277] ، كما فصل في مزايا بعض النباتات من حيث الاستعمال والفائدة (والأنجذان ، بضم الجيم : نبات يقاوم السموم ، جيد لوجع المفاصل ، جاذب مدر محدر للطمث ، وأصل الأبيض منه الأشترغاز ، مقطع ملطف)[الفيروز ابادي :ج1،ص360]

واحيانا يذكر الظواهر والصفات المرتبطة بالزراعة منها مفردة (السبروت .. القفر ، لا نبات فيه)[الفيروزابادي،2005: ج1،ص149] و(المرت : المفازة بلا نبات ، أو الأرض لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص157] ، و(الجرد ، محركة : فضاء لا نبات فيه . مكان جرد وأجرد وجرد ، كفرح ، وأرض جرداء وجردة ، كفرحة ، وجردها القحط ، وسنة جارود) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص282] ،و(والهامد : ... اليابس من النبات ، ومن المكان : ما لا نبات به) [الفيروزابادي،2005:ج1/ص348]

وعرض لوصف بعض البقاع بحسب طبيعتها الزراعية (وخمائل) جمع خميلة وهى المحل الكثير الشجر أو رملة تنبته قال الزمخشري نزلوا في خميلة وهى الروضة ذات الشجر والا فهي الجلحاء (وغياضا) بالكسر جمع غيضة بالفتح وهى الأجمة الكثيرة الشجر الملتف) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص10]

- **صناعية**

وورد ذكر بعض المعادن والصناعات وامكنتها كالذهب (ثخب : جبل (بنجد) لبني كلاب ، عنده معدن ذهب ، ومعدن جزع أبيض) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص40] .ايضا العقيق في (مقرأ ... باليمن به معدن العقيق) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص240]

وشكل اهل الحرف والصناعات تداخلاً ما بين الصناعة وممارسة التجارة فمثلاً تمثل مفردة العناب : بائع العنب [الفيروزابادي،2005:ج1،ص108] (وككتان : بائع الخمر ، ومعالجها) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص281] ما يحلج به القطن ، وحرفته : الحلاجة [الفيروزابادي،2005:ج1،ص183] دهقان قدم عدة معاني كلية واتسمت بشمول المعنى ما نصه(•الدِّهْقانُ، بالكسر والضم: القَوِيُّ على التَّصَرُّفِ معَ حِدَّةٍ، والتاجِرُ، وزَعيمُ فَلاَّحِي العَجَمِ، ورَئِيسُ الإِقْلِيمِ، مُعَرَّبٌ) **[الفيروز ابادي، 2005 : 1198]**

- **تجارية**

إن دراسة المصطلحات التجارية في القاموس المحيط تُقدم نافذة على الحياة الاقتصادية القديمة، وتُظهر مدى دقة اللغة في وصف الفاعلين الاقتصاديين، وأنواع المعاملات، والأماكن المخصصة للتبادل. وقد تناول الفيروزابادي هذه المصطلحات بشيء من التفصيل، مُبينًا تنوع دلالاتها واشتقاقاتها. وتتوزع هذه المصطلحات على محاور رئيسية تشمل التعريف بالتاجر، وأنماط التجار، والمواقع التجارية (الأسواق والطرق) والمال:

إذ قد تعريف شامل وواسع لمفهوم **التاجر** وما يتصل به من اشتقاقات ودلالات، مُظهراً ثراء اللغة في هذا الباب لقوله (التاجر :الذي يبيع ويشتري ، وبائع الخمر ، ج : تجار وتجار وتجر وتجر ، كرجال وعمال وصحب وكتب ، والحاذق بالأمر ، والناقة النافقة في التجارة وفي السوق ، كالتاجرة . وأرض متجرة : يتجر فيها وإليها ، وقد تجر تجرا وتجارة . وهو على أكرم تاجرة : على أكرم خيل عتاق[الفيروزابادي،2005:ج1،ص379] ، وذكر من انماط التجار ماطلق عليهم تسمية (البنادرة : تجار يلزمون المعادن ، أو الذين يخزنون البضائع للغلاء ، جمع بندار)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص377].

واظهر مصطلحات اخرى تقصت أهمية المواقع المحددة للنشاط التجاري وطرق نقله مثل (القلد ، بالكسر : قوافل مكة إلى جدة[الفيروزابادي،2005:ج1،ص330] .

وقدم تسمية لبعض الاسواق التجارية من بينها **(سوق الجَبَّاب) وهو** سوق ذُكرت في سياق اسم علم وعبد القوي بن الجباب ... لجلوس جده في سوق الجباب[الفيروزابادي،2005:ج 1 ،ص44]

و سوق الطَّلْح: ذُكرت في سياق المدابغ (**ونَجْبِيّ:** مَدْبوغٌ به، أو بقُشورِ **سُوقِ الطَّلْح)** . مما يُشير إلى الأسواق التي تُباع فيها مواد الدباغة(ونجبي : مدبوغ به ، أو بقشور سوق الطلح [الفيروزابادي،2005:ج 1،ص130]

من بين الاسواق سُوقٌ بطرابلس (وسَبِرَت) دليل على وجود أسواق تجارية هامة في المدن الكبرى مثل طرابلس (وسبرت... سوق بأطرابلس) [الفيروزابادي،2005:ج 1،ص149]

ومن اسواق مصر ذكر سوق (وَرْدَان) في اشارة إلى سوق مشهورة تحمل اسم شخص أو مكان في مصر ووردان : واد ، ومولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولى لعمرو بن العاص ، وله سوق وردان : بمصر [الفيروزابادي،2005:ج 1،ص345]

ولارتباط المال بالتجارة فلقد وردت الفاظ فيها وصف لجانب جوهري من التجارة وهو المال وكيفية جمعه وتقسيمه اخترنا نماذج منها لفظة **(النُّدْأة)** وتعبر عن وفرة المال والغنى (والندأة ، ويضم : الكثرة من المال [الفيروزابادي،2005:ج 1،ص30]

اما كلمة (وتأزبوا المال بينهم : اقتسموه) [الفيروزابادي،2005:ج 1،ص36] فهي فعل يُشير إلى عملية تقسيم وتقسيم الأرباح أو رأس المال بين الشركاء أو الورثة.

ومفردة **(الزُّهْبة)** مصطلح يُطلق على جزء أو حصة من المال (الزهبة ، بالضم ، والزهب ، بالكسر : القطعة من المال[الفيروزابادي،2005:ج1،ص80]

واستعمل لفظ **(القَثِيثَى)** اشارة إلى عملية تجميع الأموال وادخارها ما نصه (والقثيثى : جمع المال[الفيروزابادي،2005:ج1،ص172]

- **انتاجية**

وثمة مفردات لغوية وردت في القاموس المحيط تمثلت معانيها في الانتاج منها مفردة (منحه) وما يتصل بها لقوله (منحه ... أعطاه ، والاسم : المنحة ، بالكسر . ومنحه الناقة : جعل له وبرها ولبنها وولدها ، وهي : المنحة والمنيحة . واستمنحه : طلب عطيته ...وأمنحت الناقة : دنا نتاجها ، وهي ممنح . والممانح : ناقة يبقى لبنها بعد ذهاب ألبان الإبل ، ومن الأمطار : ما لا ينقطع . وامتنح : أخذ العطاء . وامتنح مالا : رزقه . وتمنحت المال : أطعمته غيري ، ومنه حديث أم زرع : " وآكل فأتمنح ") [الفيروز ابادي : 251]

ومن النص اعلاه نستخلص ان معظم الدلالات لمفردة (منحه) تنصب في الحقل الانتاجي المتنوع في مصدريته من حيوانية باشارته إلى الابل ونباتية باستشهاده بحديث قدسي خاص بأم زرع ، او استثماري اقتصادي ربطه بالمال والعطاء .

كذلك (الحرث : الكسب ، وجمع المال)[الفيروز ابادي :ج1/ص164] ، (والحلب ، محركة ، من الجباية : مثل الصدقة ونحوها مما لا يكون وظيفة معلومة[الفيروزابادي،2005:ج1،ص57]

ثانياً :دراسة السياق الاجتماعي واللغوي لهذه المفاهيم

تكشف دراسة السياق الاجتماعي واللغوي للمفاهيم الاقتصادية في القاموس المحيط عن تداخل وثيق بين اللغة والمجتمع في العالم الإسلامي الوسيط فالمعجم لا يشرح الكلمات فحسب، بل يعكس وعياً اقتصادياً متطوراً، ويقدم صورة دقيقة للممارسات التجارية والمالية والزراعية . ومن خلال هذا التحليل تتأكد أهمية المعاجم التراثية بوصفها مصادر تاريخية وثقافية واقتصادية لا غنى عنها في فهم تطور الحضارة العربية الإسلامية ، هذا الازدهار انعكس في كثافة المفردات المرتبطة بـ:

- **النقود والعملات**

استخدم العملات المتداولة في الحضارة والمجتمع الاسلامي والتي انحصرت في(الدينار) و(الدرهم) ، إذ صاغ امثلة كثيرة في مواضع متنوعة لشرح مفرداته بشكل واسع فعلى سبيل المثال معاني لمفردة (دينار) من بينها (الأبح) [الفيروزابادي،2005:ج1 ،ص214] ، و(نخة) [الفيروزابادي،2005:ج1 ،271]

ومن ضمن كلمة (درهم) اشار إلى احد المعاني المرتبطة بها كلفظ (الجنابة) وفسرها بانها (الناقة تعطيها القوم مع دراهم ليميروك عليها)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص49]، كما قدم مسميات ومعاني مرتبطة بهذه العملة منها (الربج والروبج : الدرهم الصغير الخفيف)[الفيروزابادي،2005:ج1،ص190] و(الأصبهبذية :نوع من دراهم العراق) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص355] واخرى تعرف بالأسجاد (أو دراهم الأسجاد : كانت عليها صور يسجدون لها) [الفيروزابادي،2005:ج1،ص300] .

- **الموازين والمكاييل**

تُعد الموازين والمكاييل مؤشرات دقيقة على مستوى التنظيم الاقتصادي والعدالة الاجتماعية ، وفي سياق التراث العربي والإسلامي اكتسبت دراسة هذه الأدوات أهمية مضاعفة لكونها مرتبطة بتنظيم المعاملات، وضبط الأسعار، وتحديد المقادير الشرعية كالزكاة والكفارات، والمواريث ، ولقد عنى الفيروز ابادي في قاموسه باستجلاء بعض المصطلحات مثل **الجريب**، و**الإردب**، و**المد** في نصوصه (والجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة[الفيروز ابادي:ج1،ص457] ، (الإردب ، كقرشب : مكيال ضخم بمصر ، أو يضم أربعة وعشرين صاعا (أو ست ويبات) [الفيروز ابادي:ج1،ص73] . (والمد ، بالضم : مكيال ، وهو رطلان ، أو رطل وثلث ، أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما ، وبه سمي مدا ، وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً) [الفيروز ابادي:ج1،ص337]. بدور وبدر ، وكيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار[الفيروزابادي،2005:ج1،ص369] . الطسق ، بالفتح ،

ويلحن البغاددة فيكسرون ، وهو : مكيال ، أو ما يوضع من الخراج على الجربان ، أو شبه ضريبة معلومة[الفيروزابادي،2005:ج2،ص258]

بالإضافة إلى مصطلحات وصفية كا**لقثقثة** (والقثقثة : وفاء المكيال [الفيروز ابادي:ج1،ص172] ، الكيلجة : مكيال[الفيروز ابادي:ج1،ص205] إذ إنَّ فهم هذه الوحدات يقتضي تجاوز التعريف اللغوي البسيط إلى الغوص في دلالاتها الكمية والاجتماعية. وتبرز التحديات في هذا المجال من التباين والاختلاف في مقادير الوحدة الواحدة بين الأقاليم (كما في الإردب المصري)، والتغير عبر الأزمنة، والاعتماد على تقديرات حسية (كما في المد الذي يُقاس بملء كفيّ الإنسان).

وعليه فإن دراسة هذه المكاييل والموازين تمثل جسراً معرفياً يربط بين اللغة والتاريخ والاقتصاد وهي ضرورية لإعادة بناء الصورة الكاملة للحياة اليومية والمعاملات في العصور القديمة.

- **أنماط التجارة والمعاملات**

إن المعاملات الاقتصادية في التاريخ الإسلامي تشكل نسيجاً متكاملاً ينظم حركة الأموال والإنتاج والتبادل، وهي تنقسم بشكل أساسي إلى معاملات **مشروعة** ومعاملات **محرمة** ، عند الرجوع إلى **القاموس المحيط**، يجب الأخذ بعين الاعتبار أن مهمة المعجمي هي شرح **الجذر اللغوي** للكلمة واشتقاقاتها، وليس إصدار الحكم الفقهي. ومع ذلك، فإن القاموس يوفر الأساس اللغوي الذي استند إليه الفقهاء في تحديد الأحكام ، إذ اهتم الفيروز ابادي اثناء شرحه لبعض المعاني وجذورها استقصاء بعض المعاملات الاقتصادية بمختلف انواعها من زراعية وتجارية وغيرها .

ومن الجدير بالذكر ان ثمة سمات اتصفت بها تلك المعاملات المذكورة في القاموس المحيط (كالربا، الغرر، الاحتكار، المزابنة) من بينها:- سمات لغوية تتمثل ب**الإيجاز** مختصراً جداً للجذر اللغوي، معتمداً على المتون اللغوية القديمة ، **والشمول الاشتقاقي** مما يخدم طالب اللغة ، كذلك **التحديد اللغوي للمفهوم** :يحدد المعنى الجوهري للكلمة قبل تحولها إلى مصطلح فقهي اقتصادي.

وما يعنينا تقصي جملة من السمات الفقهية والاقتصادية التي تعبر عنها المصطلحات الاتية:

- العدوان على حقوق الغير وتمثلها انظمة مثل المحاقلة (والمحاقل : المزارع . والمحاقلة : بيع الزرع قبل بدو صلاحه أو بيعه في سنبله بالحنطة أو المزارعة بالثلث أو الربع أو أقل أو أكثر ، أو اكتراء الأرض بالحنطة [الفيروزابادي،2005:ج2،ص359] وكذلك (النجش : أن تواطئ رجلا إذا أراد بيعا أن تمدحه ، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بثمن كثير ، لينظر إليك ناظر ، فيقع فيها ، أو أن ينفر الناس عن الشئ إلى غيره [الفيروزابادي،2005:ج2،ص289] لما فيها من خداع وتدليس.
- غالبية البيوع المنهي عنها في التجارة والزراعة، مثل **المزابنة** و**المحاقلة**، تشترك في أن ناتج العقد أو ثمنه غير معلوم بدقة عند إبرام الصفقة، مما يعرض أحد المتعاقدين لخسارة غير متوقعة ، فالمزابنة على سبيل المثال (**الزبن كالضرب : الدفع وبيع كل ثمر على شجره بتمر كيلا... والمزابنة : بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر وعن مالك : كل جزاف لا يعلم كيله ولا عدده ولا وزنه بيع بمسمى من مكيل وموزون ومعدود أو بيع معلوم بمجهول من جنسه أو بيع مجهول بمجهول من جنسه أو هي بيع المغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن[الفيروزابادي،2005:ج4،ص231]**

من امثلة ذلك نظام المعاومة الذي نهى الاسلام عنه إذ تناوله بالشرح قائلاً (المعاومة المنهي عنها : أن تبيع زرع عامك أو هو أن تزيد على الدين شيئا وتؤخره) [الفيروز ابادي :ج4/ص155]

- الظلم والاستغلال عن طريق الربا والاحتكار فالاحتكار اصله من (الحكر: الظلم ... وبالتحريك : ما احتكر ، أي احتبس انتظارا لغلائه ...والاستبداد بالشئ)[الفيروزابادي،2005:ج2،ص13]

وادرج حديثاً نبوياً فيه شرح لاحدى هذه المعاملات (قال ρ " الخراج بالضمان " ، أي : غلة العبد للمشتري بسبب أنه في ضمانه ، وذلك بأن يشتري عبدا ويستغله زمانا ، ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع ، فله رده والرجوع بالثمن ، وأما الغلة التي استغلها فهي له طيبة ، لأنه كان في ضمانه ، ولو هلك هلك من ماله) [الفيروز ابادي:ج1نص185]

كما حدد شروط تتوافق لخدمة الطرفين في القروض(واقترض منه : أخذ القرض... والقراض والمقارضة : المضاربة ، كأنه عقد على الضرب في الأرض ، والسعي فيها ، وقطعها بالسير ، وصورته : أن يدفع إليه مالا ليتجر فيه ، والربح بينهما على ما يشترطان ، والوضيعة على المال ، وهما يتقارضان الخير والشر) [الفيروز ابادي:ج2،ص342]

ومن ضمن التنظيمات المؤسساتية الضرائب وعرفها الفيروزابادي بانها (الضريبة ...وواحدة الضرائب التي تؤخذ في الجزية ونحوها ، وغلة العبد .[الفيروزابادي،2005:ج1،ص96]

ومن التنظيمات الاسلامية التي فرضت بنصوص شرعية (الزكاة : أن ينزل العامل بأقصى مواضع الصدقة ، ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه ، أو أن يجنب رب المال بماله ، أي يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد في طلبه [الفيروزابادي،2005:ج1،ص49]

ومن السابق ذكره تتضح الدلالات الاقتصادية في ضوء السياق الاجتماعي في الاتي ذكره

1. يعكس القاموس مفهوماً اقتصادياً مبكراً للقيمة من خلال مفردات مثل: ثمن، سعر، قيمة، نفاسة. ويلاحظ أن معيار القيمة مرتبط بالندرة والجودة، وهو تصور اقتصادي شائع في المجتمعات التجارية.
2. التنظيم المالي والجبائي
3. حركة التجارة : تدل مفردات: قافلة، سوق، تاجر، سلعة على شبكة تجارية واسعة النطاق أدت إلى نشوء مصطلحات دقيقة تصف مهن التجارة والبيع والتمويل.
4. العمل والإنتاج : تشير مفردات: فلاح، حصاد، زَرْع، صناعة، إلى واقع اقتصادي يقوم على مزيج من الزراعة والصناعة والحرف، مع حضور واضح لأنظمة الأجور والعمل.

المحور الثالث المفاهيم الاقتصادية في المعجم وأثرها على مفاهيم التنمية المستدامة

ينبغي اولاً قبل الخوض في تفاصيل هذا الموضوع تقديم تعريف حول مفهوم التنمية المستدامة لغة ومن ثم اصطلاحاً ، فمن ناحية التهريف اللغوي لمفردة التنمية والتي اصلها من (نمى الشيء ينمي من باب رمى نماء بالمد : كثر ، ... من نمى الشيء ينمو وينمي : إذا ازداد وارتفع ، ومنه صلاة نامية .وينمي صعدا يرتفع ويزيد صعودا . وينمي له علمه وعمله أي يكثر ومنماة أعمالهم هو مفعلة من النمو : الزيادة)[الطريحي،1362:ج1،ص422].أما كلمة)المستدامة (فمأخوذة من استدامة الشيء، أي :طلب دوامه) [وزاني،2013 :ص327].

ومن الناحية الاصطلاحية يراد بالتنمية زيادة الموارد والقدرات الإنتاجية .وهذا المصطلح – برغم حداثته يستعمل للدلالة على أنماط مختلفة من الأنشطة البشرية، مثل :التنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعية، والتنمية البشرية، ... الخ[وزاني،2013 :ص327].

والمفهوم الاسلامي للتنمية المستدامة هو ايجاد حالة من التوزان بين حاجات التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي من جانب ، ومن جانب اخر الالتزام بالسلوك الاخلاقي في التعامل مع البيئة وماتوفره لنا من موارد [عبد الوهاب /2022:ص696]

وما يعنينا في هذا المضمار هو تسليط الضوء على التنمية الاقتصادية ، والتنمية في جوهرها تشير إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد الوطني والمساهمة في إحداث تغيير نحو الأحسن لمختلف الأنشطة الاقتصادية، وتنمية الإمكانات المادية والبشرية وزيادة الدخل الحقيقي في المجتمع وحسن توزيعه، ولكن يجب التمييز بين النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية**2** ، بحيث يشير النمو الاقتصادي إلى مجرد الزيادة الكمية في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي [وزاني،2013 :ص327].

وفي ما يتعلق بمفهوم التنمية الاقتصادي إذ يشكل العنصر الاقتصادي احد اهم ركائز للتنمية المستدامة، ويستند إلى المبدأ الذي يقضي بزيادة رفاه المجتمع والقضاءعلى الفقر من خلال استغلال الموارد الطبيعية على النحو الامثل ، وتكون الاستدامة الاقتصادية في المجالات الاساسية زعلى النحو الاتي : مجال المياه، مجال الغذاء ،مجال الصحة ن مجال المأوى ،مجال الطاقة ،مجال التعليم [الحربي :2019 ،ص188]

واستقصى هذا المحور بالبحث حول المفاهيم الاقتصادية في القاموس المحيط للفيروز آبادي وأثرها في ترسيخ فهم عربي أصيل للتنمية المستدامة، مع مقارنة بين المفاهيم الاقتصادية التراثية ومبادئ التنمية المستدامة الحديثة

اشرنا مسبقاً إلى ان معجم الفيروز آبادي ضم مجموعة من الألفاظ الاقتصادية التي تعكس طبيعة النشاط الاقتصادي في المجتمعات العربية الإسلامية، مثل مفاهيم: المال، التجارة، العمل، الزكاة، الغلة، الإنتاج، الموارد، الجباية المالية والتنظيمات الاقتصادية .

ومن شأن دراسة هذه المفاهيم أن تكشف عن جذور فكرية ولغوية يمكن الاستفادة منها في بلورة رؤية عربية للتنمية المستدامة القائمة على العدالة وإدارة الموارد وحفظ الحقوق تستند إلى ضوابط فقهية وشرعية كمبدأ منع الاسراف إذ حرم الاسلام الاسراف في الموارد ويدعو الى الاعتدال والترشيد [:402العلواني، 2025] كما في قوله تعالى (يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الاعراف:31] مما اكسبها طابع أخلاقي وقيمي ليتداخل فيه الاقتصادي بالاجتماعي ويمكن مناقشة ذلك ضمن موضوعين اساسيين في هذا المحورك

- مقارنة بين المفاهيم الاقتصادية في المعجم ومبادئ التنمية المستدامة.
- إمكانية الاستفادة من المعجم في ترسيخ فهم عربي أصيل للتنمية المستدامة.

أولاً مقارنة بين المفاهيم الاقتصادية في المعجم ومبادئ التنمية المستدامة الحديثة

يظهر عند المقارنة وجود مساحات تقارب كبيرة بين الرؤية الاقتصادية التراثية وجوهر التنمية المستدامة المعاصرة في ضوء مفردات التنمية من ضمنها (راع يريع : نما ، وزاد) [الفيروزابادي،2005،ج3،ص33] وهنا الاشارة الى النمو والزيادة وهي احدى المفاهيم التعريفية لمفردة التنمية .

كذلك اكدت مفردات اخرى تنضوي ضمن اطار العدالة في المعجم مثل (القِسمة، النَّصيب، الرِّفد، الصدقة) على ضرورة العدالة في التوزيع ومنع الاحتكار والظلم ، وفي التنمية المستدامة فان العدالة الاجتماعية معيار أساسي لضمان المساواة في الفرص والحقوق والخدمات.

اما الموارد فهي ليست ملكاً مطلقاً للفرد، بل تُفهم كأمانة يجب الحفاظ عليها (مورد، ثروة، غلّة، نماء). ويبرز فيه مفهوم «عدم الإفساد» كشرط في التعامل مع الموارد، وفي التنمية المستدامة إدارة الموارد وفق مبادئ المحافظة والتجديد والاستدامة.

وفي ما يخص التوزيع فان المعجم يُعد التوزيع العادل جزءاً من بنية الاقتصاد الأخلاقي—منع الاحتكار، ردّ الحقوق، وغلبة مبدأ التكافل ، كذلك التنمية المستدامة التوزيع العادل للثروة والخدمات شرط للتنمية البشرية.

وفي مجال العمل فان مفردات المعجم عن العمل تعكس قيمة مبدأية، ويُقرَن بالسعي والاحتراف والإتقان ، وفي التنمية المستدامة تطوير سوق العمل، رفع مهاراته، وتحقيق كرامة العامل.

الخاتمة :

ومن السابق ذكره يمكن ان نستخلص جملة من النتائج تظهر في الآتي ذكره:

1. يُعد الفيروزآبادي من أبرز علماء المعجم العربي، وقد أسهم معجمه في ترسيخ منهج الاختصار مع الشمول.
2. تميز القاموس المحيط بمنهج معجمي يعتمد على الجذر اللغوي مع كثافة المادة اللفظية.
3. أظهر المعجم مرونة لغوية مكّنته من استيعاب مختلف المجالات المعرفية، ومنها المجال الاقتصادي.
4. تضمن المعجم عدد كبير من المفردات ذات الصلة بالأنشطة الاقتصادية التقليدية (التجارة، الزراعة، العمل، الكسب).
5. أمكن تصنيف المفردات الاقتصادية وفق وظائفها منها (الزراعة ، التجارة ، الصناعة ،الإنتاج).
6. ارتبطت المفاهيم الاقتصادية في المعجم بالقيم الأخلاقية والاجتماعية السائدة مثل العدل، الأمانة، والإنصاف.

7. أظهرت المفاهيم الاقتصادية في المعجم تقاطع واضح مع مبادئ التنمية المستدامة، خاصة في العدالة والتوازن في توزيع الموارد.
8. أكد المعجم أهمية العمل والإنتاج بوصفهما أساس للاستقرار الاجتماعي.
9. ساهمت الدلالات اللغوية في إبراز مفهوم الاستدامة من خلال الحفاظ على الموارد وعدم الإسراف.

مصادر البحث :

[1] القرآن الكريم، سورة الاعراف

[2] الحربي واخرون/2019 ، دراسات حول مداخل التنمية المستدامة،دار جامعة نايف للنشر .

[3]الخزرجي،العقد الفاخر

[4]خليفة،كشف الظنون

[5] الطريحي ،1362، مجمع البحرين ، تهران . ناصر خسرو . پاساژ مجيدى / ليتوگرافي طراوت.

[6] عبدالوهاب/2022، التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي ، المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمي،العدد7 تشرين الثاني

[7] العلواني التنمية المستدامة والرؤية الاسلامية للتنمية دراسة مقارنة تحليلية ، المجلة الدولية للعلوم التربوية والاداب، الاصدار 4، العدد 7 ،2025

[8]الفاسي، 1998 ، العقد الثمين في اخبار البلد الامين ،ط1، بيروت – لبنان.

[9]المقريزي، 2006 المقفي الكبير

[10]المقريزي/1418هـ، المواعظ والاعتبار

[11]وزاني،2013 ، التنمية المستديمة :نظرة الفكر الوضعي واستشراف للبديل الإسلامي

التنمية المستدامة في المدن الإسلامية قراءة تاريخية في إدارة الموارد والعدالة الاجتماعية خلال العصر العباسي

إعداد

ا.د قحطان عدنان بكر
كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة الأنبار
edw.almoly10@uoanbar.edu.iq

ا.د. زبن خلف نواف
كلية التربية للبنات- جامعة الانبار
edw.zbnalhbwswy6@uoanbar.edu.iq

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة إسهامات الحضارة الإسلامية في تحقيق مبادئ التنمية المستدامة، من خلال تحليل النماذج التاريخية لإدارة الموارد الطبيعية، وآليات العدالة الاجتماعية في العصر العباسي .يتناول البحث إدارة المياه والزراعة عبر إنشاء السدود وشبكات الري، ودور مؤسسات الوقف والزكاة في تعزيز التكافل الاجتماعي، إضافةً إلى دور المدارس النظامية في نشر التعليم كأداة للتنمية البشرية طويلة الأمد .كما يبرز البحث أبعاد التخطيط الحضري لمدن كبرى مثل بغداد وسامراء باعتبارها نماذج متقدمة للتنمية الحضرية المستدامة .ويخلص البحث إلى أن التجربة الإسلامية تقدم دروسًا عملية يمكن توظيفها في معالجة التحديات التنموية المعاصرة، خاصة في مجالات العدالة الاجتماعية، إدارة الموارد، وحماية البيئة. التنموية المعاصرة، خاصة في مجالات العدالة الاجتماعية، إدارة الموارد، وحماية البيئة.

الكلمات المفتاحية:

التاريخ الإسلامي العصر العباسي، التنمية المستدامة الوقف العدالة الاجتماعية، إدارة الموارد.

Abstract

This paper aims to explore the contributions of Islamic civilization to sustainable development by analyzing historical models of natural resource management and social justice mechanisms during the Abbasid era. The study examines water and agricultural management through the construction of dams and irrigation systems, as well as the role of waqf and zakat institutions in promoting social equity. It also highlights the significance of Nizamiyyah schools as a long- term tool for human development. Furthermore, the research discusses urban planning in major cities such as Baghdad and Samarra as advanced models of sustainable urban development. The study concludes that the Islamic historical experience offers practical lessons applicable to contemporary development challenges, particularly in the fields of social justice, resource management, and environmental protection.

Keywords:
Islamic History, Abbasid Era, Sustainable Development, Waqf, Social Justice, Resource Management.

المبحث الاول :إدارة الموارد الطبيعية في العصر العباسي

تمهيد المبحث

إنَّ دراسة إدارة الموارد الطبيعية في العصر العباسي ليست مجرد استعراض لوقائع زراعية أو هندسية، بل هي نافذة على رؤية حضارية متكاملة كان لها أثر بالغ في بناء الدولة واستقرار المجتمع .فقد كان العباسيون يدركون أن الماء والأرض هما الركيزتان الأساسيتان لأي عمران، وأن حسن استغلالهما ينعكس على الأمن الغذائي، والعدالة الاجتماعية، وازدهار التجارة، بل وعلى قوة الدولة السياسية والعسكرية .وهذا ما أكده ابن خلدون حين جعل الزراعة أصل العمران وقاعدته الأولى (2005، المقدمةِ، القاهرة ,دار الفكر,ص237)

لقد جاء العباسيون في بيئة ورثت شبكات ري قديمة من العصور الساسانية والفرثية، لكنها كانت قد أصابها الإهمال في عصور الاضطراب .فبادروا إلى إعادة إحيائها وتوسيعها، وربطها بسياسات اقتصادية واجتماعية أكثر إحكاماً .ويذكر البلاذري أن أراضي السواد حول بغداد عادت إلى خصوبتها بفضل تجديد قنوات النهروان وشبكات الري الكبرى(1988 ، فتوح البلدان، بيروت :دار ومكتبة الهلال، ص 271)كما يؤكد المسعودي أن سياسة الدولة في إدارة المياه لم تقتصر على الزراعة فقط، بل شملت منع الفيضانات وحماية المدن من أخطارها) (مروج الذهب ومعادن الجوهر،1965 ، بيروت :دار الأندلس،ج3، ص25).

إن هذا الاهتمام المائي والزراعي لم يكن إجراءً فنياً محضاً، بل يعكس رؤية استراتيجية للتنمية .فالطبري يوضح أن وفرة المحاصيل انعكست في استقرار الأسعار وازدهار الأسواق، مما جعل بغداد مركزاً اقتصادياً عالمياً (الطبري، 1967,ج8، ص 55`)بينما يشير اليعقوبي إلى أن التخطيط الزراعي العباسي اعتمد على ربط الأرض بحصتها من المياه وفق سجلات دقيقة، وهو ما يعكس نوعاً من العدالة في التوزيع) (اليعقوبي، 1960,تأريخ اليعقوبي,بيروت ,دار صادر,ج2,ص 479)

وإذا قرأنا هذه التجربة في ضوء مفهوم التنمية المستدامة المعاصر، فإننا نجد تقاطعاً واضحاً:

البعد الاقتصادي :استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج الزراعي.

البعد الاجتماعي :ضمان وصول المياه إلى مختلف الفئات، ودعم الفقراء عبر نظام الوقف.

البعد البيئي :تشريعات الحسبة التي منعت تلويث الأنهار والتعدي على مجاريها) (ابن الاثير, 1987,الكامل في التاريخ، بيروت, دار الكتب العلمية، ج6، ص214).

وهكذا، يمكن القول إن العباسيين قدّموا نموذجاً رائداً لإدارة الموارد الطبيعية بوصفها مشروعاً حضارياً وتنموياً شاملاً، لا يقل أهمية عن إنجازاتهم في ميادين العلم والسياسة .ومن هنا تأتي أهمية هذا المبحث، إذ يسلّط الضوء على كيفية توظيف الموارد الطبيعية في خدمة الإنسان والمجتمع، وربط الماضي برؤية الحاضر نحو مستقبل أكثر استدامة.

أولاً :الري وأهميته في تحقيق الأمن الغذائي

كان الري حجر الزاوية في الحضارة العباسية، إذ أدرك الخلفاء والوزراء أن ازدهار الدولة مرتبط بتأمين الماء للأراضي الزراعية، وأن الزراعة هي أساس العمران والاقتصاد .وقد صرّح ابن خلدون بأن" الزراعة أصل العمران، وبصلاحها يصلح كل ما سواها (2005، المقدمة، ص237)، وهو قول يعكس إدراكاً مبكراً للعلاقة بين استقرار الإنتاج الزراعي وازدهار الحضارة .هذا المفهوم يجد صداه في العصر العباسي؛ حيث اعتُبر الري مشروعاً استراتيجياً لا يقل أهمية عن الجيوش أو السياسة.

من أبرز الأمثلة نهر النهروان، الذي كان موجوداً منذ العصور الساسانية، لكن العباسيين أعادوا تجديده وتوسيعه بعد أن أهمل في الفترات السابقة .يذكر البلاذري أن النهروان غدا شرياناً يمدّ بغداد بالحبوب والخضر، حتى عُدّ من أعظم مشاريع الري التي أعادت الحياة إلى أراضي السواد ,

(1988,فتوح البلدان،ص 271). ويضيف المسعودي أن الدولة لم تكتف بإحيائه، بل أنشأت عليه سدوداً صغيرة لضبط المياه وتنظيم توزيعها على القرى) .(1965، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص 25). بينما يؤكد ابن الأثير أن النهروان ظلّ لعقود سبباً في وفرة الغلال، حتى قيل إن بغداد" شبعت من خيره . (1987,الكامل في التاريخ,بيروت,ج6,ص144).

إلى جانب النهروان، أولى العباسيون اهتماماً كبيراً بشبكة القنوات الفرعية .فقد ذكر الطبري أن قناتي كرخايا والصراة كانتا تُستخدمان لنقل مياه الفرات إلى بغداد، وأنهما تعرضتا لصيانة دورية كلما تضررتا بالفيضانات

(الطبري،1967 ، تاريخ الرسل والملوك ،ج8، ص 55) ,ويؤكد اليعقوبي أن تقسيم الأراضي الزراعية حول بغداد كان مرتبطاً بحصص مائية محددة لكل قرية أو بستان، مما يدل على وجود نظام توزيع عادل للمياه) ،(1960، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 479) ,كما يضيف القلقشندي أن دواوين الدولة خصصت موظفين لمتابعة جريان المياه وصيانة السدود، في ما يشبه وزارات الري الحديثة
(1913 ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة :دار الكتب، ج1، ص355).

لقد انعكست هذه السياسة المائية مباشرة على الأمن الغذائي .فالوفرة الزراعية التي وفرتها مشاريع الري أسهمت في استقرار الأسعار، كما يروي الطبري عند حديثه عن الأسواق العباسية، حيث كان الخبز والقمح متوفراً بأسعار ثابتة لعقود طويلة (الطبري،1967, تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص 12),(وأكد ابن الفقيه أن وفرة المياه والمنتجات الزراعية أدت إلى تنوع السلع في أسواق بغداد، حتى صارت مركزاً للتصدير إلى خراسان والشام
واليمن) (1996، البلدان، بيروت, دار صادر،ص12) .ويرى المسعودي أن هذه الوفرة الزراعية عززت مكانة العراق باعتباره" أغنى الأقاليم بالحبوب والبقول والثمار,(1965،مروج الذهب، ج3، ص29).

من زاوية التنمية المستدامة، يمكن القول إن العباسيين قدّموا نموذجاً عملياً لمفهوم الإدارة المتكاملة للموارد المائية الذي تطرحه الأمم المتحدة اليوم .فقد حرصوا على:

البعد الاقتصادي :زيادة الإنتاج الزراعي بما يفيض عن حاجة السكان.

البعد الاجتماعي :ضمان عدالة توزيع المياه بين القرى والحقول.

البعد البيئي :سنّ قوانين للحسبة تحمي الأنهار من التلوث والتعديات، كما أشار ابن الأثير,(1987,الكامل في التاريخ,ج6، ص214)

ثانياً :الأراضي الزراعية والوقف كأداة استدامة

شكّلت الأراضي الزراعية في العصر العباسي القاعدة الأساسية للاقتصاد والإدارة المالية للدولة، إذ اعتمدت موارد بيت المال بصورة كبيرة على الخراج والضرائب الزراعية .وقد أشار الطبري إلى أن الدولة نظّمت الأراضي الزراعية في العراق وبلاد السواد ضمن نظام دقيق للخراج، يحدد مساحة الأرض المزروعة ونوع المحصول، ويضمن للدولة إيراداً ثابتا,(1967 ، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص 72). ويؤكد اليعقوبي هذا المعنى حين أوضح أن الأراضي كانت تُصنَّف بحسب طاقتها الإنتاجية، وأن الدواوين كانت تسجل تفاصيل دقيقة عن ملكيتها وحصتها من المياه,(1960,تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 482)هذه الإدارة تعكس وعياً مبكراً بما يشبه اليوم التخطيط الزراعي المستدام، حيث يُربط الإنتاج الزراعي بالموارد المتاحة والقدرة على التوزيع العادل. من الأراضي للجنود والموظفين على سبيل الانتفاع مقابل خدمتهم، وهو ما حفّزهم على استصلاحها وزرعها),(1965، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص89),وأوضح ابن الأثير أن هذه الأراضي لم تكن تُورَّث، بل تعود إلى الدولة بعد انتهاء خدمة المقطَع، مما حافظ على بقاء الأرض في

نطاق الملكية العامة,(1987 ، الكامل في التاريخ، ج7، ص 15) ,ويرى ابن خلدون أن هذا النوع من الإقطاع هو أقرب إلى" العطاء المشروط بالعمل"، وهو ما جعله وسيلة لإعمار الأرض لا مجرد توزيع للثروة),(2005 , المقدمة، ص 238) هذا النظام إذن كان أقرب إلى ما يُعرف اليوم بسياسات تحفيز التنمية الريفية، حيث يُربط حق الانتفاع بالأرض بواجب استثمارها وإحيائها.

وفي موازاة ذلك، برز الوقف الزراعي كأداة فاعلة للاستدامة الاجتماعية والاقتصادية .فقد حُبست أراضٍ واسعة لصالح المدارس والمساجد والمستشفيات، بحيث يُصرف ريعها بشكل دائم لخدمة المجتمع .يذكر ابن خلدون أن الوقف من أعظم مؤسسات الشريعة" لما فيه من حبس الأصل وتسبيل المنفعة) (2005، المقدمة، ص412)، ويؤكد القلقشندي أن أراضي الأوقاف كانت تدار بدقة من خلال قيود في الدواوين، وأنها مثّلت موارد ثابتة لتمويل المؤسسات التعليمية والخيرية) ,(1913 ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، ص 244), أما البلاذري فذكر أن بعض أراضي السواد أوقفها أصحابها للفقراء وأبناء السبيل، بحيث يظل ريعها مستمراً جيلاً بعد جيل (1988، فتوح البلدان، ص278), بل إن اليعقوبي أشار إلى أن بعض الأوقاف الزراعية خُصصت لأغراض طبية وصحية، مثل تمويل البيمارستانات, (اليعقوبي,1892 ,البلدان، بيروت :دار صادر، ص119)

هذه الممارسات ليست مجرد شواهد تاريخية، بل يمكن النظر إليها في ضوء التنمية المستدامة باعتبارها آليات لضمان استمرارية الموارد .فالإقطاع شجع استصلاح الأراضي، والخراج وفّر تمويلاً منتظماً للدولة، والوقف حقق الاستدامة الاجتماعية عبر تمويل التعليم والصحة .وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الوقف الإسلامي يمثل أحد أقدم النماذج العملية لفكرة الاستثمار الاجتماعي طويل الأمد، حيث يجمع بين بقاء الأصل وتنمية المنفعة) ,(حسن، محمد، ,2015 ,الوقف والتنمية المستدامة في الإسلام، القاهرة, دار السلام،ص67)؛ سيد، عبد الله،2019 ,الأوقاف ودورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، الرباط :المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ص102).

وعليه، فإن إدارة الأراضي الزراعية في العصر العباسي لم تكن مجرد سياسات مالية آنية، بل منظومة تنموية متكاملة، جمعت بين مصلحة الدولة والمجتمع، وربطت الموارد الطبيعية بالمؤسسات الاجتماعية، وهو ما يجعلها تجربة رائدة يمكن الاستفادة من دروسها في قضايا التنمية المعاصرة.

ثالثاً :سامراء نموذجاً للإدارة المائية المتكاملة

حين أسس الخليفة المعتصم) ت227 هـ842/م (مدينة سامراء لتكون عاصمة جديدة للدولة العباسية، لم يكن اختياره للموقع محض مصادفة، بل ارتبط باعتبارات اقتصادية ومائية بالدرجة الأولى .فالموقع على ضفاف دجلة منح المدينة وفرة في الموارد المائية، لكن الأهم هو المشاريع الهندسية الكبرى التي رافقت تأسيسها .فقد أنشأ المعتصم شبكة من القنوات الاصطناعية لتغذية المدينة الجديدة، بحيث لا تقتصر على الزراعة بل تشمل

الحمامات العامة والبساتين والقصور .ويذكر اليعقوبي أن هذه القنوات كانت جزءاً من تخطيط متكامل، حيث أُنشئت معها جسور صغيرة ومخازن لتجميع المياه، مما جعل سامراء مدينة منظمة مائياً منذ نشأتها (1960، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص479).

ويؤكد المسعودي أن سامراء لم تكن مجرد مدينة سياسية، بل مركزاً عمرانياً متطوراً، إذ ارتبطت بحدائق غناء وقنوات فرعية جعلت مياه دجلة تصل إلى كل أحيائها تقريباً, (1965، مروج الذهب ، ج4، ص 56),أما ابن الأثير فقد وصفها بأنها" مدينة عظيمة عامرة، كثيرة البساتين والقنوات"، مشيراً إلى أن بنيتها التحتية اعتمدت على إدارة دقيقة للموارد المائية) ,(1987، الكامل في التاريخ، ج7، ص44) .

هذه المشاريع لم تقتصر على تلبية الاحتياجات الزراعية، بل كانت جزءاً من رؤية شاملة لتحسين جودة الحياة .فقد تحدث الطبري عن إنشاء الحمامات العامة التي جرى تزويدها بالمياه عبر تلك القنوات، إضافة إلى البساتين التي زُرعت حول القصور، لتكون متنفساً للسكان وتحقق التوازن البيئي داخل المدينة ,(1967، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص12) ,وبذلك، جسدت سامراء نموذجاً مبكراً للمدينة التي تربط بين البيئة والعمران والاقتصاد في إطار واحد.

من الناحية الإدارية، كان للسدود الصغيرة والقنوات دور في منع الفيضانات التي يسببها دجلة، وهو ما أكده البلاذري حين أشار إلى أن الدولة وظفت فرقاً من المهندسين لمراقبة مجرى النهر وصيانة القنوات بشكل دوري(1988 ، فتوح البلدان، ص 280),كما أشار القلقشندي في صبح الأعشى إلى أن دواوين الدولة خصصت موظفين لمتابعة أعمال الري في سامراء، وهو ما يشبه المؤسسات الحديثة المعنية بالموارد المائية ،(1913 ، ج2، ص311) .

إذا نظرنا إلى سامراء من منظور التنمية المستدامة، فإنها جسدت مبادئ هذا المفهوم قبل ظهوره بقرون.

البعد الاقتصادي :توفير الري الزراعي وضمان وفرة الغذاء.

البعد الاجتماعي :تأمين المياه للحمامات العامة والسكان.

البعد البيئي :إنشاء بساتين وحدائق ساعدت على توازن البيئة الحضرية.

وتؤكد الدراسات الحديثة أن تجربة سامراء تُمثل نموذجاً مبكراً لـ" المدينة الخضراء"، إذ راعت في تخطيطها دمج الزراعة مع العمران، وهو ما يعدّ سابقة تاريخية في الفكر التنموي,(علي، خالد، 2018 ,التنمية الحضرية في التاريخ الإسلامي، القاهرة :مكتبة الآداب، ص94).

رابعاً :الزراعة بوصفها قاعدة للاقتصاد العباسي

لقد كانت الزراعة العمود الفقري للاقتصاد العباسي، ومصدر القوة المالية للدولة، إذ اعتمدت موارد بيت المال بصورة أساسية على الخراج والضرائب الزراعية .يذكر الطبري أن وفرة الإنتاج الزراعي في العراق والسواد جعلت الخراج مورداً ثابتاً للدولة، بل بلغ من انتظامه أن الدولة استطاعت تمويل جيوشها وحملاتها الكبرى من فائضه ،(1967,تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص12),ويؤكد اليعقوبي أن الأراضي الخصبة

الممتدة بين دجلة والفرات تحولت إلى سلة غذاء رئيسية، وأنها لم تقتصر على القمح والشعير، بل شملت البقوليات والفاكهة، مما أتاح تنوعاً غذائياً نادراً في ذلك العصر ،(1960,تاريخ اليعقوبي، ج2، ص483).

هذا التنوع في المحاصيل انعكس مباشرة على الأسواق العباسية .فقد وصف ابن الفقيه سوق بغداد بأنها من أغنى أسواق الدنيا بما يرد إليها من غلات السواد، حيث كان القمح والتمر والزيت والكروم تأتي بكميات هائلة، ما جعل بغداد مركزاً للتصدير إلى المشرق والمغرب),(1996 ، البلدان، ص 112) ,وأكد المسعودي أن هذه الوفرة الزراعية ساعدت في تثبيت أسعار المواد الغذائية، وجعلت الدولة قادرة على مواجهة الأزمات التي كانت تضرب مناطق أخرى من العالم بسبب المجاعات) ,(1965 ، مروج الذهب، ج3، ص 29) ,هذا يشير إلى أن العباسيين لم ينظروا للزراعة كقطاع اقتصادي محدود، بل كضمانة للأمن القومي والاجتماعي.

ولم يكن أثر الزراعة مقتصراً على الداخل، بل كان لها دور محوري في التجارة الدولية .فقد أورد ابن الأثير أن السفن المحملة بالحبوب والتمور من العراق كانت تُصدَّر إلى بلاد ما وراء النهر واليمن والشام، مما جعل الزراعة ركيزة رئيسية للتبادل التجاري,(1987، الكامل في التاريخ، ج7، ص 44),ويضيف القلقشندي أن الخراج الزراعي لم يكن مجرد إيراد مالي، بل وسيلة لربط الأقاليم بالدولة المركزية، إذ اعتمدت إدارة الأراضي على سجلات دقيقة تعزز سلطة الدولة وتضمن توزيعاً عادلاً للأعباء,(1913,صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2، ص311).

إن هذه المكانة المركزية للزراعة تجعلنا ننظر إليها من زاوية التنمية المستدامة بوصفها نموذجاً مبكراً لتحقيق التوازن بين الاقتصاد والمجتمع .فقد حققت الدولة:

البعد الاقتصادي من خلال وفرة الإنتاج واستقرار الموارد المالية.

البعد الاجتماعي عبر تثبيت الأسعار وضمان توافر الغذاء للفقراء والأغنياء على السواء.

البعد البيئي بالحفاظ على خصوبة الأرض من خلال أنظمة الري والإصلاح الزراعي.

وتؤكد الدراسات الحديثة أن التجربة العباسية في اعتماد الزراعة كقاعدة للاقتصاد تمثل نموذجاً لما يُعرف اليوم بـ"الأمن الغذائي المستدام"، إذ جمعت بين استغلال الموارد الطبيعية بكفاءة وضمان توزيع عادل للغذاء, (حسن،2017 ,الاقتصاد الإسلامي ، ص92).

وبذلك يتضح أن الزراعة في العصر العباسي لم تكن قطاعاً ثانوياً، بل كانت المحرك الأساسي لعجلة التنمية،

وعنصر التوازن الذي حافظ على استقرار الدولة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً لقرون.

خامساً :الإدارة البيئية وحماية الموارد في العصر العباسي

لم يكن اهتمام الدولة العباسية منصبًّا على استغلال الموارد الطبيعية فحسب، بل شمل أيضًا حماية البيئة وصيانتها من الاستنزاف والتلوث .فالماء والأرض، وإن كانا عماد الزراعة، فقد كان يُنظر إليهما كذلك

بوصفهما ثروات عامة ينبغي الحفاظ عليها للأجيال اللاحقة .وهذه النظرة تمثل جوهر ما يُعرف اليوم بـ التنمية البيئية المستدامة.

1-تشريعات الحسبة وحماية الأنهار

لقد لعب نظام الحسبة دورًا بارزًا في حماية البيئة الحضرية والزراعية .فقد نصت كتب الحسبة على منع إلقاء الفضلات أو مخلفات الصناعات في الأنهار، وعلى مراقبة المذابح والدباغين حتى لا يلوثوا مجاري المياه .ويذكر ابن الأخوة في كتابه معالم القربة في أحكام الحسبة أن المحتسب كان يراقب الأسواق والورشات، ويمنع كل ما من شأنه أن يُفسد الماء أو الهواء ، (1939 ,القاهرة, دار الكتب، ص88) ,كما أكد الشافعي في الأم أن على ولي الأمر أن يمنع كل ضرر عام، سواء في الأسواق أو الأنهار, (1973 ,بيروت, دار المعرفة،1973 ، ج4، ص 230),هذه التشريعات تكشف عن وعي مبكر بضرورة حماية الموارد الطبيعية من التلوث الصناعي والحضري.

2-تنظيم العمران والهواء النقي

إلى جانب الأنهار، اهتم العباسيون بتنظيم العمران بما يضمن جودة الهواء وصحة السكان .فقد أشار اليعقوبي إلى أن بغداد خُطّطت بحيث تُفتح شوارعها الواسعة على نهر دجلة لتمكين الهواء النقي من المرور بين الأحياء، وأن القصور والمساجد كانت تُشيَّد وسط بساتين وحدائق تلطّف الجو ،(1892,البلدان,ص 115),كما ذكر ابن خرداذبه في المسالك والممالك أن الأسواق كانت تُوزع بطريقة تقلل من الاختناقات وتسمح بتهوية طبيعية) , (1967,القاهرة, مكتبة المثنى،1967 ، ص56).

.هذا التخطيط الحضري يعكس حرصاً على الجانب البيئي، ويقارب ما نطلق عليه اليوم مفهوم المدن الخضراء.

3-الغابات والمراعي

لم تكن الأراضي الزراعية وحدها محل اهتمام العباسيين، بل أيضاً المراعي والغابات .فقد أورد المسعودي أن بعض الخلفاء خصصوا أراضي واسعة في ضواحي بغداد وسامراء كمراعٍ عامة للماشية، ومنعوا الاحتطاب الجائر من بساتين الوقف, (1965، مروج الذهب، ج4، ص 112), ويشير ابن الأثير إلى أن المعتضد بالله ت289هـ902/م (أصدر أوامر بمنع قطع الأشجار المحيطة بقنوات الري لما لها من دور في تثبيت التربة ومنع الانجراف) , (1987، الكامل في التاريخ، ج7، ص201),هذه السياسات تعكس إدراكاً بأن الحفاظ على الغطاء النباتي جزء من صيانة البيئة.

4-إدارة النفايات والنظافة العامة

أولى العباسيون عناية خاصة بالنظافة العامة كجزء من الصحة البيئية .فقد ذكر ابن بطوطة في رحلته وصفاً لبغداد بعد العصر الذهبي، مشيراً إلى أن الأسواق كانت تنظف باستمرار وأن القمامة تجمع في أماكن محددة خارج العمران ,(1992,الرحلة، بيروت :دار صادر، ص 144) ,كما أشار المقدسي في

أحسن التقاسيم إلى أن شوارع بغداد ودمشق في العهد العباسي كانت تُرش بالماء في الصيف لتلطيف الجو وتقليل الغبار) ،(1906, ليدن :بريل، ص 130) ,هذه الممارسات تؤكد وعي الدولة والمجتمع بضرورة إدارة النفايات والحد من التلوث الحضري.

5-العلاقة بين البيئة والصحة

ارتبطت الإدارة البيئية في العصر العباسي ارتباطاً وثيقاً بالصحة العامة .فقد ارتبطت المستشفيات البيمارستانات (بمصادر مياه نقية مخصصة لها .ويذكر الزهراوي في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف أن الأطباء كانوا يشترطون أن يكون الماء المستعمل في البيمارستانات من أعذب القنوات وأبعدها عن مواقع التلوث (1986 ,بيروت :دار إحياء التراث، ج1، ص 29) ,ويؤكد ابن أبي أصيبعة أن البيمارستان العضدي في بغداد بُني في موقع اختير بعناية لصفاء الهواء وجودة الماء,(1965 ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة :دار مكتبة الحياة ، ص196),هذا الربط بين البيئة والصحة يكشف عن إدراك بأن الوقاية الصحية تبدأ من بيئة نظيفة.

6-البعد التنموي المستدام

إذا قرأنا هذه الإجراءات في ضوء التنمية المستدامة، فإنها تمثل تجليات واضحة للبعد البيئي الذي تقوم عليه .فالحسبة منعت التلوث، والعمران صُمم بوعي بيئي، والغابات والمراعي حُميت من الاستنزاف، والنفايات أُديرت بنظام محدد، والصحة رُبطت بجودة البيئة .وتؤكد الدراسات الحديثة أن هذه السياسات الإسلامية المبكرة تعدّ نموذجاً لما يُعرف اليوم بـ الحوكمة البيئية(Environmental Governance) ، أي توظيف القوانين والمؤسسات لحماية البيئة (سليم،2016، الفقه الإسلامي والبيئة، القاهرة :دار الشروق,ص75).

الخلاصة:

لقد قدّم العباسيون نموذجاً رائداً في الإدارة البيئية، لم يقتصر على الاستفادة من الموارد الطبيعية، بل شمل حمايتها وضمان استدامتها .فكانوا بحق أوائل من مارس إدارة الموارد بمنظور شامل يوازن بين الاقتصاد والمجتمع والبيئة، وهو ما يجسد مفهوم التنمية المستدامة قبل ظهوره بمئات السنين.

يتضح من خلال ما سبق أن العباسيين لم يتعاملوا مع الموارد الطبيعية بمنطق الاستغلال الآني أو المنفعة المؤقتة، بل انتهجوا سياسة متكاملة جمعت بين الاستصلاح والتنمية والحماية .فقد شكّلت مشاريع الري الكبرى مثل نهر النهروان وشبكات القنوات الأساس في تأمين الغذاء واستقرار الاقتصاد، بينما أوجد نظام الإقطاع حافزاً لزيادة الرقعة الزراعية واستثمار الأراضي، وجاء الوقف الزراعي ليضمن استمرارية العطاء جيلاً بعد جيل، في صورة مبكرة لمفهوم الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية.

أما مدينة سامراء، فقد كانت شاهداً عمرانياً على قدرة الدولة على تخطيط مدينة متكاملة الموارد، حيث اجتمع فيها الزراعة والعمران والصحة العامة في منظومة واحدة، تُبرز فهماً متقدماً لإدارة المياه والموارد .

ومن جهة أخرى، شكّلت الزراعة قاعدة للاقتصاد العباسي، إذ لم تكن مجرد قطاع إنتاجي، بل أساساً للتجارة، وضمانة للأمن الغذائي، ومصدراً رئيسياً لإيرادات الدولة .وقد عزّز ذلك كله الإطار البيئي الذي أولاه العباسيون عناية خاصة من خلال تشريعات الحسبة، وحماية الغابات والمراعي، وتنظيم العمران، وربط الصحة بالنظافة وجودة المياه.

إن هذه السياسات مجتمعةً تكشف عن رؤية حضارية شاملة، جعلت من إدارة الموارد الطبيعية ركيزة أساسية لاستقرار المجتمع وازدهار الدولة، بما يتقاطع بشكل واضح مع مبادئ التنمية المستدامة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية .وإذا كان هذا المبحث قد تناول البنية المادية للتنمية في العصر العباسي، فإن المبحث الثاني سينتقل إلى البنية الاجتماعية والمؤسسية، ليتناول كيف أسهمت نظم مثل الزكاة، الوقف، الحسبة في ترسيخ العدالة الاجتماعية وتعزيز التكافل، مما جعل التنمية العباسية لا تقف عند حدود المادة، بل تتجاوزها إلى بناء إنسان متوازن ومجتمع متكافل.

المبحث الثاني :العدالة الاجتماعية وآليات التكافل في العصر العباسي

مدخل المبحث

تُعد العدالة الاجتماعية أحد الأعمدة الجوهرية في بناء الحضارات، إذ لا يستقيم عمران بلا عدل، ولا تنهض أمة بغير تكافل يضمن حقوق الضعفاء قبل الأقوياء .والإسلام، منذ نزول الوحي، أسّس لمبادئ شاملة في هذا الجانب، فجعل الزكاة ركناً من أركانه، وربط الإيمان بالإنفاق، وأقام مؤسسات كـ الوقف والحسبة لتكون أذرعاً عملية لتحقيق التوازن الاجتماعي .وقد وعى العباسيون هذه المبادئ وطبّقوها في صورة مؤسساتية واسعة النطاق، فشكّلت ملامح مجتمع عباسي يقوم على التكافل، وتوزيع الثروة، وحماية الحقوق.

يؤكد ابن خلدون أن العدالة هي" أساس الملك، ورفع الظلم مؤذن بخراب العمران" (2005,المقدمة، ص 312)ويذكر المسعودي أن ازدهار الدولة العباسية في عصورها الأولى كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقدرتها على رعاية الفقراء، وتوزيع الثروة عبر مؤسسات شرعية) ، (1965,مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص 91) ,

من هنا، فإن دراسة العدالة الاجتماعية في العصر العباسي تمثل مدخلاً لفهم التنمية الاجتماعية المستدامة، حيث لم تقتصر التنمية على الأرض والماء كما في المبحث الأول، بل امتدت إلى الإنسان نفسه، لتضمن كرامته وحقوقه.

أولاً :الزكاة ودورها في تحقيق التوازن الاجتماعي

كانت الزكاة الركيزة الأولى في نظام التكافل العباسي، إذ نظمت الدولة جبايتها وصرفها بما يحقق التوازن بين الفقراء والأغنياء .فقد نصّ القرآن الكريم على مصارف الزكاة الثمانية) ,(التوبة:60)، وهو ما التزمت به الدولة، حيث وُجدت دواوين خاصة لتسجيل الأموال وتوزيعها.

يذكر الطبري أن الخليفة المهدي169–158) هـ (أولى الزكاة اهتماماً كبيراً، فأمر بإنشاء سجلات خاصة للفقراء والمساكين لضمان عدم ضياع حقوقهم) ، (1967,تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص115), ويؤكد اليعقوبي أن أموال الزكاة في بغداد لم تقتصر على المسلمين، بل شملت أحياناً المحتاجين من أهل الذمة في حالات الضرورة، وهو ما يعكس مرونة في التطبيق) , (1960,تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 488) ,كما يشير ابن الأثير إلى أن الخلفاء كانوا يراقبون عمّال الزكاة بشدة، ويعزلون من يثبت عليه تلاعب أو ظلم) ، (1987، الكامل في التاريخ، ج7، ص55).

من زاوية التنمية المستدامة، كانت الزكاة أداة لإعادة توزيع الثروة، وتقليل الفجوة بين الطبقات، وضمان شبكة أمان اجتماعية للفقراء والعاجزين .وتؤكد الدراسات الحديثة أن نظام الزكاة العباسي يمثل نموذجاً مبكراً لسياسات الضمان الاجتماعي التي تعرفها الدول الحديثة ,(حسن,2016 ، الزكاة,والتنمية الاجتماعية في الإسلام ,القاهرة,دار السلام ,ص102).

ثانياً :الوقف كآلية للاستدامة الاجتماعية

إلى جانب الزكاة، جاء الوقف ليجسد مفهوم الاستدامة في أبهى صوره .فالوقف يعني حبس الأصل وتسبيل المنفعة، بحيث يبقى المال أو الأرض مورداً دائماً يعود ريعه على المجتمع .وفي العصر العباسي، توسعت مؤسسة الوقف إلى حد غير مسبوق، حتى شملت قطاعات التعليم والصحة والخدمات العامة.

ذكر القلقشندي أن أراضي وأملاكاً واسعة وُقفت لتمويل المدارس النظامية، وصيانة المساجد، وتوزيع الطعام على الفقراء،(1913، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، ص 244) ,ويضيف ابن خلدون أن الوقف "أبقى من الصدقات المطلقة"، لأنه يضمن استمرار النفع حتى بعد موت الواقف,(2005 ، المقدمة، ص 412), أما المقدسي فأشار إلى أن بعض الأوقاف خُصصت لشرب الماء، حيث أنشئت سبل مائية على الطرقات، وهو ما يمثل بعداً بيئياً واجتماعياً معاً) ،(1906 ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،، ص135)

لقد كان الوقف بحق أداة تنمية مستدامة، إذ حافظ على الأصول وأبقى ريعها متجدداً، بحيث يخدم الأجيال المتعاقبة .وتذهب الدراسات الحديثة إلى أن الوقف الإسلامي يشكل إرثاً عالمياً لفكرة" المسؤولية الاجتماعيةCorporate Social Responsibility "، لكن بصيغة دينية ومؤسساتية أكثر رسوخاً,(سيد ، 2019,الأوقاف والتنمية المستدامة، الرباط, المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ص121).

ثالثاً :الحسبة وحماية الحقوق الاجتماعية

لم يقتصر مفهوم العدالة في الدولة العباسية على الجانب الاقتصادي الزكاة والوقف، بل تعداه إلى الرقابة على الأسواق والسلوكيات اليومية عبر الحسبة .فقد كان المحتسب بمثابة جهاز رقابي يضمن عدالة التعامل، ومنع الغش والاحتكار، وصيانة القيم الأخلاقية في المجتمع.

يذكر ابن الأخوة أن المحتسب كان يراقب المكاييل والموازين، ويمنع رفع الأسعار بغير حق، ويعاقب المحتكرين الذين يخزنون السلع في أوقات الأزمات (1939، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص 91),كما أوضح الماوردي أن وظيفة الحسبة تقوم على" حماية الحقوق العامة، ومنع الظلم الواقع على الناس, (1996,الأحكام السلطانية، بيروت :دار الفكر، ص305),أما ابن تيمية فقد اعتبرها أداة لحماية المجتمع من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية، وركناً من أركان العدالة ،(1976 ,الحسبة في الإسلام، القاهرة :دار المعرفة، ص44).

بهذا، كانت الحسبة تجسيداً عملياً لمفهوم الحوكمة الاجتماعية، إذ وفرت آلية رقابية تضمن النزاهة في التعاملات، وتحمي المستهلك والضعيف من الاستغلال .وتُعدّ في نظر الباحثين المعاصرين صورة مبكرة من صور أجهزة الرقابة الاقتصادية الحديثة ,(خالد،2018 ، الحسبة والتنظيم الاجتماعي في الإسلام، بيروت, مركز دراسات الوحدة العربية،ص88).

خاتمة المبحث الثاني

يتضح مما تقدم أن العدالة الاجتماعية في العصر العباسي لم تكن مجرد شعارات، بل بُنيت على مؤسسات عملية متكاملة :الزكاة كأداة لإعادة التوزيع، الوقف كآلية للاستدامة طويلة الأمد، الحسبة كجهاز رقابي لحماية الحقوق .وقد أسهمت هذه المؤسسات في تحقيق قدر عالٍ من التوازن الاجتماعي، ومنعت تركز الثروة في يد قلة، وضمنت للفقراء والمحتاجين نصيبهم من خيرات الدولة.

إن هذه المنظومة تمثل تطبيقاً عملياً لمفهوم التنمية المستدامة الاجتماعية، حيث تلاقت القيم الدينية مع السياسات الاقتصادية والاجتماعية لبناء مجتمع متوازن .وإذا كان االمبحث الأول قد كشف عن البنية المادية للتنمية من خلال إدارة الأرض والماء، فإن هذا المبحث يبين كيف أرسى العباسيون البنية الاجتماعية والمؤسسية، وهو ما يجعل التجربة العباسية نموذجاً متقدماً للتنمية المتكاملة، سبق بقرون المفاهيم التي تتداولها اليوم المؤسسات الدولية.

المبحث الثالث :التعليم والتنمية البشرية في العصر العباسي

مدخل المبحث

إن التعليم في التجربة العباسية لم يكن مجرد أداة لنقل المعرفة، بل كان مشروعًا حضاريًا شاملاً، استهدف بناء الإنسان وتنمية قدراته العقلية والمهارية، ليكون أساسًا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .فقد وعى العباسيون أن قوة الدولة لا تُقاس بعدد جيوشها أو اتساع أرضها فقط، بل بمدى رصيدها المعرفي وطاقتها البشرية المؤهلة.

وقد أكد ابن خلدون أن التعليم هو أساس العمران، وأن" العلوم إنما تُؤخذ بالتدرج في التلقين " ، (2005المقدمة، ص 392) ,بينما يشير المسعودي إلى أن الخلفاء العباسيين جعلوا العلم جزءاً من سياستهم، واحتضنوا العلماء في قصورهم، بل شاركوهم مجالس البحث والمناظرة ،(1965,مروج الذهب ،

1965، ج4، ص 94),وهذا يعكس أن التعليم في العصر العباسي لم يكن نشاطاً فردياً معزولاً، بل سياسة دولة قائمة بذاتها، تستهدف تنمية الإنسان واستدامة حضارة.

أولاً :المدارس النظامية وبناء رأس المال البشري

مع منتصف القرن الخامس الهجري، ظهرت المدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك تحت مظلة الخلافة العباسية، وكانت امتدادًا لمشروع علمي بدأ منذ العصر العباسي الأول .هذه المدارس مثلت نقلة نوعية، إذ نظمت التعليم ضمن إطار مؤسسي ثابت.

ذكر الذهبي أن المدارس النظامية في بغداد خرّجت أجيالاً من العلماء مثل الإمام الغزالي، وكان لها أوقاف ثابتة تمول رواتب المدرسين والطلبة ,(1981، سير أعلام النبلاء، بيروت, مؤسسة الرسالة، ج19، ص323),ويؤكد ابن الجوزي أن النظامية لم تكن مجرد مكان للدراسة، بل مؤسسة اجتماعية متكاملة، توفر الطعام والسكن للطلاب(1992 ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت, دار الكتب العلمية، ج8، ص105)

من زاوية التنمية البشرية، كانت هذه المدارس تجسيدًا لمفهوم الاستثمار في الإنسان، إذ وفرت فرص التعليم مجاناً تقريباً، ورفعت من مستوى الكفاءات العلمية التي قادت النهضة الفكرية العباسية .وتشير دراسات حديثة إلى أن المدارس النظامية شكلت نموذجاً مبكراً لفكرة التعليم العام المستدام الذي تقوم عليه الجامعات الحديثة, (حسن،2017 ، تاريخ التعليم الإسلامي، القاهرة, دار السلام، ص211)

ثانياً :بيت الحكمة ومشروع الترجمة

يُعد بيت الحكمة في بغداد أبرز مؤسسة معرفية في العصر العباسي، بل من أعظم مراكز البحث العلمي في العصور الوسطى .أسسه الخليفة المأمون) ت218 هـ833/م (ليكون مكتبة ضخمة ودار ترجمة وبحث.

يذكر اليعقوبي أن بيت الحكمة ضم مئات الكتب المترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية، وكان ملتقى للمترجمين والعلماء,(1960 ، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 492),وأكد القفطي أن المأمون لم يقتصر على جمع الكتب، بل أنشأ فرقاً علمية لترجمة النصوص ومراجعتها ثم مناقشتها، وهو ما جعل بيت الحكمة أشبه بمركز أبحاث متكامل(1970 ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت, دار الآفاق الجديدة، ص156).

هذه التجربة تعكس رؤية عباسية متقدمة نحو نقل المعرفة وتوطينها، أي تحويل العلوم الأجنبية إلى جزء من الثقافة المحلية .ومن زاوية التنمية المستدامة، فإن بيت الحكمة يمثل ما نطلق عليه اليوم مراكز الابتكار والبحث العلمي، حيث تُستثمر المعرفة في خدمة المجتمع .وقد أشار مؤرخو العلوم الغربيون إلى أن بيت الحكمة كان الأساس في انتقال العلوم إلى أوروبا، وأنه أسهم في بناء الحضارة الإنسانية جمعاء

(Dimitri Gutas, Greek Thought, Arabic Culture, London: Routledge, 1998, p. 67).

ثالثاً :المساجد كمراكز للتعليم الشعبي

لم تقتصر الحركة العلمية على المدارس والقصور، بل امتدت إلى المساجد التي مثلت أوسع مراكز للتعليم .فقد كانت مساجد بغداد والبصرة والكوفة حلقة وصل بين العلماء والطلاب والجمهور.

أورد ابن الجوزي أن مسجد المنصور في بغداد كان يضم حلقات علمية متعددة في الفقه والحديث والنحو والطب، وأن الناس كانوا يتوافدون بالمئات للاستماع والمناقشة,(1992، المنتظم، ج7، ص54),ويذكر الخطيب البغدادي أن حلقات العلم في جامع بغداد الكبير كانت تضم علماء كباراً مثل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ,(1997 ، تاريخ بغداد، بيروت, دار الكتب العلمية، ج2، ص77).

بهذا، جسدت المساجد صورة من التعليم المجتمعي المفتوح، إذ لم يكن يقتصر على النخبة، بل شمل عامة الناس .ومن زاوية التنمية البشرية، يمكن اعتبارها نواة لفكرة التعليم المستمر مدى الحياة، حيث أُتيح لكل فرد أن يتعلم بحسب قدرته واهتمامه.

رابعاً :البيمارستانات والتعليم الطبي

كان للتعليم الطبي مكانة خاصة في العصر العباسي، إذ ارتبط بالمؤسسات الصحية التي عُرفت باسم البيمارستانات .وقد جمعت هذه بين العلاج والتعليم في آن واحد.

أشار ابن أبي أصيبعة إلى أن البيمارستان العضدي في بغداد لم يكن مجرد مستشفى، بل مدرسة لتدريس الطب، حيث كان الأطباء يلقنون الطلاب عملياً من خلال متابعة المرضى ,(1965 ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة, دار مكتبة الحياة، ص 196), ويؤكد الزهراوي أن بعض البيمارستانات كانت تخرج أطباء معتمدين بشهادات رسمية من الدولة,(1986، التصريف لمن عجز عن التأليف، بيروت, دار إحياء التراث، ج1، ص29)

هذه المؤسسات الطبية جسدت مفهوم التعليم التطبيقي المرتبط بسوق العمل، وهو ما يمثل أحد أعمدة التنمية البشرية المستدامة في العصر الحديث .وقد اعترف باحثون غربيون بأن الطب الأوروبي في العصور الوسطى اعتمد على ما ورثه من البيمارستانات العباسية (George Sarton, Introduction to the History of Science, Baltimore: Carnegie Institution, 1927, vol. 1, p. 603).

خامساً :حركة الترجمة ونقل المعرفة بين الحضارات

إلى جانب بيت الحكمة، شهد العصر العباسي حركة ترجمة واسعة في الرياضيات والفلك والطب والفلسفة .ترجم حنين بن إسحاق وولده إسحاق كتب جالينوس وأرسطو إلى العربية، وراجعها علماء مسلمون مثل الكندي والفارابي، فصارت أساساً للتطوير لا مجرد النقل,(القفطي، 1970,إخبار العلماء، ص165)؛ (ابن النديم، 1978الفهرست، بيروت, دار المعرفة، ص306).

إن هذه الحركة تمثل تجسيداً لما يُعرف اليوم بـ توطين المعرفة، أي استيراد العلوم من الخارج ثم تطويرها محلياً .وقد كان لهذا الدور أثر مباشر في ازدهار العلوم الطبيعية والفكرية في العالم الإسلامي، ومن ثم انتقالها إلى أوروبا.

خاتمة المبحث الثالث

لقد كشف هذا المبحث أن التعليم في العصر العباسي لم يكن مجرد مؤسسة، بل مشروع تنمية بشرية مستدامة .فقد جسدت المدارس النظامية الاستثمار في الكفاءات، وعبّر بيت الحكمة عن البحث والابتكار، ومثلت المساجد نموذج التعليم المجتمعي، فيما جسدت البيمارستانات التعليم التطبيقي، وحركة الترجمة صورة للتفاعل الحضاري.

وبهذا، نجد أن العباسيين سبقوا المفاهيم الحديثة التي تجعل من التعليم ركيزة أساسية للتنمية، إذ أدركوا أن بناء الإنسان علمياً هو أساس بناء الحضارة مادياً واجتماعياً .وإذا كان المبحث الأول قد أبرز البنية المادية للتنمية، والمبحث الثاني قد تناول البنية الاجتماعية والمؤسساتية، فإن هذا المبحث يُظهر البنية المعرفية والبشرية التي لا تقل أهمية عن سابقاتها، بل تشكل روح الحضارة نفسها.

المبحث الرابع: التخطيط الحضري والتنمية المستدامة للمدن في العصر العباسي

أولاً :بغداد – المدينة الدائرية وعاصمة الحضارة

1 –تخطيط المدينة الدائرية

حين قرر الخليفة أبو جعفر المنصور سنة145 هـ762/م أن يبني عاصمة جديدة، لم يكن الأمر نزوة شخصية بل مشروعًا استراتيجيًا يراد به أن تكون بغداد مركزًا للسلطة والسياسة والاقتصاد والعلم . فجاءت خطته أن تكون مدينة دائرية، وهو تصميم غير مسبوق في العالم الإسلامي آنذاك.

يروي الطبري أن المنصور أشرف على اختيار الموقع بين نهري دجلة والفرات، حيث تتوافر المياه، وتتقاطع طرق التجارة القادمة من الشام وخراسان وفارس والجزيرة العربية (1967 ،تاريخ الرسل والملوك ، ج8، ص 136)ويضيف اليعقوبي أن اختيار الشكل الدائري لم يكن مجرد مسألة هندسية، بل عكس فكرة رمزية عن المركزية؛ حيث الخليفة في القلب، والمسجد الجامع بجواره، ثم تتوزع الوزارات والأسواق حوله في حلقات(1892 ،البلدان, ص117).

أما ابن الأثير فقد وصف بغداد بأنها" مدينة الإسلام وعين الدنيا"، مشيرًا إلى أن تخطيطها الفريد جعلها أشبه بعجلة تدور حول مركزها (1987 ، الكامل في التاريخ، ج6، ص212) ويوافقه الخطيب البغدادي في قوله إن" كل طريق فيها يؤدي إلى الخليفة"، في إشارة إلى مركزية الحكم والسياسة (1997، تاريخ بغداد، ج1، ص45).

هذا التنظيم الدائري يكاد يقارب ما يُعرف اليوم بمفهوم المدن الذكيةSmart Cities ، حيث يُبنى الفضاء الحضري على أسس وظيفية مدروسة .وقد أشار جاكوب لاسنر (Jacob Lassner) في دراسته

الرائدة The Topography of Baghdad in the Early Middle Ages إلى أن بغداد المنصور تمثل نموذجًا مبكرًا لمدينة عالميةGlobal City ، إذ خُطّطت منذ البداية لتكون ملتقى الطرق التجارية والفكرية.(Lassner, Detroit: Wayne State University Press, 1970, p. 42)

الأبواب الأربعة وشبكات التجارة

كان لبغداد أربعة أبواب رئيسية :باب الكوفة، باب خراسان، باب الشام، باب البصرة .وكل باب لم يكن مجرد مدخل، بل محورًا للتجارة والاتصال بالعالم الخارجي.

عند الطبري :كان باب خراسان يربط بغداد بطرق التجارة القادمة من المشرق، حاملاً الحرير والتوابل (1967،تاريخ الرسل والملوك, ج8، ص138).

أما باب البصرة فكان منفذًا للبضائع البحرية القادمة من الهند واليمن وشرق إفريقيا, (ابن خرداذبه،1967,المسالك والممالك، ص74).

وباب الشام كان بوابة العراق إلى البحر المتوسط والتجارة الأوروبية، بينما باب الكوفة ربطها بالحجاز ومكة (اليعقوبي،1960, تاريخ اليعقوبي، ج2، ص492).

إن هذا الربط الاستراتيجي جعل من بغداد عقدة مواصلات كبرى، وهو ما يشبه اليوم مفهوم المراكز اللوجستية الدولية التي تبنى عليها اقتصادات الدول الحديثة.

3-الأسواق والفضاء الاقتصادي

لم يكن عمران بغداد محصورًا في القصور والمساجد، بل تجلى في أسواقها العامرة .فقد انقسمت المدينة إلى جناحين :الكرخ والرصافة، وكل واحد منهما كان يضم أسواقًا متخصصة.

يصف ابن الفقيه سوق الكرخ بأنه مليء بالحرير والذهب والفضة، وسوق الرصافة بأنه مخصص للكتب والورق والعطور (1996، البلدان، ص116).

ويؤكد المقدسي أن أسواق بغداد كانت أشبه بـ" مدينة داخل مدينة"، حيث تُباع السلع من شتى الأقاليم (1906، أحسن التقاسيم ، ص131).

أما المسعودي فقد وصفها بأنها" مجمع السلع واللغات والأديان"، مما يعكس تنوعها الثقافي(1965، مروج الذهب، ج4، ص61).

هذه الحياة الاقتصادية جعلت من بغداد مركزًا ماليًا عالميًا، إذ ازدهرت فيها المصارف) الصيارفة(، وتداولت فيها الأوراق التجارية) السفتجة(، وهو ما يراه بعض الباحثين الغربيين بداية النظام المصرفي الحديث (Andre Raymond, The Great Arab Cities in the 16th–18th Centuries, New York: New

York University Press, 1984, p. 12

4-البنية البيئية والصحية

لم يغفل التخطيط العباسي للمدينة البعد البيئي .فقد وُزعت البساتين حول بغداد كأحزمة خضراء توفر الهواء النقي وتغذي الأسواق بالخضر والفواكه .ويذكر المقدسي أن مياه دجلة كانت تجري عبر قنوات داخل المدينة، تسقي الأحياء والحمامات (1906، أحسن التقاسيم,ص131).

كما أن الحسبة لعبت دورًا مهمًا في مراقبة نظافة الأسواق ومنع التلوث .يقول ابن الأخوة إن المحتسب كان يعاقب من يلوث الطرقات أو يرمي المخلفات في مجاري المياه ,(ابن الأخوة، 1939,معالم القربة ، ص88) . وهذا يعكس وعيًا مبكرًا بالصحة العامة، وهو ما يقارب ما تسميه الأمم المتحدة اليوم بـ الحوكمة البيئية الحضرية.

5 -البعد الاجتماعي والثقافي

لم تكن بغداد مدينة للقصور فقط، بل كانت مدينة للعلماء والمفكرين .فقد ارتبط عمرانها بحلقات العلم في مساجدها وجوامعها .ويصف الخطيب البغدادي كيف امتلأت المساجد بحلقات الحديث والفقه، حتى أصبحت بغداد" دار العلم الأولى, (1997 ,تاريخ بغداد، ج2، ص77).

هذا الارتباط بين التخطيط العمراني والأنشطة الثقافية والتعليمية يعكس أن بغداد لم تُبنَ كمدينة سلطة وحسب، بل كـ مدينة حضارة، وهو ما جعلها عاصمة للعالم لخمسة قرون.

(الخلاصة) بغداد

لقد جسدت بغداد الدائرية في العصر العباسي المبكر نموذجًا متقدمًا للتنمية الحضرية المستدامة:

(تنظيم عمراني مركزي) الحوكمة.

(شبكات تجارة دولية) اقتصاد عالمي.

(أسواق ومصارف) تنمية اقتصادية.

(بنية بيئية وصحية) استدامة بيئية.

(حياة علمية وثقافية) تنمية بشرية.

وبذلك، فإن بغداد لم تكن مجرد عاصمة سياسية، بل كانت أول مدينة عالمية في العصور الوسطى، تمثل ما تسميه الأمم المتحدة اليوم" المدينة المستدامة متعددة الوظائف."

ثانياً :سامراء – المدينة المائية والعمارة المتكاملة

1 -خلفية تأسيس سامراء

تأسست سامراء سنة221 هـ836/م على يد الخليفة المعتصم بالله، في ظرف سياسي واجتماعي خاص؛ إذ ضاقت بغداد بجيوشه من الأتراك والموالي، مما دفعه إلى البحث عن مدينة جديدة تستوعب الجيش وتوفر بيئة مناسبة للعمران ,(ابن الأثير،1987 ، الكامل في التاريخ، ج7، ص201), لكن سامراء

لم تكن مجرد معسكر عسكري؛ بل تحولت إلى مشروع عمراني ضخم يعكس عبقرية التخطيط العباسي في استثمار الموارد المائية والبيئية.

2 –التخطيط الحضري والمساحة العمرانية

امتدت سامراء بطول 30 كيلومترًا تقريبًا على ضفاف دجلة، وهو ما جعلها من أكبر المدن الإسلامية في زمانها .يذكر اليعقوبي أن المعتصم وزع أحياء المدينة بطريقة مدروسة :قصور للخليفة وحاشيته، أحياء للجند، أسواق للتجار، مساجد للعبادة، وبساتين تحيط بالمدينة من الجهات الأربع(1960، تاريخ اليعقوبي ، ج2، ص 479).ويشير المقدسي إلى أن سامراء كانت مدينة منظمة، تُعرف شوارعها باتساعها واستقامتها، ما يسهل حركة الجيش والتجارة معًا,(1906 ، أحسن التقاسيم، ص133).

هذا الاتساع العمراني يقارب ما يُعرف اليوم بـ التخطيط الاستراتيجي للمدن الجديدة، حيث يُراعى توزيع السكان والأنشطة الاقتصادية بما يمنع الاكتظاظ ويحافظ على النظام.

3 –البنية المائية المتكاملة

أحد أعظم إنجازات سامراء كان شبكة القنوات التي أنشأها المعتصم لتغذية المدينة .فقد حُفرت قنوات اصطناعية تتفرع من دجلة، بعضها مخصص لري البساتين، وبعضها لتزويد الحمامات العامة والمساكن بالماء .ويصف المسعودي هذه القنوات بأنها جعلت المياه" تجري في كل دار وبستان"، حتى قيل إن سامراء كانت مدينة الأنهار الصغيرة(1965 ، مروج الذهب ، ج4، ص56),

ويؤكد ابن خرداذبه أن هذه القنوات لم تُستخدم للزراعة فقط، بل شُقّت بطرق تُمكّن من استخدامها للنقل الداخلي، مثلما في مدن القنوات الأوروبية لاحقًا(1967، المسالك والممالك، ص88).

هذا التكامل المائي يجعل سامراء أقرب إلى مفهوم المدن البيئية Eco–Cities في عصرنا، حيث يُدمج الماء في البنية التحتية للمدينة بوصفه عنصر حياة ورفاهية معًا.

4–العمارة والقصور

تميزت سامراء بعمارتها الضخمة التي لم يُعرف مثلها في أي مدينة إسلامية أخرى .فقد بُنيت قصور عظيمة مثل:

قصر الجوسق الخاقاني الذي وصفه ابن الأثير بأنه" دار الإمارة ومقر الجند"، وقد احتوى على قاعات فسيحة وحدائق مائية(1987 ،الكامل, ج7، ص204).

القصر البلوري الذي يذكره المسعودي، قائلاً إنه كان مبنيًا من الرخام والمرمر، تحيط به برك ماء وحدائق

(1965،مروج الذهب ج4، ص61).

القصر العروس الذي أشار إليه اليعقوبي باعتباره تحفة هندسية، يعكس البذخ العمراني العباسي,(1960 ،تاريخ اليعقوبي, ج2، ص480).

إلى جانب القصور، جاء جامع سامراء الكبير بمئذنته الملوية) ال (spiral minaretرمزًا معماريًا فريدًا .وقد أشار ابن جبير في رحلته إلى عظمة هذه المئذنة التي كانت مرئية من مسافة بعيدة) (1981، الرحلة، بيروت :دار صادر، ص192), يرى مؤرخو الفن الإسلامي أن المئذنة الملوية تمثل ابتكارًا معمارياً يُظهر تفاعل الفن الإسلامي مع البيئة، إذ بنيت بشكل حلزوني يرمز للصعود الروحي، وفي الوقت ذاته يسمح بتقليل الضغط على قاعدة البناء (Oleg Grabar, The Formation of Islamic Art, New Haven: Yale University Press, 1987, p. 225).

5 –الحياة الاقتصادية والاجتماعية

لم تكن سامراء مدينة قصور وجنود فقط، بل ازدهرت فيها الحياة الاقتصادية .يذكر ابن الفقيه أن أسواقها كانت مملوءة بالسلع القادمة من خراسان والشام والهند، وأنها نافست بغداد لفترة في تجارتها (1996، البلدان، ص 118). أما المقدسي فيشير إلى أن الأسواق كانت مقسمة بحسب التخصص، وأن لكل سوق حسبة خاصة تنظم الأسعار والجودة(1906،احسن التقاسيم, ص134).

اجتماعيًا، وفرت سامراء مساكن واسعة للجند وعائلاتهم، وبُنيت فيها الحمامات العامة بكثرة، حتى وصفها المسعودي بأنها مدينة" الحمامات والبساتين(1965،مروج الذهب, ج4، ص 59) ,وهذا يعكس وعياً بالصحة العامة وجودة الحياة، وهو ما يعدّ ركيزة أساسية في التنمية المستدامة.

6 –البعد البيئي والجنائن

كانت البساتين المحيطة بسامراء جزءًا من تخطيطها الحضري .فقد وصفها اليعقوبي بأنها" مدينة بين جنائن"، حيث أحاطت بها المزارع والكروم من كل جانب

(1960 , تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 481), كما ذكر ابن الأثير أن بعض القصور كانت تتصل مباشرة ببساتين واسعة تروى من القنوات، ما جعل العمارة والبيئة يتكاملان في صورة نادرة (1987 ،الكامل, ج7، ص205).

هذا الدمج بين العمارة والبساتين يذكّرنا بما يُعرف اليوم بمفهوم المدن الخضراءGreen Cities ، التي تعتمد على دمج الغطاء النباتي بالمدينة لخلق بيئة صحية مستدامة.

7 –الأثر الحضاري والرمزية

من منظور التنمية، لم تكن سامراء مدينة مؤقتة، بل جسدت طموحًا سياسيًا واجتماعيًا .ومع أنها فقدت مكانتها بعد عودة الخلافة إلى بغداد، إلا أن آثارها المعمارية تركت بصمة خالدة .فقد اعتُبرت رمزًا لـ قدرة الدولة على بناء مدينة متكاملة من الصفر، وهو ما لم يعرفه العالم إلا نادرًا في ذلك العصر .ويؤكد باحثون معاصرون أن سامراء كانت" مختبرًا عمرانيًا "أثّر لاحقًا في العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس (Jonathan Bloom, Early Islamic Art and Architecture, London: Ashgate, 2002, p. 143).

الخلاصة) سامراء

مثّلت سامراء مدينة مائية – بيئية – معمارية متكاملة، حيث اجتمعت فيها:

التخطيط الاستراتيجي لاستيعاب الجيش والسكان.

شبكة قنوات مائية متقدمة.

قصور وجوامع فريدة من نوعها.

أسواق مزدهرة منظمة بالحسبة.

بساتين وجنائن شكلت إطارًا بيئيًا صحيًا.

وبذلك كانت سامراء مدينة التنمية المستدامة في العصر العباسي، جمعت بين الأمن، والاقتصاد، والثقافة، والبيئة في مشروع حضاري واحد.

ثالثاً :البصرة – المدينة التجارية والبيئة البحرية

1 –البصرة في العصر العباسي :مركز عالمي

كانت البصرة من أقدم الأمصار الإسلامية) تأسست سنة14 هـ(، لكنها في العصر العباسي تحولت إلى مدينة تجارية كبرى، وميناء استراتيجي يربط الدولة العباسية بالمحيط الهندي والخليج العربي وشرق إفريقيا .يذكر ابن خرداذبه أن البصرة كانت الميناء الأول للدولة، ومنه تصدر التمور واللؤلؤ والنحاس، وتدخل البضائع الهندية والصينية(1967 ,المسالك والممالك، ص74), ويؤكد المقدسي أن البصرة" دار تجارة البحر "و"مدينة الأنهار والجنائن"، فهي جمعت بين التجارة والعمران والبيئة(1906، أحسن التقاسيم ، ص131).

البصرة بهذا المعنى كانت بوابة العراق إلى البحر، ومركزًا يربط الشرق بالغرب، تمامًا كما تمثل اليوم المدن الموانئ الكبرى مثل سنغافورة ودبي وروتردام.

2 –التخطيط العمراني والأنهار الداخلية

ما يميز البصرة عن بغداد وسامراء أنها لم تكن مدينة نهرية فقط، بل مدينة أنهار داخلية .فقد وُجدت فيها شبكة من الأنهار الفرعية مثل :نهر الأبلة، نهر معقل، نهر سيحان، نهر دجيل، وكلها تتفرع من شط العرب .يذكر اليعقوبي أن هذه الأنهار دخلت بين أحياء المدينة، بحيث أصبحت البيوت تطل على مجاري مائية، وتنتقل القوارب بين الأسواق (1892، البلدان، ص120).

هذا الطابع جعل البصرة أشبه بمدن القنوات الشهيرة(Venice, Amsterdam) ، ولكن قبلها بقرون .ويقول ابن الفقيه إن أهل البصرة كانوا يزرعون على ضفاف الأنهار حدائق النخيل والخضر، ما جعل المدينة تبدو

كأنها" جنات تجري من تحتها الأنهار (1996 ، البلدان، ص119).

من منظور التنمية الحضرية، يُمكن اعتبار هذا التخطيط نموذجًا مبكرًا لـ المدن المائية Water Cities، حيث يُدمج النهر في الحياة اليومية للمدينة.

3 –الأسواق والتجارة البحرية

كانت أسواق البصرة انعكاسًا لموقعها الاستراتيجي .يذكر المقدسي أن أسواقها امتلأت بالبهارات الهندية، والخزف الصيني، والعاج الإفريقي، واللؤلؤ الخليجي، إلى جانب تمورها المشهورة التي كانت تصدر إلى العراق وخارجه (1960، احسن التقاسيم,ص 132) . ويؤكد المسعودي أن البصرة كانت" مجمّعًا للبضائع من سائر الدنيا"، وأنها نافست بغداد في التجارة الدولية ,(1965، مروج الذهب، ج4، ص72).

أما ابن الأثير فقد وصفها بأنها" مدينة التجار"، مشيرًا إلى أن كثيرًا من أثرياء الدولة كانوا من تجار البصرة الذين جمعوا ثرواتهم من الملاحة والتجارة ,(1987، الكامل في التاريخ، ج7، ص243).

من الناحية الاقتصادية، جسدت البصرة نموذجًا لـ الاقتصاد الأزرق Blue Economy في عصرنا :حيث استندت إلى البحر والانهار والموانئ كمصادر للثروة والتنمية.

–4الحياة الاجتماعية والعلمية

إلى جانب كونها ميناءً تجاريًا، كانت البصرة مركزًا علميًا فريدًا .فقد شهدت نشأة مدرسة البصرة اللغوية، التي أسسها علماء مثل سيبويه والكسائي، وأسهمت في وضع أسس النحو العربي .يذكر ابن النديم أن حلقات البصرة في القرن الثاني والثالث الهجريين كانت عامرة بالعلماء من كل فن :النحو، الفقه، الطب، الفلك(1987 ، الفهرست، ص303).

كما يصف الخطيب البغدادي البصرة بأنها" مأوى الأدباء واللغويين"، مما جعلها مركزًا معرفيًا يوازي بغداد (1997، تاريخ بغداد، ج1، ص 77), هذه الحياة الفكرية المتزامنة مع الازدهار التجاري تعكس أن التنمية لم تكن مادية فحسب، بل بشرية ومعرفية.

–5البعد البيئي والزراعة النهرية

اشتهرت البصرة بكونها مدينة النخيل، حتى قال عنها المقدسي" :ليس في الإسلام أكثر نخلاً من البصرة "(1906،احسن التقاسيم, ص 131),وكان النخيل يزرع على ضفاف الأنهار الداخلية، ويشكل جزءًا من النسيج العمراني نفسه .ويذكر المسعودي أن التمور كانت تُخزن وتصدر بكميات ضخمة، حتى أصبحت من أهم صادرات العراق(1965،مروج الذهب, ج4، ص74)

إلى جانب النخيل، وُجدت زراعة الخضر والكروم على نطاق واسع، مدعومة بشبكة الري الداخلية . هذا الاندماج بين الزراعة والمدينة يجعل البصرة نموذجًا مبكرًا لما يُعرف اليوم بـ المدن الزراعية Urban Agriculture، حيث تُزرع المحاصيل داخل المجال الحضري نفسه لضمان الأمن الغذائي.

6-إدارة الموانئ والنظام البحري

لم تكن الموانئ في البصرة مجرد أرصفة بدائية، بل كانت تُدار بنظام إداري معقد .يذكر ابن خرداذبه أن ميناء الأبلة كان له موظفون رسميون لجمع الرسوم الجمركية، وتنظيم حركة السفن، وتسجيل البضائع(1967،المسالك والممالك, ص76),ويشير اليعقوبي إلى أن الدولة خصصت ديوانًا خاصًا للتجارة البحرية، يعنى بالملاحة وحماية السفن(1960، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص494).

هذه الإدارة تمثل صورة مبكرة لـ حوكمة الموانئ التي تعرفها الدول الحديثة، حيث يُنظم الميناء كمؤسسة اقتصادية حيوية.

7-البصرة والتنمية المستدامة

من زاوية التنمية المستدامة، جسدت البصرة ثلاثة أبعاد رئيسية:

الاقتصاد الأزرق :اعتمادها على البحر والموانئ في توليد الثروة.

البيئة الخضراء :اندماج النخيل والزراعة مع العمران.

التنمية البشرية :كونها مركزًا للعلم والمعرفة بجانب التجارة.

ويؤكد باحثون معاصرون أن البصرة تمثل نموذجًا تاريخيًا فريدًا لمدينة متكاملة الوظائف، تجمع بين التجارة الدولية، والبيئة الطبيعية، والتنمية البشرية (Andre Wink, Al-Hind: The Making of the Indo-Islamic World, Leiden: Brill, 2002, vol. 1, p. 145).

خلاصة البصرة

لقد مثّلت البصرة في العصر العباسي مدينة بحرية – تجارية – علمية متفردة، تميزت بشبكة أنهار داخلية، وموانئ دولية، وأسواق عالمية، وحدائق نخيل تشكل جزءًا من عمرانها .وهي بهذا كانت أقرب ما تكون إلى نموذج المدينة المستدامة المتعددة الوظائف، التي تحقق توازنًا بين الاقتصاد والبيئة والمجتمع.

يتضح من خلال دراسة بغداد وسامراء والبصرة أن العمران العباسي لم يكن وليد الصدفة أو نتاج الضرورة

فحسب، بل كان مشروعًا حضاريًا مدروسًا يعكس رؤية استراتيجية للدولة في إدارة المدن وتوظيفها لخدمة السياسة والاقتصاد والمجتمع والبيئة معًا .لقد أدرك العباسيون أن المدينة ليست مجرد تجمع سكاني، وإنما هي بنية تحتية حضارية متكاملة، ومن ثم جاءت مدنهم الكبرى بمثابة مختبرات حية لمفاهيم التنمية المستدامة قبل أن تُصاغ بهذا الاسم في عصرنا.

فـ بغداد الدائرية جسدت نموذج الحوكمة والتنظيم، حيث عُكست السلطة المركزية في عمرانها الدائري الذي يجعل الخليفة والمسجد الجامع في القلب، بينما توزعت الأسواق والأحياء حول المركز وفق تخطيط وظيفي يحقق الأمن والاستقرار .ومن خلال أبوابها الأربعة ارتبطت المدينة بشبكات التجارة

العالمية، لتصبح أول مدينة عالمية Global City في التاريخ الوسيط، تجمع بين السياسة والاقتصاد والثقافة.

أما سامراء، فقد مثّلت نموذج المدينة المائية والبيئية، حيث شُيدت على أساس شبكة قنوات معقدة جعلت الماء عنصراً محورياً في حياة السكان، سواء للزراعة أو للحمامات أو للقصور .وتجلت فيها العمارة العباسية

الفريدة) المئذنة الملوية، القصور الفخمة، البساتين المحيطة(، مما جعلها مدينة متكاملة تجمع بين البيئة والعمران والثقافة .إن سامراء كانت بحق تجربة رائدة في دمج الطبيعة بالمدينة، وهو ما يُعرف اليوم بـ المدن الخضراء.Eco-Cities

وأما البصرة، فقد جسدت المدينة التجارية – البحرية التي تعتمد على البحر والأنهار الداخلية والموانئ الدولية، فجعلت منها مركزاً للتبادل التجاري بين الهند والصين وشرق إفريقيا والعالم الإسلامي . لكنها لم تكن مدينة تجارة فقط، بل كانت أيضاً مدينة نخيل وعلم، إذ اندمجت الزراعة مع العمران، واحتضنت حلقات العلم التي أسست

لمدرسة النحو واللغة .وهكذا أصبحت البصرة نموذجاً مبكراً لـ الاقتصاد الأزرقBlue Economy ، الذي يربط بين البحر والتنمية البشرية والاقتصاد المعرفي.

إن هذه النماذج الثلاثة، على تنوعها، تكشف أن العباسيين امتلكوا رؤية متقدمة للتخطيط الحضري تقوم على ثلاثة مبادئ أساسية:

1-التكامل الوظيفي :بحيث تكون المدينة مركزاً للسياسة والاقتصاد والثقافة في آن واحد.

.2الارتباط بالبيئة :من خلال القنوات والأنهار والبساتين، بما يحافظ على التوازن الطبيعي.

.3الاستدامة الاجتماعية :حيث وفرت المدن فضاءات للعلم والتكافل، وضمنت جودة الحياة للسكان.

ومن هنا، يمكن القول إن المدن العباسية الكبرى) بغداد – سامراء – البصرة (لم تكن مجرد شواهد معمارية، بل تجارب حضارية متكاملة، تشكّل نماذج مبكرة لما يُعرف اليوم بالتنمية المستدامة الحضرية . فهي مدن بُنيت لتبقى، ونجحت في الجمع بين متطلبات الحاضر آنذاك واحتياجات المستقبل، مما يجعلها رصيداً معرفياً ينبغي استعادته في النقاشات المعاصرة حول التنمية والحوكمة العمرانية.

المبحث الخامس :النتائج والدروس المستفادة – التاريخ أصل التنمية المستدامة

مدخل المبحث

كثير من الأصوات في الجامعات اليوم – خاصة في الكليات العلمية والاقتصادية – تنظر إلى التاريخ بوصفه مجرد سجل للوقائع الماضية، لا يحمل قيمة معرفية في بناء المستقبل .بل إن بعض

الباحثين في مجال التنمية يذهبون إلى القول إن التاريخ عائقٌ أمام التقدم، وأن التنمية لا تنبني إلا على الاقتصاد الحديث وإحصاءاته.(World Bank, World Development Report, 2020, p. 7)

غير أن النظر العميق في التجربة العباسية يثبت عكس ذلك تمامًا :فالتاريخ هنا لم يكن مجرد ماضٍ يُحكى، بل كان أرضية للتنمية المستدامة بمفهومها الكامل .وإذا كانت الأمم المتحدة اليوم قد حددت للتنمية أبعادًا ثلاثة) الاقتصاد، المجتمع، البيئة UN, Sustainable Development Goals) (Report, 2015, p. 12)، فإن العباسيين قد جمعوا هذه الأبعاد في ممارسات واقعية منذ القرن الثاني الهجري.

هذا المبحث إذن ليس مجرد استعراض نتائج، بل هو صرخة علمية تقول :إن التاريخ – وبالأخص الحضارة العباسية – هو الأصل والمنبع الذي سبق الفكر التنموي الحديث، وأن تجاهل ذلك يُعد إقصاءً لحقائق معرفية ينبغي أن تكون في قلب النقاش الأكاديمي.

أولاً :نتائج التجربة العباسية

1 –الاقتصاد وإدارة الموارد

أثبت العباسيون أن التنمية تبدأ من إدارة الماء والأرض .فالنهروان وقنوات سامراء لم تكن مشاريع هندسية فحسب، بل أدوات لتحقيق الأمن الغذائي، واستقرار الأسعار، وتوفير فائض للتجارة ,(1967 ,الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص55)؛ (1965 ,المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص56).

إن هذا يطابق تمامًا ما تسميه الأمم المتحدة اليوم بـ

الأمن الغذائي المستدام (FAO, The State of Food Security and Nutrition in the World, 2022, p. 44).

2 –العدالة الاجتماعية والمؤسسات

جاءت الزكاة والوقف والحسبة لتجسد شبكة حماية اجتماعية متكاملة .فقد كانت الزكاة وسيلة لإعادة توزيع الثروة (1967 ,الطبري، ج9، ص115)، والوقف استثمارًا طويل الأمد للأجيال(2005 ,ابن خلدون، المقدمة، ص412)، والحسبة جهازًا رقابيًا يمنع الاحتكار والظلم (1939,ابن الأخوة، معالم القربة، ص94).

وهذا يسبق ما تنادي به المنظمات الدولية اليوم تحت عنوان الحماية الاجتماعية Social (Protection World) Bank), Social Protection & Jobs, 2018.

–3التعليم ورأس المال البشري

كان التعليم في المدارس النظامية وبيت الحكمة والبيمارستانات أكثر من مجرد تلقين؛ بل كان مشروعًا

لتخريج كفاءات بشرية تقود الدولة والمجتمع,(1992,ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص105)؛(1960,اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص492).

هذا هو عين ما تسميه التقارير الدولية الاستثمار في رأس المال البشري ,World Bank) Human Capital Project, 2019).الفارق أن العباسيين لم يضعوه في نظريات مجردة، بل مارسوه على الأرض، فجعلوا العلم سياسة دولة.

4 –التخطيط الحضري والمدن المستدامة

بغداد :أول مدينة عالمية Global City بمركزيتها الاقتصادية والسياسية ,(1967,الطبري، ج8، ص136).

سامراء :نموذج Eco–City بدمجها القنوات والبساتين بالعمران, (1965,المسعودي، ج4، ص56).

البصرة :رائدة الاقتصاد الأزرق Blue Economy باندماجها مع البحر والأنهار ,(1967,ابن خرداذبه،المسالك والممالك, ص74)؛(1906,المقدسي،احسن التقاسيم, ص131).

هذه النماذج لم تكن صدفة؛ بل خطط استراتيجي يعكس وعيًا حضاريًا بأن المدينة كائن حي، يحتاج إلى توازن بين العمران والبيئة والاقتصاد .وهو ما تتحدث عنه اليوم تقارير UN–Habitat (2022, p. 31).

ثانياً :الدروس المستفادة

1 .التكامل :لم يعالج العباسيون التنمية كجزر منفصلة) اقتصاد أو تعليم أو بيئة(، بل كنظام واحد متشابك.

2 .المؤسساتية :التنمية لم تكن مرتبطة بشخص خليفة أو وزير، بل جُعلت مؤسسات) ديوان الخراج، ديوان الزكاة، الأوقاف، الحسبة، المدارس.

3 .الاستدامة عبر الزمن :نظام الوقف يضمن بقاء

المنفعة بعد وفاة الواقف، وهو ما يسبق أي فكرة حديثة عن" صناديق التنمية طويلة الأجل."

4 .الإنسان محور التنمية :جعلوا التعليم أساس كل تنمية، بينما بعض النظريات الحديثة ما زالت تحصر التنمية في الاقتصاد المادي.

5 .الدين كإطار حضاري :الشريعة كانت البوصلة التي وجهت الاقتصاد والاجتماع والبيئة، فجعلت التنمية مرتبطة بالقيم والعدالة.

ثالثاً :مقارنة بالخطاب التنموي العالمي

الأمم المتحدة :(2015) وضعت 17 هدفًا للتنمية المستدامة .يمكن القول إن العباسيين حققوا معظمها فعليًا :القضاء على الفقر) الزكاة(، الأمن الغذائي) الري(، التعليم الجيد) النظاميات(، المدن المستدامة) بغداد وسامراء والبصرة.

البنك الدولي :يشدد على الحوكمة والشفافية؛ الحسبة والوقف العباسيان كانا مؤسسات حوكمة عملية.

اليونسكو :تنادي بمجتمعات المعرفة؛ بيت الحكمة والبيمارستانات جسدت هذا المفهوم عمليًا.

وهكذا، فإن الخطاب العالمي الحديث لا يضيف شيئًا جوهريًا بقدر ما يعيد صياغة ما مارسته الحضارة الإسلامية منذ قرون، لكن دون الإشارة إلى جذوره التاريخية.

خاتمة المبحث الخامس

إن هذا البحث يثبت – بالدليل والشاهد التاريخي – أن التاريخ ليس عائقًا أمام التنمية، بل هو أصلها .وأن من يتجاهل التجربة العباسية، يتجاهل واحدة من أعرق النماذج التي جمعت بين الاقتصاد المزدهر، المجتمع المتكافل، البيئة المستدامة، والتعليم المنتج.

فالتاريخ العباسي ليس مجرد ذكرى، بل مرآة للتنمية المستدامة، سبق الأمم المتحدة والبنك الدولي واليونسكو بقرون.

إنها رسالة علمية حاسمة:

<الحضارة الإسلامية العباسية لم تكن ماضياً منطفئاً، بل مشروعًا عالميًا للتنمية سبق الحاضر، وما زال قادراً على إلهام المستقبل.

الخاتمة العامة

حين نطوي صفحات هذا البحث، لا نغلق بابًا من الماضي، بل نفتح نافذةً مشرعة على الحاضر والمستقبل .لقد حاولنا أن نقرأ العصر العباسي لا بوصفه مجرد فصل في كتاب التاريخ، بل باعتباره أصلًا من

أصول التنمية المستدامة، ومنبعًا سبق الفكر الإنساني بقرون، وترك للبشرية إرثًا معرفيًا وعمليًا يفيض بالحياة حتى اليوم.

لقد تبين أن العباسيين لم يبنوا حضارتهم على السيف وحده، ولا على المال وحده، بل على منظومة متكاملة :ماءٌ يُدار بالعدل، أرضٌ تُزرع بالتخطيط، أوقافٌ تُستثمر للأجيال، زكاةٌ تعيد توزيع الثروة، تعليمٌ يخرّج العقول، مدنٌ تُشيّد بوعي بيئي، ومجتمعٌ تحكمه الحسبة والرقابة الأخلاقية .أي أنهم جسدوا كل ما تنادي به اليوم نظريات التنمية الدولية، لكنهم فعلوه بلغة عصرهم، وبقيم تستمد قوتها من الإسلام.

إن الرسالة الكبرى لهذا البحث هي :التاريخ ليس صندوقًا مغلقًا، بل هو منجم مستدام للطاقة الحضارية .وأن إقصاء التاريخ من نقاشات التنمية، كما يفعل بعض الأكاديميين في كليات الاقتصاد والهندسة، إنما هو بترٌ لجزء أصيل من العقل الإنساني.

إنها ليست عودة إلى الماضي من أجل الحنين، بل استدعاء للماضي كي يُغني الحاضر ويصوغ المستقبل .

وما دام العالم يبحث عن نماذج تنمية متكاملة، فليجدها في بغداد وسامراء والبصرة، في ديوان الخراج وبيت الحكمة والوقف والزكاة والحسبة، حيث قامت أول تجربة بشرية للتنمية المستدامة قبل أن تُولد الأمم المتحدة بألف عام.

التوصيات النهائية

.1إدماج التجربة الإسلامية – العباسية خاصة – في خطاب التنمية العالمي :على الجامعات ومراكز الأبحاث أن تعترف بأن جذور التنمية المستدامة موجودة في التاريخ الإسلامي، وأن يتم تدريس ذلك ضمن مناهج الاقتصاد والسياسة والبيئة.

.2إطلاق مشاريع بحثية مقارنة :بين مؤسسات التنمية الحديثة (UN, World Bank, UNESCO)والتجربة العباسية، لإبراز نقاط الالتقاء، وتحويلها إلى مادة علمية مؤثرة عالميًا.

.3الاستثمار في فكرة الوقف المعاصر :بإحياء الأوقاف الزراعية والعلمية والطبية على غرار العباسيين، باعتبارها أدوات تمويل مستدامة تحرر التنمية من الارتهان للقروض الدولية.

.4تطوير المدن العربية والإسلامية كمشاريع" مدن خضراء "مستلهمة من بغداد الدائرية وسامراء المائية والبصرة البحرية، بحيث يُعاد إدماج الطبيعة والزراعة والأنهار في صلب العمران الحديث.

.5بناء رأس مال بشري جديد على نموذج بيت الحكمة والمدارس النظامية، من خلال مراكز ترجمة وبحث وتطوير تكنولوجي تستلهم تجربة العباسيين في الترجمة وتوطين المعرفة.

6-صياغة" إعلان إسلامي للتنمية المستدامة "يُقدَّم للمؤتمرات الدولية، يثبت أن الحضارة الإسلامية ليست مجرد تراث ميت، بل مشروع عالمي صالح للحاضر والمستقبل.

كلمة ختامية

هذا البحث ليس مجرد دراسة أكاديمية؛ إنه صرخة علمية تُذكّر العالم بأن التنمية المستدامة لم تولد في نيويورك أو جنيف أو بروكسل، بل وُلدت في بغداد وسامراء والبصرة، حين اجتمع الفقهاء والمهندسون والمزارعون والعلماء لبناء حضارة متكاملة.

إنها دعوة إلى أن نرفع رؤوسنا عاليًا، ونقول للعالم:

نحن لم ندخل إلى مسرح التنمية متأخرين؛ نحن من أضاء المسرح أول مرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير،علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت630هـ/1233م), 1987,الكامل في التاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية
2. ابن الأخوة,محمد بن محمد بن احمد(ت729هـ/1329م),1939, معالم القربة في أحكام الحسبة,القاهرة: دار الكتب.
3. ابن أبي أصيبعة،احمد بن قاسمبن خليفة(ت668هـ/1270م), 1965,عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تح:نزار رضا, القاهرة :دار مكتبة الحياة
4. ابن بطوطة،محمد بن عبد الله بن محمد(ت779هـ/1377م),1992, الرحلة، بيروت :دار صادر.
5. البلاذري ,احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892 م),1988,فتوح البلدان، بيروت :دار ومكتبة الهلال،
6. ابن تيمية،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1328م),1976,الحسبة في الإسلام، القاهرة :دار المعرفة
7. ابن جبير،محمد بن أحمد بن جبير(ت614هـ/1217م), 1981,الرحلة، بيروت :دار صادر.
8. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(597هـ/1201م),1992,المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت :دار الكتب العلمية.
9. حسن، محمد،2015 ,الوقف والتنمية المستدامة في الإسلام، القاهرة :دار السلام
10. حسن2016، الزكاة,والتنمية الاجتماعية في الإسلام ,القاهرة,دار السلام
11. حسن،2017 ، تاريخ التعليم الإسلامي، القاهرة :دار السلام،
12. خالد، أحمد،2018 ,الحسبة والتنظيم الاجتماعي في الإسلام، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية،
13. ابن خرداذبه،أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت280هـ/893م), 1967 ,المسالك والممالك، القاهرة :مكتبة المثنى،
14. الخطيب البغدادي،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي(ت463 هـ/1072م), 1997,تاريخ بغداد، بيروت :دار الكتب العلمية.
15. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ/1406م),2005, المقدمة، القاهرة :دار الفكر.
16. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت748هـ/1348م), 1981,سير أعلام النبلاء، بيروت :مؤسسة الرسالة.

17. الزهراوي،ابو القاسم خلف بن عباس(ت403هـ/1013م), 1986,التصريف لمن عجز عن التاليف، بيروت :دار إحياء التراث.
18. سليم، أحمد، 2016 ,الفقه الإسلامي والبيئة، القاهرة :دار الشروق
19. سيد، عبد الله،2019,الأوقاف والتنمية المستدامة، الرباط :المعهد العالي للدراسات الإسلامية، 2019
20. سيد،2019 ، الأوقاف ودورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، الرباط :المعهد العالي للدراسات الإسلامية،
21. الشافعي،أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان (ت204هـ/820م), 1973 ,الأم، بيروت :دار المعرفة.
22. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد(ت310هـ/923م), 1967 , تاريخ الرسل والملوك، القاهرة : دار المعارف
23. علي، خالد، 2018,التنمية الحضرية في التاريخ الإسلامي، القاهرة :مكتبة الآداب.
24. ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت365هـ/951م), 1996,البلدان، بيروت :دار صادر.
25. القفطي،جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م), 1970 ,إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت :دار الآفاق الجديدة.
26. القلقشندي،أحمد بن علي بن أحمد(ت821هـ/1418م), 1913,صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة :دار الكتب.
27. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب(ت450هـ/1058م), 1996 ,الأحكام السلطانية، بيروت :دار الفكر.
28. المسعودي،علي بن الحسين بن علي(ت346هـ/957م),1965, مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت :دار الأندلس.
29. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت380هـ/990م),1906, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن :بريل.
30. ابن النديم، **أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد**(ت438هـ/1047م),1978, الفهرست،تح:ابراهيم رمضان, بيروت :دار المعرفة.
31. اليعقوبي, أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر(ت292هـ/905م),1892 ,البلدان، بيروت : دار صادر
32. اليعقوبي،1960, تاريخ اليعقوبي،,بيروت ,دار صادر.

References

1. (Andre Wink, Al-Hind: The Making of the Indo-Islamic World, Leiden: Brill, 2002, vol. 1, p. 145)

2. (Dimitri Gutas, Greek Thought, Arabic Culture, London: Routledge, 1998, p. 67)
3. (FAO, The State of Food Security and Nutrition in the World, 2022, p. 46
4. (George Sarton, Introduction to the History of Science, Baltimore: Carnegie Institution, 1927, vol. 1, p. 603)
5. (Jonathan Bloom, Early Islamic Art and Architecture, London: Ashgate, 2002, p. 143)
6. (Oleg Grabar, The Formation of Islamic Art, New Haven: Yale University Press, 1987, p. 225).
7. (UN, Sustainable Development Goals Report, 2015, p. 12
8. (World Bank, World Development Report, 2020, p. 7).
9. . (Lassner, Detroit: Wayne State University Press, 1970, p. 42)

10. Andre Raymond, The Great Arab Cities in the 16th–18th Centuries, New York: New
11. UN-Habitat (2022, p. 31
12. York University Press, 1984, p. 12

مكتبة مكنزي ودورها في نشر الفكر الماركسي في العراق

إعداد

أ.د.ابتسام حمود محمد
كلية التربية للعلوم الانسانية . قسم التاريخ
جامعة تكريت
ebtesam.h.mohamad@tu.edu.iq

المستخلص :

في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، لم تكن مكتبة مكنزي مجرد مكان لبيع الكتب في بغداد، بل كانت منارة فكرية وقلعةً سرية للتنوير،أدت دورًا محوريًا في تعريف المثقفين العراقيين بالفكر الماركسي واليساري عامة، في مدة كانت فيها مثل تلك الأفكار ممنوعة وخاضعة لرقابة شديدة. تأسست مكتبة مكنزي العريقة عام ١٩٢٠ في شارع الرشيد وهي أقدم مكتبة في العراق تمتاز بسمعة كبيرة في الأوساط الثقافية والعلمية.

لمكتبة مكنزي دور واضحا في تطوير الجانب العلمي والثقافي في العراق حيث اكتسبت المكتبة شهرة مرموقة عكست الجانب الثقافي والعلمي والحضاري على الصعيدين المحلي والعالمي في التعامل مع الكتب ذات المواضيع المتنوعة وفي المجالات العلمية والتعليمية والثقافية وبالعديد من اللغات وكانت مكتبة مكنزي المصدر الوحيد في العراق لتجهيز جميع الجامعات العراقية والمؤسسات التعليمية والمدارس بالكتب العلمية والأكاديمية من دور النشر العربية والعالمية وكان لها دورا بارزا في التحصيل العلمي لجميع شرائح المجتمع من اطباء ومهندسين وحقوقيين وصيادلة ومؤرخين وصحفيين وأدباء وفنانين وأكاديميين.

لم تكن مجرد مكتبة، بل سوقاً للنصوص الماركسية، ساعدت مرونة إدارتها وطلب النخب على خلق منفذ حيوي للأيديولوجية الراديكالية،يخلص البحث إلى أن مكتبة مكنزي كانت بنية تحتية ثقافية ضرورية لبلورة الفكر الماركسي الذي أثر بعمق على المشهد السياسي العراقي. .

الكلمات المفتاحية : الماركسية ، ثقافي ،مصدر ،حضاري ،الاداب

Abstract:

In the 1940s and 1950s, McKenzie Bookstore was not just a place that sold books in Baghdad, but rather an intellectual beacon and a secret citadel of enlightenment. It played a pivotal role in introducing Iraqi intellectuals to Marxist and leftist thought in general, during a period when such ideas were prohibited and subject to strict censorship The prestigious McKenzie Library was established in 1920 on Al-Rashid Street. It is the oldest library in Iraq and has a great reputation in cultural and scientific circles.

The McKenzie Library has a clear role in developing the scientific and cultural aspect in Iraq, as the library has gained a prominent reputation that reflects.... The cultural, scientific and civilizational aspect at the local and global levels in dealing with books on various topics and in the scientific, educational and cultural fields and in many languages. The McKenzie Library was the only source in Iraq to equip all Iraqi universities. Educational institutions and schools provide scientific and academic books from Arab and international publishing houses and have played a prominent role in the educational attainment of all segments of society, including doctors, engineers, jurists, pharmacists, historians, journalists, writers, artists and academics.It was not just a library, but a market for Marxist texts. The flexibility of its administration and the demand of elites helped create a vital outlet for radical ideology. The research concludes that the library was a cultural infrastructure necessary to crystallize Marxist thought, which deeply influenced the Iraqi political scene.
Keywords: Marxism, cultural, source, civilizational, literature

المقدمة :

في خضم التحولات الاجتماعية والفكرية التي شهدها العراق في منتصف القرن العشرين، برزت مكتبة مكنزي كظاهرة ثقافية فريدة تجاوز دورها التقليدي كمجرد مكان لبيع الكتب. بل كانت مشروعاً تنويرياً متكاملاً، ومركزاً لإشعاع فكري، وملتقى للنخبة المثقفة، وحاضنة لأفكار التغيير الاجتماعي ومنصة للحوار السياسي والثقافي في مدة مليئة بالتغيرات .

شكلت المكتبة جيلاً كاملاً من المثقفين العراقيين، اذ كانت المورد الفكري الأول لهم وغذت أفكارهم بأدبيات الثورة والتحرر من الاستعمار والاستغلال,كما دعمت الحركة الشيوعية فساعدت في توسعة القاعدة الفكرية للحركة الماركسية العراقية، من خلال توفير الأساس النظري الذي سوغ نضالها، وجذب أعضاء جدد من خلال غرس الوعي السياسي والطبقي لديهم وأدخلت مفاهيم جديدة في النقد الأدبي والفني، مرتبطة بالواقعية الاشتراكية، مما أثر على الحركة الأدبية والفنية في العراق.

يأتي هذا البحث لتسليط الضوء على تلك الظاهرة الاستثنائية، متتبعة نشأتها، وآليات عملها، ودورها المحوري في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي في مرحلة تأسيسية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر .

قسم البحث الى عدة محاور، المحور الأول: لمحة تاريخية عن مؤسس المكتبة في هذا المحور سيتم التعرف على ابرز مؤسسيها وما هي الأسباب التي آلت الى وجودها في العراق أما المحور الثاني: نشأة المكتبة وتسميتها إما المحور الثالث: فسيتم التطرق الى اهتمامات مكتبة مكنزي واهم الكتب التي احتوتها فضلا عن أهم روادها.بينما تطرق المحو الرابع:وفاة كينث مكنزي والمحور الخامس: مكنزي ملتقى المثقفين والمحور السادس:دور المكتبة في نشر الفكر الماركسي وكيفية التأثير على الحركة الأدبية فضلا عن الدور السياسي والأيديولوجي وكيف أصبحت ساحة للتغيير أما المحور الأخير: نهاية مكتبة مكنزي سيتطرق إلى نهاية دور مؤسسي المكتبة وكيف استمرت من بعدهم ومن ثم ألخاتمه وقائمة المصادر .

اولا : لمحة تاريخية عن مؤسس المكتبة :

يعد كينيث مكنزي Kenneth McKenzie المولود عام 1880م لعائلة فلاحية اسكتلندية في قرية غيرلوش Gairloch مقاطعة ، ويستروس Wester Ross في شمال غرب سكوتلندا، والدته آبيغيل مكنزي Abigail Mackenzie ، ترملت في وقت مبكر وحملت عناء تربية كينث وابنتين ، كما إنها تبنت اثنان من الأيتام ليصبحوا خمسة أطفال في حضانتها، وقد كانت متعلمة فعملت على الاهتمام بتهذيبهم وتعليمهم، وبعد إن تعرضت العائلة إلى كارثة كبيرة أذ اجتاحت سيول الفيضان بيتهم وحقولهم فاكتسحت ودمرت كل ما يملكون من حيوانات وحاجيات المنزل لذا هربت العائلة إلى احد التلال القريبة للنجاة من الموت (علي، 2016، صفحة 14) ، بعدها انتقل مكنزي الذي كانت لديه طموحات كثيرة لرسم مستقبله ،إلى لندن واستقر في منطقة كامبيرويل Camber well ، وتلقى تعليماً جيداً في مدرسة هايلاند Highland Schools ، وبعدها وضع أقدامه في طريق العمل إذ أصبح معيل الأسرة، وأفلحت جهوده بعد مدة بالحصول على عمل في قسم مبيعات الكتب في احد المحلات اللندنية الشهيرة والمعروفة باسم (محلات الجيش والبحرية) **Army & Navy Stores**. (طحين، 2025، صفحة 1)

بعد بضع سنوات من العمل أصبح لكيث مكنزي خبرة كبيرة في سوق الكتب ومعرفة واسعة في الإنتاج الفكري والأدبي لعديد من الكتّاب والمؤلفين، فقرر أن يفتتح مكتبة صغيرة بإسم (ملاذ محبي الكتب) **Book–Lover's Resort** في غرب لندن منطقة كنسنغستون Kensington وكانت تساعده في عمله ابنة عمه إيفانجيلين أديلايدا مكنزي Evangeline Adelaide Mackenzie وبفضل براعته تمكن من

تحقيق نجاح تجاري واضح وأصبحت المكتبة بعد مدة قصيرة مركزاً مهماً للعديد من المثقفين والمؤلفين لاسيما للمهتمين بالثقافة والتراث الاسكتلندي إذ كان كينث مكنزي واحداً من جماعة ناشطة من الاسكتلنديين المقيمين في لندن ،وقد كان معروفاً بسخائه وكرمه ، وأصبح ناشرا للكتب ومتضلعا في لغة الكاليك الاسكتلندية القديمة (الرزاق، 2023، صفحة 1).

وضعت الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام 1914 حدا لطموحات مكنزي واضطر إلى غلق المكتبة والالتحاق بالجيش إذ تطوع مكنزي في البحرية البريطانية، وانتقلت وحدته العسكرية الاسكتلندية للقتال في فرنسا، وحاز على وسام النصر للمملكة المتحدة ، ووسام الحرب البريطاني، وكان لمكنزي قناعة بأنه سيقتل كما قتل معظم أفراد كتيبته، لكن كتبت له الحياة بعدما أصيب إصابة بالغة نقل على أثرها للعلاج في احد مستشفيات شروبشاير Shropshire ، في وسط بريطانيا، فمكث فيها عدة أشهر (علي، 2016، صفحة 1)

ثانيا : نشأة مكتبة مكنزي وتسميتها :

أن مكتبة مكنزي لم تنشأ كمشروع تجاري بحت في بدايتها، بل ولدت من رحم الحاجة الأكاديمية للمؤسسة التعليمية العراقية الناشئة وقد تحولت إلى جسر ثقافي، اذ كانت المصدر الأول الذي تسربت منه الأفكار الحديثة والفلسفات الغربية إلى عقول مثقفي بغداد في النصف الأول من القرن العشرين (Bowman، 1942، صفحة 188).

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918مباشرة ، كان همفري بومان .Humphrey E Bowman (1879–1965) يشغل منصب مدير المعارف في العراق إذ استلم وظيفته في 22 آب 1918م (الحسن، 2011، صفحة 23) بدلاً من حسين بك عبد الهادي النابلسي الذي استقال وغادر العراق وقد واجهت الإدارة البريطانية مشكلة كبيرة تتمثل في انعدام الكتب المدرسية والمصادر التعليمية الحديثة في المدارس العراقية (الهلالي، 1975، صفحة 62) لذا قام همفري بومان بالذهاب إلى لندن لمراجعة الكتب والمكتبات لغرض فتح مكتبة في بغداد، وهناك تعرف على كينيث مكنزي الذي كان يبحث عن عمل جديد في لندن اقترح عليه أن يأتي إلى بغداد لفتح مكتبة تلبي احتياجات طلبة المدارس والمعاهد والأدباء والمهتمين بالشأن الثقافي فوافق بشرط أن يكون له مطلق الحرية بإدارة تلك المكتبة، كما انه رفض أن يكون موظفا في إدارة المعارف في العراق لتوفير الكتب والمصادر ،واقترح أن يؤسس مكتبة خاصة تدار بالتمويل الذاتي بعد الحصول على منحة مالية من الحكومة لشراء الكتب ، وقد وافق همفري بومان على

المقترح واصطحبه إلى بغداد لغرض الإطلاع على الواقع الثقافي في بغداد والتحاور مع الحكومة العراقية الفتية لإنشاء مكتبة في بغداد، وبعد اطلاعه على سوق الكتب ومدى حاجة الوسط الثقافي إلى الكتب الأجنبية تقرر إنشاء المكتبة بشارع الرشيد في بغداد (عمارة، مكتبة مكنزي في بغداد، 2021، صفحة 54)

وخصصت الإدارة البريطانية إحدى الغرف بسراي الحكومة في القشلة قرب شارع المتنبي لتلك المكتبة وسميت بـ مكتبة الحكومة The Government Bookshop كانت المكتبة في البداية مؤسسة حكومية تابعة لإدارة المعارف، وكان مكنزي موظفاً يديرها لتوفير القرطاسية والكتب للمدارس (Bowman، 1942، صفحة 180).

عام 1920 عاد كينث مكنزي إلى لندن واتفق مع بعض دور النشر والعديد من زملائه بائعي الكتب على شراء الكتب المطلوبة والدفع بالآجل لمدة ثلاثة شهور، وتبين بعدها إن تلك المدة كانت كافية لاسترداد المبالغ المطلوبة، لذا أعاد كينث مكنزي المنحة الحكومية لعدم الحاجة إليها، وأثناء وجوده في بريطانيا وفي إحدى زياراته المتكررة للعاصمة لندن، قرر زيارة معارفه وما تبقّى من أهله هناك وكانت الصدف الجميلة إن يرأى حبيبة صباه إيفانجيلين أديلايدا مكنزي، والتي كانت موظفة تدير مكتب بريد القرية، في شمال اسكتلندا وعزم على أن يتزوجها على عجل ودون تباطؤ وفعلا تمت مراسيم الزواج خلال تلك الزيارة وبعد ذلك اصطحبها معه الى بغداد (الرزاق، 2023، صفحة 2) ، وفتح (مكتبة الحكومة)التي اتفق بشأنها مع همفري بومان، وبعد انتهاء الحكم العسكري البريطاني وتأسيس المملكة العراقية عام 1921، حصل كينيث مكنزي على احتكار من وزارة المعارف لاستيراد الكتب الإنكليزية للمدارس العراقية وقد نجحت المكتبة التي تخصصت بجلب الكتب الأجنبية واستيرادها وتوفيرها للباحثين والمثقفين العراقيين، وكانت تلك المكتبة المركز الثقافي الوحيد في العراق لمدة تزيد على نصف قرن منذ تأسيسها عام 1920م ، في مكانها العتيد في شارع الرشيد منطقة رأس القرية (Bowman، 1942، صفحة 181).

ثالثا : أهتمامات مكتبة مكنزي :

اهتمت المكتبة بتوفير الكتب المدرسية والتعليمية والأدبية والطبية والروايات والقصص التي حملت مضامين اجتماعية ثورية فضلا عن الكتب الانكليزية المختصة بالعلم العربي والإسلامي ولاسيما كتب الرحلات القديمة والتاريخ وكتب التراث القديمة المتخصصة في الإسلاميات والتراث والرحلات إلى العالم العربي، ليس في العراق والشرق الأوسط فحسب بل في العالم اجمع، إذ كانت مجموعات الكتب ترسل من المكتبة إلى زبائن في مختلف البلدان من الولايات المتحدة وحتى اليابان، فضلا عن الطرود البريدية الأسبوعية إلى بلاد ايران (Coke، 1927، صفحة 122).

تعد مكتبة مكنزي أضخم دار بيع كتب إنكليزية وقد كانت المكتبة تفتح أبوابها يوميا من الساعة الثامنة صباحا وحتى الساعة الثانية عشر ظهرا في أيام الصيف ومن الساعة التاسعة صباحا وحتى الواحدة بعد الظهر في أيام الشتاء، وفي أيام الاثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع تفتح في المساء أيضا من الساعة الخامسة حتى السابعة والنصف في الصيف، ومن الرابعة وحتى السادسة والنصف في الشتاء ،أي إنها كانت على دوامين دوام صباحي ودوام مسائي (عمارة، مكتبة مكنزي في بغداد، 2021، صفحة 1).

كان نجاح وشهرة بيع الكتب قد حاز إعجاب الجميع، وقد وصلت شهرته المبكرة إلى سراي الحكومة إذ كان البلاط الملكي متمثل بالملك فيصل الأول(1833–1933) الذي طلب من رئاسة الديوان الملكي في عام 1927 أن تحث صاحب مكتبة البلاط بالعمل الدءوب على شراء الإصدارات الجديدة وتعامل من اجل تحقيق تلك الغاية بالدرجة الأولى مع مكتبة مكنزي (عبد، 2007، صفحة 59)

كان هناك ازدحاماً خلال النهار بمحبي الكتاب العراقيين والبريطانيين،لشراء عشرات الآلاف من المجلدات المكتوبة بعدة لغات تضم مجالات متنوعة كثيرة وكان كينث مكنزي يدير الأمر بشكل عبقري ، يقدم نصائحه لهذا الزبون وذاك وكان يقدم لهم آخر الأعمال المطبوعة لطلاب العربية والتركية والكردية والفارسية والهندوسية واللغات الأوربية ، للإدارات المدنية الباحثة عن الخبرات الإدارية وكان من زبائنه الأطباء والصيادلة والمهندسون والقضاة والأكاديميون والباحثون وطلاب الجامعات والمؤسسات التعليمية والمدارس العراقية اذ كان كينث مكنزي يوفر الكتب الدراسية من دور نشر عربية وعالمية . (رجوان، 2016، صفحة 67)

إن المكتبة كانت مستعدة للبحث لتوفير أي كتاب أو مصدر من جميع إنحاء العالم، وقد كانت المكتبة تستلم شحنات من الكتب أسبوعيا من دور النشر في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، لقد كينث قام مكنزي بتطوير المكتبة فلم تقتصر أهميتها على كونها مكتبة فحسب بل عمل على تطويرها، فقد قام بتأسيس دار نشر قامت بطباعة ما يخص الرحلات النادرة التي حصلت في القرن التاسع عشر ،مثل كتاب مدن العراق القديمة Ancient Cities Of Iraq للكاتبة وعالمة الاثار البريطانية دوروثي ماكاي Dorothy Mackay(1881–1953) الذي نشر عام ١٩٢٦، وكان ذلك الكتاب باللغة الإنكليزية وقدم معلومات وافية للسياح الانكليز الذين يزورون المواقع الآثارية في العراق. (Mackay, 1926, p. 5)

أما الكتاب الثاني فهو رحلة في الجزيرة العربية الوسطى: الحماد. شمر. القصيم. الحجاز **A journey in the Central Arabian Peninsula: Hammad. Fennel. Al-Qassim. Hijaz** تضمن الكتاب معلومات مهمة عن الجزيرة العربية وهو من تأليف المستشرق الفرنسي والرحالة والمستكشف تشارلز اوغست هوبر(١٨٤٧-1884) Charles Auguste Huber الذي طبع عام ١٩٢٨ ، كما نشرت مكتبة مكنزي كتب الرحلات النادرة في القرن التاسع عشر مثل كتاب الرحالة الإنكليزي روبرت كير بورتر (١٧٧٧- 1742) Robert Ker Porter التي قام بها عام (١٨٢١-١٨٢٢)بعنوان رحلات في جورجيا، فارس ،أرمينيا، وبابل القديمة Travels in Georgia, Persia Armenia, ancient Babylonia, وكتاب رحلة إلى العراق للرحالة الإنكليزي جيمس سلك باكنغهام (١٧٨٦-1855) James Silk Buckinghamعام ١٨١٦، والذي صدرت ترجمته عام ١٩٦٨ من قبل سليم طه التكريتي، وكتاب المستشرق الإنكليزي جورج برسي بادجر (١٨١٥- ١٨٨٨ George Percy Badger)وكتاب غيرتود بيل Gertude Bell (١٨٦٨- ١٩٢٦) عن العراق مراد الى مراد المطبوع في لندن عام1911وفيه وصف لمدينة بغداد عند زيارتها لها سنة 1909اذ كانت هناك طلبات عديدة على الكتاب النافذ، وبالفعل صدر الكتاب بطبعته الثانية عام 1924، وكان مكنزي يزور لندن ويتفق مع دور النشر هناك لاستيراد الكتب التي يحتاجها زبائنه في بغداد (طحين، 2025، صفحة 1) .

ان توسع العمل في المكتبة دعى كينيث مكنزي،إلى الاستعانة بشقيق زوجته، دونالد مكنزي Donald MacKenzi، للقدوم إلى بغداد ومساعدته في عمل المكتبة، وبذلك أصبح الاثنان يتناوبان البقاء في بغداد ولندن لتوفير الطلبات من الكتب أثناء المدة (1921-1925) ،كما حافظت المكتبة الحكومية على استقلاليتها الإدارية والمالية إلا إن الحكومة العراقية رأت في عام 1925 إن للمكتبة وضعا مختلفا، فهي تابعة للحكومة وتشغل موقعا في سراي الحكومة إذ شغل إحدى غرف السراي بدون أي سلطة للحكومة مع أن اسمها مكتبة الحكومة، لذا قررت إنهاء ارتباط المكتبة بها وبيعها في مزاد علني وفي عام 1925 أشترى كينيث وابن عمه دونالد تلك ألمكتبة بالإقساط وبعد عدة سنوات (والي، 2017، صفحة 65)

انتقلت المكتبة إلى احد محلات بناية شركة (بيت لنج) للملاحة النهرية في شارع الرشيد والذي كان شريان بغداد الثقافي والاقتصادي في محلة رأس القرية على جهة السنك وأصبح اسمها المكتبة بعد رفع اسم الحكومة Government من لوحة اسم المكتبة وأضاف إليها (لأصحابها مكنزي ومكنزي) فأصبحت The Bookshop Mackenzie & Mackenzie Proprietors ثم انتقلت الى بناية تعود ملكيتها لشركة لينج البريطانية (بغدادي، 2000، صفحة 244).

رابعا : وفاة كيث مكنزي :

في مساء يوم السبت الموافق 21 كانون الثاني عام 1928 وحين كان مكنزي يعمل في المكتبة سقط مغميا عليه بعدما أصيب بالجلطة القلبية (والي، 2017، صفحة 87)، ونقل على إثرها إلى المستشفى وفارق الحياة بعد ساعتين من الغيبوبة، إذ لفظ انفاسة الأخيرة وشيعت جنازته بحضور جمع كبير من العراقيين والبريطانيين إذ حضر الحاكم السياسي البريطاني فضلا عن ممثلي اغلب الوزارات الحكومية، كما حضر أصدقاء كيث مكنزي ودفن في المقبرة البريطانية في الباب الشرقي، تولى دونالد مكنزي بعد رحيل المؤسس كينيث مكنزي ، إدارة المكتبة،وقد واصل العمل في المكتبة لمدة ثمانية عشر عاماً حتى عام 1946 (طحين، 2025، صفحة 1).

خامسا : مكتبة مكنزي ملتقى المثقفين :

بعد تولى دونالد مكنزي إدارة المكتبة تميزت الحقبة التي عمل بها بانفتاح كبير على النخبة العراقية المثقفة ولم تعد المكتبة مجرد متجر للكتب، بل تحولت إلى صالون ثقافي غير رسمي يلتقي فيه رواد الفكر والأدب العراقي، إذ كان دونالد يتمتع بعلاقات واسعة ويتساهل في التعامل المالي مع الطلبة والمثقفين، مما ساهم في تشكيل المكتبات الشخصية لجيل الرواد (جبرا، 1994، صفحة 112).

تعد مكتبة مكنزي المصدر الرئيس وأحيانا الوحيد للكتب الأجنبية في بغداد ،لاسيما الكتب المتخصصة في الفلسفة والطب والآداب والدراسات الشرقية، وكانت تمثل جسراً بين الثقافة الغربية والوسط الأكاديمي العراقي وكان معظم روّادها من المثقفين العراقيين التي استهوتهم الثقافة الغربية إلى جانب اهتمامهم بتراث أسلافهم فأنجبت عقولا متنورة نتجت عن تلاقح فكري حضاري بين الشرق والغرب فضلا عن إنها المرجع للطلبة والأدباء فقد ارتبط بها العديد من المثقفين والأدباء العراقيين الذين درسوا في الخارج أو كانوا يتطلعون على الفكر العالمي (حسين، 1984، صفحة 83).

كانت مكتبة مكنزي ملتقى للكثير من مثقفي بغداد وسياسييها ومنهم: أرشد العمري ورفعت الجادرجي، ونصرت الفارسي وحسين جميل وإبراهيم كبة وطلعت الشيباني ورفعت الجادرجي ونهاد التكرلي وعبد المجيد الونداوي وعبد الملك نوري وعدد كبير من رجال السياسة الثقافة وأساتذة اللغات الأجنبية (ابراهيم، 1935، صفحة 89).

عدت المكتبة مصدراً مهماً للحصول على الكتب العلمية والثقافية في العراق إذ كانت توفر للطلبة والأساتذة أي كتاب ومن أي مكان في العالم وبوقت معلوم وقصير، وقد أسهمت إسهاما كبير في نشر الثقافة والعلوم في العراق والمنطقة والعالم (طبيخ، 2008، صفحة 352).

سادسا : دور المكتبة بنشر الفكر الماركسي :

تنطلق النظرية الماركسية من فكرة أن الشرعية هي عامل العلاقات الإنتاجية المرتبطة بالنموذج الاقتصادي الرأسمالي، الذي تشيد عليه أسس الدولة القانونية والسياسية، فالحياة المادية للمجتمع سياسياً وثقافياً، ما هي إلا انعكاس لطريقة الإنتاج المطبقة داخل المجتمع (Engles، 1955، صفحة 385).

وتعد الماركسية بأنها إحدى النظريات الاشتراكية التي ظهرت في أوربا في القرن التاسع عشر كرد فعل ضد الاستغلال الاقتصادي والتمايز الطبقي الذي تبلور بقوة بعد الثورة الصناعية, استندت إلى آراء الفيلسوف الألماني كارل ماركKarl Marx **(1818- 1883م)** وصديقه فردريك انجلز Frederick Engels(1820-1895) وأفكارهم الثورية واليسارية (Britannica، 2005-CD)، وقد انتشرت تلك الآراء في أرجاء العالم بعد انتصار الثورة البلشفية في روسيا بقيادة فلاديمير لينين(1870-1924) Vladimir Lenin عام 1917 (المحجوب، 1968، صفحة 21)

يعد العراق من أوائل البلدان التي وصلتها الأفكار الاشتراكية والماركسية بصورتها المبسطة والمثالية, وأخذت طريقها إلى عقول الشباب والمثقفين كإحدى الحلول المقترحة لإنهاء الإشكالات المستعصية التي رزح تحت ظلها المجتمع العراقي (الخرسان، 2001، صفحة 37).

في خضم التحولات السياسية التي شهدها العراق شهدت مدة الثلاثينيات والأربعينيات رواجاً للفكر الماركسي في العراق وان ذلك النمو في الفكر تأثر بالأجانب التقدميين الاشتراكيين فضلا عن مكتبة مكنزي التي أدت دوراً تجاوز وظيفتها التجارية، لتتحول إلى رافد أساسي للوعي السياسي الجديد بين النخبة العراقية الصاعدة (فياض، 1987، صفحة 201) فضلا عن إن زوجة كينث مكنزي أدت دورا مهما في نشر الأفكار الاشتراكية في أواسط الجمعيات النسائية التي اتصلت بها خلال انعقاد مؤتمر النسائي الشرقي الأول في دمشق 3 تموز 1930 الذي جمع لأول سيدات من مختلف الدول للمطالبة بحقوق المرأة ، كما ألقت محاضرات في النوادي النسائية وفي مدارس البنات (اسماعيل، 2019، صفحة 23) مع مديرة مدرسة البنات الأمريكية المس كير**Miss Keer** التي عرفت بميولها الاشتراكية التي كانت قد ازدهرت فيها المبادئ الاشتراكية (الحصري، 1967، صفحة 455).

برز دور المكتبة بنشر الفكر الماركسي بوضوح بعد تولي دونالد مكنزي إدارة المكتبة إذ كان اشتراكيا من حزب العمال البريطاني ، يمتلك حس إنساني وميل للثقافة التقدمية، مختلفاً بذلك عن الصورة النمطية للمستعمر البريطاني المحافظ ، لذا فتحت أبوابها لتدفق إصدارات نادي الكتاب اليساري (The Left Book Club) البريطاني، الذي أسسه فيكتور غولانكز (1893–1967) Victor Gollancz ، في لندن عام 1936، كان هدفه نشر الأفكار الماركسية ومناهضة الفاشية عبر إصدار كتب شهرية، تميزت بأغلفتها البرتقالية اللون(Orange Books) التي تتحدث عن الماركسية، والحرب الأهلية الإسبانية، وقد قام دونالد مكنزي بجعل مكتبته الوكيل غير الرسمي للنادي وبفضله تدفقت تلك الكتب إلى أيدي طلبة الكليات العراقية كالحقوق، والطب، ودار المعلمين العالية وبذلك اضطلعت المكتبة بدور مهم في توفير كتب الأدب الاشتراكي والماركسي لاسيما للمثقفين (سباهي، 2002، صفحة 98)

خفض دونالد مكنزي أسعار عدد من الكتب الأجنبية، ولاسيما تلك التي تعرض وتحمل الأفكار الاشتراكية لبيعها للشباب الاشتراكيين العراقيين بسعر كلفتها، بينما كان يبيعها بأسعار أغلى للبريطانيين وللعراقيين الميسوري الحال، ذلك التسهيل المادي ساعد في وصول تلك الكتب إلى أيدي الرواد الأوائل للفكر الماركسي (الفهد، 2011، صفحة 23) ،امثال حسين الرحال(1901–1972) رائد الفكر الاشتراكي **في العراق** والذي كانت أفكاره خليط من الليبرالية الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية عاد من ألمانيا إلى موطنه العراق عام 1920 وكان يتقن عدة لغات التركية، والروسية، والألمانية، والفارسية إلى جانب العربية, وعند عودته التف حوله مجموعة من الأصدقاء محمود احمد السيد ومحمد سليم فتاح وعبدالله جدوع ومصطفى علي وكان يقرأ لهم ما يصل إليه من صحف ومجلات وكتب اجنبية, وكانت زياراته مستمرة لمكتبة مكنزي (جاسم، 2017، الصفحات 23–56) حتى انه وصف دونالد بقوله : " **ولقد كان دونالد مكنزي ماركسي النزعة عنى بوجه خاص بجلب الكتب الأجنبية ذات الصبغة الماركسية وكثيراً ما كان يجهز مكتبته بمنشورات دور النشر الماركسية، منها الأجزاء الكاملة من مؤلف رأس المال لماركس Karl Marx إن مكنزي كان ينبهني على آخر ما يصله من منشورات ماركسية وكان يشجعني على أقتنائها عن طريق تسهيل عملية بيعها**"وقد تابع الرحال صحيفة اللومانتيه"**Allomantih** " الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي واطلع على كتاب الامير لنيقولا ميكيافلي(1469–1527)**Nicola Mekavli**" وعمل على ترجمة النشرات والكتب الاجنبية التي حصل عليها من مكتبة مكنزي (الخرسان، 2001، صفحة 15) .

خصص دونالد ماكنزي زاوية لتلك الكتب التي حملت تحليلات نقدية للرأسمالية والفاشية، وترويجات للفكر الاشتراكي العلمي وتسامح كثيراً في بيعها بالآجل (الدين) للطلبة والأساتذة من ذوي الدخل المحدود، مما ساهم في تكوين المكتبات الشخصية للجيل الأول من المثقفين العراقيين الذين قادوا الحركة الوطنية كرفعت الجارجي وجواد سليم وعبد الفتاح إبراهيم وجبرا ابراهيم جبرا الذين وجدوا فيها نافذة على التيارات العالمية الحديثة التي لم تكن تترجم للعربية بعد (جبرا، 1994، صفحة 112) فضلا عن جماعة الأهالي التي ضمت شخصيات مثل كامل الجادرجي ومحمد حديد والجيل الأول من الشيوعيين العراقيين، كانوا يحصلون على أدبياتهم الماركسية الإنجليزية من رفوف مكتبة مكنزي فقد كان دونالد مكنزي معروفاً بميوله الاشتراكية الواضحة، وقد استغل موقعه كصاحب مكتبة لتكون شعلة وهاجة لتعميم وجهات النظر والمبادئ الاشتراكية (بغدادي، 2000، صفحة 78).

لم تكن المكتبة مجرد مكان لبيع الورق، بل كانت –بحسب تعبير حنا بطاطو– أحد المصادر الفكرية المباشرة التي شكلت وعي 'الأفندية' وتوجهاتهم نحو الماركسية والعدالة الاجتماعية،وقد عرف دونالد مكنزي بفكره المتحرر وحبه للعراقيين لاسيما المثقفين وكانت هي المكتبة الوحيدة للكتب الانكليزية (الرزاز، 1990، صفحة 89)

كان دونالد مكنزي يتساهل مع الطلبة في الدفع، وأحياناً يحجز النسخ النادرة لزبائنه الدائمين من المثقفين المعروفين بميولهم المعارضة للاستعمار، وهو ما يُعد مفارقة تاريخية بريطاني يبيع كتباً تُحرض ضد الإمبريالية البريطانية ، إن دور دونالد مكنزي يثبت أن المكتبة في بغداد لم تكن مؤسسة استعمارية تقليدية، بل كانت مساحة 'كوزموبوليتانية' (عالمية) سمحت بمرور الأفكار المضادة للاستعمار نفسه عبر لغة المستعمر (Bashkin، 2009، صفحة 145)

شهدت مكتبة مكنزي إقبالاً كبيراً من قبل الشباب العراقي المتطلع والمعجب بالأفكار الماركسية مما دفع بجهاز الاستخبارات البريطانية في العراق إلى محاولة التسلل إلى تلك الأوساط بقصد جمع المعلومات عن تحركات الكومنترن النشطين عبر العراق وبلاد فارس، ولم يقتصر الأمر على المكتبات والأشخاص ذوي التوجه الماركسي وإنما كان هناك رافداً آخر للتعرف على ذلك الفكر الجديد وهو ما كان يحمله البحارة الأوربيين الذين جاءوا إلى ميناء البصرة من الأدبيات الماركسية إلى العراق (الخرسان، 2001، صفحة 15)

سابعا :نهاية المكتبة :

بعد وفاة دونالد مكنزي عام ١٩٤٦ ،انتقلت ملكيتة المكتبة فيما بعد الى عراقي اسمه جواد كريم الذي ورثها عن اصحابها لأنه كان يعمل معهم في إدارتها منذ تأسيسها ولديه خبرة في الكتب الأجنبية والعربية وقد بقيت تسمية المكتبة بـ (مكنزي) لشهرتها حتى بات جواد كريم يعرف بـ (كريم مكنزي) وهو شديد اللطف فضلا عن خبرته بما يستجدّ في عالم الكتب الأجنبية مضيفاً إلى ذلك تعامله مع الكتب العربية، التّراثية منها والحديثة وقد وقد أبقى على تسمية المكتبة بـ "مكنزي" لشهرة التّسمية وتميزها واستمر بالعمل في المكتبة حتى توفي في السبعينيات (والي، 2017، صفحة 66)، ثم تسلمها معاونه إسكندر، وتولى التاجر الأرمني العراقي يرفانت نيرسيس بيدروسيان إدارة المكتبة ، وهو تاجر كتب له باع فيها. وبعد وفاته انتقلت المكتبة إلى السيدة أليس انتساريان بيدروسيان Alice Anteryasian Bedrosian، واستمرت المكتبة بالعمل بجهود ابنتيهما ليرنك يرفانت بيدروسيان Lernik Yervant Bedrosianو أختها أربيك يرفانت بيدروسيان .Arpik Yervant Bedrosian إذ حافظتا على إبقاء المكتبة صرحاً ثقافياً ومنارة حضارية في بغداد (الرزاق، 2023، صفحة 2).

تراجعت قيمة المكتبة بعد منتصف عقد السبعينات إذ تحولت إلى مكتبة لبيع القرطاسية وبعض كتب الأطفال وبقايا من الكتب الأجنبية القديمة، لتغلق بعد سنوات ثم تحولت البناية إلى محلات تجارية وقضى على تلك المكتبة التي أمدت الثقافة العراقية في مدى أكثر من نصف قرن من الزمان (علي، 2016، صفحة 1).

الخاتمة :

- مكتبة مكنزي التي كانت في شارع الرشيد ببغداد من المؤسسات التي اسهمت في تعزيز الثقافة العراقية المعاصرة ، وتوسيع قاعدة المثقفين العراقيين وخاصة من خلال اطلاعهم على احدث ما يصدر من الكتب الاجنبية وامهات المصادر وقد رسخت جذورها في العراق منذ أمد طويل فلها جذور تاريخية تمتد الى ايام الاحتلال البريطاني للعراق خلال الحرب العالمية الاولى وانتهاء حكم الدولة العثمانية التي كان العراق تابعا لها طيلة اربعة قرون.
- كانت المكتبة تمثل المصدر الرئيسي للكتب والمجلات الممنوعة التي لم تكن متوفرة في أي مكان آخر
- كانت أكثر من مجرد مشروع تجاري؛ كانت مشروعاً ثقافياً تنويرياً بامتياز. لقد نجحت، في ظروف بالغة الصعوبة، في أن تكون جسراً لنقل الفكر الماركسي واليساري إلى عقول النخبة العراقية، وساهمت بشكل

مباشر في تشكيل الخريطة الفكرية والسياسية للعراق الحديث في منتصف القرن العشرين. إنها نموذج فريد لدور المثقف والمكان في مقاومة القمع الفكري وتشكيل الوعي.

- تمثل مكتبة مكنزي نموذجاً فريداً لدور الثقافة في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي. لقد نجحت، رغم كل القيود والملاحقات، في خلق حاضنة فكرية للعديد من الأدباء والمفكرين، وساهمت في صياغة اتجاهات فكرية وأدبية استمر تأثيرها لعقود لاحقة. تثبت قصة هذه المكتبة أن الأفكار لا يمكن قمعها، وأن أقوى الحركات تبدأ أحياناً من بين صفحات كتاب مخبأ في زاوية سرية. تبقى مكتبة مكنزي شاهداً على حقبة مهمة من تاريخ الفكر في العراق، ورمزاً لإصرار المثقفين على المشاركة في صنع التاريخ.
- كانت مكتبة مكنزي نقطة التقاء ثقافي ومحوراً معرفياً في تاريخ العراق، ورمزاً لدور الكتب المستوردة في تشكيل الوعي الأكاديمي والفكري في البلاد.

المصادر :

1. تحسين عمارة. (2021). مكتبة مكنزي في بغداد. *مجلة النجف الاشرف* ، صفحة 54.
2. جبرا إبراهيم جبرا. (1994). *شارع الأميرات: فصول من سيرة ذاتية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
3. جميل ابو طبيخ. (2008). *مذكرات بغداد*. الاردن: دار الفارس للتوزيع والنشر.
4. حنا بطاطو ترجمة عفيف الرزاز. (1990). *العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية لكتاب الثالث*. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
5. حيدر غانم عبد الحسن. (2011). *موقف المجلس النيابي العراقي من حركة التعليم في العراق1925-1939*. كلية الاداب ،جامعة الكوفة.
6. رفعت المحجوب. (1968). *الاشتراكية*. مصر: دار النهضة العربية.
7. ساطع الحصري. (1967). *مذكرات في العراق 1921 – 1941*. بيروت: دار الطليعة للنشر.
8. صلاح الخرسان. (2001). *صفحات من تاريخ العراق السياسي الحديث (الحركات الماركسية) 1920-1990*. بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات.
9. صلاح عبد الرزاق. (10 تشرين الثاني, 2023). مكتبة مكنزي شعلة ثقافية انطفأت في بغداد. *المواطن* ، 1.
10. طارق يوسف اسماعيل. (2019). صعود الحزب الشيوعي وانحداره. (عمار كاظم محمد، المترجمون) بغداد.

11.عامر حسن فياض. (1987). *جذور الفكر الاشتراكي في العراق 1920-1932*. بغداد: جامعة بغداد كلية القانون والسياسة.

12.عباس بغدادي. (2000). *بغداد في العشرينات*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

13.عبد الرزاق الهلالي. (1975). *تاريخ التعليم في العراق في سنوات الاحتلال 1914-1921*.

14.عبد الرزاق مطلك الفهد. (2011). *الاحزاب السياسية في العراق ودورها في الحركة الوطنية والقومية 1934-1958*. بيروت.

15.عبد الفتاح ابراهيم. (1935). *على طريق الهند*. بغداد: مطبعة الأهالي.

16.عبدالله كاظم عبد. (2007). *تطور البلاط الملكي العراقي*. الرائد.

17.عزيز سباهي. (2002). *عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي*. الثقافة الجديدة.

18.علي ابو طحين. (6 8, 2025). مكتبة مكنزي والريادة المكنبية. *ملاحق جريدة المدى* ، 1.

19.عواد علي. (2016). مصير مؤلم لمكتبة قديمة. *صحيفة العرب* ، 14.

20.فاضل حسين. (1984). *تاريخ الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914-1958*. الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة.

21.قيس ادريس جاسم. (2017). *حسين الرحال ونشاطه الفكري في العراق 1801-1971*. العراق: جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية .

22.نجم والي. (2017). *بغداد سيرة مدينة*. بغداد: دار الساقي.

23.نسيم رجوان. (2016). *آخر اليهود في بغداد* . لبنان : بيروت الحمرا .

.1 Dorothy Mackay. The Ancient Cities of Iraq. Baghdad: Kenneth Mackenzie, The Bookshop1926..

.2 Encyclopedia Britannica.2005-CD.

.3 Humphrey Bowman. Middle-East Window. London: Longmans: Green and Co.1942.

.4 Marx Engles.. selected works (المجلدات Vol , 2. , Moscow1955..

.5 Orit Bashkin.. The Other Iraq: Pluralism and Culture in Hashemite Iraq. Stanford University Press.2009

.6 Richard Coke. Baghdad, The City of Peace. London: Thornton Butterworth1927.

الذكاء الاصطناعي واثاره في الاقتصاد الكلي

إعداد

أ.د. افتخار محمد مناحي الرفيعي

كلية الإدارة والاقتصاد – الجامعة العراقية/ متقاعدة حالياً

dr.iftkhr2011@yahoo.com

المستخلص

يهدف البحث إلى توضيح تطور الذكاء الاصطناعي ومفهومه، ومن ثّم ايجابياته وسلبياته، فضلاً عن الاثار المترتبة عليه في الاقتصاد الكلي سواء كانت ايجابية أم سلبية. فقد احتل موضوع الذكاء الاصطناعي حيزاً كبيراً في حياة الكثير من المجتمعات لما له من دور في مجالات متنوعة، وتطبيقاته غير المحدودة. وعليه تتمثل أهميته في تحسين الكفاءة وتحليل البيانات الضخمة والمعقدة، ويُسهم في تقديم الحلول المبتكرة للمشكلات المعقدة في القطاعات المختلفة من الاقتصاد الكلي. وتتمحور اشكالية البحث في التساؤل الآتي: هل يولد الذكاء الاصطناعي أثاراً في الاقتصاد الكلي ؟ وهل الاثار ايجابية أم سلبية؟ أم الاثنين معاً؟ . في حين أستند البحث إلى فرضية مفادها: أن الذكاء الاصطناعي يولد اثاراً في الاقتصاد الكلي، وأن هذه الاثار تكون ايجابية وسلبية في الوقت ذاته. .

وقد أُعتمد على المنهج الاستقرائي الوصفي في التحليل للوصول إلى الاهداف الذي يروم تحقيقها، والتحقق من فرضيته، فقد قُسم إلى خمسة مباحث. تطرق الأول إلى تطور الذكاء الاصطناعي ومفهومه، وتناول المبحث الثاني أهمية الذكاء الاصطناعي وأهدافه، وعنى المبحث الثالث بأنواع الذكاء الاصطناعي ومخاطره وكيفية الحد منها، وخصص المبحث الرابع إلى تحديد ايجابيات الذكاء الاصطناعي وسلبياته، في

حين كُرس المبحث الخامس لتحديد الاثار التي يولدها الذكاء الاصطناعي في بعض متغيرات الاقتصاد الكلي، وأخيراً أُختتم البحث ببعض الاستنتاجات وأهمها تتمثل في أن تقنيات الذكاء الاصطناعي تحمل تأثيرات مزدوجة في سوق العمل، فقد تؤدي إلى فقدان وظائف في بعض القطاعات، وبالمقابل فإنها قد تخلق فرصا جديدة في قطاعات أخرى. أما أهم التوصيات فتتمثل في أن تتبنى الأفراد والمؤسسات أسلوب استباقي عن طريق الاستثمار في تطوير المهارات اللازمة للعمل في عصر الذكاء الاصطناعي، فضلاً عن إعادة تصميم هياكلها التنظيمية وعملياتها لتتكامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.
الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الذكاء والاقتصاد، الاصطناعي والكلي، الاقتصاد والذكاء الاصطناعي

Abstract

The research aims to clarify the development and concept of artificial intelligence, its advantages and disadvantages, and its implications for the overall economy, both positive and negative. Artificial intelligence has occupied a significant place in the lives of many societies due to its role in diverse fields and its unlimited applications.

Therefore, its importance lies in improving efficiency and analyzing large and complex data, and it contributes to providing innovative solutions to complex problems in various sectors of the macro economy. The research problem revolves around the following question:

Does artificial intelligence have macroeconomic effects? Are the effects positive, negative, or both? The research is based on the hypothesis that artificial intelligence has macroeconomic effects, and that these effects are both positive and negative.

The descriptive inductive approach was used in the analysis to reach the objectives it seeks to achieve and verify its hypothesis. It was divided into five sections. The first section dealt with the development and concept of artificial intelligence, the second section addressed the importance and objectives of artificial intelligence, and the third section dealt with the types of artificial intelligence, its risks, and how to mitigate them. The fourth section was dedicated to identifying the advantages and disadvantages of artificial intelligence, while the fifth section was devoted to identifying the effects that artificial intelligence generates on some macroeconomic variables.

Finally, the research concluded with some findings, the most important of which is that artificial intelligence technologies have dual effects on the labor market; they may lead to job losses in some sectors, while on the other hand, they may create new opportunities in other sectors. The most important recommendations are that individuals and institutions adopt a proactive approach by investing in developing the skills needed to work in the age of artificial intelligence, as well as redesigning their organizational structures and processes to integrate with artificial intelligence technologies.

Keywords: artificial intelligence, intelligence and economics, artificial and macro, economics and artificial intelligence.

المقدمة

اتجهت معظم البلدان مع بداية الثورة الصناعية الرابعة إلى التغيير لتواكب التطورات التقنية في المجالات المختلفة، فقد اصبح الذكاء الاصطناعي متداولاً في القطاعات المختلفة بسبب انتشار الاجهزة الرقمية وظاهرة البيانات الضخمة، ويتميز الذكاء الاصطناعي بالتوقعات المستقبلية عالية الدقة، وزيادة العائدات الاقتصادية، وتوليد فرص عمل جديدة على عكس المتوقع، ويعمل على رفع الانتاجية والقدرة التنافسية، الأمر الذي (يترتب عليه) ينعكس إيجاباً على الناتج المحلي، كما ويُسهم في تقليص أو القضاء الفجوة الرقمية. لقد شهد الذكاء الاصطناعي تقدما هائلا منذ نشأته؛ حيث أسهمت الشبكات العصبية وتعمق التعليم في دفع هذه التكنولوجيا نحو حقبة جديدة من الابتكارات والتطبيقات العملية، وأصبح له دور كبير في تحسين جودة الحياة، والاسهام في البحوث العلمية، وتطوير المجتمعات بشكل واسع ورغم ذلك، فليس بالإمكان أن نتجاهل الاثار والتحديات والمخاطر المرتبطة بالذكاء الاصطناعي مثل تأثيراته في سوق العمل والوظائف. والتعامل مع هذه الاثار والتحديات والمخاطر يتطلب تكاملا بين السياسات التنظيمية والأخلاقية والابتكار التكنولوجي لتحقيق أقصى الفائدة القصوى من الذكاء الاصطناعي مع تقليل أثاره المحتملة في الاقتصاد.

من هنا تتمحور اشكالية البحث في التساؤل الآتي:

اشكالية البحث: هل يولد الذكاء الاصطناعي أثاراً في متغيرات الاقتصاد الكلي ؟ وهل الاثار ايجابية أم سلبية؟ أم الاثنين معاً؟

فرضية البحث: يستند البحث إلى فرضية مفادها: أن الذكاء الاصطناعي يولد اثاراً في الاقتصاد الكلي، وأن هذه الاثار تكون ايجابية وسلبية في الوقت ذاته.

أهمية البحث: احتل موضوع الذكاء الاصطناعي حيزاً كبيراً في حياة الكثير من المجتمعات، لما له من دور في مجالات متنوعة، وتطبيقاته غير المحدودة. وعليه تتمثل أهميته في تحسين الكفاءة وتحليل البيانات الضخمة والمعقدة، ويُسهم في تقديم الحلول المبتكرة للمشكلات المعقدة في المجالات المختلفة من الاقتصاد الكلي.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى توضيح:

1- تطور الذكاء الاصطناعي ومفهومه.

2- ايجابيات الذكاء الاصطناعي وسلبياته.

3- الاثار الايجابية والسلبية للذكاء الاصطناعي في بعض متغيرات الاقتصاد الكلي.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي في التحليل للوصول إلى الاهداف الذي يروم تحقيقها.

هيكلية البحث: للوصول إلى أهداف البحث، والتحقق من فرضيته، فقد قُسم إلى خمسة مباحث. تطرق الأول إلى تطور الذكاء الاصطناعي ومفهومه، وتناول المبحث **الثاني** أهمية الذكاء الاصطناعي وأهدافه، وعنى المبحث **الثالث** بأنواع الذكاء الاصطناعي ومخاطره وكيفية الحد منها، وخصص المبحث **الرابع** إلى تحديد ايجابيات الذكاء الاصطناعي وسلبياته، في حين كُرس المبحث **الخامس** لتحديد الاثار التي يولدها الذكاء الاصطناعي في بعض متغيرات الاقتصاد الكلي، وأخيراً أُختتم البحث ببعض الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: تطور الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) ومفهومه

اولاً: تطور الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence)

ظهر مفهوم الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) وتطور على مرّ السنين فأصبح واحدا من أهم التقنيات في القرن الحادي والعشرين، وكان الهدف الرئيس منه يتمثل في محاكاة القدرات الذهنية البشرية، اعتمادً على الأنظمة الحاسوبية. بدأ الذكاء الاصطناعي حلما ثم أصبح واقعا نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي، من الظهور الأول للحاسوب وصولا إلى عصر البيانات الضخمة (Big Data) وقُدمت أبحاث متعددة من قبل عدد من العلماء أمثال ، (Alan Turing) كانت أساسا له. كانت أفكار الروبوتات والأجسام الذاتية الحركة جزءا من الأساطير والقصص ولم يتوقف حلم الإنسان بتحقيق ذلك حتى تمكن في منتصف القرن العشرين وضع اللبنة الأساس للذكاء الاصطناعي. ويمكن توضيح مراحل تطور الذكاء الاصطناعي بالآتي: (OECD,2024) و (Craft,N. 2021) و (Mckinsey,2024)

- **الفترة (1950-1970)**: وتمثل فترة البدايات لظهور الذكاء الاصطناعي ، ويتمثل الهدف منه في محاكاة القدرات البشرية مثل اللعب وحل المشكلات الرياضية، وكان يُتَوقع أن يحقق الذكاء الاصطناعي إنجازات كبيرة في مدة زمنية قصيرة، لكن لم تتحقق تلك التوقعات. وتتمثل تلك الفترة بالآتي:

1- الحاسوب الآلي: في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين تمكنوا من تطوير أولي للحاسوب الآلي، مثل حاسوب ((Turing) الشهير، وأصبحت الحواسيب أساسا لفهم القدرة على المعالجة والحساب(2)

2- **مؤتمر دارتموث (Dar Tmuth Conference)**: انعقد في عام 1956، واجتمع فيه مجموعة من العلماء ناقشوا فكرة " **الآلات التي تفكر**"، لذلك يُعّد هذا المؤتمر نقطة البداية الرسمية لموضوع الذكاء الاصطناعي.(3)

-**الفترة (1970-1980)**: واجه الباحثون في مجال الذكاء الاصطناعي تحديات معقدة لم تكن متوقعة، مما أدى إلى تراجع الاهتمام والتمويل في هذا المجال.

- **الفترة (1990-2010)**: إن تطوير خوارزميات متعددة في السنوات التي تلت انعقاد مؤتمر (**Dar Tmuth)** ، والتي تُمكّن الحواسيب من تعلم مهارات معينة، مثل الشبكات العصبية والتعلم العميق **(Deep Learning)**، ويطلق عليها فترة انبعاث الذكاء الاصطناعي، حيث بدأ الذكاء الاصطناعي في الظهور مجددا، بسبب هذا التطور في تكنولوجيا الحاسوب، وأصبح بالإمكان معالجة بيانات أكبر وتنفيذ خوارزميات معقدة في أوقات قصيرة، بسبب تطور التكنولوجيا وزيادة قوة المعالجة.

- **ابتداء** من 2010 حتى الآن: أصبحت البيانات في العقدين الأخيرين متاحة بأعداد كبيرة ؛ مما أدى إلى إحداث تطور سريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي. وتطّور الذكاء الاصطناعي تطورا مذهلا، فأصبح يستخدم في التطبيقات الحياتية والصناعية المختلفة. ومقابل ذلك زاد الاهتمام بالقضايا الأخلاقية والمخاطر المحتملة للذكاء الاصطناعي.

ومما تقدم يتضح أن الذكاء الاصطناعي انتقل بسرعة من حلم راود الكثير من العلماء ليصبح واقعا في الحياة اليومية، ودخل في مراحل جديدة ومتقدمة. وقد أطلقت مجموعة من المشاريع لتحسين حياة الإنسان نذكر منها الآتي: (Solow,R.M, 1987) و(Acemoglum,D.2024)

1- **مشروع (Open AI):** منظمة بحثية لا تهدف إلى تحقيق ربح، بل تهدف إلى تطوير الذكاء الاصطناعي لصالح البشرية جمعاء، وتركز على البحث المفتوح، وتسعى لتقديم نماذج ذكاء اصطناعي قابلة للتوجيه والتحكم.

2- **مشروع (Deep Mind Health)** تم تأسيسها بواسطة **Google's Deep Mind**، وتهدف إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في تحسين خدمات الرعاية الصحية، وقد اتفقوا في المملكة المتحدة مع برامج الخدمة الوطنية للصحة بهدف تطوير تطبيقات تساعد في تشخيص الأمراض.

3- مشروع BERT من Google: (**BERT**) أنموذج يستخدم معالجة اللغة الطبيعية لفهم المعاني في اللغة الإنكليزية، وقد ساعد في تحسين كل من نتائج البحث على **Google** والكثير من تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية الأخرى.

4- **مبادرة(Neuralink)** : مبادرة من رجل الأعمال والمستثمر الأميركي إيلون ماسك (**Elon Musk**) تهدف إلى تطوير واجهات دماغ-حاسوب تستخدم الذكاء الاصطناعي للمساعدة في علاج الأمراض العصبية وتحسين قدرات الانسان. .

5- مبادرة (Facebook AI Research (FAIR: مركز بحثي لشركة فيسبوك يعمل على مشاريع متقدمة في مجال الذكاء الاصطناعي، مثل تقديم مترجمات آلية متقدمة وأنظمة تعرّف على الوجوه بكفاءة.

ثانياً: مفهوم الذكاء الاصطناعي

عرّفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) الذكاء الاصطناعي بأنه نظامٌ قائمٌ على الآلة، يُستخدم لأغراضٍ صريحةٍ أو ضمنية من المُدخلات التي يستلمها، في كيفية توليد مُخرجاتٍ؛ مثل التنبؤات أو المحتوى أو التوصيات أو القرارات التي يُمكن أن تُؤثّر في البيئات المادية أو الافتراضية. (OECD,2024)

يُعرف الذكاء الاصطناعي بأنه قدرة الآلة على محاكاة العقل البشري وطريقة عمله، والمتمثلة في قدرته على التفكير والاستكشاف، فضلاً عن القيام بمهام أكثر تعقيدا مما نعتقد، وسرعة انجاز عالية الدقة، وسعة تخزين كبيرة. ويُعرف على إنه أنظمة أو أجهزة تحاكي الذكاء البشري في أداء المهام، بهدف تعزيز القدرات والمساهمات البشرية بشكل كبير، مما يجعله أصلاً ذا قيمة كبيرة من أصول الاعمال ويحول طريقة عمل

الأعمال جذريًا للأفضل، وخاصة الإدارة المالية. وأتمتة المهام الروتينية حتى يتمكن متخصصو الإدارة المالية من التركيز على الأمور الأكثر أهمية. (السحيتي، 2024: ص5)

وعُرف على أنه فرع من فروع علوم الحاسبات، وهو العلم الذي يجعل الآلات تفكر مثل البشر، ويعرف بأنه سلوكا وخصائص معينة تتسم بها البرامج الحاسوبية وتجعلها تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها. ومن أهم هذه الخصائص القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل على أوضاع لم تبرمج عليها الآلة. فهي انظمة أو اجهزة تحاكي الذكاء البشري لأداء المهام، والتي يمكنها أن تُحسن من ذاتها استناد إلى المعلومات التي تجمعها. ويختلف نظام الأتمتة « Automation » عن الذكاء الاصطناعي AI « فالأتمتة نظام يعتمد على القواعد التي تحددها البرمجة، حيث تتبع الآلة المتسلسلات المنطقية المحددة سلفا وهو ما يعني كون الرمز A يؤدى منطقيا إلى الرمز B وهكذا. أما الذكاء الاصطناعي فهو بمثابة تعليم الآلة لتستنتج من تلقاء ذاتها، وتدرك ما ينبغي فعله وما لا ينبغي. فالتشفير أو الترميز هنا لا يكون صريحا حيث يسمح للآلة بقدر معين من المناورة. (محمد، 2021: ص573)

ومما تقدم يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي على أنه تلك الحدود الجديدة للإنسانية، والركيزة الاساسية التي تعتمد عليها القطاعات الاقتصادية بما فيها الخدمية والبنى التحتية المستقبلية، كونه سيكون جزأً لا يتجزأ من واقع الحياة اليومية في السنوات القادمة، في ظل السعي الحثيث في القطاعات الاقتصادية المختلفة للتحول من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة بحلول عام 2030 .

المبحث الثاني: أهمية الذكاء الاصطناعي وأهدافه

أولاً: أهمية الذكاء الاصطناعي

يمكن توضيح أهمية الذكاء الاصطناعي بشكل عام وفي المجالات كافة بالآتي: (السحيتي، 2024: ص 14)

1- يسهم الذكاء الاصطناعي في المحافظة على الخبرات البشرية المتراكمة بنقلها الى الآلات الذكية.

2- يُمكّن الانسان من استخدام اللغة الانسانية في التعامل مع الآلات بدلاً عن لغات البرمجة الحاسوبية، مما يجعل الآلات واستخدامها في متناول شرائح المجتمع كلها، بعد ان كان التعامل معها حكرا على ذوي الخبرات والمختصين في مجال التكنولوجيا والبرمجة.

3- يؤدى دورا مهما في الميادين الحساسة كالمساعدة في تشخيص الأمراض ووصف الادوية، والاستشارات القانونية والمهنية، والتعليم التفاعلي، والمجالات الأمنية والعسكرية، فضلاً عن المجالات الحياتية الأخرى التي أصبح الذكاء الاصطناعي جزءا أساسيا فيها.

4- تخفف الآلات الذكية الكثير من المخاطر والضغوطات النفسية عن الانسان، وتجعل تركيزه ينصب على أشياء أكثر أهمية وأكثر إنسانية، وذلك بتوظيف الآلات للقيام بالأعمال الشاقة والخطرة، والتي تحتاج الى تركيز عقلي متعب وحضور ذهني متواصل وقرارات حساسة وسريعة لا تحتمل التأخير أو الخطأ.

5- ثُمّ يُعّد عاملا مهما في زيادة تسارع النمو والتطور في الميادين العلمية كافة، حيث تكون له قدرة عالية في إعداد الابحاث.

5- يحقق النفع للإنسان في جوانب ومجالات متنوعة عن طريق قيام الحاسب الآلي بمحاكاة عمليات الذكاء التي ينفذها العقل البشري، وبذلك يصبح للحاسوب القدرة على حل المشكلات المعقدة واتخاذ قرارات سريعة، بأسلوب منطقي وبتفكير العقل البشري نفسه.

ثانياً: أهداف الذكاء الاصطناعي:

يهدف الذكاء الاصطناعي الى تحقيق الآتي: (محمد، 2021: ص574)

1- بناء برمجيات قادرة على اداء سلوكيات توصف بالذكاء عند قيام الإنسان بها، ومن ثُمّ قدرة الآلة على القيام بالمهام التي تحتاج الى الذكاء البشري عند أدائها مثل الاستنتاج المنطقي ، ومن ثم يجعل الآلة أكثر ذكاءً ، وجعل الأجهزة أكثر فائدة.

2- تكرار الذكاء الإنساني

3- حل مشكلة المهام المكثفة للمعرفة.

4- عمل اتصال ذكي بين الادراك والفعل.

5- تحسين التفاعل الاتصال الانساني الانساني، الإنساني الحاسوبي، الحاسوبي الحاسوبي.

6- تمكين الآلات من معالجة المعلومات بشكل أقرب لطريقة الإنسان في حل المسائل، بمعنى آخر المعالجة المتوازية، حيث يتم تنفيذ أوامر متعددة في الوقت ذاته.

7- فهم أفضل لماهية الذكاء البشري عن طريق فك اغوار الدماغ حتى يمكن محاكاته ، كما هو معروف أن الجهاز العصبي والدماغ البشري اكثر الاعضاء تعقيدا ، وهما يعملان بشكل مترابط ودائم في تعرف الأشياء

8- تطوير أنظمة تحقق مستوى من الذكاء شبيه بالذكاء البشري أو أفضل منه.

المبحث الثالث: أنواع الذكاء الاصطناعي مخاطره وكيفية الحد منها.

أولاً: أنواع الذكاء الاصطناعي

الذكاء الاصطناعي عالم واسع يتضمن أنواعاً مختلفة ذات قُدرات وخصائص متباينة، وهي كالآتي:

(Cole Stryker & Tim Mucci ,2025) (annajah.net, 2025)

1- **الذكاء الاصطناعي الضيق (Narrow AI):** ليس له القدرة على التفكير أو التعلم خارج نطاق المهام المبرمج عليها، فضلاً عن أنه غير قادر على تعلم مهارات جديدة أو تطوير فهم عميق للعالم، لكونه يعتمد على خوارزميات مبرمجة مسبقًا وبيانات مُدخلة، ويتطلب تشغيله تدخلًا بشريًا. مصمم لإداء مهام محددة بدقة، ومنها التعرف على الصور، أو انظمة التوصيات في منصات البث (نتفليكس و أمازون)، ويُعد النوع الاكثر شيوعا في الوقت الحالي.

2- **الذكاء الاصطناعي العام (General AI):**

يكون قادر على فهم المهام الفكرية التي يمكن للعنصر البشري تأديتها، ويهدف هذا النوع إلى محاكاة الذكاء البشري بشكل كامل. ويتطلب فهماً عميقاً لكيفية عمل دماغ البشر. ولا يزال هذا النوع في مرحلة البحث والتطوير ولم يتحقق بعد. ويُمثل تحققه تحدياً كبيراً في العالم المعاصر.

3- الذكاء الاصطناعي الفائق (Super intelligent AI)

نظام ذكاء اصطناعي افتراضي، يعتمد على البرمجيات، ويتمتع بنطاق فكري يفوق الذكاء البشري في جميع جوانبه. يتميز بوظائف إدراكية متطورة ومهارات تفكير عالية المستوى تفوق تلك التي يمتلكها أي إنسان. وعلى الرغم من أن الذكاء الاصطناعي الفائق لا يزال فكرة افتراضية، إلّا أن هناك تقنيات حالية تمثل اللبنات الأساسية لتحقيقه في المستقبل.

ثانياً: مخاطر الذكاء الاصطناعي

يولد الذكاء الاصطناعي مخاطر متنوعة في الوعي البشري والمعرفة، ويمكن توضيح البعض منهابالآتي: (عليوي، 2023: ص)

1- فقدان الوظائف:

- يتوقع أن يتم استبدال العديد من الوظائف التي يقوم بها البشر نتيجة لظهور الأنظمة المستقلة والروبوتات، مثلاِ القيادة الذاتية قد تقلل من حاجة الناس إلى سائقي الشاحنات أو التاكسي، وهذا الاعتماد الزائد على التكنولوجيا قد يؤدي إلى تدهور المهارات البشرية في بعض المجالات.
- يتوقع الخبراء أن بعض الوظائف قد تختفي بالكامل بسبب الأتمتة والذكاء الاصطناعي؛ لا سيما أن الوظائف الروتينية تكون أكثر عرضة للمخاطر من غيرها.
- الذكاء الاصطناعي بالمقابل سينشئ أيضا وظائف وفرصا لأعمال جديدة لم تكن موجودة من قبل.
- قد يؤدي انتشار الذكاء الاصطناعي إلى زيادة في الرواتب لبعض المهن المتخصصة، مقابل انخفاض في رواتب المهن الأخرى،

2- التحيز والانحيازات:

- تدريب نظام الذكاء الاصطناعي على بيانات متحيزة، سوف ينعكس هذا التحيز في قراراته. مثلاً؛ إذا تم تغذية الذكاء الاصطناعي بمقالات تؤيد فكرة وجود علماء الذرة في الدول الغربية فقط، قد يعدها الحقيقة الوحيدة وخلافها قليل ونادر وشاذ.

3- تقليل قدرات البشر والوعي الجماعي:

قد يؤدي الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي إلى تقليل قدرة العنصر البشري على التفكير النقدي، فقبول المعلومات المقدمة من قبل الذكاء الاصطناعي على أنها مسلمات (As given) من دون تساؤل، يؤدي إلى توليد مشكلة أخرى تتمثل في تقليل التنوع المعرفي وتقليل الوعي الجماعي والقدرات، فضلاً عن أنه بالإمكان أن تتغير القيم والمعايير أيضا.

4- الخصوصية والتلاعب :

-يؤدي استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل وتتبع سلوكيات الأشخاص واستغلالها لأغراض تسويقية أو سياسية أو ترويجية أو غير ذلك، إلى التأثير في آرائهم وتصرفاتهم، كما وفضيحة شركة كامبريدج أناليتيكا (Cambridge Analytica) المشهورة في أوائل 2018 الذي حدثت في الانتخابات الأميركية، حيث

استخدمت البيانات بطريقة غير صحيحة عبر جمعها وتحليلها من دون علم أو موافقة الأشخاص، مما يشكل تهديدا للخصوصية والحريات الفردية.

-يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لإنشاء محتوى مزيف ومضلل، مثل الفيديوهات لمعدلةُ (Deep fakes) بسبب تطور التكنولوجيا وانتشار استخدامها في جوانب الحياة المختلفة، الأمر الذي يهدد الحقيقة والثقة في المحتوى الرقمي وازدياد القلق من المخاطر الأمنية ومشكلات الخصوصية.

5- **تهديدات الأمان السيبراني:**

استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في اختراق الشبكات وتجاوز أنظمة الأمان، يجعل مواجهة التهديدات الأمنية أكثر تعقيدا.

6- **عدم معرفة طريقة اتخاذ القرارات:**

عدم قدرة العنصر البشري على معرفة نعرف كيف تفكر هذه الأنظمة المعقدة وكيف تتخذ قرارتها من دون الكشف عن أسبابها، يجعل من الصعب فحصها والتحقق من صحتها وخاصة عندما يُعتمد عليها في اتخاذ القرارات في القطاعات الحيوية وتمس حياة الناس مثل الطيران والرعاية الصحية، أو الأقل خطورة مثل قرارات الائتمان أو الوظائف، الأمر الذي يترتب عليه نتائج غير عادلة.

7- **التفاوت الاقتصادي:** الاعتماد على التكنولوجيا يزيد من التفاوت الاقتصادي؛ إذ يستفيد من التقدم التكنولوجي الأثرياء أكثر من الفقراء.

ثالثاً: كيفية الحد من مخاطر الذكاء الاصطناعي

يعمل الباحثون وصناع السياسات على تطوير طرق آمنة وموثوقة في تصميم ونشر أنظمة الذكاء الاصطناعي للتخفيف من المخاطر الناجمة عنه. وتتمثل طرق التطوير في الآتي: **(الدلقموني، 2023: ص15)**

1- **تطوير أنظمة ذكاء اصطناعي شفافة وقابلة للتفسير**

ويشير الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير إلى قدرة تلك الأنظمة على تقديم تفسيرات واضحة ومفهومة لعمليات صنع القرار لديها. ويمكن أن يساعد ذلك في زيادة الشفافية والمساءلة، وتقديم رؤى حول كيفية وصول نظام الذكاء الاصطناعي إلى قراراته.

2- **تطوير أنظمة ذكاء اصطناعي بما يتماشى مع القيم الإنسانية**

تصميم أنظمة ذكاء اصطناعي تمت برمجتها بشكل صريح لإعطاء الأولوية لسلامة الإنسان ورفاهيته، ولتجنب الإجراءات التي من شأنها الإضرار بالبشر. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق دمج الاعتبارات الأخلاقية في تصميم وتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي.

3- **تطوير طرق للتحكم في أنظمة الذكاء الاصطناعي وإدارتها**

يسعى الباحثون إلى استكشاف طرقًا لبناء آليات تسمح للبشر بالتدخل في عمليات صنع القرار بالذكاء الاصطناعي، أم لإغلاق أنظمة الذكاء الاصطناعي في حالة بدأت في التصرف بشكل غير متوقع أو بطريقة ضارة.

4- **التعاون ذات التخصصات المتعددة في معالجة مخاطر الذكاء الاصطناعي**

يشمل مثل هكذا تعاون الجمع بين الخبراء من مجالات متنوعة –علوم الحاسوب والهندسة والأخلاق والقانون والعلوم الاجتماعية– للعمل معا لتطوير حلول تعالج التحديات المعقدة التي يولدها الذكاء الاصطناعي. وعن طريق التعاون بين التخصصات المتنوعة، يمكن للباحثين وصانعي السياسات فهم المخاطر المرتبطة بالذكاء الاصطناعي بشكل أفضل، ووضع استراتيجيات فاعلة لإدارة هذه المخاطر.

المبحث الخامس: ايجابيات الذكاء الاصطناعي وسلبياته

أولاً: ايجابيات الذكاء الاصطناعي

تتمثل أبرز إيجابيات الذكاء الاصطناعي بالآتي: **(مركز بكه للتدريب، 2023: ص 6)**

1- معالجة خالية من الأخطاء: إن تولي العنصر البشري تنفيذ المهام التي توكل إليه تكون عُرضة لارتكاب الأخطاء كونها طبيعة بشرية، في حين استخدام الآلات التي تعتمد على تقنية الذكاء الاصطناعي في تنفيذ المهام ذاتها زاد من دقة القيام بتلك المهام، هذه الدقة تعتمد على مدى جودة تصميم وبرمجة الآلات لتنفيذ المهام، والذي يضمن التوصل إلى نتائج موثوقة.

ويتضح من ذلك أن الآلات التي تعمل بالذكاء الاصطناعي تفوقت على البشر من حيث الكفاءة، نظرًا لتنفيذ الخوارزميات المستخدمة لبناء نماذج قائمة على الذكاء الاصطناعي تركيبات رياضية معقدة تعزز من الكفاءة في أداء الإجراءات وتقلل من الأخطاء.

2- يساعد في الوظائف المتكررة: أن تعامل العنصر البشري مع المهام المتكررة يترتب عليه انخفاض في الكفاءة والإنتاجية، وباستخدام تقنية الذكاء الاصطناعي في الأجهزة والآلات تم التغلب على هذه المشكلة،

لأنها لا تحتاج فترات راحة أثناء العمل للتعافي من التعب، ويمكنها أداء تلك المهام لفترات طويلة وعلى مستوٍ عالٍ من الكفاءة.

3- متاح دائمًا (ذات قدرة تشغيلية مستمرة): يتميز نظام الذكاء الاصطناعي في قدرته التشغيلية المستمرة في تقديم الخدمات طوال اليوم الواحد، على عكس العنصر البشري الذين لا يمكنه العمل أكثر من ثمان ساعات يوميًا. وبذلك فإن هذه الميزة تضمن استمرار هذا النظام في تقديم الخدمات، وتلبية احتياجات المستخدمين في أي وقت وعلى مدار الساعة.

4- اتخاذ القرارات الصحيحة وغير المتحيزة: لا يتأثر نظام الذكاء الاصطناعي المعتمد في الأجهزة بالعواطف، ومن ثم تكون القرارات المتخذة منطقية وصحيحة وعملية.

5- المساعدة الرقمية الدائمة: تُقدم التطبيقات التي تعمل بالذكاء الاصطناعي المساعدة الرقمية التي تستخدمها المؤسسات لأداء المهام الآلية المختلفة، وهو ما يعزز من إنقاذ الموارد البشرية.

6- سرعة اتخاذ القرارات: يساعد نظام الذكاء الاصطناعي على اتخاذ القرارات بشكل أسرع من العنصر البشري، عن طريق المراجعة السريعة لجميع الجوانب ذات الصلة، ومن ثم تحصل الشركات على ميزة تنافسية، لما يوفره هذا النظام من الوقت الكافٍ لاتخاذ قرارات أفضل.

7- الاستخدام في الحالات الخطرة: يمكن الافادة من نظام الذكاء الاصطناعي في القيام بالمهام التي لا يستطيع العنصر البشري خوضها، لكونها مصحوبة بالمخاطر مثل استكشاف أعماق البحار. والغرض منها تقليل الخطر.

8- ظهور اختراعات جديدة

أدى استخدام الذكاء الاصطناعي إلى ظهور التقنيات المتنوعة التي تساعد في الوصول إلى حلول مبتكرة، مثل الكشف المبكر عن السرطان، وهو ما أفاد مجال الرعاية الصحية كثيرًا.

9- تعزيز مشاركة المستخدم: يتميز نظام الذكاء الاصطناعي، بأنه يعزز من مشاركة المستخدم، وذلك لقدرته على تحليل كميات هائلة من بياناته وتوافر تجارب مخصصة له، مثل التوصية بمحتويات معينة.

10- قابلية التوسع: تكتسب الشركات التي تعتمد على نظام الذكاء الاصطناعي تكتسب القدرة التي يُميزها على التعامل مع البيانات المتزايدة وطلبات المستخدمين مع الحفاظ على الدقة والكفاءة، لكون هذا النظام يتميز بقابلية التوسع، وهذا يفيد تلك الشركات أثناء مراحل نموها.

ثانياً: سلبيات الذكاء الاصطناعي

لقد أوجد استخدام نظام الذكاء الاصطناعي إيجابيات متنوعة في مجالات مختلفة؛ وبالمقابل أدى إلى ظهور سلبيات، تتمثل بالآتي: **(Chrystal R.China, 2025: p22)**

1- ارتفاع التكاليف: يُعّد ارتفاع التكاليف المطلوبة لإعداد الأجهزة التي تعمل بنظام الذكاء الاصطناعي من أبرز مشكلاته، لأن هذه العملية تتضمن صياغة خوارزميات معقدة، فضلاً عن استخدام البرامج والأجهزة الحديثة، الأمر الذي يترتب عليه حدوث ارتفاع سريع في التكاليف.

وتُعد هذه المشكلة تحديًا كبيراً تواجهه الشركات بشقيها الصغيرة ذات الموارد المحدودة والشركات الكبيرة، لأن تكلفة تطوير هذا النظام قد ترتفع بسبب الخصائص أو الوظائف أو النطاق الذي تم تصميمه به، فضلًا عن وجوب تحديث الأجهزة والبرمجيات وإجراء الصيانة للرموز والخوارزميات والبرامج المُستخدمة في بناء الأجهزة التي تعمل به.

2- ارتفاع معدلات البطالة: قد يتسبب الذكاء الاصطناعي في زيادة معدلات البطالة، لزيادة اعتماد المؤسسات على الأجهزة ذات القدرات التشغيلية المستمرة في القيام بالمهام والعمليات المعقدة بدلًا من الموظفين. إذ أن الخوارزميات والروبوتات أخذت تنفذ وظائف متنوعة مثل التي كان يؤديها الأفراد، وهذا يترتب عليه زيادة خطر ارتفاع البطالة في المجتمعات المختلفة.

3- التقليل من الإبداع: تستطيع الأجهزة التي تعمل وفق نظام الذكاء الاصطناعي معالجة وتحليل أعداد ضخمة من البيانات، ولكنها لا تستطيع محاكاة المهارات الدقيقة للعنصر البشر، رغم القدرات التحليلية والتنبؤية الذي عُرِفَ بها هذا النظام، الأمر الذي ترتب عليه افتقارها إلى الحس الإبداعي الذي يمتلكه العنصر البشري.

4- الافتقار إلى التحسين: صُممت خوارزميات الذكاء الاصطناعي بطريقة تمكّن الأجهزة من التعلم التلقائي عن طريق استكشاف البيانات، ولكنها إذا استقبلت بيانات متكررة، قد لا تستطيع الأجهزة استكمال هذا التعلم، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى ظهور نتائج غير متوقعة وغير دقيقة وتتسبب في خسائر فادحة. وهذه المشكلة تفرض على المطورين إعادة تعديل الخوارزميات لمجموعة البيانات الجديدة أو تعلمها للتكيف مع الظروف الاستثنائية.

5-عدم وجود تكرار للعنصر البشري: أن ما تتمتع به الأجهزة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي من القدرة على القيام بمهام متكررة غير ضرورية؛ لكنها غير قادرة على التفكير مثلما في العنصر البشري، ولا تستطيع

إصدار الأحكام لأنها ليست على دراية بالأخلاقيات، ومن ثم فأن وجود هكذا حالة لم تتم برمجتها بها؛ قد تعطي نتائج لا يمكن التنبؤ بها.

6- **مخاطر الأمان والخصوصية:** أن اعتماد نظام الذكاء الاصطناعي بشكل كبير على البيانات التي قد تتعرض لوصول غير مصرح به، أو يُساء استخدامها عن طريق نشر معلومات كاذبة والتلاعب بالرأي العام، يُثير مخاوف بشأن الأمن والخصوصية

7- **زيادة الكسل بين الأفراد:** أن زيادة الاعتماد على الأجهزة التي تعمل وفق نظام الذكاء الاصطناعي نتيجة الأتمتة في المهام وزيادة توافر المساعدين الرقميين، قد يؤدي إلى زيادة كسل العنصر البشري. حيث أصبح لديهم ميل ورغبة للاعتماد على هذا النظام في تأديتهم للمهام البسيطة.

8- **عدم القدرة على فهم العواطف:** تتعامل أنظمة الذكاء الاصطناعي بشكل عقلاني وعملي للغاية، وهو ما يصعّب مع التعاملات في مجالات تعتمد على المشاعر وإقناع العملاء بشكل أساس مثل التسويق والمبيعات.

المبحث الخامس: آثار الذكاء الاصطناعي في بعض متغيرات الاقتصاد الكلي.

أولاً: آثار الذكاء الاصطناعي في النمو الاقتصادي.

ويعتقد أغلب الباحثين في هذا المجال أن الذكاء الاصطناعي يزيد النمو الاقتصادي العالمي إلى 4%-6% سنويًا على المدى الطويل. بينما يعتقد الباقون أن الذكاء الاصطناعي لن يكون له تأثير كبير في النمو الاقتصادي. ويُعبر معظم الباحثين عن درجة كبيرة من عدم اليقين بشأن توقعاتهم لأن يعتقد ثلثي الباحثين تقريباً أن تطوير الذكاء الاصطناعي في المدى الطويل يكون له تأثير إيجابي في النمو الاقتصادي. ويُشير خورخي ميغيل برافو (كلية نوفا للأعمال والاقتصاد، لشبونة) إلى أن انتشار للتعلم الآلي الواسع النطاق باعتباره تكنولوجيا ذات أغراض عامة في جميع أنحاء العالم المتقدم والنامي، باعتباره السبب الرئيس الذي يجعله يراهن على الجانب الإيجابي بدلاً من عدم التغيير، وهنالك من يؤيد هذه الأفكار، مدعيًا أن الذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى زيادة الإنتاجية، ومن ثُمّ تحقق نمو اقتصادي أعلى. ومع ذلك، يوجد بعض التحذيرات بخصوص هذا التوقع، والتي تُشير إلى إن الذكاء الاصطناعي قد يزيد من البطالة وعدم المساواة وقد يكون له ردود فعل عكسية في الإنتاجية والنمو. يعتقد معظم الباحثين أن آثار الذكاء الاصطناعي في النمو الاقتصادي غير مؤكدة للغاية، الأمر الذي يجعل التنبؤ مستحيلاً. ويتوقع أندريا فيريرو (جامعة

أكسفورد) أن يكون للذكاء الاصطناعي تأثير كبير في الاقتصاد، لكنه غير متأكدًا حقًا من كيفية ذلك. ويبرر ذلك في أن بعض القطاعات ستستفيد أكثر من غيرها، وقد يتضرر البعض الأخر. فالآثار المترتبة في النمو الاقتصادي بشكل عام غير مؤكدة للغاية وفقا لرأيه. يُذكر أن التأثير الكلي للذكاء الاصطناعي يعتمد على عوامل متعددة منها الآتي:

(Briggs & Kodnani, 2023:1 57)

- السياسات التي يتم تبنيها.
- الكيفية التي يتم بها تحدي قوة الاحتكار.
- توضيح الأفكار الجديدة التي يتم إطلاقها في النهاية.

ومن هنا فأنه لا يمكن تحديد التأثير "بأي درجة من اليقين، وإن التنبؤ بالنمو المستقبلي في المدى الطويل أمر صعب للغاية.

ثانياً: آثار الذكاء الاصطناعي في البطالة

يعتقد معظم الباحثين أن تطورات الذكاء الاصطناعي من غير المرجح أن تؤثر في البطالة في البلدان ذات الدخل المرتفع على المدى الطويل. ولدعم هذا الرأي يستشهد مايكل ويكينز (كلية كارديف للأعمال وجامعة يورك) بما حدث بسبب التحسينات التكنولوجية السابقة فلن يتغير عدد الوظائف ومستوى البطالة ولكن انخفض عدد ساعات العمل وازدادت أوقات الفراغ. ومع الذكاء الاصطناعي سيحدث الشيء ذاته وفي صدى لهذا الرأي، وهنالك من يتوقع ومنهم سيدريك تيل (معهد الدراسات العليا، جنيف) إن تأثيرات البطالة قد تكون محدودة، ولكنه يلاحظ أن التأثير قد يكون كبير على عدم المساواة في الدخل والحاجة إلى سياسة إعادة التوزيع. في حين ترى ماريا ديميرتزيس (بروغل) أن تأثير البطالة قد يعتمد على إعادة التدريب، قائلة فكلما حدث ذلك بشكل أسرع، كان التأثير في البطالة أقل. ويمكن توضيح أهم الآراء حول تأثير الذكاء الاصطناعي في البطالة بثلاثة جوانب، كالآتي:

(Bessen. 2020:589-599)

ويشير عدد من الباحثين إلى عدم اليقين بشأن التوقعات لتأثير الذكاء الاصطناعي في العمالة في المدى الطويل، ويتوقعون أن البطالة في المدى القصير تزيد مع استنفاد العمالة البشرية في بعض المهام والوظائف. ويتكيف العرض في المدى المتوسط، ومن الممكن أن يعمل الذكاء الاصطناعي على خفض المعدل الطبيعي للبطالة في المدى الطويل هذا **من الجانب الأول.**

من جانب ثاني يطرح بعض الباحثين اراءهم التشاؤمية بشأن تأثير الذكاء الاصطناعي في سوق العمل بسبب تأثيره في الفئات الضعيفة. وتتلخص وجهة نظرهم في(أن الذكاء الاصطناعي قد يكون سيئًا للفئات الأكثر ضعفًا في أسواق العمل أي أولئك الذين لم يكن من السهل عليهم التكيف مع بيئة جديدة).

ومن جانب ثالث، أوضح عدد قليل من الباحثين وجهة نظرهم المعارضة لوجهة النظر السابقة، وتتمثل في أن الذكاء الاصطناعي قد يؤدي في الواقع إلى خفض معدلات البطالة في البلدان ذات الدخل المرتفع.

ثالثاً: آثار الذكاء الاصطناعي في الاستقرار المالي

يتمثل المتغير الثالث الذي يتأثر في الذكاء الاصطناعي بـ (الاستقرار المالي). ويحقق فوائد كثيرة إذا تمكن من تطبيقه في المصارف، فقد يُمكّنها من أداء تقييمات أكثر كفاءة للمخاطر وتخطيط رأس المال والسيولة. وبالمقابل تحدث مخاطر عندما تُستخدم أدوات جديدة للذكاء الاصطناعي وعلى نطاق واسع في النظام المالي، فقد تزداد المخاطر التشغيلية وتركز السوق والتأثيرات الخارجية للشركات الكبيرة جداً، والتي لا يُمكن السماح بإفلاسها. فضلاً عن أن انتشار الذكاء الاصطناعي يُزيد من احتمالية سلوك القطيع وارتباط السوق والخداع والتلاعب وتضارب المصالح. **(Leitner,G.et al, 2024)**

رابعاً: آثار الذكاء الاصطناعي في التضخم الاقتصادي

قد نشهد ضغطًا هبوطيًا على الأسعار من خلال يؤثر الذكاء الاصطناعي في الأسعار بطرق مختلفة فيشهد الاقتصاد ضغطا هبوطياً أو تصاعدياً. فعندما يكون الأثر الصافي للذكاء الاصطناعي هو استبدال العمالة وزيادة الإنتاجية، فقد يحدث انخفاضًا في كل من خطر نقص العمالة ونمو تكلفة وحدة العمل. وهذا ينطبق على منطقة اليورو بشكل خاص، فيصل معدل البطالة أدنى مستوى له على الإطلاق، كما يتوقع أن ينخفض عدد السكان في سن العمل بنسبة 19% نتيجةً لشيخوخة السكان في المدى الطويل. يمكن أن يُسهم الذكاء الاصطناعي في انخفاض أسعار الطاقة بتأثيره في جانب العرض، وذلك عند تحسين إدارة الشبكة وزيادة كفاءة استهلاك الطاقة. كما يُمكن أن يُوفر للمستهلكين أدوات أفضل لمقارنة الأسعار. وفي الوقت ذاته يمكن أن يولد الذكاء الاصطناعي ضغوطًا تصاعدية في الأسعار. فيكون لتبني الذكاء الاصطناعي تأثير في الطلب العالمي على الطاقة، مع مضاعفة القوة الحسابية المطلوبة لدعم صعود الذكاء الاصطناعي كل 100 يوم. قد يؤدي هذا إلى ارتفاع تكاليف الطاقة. فضلاً عن أن الذكاء الاصطناعي يُشجع على التسعير التمييزي عن طريق تسهيل التحليل الفوري لطلب المستهلكين ومرونة الأسعار. وتتعلم الخوارزميات باستمرار فرض أسعار تواطؤية أعلى من

الأسعار التنافسية، حتى من دون التواصل فيما بينها – ويعود ذلك جزئيًا إلى استغلال التحيزات المعروفة التي تنحرف عن السلوك الاستهلاكي العقلاني. **(Calvano,E. et al, 2020)**

خامساً: آثار الذكاء الاصطناعي في انتقال السياسة النقدية

من المتوقع أن يؤدي الذكاء الاصطناعي إلى توليد رابحين وخاسرين جدد في سوق العمل ورأس المال، الأمر الذي يترتب عليه من عواقب في توزيع الدخل والثروة. وهذا مهم للسياسة النقدية لأنه يمكن أن يؤثر في ميل الأفراد الهامشي إلى الاستهلاك ومدى قدرتهم على الوصول إلى الائتمان، والذي بدوره يؤثر في كيفية استجابة الطلب للتغيرات في السياسة النقدية، فضلاً عن إذا أدت الذكاء الاصطناعي إلى تغيير في الهياكل المالية، مثل زيادة الوساطة غير المصرفية، فيكون لذلك تداعيات إضافية على انتقال السياسة النقدية. تشير الدلائل إلى أن المؤسسات غير المصرفية، مقارنةً بالمؤسسات المصرفية (المصارف)، أكثر استجابةً لتدابير السياسة النقدية التي تؤثر في أسعار الفائدة ذات المدى الطويل، مثل شراء الأصول. وتُظهر المؤسسات غير المصرفية مستويات أعلى من مخاطر الائتمان والسيولة ومدة الاستحقاق مقارنةً بالقطاع المصرفي.

(Non-bank financial intermediation, 2021)

سادساً: آثار الذكاء الاصطناعي في معدل الفائدة الطبيعي

عندما يُعزز الذكاء الاصطناعي نمو الإنتاجية والإنتاج المحتمل، يستمر الذكاء الاصطناعي في التأثير في معدل الفائدة الطبيعي. فقد تحدث ضغوطا تصاعدية على معدل الفائدة الطبيعي، مع زيادة الطلب على رأس المال للاستثمار في التقنيات الجديدة وتوسيع قدرات الإنتاج. وفي حالة أدى الذكاء الاصطناعي إلى ارتفاع معدلات نزوح العمالة وتسبب في تزايد التفاوت في الدخل، فقد تحدث بعض الضغوط التباطؤية على المعدل الطبيعي، بسبب زيادة المدخرات الاحترازية وتعزيز لاحق للمعروض من الأموال القابلة للإقراض. **(Gazzaniga,M.et al, 2024)**

سابعا: أثار الذكاء الاصطناعي في سوق العمل

يُشكل الذكاء الاصطناعي قوة دافعة للتغيير في سوق العمل، حيث يحمل في طياته فرصاً وتحديات على حد سواء. فمن جهة، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يزيد من الإنتاجية والكفاءة في مختلف القطاعات، عن طريق أتمتة المهام الروتينية والمتكررة، وتحليل البيانات الضخمة، وتوليد رؤى قيمة، وهذا بدوره يخلق فرصاً جديدة للابتكار والإبداع، ويفتح الباب أمام تطوير منتجات وخدمات جديدة. ومن جهة

أخرى، يثير الذكاء الاصطناعي مخاوف بشأن فقدان الوظائف، حيث قد تحل الآلات محل البشر في بعض المهام. ومع ذلك، يشير الخبراء إلى أن الذكاء الاصطناعي سوف يخلق أيضاً وظائف جديدة في مجالات مثل تطوير وصيانة أنظمة الذكاء الاصطناعي، وتحليل البيانات، وإدارة العمليات الآلية. وللتكيف مع هذه التغيرات. (**برينيولفسون و أونغر**، 2023: 22)

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

1- الذكاء الاصطناعي هو تلك الحدود الجديدة للإنسانية، والركيزة الاساسية التي تعتمد عليها القطاعات الخدمية والبنى التحتية المستقبلية، كونه سيصبح جزأً لا يتجزأ من واقع الحياة اليومية في السنوات القادمة، وذلك في ظل سعي مختلف القطاعات للتحول بهدف أهداف التنمية المستدامة بحلول عام 2030

2- يُسهم الذكاء الاصطناعي في تصميم وتطوير خدمات دفع مبتكرة مُصممة خصيصًا لتلبية احتياجات المستهلكين وتفضيلاتهم. كما يُمكنها تعزيز الشمول المالي.

3- استخدام الذكاء الاصطناعي يُعّد مسعى استراتيجي لمواكبة ركب الحضارة. ولكن قد تواجه الدول النامية صعوبات متنوعة في مجال استيراد التكنولوجيا الحديثة، وما تخلفه من مخاطر في مجتمعاتها من الجانب الاجتماعي والثقافي ولاقتصادي. ومنها المخاطر الرقمية والسياسية والنفسية والتربوية والاجتماعية.

4- تأثير التكنولوجيا الحديثة وخاصة الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد متعدد الجوانب منه الجانب الايجابي والأخر السلبي, الأول يتحدد من مسألة التعليم والابتكار وتنمية المهارات والاصلاح التعليمي والمساهمة في الابداع في المجالات الحياتية المختلفة، أما الثاني يشكل مسألة خطيرة لدى مستعملي الانترنيت وما يتنج عنه من مخاطر على القيم والاخلاق والسلوكيات غير السوية التي لا تخدم القيم الاسلامية والخصوصية القومية.

5- اصبح استخدام الذكاء الاصطناعي ضرورة ملحة وعنصرا هاما لمختلف الدول، ولدى شريحة أوسع من أفراد المجتمع والشباب خاصة.

6- تحمل تقنيات الذكاء الاصطناعي تأثيرات مزدوجة في سوق العمل، فقد تؤدي إلى فقدان وظائف في بعض القطاعات، وبالمقابل فإنها قد تخلق فرصا جديدة في قطاعات أخرى.

7- يؤدي الذكاء الاصطناعي دور كبير في تطوير المسار المهني، حيث يمكن أن يساعد الأفراد على تحديد نقاط قوتهم وضعفهم، وتحديد الفرص الوظيفية المناسبة لهم، وتطوير مهاراتهم اللازمة للنجاح في سوق العمل المتغير.

ثانياً: التوصيات

1- تبني الأفراد والمنظمات نهج استباقي عن طريق الاستثمار في تطوير المهارات اللازمة للعمل في عصر الذكاء الاصطناعي، كمهارات حل المشكلات، والتفكير النقدي، والإبداع، والتواصل.

2- إعادة تصميم الهياكل التنظيمية للمنظمات وعملياتها لتتكامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي.

3- مراقبة وتقييم المخاطر المرتبطة بالذكاء الاصطناعي عن طريق فهم هذه المخاطر.

4- التأكد من تنوع المصادر المستخدمة في تدريب الأنظمة، وتقديم وسائل للتحقق من صحة المعلومات، وضمان الشفافية في طريقة عمل النظام، وزيادة الوعي بين المستخدمين بشأن المخاطر.

5- إعطاء الأولوية للتوعية والتثقيف الالكتروني وتعزيز ذكاء المستخدمين للأنترنيت في العالم وخاصة العربي، حيث يشهد في الآونة الأخيرة إقبالاً كبيرة على هذه المواقع الالكترونية إلّا أنه إقبال سطحي ولم يتجاوز حدود التواجد أو الاستهلاك، لأن تعاملهم ينحصر بالشبكات الاجتماعية من دون المشاركة في خلق وتنمية المعارف العلمية.

6- استعداد الحكومات والمؤسسات التعليمية لهذا التحول عن طريق توافر التدريب المستمر والتعليم للأفراد.

7- ضمان بقاء التقدير البشري والتفكير النقدي في صدارة الأولويات. سيكون هذا التوازن ضروريًا للحفاظ على الثقة في البيانات والقرارات المتخذة والنظام المالي الأوسع.

8- الاستفادة من استخدام هذه التقنية بما يتماشى والتنمية ومواكبة التقدم العلمي والاقتصادي.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

1- برينيولفسون. إريك و أونغر. غابرييل(2023), **الاقتصاد الكلي للذكاء الاصطناعي**، مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدولي على الموقع الذي تمت زيارته بتاريخ 5/ 11/ 2025:
https://www.imf.org/ar/Publications/fandd/issues/2023/12/Macroeconomics-of-artificial-intelligence-Brynjolfsson-Unger.

2- بنك التسويات الدولية (2024)، **الذكاء الاصطناعي والاقتصاد: الآثار المترتبة على البنوك المركزية** ، التقرير الاقتصادي السنوي لبنك التسويات الدولية 2024 ، الفصل الثالث، 25 يونيو/حزيران.

3- الدلقموني. رماح (2025)، مستقبل الذكاء الاصطناعي.. ما هي أسوأ مخاطره المحتملة؟ وكيف نتصدى لها؟
على الموقع أدناه 2023/6/16 والذي تمت زيارته بتاريخ 1/11/ 2025
https://www.aljazeera.net/tech/2023/6/11/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84

4- السحيتي. هاني فهيم (2024)، المراجعة صقر. أحمد عبد الله ، **الذكاء الاصطناعي مفهومه وأهميته في المجال المالي الحكومي**، حكومة دبي، دائرة المالية.

5-علیوي. مريم قيس (2023)، **الذكاء الاصطناعي: تطوره، تطبيقاته وتحدياته**، مجلة لباب للدراسات الاستراتيجية، مركز الجزيرة للدراسات، السنة الخامسة. العدد 20. نوفمبر – تشرين الثاني/ 2023، الدوحة، قطر.

6- محمد. هناء رزق (2021)، **انظمة الذكاء الاصطناعي ومستقبل التعليم**، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، العدد الثاني والخمسون.

7- مركز بكة للتدريب (2025)، على الموقع
https://bakkah.com/ar/knowledge-center.

8- ..... ، الذكاء الاصطناعي: تعريفه وأهميته وانواعه وتطبيقاته عام 2025، على الموقع https://www.annajah.net

ثانياً: المصادر الاجنبية

1- Acemoglu, D. (2024), **The Simple Macroeconomics of AI**, MIT, 5 April;
2- Bessen, J. (2020**). Automation and jobs: when technology boosts employment**, Economic Policy, Volume 34, Issue 100.
3- Briggs, J& Kodnani, D. (2023), **The Potentially Large Effects of Artificial Intelligence on Economic Growth**, Goldman Sachs, 26 March. For an overview

4- Calvano, E. et al. (2020**), Artificial Intelligence, Algorithmic Pricing, and Collusion**, American Economic Review, Vol. 110, Issue 10, for biases,

5- Cazzaniga, M. et al. (2024**), Gen-AI: Artificial Intelligence and the Future of Work**, IMF Staff Discussion Notes, No 2024/001.

6- Chrystal R.China(2025**), intelligence-advantages-disadvantages** ,

https://www.ibm.com/sa-ar/think/insights/artificial-intelligence-advantages-disadvantages

7- Crafts, N. (2021), **Artificial intelligence as a general-purpose technology: an historical perspective,** Oxford Review of Economic Policy, Vol. 37, Issue 3, Autumn

8- The Economist (2023), **Chat GPT mania may be cooling, but a serious new industry is taking shape**, 21 September.

9- Leitner, G. et al. (2024), **The rise of artificial intelligence: benefits and risks for financial stability,** Financial Stability Review, ECB, May.

10- McKinsey (2024), **The state of AI in early 2024: Gen AI adoption spikes and starts to generate value**, 30 May.

11- Non-bank financial intermediation (2021), **Non-bank financial intermediation in the euro area: implications for monetary policy transmission and key vulnerabilities**, Occasional Paper Series, No 270 .

12- OECD.(2024**), OECD Principles of Artificial intelligence**, Paris, France, May.

13- Solow, R.M. (1987**), We'd Better Watch Out**, New York Times Book Review.

14- Tim Mucci & Cole Stryker (2025**), artificial-super intelligence**,

https://www.ibm.com/qa-ar/think/topics/artificial-superintelligence

الجاهلية في الفكر الاسلامي

إعداد

أ. د . مصطفى جواد عباس
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ
جامعة البصرة
mustafa.alali@uobasrah.edu.iq

م.م. ثمينه مزهر محمد الشمس
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ
جامعة البصرة

المستخلص:

يتناول البحث مصطلح الجاهلية في القرآن الكريم، والذي ورد للإشارة الى الفترة التي سبقت البعثة النبوية ، ولم تكن حقبة زمنية ، وانما كانت مرحلة اتصفت بفساد العقيدة، وانتشار العادات و السلوكيات السيئة ، مثل عبادة الاصنام ، الظلم ، وأد البنات ، التمييز الطبقي و التعصب القبلي، كل هذه الامور قد رفضها الاسلام وقد بين القرآن الكريم هذه المظاهر ليظهر لنا الفرق بين حال المجتمع والافراد قبل الاسلام وحالهم بعده ، كما اكد القرآن الكريم ان بمجيئ الاسلام خرجت البشرية من ظلمات الجاهلية وطرقها الى طريق الهداية

الكلمات المفتاحية: (الجاهلية ، القرآن الكريم ، وأد البنات)

Abstract:

This research addresses the concept of al-Jahiliyya in the Holy Quran, a term that refers to the period preceding the Prophetic mission. It was not a chronological era, but rather a stage characterized by the corruption of belief, the spread of immoral customs and practices such as idol worship, injustice, female infanticide, class discrimination, and tribal fanaticism. Islam rejected all of these phenomena, and the Quran highlighted them in order to clarify the contrast between the condition of society and individuals before Islam and their condition after its advent. Moreover, the Qur'an affirmed that with the coming of Islam, humanity was delivered from the darkness of Jahiliyya and its ways to the path of guidance.

Keywords: (Jahiliyya, Holy Quran, female infanticide)

المقدمة :

تعد الجاهلية مصطلحاً قرآنياً يُبين لنا حالة الانحراف العقائدي ، والأخلاقي التي كانت شائعة في المجتمع قبل بعثة نبي الله محمد صلى الله عليه وآله ، وقد استخدمها القرآن الكريم للإشارة الى الجوانب السلبية في سلوك الناس، وفي تفكيرهم وعقيدتهم ، وبين لنا التناقض الكبير بينها وبين القيم التي جاء بها الاسلام مثل العدالة ، والرحمة والمودة ، والتوحيد اضافة الى كرامة الانسان ؛ لذلك جاءت الرسالة المحمدية لتصحيها .

وقد وردت الجاهلية في القرآن الكريم في العديد من المواضع بين من خلالها ملامح تلك الحقبة وحذر من مظاهرها .

و تناول البحث مفهوم الجاهلية في القرآن الكريم ، وابراز اهم مظاهرها على ضوء النصوص القرآنية ليتسنى لنا فهم كيفية معالجها، ولمعرفة لماذا حذر منها الرسول الله صلى الله عليه وآله ، لذا تكّون البحث من مبحثين تناول الاول معنى الجاهلية في اللغة والاصطلاح، ومفهومها في القرآن الكريم ، وتناول الثاني صور الجاهلية على ضوء الآيات القرآنية .

المبحث الاول // معنى الجاهلية في اللغة والاصطلاح ومفهومها في القرآن الكريم

أولاً : معنى الجاهلية في اللغة والاصطلاح

الجاهلية في اللغة : كلمة مشتقة من الفعل (جَهِلَ) الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ ، أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَّةُ وَخِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ، ويقال (الجَهْل: نَقِيضُ العِلْم)[1]، أما الازهري فقد أورد معنى آخر للجاهلية غير الذي ذكر وهو معنى الأرضُ المجهولة: الَّتِي لَا يُهتَدى بهَا: لَا أعلامَ بهَا وَلَا جبال[2]،بين ابن دريد ان الْجهل: ضد الْحلم جهل يجهل جهلا وجهالة . والجاهلية :اسْم وَقع فِي الْإِسْلَام على أهل الشّرك فَقَالُوا: لجاهلية الجهلاء[3]، كما بين الآلوسي بتوضيحه اللغوي للجاهلية بقوله (مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي نسبة على الجاهل المشتق من الجهل ،والجهل خلاف العلم ونقيضه ،يقال جَهِل فلان جهلا وجهالة, وجُهِل عليه وتجاهل واستجهل[4]،قال الفراهيدي: (الجاهلية الجهلاء : زمان الفترة قبل الإسلام [5]) ، وتبعه في ذلك الأزهري ، وابن سيده [6] ، ولا يتضح من خلال قولهم انها تختص بالعرب أو بزمن محدد سابق لبعثة النبي، وانما هو مطلق إلى آدم، و لم تشر المعاجم الأولى إلى أكثر من كون الجاهلية فترة جهل وأنَّ الجهل نقيض العلم ، ثم بدأت معاني أخرى بالظهور ، حتى توسع ابن منظور بتعريفها فيما بعد[7] .

أما معنى الجاهلية في الاصطلاح : اختلفت المصادر في تعريف الجاهلية اذ قال النووي (المراد بالجاهلية ما كان في الفترة قبل الاسلام)[8]، كما بينها ابن الأثير وتبعه ابن منظور بقولهم (الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام, من الجهل بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك) [9]، وقد عرف محمد قطب الجاهلية كما عناها القرآن بقوله (هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله, ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله) (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟!)[10] اذن هي مقابل معرفة الله ، والاهتداء بهدى الله والحكم بما أنزل الله وليست مقابل ما يسمى العلم والحضارة المادية ووفرة الإنتاج ؛ فنعتهم الجاهليون لأنهم يحكّمون أهواءهم ويرفضون حكم الله وأعطاهم البديل من الجاهلية ألا وهو الإسلام، كما بين انها ليست محصورة في الجاهلية العربية ولا في فترة من الزمن معينة إنما هي حالة يمكن ان توجد في أي وقت وفي أي مكان كما توجد كذلك

في أي مستوى من المعرفة والحضارة والتقدم المادي والقيم الفكرية والسياسية والاجتماعية والانسانية إذا كانت هذه كلها لا تهتدي بالهدى الرباني ، وتتبع أهواءها وترفض ان تتبع ما أنزل الله [11]

أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلّ جلاله وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم[12] . ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحميّة والطيش والغضب ، مثلاً في قوله تعالى (قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ[13]) و (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ [14]) وقوله (وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً[15]) وفي قول الرسول لأبي ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية[16]) وقول الشاعر عمرو بن كلثوم (ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا) وواضح في هذه النصوص جميعا أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق، وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ماحرّمه الدين الحنيف من موبقات [17] ، وقد فسرت كلمة الجاهلية على أنها الهمجية ، ليس هذا المعنى دقيقا للكلمة، بل المعنى الدقيق أنها هي العنف والحدة والغلو في تقدير الأمور، كما كان العرب يفعلون، يغلون في الكرم حتى يكون سفها أو سرفا، ويغلون في الحفاظ والثأر حتى يكون عدوانا، ويغلون في الشجاعة حتى تكون تهورًا، وهكذا، والقصد هو السبيل السوى في كل شيء، وهو الذي جاء به الإسلام.

إن الجاهلية في المحصلة، (نظام) مناقض لنظام الإسلام لا يتحدّد بذاته؛ بل بكونه نقيضاً للإسلام ، يمكننا التعبير عن هذه المقابلة بصورة أخرى، فهناك طرفان هما الجاهليون من ناحية، و المؤمنون من الناحية الثانية، وهما يقفان على طرفي نقيض الجاهليون الذين لا مولى لهم؛ وأما المؤمنون، فمولاهم الله؛ إذ هو الذي أنزل عليهم السكينة، ووقاهم شر الظن، وهو الذي حباهم بحكم يخلصهم من قبح حكم الجاهلية، وهو الذي أذهب عن المؤمنات غير المتبرجات الرجس، وهو الذي أنزل السكينة على الرسول وعلى المؤمنين، وحماهم من نتانة الحمية الجاهلية. وإننا نجد في أسباب النزول ما يدعم ذلك، فقد استعمل القرآن

لفظة الجاهلية في المناسبات التي عرف فيها المسلمون صعوبات ومشاكل في طريق تثبيت نظامهم الاجتماعي والسياسي الجديد، فالمناسبات الأربعة، التي نزلت فيها آيات الجاهلية، هي على التوالي : غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الأحزاب، وصلح الحديبية[18] ، وهذا ما عبر عنه بوضوح أكثر أحد أهم المتخصصين في الجاهلية، ونعني به جواد علي فقد انتهى به نظره في أمر الجاهلية إلى أن لفظة الجاهلية نعت إسلامي من تلك النعوت التي تطلق في العهود السابقة على حركة ما، أو انقلاب، أطلقه المسلمون على ذلك العهد[19]

ثانياً : مفهوم الجاهلية في القرآن الكريم

سمى القرآن عهد العرب قبل ظهور الاسلام بالجاهلية وهذا اشارة منه ان الحاكم فيهم هو الجهل دون العلم ، والمسيطر عليهم الباطل دون الحق[20] ، وكثيراً ما ورد في كتاب الله من هذه المادة بصيغ ومعان متنوعة، اذ وردت بمعنى عدم العلم كما في قوله تعالى (الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)[21] اي لا يستطيعون تقلُّبًا في الأرض، وسفرًا في البلاد، ابتغاءَ المعاش وطَلبَ المكاسب، فيستغنوا عن الصدقات، رهبةَ العدوّ وخوفًا على أنفسهم منهم ، حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدوّ، فلا يستطيعون تجارةً، فكان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فَضْل الله ؛ فيحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة، وتركهم التعرض لما في أيدي الناس، صبرًا منهم على البأساء والضراء[22] ، وذكر القمي فهم الذين لا يسئلون الناس الحافا من الراضين والمتجملين في الدين الذين لا يسئلون الناس الحافا ولا يقدرون ان يضربوا في الأرض فيحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف عن السؤال[23]

ووردت ايضاً بمعنى الطيش والسفة كما في قوله تعالى (انَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[24] ،قال الطبري ما دام يعصي الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته ، وقال :من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء[25] ، وعن أبي عبد الله عليه السلام، فإنه قال(كل ذنب عمله العبد، وإن كان عالما، فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه) فقد حكى الله تعالى قول يوسف لإخوته: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ[26]

) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله، وقوله(وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[27] وثانيها:إن معنى قوله (بجهالة) أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشئ ضرورة، عن الفراء وثالثها: إن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص، فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه، وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحه ، وهناك من قام بتأويلها: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها، عامدين كانوا للإثم، أو جاهلين بما أعدّ الله لأهلها؛ وذلك أنه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء(الجاهل به) إلا أن يكون معنيًّا به أنه جاهل بقدر منفعته ومضرّته، فيقال، هو به جاهل، على معنى جهله بمعنى نفعه وضُرّه[28]، وكذلك وردت هذه اللفظة بمعنى المذهب والطريقة، والمراد به ما يقابل الاسلام من مناهج الحياة، وهذه الآيات ليست مقصورة على الإشارة الى النهج المقابل للإسلام في صيغته الأخيرة كما بينها الله تعالى على لسان النبي محمد ﷺ أو على القوم المقابلين للمسلمين من أتباع الرسالة المحمدية، بل وردت في كتاب الله تعالى صفة للمناهج المقابلة للإسلام وللأقوام غير المسلمين على عهد جميع الأنبياء(عليهم السلام) الى عصر محمد ﷺ[29] .

نقول إن القرآن لم يعرف الجاهلية على أنها نقيض العلم؛ بل بكونها نقيض الإسلام عقيدة وشريعة وحكماً أي هي مقابل دولة إسلامية، بدليل أن لفظة الجاهلية لم تُستعمل في القرآن إلا بعد الهجرة إلى يثرب، حيث نزلت آيات التشريع والحكم. ويبدو الأمر جلياً في سورة المائدة الزاخرة بالأحكام والتشريعات؛ لذلك وردت فيها لفظة الجاهلية مقترنة بالحكم؛ أي بالسلطة والدولة، وقد ظهر مفهوم الجاهلية بالقرآن بصور مختلفة وهذا ناتج من السلوكيات الجاهلية التي يمارسها الناس في تلك الفترة .

المبحث الثاني : صور الجاهلية في القرآن الكريم

أولا: السلوك الجاهلي القائم على الظنون: قال تعالى(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) [30] ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومَحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعلٍ عليه أهل الكفر به[31] ، فكان الناس في الجاهلية يظنون بالله ظنونًا سيئة، فلم يتوكّلوا على الله ولم يثقون به سبحانه وتعالى، فالآية الكريمة تبين إنّ هناك نفر في المسلمين، لا زالوا يعيشون آثار وبقايا الجاهلية ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ فالإنسان المؤمن ينبغي ان يكون

واثقًا بالله تعالى متوكّلًا عليه، ومفوض أمره الى الله لا يساوره أيّ شك أو ظنٍّ سيئ في ربه، وقيل ان الآية نزلت في نفر من المسلمين في غزوة احد عندما خالفوا أوامر النبي ﷺ فكانت الهزيمة من نصيبهم فأخذتهم الظنون بالله ورسوله، فتغيرت مجرى الأمور، وانعكست القضية فبدل الله الانتصار إلى الهزيمة ليمتحنكم وينبهكم، ويربيكم ولقد صرفكم عنهم ليبتليكم إن القرآن الكريم يعمد إلى بيان واستعراض طبيعة ما كان يدور بين أولئك المنافقين وضعاف الإيمان من أحاديث وحوار، وما كان يدور في خلدهم من ظنون وأفكار، إذ يقول يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية إنهم كانوا يظنون بالله ما كانوا يظنونه به أيام كانوا يعيشون في الجاهلية، وقبل أن تبزغ عليهم شمس الإسلام، فقد كانوا يتصورون أن الله سيكذبهم وعده،[32] ، والظن: هو ترجيح أمر ما، مع احتمال عدمه، وهو الاعتقاد الغير الجازم[33] ويمكن ان يستخدم للشك أو يستخدم لليقين[34] كما في قوله تعالى :(يظنون أنهم ملاقوا ربهم) [35]أي يتيقنون أي على يقين أنهم مبعوثون، وقوله:(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون)[36] .

وقد فسرت كلمة (ظن الجاهلية) الواردة بالآية الكريمة عدة تفسيرات اذ ذهب بعضهم الى تفسيرها ب ظَنَّ أَهْلِ الشِّرْكِ بالله، شكًا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه صلى الله عليه وسلم، وَمحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به [37] ، اما جهال المشركين مثل أبو سفيان وأصحابه، فكان ظنهم أنهم قالوا: إن محمدا ﷺ قد قتل[38] ، ومنهم من ذهب به الظن الى التوهم أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه، كظنهم في الجاهلية . وقيل: كظن أهل الجاهلية، وهم الكفار والمكذبون بوعد الله ووعيده[39] ، ومنهم من قال كل من قنط من رحمة الله ، أو ظن انه تعالى قد فعل ما لا ينبغي فعله فقد ظن به ظن الجاهلية ومن هؤلاء الذين قالوا يوم أحد : لو كان محمد نبيا لما سلط عليه المشركون جاهلين أو متجاهلين ان الحرب سجال ، وان الأمور بخواتيمها[40] ومنهم كانوا ينكرون الإله العالم بكلّ المعلومات القادر على جميع المقدورات وهم عبد الله بن ابيّ[41] ومعتب بن قشير[42] وأصحابهما وينكرون النبوّة والبعث فلا جرم ما وثقوا بقول الرسول وعظم الخوف فيهم ، وهذا الأمن كان معجزة عظيمة لأنّ الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتل المؤمنين فبقاؤهم في النعاس مع السلامة في مثل تلك الحالة من أدلّ الدلائل على أنّ حفظ الله معهم وكيف يكون الإنسان في مثل هذه الحالة المضطربة خصوصا في أحد أن ينعس وينام[43] .

وربما اراد المفسرون بهذه الآراء ان يشيرون الى معنى واحد وهو ان (ظن الجاهلية) تعني عدم الإيمان بالله وبقدرته، وانه قادر على نصرهم ولكن بسبب عدم أخذهم بأوامر الرسول ﷺ كانت عقوبتهم الخسارة فبين ان هناك طائفتين بقوله:(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور)[44]،انّ الَّذين كانوا مع النبيّ ﷺ يوم أحد فريقان طائفة المؤمنين وأهل اليقين اذ أنزل الله تعالى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً يعني أمنا، وهي مصدر كالعظمة والغلبة[45] ، فكانوا جازمين بأنّه ﷺ نبيّ حقّا وأنّه ﷺ أخبرهم بأنّ الله ينصر هذا الدين فكانوا قاطعين بأنّ هذه الواقعة لا تؤدّي إلى الاستيصال وكانوا آمنين وبلغ ذلك الأمن إلى حيث غشيهم النعاس فإنّ النوم لا يكون مع الخوف[46] ، وَطائِفَةٌ هم المنافقون الَّذين كانوا شاكّين في نبوّته وما حضروا إلَّا لطلب الغنيمة فهؤلاء اشتدّ جزعهم وعظم خوفهم، قَدْ أوقعتهم أنفسهم في الهموم، أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها، ظنوا بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به، وظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها[47] فوصف سبحانه حال كلّ واحدة من هاتين الطائفتين فقال في صفة المؤمنين (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً) اي غشيهم النعاس (العظمة والغلبة) عن أبي طلحة : غشينا النعاس في المصافّ حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه ، وما أحد إلَّا ويميل تحت حجفته[48]، وقال في وصفه للمنافقين (وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) هو أنّهم كانوا ينكرون الإله العالم بكلّ المعلومات القادر على جميع المقدورات وهم عبد الله بن ابيّ ومعتب بن قشير وأصحابهما وينكرون النبوّة والبعث فلا جرم ما وثقوا بقول الرسول وعظم الخوف فيهم ؛ وهذا الأمن كان معجزة عظيمة لأنّ الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتل المؤمنين فبقاؤهم في النعاس مع السلامة في مثل تلك الحالة من أدلّ الدلائل على أنّ حفظ الله معهم وكيف يكون الإنسان في مثل هذه الحالة المضطربة خصوصا في أحد أن ينعس وينام[49] .

ثانيا : السلوك الجاهلي القائم على أحكام ضاله قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[50] ، قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على

كل خير الناهي عن كل شر وعدل، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم[51] ؛ فيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله، فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية ، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى[52]

كما وضحت هذه الآية تفاضل بني النضير على بني قريظة اذ يعتبرون أنفسهم هم الطبقة العليا في المجتمع اليهودي، فكانوا يميزون أنفسهم عن غيرهم من حيث العقوبات والديات وغيرها من الالتزامات ، فإذا قتل بنو قريظة شخص من بني النضير يقتصون من القاتل، بينما اذا قتل بنو النضير شخص من بنو قريظة فلا يحاسب القاتل، لذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت الآية (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[53] أي لا أحد أحسن مِنَ الله حُكْماً، وهذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه[54] .

ثالثاً : السلوك الجاهلي الغير أخلاقي قال تعالى :(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)[55] ، كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الرِّجَالِ، فَذَلِكَ تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ ، أي لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى، حيث كانت لهن مشية وتكسر وتغنج[56] ، وفي تفسير النسفي لهذه الآية يقول : والتبرج التبختر في المشي أو إظهار الزينة والتقدير ولاتبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى وهي الزمان الذي ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو من داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام[57] .

وقد ذكر البغوي ان التَّبَرُّجُ هُوَ التَّكَسُّرُ وَالتَّغَنُّجُ والتَّبَخْتُرُ وَقِيلَ :هُوَ إِظْهَارُ الزِّينَةِ وَإِبْرَازُ الْمَحَاسِنِ لِلرِّجَالِ، تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى، وقد اخْتَلَفُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى : هناك من قال هِيَ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر آخر هِيَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ قَمِيصًا مِنَ الدُّرِّ غَيْرَ

مَخِيطٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ فَيُرَى خَلْقُهَا فِيهِ ،وقيل انَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ نَمْرُودِ الْجَبَّارِ، كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَتَّخِذُ الدِّرْعَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ فَتَلْبَسُهُ وَتَمْشِي وَسَطَ الطَّرِيقِ وليس عَلَيْهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَتَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ ، وقيل ان الجاهلية الأولى بَيْنَ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ، وَكَانَتْ أَلْفَ سَنَةٍ وَأَنَّ بَطْنَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ كَانَ أَحَدُهُمَا يَسْكُنُ السَّهْلَ وَالْآخَرُ يَسْكُنُ الْجَبَلَ، وَكَانَ رِجَالُ الْجَبَلِ صِبَاحًا وَفِي النِّسَاءِ دَمَامَةٌ، وَكَانَ نِسَاءُ السَّهْلِ صِبَاحًا وَفِي الرِّجَالِ دَمَامَةٌ، وَأَنَّ إِبْلِيسَ أَتَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّهْلِ وَأَجَّرَ نَفْسَهُ مِنْهُ، فَكَانَ يَخْدِمُهُ وَاتَّخَذَ شَيْئًا مِثْلَ الَّذِي يُزَمِّرُ بِهِ الرِّعَاءُ فَجَاءَ بِصَوْتٍ لَمْ يَسْمَعِ الناس بمثله، فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون إليه فاتخذوا عيدا يجتمعون إليه فيه فِي السَّنَةِ فَتَتَبَرَّجُ النِّسَاءُ لِلرِّجَالِ وَيَتَزَيَّنَّ الرِّجَالُ لَهُنَّ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ هَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي عِيدِهِمْ ذَلِكَ فَرَأَى النِّسَاءَ وَصَبَاحَتَهُنَّ فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ فَظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِيهِمْ[58] ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى[59] .

رابعاً: السلوك الجاهلي القائم على العصبية[60] القبلية [61] ، أي العصبة القومية المقيتة؛ من الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والفخر بالأرض والتراب، والعرق، واللون، والجنس ، والبلد وهي حمية الجاهلية المذمومة[62] ، قال تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)[63] ، لأن الذين فعلوا من ذلك كان جمعية من أخلاق أهل الكفر ، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله[64] ، أذ كان العرب قبل بعثة النبي ﷺ، وقبل نزول القرآن الكريم، وبزوغ شمس الإسلام، أمة متنافرة، متناحرة، تسودها العداوات، والبغضاء، والأحقاد، والشحناء، القوي يأكل الضعيف، والغني يستعبِد الفقير، كانوا يتقاتلون على موارد الشاء والإبل، وتقوم بينهم الحروب لأتفه الأسباب، بسبب قتل كلب، أو نحو ذلك، وتدوم سنين طويلة، كما في حرب داحس والغبراء، والحروب بين الاوس والخزرج[65] .

ولا شك أن كل إنسان يرتبط بأرض أو قبيلة أو قومية فإنه يعشقها، وهذه العلاقة بالأرض أو القبيلة، ليست غير معيبة فحسب، بل هي عامل بناء لأبناء المجتمع، إلا أن لهذا الأمر حدودا، فلو تجاوز الحدود فإنه سينقلب إلى عامل مخرب، وربما إلى عامل مفجع .والمراد من التعصب أو العصبية القومية أو القبلية المذمومة والسلبية، هو الإفراط في التعصب أو العصبية ... فالدفاع المفرط عن القوم أو القبيلة أو الأرض والوطن، كان مصدرا لكثير من الحروب على طول التاريخ، وعاملا على انتقال الخرافات والتقاليد السيئة على أنها آداب وسنن في قبيلة ما أو أمة ما! إلى أمم أخر، وهذا الدفاع أو الانتماء المتطرف، قد يبلغ حدا بحيث

يرى أسوأ أفراد قبيلته في نظره جميلا، وأحسن أفراد القبيلة الأخرى في نظره سيئا، وكذلك الحال بالنسبة إلى السنن والآداب السيئة والحسنة. وبتعبير آخر إن التعصب القومي يلقي ستارا من الجهل والأنانية على أفكار الإنسان وعقله، ويلغي التقييم الصحيح، وهذه الحالة من العصبية كانت لها صورة أكثر حدة بين بعض الأمم، ومنهم العرب المعروفون بالتعصب، فاشتهرت الأمة العربية بالعصبية القبلية التي مبعثها الجهل وعدم النضوج الفكري، ومن أقوالهم في ذلك أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين وقد أثارت هذه العصبية الحروب الطاحنة التي أريق فيها سيل عارم من الدماء[66] و في الآيات الآنفة بيان على أنه لو أنزل الله القرآن على غير العرب لما كانوا به مؤمنين. وقد ورد في الروايات الإسلامية التحذير من التعصب، على أنه خلق مذموم، اذ يقول رسول ﷺ في حديث له : (من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية، بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية)[67] ، وقد عبر الراغب الأصفهاني عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحَمِيَّة، قيل حَمِيتُ على فلان أي غضبت عليه[68]

ونلاحظ ان القرآن الكريم وصف المجتمع الجاهلي بشكل طريف ومدهش ، اذ تحدث عن نظام كامل ، بكل خصائصه ومميزاته ومختلف جوانبه ، نظام له تصوراته الخاصة به ، ونظمه المخالفة لنظم الإسلام وتصوراته ؛ فكل آية من هذه الآيات الكريمة، تشير إلى جانب بارز في المجتمع الجاهلي ، يتشكل بها جميعاً صورة كلية للمجتمع الجاهلي ، يؤكد هذا: أن الآيات جميعها مدنية ، نزلت بعد هجرة النبي إلى المدينة ، وقيام المجتمع الإسلامي ، المتميز عن الجاهلية ، والمختلف في كل القيم والتصورات[69] .

الخاتمة :

مما تقدم نفهم ان مصطلح الجاهلية من منظور قرآني لا يعني فقط حقبة زمنية سبقت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما يعبر عن كل حالة فكر وسلوك يستبعد فيها الوعي، والعقل ، ويختفي فيها الحق، وتنتشر فيها المعتقدات ، والعادات الغير صحيحة سواء كان هذا في الحاضر او الماضي ، وبمجيء الاسلام خرج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الايمان، فذكر الجاهلية في القرآن هي اضافة الى انها توثيق للماضي تعتبر كذلك كتحذير من العودة الى تلك العادات والسلوكيات الجاهلية .

([1]) ينظـر الزمخشـري ، اسـاس البلاغـة : ج1 / 153 ؛ ابـن منظـور ، لسـان العـرب مـادة (جهـل) : ج11 / 129 ؛ الفيروزآبـادي ، القـاموس المحـيط مـادة (ج.هـ.ل) 980 ؛ الـرازي ، مختـار الصـحاح ، مـادة (ج.هـ.ل)63 ؛ الفيـومي ، المصباح المنير مادة (ج.هـ . ل) ج1 / 113 .

([2]) تهذيب اللغة :ج6 / 36 .

([3]) جمهرة اللغة : ج1 / 494

([4]) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية : 31 .

([5]) العين : ج3 / 390 .

([6]) المحكم والمحيط الاعظم : ج4 / 166 .

([7]) حاجم ، رواسب الجاهلية وانعكاساتها : 5

([8]) شرح صحيح مسلم : ج2 / 110 .

([9]) النهاية في غريب الحديث : ج1 / 323 ؛ لسان العرب : 11 / 130 .

([10]) المائدة : 50 .

([11]) جاهلية القرن العشرين : 7 – 9 .

([12]) شوقي ، تاريخ الأدب العربي : ج 1 / 39 .

([13]) البقرة : 67 .

([14]) الأعراف : 199 .

([15]) الفرقان : 63 .

([16]) البخاري ، صحيح البخاري : ج1 / 15 حديث 29 .

([17]) شوقي ، تاريخ الأدب العربي : ج 1 / 39 .

([18]) رحموني ، في مفهوم الجاهلية القرآنية :25.

([19]) رحموني ، في مفهوم الجاهلية القرآنية :25.

([20]) الطباطبائي ، تفسير الميزان : ج4 / 151 .

([21]) البقرة : 273 .

([22]) الطبري ، تفسير الطبري : ج5 / 593 .

([23]) تفسير القمي : ج1 /93 .

([24]) النساء : 17 .

([25]) تفسير الطبري : ج[8] / 90

([26]) يوسف / 89 .

([27]) يوسف / 33 .

([28]) الطبري ، تفسير الطبري : ج[8] / 91

([29]) جعفر ، هشام ، منهج النظر الى مفهوم الجاهلية : 14 .

([30]) آل عمران / 154 .

([31]) الطبري / تفسير الطبري : ج7 / 320 .

([32]) الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ج2 / 735- 738 .

([33]) الظّن: لغة واصطلاحاً عبارة عن الطرف الراجح من طرفي الترديد في الذهن، وقد يطلق اصطلاحا عى الاسباب الذي تورث الظن بحسب الغالب كما ان الظن نوعين الاول نظير العم والشك والثاني اليقين، (وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)(الشعراء 186) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(الأعراف 66) ينظر المشكيني، اصطلاحات الاصول : 161 ؛ حاجم ، رواسب الجاهلية :29 .

([34]) الفراهيدي ، العين :ج[8] / 152 .

([35]) البقرة / 46 .

([36]) البقرة / 78 .

([37]) الصنعاني ، تفسير عبد الرزاق الصنعاني : ج1 / 419 ؛ الطبري ، تفسير الطبري : ج7 / 321 .

([38]) مقاتل بن سليمان ، تفسير مقاتل : ج1 / 198 .

([39]) الطبرسي ، تفسير مجمع البيان : ج2 / 421 .

([40]) مغنية ، التفسير الكاشف : ج2 / 182 .

([41]) عبد الله بن أبي بن سلول ، من بني عوف بن الخزرجى، وكان رئيس القـوم ، وهو من المنافقين ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء: ج1 /331 .

([42]) مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وقيل: معتب بْن بشير بْن مليل بْن زيد بْن العطاف بْن ضبيعة بْن زيد بْن مالك بْن عوف بْن عَمْرو بْن عوف بْن مالك بْن الأوس الأنصاري الأوسي ، شَهِدَ بَدْرًاوهو القائل (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا) شهد العقبة، وبدرا، وأحدا ، ينظر الاصبهاني ، معرفة الصحابة : ج5/ 2593 ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة : ج5 / 217 ,

([43]) الحائري الطهراني ، تفسير مقتنيات الدرر: ج2 / 290 .

([44]) آل عمران / 154 .

([45]) الثعلبي ، الكشف والبيان : ج3 / 187 .

([46]) الحائري الطهراني ، تفسير مقتنيات الدرر : ج2/ 289 .

([47]) البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل : ج2 / 44 ؛ الحائري الطهراني ، تفسير مقتنيات الدرر : ج2 / 290 .

([48]) الكاشاني ، زبدة التفاسير : ج1 / 579 ، الحائري الطهراني ، تفسير مقتنيات الدرر : ج2 / 290 .

([49]) الحائري الطهراني ، تفسير مقتنيات الدرر : ج2 / 290 .

([50]) المائدة / 50 .

([51]) تفسير ابن كثير : ج3 / 119 .

([52]) السعدي ، تفسير السعدي : 234 .

([53]) المائدة / 50 .

([54]) النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسقي) : ج1 / 453 .

([55]) الاحزاب / 33 .

([56]) الطبري ، تفسير الطبري : ج20 / 259– 260 ؛ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ج6 / 410 ؛ السعدي ، تفسير السعدي : 663 .

([57]) النسفي : ج3 / 30 .

([58]) تفسير البغوي : ج3/ 636 .

([59]) الاحزاب / 33

([60]) والتَّعَصُّبُ :مِنَ العَصَبِيَّة .والعَصَبِيَّةُ :وهي في الأصل من مادة (عصب) ومعناه واضح، وهو الغضروف الذي يربط المفاصل، ثم أطلق التعصب والعصبية على كل ارتباط من يَدْعُوَ الرجلَ إِلى نُصْرةِ عَصَبَتِه، والتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ، عَلَى مَنْ يُناوِيهم، ظَالِمِينَ كانوا أَو مَظْلُومِينَ،والعصبية هي المُحاماةُ والمُدافعةُ .وتَعَصَّبْنا لَهُ وَمَعَهُ :نَصَرناه .وعَصَبةُ الرَّجُل :قومُه الَّذِينَ يَتَعَصَّبونَ لَهُ، وعَصَبُوا بِهِ :اجْتَمَعُوا حَوْلَه ، ، قَالَ سَاعِدَةُ ولكنْ رأَيتُ القومَ قَدْ عَصَبوا بِهِ، ... فَلَا شَكَّ أَنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيمُ ، ينظر ابن منظور ، لسان العرب : ج1 / 606 ، الشيرازي ،الامثل في تفسير كتاب الله المنزل :ج11 / 468.

([61]) قبلية : هو نظام قبلي يتميز بالتماسك ، والشعور القوي بالهوية القبلية وولاء الشخص لقبيلته أو مجموعته ينظر عمر، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصر : ج3 / 1772

([62]) اللاحم ، مراقي العزة : 481 .

([63]) الفتح / 26

([64]) الطبري ، تفسير الطبري : ج22 / 253 .

([65]) اللاحم ، مراقي العزة : 482 .

([66]) القرشي ، النظام السياسي في الاسلام : 148 .

([67]) الشيرازي ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل :ج11 / 469.

([68]) المفردات في غريب القرآن : 259 .

([69]) مجموعة من المؤلفين ، الألفاظ التي اقترنت بمصطلح الجاهلية في القرآن .

❖ القرآن الكريم

أولاً: المصادرالأولية

❖ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1232م)

1- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت .

❖ ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد الجزري (ت606هـ/1209م).

2- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط4، مؤسسة اسماعيليان ، قم ، 1364ش .

❖ الأزهري ،أبو منصور محمد بن أحمد الهروي(ت 370هـ/ 980م).

3. تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م .

❖ البخاري ، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت 256هـ /

4- صحيح البخاري ، اعتنى به أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علّوش ، د. ط ، مكتبة الرشد ، د. ت .

❖ البغوي ، ابو محمد الحسين بن مسعود (ت 510 هـ /

5- تفسير البغوي ، تحقيق محمد عبدالله ، عثمان جمعة ، سليمان مسلم ، ط4 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1417 هـ / 1997 م

❖ البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ /

6- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (1418 هـ /

❖ الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ /

7- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق ابي محمد بن عاشور، تدقيق الأستاذ نظير الساعدي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 1422هـ – 2002 م

❖ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ /

8- جمهرة اللغة ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1987م

❖ الذهبي ، شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م)

9 – سير أعلام النبلاء ، تحقيق حسين أسد ، وشعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، د. م 1405هـ / 1985 م

❖ الرازي , محمد بن ابي بكر عبدالقادر (ت666هـ/1267م) .

10- مختار الصحاح , تحقيق ضبط وتصحيح احمد شمس الدين , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت ، 1994 م .

❖ الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (502 /

11- المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ، ط 1 ، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق – بيروت 1412هـ /

❖ الأزدي ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150 هـ /

12- تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود شحاته ، ط1 ، دار إحياء التراث ، بيروت 1423هـ /

❖ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد(ت 538هـ / 1143م)

13- أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان 1419هـ / 1998م.

❖ الأصبهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أسحاق (ت 430هـ / 1038 م)

14- معرفة الصحابة ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي ، ط1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض 1419هـ / 1998 م

❖ ابن سيدة :ابو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (458هـ / 1065م)

15- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421هـ/ 2000م

❖ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت 211هـ /

16- تفسير عبد الرزاق ، تحقيق د. محمود محمد عبده ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت (1419 هـ /

❖ الطبرسي ،أبو علي الفضل بن الحسن (548هـ/1153م) .

17- تفسير مجمع البيان ، تحقيق، وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط1 ، د. م ، 1415 هـ – 1995م .

❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)
18- جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق د عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر، 1422 _ 2001 .
❖ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م).
19 – العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ط2 ، نشر مؤسسة دار الهجرة بيروت ، 1410هـ .
❖ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م).
20- القاموس المحيط، شرح ديباجة القاموس: نصر الهوريني، د . م ، د . ت
❖ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (770هـ /1368م).
21- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ت .
❖ القمي ، علي بن إبراهيم (ت ن329 هـ /
22- تفسير القمي ، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، ط3 ، د. م ، 1404 هـ /
❖ الكاشاني ، فتح الله بن شكر الله (ت 988 هـ /
23- زبدة التفاسير ، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم 1423ق / 1381
❖ ابن كثير، عماد الدين ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1372م).
24 – تفسير ابن كثير، علق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، 1419 هـ / 1998 م .
❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت711هـ/1311م).
25- لسان العرب، نشر أدب الحوزة ، قم ، 1405هـ /
❖ النسفي ، حافظ الدين، ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود (710هـ /
26- تفسير النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط1 ، دار الكلم الطيب – بيروت 1419هـ / 1998 م
❖ النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ/ 1277م).
27- شرح صحيح مسلم ، ط3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 1392 هـ /

ثانياً : المراجع

❖ الآلوسي ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله (ت 1342هـ /

28- فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ، تحقيق يوسف بن محمد السعيد ، ط1، دار المجد للنشر والتوزيع 1425هـ / 2004 م .

❖ الحائري الطهراني ، السيد علي الطهراني

29- تفسير مقتنيات الدرر، د.ط ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان 2016م

❖ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت 1376هـ /

30- تفسير السعدي ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط1 ، مؤسسة الرسالة 1420 / 2000 .

❖ شوقي ، ضيف

31- تاريخ الادب العربي ، ط1 ، دار المعارف للعلوم ، مصر 1960 هـ / 1995م .

❖ الشيرازي ، ناصر مكارم

32- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، اعتنى به حسين سلوم و محسن عقيل ، دار المحجبة البيضاء

❖ الطباطبائي ، محمد حسين 1412 هـ /

33- الميزان في تفسير القرآن ، د. ط ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، 1417 هـ /

❖ عمر ، أحمد مختار عبد الحميد(1424هـ).

34- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب ، د. م ، 1429هـ/ 2008م .

❖ القرشي ، باقر شريف

35- النظام السياسي في الإسلام ، ط2 ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، 1398هـ / 1978 م .

❖ قطب ، محمد

36- جاهلية القرن العشرين ، ط12 ، دار الشروق ، بيروت 1412هـ / 1992 .

❖ اللاحم ، سليمان بن ابراهيم بن عبد الله

37- مراقي العزة ومقومات السعادة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، السعودية 1443هـ / 2021 م

❖ المشكيني ، الشيخ علي أكبر فيض (ت 1386هـ /

38- اصطلاحات الاصول ومعظم ابحاثها ، ط5 ، دار الهادي للنشر ، قم ، 1413 هـ / 1992م .

❖ مغنية ، محمد جواد

39- التفسير الكاشف ، ط4 ، دار الانوار للطباعة والنشر ، بيروت _ لبنان .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح

❖ حاجم ، أكرم سعود

1- رواسب الجاهلية وانعكاساتها في عقلية المسلم زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي ، 1442هـ / 2024 م .

رابعاً : البحوث :

❖ جعفر ، هشام

1- منهج النظر إلى مفهوم الجاهلية ، الاسكندرية ، مصر ، مكتبة الاسكندرية ، وحدة الدراسات المستقبلية 2013م .

❖ رحموني ، محمد ، باحث تونسي

2- في مفهوم الجاهلية القرآنية ، بحث منشور في مجلة ألباب الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود عدد 11 .

أثر تنوع الفرق والطوائف الإسلامية في الوحدة الإسلامية
رؤية تأريخية معاصرة

إعداد

أ.د. قحطان حميد كاظم
كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ
جامعة ديالى
drqahatanhamed@gmail.com

أ.د . قسمة مدحت حسين
جامعة بلاد الرافدين
كلية العلوم الإنسانية / قسم حوار الأديان
dr.qmhd333@gmail.com

المستخلص

تأتي أهمية البحث من خلال تعريف الباحثين والمؤرخين بأهمية الوحدة الإسلامية لأن الاختلاف بين الفرق الإسلامية أدى الى إضعاف المسلمين ، بل وتنازعهم عن طريق إثارة الفتن والاضطرابات فيما بينهم . وجاءت مشكلة البحث لتسليط الضوء على الفرق والطوائف الإسلامية بشكل أكاديمي ، ولبيان ضرورة وضع أسس سليمة من شأنها أن تقرب بين المسلمين بصورة جادة وإشاعة مبدأ التسامح والارتقاء الى روح المحبة والآخاء بين المسلمين.

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في تناول الموضوع .

وزعت مادة البحث على ثلاثة مباحث ، بيّن المبحث الأول : نشأة الفرق وتطرق المبحث الثاني الى : موقف السلطة من الفرق والطوائف الإسلامية ودَرَس المبحث الثالث : أثر الفرق والطوائف في الإسلامية في الوحدة الإسلامية .

أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث : إنّ بدايات ظهور الفرق الإسلامية بعد اجتماع السقيفة وخلاف المهاجرين والانصار حول الخلافة بعد وفاة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ولم يحضر الى الاجتماع الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس وحارثة بن زيد رضي الله عنهم بسبب انشغالهم بدفن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وظهرت آراء عدة منها ان الخلافة تكون بالاختيار والبيعة و ذكرت

أخرى بأن الخلافة بالنص ، وتطورت الخلافات بين الصحابة ليتفرقوا إلى فرق عدة ، وزادت الخلافات بين المسلمين في عهدي الخليفتين عثمان بن عفان(رضي الله عنه) والإمام علي عليه السلام . ومع كل تلك الاختلافات فأن تحقيق الوحدة الإسلامية ليس حلماً بل يمكن تحقيقها بالاعتماد على الأسس الإسلامية الصحيحة والايجابية .

أما التوصيات فيوصي البحث بالاطلاع على المصادر التاريخية وقراءتها بدقة لمعرفة السبل السليمة لأجل تحقيق الوحدة الإسلامية ، والحث على ترسيخ العدالة والمساواة لتأسيس وحدة إسلامية حقيقية ، وتعزيز الحوار الصادق والحكمة والموعظة الحسنة لتقليل سوء الفهم وتقريب وجهات النظر فضلًا عن التركيز على القواسم المشتركة بين المسلمين بدل التركيز على الاختلافات .

Abstract

The importance of this research stems from its aim to highlight for researchers and historians the significance of Islamic unity. Disagreements among Islamic sects have weakened Muslims and even led to conflict, inciting discord and unrest. The research problem arises from the need to shed light on Islamic sects and groups in an academic manner, demonstrating the necessity of establishing sound foundations that can genuinely foster closer ties among Muslims and promote the principles of tolerance, love, and brotherhood. The researchers employed both descriptive-analytical and historical methodologies in addressing the topic.

The research is divided into three sections. The first section examines the origins of the sects, the second addresses the stance of the ruling authorities towards Islamic sects and groups, and the third explores the impact of these sects and groups on Islamic unity.

The most important finding of the research is that the emergence of Islamic sects began after the Saqifa gathering and the dispute between the Muhajirun and Ansar regarding the caliphate following the death of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family). Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), al-Abbas, and Haritha ibn Zayd (may God be pleased with them) were absent from the meeting due to their involvement in the Prophet's (peace and blessings be upon him and his family) burial. Several opinions emerged, including that the caliphate should be established through election and allegiance, while others maintained that it should be by divine appointment. Disagreements among the Companions escalated, leading to the formation of several factions. These divisions intensified during the caliphates of Uthman ibn Affan (may God be pleased with him) and Imam Ali (peace be upon him). Despite these differences, achieving Islamic unity is not a mere dream; it is attainable by adhering to sound and positive Islamic principles.

Recommendations: This research recommends consulting and carefully studying historical sources to identify the proper paths for achieving Islamic unity. It also emphasizes the importance of establishing justice and equality to build genuine Islamic unity, promoting sincere dialogue, wisdom, and good counsel to minimize misunderstandings and bridge differing viewpoints, and focusing on the commonalities among Muslims rather than dwelling on their differences.

المقدمة

سيتم توضيح المقدمة من خلال الفقرات الآتية :

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث من خلال تعريف الباحثين والمؤرخين بالوحدة الإسلامية في التاريخ الماضي المرتبط بالحاضر لأن الاختلاف بين الفرق الإسلامية أدى الى اضعاف المسلمين ، بل وتنازعهم عن طريق إثارة الفتن والاضطرابات فيما بينهم فضلاً عن أهمية البحث لدخوله في تراثنا وتاريخنا وعقائدنا.

مشكلة البحث :

لم يسلط التاريخ الضوء على الفرق والطوائف الإسلامية بشكل أكاديمي إلا قليلاً ، وكذلك لبيان ضرورة وضع مبادئ وأسس من شأنها أن تقرب بين المسلمين بصورة صحيحة وجادة ، وإشاعة مبدأ التسامح والارتقاء الى روح المحبة والآخاء لأن التاريخ سَجل لمآثر العرب والمسلمين ودورهم في الحياة الإنسانية.

منهج البحث :

هو المنهج الوصفي التحليلي .

الهدف من البحث :

يهدف البحث لبيان ما للتاريخ الإسلامي من دور مهم في سرد الأحداث المتعلقة بنشأة الفرق والطوائف الإسلامية لاسيّما فيما يتعلق باجتماع السقيفة ، والتي تمخضت عنها حالة من الجدال والحوار والنقاش حول مسألة الخلافة بعد الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) والتي بلغت ذروتها في عهد الخليفة الرابع الإمام علي (عليه السلام) ولتحقيق هذا الهدف ، نتناول تلك الأحداث عن طريق ثلاثة مباحث فرضتها طبيعة الموضوع بتقسيمه الدقيق وهو : المبحث الأول : نشأة الفرق وتطرق المبحث الثاني الى : موقف السلطة من الفرق والطوائف الإسلامية وبين المبحث الثالث : أثر الفرق والطوائف في الإسلامية في الوحدة الإسلامية . هذه الوحدة هي قوة العرب والمسلمين وان أمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي خير الامم ، فالقوة في اتحادها والضعف في تفرقها. ومن هنا تأتي الأسس الصحيحة والسليمة لتحقيق هذه الوحدة على مسار التاريخ المعاصر ، بأنهم أخوة في الإسلام وشركاء في الدين وهي ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية القويمة تفرضها التحديات المعاصرة التي تواجه الامة . وهذه الوحدة لا تلغي التنوع المذهبي بل تعني استثماره بالإيجابية والتسامح والالتزام بأدب الحوار والتعايش مع الآراء المختلفة والابتعاد عن الصراعات والانقسامات كمصدر قوة للمسلمين عن طريق رؤية إنسانية حضارية إسلامية ، اذ ان الرابطة القوية التي تربطهم باتخاذ القرآن الكريم وما قام به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل مصدرين مهمين لبناء هذه الوحدة وديمومتها .

المبحث الأول : نشأة الفرق الإسلامية

نشأت الفرق الإسلامية بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب المصادر التاريخية . فذكر ابن هشام (1955 ،4 / 306 – 312): فلما كان يوم الاثنين الذي قبض فيه الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج الى الناس فصلى بهم الصبح وهو متوعك ثم رجع فجلس على المنبر فقال: " **ايها الناس حان مني خفوف ، فمن كانت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت اخذت منه مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يقل أحد: أخاف الشحناء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها ليست من شأني ولا من خلقي ، ألا وان أحبكم اليّ من أخذ حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس**" . ثم نزل فصلى بالناس الظهر ثم رجع الى بيت عائشة (رضي الله عنها) فاشتد به الوجع ، ثم خرج الى الناس معصوب الرأس حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " ايها الناس أوصيكم بالأنصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) ، ثم قال : " **ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فأختار ما عند الله** " فبكى ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال : (فديناك بابائنا وامهاتنا) وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المخير ثم اشتد به المرض حتى توفى (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين ، حين اشتد الضحى من شهر ربيع الاول سنة إحدى عشرة من الهجرة وهو ابن 63 سنة فأحدثت وفاته صدمة عنيفة فاجأت المسلمين عامة فتجمهروا خارج الدار يريدون التأكد من ذلك ، ثم قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): " **فوالله ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليبعثنه الله فليقطعن ايدي الرجال وارجلهم** " حتى دخل ابو بكر من السنح على دابته ودخل بيت عائشة(رضي الله عنها) وكشف عن وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبله وقال : " **بأبي انت وامي يا رسول الله طبت حياً وميتاً اما الموتة التي كتبها عليك فقد ذقتها ولن تصيبك بعدها موتة ابدا** " ، ثم خرج الى الناس فقال : " **ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت** " وتلا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة ال عمران الآية 144). وعندما تلا ابو بكر (رضي الله عنه) هذه الآية ايقن عمرَ (رضي الله عنه) والمسلمون ان سيدنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد توفي بحق .

ومما تجدر الاشارة اليه ، فقد غسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت عائشة وليس فيه الا أهله عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه علي بن ابي طالب(عليه السلام) والفضل بن العباس وقثم ابن العباس واسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه ثم كفن (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفن حيث كان فراشه على وفق الحديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " **ما قبض نبي الا دفن حيث قبض** " (الطبري 1967 ، 2/ 224) .

اجتماع السقيفة :

برز الخلاف بين قادة المسلمين حول من يتولى الخلافة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحفظت كتب التاريخ ما دار بين المهاجرين والأنصار، ان الحوارات التي حصلت في الاجتماع تجد فيها رداً لبعضهم البعض في الاحقية . فبعد عدم رضا الصحابة الانحياز بالسلطة بدأ الأخذ والرد والنقاش والحديث ومجمل ما دار هناك من نقاشات هو ان الأنصار ادعوا ان لهم الاحقية في ان يكون الخليفة منهم وقدموا أدلتهم على ذلك فقد أصبح الصحابة أمام محك سياسي خطير بعد غياب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يدير شؤون الامة ويسنده الوحي الالهي في تنفيذ تلك المهمة وبعد غيابه (صلى الله عليه وآله وسلم) انتبه الصحابة بشكل مباشر الى أهمية ان يكون هناك خليفة لتسيير أمور المسلمين خاصة وان كان الدين الواحد هو الذي جمعهم ، إذ انحاز حي من الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وانحاز المهاجرون الى ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) وذهب المهاجرون الى الأنصار ، حتى تمت البيعة كما سيأتي بيانه في أربعة آراء : (الطبري 1967 ،3/198–203)، (اليعقوبي 1960 ، 2/ 124 –126) .

الرأي الأول :

ان يكون الخليفة من الأنصار ممثلا في (سعد بن عبادة رضي الله عنه) حينما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نولي هذا الامر فينا لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان منا ولأننا نصرناه وآويناه ، فقام سعد وكان مريضًا مزملاً بثوبه فقال : " **يا معشر الأنصار ان لكم سابقة في هذا الدين ، وانتم الذين آويت ونصرتم فلا ينازعكم هذا الامر احد**" . وهذا الكلام لا غبار عليه لان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقي في مكة (13) سنة ثم هاجر الى المدينة وقدم فيها انجازات عظيمة سواء في نشر الدعوة او في إقامة الدولة وصيانة الامة الإسلامية وفضلاً عن ذلك ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضائل الأنصار بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " **لو سلك الناس وادياً او شعباً لسلكت وادي الأنصار او شعبهم** " ، (البخاري 2013 ،3/10).

الرأي الثاني :

يكون في الخلافة أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار وقد عرض بعض الأنصار هذا الرأي . " **فذهب اليهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته ابو بكر وكان عمر يقول والله ما اردت بذلك الا ان قد هيأت كلاماً قد اعجبني خشيتُ ان لا يبلغه ابو بكر ، ثم تكلم ابو بكر فتكلم ابلغ الناس ، فقال في كلامه : نحن الأمراء وانتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر : لا والله لا نفعل : منا أمير ومنكم أمير فقال : ابو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعربهم احساباً فبايعوا عمر أو أبا عبيدة من الجراح فقال : بل نبايعك انت فانت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذ عمر فبايعه وبايعه الناس فقال قائل قتلتم سعد بن أبي عبادة فقال عمر قتله الله** "(البخاري 2013 ،3/10) ، فقال عمر على قول الحباب بن المنذر الأنصاري وأحد زعماء الأنصار من الخزرج هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، وقد ورد هذا المثل عند الميداني(1988 ،1/145) ، ومعنى ذلك استحالة اجتماع أمرين مثل السلطتين او الزعامتين واشار بذلك الى عدم صلاحية حاكمين لدولة واحدة لما يؤدي الى

التنازع وعدم الاستقرار ، وعلى غراره أورد (البيهقي) هذا الأثر بقوله : " **لا يصلح اماماً في عصر واحد** " (البيهقي 1925 ، 143/8) (البلادري 1996 ، 583/1) ، وقال أبو بكر للأنصار أنتم من قال الله فيكم : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الحشر: الآية 9**﴾ .

الرأي الثالث :

ان يكون الخليفة من المهاجرين وهذا الراي طرحه ابو بكر وعمر وبعض الأنصار رضي الله عنهم اجمعين وقد استندوا الى امور منها :

فقام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " **يا معشر الأنصار ما ذكرتم فيكم من خير فانتم له اهل ولن يعرف هذا الامر الا لقريش هم اوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت احد هذين الرجلين عمر او ابا عبيدة** " (ابن سعد 1957 ، 3/ 182-186) ، (الدينوري 1967 ، 18/1-23) .

ثم أخذ بيد ابي بكر وبايعه وتتابع الناس قال الزهري فكانت بيعة ابي بكر في السقيفة في يوم الاثنين وبايعه العامة في المسجد يوم الثلاثاء (ابن سعد 1957 ، 185/3) وقال الواقدي : ولم يبايع سعد بن عبادة أحدًا حتى مات في حوران بالشام في خلافة عمر (المصدر نفسه) .

وقد حصل كل ذلك بالاستدلال بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " **ان هذا الامر في قريش**" وقوله أيضًا " **الائمة من قريش** " إن هذا الأمر يعني الخلافة.https://www.islamweb.net

وكذلك ورد القول عند (البخاري 2013 ، 400/4) ، لقد كان موقف الأنصار واضحاً من المهاجرين وانهم محل الاعتزاز بهم ، ومن هنا قالت الأنصار : " **والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم وما احد من خلق الله تعالى احب الينا ولا اعز علينا ولا ارضى عندنا منكم** " (البخاري 2001 ، 92/2) ، (الطبري 1967 ، 3/ 222).

اما موقف المهاجرين وعلى راسهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان موقف اعتراف بفضل الأنصار يقول ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) : " **اما بعد يا معشر الأنصار فأنكم لا تذكرون منكم فضلا الا وانتم له اهل** " (النسائي 2001 ، 49/5) ومع تعدد الآراء والاتجاهات انتهى اجتماع السقيفة بمبايعة أبي بكر (رضي الله عنه) وهذا الاجتماع يعد من اهم الاجتماعات في عهد الصحابة بل القى بظلاله على التاريخ كله وقد ظهر هناك امر قلما نجد له نظيراً وهو ان كل فريق تعترف بالحق والفضل للفريق الآخر مما أدى بالحل الامثل الذي جنب الصحابة كارثة الانقسام والتفرق التي ظهرت بوادره بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لذلك ان الصحابة استبقوا الفتنة قبل ان تخرج عن السيطرة . نلاحظ من خلال ما سبق ان بيعة السقيفة كانت خاصة وسريعة ثم تلتها في اليوم الثاني البيعة العامة في المسجد النبوي وقد وجدنا من خلال ذلك ان بيعة أبي بكر رضي الله عنه لم يكن بإجماع كل الصحابة كما بينت المصادر التاريخية ولم يكن الامر بحاجة الى اجتماع كامل لذلك فان خروج بعض الافراد من هذه البيعة لا يعد خرقاً للبيعة التي تمت بمشاركة

مجموع الصحابة الذين تواجدوا هناك لذلك كانت الشورى بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة تشتد احيانا وتخفت احيانا أخرى وعلى اية حال فقد اورد (البخاري 2013 ،298/4) قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " **انما كانت بيعة ابي بكر فلتة وتمت الا وانها قد كانت كذلك ولكن الله قد وقى شرها**". كلمة (فلتة) ليست طعنا بل وصفا للمفاجأة وسرعة الحدث وهذا القول إشارة الى انها (البيعة) وقعت على المبادرة والسرعة خشية الاختلاف فكانت فلتة في ظاهرها وقد اقرها الله عز وجل واجمع الصحابة عليها لذلك لم يرد عمر ان بيعة ابي بكر خطأ وانما لا يجوز ان يبايع احد في المستقبل بغير شورى عامة وكان عمر بن الخطاب يمدح عاقبتها(بان الله وقى شرها) وكأنه يحذر من تكرار الاسلوب نفسه بغير شورى والمقصود من ذلك انها حدثت بسرعة قبل ان يجتمع المسلمون جميعا لكن الله الهمهم الصواب وانتهت البيعة بخير(الطبري 1967 ،491/3) .

الرأي الرابع: إلا ان بعض الصحابة كان لهم رأي آخر في أحقية الخلافة وفي مقدمتهم الإمام علي وأقاربه من بني هاشم ، الذين استندوا إلى تفضيل القرآن لهم وإلى بعض أحاديث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) لاسيّما حديث الغدير الذي يعد من الأحاديث التاريخية المهمة، والمصيرية التي أدلى بها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في السنة الأخيرة من حياته المباركة، وهو من الأحاديث التي نص فيها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على إمامة الإمام علي (عليه السلام) ووجوب ولايته على جميع المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله المصطفى صلى الله عليه واله وسلم بكل صراحة ووضوح. وإن حديث الغدير من الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ورواه كبار الصحابة والتابعين على مدى القرون وبصيغٍ مختلفة، وروي في أغلب مصادر المسلمين من كتب الفريقين ولا خلاف على صدوره ووجود هذه الواقعة عن الجميع من المسلمين.

(https://imamhussain.org/arabic/46126)

وجاء في نص حديث الغدير : " **قال : ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى. فاخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة**". أما عدد المسلمين الذين حضروا في غدير خم فقد اختلفت الأقوال في عدد ، فأقل الأقوال تقول بأن الحضور كانوا سبعين ألفاً من المسلمين والمسلمات ومن بلدان مختلفة . ولم يتخلَّف عن هذه الحجة احد من كبار صحابته فكان اجتماع يضم العدد الأكبر من المسلمين والفريد من نوعه منذ البعثة النبوية .(الحلبي، 3 / 308 ، امتاع الأسماع: 512) .

وبدأ من هنا أول اختلاف سياسي في الإسلام وعندما قتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة(35 هجرية) وقعت الفتنة إذ انقسم المسلمون الى جماعات مؤيدة ومعارضة وحينما تولى علي بن ابي طالب(عليه السلام) الخلافة خالفه معاوية بن ابي سفيان مطالبًا بدم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كذريعة لاستمراره بالحكم وكسب تأييد المسلمين له ، وفي زمن الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقعت معارك أدت الى نشأة الفرق الإسلامية منها (معركة الجمل) والتي وقعت في سنة (36هـ) وسببها ان عائشة وطلحة والزبير خرجوا للمطالبة بدم عثمان بن عفان(رضي الله عنه) (فلما بلغ علياً مسيرهم الى البصرة خرج

في من معه من المهاجرين والأنصار ، حتى نزل بذي قار ثم سار الى البصرة فاقتتلوا يوم الجمل قتالا شديدا وقتل الزبير وطلحة وأُخذت عائشة (رضي الله عنها) فاكرمها سيدنا علي (عليه السلام) وأرسلها الى المدينة) (الطبري 1967 ،491/3) .

ثم وقعت معركة صفين في شهر صفر سنة (37هـ) وكان القتال فيها شديداً متتابعاً وفيها قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال علي والله ما شككت منذ سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)) يقول : " **تقتلك الفئة الباغية**" (ابن الاثير 1965، 254/3) (الطبري 1967،61/5-65) .

وعندما نشبت معركة صفين بين الإمام علي(عليه السلام) وبين معاوية طلب معاوية ايقاف القتال وتحكيم القرآن بعد شعوره بالخذلان وكانت هذه المبادرة خدعة حربية لجأ اليها معاوية وصحبه حينما أحسوا بالهزيمة ولكن بعد مفاوضات ومشاورات وجدال قبل الخليفة عليه السلام بالتحكيم . في تلك المدة ظهر فريق من جند الإمام علي (عليه السلام) أكثرهم من قبيلة تميم يعلنون استنكارهم وعدم قبولهم من ان يحكم أحد في القرآن واتخذوا شعاراً لهم (لا حكم الا لله) بل طلبوا من الإمام علي (عليه السلام) أن يقر على نفسه بالخطأ بل بالكفر لقبوله التحكيم ولكنه رفض فكيف يقر على نفسه بالكفر وهو لم يشرك بالله منذ آمن (تامر 1990 ،10-11) وهو اول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (الموحد 2002 ، 59) وفي تلك الفترة خرجت فئة من جيش الإمام علي (عليه السلام) الى قرية قريبة من الكوفة تسمى (حروراء) وسموا حينئذ (الحرورية) نسبة اليها ثم امروا عليهم رجلا اسمه عبد الله بن وهب الراسبي وسموه أمير المؤمنين واسم (خوارج) معناه مخالفة الرأي ثم تحولت الى اصطلاح اطلق على الفئة التي خرجت على الإمام علي (عليه السلام) بعد ان كانت تحارب معه (تامر 1990 ، 10) .

ومن هنا ظهرت أول فرقة اسلامية بعد تلك الأحداث وهم الخوارج (واذا كانت الجولة الاولى (معركة الجمل) بين الذين وقفوا موقفا متناقضًا من مقتل عثمان رضي الله عنه فالجولة الثانية الصراع بين علي ومعاوية كانت أشد وأقوى) (الحديثي 1987 ، 246) والحقيقة ان حركة الخوارج في أول أمرها اتخذت صفة سياسية ولكنها تحولت الى دعوة دينية في عهد عبد الملك بن مروان بالتحديد فكان الصوم والصلاة والعبادة وكراهة الكذب والانحراف عن المبادئ والعقائد لهذا قال فيهم الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام " **لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كما طلب الباطل فادركه**" (الطبري 1967 ، 51/4-52) (أمير المؤمنين 1967 ،193/1) ، وقد تفرعت من الخوارج : الأزارقة والاباضية والصفرية ، ومن الشيعة تفرعت : الجعفرية والموسوية والاسماعيلية ومن المرجئة تفرعت : الجهمية والكرامية والنجارية ومن المعتزلة (القدرية) تفرعت : البشرية والفوطية والعبادية (تامر 1990 ، 10-11) ، ذكرنا بعض التفرعات على سبيل المثال لا الحصر .

المبحث الثاني

موقف السلطة من الفرق والطوائف الإسلامية

كانت الفرق الإسلامية كثيرة ومتنوعة ومتعددة الاهداف والأغراض والاتجاهات ولهذا فان تحرك هؤلاء وتفاعلهم مع الإسلام ومعارضتهم له من خلال القرآن الكريم الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى الى خاتم النبيين سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اصطفاه رسولاً وهادياً الى العالمين وقد تذرع معظم معارضي الإسلام بآيات من القرآن الحكيم لتبرير معارضتهم وفي اثبات محاولاتهم في الرفض وفي الدفاع عن مقولاتهم وآرائهم كما جاء في قوله تعالى: **[هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ]** (ال عمران : الآية 7) ، لذلك فأهل الزيغ كان عملهم منذ البداية في نطاق الآيات تفسيرها وتأويلها بشكل يتناسب مع ميولهم وأغراضهم . (السامرائي ، 1988 ، 33) وفي ذلك اورد (الكليني ، 1957 ،9/5-10 ،121) ولما كان القرآن " **خاصا وعاما ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا) فأننا وجدناه يخاصم به(المرجئ والقدري والزنديق** " ويبدو من ذلك ان تلك الفرق تعددت من الاصول الى الفروع فرق الاصول : الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة فضلًا عن الفرق المتفرعة عنها بسبب اختلافهم في تفسير ألفاظ وعبارات وردت في آيات القرآن الكريم(بدوي ، 1940 ، 201) ولمعرفة موقف السلطة من الفرق نجد ان السلطة ضرورة لبقاء الإسلام وديمومته وفي هذا يقول ابن تيمية : " **يجب ان يعرف ان ولاية الناس من اعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين الا بها فان بني ادم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم احدهم) والمقصود بالسلطة : هنا القيادة المسؤولة عن تطبيق القانون والعمل به قد كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نواة هذه القيادة. والمسؤول الاول فيها ومن بعده كانت القيادة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**" (ابن تيمية ، 1983 : 77). لقد كانت مواقف السلطة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده منسجمة مع الأسس والمبادئ الإسلامية الحقيقية الصحيحة (السامرائي ، 1988 ،40-41) ، لذلك كان موقف الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب(عليه السلام) انه قد حارب الخوارج لأجل الحفاظ على مبادئ الإسلام وأسسه الحقيقية ووحدة المسلمين وقتل رئيسهم عبد الله الراسبي في الموقعة المعروفة بالنهروان وهذه المعركة التي فشلوا فيها كانت سبب من أسباب نقمتهم وإمعانهم في كره الإمام علي (عليه السلام) لدرجه انهم دبروا له فيما بعد مكيدة القتل بواسطة عبد الرحمن بن ملجم (تامر ، 1990، 11) ،لأن الإمام علي (عليه السلام) بعث اليهم ابن عباس فجادلهم ثم ارسل اليهم جيشاً بعدما أبوّا الرجوع فقاتلهم يوم النهروان فقتل عامتهم (الطبري ، 1967 ، 136/5) فكانت فرقة الخوارج اول فرقة تنفصل فكريا وسياسيا عن جماعة المسلمين وهم الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر فمن تفرعات

فرقة الخوارج (الاباضية) وهم اصحاب عبد الله بن اباض التميمي وكانت البصرة مركزا للدعوة الاباضية وقد كانت الاباضية أكثر الخوارج اعتدالا واقربهم الى الجماعة تفكيراً ورأياً وهي تختلف عن الخوارج الاخرين كالازارقة واجتهاداتها منها الكثير ، الكثير من المنطق . وبعد سقوط الدولة الاموية(132هـ) – (750م) وقيام الدولة العباسية اتخذ الاباضيون موقفا معارضًا للعباسيين وقد سافر أربعة زعماء منهم من اباضية المغرب الى البصرة لقيام ثورة ضد العباسيين فظلوا خمسة أعوام دون ان يتمكنوا منهم ، فعادوا الى المغرب وقد انتهى دور هذه الفرقة بعد ذلك على أيدي الفاطميين سنة(297هـ) . (تامر ، 1990 ، 18–19) .

ومن الفرق الإسلامية الرئيسة (الشيعة) الذين كانوا يرون ان عليا وأهل بيته أحق بالخلافة بالنص والتعيين الالهي او بالنص والوصية وبذلك ذهبت شيعة الإمام علي (عليه السلام) الى القول : بأن الإمام علي عليه السلام هو ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج ابنته فاطمة الزهراء البتول وهو أول من آمن برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاهد في سبيلها لهذا فهو أحق الناس بخلافته ولما لم يفلحوا في طلبهم سكتوا على مضض لكن هذه البذرة ظلت راقدة في نفوسهم حتى وقت مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (35هـ) وعندما قام اجماع من المسلمين بمبايعة علي بن ابي طالب للخلافة وقف الامويون يطالبون علياً بدم عثمان فاجتمعت شيعته ووقفوا للدفاع وخوض المعارك في سبيل الخلافة وتأمينها للإمام علي (عليه السلام) (الموحد ، 2002 ،61–62) ، (تامر، 1990 ، 108) .

وقد عرف عن الشيعة عمومًا بانهم يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة مضافا اليها ركن(الايمان) المستمد من المذهب الخامس (المذهب الجعفري) اما الإمامة فقد اعتبروها ركيزة عقيدتهم ، وركن دينهم ودنياهم وقد استعاضوا فيها عن الخلافة وقد انقسمت بعد خمسة أئمة الى فرقتين كبيرتين هما : الاسماعيلية والموسوية الاثني عشرية وكلتاهما إمامية ومن الفرقتين تفرعت فرق عديدة منها : (الجعفرية الاثني عشرية ، الزيدية والإسماعيلية) .

الجعفرية الاثنى عشرية : فرقة شيعية قامت بإمامة موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ظل اتباعه بعده يسيرون وراء امامة احفاده حتى الثاني عشر المسمى (محمد بن الحسن) وهو الإمام الذي غاب في سامراء سنة (266هـ) وكان عمره أحد عشر عاماً . ولا يزال اتباعه ينتظرون عودته ، ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . هذه الفرقة تعد أكثر اعتدالاً من الفرق الشيعية الأخرى فهي ترى ان الإمام يجب ان يكون من أهل البيت ، وله الافضلية العلمية والعملية والاجتهادية ، والإمام فوق الناس وحارس الشريعة والمنفذ لما جاء به القرآن . تفرقت الاثني عشرية الجعفرية الى فرق عديدة منها ما قد بادوا وانقطع أثرها ومنها ما لا يزال موجوداً ، اشتهرت هذه الفرقة بالعلم والحديث والفقه والتفسير (تامر، 1990، 109) .

الزيدية : هم اتباع زيد بن علي بن الحسين ، الذين يرون ان الإمامة ليست بالنص الجلي بل تكون في كل فاطمي يخرج مطالباً بالحق ، يشترطون العلم والشجاعة والدعوة العلنية والخروج على الظالم ، وهم يوافقون المعتزلة في القول بالعدل والتوحيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد وهم لا يطعنون بالشيخين ابي بكر

وعمر يختلفون عن (الاثني عشرية) في عدم القول بالعصمة الكاملة للائمة (الشهرستاني ، 1975، 146/1).

أما موقف السلطة من الزيدية فهو :

1 موقف الامويين:

كان عدائيا فخروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك سنة(122هـ) اعتبرتها الدولة الاموية تهديداً مباشراً اذ تمت ملاحقته وقتل في الكوفة ، وبعدها صُلب جسده وبقي مصلوباً فترة طويلة ثم احرق ورمي رماده في نهر الفرات . وكان موقف الدولة موقفاً عدائياً ضد اية حركة زيدية وكان الامويون يعدّون كل خروج زيدي ثورة يجب قمعها . ولهذا تعرض الزيديون للاضطهاد الدائم في العصر الاموي .

2 موقف العباسيين :

كانت سياسة العباسيين أخف من سياسة الامويين ومع ان العباسيين ثاروا بشعار (الرضا من آل محمد) إلاّ إن موقفهم من الزيدية أصبح عدائياً بسبب استقرار السلطة . ولعل أبرز المواجهات في زمن العباسيين ثورة محمد النفس الزكية(145هـ) لم يكن زيديًا ولكن يمثل التيار العلوي المعارض ، وكان الزيديون من أنصاره وثورة ابراهيم بن عبد الله في البصرة عام(145هـ) نتيجة لذلك قتل بعض أئمة الزيدية أو دخلوا السجن وتشديد المراقبة على تحركاتهم السياسية (الشهرستاني ، 1975 ، 147/1 –154) .

نستنتج من ذلك بانه كان موقف الامويين عداءً مطلقاً (قتل وصلب زيد وقمع الثورات) أما موقف العباسيين فعداء سياسي مع قمع للثورات ولكن أقل شدة من الامويين .

<u>الإسماعيلية</u> :

افترقت الاسماعيلية عن المجموعة الشيعية الاثني عشرية افتراقاً عميقاً شمل الإمامية وفروعها ، وقد بدأ هذا الخلاف بعهد الإمام الخامس (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب) الذي تعتبره الاسماعيلية الإمام الخامس ، بينما هو عند الاثني عشرية السادس لأنها تضيف الى الائمة الذين قبله الحسن بن علي بن ابي طالب الذي لا تعده الاسماعيلية في عداد ائمتها (تامر، 1990، 116) .

بدأت هذه الفرقة بالظهور كفرقة دينية في العهد العباسي المبكر وبدأت الحركة الاسماعيلية تتبلور سراً لاسيّما بعد وفاة الإمام جعفر الصادق في(148هـ) ونتيجة لذلك وبسبب مطاردة العباسيين لأنصار آل البيت الذين سيشكلون لاحقاً قاعدة الحركة الاسماعيلية ويذكر الطبري: " **فكانت سياسة المنصور والمهدي والرشيد في تتبع دعاة آل البيت**" ، فهذه الفئة تشمل أوائل الدعاة الذين تعتبرهم المصادر المتأخرة اسماعيليين . فكان القمع العباسي للثورات العلوية قائماً . فثورة النفس الزكية (145هـ) وثورة ابراهيم بن عبد الله ليستا اسماعيلية لكنها تمثل الجو الذي نشأت فيه الدعوة السرية الاسماعيلية فكان موقف العباسيين انهم يقمعون الثورات التي ساهمت لاحقاً في تشكيل قواعد الإسماعيلية (الطبري ، 1967، 9/ 220–230).

ومن الفرق الإسلامية الأخرى المرجئة :

المرجئة : من الفرق الإسلامية الكلامية وهم الذين أرجؤوا الحكم على مرتكب الكبيرة ، اي اخروا أمرهُ الى الله يوم القيامة ، وهم يرون ان الايمان هو تصديق بالقلب فقط وان العمل ليس من حقيقة الايمان . لذلك لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة (الشهرستاني ، 1975 ، 1/25-27) من أهم أقوالهم : الايمان واحد لا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص والمسلم العاصي مؤمن كامل الايمان .

1 **موقف السلطة الاموية من هذه الفرقة** : انها كانت ميالة للمرجئة لأن مذهب الارجاء يسقط الأحكام السياسية على الحكام ويجعل الحكم عليهم مؤجلاً الى الله . وهذا يخدم السلطة لأن خصومها (الشيعة- الخوارج) كانوا يكفرون الحاكم بالمعصية أو الجور.

2 **موقف السلطة العباسية** : ان هذه السلطة كانت مستفيدة أيضًا من الارجاء ، لقد ساعدها خطاب الارجاء في تهدئة ثورات المعارضة ، الاّ ان الاعتزال أخذ مكانه لاحقاً في بلاط الدولة العباسية في (عهد المأمون) لذلك لم تعاقب السلطة (المرجئة) فالإرجاء لا يهدد شرعية الحاكم بل كان خطاباً مطمئناً مفاده ترك الحكم لله ، وهذا الذي اعجب البلاطين الاموي العباسي (الشهرستاني ، 1975 ،1/139-145) .

ومن الفرق الإسلامية الأخرى أيضا :

المعتزلة :

لا يزال (الاعتزال) الموضوع الأكثر استئثارًا باهتمام الباحثين والمهتمين بعد ان اشتمل على عناصر في حاجة الى المزيد من الايضاح والبيان. وقد قيل ان (المعتزلة) أُطلقت على جماعة الاعتزال في صدر الإسلام ، اي مدرسة (الحسن البصري) وقيل ان التسمية وقعت على الفئة التي لم تشترك في معركة (الجمل) وقيل بل لم تشترك في حرب صفين . ويقول المؤرخ المسعودي: " **وسُمّوا المعتزلة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري اذ قال الحسن : قد اعتزلنا الواصل فغلب عليهم هذا الاسم، وان كانوا يسمونَ أصحاب العدلِ والتوحيد** "(المسعودي، 1965، 3/216).

موقف السلطة من المعتزلة :

1. **الدولة العباسية في زمن (المأمون والمعتصم والواثق)** فكان موقف هؤلاء الخلفاء مؤيدًا للمعتزلة في كثير من الأمور، لذلك فرض المأمون قولهم (بخلق القرآن) وعين قضاة وولاة من اتباعهم وابتدأ ما عرف بالمحنة ، يقول الطبري : عند حديثه عن المأمون كما في النص الآتي : " **وكتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم يأمره بامتحان القضاة والعلماء في القول بخلق القرآن ولا يستعمل إلاّ من قال به**" (الطبري ، 1967، 8/633).

2. **الدولة العباسية في زمن المتوكل:**

انقلب الموقف في زمن المتوكل تمامًا اذا ألغى المتوكل المحنة ، ومنع القول بخلق القرآن وأبعد المعتزلة عن المناصب وشجع الاتجاه السني التقليدي ، ومن هنا يذكر الطبري: " **كتب المتوكل برد الناس الى ما كان عليه السلف من ترك القول بخلق القرآن وأمر بالكف على الامتحان ، وعزل من تدين بمذهب المعتزلة** " (الطبري ، 1967 ، 9/184) . أما المسعودي(ت 346هـ) فانه يقول : " **في أثناء ذكره أحداث خلافة المأمون والذي دعا الى القول بخلق القرآن وامتحان القضاة والمحدثين وكذلك اعتماد الخليفة (المأمون)**

على اهل الاعتزال في الدولة" (المسعودي ، 1965 ، 4/ 85-88) . نفهم من ذلك ان المأمون كان يدعم المعتزلة واستمر المسعودي يذكر ان المعتصم والواثق كانا محافظين على نهج المأمون في تأييد المعتزلة . لا سيّما أن المأمون هو الذي قرّب رجال الاعتزال مثل احمد بن ابي دؤاد . واصبح مذهب الاعتزال في زمنه مذهب الدولة الرسمي (المسعودي ، 1965 ، 4/105-110) وذلك بقول خلق القرآن وهذا رأي السلطة الرسمي . وكذلك ان القضاة والولاة كانوا يختارون من أهل الاعتزال فضلًا عن استمرار الامتحان وان كان أخف من عهد المأمون أما حينما جاء الخليفة العباسي (المتوكل) انقلبت الموازين وابطل القول بخلق القرآن وانهى الخليفة بذلك (المحنة) (المسعودي، 1965، 4/137-140) . نستنتج من ذلك ان موقف سلطة العباسيين من المعتزلة عند المسعودي هو ان (المأمون والمعتصم والواثق) مؤيدون المعتزلة اما (المتوكل) فانه ألغى (المحنة) وأقصى المعتزلة وتبنى منهج أهل الحديث .

المبحث الثالث : أثر الفرق والطوائف الإسلامية في الوحدة الإسلامية

فكرة الوحدة الإسلامية فكرة الإسلام نفسها فالإسلام الذي جاء به الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو الى الوحدة وعدم التنافر وعدم النزاع والتفرقة بدليل قوله تعالى : **[إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ]** (سورة الانبياء الآية 92) وكذلك في قوله تعالى : **[وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ]** (المؤمنون : الآية 52) ومن الأعمال التي قام بها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)المؤاخاة بين الاوس والخزرج (وهما قبيلتان رئيسيتان في المدينة سكنتا يثرب بعد خراب سد مأرب باليمن فهما يمانيتان لكن وقع بينهما خصام وحروب اذكاه اليهود ثم جاء الإسلام وتحاجز الفريقان فقد جمع الإسلام بينهما واندثرت فترة المحن والعداوات) .(https://www.aluka.net).

فالأنصار في التاريخ الإسلامي هم أهل يثرب(المدينة المنورة) الذين ناصروا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإسلام وهم ينتمون الى قبائل (الاوس والخزرج) قبل الإسلام) كانت بين الاوس والخزرج حروب طوال قاسية كان آخرها يوم بعاث قبل الهجرة النبوية (https://arwikipedia.org).

وبعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واجتماع السقيفة ظهرت بوادر الانقسام والفرقة بين المسلمين في أحقية الخلافة وظهر على اثرها ثلاث جماعات وهي : جماعة مالت الى ابي بكر(رضي الله عنه) وأخرى الى سعد بن عبادة والثالثة للإمام علي عليه السلام ثم انتهت هذه الجماعات الى مجموعتين :

1 - جماعة بايعت ابا بكر (رضي الله عنه) بالخلافة وكان أكثرهم من الصحابة يتقدمهم عمر بن الخطاب الذي كان له الدور الأساس في اقناع الناس بمبايعة ابي بكر رغبة او رهبة ثم تبلورت هذه الفكرة فيما بعد ونتج عنها بما عرف عنهم (بأهل السنة) وهي سنة الخلفاء.

2 - جماعة رفضت بيعة ابي بكر وأصرت على ان علي بن ابي طالب(عليه السلام) هو الصاحب الشرعي للخلافة وصاحب الحق الوحيد بالخلافة لوجود نص له من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ضمت هذه الفرقة (الاسرة النبوية وبني هاشم وبعض المهاجرين والأنصار ويقف على رأسهم الإمام نفسه) وتمخضت فيما بعد بما عرف عنهم (بالشيعة) وهم شيعة الإمام علي عليه السلام وعلى أثر ذلك ظهرت فرق إسلامية

وجماعات وطوائف متعددة ويمكن ان تكون تلك الفرق والجماعات مصدر قوة اذا أُديرت بوعي علمي خاص تعتمد على الحوار واحترام التعدد والاعتدال وأما إذا أُدير بشكل غير علمي(فوضى او استغلال سياسي) فيؤدي ذلك حتما الى ان يكون مصدر ضعف . وقد جاء في (الطبري ، 1967 ، 233–380) حيث أورد : ان بعض القبائل العربية ارتدت عن الإسلام ومنعت عن دفع الزكاة فكان موقف خليفة المسلمين ابي بكر الصديق رضي الله عنه محاربة هذه القبائل المرتدة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حفاظاً على الإسلام ومبادئه . أمر أبو بكر بقتال المرتدين من فرّق منهم عن الإسلام ، حيث قسم الجيوش وعين قادة الالوية مثل : خالد بن الوليد رضي الله عنه وعكرمة بن ابي جهل وشرحبيل بن حسنة وغيرهم وفي أثناء المواجهة نجد سردًا تاريخيا لمعركة اليمامة بقيادة خالد بن الوليد وفضلًا عن ذلك مقتل مسيلمة الكذاب وثبات الأنصار والمهاجرين واستشهاد الالاف من القراء لإعلاء شأن الإسلام والمسلمين وتوحيدهم (امة واحدة) تحت راية الإسلام وكان خليفة المسلمين ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقاتل مانع الزكاة ، لأنها حق مال لا يجوز الامتناع عنه ومنه قول مشهور: " **والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه** " ومن نتائج حروب الردة توحيد الجزيرة العربية تحت سلطة الدولة كما كانت هذه الحروب بداية للتوجه لفتوحات العراق والشام ومن نتائجها أيضا قتال مسيلمة والاسود العنسي وطليحة بن خويلد وقتال بني تميم وبنو يربوع (مالك بن نويرة) (الطبري ، 1967 ، 345/2–355) وبذلك تم الانتصار على (أهل الردة) الذين اثاروا القلاقل والفوضى والتفرقة بين المسلمين . كذلك الحروب التي تلت في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب عليه السلام لذلك يمكن القول : بان ما حرب الجمل (36هـ) وحرب صفين (37هـ) ومعركة النهروان (38 هـ) التي قادها الخليفة الامين الشجاع علي بن ابي طالب(عليه السلام) لأجل تحقيق الوحدة الإسلامية على مسار التاريخ الإسلامي . وقال عليه السلام في نهج البلاغة : " **وليس رجل – فاعلم – احرصَ على جماعة امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والفتها مني ، ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المأب ، وسأفي بالذي وأيت على نفسي**" (أمير المؤمنين ، 1967، 332/3–335) . وبذلك وضع الإمام علي عليه السلام الأسس الاولى للتقريب والوحدة بين المسلمين . واذا رجعنا الى الجولة بين الفرق الإسلامية نجد ان أكثر الفرق المتطرفة قد اندثرت ولم يبق منها أثر الا في ثنايا التاريخ وان كان قد بقي منها بعض الافكار في عقول الناس البسطاء . فقد ولت الأزارقة والنجدات والبيهسية والصفرية والصالحية وغيرهم من الخوارج ولم يبقى منهم الا الاباضية الذين حافظوا على تعاليم الإسلام الحق بل انهم يكرهون من ينسبهم الى الخوارج .

https://shamela.ws

ومن المذاهب البائدة أيضًا من فرق الشيعة كثيرة مثل : السبئية والكيسانية والمغيرية ولم يبق منهم الا الإمامية والزيدية والاسماعيلية والعلوية والدروز . وأما المعتزلة فقد اندثرت فرقتهم كمذهب قائم بذاته.

وهكذا فاذا خلصت النيات وصفت القلوب وحكم العقل يمكن الجمع بين أكثر هذه المذاهب ان لم نقل بين جميعها (المصدر نفسه) فنحن الآن احوج الى التآلف والتآزر من أي وقت مضى لأننا لو رجعنا الى

الوراء قليلا نجد ان الإمام (ابا حنيفة النعمان السني) كان تلميذاً للإمام (زين العابدين بن علي) امام الزيدية من الشيعة كما كان أيضا تلميذاً للإمام جعفر الصادق(عليه السلام) وقد مرت المناقشة بين الإمامين على القياس عند ترجمة الإمام جعفر . والإمام زيد الشيعي كانت تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي مؤسس مذهب الاعتزال وكان ملازما له . كما كان الإمام مالك تلميذا للإمام جعفر الصادق أيضا وقد كان واصل من عطاء وعمرو بن عبيد تلميذان عند الحسن البصري وقد سئل الحسن البصري عن عمرو بن عبيد فقال لسائله : " **لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكأن الأنبياء ربته ان قام بأمر قعد به وان قعد بأمر قام به وان أمر بشيء كان ألزم الناس له وإن نهى عن شيء كان اترك الناس له وما رأيت ظاهرا أشبه بباطن منه ولا باطناً أشبه بظاهر منه**" . https://shamela.we

أما في العصر الحديث فنجد ان الوحدة الإسلامية من أهم القضايا التي تواجه الامة من حيث تشابك التحديات السياسية والاجتماعية مع التنوع المذهبي مما جعل تحقيق الوحدة أمراً معقدًا الى حد ما لكنه ضروري . هذا التنوع يمكن أن يكون مصدر ثقة اذا تمّ التعامل معه برؤية حضارية تعتمد على المشتركات الأساسية بين المسلمين ، وكذلك احترام الخصوصيات العقائدية لكل مذهب لأن الوحدة الإسلامية لا تعني إلغاء المذاهب او فرض مذهب معين على الجميع ، وانما تعني بناء أرضية مشتركة قائمة على الثوابت التي يجتمع عليها المسلمون جميعًا مثل : الايمان بالله ورسوله والقرآن الكريم مع التعددية المذهبية بوصفها جزء من تاريخ الامة الإسلامية وتراثه الفكري . لذلك ان هذه الوحدة ليست مجرد شعار بل مشروع حضاري يسعى الى تحقيق وحدة الصفوف لمواجهة التحديات التي تهدد كيان الامة الإسلامية . فالوحدة الإسلامية ضرورة ملحة للحفاظ على استقرار المجتمعات الإسلامية ، وتعزيز مكانتها بين الامم ، والتصدي للمخططات التي تهدف الى تفكيكها واضعافها . فالأمة الإسلامية تمتلك مقومات القوة الاقتصادية والسياسية إلاّ ان غياب التنسيق الفعال والتكاتف الحقيقي حال دون استثمار هذه الامكانات في مواجهة التحديات الكبرى . فالحوار العلمي مثلا لا يعني التخلي عن القناعات مع المذاهب الأخرى وانما يهدف الحوار العلمي الى تحقيق فهم أعمق للإسلام .

ان البحث العلمي هو السبيل الأمثل لفهم الخلافات المذهبية وإدارتها بطريقة بناءة . ان تجاوز الطائفية يتطلب من المسلمين التركيز على القواسم المشتركة التي تجمعهم . مثل : الايمان بالله ورسوله والقرآن الكريم والقيم الإسلامية التي تحث على الرحمة والعدل والتسامح . ان التحديات التي تواجه الوحدة الإسلامية هي غياب الثقافة الحوارية ، والتدخلات الخارجية فضلاً عن الطائفية والتحريض الإعلامي ، وعلى الرغم من ذلك فهناك الكثير من الفرص لتحقيق الوحدة الإسلامية وذلك من خلال تعزيز المشتركات الدينية والتركيز على القيم الإسلامية العظمى ومن هنا فان المسؤولية تقع على العلماء والمثقفين والقادة في تقريب وجهات النظر وبناء جسور التفاهم لتحقيق هذه الوحدة على أرض الواقع . https://www.shamela.ws

لأن الإسلام ديانة التوحيد فمعبود المسلمين هو واحد وجوهر الإسلام واحد والملة واحدة والامة واحدة والكتاب واحد قال تعالى [**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**] (آل عمران : الآية 103) ، وقوله تعالى : [

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (آل عمران : الآية 104) .

الخاتمة

وفيها النتائج والتوصيات

النتائج

توصلنا من خلال البحث الى جملة من النتائج من أهمها :

1- تتفق الروايات التي أدرجها المصادر التاريخية على الاجتماع في السقيفة وخلاف المهاجرين والأنصار حول الخلافة مع اختلاف في التفاصيل بحسب المنهج الذي اتبعوه والمصدر الذي اعتمدوه . ومن هنا بدأت الفرق الإسلامية تتضح معالمها واتجاهاتها .

2- لم يحضر الى الاجتماع (لسقيفة بني ساعدة) كل من (علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس وحارثة بن زيد رضي الله عنهما) بسبب انشغالهم بدفن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . ويبدو مع شديد الأسف أن الفريق الآخر انشغل بمن يتولى السلطة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

3- كان الطبري والبلاذري وابن سعد يرون ان القيادة القرشية أمر مشروع دينيًا مستندين الى حديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الائمة من قريش. أما اليعقوبي فيعرض الحدث مُظهرا موقف الأنصار كمطالبين بحقهم السياسي ، أما الدينوري فانه يجعل من السقيفة مشهدًا سياسيًا حادًا يعكس صراعاً بين المبدأ القبلي والشرعية الدينية .

4- بينت الروايات التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية مبدأ ان الخلافة بالاختيار والبيعة (أهل السنة والجماعة فيما بعد) و ذكرت أخرى(الشيعة) بأن الخلافة بالنص .

5- كان البلادري والطبري يلمحان الى ان بيعة السقيفة كانت اضطرارية وسريعة خشية وقوع الفتنة بين المسلمين مما يعكس ادراكاً مبكراً لخطورة الفراغ السياسي .

6- موقف الأنصار في اجتماع السقيفة كان قائمًا على فكرة المساواة السياسية (منا أمير ومنكم أمير) . لكن المهاجرين استخدموا حجة النسب النبوي والحديث النبوي لأقناع الأنصار بالتنازل.

7- ابرز من خالف المهاجرين هو سعد بن عبادة الذي اتخذ موقفا بالرفض وكان يرى بأحقيته وبأحقية الإمام علي للخلافة من الآخرين ، ولم يبايع ابا بكر حتى مات بحوران في الشام .

8- حوار عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) وحباب بن المنذر الأنصاري اظهر اختلاف وجهات النظر السياسية بوضوح لكنه انتهي الى تغليب وحدة الجماعة ولو بوجود معارضين له.

9- كانت الشورى بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة تحتد أحيانًا وتخفت أحيانًا أخرى .

10- كان اجتماع الأنصار في السقيفة بدافع الحرص على استمرار القيادة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تمرداً على المهاجرين .

11-كان موقف السلطة من الفرق الإسلامية بحسب نوع السلطة الحاكمة ومدى موالاة الفرقة لها فالدولة الاموية كانت تحارب الفرق التي كان ضدها أما الدولة العباسية كانت أخف شدة من الامويين .

12- إنّ تحقيق الوحدة الإسلامية ليس حلماً بل يمكن تحقيقها بالاعتماد على الأسس الإسلامية الصحيحة والايجابية التي هي مصدر قوة لديمومتها عبر الاجيال .

التوصيات

1. الاطلاع على المصادر التاريخية وقراءتها بدقة لمعرفة السبل السليمة لأجل تحقيق الوحدة الإسلامية .
2. الحث على ترسيخ العدالة والمساواة لتأسيس وحدة إسلامية حقيقية .
3. تعزيز الحوار الصادق والحكمة والموعظة الحسنة لتقليل سوء الفهم وتقريب وجهات النظر .
4. التركيز على القواسم المشتركة بين المسلمين بدل التركيز على الاختلافات .
5. اعتماد أسلوب التعبير عن الرأي بوضوح وموضوعية بلغة مهذبة لتجنب الكلمات الجارحة .

قائمة المصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب العربية والمعربة

1. ابن الاثير عز الدين ابن الاثير (ت 630هـ) ، (1965) ، الكامل في التاريخ دار صادر ، بيروت – لبنان .
2. ابن تيمية ابو العباس تقي الدين (ت728هـ) ، (1983) ، السياسة الشرعية (ط1) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
3. ابن سعد محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ) ، (1975) ، الطبقات الكبرى دار صادر ، بيروت .
4. ابن هشام عبد الملك بن هشام (ت218هـ) ،(1955)، السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت .
5. أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ت 40هـ) ، (1967) ، نهج البلاغة جمع الشريف الراضي (ت 406هـ)، تحقيق محمد عبدة، (ط5) ، بيروت – لبنان .
6. البخاري ابي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ) ، (2013) ،(ط1) ، دار الغد الجديد ، القاهرة .
7. بدوي عبد الرحمن (1940)، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .
8. البلاذري احمد بن يحيى (279 هـ) ، (1996) انساب الاشراف ، دار الفكر ، بيروت .
9. البيهقي ابو بكر احمد بن الحسين (ت 458 هـ) ، (1925) ، السنن الكبرى ، بيروت – لبنان .
10. تامر عارف (1990) ، معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة ، بيروت .
11. الحديثي نزار عبد اللطيف (1987) ، الامة والدولة في سياسة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، (ط1) ، بغداد .
12. علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
13. الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276هـ) (1967)، الإمامة والسياسة ، دار الاندلس، بيروت – لبنان .
14. السامرائي عبد الله سلوم (1988) ، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ،(ط3) ، دار واسط للنشر ، بغداد .
15. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ) ، (1975)، الملل والنحل ، دار المعرفة، بيروت .
16. الطبري محمد بن جرير (ت 310 هـ) ، (1967) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، بيروت – لبنان .
17. الكليني ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت 329هـ) ، (1957) ، اصول الكافي تحقيق : عبد الحسين المظفر ، النجف الاشرف ، العراق .

18. المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) ، (1965) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الاندلس ، بيروت – لبنان .
19. الموحد السيد محمد ابراهيم (2002) ، الإمام علي في الاحاديث النبوية ، (ط3) ، دار الأنصار ، ايران
20. النسائي احمد بن شعيب (ت 303 هـ) ، (2001) ، السنن الكبرى ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، (ط1) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
21. اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب (284 هـ) ، (1990) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت – لبنان.

ثالثًا: المواقع الالكترونية

22. https://www.islamweb.net
23. https://www.aluka.net
24. https://ar.wikipedia.org
25. https://shamela.ws
26. https://Islamwhy.com

المجتمع الاسلامي في القرن الرابع الهجري في ضوء كتاب مسالك الممالك للاصطخري "ت 346هـ"

إعداد

ا.د. شيماء سالم عبد الصاحب
كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية
shaimaasalim10@gmail.com

المستخلص

شهدت الحضارة الإسلامية في القرون الهجرية الأولى نهضة علمية شاملة، تجلت في مختلف ميادين المعرفة، ومنها علم الجغرافيا الذي لم يكن مقتصرًا على وصف الأمكنة والطرقات، بل تجاوزه إلى رصد أحوال المجتمعات وعاداتها وظروفها الاقتصادية والثقافية. ومن بين أعلام هذا الميدان يبرز اسم أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت 346هـ)، الذي خلّد اسمه بكتابه الشهير المسالك والممالك، وهو من أبرز ما وصلنا من مؤلفات المدرسة البلخية في الجغرافيا.

لقد أولى الباحثون والمؤرخون اهتمامًا بكتاب الإصطخري من الناحية الجغرافية والخرائطية، غير أنّ الجوانب الاجتماعية التي تضمنها هذا الكتاب لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة المستقلة، على الرغم من أهميتها في الكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري. فقد تطرق الإصطخري في وصفه للأقاليم والبلدان إلى جملة من التفاصيل التي تعكس صورة المجتمع، مثل أنماط المعيشة، والعادات والتقاليد، والملابس والأطعمة، فضلاً عن إشاراته إلى الأسواق والحرف والتنوع الديني والمذهبي، وكذلك الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين الأقاليم.

من هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى إعادة قراءة كتاب المسالك والممالك قراءة اجتماعية، تستخلص مادته المتعلقة بالحياة اليومية للناس، وتكشف عن صورة المجتمع الإسلامي كما عكسها الإصطخري.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تساهم في توسيع دائرة الاستفادة من المصادر الجغرافية، وعدم حصرها في المجال المكاني والخرائطي، إذ تُظهر دورها في حفظ المعلومات الاجتماعية والتاريخية، وتمنحنا فرصة لفهم أعمق لطبيعة المجتمع الإسلامي في مرحلة مهمة من تاريخه. كما أنها تلقي الضوء على العلاقة الوثيقة بين

الجغرافيا والاجتماع، وتبرز مكانة الإصطخري كواحد من الجغرافيين الذين لم يغفلوا الجانب الإنساني في مؤلفاتهم.

Abstract

The Islamic civilization during the early centuries of the Hijriera witnessed a comprehensive scientific renaissance that manifested across various fields of knowledge. Among these disciplines was geography, which was not limited to describing locations and routes but extended to recording the conditions, customs, and socio-economic and cultural circumstances of societies.
One of the distinguished figures in this field was Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad al-Farsi al-Istakhri (d. 346 A.H.), whose name was immortalized through his renowned work Al-Masalik wa al-Mamalik (The Routes and Realms) one of the most significant surviving works representing the Balkhi school of geography.
Researchers and historians have given much attention to Al-Istakhri's book for its geographical and cartographical value. However, the social dimensions contained in this work have not received sufficient independent study, despite their great importance in revealing the nature of social life in the Islamic world during the fourth century A.H.
In his descriptions of regions and cities, Al-Istakhri included numerous details that reflect aspects of society such as modes of living, customs and traditions, clothing and food, in addition to his references to markets, crafts, religious and sectarian diversity, and economic as well as social disparities among regions.
From this perspective emerges the significance of the present study, which aims to re-examine Al-Masalik wa al-Mamalik through a social lens, extracting the material related to people's daily lives and uncovering the image of Islamic society as reflected by Al-Istakhri.

The importance of this research lies in its contribution to broadening the utilization of geographical sources beyond the spatial and cartographical domains. It highlights their role in preserving social and historical information and offers a deeper understanding of the nature of Islamic society during a pivotal historical stage. Furthermore, it sheds light on the close relationship between geography and sociology and underscores Al-Istakhri's position as one of the geographers who did not overlook the human aspect in their works.

المقدمة

شهدت الحضارة الإسلامية في القرون الهجرية الأولى نهضة علمية شاملة، تجلت في مختلف ميادين المعرفة، ومنها علم الجغرافيا الذي لم يكن مقتصرًا على وصف الأمكنة والطرقات، بل تجاوزه إلى رصد أحوال المجتمعات وعاداتها وظروفها الاقتصادية والثقافية , ومن بين أعلام هذا الميدان يبرز اسم أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت 346هـ)، الذي يعد من أعلام المدرسة الجغرافية العربية في مجال الدراسات الإقليمية ورسم الخرائط التي ظهرت وازدهرت في القرن الرابع الهجري، وتتمثل هذه المدرسة في نتاج مجموعة من الجغرافيين بدأت برائدهم أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (322هـ) الذي الف كتابا اسماه (صور الاقاليم) وقد نحا الإصطخري نحو معاصره واستاذه البلخي في كتابة (مسالك الممالك) (احمد ، بلا, 79) وقد اعتمد

هؤلاء في مؤلفاتهم على إكساب لفظ الإقليم دلالة مغايرة لما كانت عليه الجغرافية عند الإغريق من حيث ما يسمى بالأقاليم السبعة، وجاء هذا الاتجاه الجديد ليقصد بالإقليم كيانا مساحيّا يسهل تحديد حدوده الطبيعية، كما أنه وحدة إدارية سياسية خاضعة لنظام مركزي سياسي موحد، وكثيرا ما كانت هذه الكيانات الإقليمية ذات أصول عرقية ولغوية موحدة فضلا عن الجوانب الاجتماعية, (الاصطخري,2004م , مقدمة المحقق) اذ قدّم الإصطخري صورة لجميع الأرض في مستهل كتابه، الا انه قد أفرد بعد ذلك لكل إقليم من بلاد الإسلام صورة على حدة، وقد بلغت عشرين إقليما , ابتدأها بديار العرب .

لقد أولى الباحثون والمؤرخون اهتمامًا بكتاب الإصطخري من الناحية الجغرافية والخرائطية، غير أنّ الجوانب الاجتماعية التي تضمنها هذا الكتاب لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة المستقلة، على الرغم من أهميتها في الكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري, فقد تطرق الإصطخري في وصفه للأقاليم والبلدان إلى جملة من التفاصيل التي تعكس صورة المجتمع آنذاك .

من هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى إعادة قراءة (كتاب مسالك الممالك) قراءة اجتماعية، تستخلص مادته المتعلقة بالحياة اليومية للناس، وتكشف عن صورة المجتمع الإسلامي كما عكسها الإصطخري, وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تساهم في توسيع دائرة الاستفادة من المصادر الجغرافية، وعدم حصرها في المجال المكاني والخرائطي، إذ تُظهر دورها في حفظ المعلومات الاجتماعية والتاريخية، وتمنحنا فرصة لفهم أعمق لطبيعة المجتمع الإسلامي في مرحلة مهمة من تاريخه, كما أنها تلقي الضوء على العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا والاجتماع، وتبرز مكانة الإصطخري كواحد من الجغرافيين الذين لم يغفلوا الجانب الإنساني في مؤلفاتهم , بل انه ذكرها بتفاصيل دقيقه اذ كان شديد الملاحظة وذكر الكثير عن احوال البلدان التي زارها وطبيعتها وطبيعة سكانها واحوالهم المعيشية وطباعهم واعمالهم ولغاتهم وعمرانهم والبستهم وغيرها الكثير مما رآه بنفسه اوسمعه من روايات وقصص من سكان تلك البلدان .

وعليه فقد تم تقسيم البحث الى اربعة مباحث اذ تناول المبحث الاول : التعريف بالاصطخري بالرغم من انه لم يذكر عنه الا النزر اليسير , في حين تحدث المبحث الثاني : عن عناصر السكان وطبقات المجتمع التي تم تقسيمها الى : طوائف عرقية ودينية وسياسية ,اما المبحث الثالث: فقد تناول البناء والعمران , في حين تضمن المبحث الرابع والاخير جملة من جوانب اجتماعية اخرى ذكرها الإصطخري .

المبحث الاول : التعريف بالاصطخري

هو إبراهيم بن محمد الفارسيّ، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي : جغرافي، رحالة، من العلماء. من أهل اصطخر,[1] ولد نحو 329هـ قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ المحيط الاطلسي ، اذ كان شغوفا منذ صغره بالسفر والترحال ويقال انه بدأ رحلاته وعمره عشرون عاما , واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره،(الزركلي, 2002م, ج1,ص 61؛

اسلام , 1999م, ص 95) فألف كتابيه (صور الأقاليم) على اسم كتاب البلخي , إذ قال عنه القزويني :" وينسب إليها الإصطخري صاحب كتاب الأقاليم، فإنّه ذكر في كتابه النواحي المعمورة وذكر بلادها وقراها والمسافات بينها وخواصّ موضع ان كان له خاصّيّة، وما قصّر في جميع ذلك الكتاب." (القزويني, 1960م, ص 148) و (مسالك الممالك) الذي نحن بصدد ذكره في هذا البحث .

وتعد كتبه مصدرا لمن عاصره او جاء من بعده و ممن نقل عنه ابن حوقل , محمد بن حوقل البغدادي الموصلي أبو القاسم , صاحب صورة الارض (ت بعد 367هـ) بقوله:" ومملكة الصين على ما يزعم ابو اسحاق الفارسي وأبو إسحاق إبراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان أربعة أشهر في ثلاثة أشهر" (ابن حوقل , بلا, ص 14) , كما اخذ عنه المقدسي , أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت نحو 380 هـ) صاحب احسن التقاسيم , اذ ذكر عند حديثه عن اقليم السند " وقد أكثرت فيه من كلام إبراهيم بن محمّد الفارسي الّذي نسمّيه الكرخيّ واسندناه اليه"(المقدسي,1991م, ص 475) ,كما اخذ عنه ياقوت الحموي , صاحب معجم البلدان (ت 626هـ) واشار الى اسمه في مقدمته من ضمن مصادره (ياقوت الحموي, 1995م, ج1, ص11) , والقزويني صاحب اثار البلاد واخبار العباد (ت 682هـ) بقوله: " ومن عجائبه تفّاح بعضه حلو وبعضه حامض، قال الإصطخري: حدّث بذلك الأمير مرداس بن عمرو فأنكر الحاضرون، فأحضر حتى رأوه وزال إنكارهم " (القزويني , 1960م , ص 148) .

المبحث الثاني :عناصر السكان وطبقات المجتمع

ويمكن ان نقسمها الى طوائف عرقية ودينية وسياسية :

1- _طوائف عرقية :

أ- _ العرب :

قسم الإصطخري كتابة على اساس الاقاليم فجعلها عشرين اقليماً وابتدأ بديار العرب ويفسر ذلك بقوله : " وابتدأت بديار العرب فجعلتها إقليما، لأن فيها الكعبة ومكة أم القرى، وهى واسطة هذه الأقاليم " (الإصطخري , 2004م , ص 15) , ولأنه ايضاً كما يذكر :" وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم " (الإصطخري , 2004, ص 20) وعليه فقد ذكر جميع القبائل العربية الساكنة في هذه الديار بتفصيل رائع مع تحديد جغرافي دقيق جدا لمواضع استقرارهم حتى بدا وكأنه يرسم خارطة واضحه المعالم لتوزيع هذه القبائل , فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر: " من قرب السّماوة إلى حدّ بادية البصرة- فسكانها قبائل من بنى أسد، فإذا جزت الشقوق فأنت في ديار طيّىء،... عن يسار المدينة فأنت في سليم، وإذا جزته عن يمين المدينة فأنت في جهينة، وفيما بين مكة والمدينة بكر بن وائل في قبائل من مضر من الحسنيّين والجعفريين وقبائل من مضر، وأما نواحي مكة فإن الغالب على نواحيها مما يلى المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل، وفى غربيّها مدلج وغيرها من قبائل مضر " (الإصطخري, 2004, ص 25) ,ومن النص نستطيع ان

نلاحظ دقته في ذكر القبائل بأنه يذكر الاصول الاساسية الكبيرة وفروعها , بل احياناً يشير الى القبيلة الاكثر عدداً في منطقة ما ثم من يأتي بعدها من حيث العدد ففي حديثه عن بادية البصرة يقول : " وأما بادية البصرة فإنها أكثر هذه البوادي أحياء وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة، ثم من ورائهم عبد القيس " (الإصطخري , 2004, ص 25) .

كما انه واثناء حديثه عن مناطق (ديار العرب) وقبائلها يذكر الاحداث التاريخية والآيات القرآنية التي لها علاقة بالمكان او القبيلة المذكورة على سبيل المثال لا الحصر عندما يتحدث عن منطقة (الحِجر) في وادي القرى , وهي لبني سليم خاصه (البكري , ج3, ص 907) يذكر انها كانت ديارا لثمود , ويورد قوله تعالى : " وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ"(القران الكريم , سورة الفجر , ايه :9) ثم يذكر انه رأى تلك الجبال وبيوتهم المنحوتة فيها , كما قال الله تعالى " وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ " (القران الكريم , سورة الشعراء , اية: 149) ولا بأس ان نتطرق هنا الى وصفه لهذه البيوتات فيقول بأنها اشبه ببيوت عصره " ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في أضعاف جبال " (الإصطخري , 2004, ص 24) وان هذه الجبال تسمى الاثالب , ويستمر في وصفها بشكل متناهي في الدقة ومثير للاهتمام بقوله : " وهى جبال في العيان متصلة، حتى إذا توسّطتها رأيت كل قطعة منها قائمة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف، وحواليها رمل لا يكاد يرتقى إلى ذروة كل قطعة منها أحد إلا بمشقة شديدة " (الإصطخري , 2004, ص 24) اي انه يصف شكل الجبال للرائي من بعيد ومن قريب , فمن بعيد كأنها متصله , اما اذا اقترب الرائي يراها منفصلة حتى يمكن للشخص ان يدور حول كل جبل منها , الا انها تقع في رمال يحيط بها حتى يصبح من الصعب صعود هذه الجبال والوصول الى قممها الا بمشقة وصفها بأنها (شديدة) .

وهنا يمكن لنا ان نقف على ابرز منهج اتبعه الجغرافيين العرب المسلمين وهو ما يعرف اليوم (بالجغرافية التاريخية الوصفية) وهذا يدل على ذكاء وفطنة ودقة الكُتاب العرب ولاسيما نموذجنا هنا (الإصطخري) .

كما انه يذكر بئر ثمود ويورد الآية القرآنية التي ذكرت في الناقه بقوله : " لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ " (القران الكريم , سورة الشعراء , ايه : 155) .

ومثال اخر على ربط القبائل العربية بالأحداث التاريخية , فعندما يذكر بادية الجزيرة يشير الى ان اكثرها من ربيعة واليمن واكثرهم من كلب اليمن ومنهم قبيلة يعرفون (ببني العليص) خرج منها (صاحب الشام) [2] في عهد الخليفة المكتفي بالله العباسي (289 _ 295 هـ) الا انه قتل وانتهى امره (الإصطخري , 2004 , ص 25) , لكنه لم يذكر اسم هذا الشخص او السنة التي خرج فيها , وهذا ربما يعود الى منهج الاختصار وعدم الاطالة في ذكر الاحداث التي ذكرت عند غيره من الكتاب , وهو منهج الزم به نفسه في بداية مقدمته بقوله : " وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم، من غير أن استقصيت ذلك كراهة الإطالة، التي تؤدى إلى ملال من قرأه " (الإصطخري , 2004 , ص 15) .

ونلاحظ ان (الإصطخري) ايضا يربط القبائل الساكنة في منقطة ما بطبيعة التربة مثلا عند ذكره الحجاز يتعرض لذكر الرمال ويصفه بأنه رمل اصفر لين الملمس حتى ان بعضه يحاكي الغبار , وهنا نقف على الدقة الوصفية في وصف طبيعة الرمال حتى في شكلها ولونها وملمسها .

ولم يقتصر على ذكره للقبائل العربية بل احيانا يذكر ممن لهم انساباً او اصولاً شريفه تعود الى ال بيت النبي الكريم , وهؤلاء على ما يبدو يسكنون في مناطق خاصة بهم مثل ديار (الحسنيين) التي يحدد موقعها ما بين منطقة رضوى في المدينة المنورة وبين ديار جهينة وبلى وساحل البحر الاحمر , ويقول انهم يسكنون في بيوت شعر يحددها ب (700) بيت وانهم (مثل الاعراب) اي انهم ليسوا اعراباً ولكن بحكم سكنهم في بادية وامتهانهم الرعي فقد اصبحوا مثلهم في خلقهم واخلاقهم بحيث لا يمكن التمييز بينهم (الإصطخري , 2004 , ص 25) .

ويشير ايضا الى ديار (الجعفريين) ويقول انهم من اولاد جعفر بن ابي طالب ولهم في مناطق الفرع والسائرة من المدينة المنورة ضياع وعشيره واتباع , الا انهم في حرب مع الحسنيين الا انهم ضعفوا حين استولى (بنو حرب) على ضياعهم فصاروا حزباً لهم (الإصطخري , 2004 , ص 25) . وهنا يمكن ان نقف على مسألة الضعف والقوة والزعامات والسيطرة لدى القبائل العربية فيما بينها وهذا يرجع الى طبيعة البادية الجغرافية التي تفرض الاقتتال لغرض السيطرة على المياه والمراعي , وقد تضعف بعض القبائل او الجماعات فتدخل مع قبيلة اقوى او اكبر لغرض الحماية .

وعندما يتحدث عن منطقة (قباء) خارج المدينة يقول عنها : " وهو مجمع بيوت للأنصار يشبه القرية " (الإصطخري , 2004 م, ص 23) وهنا يمكن ان نقول بأنه يميز بين العرب الذين يعودون في اصولهم الى قبائل كبيره او فروعها الاصغر منها , وبين العرب الذين تجمعهم صفة معينة (كالأنصار) مثلا وهم يعيشون في تجمعات سكنية خاصة بهم , او مثلنا الاسبق الذي اخترناه وهم العرب ذو انساب شريفة في الاسلام مثل (الحسنيين والجعفريين) وهؤلاء ايضا يميلون كما يبدو للسكن في اماكن خاصة بهم .

ونراه احياناً لا يحدد سكن بعض القبائل العربية في اماكن محدودة ربما لتداخل سكن هذه القبائل مع قبائل اخرى في كل المناطق فيقول : " وأما ديار همدان وأشعر وكندة وخولان فإنّها مفترشة في أعراض اليمن " (الإصطخري , 2004 م, ص 27) .

كما يشير الى وجود القبائل العربية في مصر ولا سيما (الفسطاط) فيقول : " وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب إليهم محالّها، مثل ما بالكوفة والبصرة إلا أنها أقل من ذلك " (الإصطخري , 2004 م, ص 39) , اي ان التخطيط الاداري للفسطاط يشبه خطط الكوفة والبصرة التي قسمت خططها حسب القبائل العربية الساكنة بها , الا انها اقل منها ونحن نعرف ان الكوفة قسمت الى اربعة ارباع والبصرة الى خمسة ارباع , وهنا لم يحدد الإصطخري عدد المحال او الخطط او الارباع واكتفى بقول (انها اقل منها) فربما كانت اثنان او ثلاث

ب – الاجناس الاخرى :

ومن الاجناس الاخرى التي ورد ذكرها في كتاب مسالك الممالك (الزنوج) اذ ذكر الإصطخري انه في بلاد السودان الواسعة والمقفره [3] كما وصفها جنس من الزنج ليس من زنوج النوبة او البجة او الحبشة, [4] بل هو جنس منفرد لوحده ويصفه بأنه اشد سواداً من الجميع واصفى وهؤلاء يسكنون المناطق الجبلية وهم من المسلمين (الإصطخري ,2004 م, ص 35) .

بل انه يذكر ان هناك نوع من (الزنج الابيض) وهؤلاء يكونون في اطراف الصرود (الإصطخري ,2004 م, ص 35) اي في المناطق الباردة (ابن منظور , 1414هـ , ج3 , ص 248) .

ويشير الإصطخري الى (البربر) في بلاد المغرب والاندلس اذ يذكر : " والبربر الذين هم بأرض الأندلس وسائر المغرب صنفان، صنف يقال لهم البتر، وصنف يقال لهم البرانس " (الإصطخري ,2004 م, ص 36) اي اهل البادية وأهل المدن , ثم يبدئ بذكر القبائل التي منها البتر والبرانس " فنفزة ومكناسة وهوارة ومديونة من البتر وهم بالأندلس، وكتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة من البرانس " (الإصطخري , 2004 , ص 36) .

كما ذكر صاحب مسالك الممالك (الكرد) في بلاد فارس ويقول ان لهم بها احياء كثيرة ويزيد عددهم على ال(500) الف بيت شعر ينتجعون المراعي في المشتى والمصيف (الإصطخري , 2004 , ص 68) , الا القليل منهم ممن يكونون على حدود المناطق الحارة او الباردة او كما يعبر عنها الصرود والجروم فلا ينتقلون (الإصطخري , 2004 , ص 72) , ويذكر من احيائهم نيفاً وثلاثون حياً وهو ما حضره من اسماء هذه الاحياء في حين انها تزيد كما يذكر على المائة حي , ويصفهم بانهم فرسان واصحاب عدة وبأس وقوة بالرجال والدواب والكراع , بحيث يصعب امرهم على السلاطين , اي انهم لا يخضعون للسلطات السياسية بسهولة (الإصطخري , 2004 , ص 72) , وهم اصحاب ثروة حيوانية أهلتهم لأن يكونوا ميسوري الحال وأعطتهم مكانة اجتماعية كبيرة آنذاك اذ يذكر : " وهم أصحاب أغنام ورماك, [5] والإبل فيهم قليل، وليس للأكراد خيل إلا للبازنجان، الذين انتقلوا إلى حدّ أصبهان، وإنما دوابهم براذين، [6] وهم على حسن حال ويسار " (الإصطخري , 2004 , ص 72) , ويبدو من النص ان قبائل البازنجان الكردية كانت ذات قوة سياسيه وعسكرية واقتصادية في بلاد فارس الا انهم انتقلوا الى حدود اصبهان لكن بقيت لهم ضياعا كثيرة في بلاد فارس , وان لهم (زم) اي منطقة تنسب اليهم كما يذكر ذلك الإصطخري " وأما زم البازنجان فإن رئيسهم كان يسمى شهريار من الأكراد، والزم منسوب إليه " (الإصطخري , 2004 , ص 87) , ويبدو ان ابناؤه حكموا من بعده فيذكر ان : " وصار بعده للقاسم بن شهريار ثم انتقل إلى موسى بن القاسم " (الإصطخري , 2004 , ص 87) , و يحدد طبقات الكرد في هذه المنطقة بأن منهم من يكون من ارباب العمل اي اصحاب العمل ومنهم الاجراء ومنهم الرعاة ومنهم الرعاء التي يبدو انها طبقة اجتماعية منحدره (الإصطخري , 2004 , ص 68) .

ويرد ذكر (الْكُرد) ايضا في مدينة صغيرة تسمى (اشترج) من ناحية الجوزجان من اقليم خراسان فيقول : " لها سبع قرى وبيوت للأكراد أصحاب أغنام وإبل منها شعر ومدر " (الإصطخري , 2004 , ص 153) , وهنا يمكن ان نستنتج من قوله (وبيوت للأكراد) ان عدد الكرد في هذه المدينة قليل نسبة الى غيرهم ممن يكونون (القرى) , كما انهم يمتلكون ثروة حيوانية ومنهم من اهل البادية او (الشعر) كما عبر عنهم ومنهم اهل المدن اي (المدر) .

وعندما يتحدث عن منطقة (قوهستان) جنوب خراسان يذكر ان في مدنها مفاوز يسكنها الاكراد واصحاب السوائم (الإصطخري , 2004 , ص 154) , وهنا ايضا الاكراد يعيشون في اماكن صحراوية ويمتهنون الرعي

ومن الطوائف العرقية الاخرى التي وردت عند الإصطخري (التُرك) ولاسيما في مناطق ما وراء النهر وينقسمون الى : (ترك الغزية) و (ترك الخزلجية) ويحدد اماكنهم بقولة : " اما من خوارزم الى ناحية اسبيجاب منهم الترك الغزية , ومن اسبيجاب الى اقصى فرغانة الترك الخزلجية " (الإصطخري , 2004 م , ص 163) , فهم الغالبون على اهل هذه النواحي , ويصفهم بأنهم اهل حرب واصحاب شوكة وقوه في القتال فهم ثغر المسلمين بوجهه اعدائهم يمنعونهم من دار الاسلام لان جميع بلاد ما وراء النهر كما يذكر تُعد ثغراً , اما عن استعدادهم للقتال فيذكر : " وبلغني ان بالشاش وفرغانة من الاستعداد ما لا يوصف مثله عن ثغر من الثغور , حتى إن الرجل الواحد من الرعية عنده من بين مائة دابة إلى خمسمائة وليس بسلطان، وهم على بعد دارهم أوّل سابق إلى الحج، لا يدخل البادية قبلهم أحد، ولا يخرج منها بعدهم أحد، وهم مع ذلك أحسن الناس طاعة لكبرائهم، وألطفهم خدمة لعظمائهم وفيما بينهم " (الإصطخري , 2004 م , ص 163) ,ويعلق على ذلك بأن هذا هو السبب الذي دعا الخلفاء العباسيين ان تكون جيوشهم من الاتراك .(الإصطخري , 2004 م , ص 164) .

ويبدو ان هناك نوع اخر من الترك سكنوا في الازمنة القديمة الى الأرض التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر بلاد الغور وهم اصحاب (نِعم) اي اهل يسار وعلى خُلق الاتراك وزيهم ويسمون (بالخلج) . (الإصطخري , 2004 م , ص 141).

2- طوائف دينية

يمكن ان نصنف النصوص التاريخية التي يذكرها الإصطخري بانها وثائق مهمه تحدد الطبيعة الدينية والمذهبية للمناطق التي ذكرها , فمن المذاهب التي وردت عنده (الشراة) او الخوارج وهؤلاء كانوا من الغالبون على منطقة (عُمان) في الخليج العربي ويذكر الإصطخري انهم بقوا هكذا الى ان وقع بينهم وبين طائفه من بني سامه بن لؤي وهم كبراء تلك النواحي حروب , فخرج من بني سامه رجل يُعرف بمحمد بن القاسم السامي الى الخليفة المعتضد بالله العباسي (279_ 289 هـ) فأستنجده فبعث معه بابن ثور ففتح عُمان للمعتضد

واقام بها الخطبة له , وانحاز الشراة الى ناحية لهم تعرف بنزوه,[7] ويذكر انهم ظلوا اصحاب السيطرة السياسية في المنطقة الى ايامه اي القرن الرابع الهجري ولهم فيها إمام وجماعة . (الإصطخري , 2004م, ص 27)

كما وجد الخوارج الشراة ايضا في منطقة (تاهرت) في بلاد المغرب [8] ويحددهم (بالإباضية) (الإصطخري , 2004م, ص 35) , وفي منطقة معان من بلاد الشام (الاردن حاليا) ويشير الى ان سكانها من بني اميه (الإصطخري , 2004م, ص 48) , كما تواجدوا في منطقة (استرابيان) و(قرية احمد بن عبد الله) في منطقة (خجستان) وهذه قرى صغيرة في هراة من خراسان (الإصطخري , 2004م, ص 151) .

اما مذاهب اهل المغرب فهم مالكية ويذكر صاحب مسالك الممالك : " والغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث، وأغلبها عليهم في الفتيا مذهب مالك بن أنس (الإصطخري , 2004م, ص 37) وهنا يشير الى ان الغالب على المنهج السائد بين علماء المغرب الاسلامي هو منهج اهل الحديث في تلقي العلوم واستنباط الاحكام الذي يعطي الاولوية للنصوص القرآنية والاحاديث النبوية ويقابله منهج اهل الرأي الذي كان اكثر شيوعا في العراق ومناطق بلاد المشرق .

في حين غلب على اهل خوزستان [9] مذهب الاعتزال مع وجود ملل اخرى فيه (الإصطخري , 2004م, ص 64), و اتبع اهل سيراف وهي مدينة جبلية على ساحل الخليج العربي وبالتحديد المنطقة من سيراف الى مهروبان بين سيراف وعبادان (البغدادي , 1412هـ ,ج2, ص 1339) الى ارجان [10] مذاهب اهل البصرة في القدر والاعتزال الا ان المعتزلة كانوا اقلهم عددا . (الإصطخري , 2004م, ص 84)

اما في بلاد فارس فقد اختلفت المذاهب اذ غلب على منطقة (جهرم) الاعتزال , في حين كان اهل منطقة (خُره) شيعه ,وكان اهل (شيراز) و(فسا) الغالب عليهم مذاهب اهل السنة والجماعة وهم على مذهب اهل بغداد , ويشير الإصطخري بشكل عام الى ان اهل فارس هم على مذهب اهل الحديث .(الإصطخري , 2004م, ص 84)

ويذكر مذاهب اهل بلخ ومرو من خراسان بأنهم (اهل كلام) لكنه لم يوضح على اي مذهب من مذاهب علم الكلام (الإصطخري , 2004م, ص 158), في حين كانت (الديلم) من ما وراء النهر بلد كفر الى ان اسلم بعضهم على مذهب العلويين (الإصطخري , 2004م, ص 121).

واشار صاحب مسالك الممالك الى الديانات الاخرى مثل النصرانية اذ يذكر ان اهل انطاكية والاسكندرية وبيت المقدس نصارى على مذهب اهل روما (الإصطخري , 2004م, ص 51), كما انتشرت هذه الديانة في جزر البحر المتوسط مثل قبرص (قبرس) و(صقلية) وكريت (اقريطش) الا ان النصارى في الاخيره كانوا اقلية فيذكر : " واقريطش ... وسكانها جميعا مسلمون أهل غزو، وبين أظهرهم نبذ من النصارى كما يكون ببلدان المسلمين " (الإصطخري , 2004م, ص 51) .

وحين يتحدث عن مدن الجزيرة الفراتية يذكر ان في (نصيبين) دير عظيم وحواليها ديارات وصوامع للنصارى كثيرة (الإصطخري , 2004م, ص 52) ويصف (الرها) : " والرّها مدينة وسطة والغالب على أهلها النصارى، وفيها زيادة على ثلاثمائة دير وصوامع كثيرة ورهابين، ولهم بها كنيسة ليس في بلاد الاسلام كنيسة أعظم منها " (الإصطخري , 2004م, ص 54)

كما وجدت النصرانية واليهودية في بلاد فارس (الإصطخري , 2004م, ص 84) , وجاء ذكر (الصابئة) عند ذكره (حران) بقوله: " وهى مدينة الصابئين، وبها سدنتهم السبعة عشر، وبها تل عليه مصلّى يعظّمه الصابئون، وينسب إلى ابراهيم خليل الله عليه السلام " (الإصطخري , 2004م, ص 54) وهنا نرى الدقة في تحديد اعداد رجال الدين ومكان الصلاة الذي يقع على تل مرتفع وسبب تعظيمهم لهذا المكان لكونه يرتبط بالنبي ابراهيم (عليه السلام) .

ومن المذاهب الدينية التي اشتهرت بها بلاد فارس فهي المجوسية , اي الديانة الزرادشتية القديمة التي كانت منتشرة قبل الاسلام في هذه المناطق , فيذكر الإصطخري : " لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلا القليل من بيوت النيران، والمجوس أكثر ملل أهل الكتاب بها، ولهم من هذه البيوت بيوت يفضّلونها في التعظيم" (الإصطخري , 2004م, ص 68) وهنا نلاحظ ان التركيبة المذهبية في بلاد فارس بشكل عام في القرن الرابع الهجري يسودها الديانة المجوسية وان بيوت النيران كانت منتشرة بشكل كبير جدا , وان فيها من هو اكثر قدسية وتعظيم لدى المجوس من الاخريات , حتى انه يقول : " وأما بيوت نيران فارس فتكثر عن إحصائي وحفظي " (الإصطخري , 2004م, ص 74) .

وهناك معلومة جميلة عن منطقة ارجان من قلعة الجص في بلاد فارس , لا تشير فقط الى الديانة المجوسية المنشرة هناك بل ان تاريخهم القومي والديني وايامهم و رموزهم وقادتهم كان يدرس في هذه المدينة , فيذكر : " فيها مجوس، وباد كذارات الفرس وأيامهم تتدارس فيها " (الإصطخري , 2004م, ص 73) وهنا تكمن عبقرية الجغرافيين المسلمين والاصطخري خاصة في الدقة بوصف هذه المجتمعات بأدق تفاصيلها .

وهناك طوائف يبدو ان الإصطخري لم يكن يرغب بذكرها الا انه ذكرها من باب انه اذا اهمل امرهم قد يفسر ذلك من باب العصبية والتحامل وذكر المحاسن فقط واهمال المساوئ ولولا ذلك كما يقول : " لكان من الواجب إهمال ذكرهم لشناعة أمرهم وفظاعة أخبارهم ولكن الوقوف على ما امكن من اخبار الناس وسيرهم من محمود ومذموم غير مكروه " (الإصطخري , 2004م, ص 90) ومنهم الحسين بن منصور المعروف بالحلاج (ت 309هـ) وهو من اهل البيضاء في فارس , والحسن الجنابي ويكنى بابي سعيد من اهل جنابة (ت 301هـ) الذي اظهر مذهب القرامطة .

3- طوائف سياسية

ولم يفت الإصطخري ان يذكر السلطات السياسية الحاكمة عند حديثه عن المدن ففيما يخص مناطق افريقية (المغرب الادنى) وطنجة [11] وتاهرت [12] والاندلس يذكر لنا ما نصه : " وكان ملوك أفريقية وبرقة أولاد الأغلب، الذي كان قد أنفذ في أول أيام بنى العباس، ليكون في وجه إدريس بن إدريس، وملوك طنجة أولاد إدريس بن إدريس، وبينهم وبين أفريقية تاهرت الشراة، وهم الغالبون عليها. وملوك الأندلس بنو أمية، ما خطب لبنى العباس بها إلى يومنا هذا، ويخطبون لأنفسهم وهم من أولاد هشام بن عبد الملك، وصاحبهم في وقت تصنيف هذا الكتاب هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأول من عبر منهم إلى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان في أول ولاية بنى العباس فتغلّب عليها، وبقيت الإمارة في أولاده إلى وقت تصنيفنا هذا " (الإصطخري , 2004م, ص37) وهنا يحدد انه في وقت تصنيفه لهذا الكتاب في القرن الرابع الهجري كان يسيطر على المغرب الادنى (افريقية) الاغالبة (184_296هـ/ 800_ 909م) وكان هذا بدعم ومباركة من العباسيين لاسيما الخليفة العباسي هارون الرشيد (170_193هـ/ 786_ 809م) ليكون مواجهاً للأدارسة (171_ 363هـ / 788_ 974م) في المغرب الاقصى في طنجة .

اما الاندلس يحكمها الامويين (138_ 422هـ / 788_ 1013م) وان حاكمها في وقته هو عبد الرحمن بن محمد بن هشام الناصر لدين الله (316 _ 350هـ / 929_ 961م) وهو اول من اعلن الخلافة الاموية هناك , في حين كانت تاهرت تحت حكم الخوارج .

في حين كانت بلاد فارس وخراسان تحت حكم السامانيين (261_ 389هـ / 874_ 999م) فيذكر : " والملوك على هذا الإقليم وعلى سائر خراسان آل سامان، وهم من أولاد بهرام جوبين الذي سار ذكره في العجم بالبأس والنجدة، فلمثل هذه الأسباب ليس في الإسلام ملك أمنع جانبا ولا أوفر عدة ولا أكمل أسبابا للملك منهم " (الإصطخري , 2004م ,ص 164) ويشرح السبب في ذلك لأن جيوشهم من الاتراك المملوكين وان هؤلاء على ما يبدو كانوا بأعداد كبيره جدا كما انهم منظمين فيقول : " إذا قتل منهم قوم أو ماتوا ففي وفور عددهم ما يعاض من بين ظهرانيهم مثلهم، وإن تفرقوا في حادثة تراجعوا كلّهم إلى مكان واحد، فلا يقدح فيهم ما يقدح في سائر عساكر الأطراف ، ولا سبيل لهم إلى التفرّق في العساكر والتنقّل في الممالك " (الإصطخري , 2004 م , ص 164) .

وفي نص اخر يوضح العاصمة السياسية لآل سامان هي مدينة بخارى وهي منطقة وسط بين خراسان وما وراء النهر فيذكر : " وسكن ولاة خراسان من السامانية مدينة بخارى، لأنها أقرب مدن ما وراء النهر إلى خراسان، فمن كان بها فخراسان أمامه وما وراء النهر وراءه " (الإصطخري , 2004 م , ص 176) ثم يوضح اسباب بقائهم على حكم هذه المناطق بقوله : " ولهم من حسن الطاعة وقلة الخلاف على الولاة ما يؤدى إلى اختيار المقام بينهم على سائر ما وراء النهر, وأوّل ولاة خراسان من آل سامان اسماعيل بن أحمد، جاءته

ولاية خراسان وهو ببخارى فاستدام المقام بها، فبقيت الولاية بها في أولاده " (الإصطخري , 2004 م , ص 176) .

المبحث الثالث : البناء والعمران

يذكر لنا الإصطخري تفاصيل رائعة في الجانب العمراني الذي كان موجودا في القرن الرابع الهجري سواء كان ذلك في بناء البيوتات او في عمران وتخطيط المدن بشكل عام , فعندما يتحدث عن الفسطاط في مصر يذكر ان معظم بنائهم (بالطوب) اي الطابوق من الطين والقش المجفف ويكون على شكل طبقات اي انه بناء عمودي , الا ان اكثر الجانب السفلي منها يكون غير مسكون , وقد يكون السبب في ذلك ان السكن فيه غير صحي بسبب تأثير المناخ من الرطوبة او الحرارة او انه كان يستخدم كمخزن للعوائل آنذاك , ويستمر في وصف هذه المباني العمودية بقوله : " وربما بلغت الدار الواحدة ثماني طبقات " (الإصطخري , 2004 م , ص 39) وهذا يدل على الازدحام السكاني آنذاك , وعلى براعة المهندس المصري المسلم في بناء مثل هذه البيوتات المرتفعة , التي لم تكن معروفة او منتشرة في العالم الاسلامي آنذاك .

ويبدو ان ليست كل البيوتات في الفسطاط اتبعت هذا النمط المعماري , بل يحدثنا الإصطخري عن اماكن اخرى بقوله : " إلا في طرف منها يسمى الموقف فإنّه أصلب قليلا، وبها بناء مفترش وذلك بالحمراء على شط النيل " (الإصطخري , 2004 م , ص 39) وهو هنا يشير الى منطقة تسمى الموقف وهي تقع على شاطئ النيل وتستخدم كمرسى وميناء , وقوله (اصلب قليلا) لربما هو هنا يشير الى طبيعة التربة بأنها اكثر صلابة من بقية الاماكن في الفسطاط ,او ان المباني هناك كانت اقل ارتفاعا فأصبحت اكثر متانة .

واما ما يخص منطقة (الحمراء) فأن طبيعة ابنيتها افقية اي انها افترشت الارض , وهنا نلاحظ اكثر من نمط عمراني في مصر والفسطاط باعتبارها المركز السياسي آنذاك فهناك ابنية عمودية واخرى افقية .

ويبدو ان هناك مدناً اختصت بطراز خاص من البناء مثل مدينة بعلبك من جند دمشق , فقد بنيت على جبل لذلك كانت عامة ابنيتها وقصورها من الحجارة الا ان هذه القصور بنيت على اساطين شاهقة مما يدل على علو هذه القصور , ولذلك فهو يعده من العجائب في بلاد الشام بقوله : " ليس بأرض الشام ابنية حجارة اعجب ولا اكبر منها " (الإصطخري , 2004 م , ص 46) .

ولم يفت الإصطخري ان يتحدث عن المساجد في جميع المدن الاسلامية (الإصطخري , 2004 م , ص 150) الا انه عند حديثه عن مسجد دمشق فهو يعطينا وثيقة تاريخية عن بناء هذا المسجد وما رافقة عبر الزمن من احداث فيذكر : " وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أحسن ولا أكثر نفقة منه، وأمّا الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصابئين، وكان مصلاهم ثم صار في أيدى اليونانيين، فكانوا يعظمون فيه دينهم، ثم صار لليهود وملوك من عبدة الأوثان، فقتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب هذا المسجد، بباب يسمى جيرون، ثم تغلّب عليه النصارى فصار في أيديهم

كنيسة، يعظمون فيها دينهم، حتى جاء الإسلام فصار للمسلمين واتخذوه مسجدا " (الإصطخري , 2004 م , ص 45) .

ويمكن ان نستشف طرق بناء المدن في بلاد فارس وخراسان من خلال ما ذكره الإصطخري عنها , فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما يتحدث عن اصطخر يقول : " وكان في قديم الأيام على اصطخر سور قد تهدّم، وبناؤهم من الطين والحجارة والجصّ على قدر يسار الباني " (الإصطخري , 2004 م , ص 76) وهنا نرى المواد المستخدمة في البناء وهي الجص والحجارة والطين لكن مساحة البناء وطبيعته تتبع احوال الشخص صاحب البناء المادية .

اما القنطرة فكانت خارج المدينة , وان هذه المدن فيها اسوار وقناطر وخنادق وابواب فيذكر عن منطقة داربجرد :" وعليها سور عامر جديد ... وعليها خندق تتولد المياه فيه من النزّ والعيون، وفى هذا الماء حشائش، إن دخله إنسان أو دابّة التفّت عليه، فلا يتهيأ له عبوره، ولا يكاد يسلم إلا على شدة، ولها أربعة أبواب، .. وبنيانهم من طين " (الإصطخري , 2004 م , ص 76) وهنا نلاحظ ان الوسائل الدفاعية لهذه المدن الاسوار ومن بعد الاسوار خنادق زيادة في حفظ سلامة هذه المدن, ويبدو ان الخندق في هذه المدينة تتولد فيه المياه من العيون والمياه الجوفية كما فيه حشائش لذلك اصبح من الصعب اجتيازه وهذا اعطى قوه دفاعية اضافيه للمنطقة , كما ان هذه الاسوار فيها ابواب متعددة .

وهناك نص جميل عن مدينة جور يقول : " وفى وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطّربال، ويعرف بلسان الفرس بأيوان وكياخرّة وهو بناء بناه اردشير ، ويقال إنه كان من الارتفاع بحيث يشرف منه الإنسان على المدينة جميعها ورساتيقها، وبنى أعلاه بيت نار، واستنبط بحذائه من جبل ماء حتى أصعده إلى أعلى هذا الطربال كالفوّارة، ثم ينزل في مجرى آخر، وهو بناء من جصّ وحجارة " (الإصطخري , 2004 م , ص 76) ويبدو هنا ان هذا البناء قديم منذ ايام الساسانيين الا انه يشير في الوقت نفسه الى الامكانيه الهندسيه في بناء الاماكن المرتفعة وايصال المياه اليها , وقد يكون بناء هذه المرتفعات لأسباب امنية او عسكرية .

ولم يفت الإصطخري ان يبين الفوارق بين المدن او الاقاليم في الغنى والفقر والشده والرخاء بل وحتى حجم هذه المدن وكثرة الابنية من عدمها وذلك في اثناء حديثة عن طبيعة بناء هذه المدن_ على سبيل لا الحصر _ يذكر : " وأعظم هذه المدن الري ، وهى مدينة إذا جاوزت العراق إلى المشرق فليس مدينة أعمر ولا أكبر ولا أيسر أهلا منها إلى آخر الإسلام، إلا نيسابور فإنها في العرصة أوسع، فأما اشتباك الأبنية والعمارة واليسار فإنّ الري تفضلها، ... وبناؤها طين، وقد يستعمل فيها الجص والآجر، ولها أبواب مشهورة " (الإصطخري , 2004 م , ص 122) , واما منطقة سابور في فارس يذكر : " وهى في السعة نحو من اصطخر إلا أنها أعمر وأجمع للبناء وأيسر أهلا، وبناؤها نحو بناء اصطخر " (الإصطخري , 2004 م , ص 76) , وعندما يتحدث عن جزر البحر المتوسط يذكر ان قبرص وكريت متقاربة في الكبر وفي العمران الا ان صقلية اكبر منهم (الإصطخري , 2004 م , ص 51) , في حين كانت منطقة حران من ارض الجزيرة الفراتية اصغر من

مدينة الرقة (الإصطخري , 2004 م , ص 54) ومنطقة تل بني سيار فهي " صغيره يسكنها عرب من غنى " (الإصطخري , 2004 م , ص 55) .

ونرى ايضا انه في حال عدم وجود انهار او آبار صالحة للشرب في بعض المناطق يلجأ اهل المدن الى بناء (حياض) لجمع مياه الامطار مثل منطقة (دير الجص) وهي عبارة عن رباط من جص وآجر , ومدينة (كاج) وهي قرية من هذا الدير اذ كان لهم احواض خارج هذه المدن لجمع مياه الامطار لأن ابارهم مالحة لا تصلح للشرب .(الإصطخري , 2004 م , ص 134) .

واحيانا تكون هذه الاحواض لجمع مياه السيول (الإصطخري , 2004 م , ص 136) وتكون بذلك بمثابة السد لإنقاذ الاراضي من الغرق واستخدامها في نفس الوقت بعد ذلك للسقي (الإصطخري , 2004 م , ص 137)

ومن خلال النصوص يمكن لنا ان نلاحظ ان هناك انواعاً من الرحى او الطواحين تدار بالمياه او بالرياح حسب طبيعة المناطق الجغرافية او المناخية واحيانا يجتمع في منطقة واحده النوعين منها , فعند حديثه عن مدينة اراك في سجستان يذكر ان هذه المدينة فيها انهار كثيرة حتى يقول : " ومقدار هذه الانهار اذا جمعت ما يدير الرحى " (الإصطخري , 2004 م , ص 140) , وفي مناطق اخرى من نفس المنطقة لاسيما الجبلية منها حيث يشتد بها الرياح مع دوامها يذكر: " حتى انهم نصبوا عليها طواحين يديرها الهواء " (الإصطخري , 2004 م , ص ص 140, 136, 172, 183) , وفي حال عدم توافر مثل هذه الظروف الجغرافية تبقى الارحاء تدار باستخدام الحيوانات .(الإصطخري , 2004 م , ص 154)

وعن مدينة زرنج من سجستان وهي اكبر مدنها يذكر ان هذه المدن فيها حصون وخنادق ولها ابواب وهذه الابواب كلها من حديد , وابنيتها من طين آزاج معقوده لان الخشب بها يتسوس ولا يثبت , وفيها مسجد جامع والحبس يكون قريبا من الجامع وفيها دار اماره وقصور تعود لكبار امرائها .(الإصطخري , 2004 م , ص 139) وهنا نراه يوضح خطط المدينة اضافه الى طريقة مختلفة في البناء حرص الإصطخري على ذكرها وهي الطين الآزاج المعقود _اي بناء متداخل _ دون استخدام الخشب لان هناك مشكلة في هذه المدينة ان الاخشاب بها تتسوس ولا نعرف لماذا يحدث ذلك لأنه لم يذكر سبب ذلك .

وهناك نص جميل يذكره عن مدينة سمرقند عاصمة اقليم الصغد على جنوب وادي نهر الصغد (نهر زرافشان حاليا) وهي مدينة بنيت على علو عن مستوى هذا النهر فيصفها بأن فيها (قهندز) اي القلعة الداخلية , والجزء الثاني (المدينة) اي مدينة داخلية مسورة , وجزئها الثالث (الربض) اي الضاحية او المدينة الخارجية , وهذه هي خطط اغلب مناطق فارس وبلاد ما وراء النهر , الا ان الجميل في ذلك وصفه للإمكانيات الهندسية والعمرانية في ايصال المياه الى هذه المدينة المرتفعة بقوله : " وماء جار يدخل إليها في نهر من رصاص، وهو نهر قد بنيت له ومسنّاة عالية من حجارة، يجرى عليها الماء ... ووجه هذا النهر رصاص كله وذلك أن حوالى المدينة خندقا قد تسفّل لأنه استعمل طينه في سور المدينة فبقى حواليها خندق

عظيم فاحتيج إلى مسنّاة في هذا الخندق يجرى الماء عليها إلى المدينة" (الإصطخري , 2004 م , ص 177) , اي ان هناك ماء يدخل اليها في قناة مبطنة بالرصاص لمنع تسرب المياه والحفاظ على نظافتها كما ان هذا النهر (او القناة) قد بنى له جسر (مسناة) عالية من الحجارة لحمل هذه القناة لان هناك منطقة منخفضة وهو (خندق) عظيم استخدم ترابه وحجارة في بناء سور المدينة .

اما المدن السهلية كما في نيسابور فأن ابنيتها تكون من طين وهي مفترشة البناء اي ذات بناء افقي وليس عمودي ,(الإصطخري , 2004 م , ص 146) كذلك مدينة ترمذ من ما وراء النهر كانت ابنيتها من الطين الا ان سككها واسواقها مفروشة بالآجر (الإصطخري , 2004 م , ص 167) في حين ان بلد مثل سمرقند طرقه ومحاله وسككه الا قليلا مفترشة بالحجارة . (الإصطخري , 2004 م , ص 187)

ويشير الى ان بتستر من خوزستان سد قديم يسمى عندهم (الشاذوران) بناه سابور " وهو من أعجب البناء وأحكمه بلغني أن امتداده يقرب من ميل، قد بنى بالحجارة كله حتى تراجع الماء فيه وارتفع إلى باب تستر " (الإصطخري , 2004 م , ص 64) ومع ان هذا السد يعود لعصور قديمة الا انه يشير الى المعرفة الهندسية الموجودة عند اهالي هذه المدن في مسألة بناء السدود وحجز المياه والاستفاده منها .

وعن الحصون والقلاع وانواعها بل وحتى اعدادها في بلاد فارس فيذكر : " وأما حصون فارس فإن منها مدنا محصنة بحصن، ومنها حصون داخل المدينة وحواليها أرباض، ومنها قهندزات في مدن، ومنها حصون في جبال منيعة، مفردة عن البنيان قائمة بأنفسها، وأما المدن المحصّنة فإنها اصطخر بها حصن حواليه ربض، ومدينة كثه بها حصن وربض, والبيضاء بها حصن وربض, والسّرمق بها حصن وربض وقهندز, وإقليد لها قهندز وربض، وقرية الآس لها قهندز وربض, وشيراز لها قهندز يسمى قلعة شهموبذ ولها ربض , وجور عليها حصن وليس بها ربض، وكارزين لها قهندز وربض, وكير لها قهندز وربض, وأبزر لها قهندز وربض, وسميران لها قهندز وربض، وفسا لها حصن وربض, ودارابجرد لها حصن وربض؛ وروبنج لها حصن وربض, وسابور لها سور وليس لها ربض، والجنّجان لها حصن وليس لها ربض, جفتة لها حصن. وأما القلاع بها فإنّه يقال فيما بلغني أن لفارس زيادة على خمس آلاف قلعة، مفردة في الجبال وبقرب المدن وفى المدن، ولا يتهيّأ تقصّيها إلا من الدواوين " (الإصطخري , 2004 م , ص 73) .

المبحث الرابع : جوانب اجتماعية اخرى

فيما يخص اشكال الناس والوانهم نراه احيانا يربط تأثير البيئة والمناخ بلون البشرة وهذه من الامور المهمة التي لم تبتعد عن اذهان جغرافيينا المسلمين على سبيل المثال لا الحصر عندما يذكر اهل المغرب يقول : " وأرض المغرب ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة، وكلما تباعدوا فيما يلى الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا، حتى ينتهوا إلى بلد السودان، فيكون الناس بها أشد الأمم سوادا، ومن كان في غربي بحر الروم بالأندلس فهم بيض زرق، وكلما ازدادوا وتباعدوا إلى ما يلى المغرب والشمال ازدادوا بياضا، حتى

يقطع عرض الروم كله إلى ظهر الصقالبة، فكلما ازدادوا وتباعدوا ازدادوا بياضا وزرقة وحمرة شعر، إلا أن طائفة منهم يرجعون إلى سواد شعر وعيون وهم صنف من الروم من الجلالقة، ويقال إن أصلهم من الشام، كما أن طائفة بخر شنة من أرض الروم يرجعون إلى سواد شعر وعيون، يزعمون أنهم من العرب من غسّان، وقعوا إليها مع جبلة بن الأيهم " (الإصطخري , 2004 م , ص ص 36–37) وهنا نراه ليس فقط يربط تأثير البيئة على الشكل واللون وانما ايضا الاصول والعروق وتأثيرها حتى وان سكنوا في بيئة مختلفة عن بيئتهم الاصلية .

كما انه يعطي اوصافا لكل قوم او منطقة يذكرها على سبيل المثال عندما يذكر(البجة) يقول انهم اشد سوادا من الحبشة ويتبعون في لباسهم زي العرب , وعندما يذكر الحبشة يشير الى انهم في الوانهم يقتربون من العرب بين السواد والبياض (الإصطخري , 2004 م , ص 31).

بل احيانا يربط صحة الناس وجمال الوانهم وابدانهم بصحة الهواء والماء والتربة فعندما يصف منطقة رستاق ابغر من سمرقند يقول : " وليس بنواحي سمرقند رستاق أصح هواء ولا زرعا وفواكه منه، وأهلها أصح الناس ألوانا وأبدانا " (الإصطخري , 2004 م , ص180) .

وعندما يتحدث عن اهل فارس فأنه يعطي نبذه عامة في وصف صورهم وزيهم ولسانهم واخلاقهم , فيذكر ان اهل الجروم (المناطق الحارة) الغالب على خلقتهم نحافة الخلق وخفة الشعر وسمرة اللون , اما اهل الصرود (المناطق الباردة) أعبل اجساما واكثر شعورا واشد بياضا (الإصطخري , 2004 م , ص 83) وهو هنا ايضا يربط تأثير البيئة على الانسان .

وهم على ثلاثة السنة وهي (الفارسية) التي يتكلمون بها , وجميع اهل فارس يتكلمون لغة واحده يفهم بعضهم على بعض الا بعض الالفاظ التي قد تختلف ولكنها مفهومه لدى العامة , ثم يفسر اكثر في جانب لغتهم فيذكر ان اللسان الذي كُتبت به مكاتبات المجوس وتاريخهم وايامهم هو (الفهلوية) وهي لغة تحتاج الى تفسير حتى للفرس انفسهم , اما اللغة الرسمية في الادارة والسياسة ولغة الامراء والعامة ايضا اي الطبقات العليا والدنيا آنذاك فهي اللغة (العربية) . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

اما ازيائهم فيقسمها حسب طبقات المجتمع وهي :-

1_ ازياء السلاطين والملوك : الاقبية [13] و الدراريع والاخيرة تكون مختلفة عن دراريع الكُتاب , كم يلبسون العمائم التي تحتها القلانس [14] ويلبسون السيوف بحمائل وفي اوساطهم المناطق , وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

2_ ازياء القضاة : الطيالسة [15] والقمصان [16] والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خف بكسر (اي ثخين) ولا قلنسوة تغطي الاذنيين .(الإصطخري , 2004 م , ص 83)

3_ الكُتاب : الدراريع والعمائم وقلانس خفيه تحت العمائم توقي الوسخ ولا تظهر , والخف المكسر (اقل ثخنا) ولا يلبسون قباء او طيلسان . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

4_ التنّاء (النبلاء والاعيان) والتجار: فلباسهم شيء في الجودة من الملابس وهو متشابه لديهم ويشبه زي اهل العراق , وهنا يظهر التأثير الاجتماعي الحضاري بين اهل العراق واهل فارس . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

وحديثه هنا عن الالبسة يشير الى جوانب اقتصادية وثقافية واجتماعية مختلفة وبل حتى دينية

اما فيما يتعلق بالأخلاق والطباع والعادات السائدة آنذاك , فيذكر ان الطبقات الاجتماعية العليا منهم وهم الملوك والنبلاء والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين وغيرهم فالغالب عليهم المروءة والنزاهة و الأخلاق العالية , والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم واطعمتهم والمنافسة بينهم في ذلك , والثقافة والآداب ظاهره فيهم . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

في حين كانت طبائع التجار الحرص في جمع المال , اما من يعملون في البحار من اهل سيراف باعتبارها فرضة على الخليج العربي فأن اهلها اصحاب مال حتى ان من اهلها من يملك (4 الاف الف دينار) وهو مبلغ كبير جدا آنذاك , لكنهم متواضعين في لباسهم حتى لا يميز بين الاجير وصاحب المال في ذلك , ويقضون اعمارهم في العمل في البحر والانتقال من سفينة الى اخرى . (الإصطخري , 2004 م , ص 83)

اما اهل التجارات البرية مثل اهل كازرون [17] وغيرها فهم اصحاب املاك كبيرة وهم اهل صبر على الغربة وحرص على جمع المال . (الإصطخري , 2004 م , ص 84)

ويصف الفرس في مدنهم بالعيون , بقوله: " وما علمت مدينة في برّ ولا بحر فيها قوم من الفرس مقيمون إلا وهم عيون تلك المدينة " (الإصطخري , 2004 م , ص 84) اي للحفاظ عليها والاهتمام بها وان الغالب عليهم اليسار وهم اهل استقامة وعفة . (الإصطخري , 2004 م , ص 84)

وعند وصفه اهالي اقليم ما وراء النهر فيذكر ان الناس في سماحتهم كأنهم في دار واحدة , وهم اناس اهل ضيافة وكرم مع من يحل عليهم كلُ على حسب مقدرته وسعته , (الإصطخري , 2004 م , ص 162) حتى انهم يتنافسون في خدمة ضيوفهم ويقول انه شاهد منزلا في الصغد ضربت الاوتاد على باب داره حتى لا تغلق الباب وتبقى مفتوحة للضيوف وان بابها لم يقفل منذ مائة عام او اكثر بل حتى قد يصل من يرد الى هذه الدار المائة او المائتين او اكثر بدوابهم وحشمهم فيجدون من علف دوابهم وطعامهم ما يكفيهم وصاحب الدار من البشاشة والاقبال والمساواة لضيوفه بحيث يعلم كل من شاهده سروره بذلك وسماحته , وهذا شيء قد اثار استغرابه بقولة : " ولم ارَ مثل هذا ولم اسمع به في شيء من بلدان الاسلام " (الإصطخري , 2004 م , ص 163) , وطبيعة اهلها الميسورين صرف نفقاتهم على وجوه الخير فيذكر : " وترى الغالب على أهل الأموال

بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير إلا القليل منهم، وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية آهلة إلا بها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه، وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط، في كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابّته وطعام نفسه إن احتاج إلى ذلك " (الإصطخري , 2004 م , ص 163) .

بل وحتى ان في جميع مدنهم قد وضع ماء للسبيل , وفي نفس الوقت فهم اصحاب قوة وبأس وشوكة في الجهاد والقتال ولا سيما الترك من اهل خوارزم والشاش وفرغانة , ومع ذلك فهم اصحاب دين وتقوى فهم على بعد دارهم اول سابق للحج اذ لا يدخل البادية قبلهم احد ولا يخرج منها بعدهم احد . (الإصطخري , 2004 م , ص 163)

وحين يتحدث عن اهل سمرقند يذكر : " وأهلها يرجعون إلى جمال بارع ورزانة، وهم من الإفراط في إظهار المروّة وتكلّف القيام على أنفسهم ما يزيدون على سائر بلاد خراسان، حتى يجحف ذلك بأموالهم " (الإصطخري , 2004 م , ص 178) .

اما اللغة المتداولة في بخارى من ما وراء النهر فمنها (الدريّة) , ومنها لغة اهل الصغد او (السغد) فيقول في ذلك : " وأما لسان بخارى فإنه لسان السغد إلا أنه يحرّف بعضه، ولهم لسان الدريّة " (الإصطخري , 2004 م , ص 175) .

الخاتمة

يمكن ان نلخص ما توصل الية البحث بالاتي :

1_ يعد الإصطخري من أعلام المدرسة الجغرافية العربية في مجال الدراسات الإقليمية ورسم الخرائط التي ظهرت وازدهرت في القرن الرابع الهجري، وتتمثل هذه المدرسة في نتاج مجموعة من الجغرافيين بدأت برائدهم أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (322هـ) الذي الف كتابا اسماه (صور الاقاليم) وقد نحا الإصطخري نحو معاصره واستاذه البلخي في كتابة (مسالك الممالك).

2_ قسم الإصطخري كتابة على اساس الاقاليم فجعلها عشرين اقليماً وابتدأ بديار العرب باعتبارها منطقة وسط لكل الاقاليم كما ان فيها مكة والكعبة المشرفة , وعليه فقد ذكر جميع القبائل العربية الساكنة في هذه الديار بتفصيل رائع مع تحديد جغرافي دقيق جدا لمواضع استقرارهم حتى بدا وكأنه يرسم خارطة واضحه المعالم لتوزيع هذه القبائل , مع ذكره الاصول والفروع وحجم هذه القبائل , وفي حديثة عن اماكن هذه القبائل فهو يذكر الآيات القرآنية والاحداث التاريخية قدر تعلق الامر بها , ولم يفته ان يذكر طبيعة الارض وشكلها من جبال وصحاري واراضي منبسطة بل تجاوز في دقته الوصفية حتى ذكر لون الرمال ونعومتها او خشونتها .

3_ كما انه ميز بين العرب الذين يعودون في اصولهم الى قبائل كبيره او فروعها الاصغر منها , وبين العرب الذين تجمعهم صفة معينة (كالأنصار) او (الحسنيين والجعفريين) وهم يعيشون في تجمعات سكنية خاصة بهم , او العرب الذين يسكنون المدن .

4_ ومن الاجناس الاخرى التي ذكرها الإصطخري هم الزنج اذ اشار الى اماكنهم بل وحتى الوانهم فبعضهم يكون اشد سوادا واصفى من الاخرين , والمفارقة انه يذكر ان هناك نوعا من الزنج يسمى بالزنج الابيض يسكن في اماكن بارده .

5_ ذكر الكرد الذين هم على الاغلب يمتهنون الرعي واصحاب ثروات حيوانيه و ينقسمون الى قبائل ومن اهمها البازنجان الذين كانوا ذا قوة سياسية وعسكرية واقتصادية في بلاد فارس الا انهم انتقلوا الى حدود اصبهان لكن بقيت لهم اراي وضياع في فارس , اما البربر في بلاد المغرب العربي والاندلس فقد قسمهم الى البتر والبرانس وذكر قبائل كلا القسمين , في حين غلب الترك على مناطق بلاد ما وراء النهر وهم الغزية والخزلجية , ونوع اخر يسمى بالخلج يسكنون بين الهند ونواحي سجستان .

6_ ولم ينسَ الإصطخري ان يحدد الطبيعة الدينية او المذهبية للبلاد التي يذكرها فيشير الى ان الشراة او الخوارج كانوا متواجدين في منطقة عُمان في الخليج العربي وفي تاهرت من بلاد المغرب ومعان من ارض الشام وفي قرى صغيرة في هراة من سجستان , اما اهل المغرب فغلب عليهم مذهب المالكية , في حين عرف اهل خوزستان بالاعتزال وكذلك اهل سيراف , في حين كان مذهب القدرية والاعتزال في البصرة الا ان المعتزلة كانوا قلة , اما في بلاد فارس فقد تنوعت المذاهب ما بين الاعتزال واهل السنة والشيعة واهل علم الكلام الا ان الغالب عليهم مذهب اهل الحديث .

7_ كما تواجدت النصرانية في انطاكية والاسكندرية وبيت المقدس وجزائر البحر المتوسط وهي صقلية وقبرص وكريت الا ان كريت كانت الاغلبية فيها آنذاك للإسلام ,وانتشر المذهب النصراني في مناطق الجزيرة الفراتية مثل نصيبين والرها التي كثرت فيها الديارات , في حين كان هناك تنوع مذهبي في بلاد فارس بين النصرانية واليهودية والصابئة والمجوسية اذ انتشرت بها بيوت النار .

8_ و اشار بشكل سريع الى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج (ت 309هـ) وهو من اهل البيضاء في فارس , والحسن الجنابي ويكنى بابي سعيد من اهل جنابة (ت 301هـ) الذي اظهر مذهب القرامطة , مع كرهه لذكرهم لكن ذكرهم من باب ان لايُتهم بالتحامل والعصبية وذكر المحاسن فقط دون المساوئ .

9_ كما انه حدد السلطات السياسية في وقت تصنيفه لهذا الكتاب في القرن الرابع الهجري اذ كان يسيطر على المغرب الادنى (افريقية) الاغالبة , وكان هذا بدعم ومباركة من العباسيين لاسيما الخليفة العباسي هارون الرشيد ليكون مواجهاً للأدارسة في المغرب الاقصى في طنجة , اما الاندلس يحكمها الامويين , وان حاكمها

في وقته هو عبد الرحمن بن محمد بن هشام الناصر لدين الله وهو اول من اعلن الخلافة الاموية هناك , في حين كانت تاهرت تحت حكم الخوارج , في حين كانت بلاد فارس وخراسان تحت حكم السامانيين .

10_ وفي مجال البناء والعمران فقد اعطانا الإصطخري تفاصيل غاية في الدقة عن بناء البيوتات وعمران المدن وخططها ,ففي حديثة عن الفسطاط يذكر ان طبيعة بنائهم عمودي وهو طراز خاص اختصت به الفسطاط عن بقية المدن الاسلامية , كما امتازت بعلبك ايضا بطرازها المعماري فهي منطقة جبلية بنيت من الحجارة وان قصورها كانت تقوم فوق اساطين شاهقه وهي من العجائب في ذلك الوقت , ويمكن لنا ان نلاحظ طرق بناء مختلفة في بلاد فارس وخراسان , فعلى الاغلب امتازت مدنها بوجود الحصون والقلاع الداخلية التي تسمى القهندز والارباض والقناطر , و تبين لنا ان اهل هذه المدن كانت لهم الامكانات الهندسية في ايصال الماء الى الاماكن المرتفعة منذ عصور ما قبل الاسلام .

11_ وايضاً وجدت الحياض التي عملت لجمع مياه الامطار والسيول في المناطق التي تفتقر الى المياه , وايضا وجدت الطواحين او الارحاء التي تدار بالهواء او الماء او بواسطة الدواب حسب طبيعة البيئة او المناخ

12_ اما المدن السهلية كما في نيسابور فأن ابنيتها تكون من طين وهي مفترشة البناء اي ذات بناء افقي وليس عمودي , كذلك مدينة ترمذ من ما وراء النهر كانت ابنيتها من الطين الا ان سككها واسواقها مفروشة بالآجر , في حين ان بلد مثل سمرقند طرقه ومحاله وسككه الا قليلا مفترشة بالحجارة.

13_ وعن اشكال الناس والوانهم فقد ربط الإصطخري احيانا تأثير البيئة والمناخ على ذلك , واحيانا تأثير الاصول والعروق على اوصاف الناس حتى وان سكنوا في بيئة مختلفة عن بيئتهم الاصلية .

14_ وفيما يتعلق بأزياء اهل فارس فقد بين اختلاف الناس في ذلك حسب طبقاتهم الاجتماعية او السياسية او الثقافية او الدينية , في كانت اللغات السائدة آنذاك هي الفارسية وهي الاغلب بين سكان تلك المناطق مع اختلاف اللهجات , والفهلوية وهي لغة الادب والتاريخ , والعربية وهي لغة الادارة والسياسية , اما اخلاقهم فالغالب على الملوك و النبلاء ومن يعمل بالإدارة والدواوين المروءة والنزاهة , في يغلب على التجار الحرص وجمع المال .

15_ وعند وصفه اهالي اقليم ما وراء النهر فيذكر ان الناس في سماحتهم كأنهم في دار واحدة , وهم اناس اهل ضيافة وكرم مع من يحل عليهم كلُ على حسب مقدرته وسعته حتى انهم يتنافسون في خدمة ضيوفهم , وطبيعة اهلها الميسورين صرف نفقاتهم على وجوه الخير.

قائمة المصادر والمراجع

_ القران الكريم .

اولاً : المصادر

1_ الإصطخري , ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي , (ت 346هـ) . (2004م) . مسالك الممالك . القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة.

2_ البغدادي ,عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي الحنبلي صفيّ الدين, (ت739هـ). (1412 هـ) . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . ط1. بيروت : دار الجيل .

3_ البكري, أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ,(ت 487هـ) . (1403 هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . ط3 . بيروت : عالم الكتب .

4_ البكري, أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ,(ت 487هـ) . (1992م). المسالك والممالك . بلا : دار الغرب الاسلامي .

5 _ ابن حوقل , محمد بن حوقل البغدادي الموصلي , (ت بعد 367هـ) . (1938م) . صورة الارض . بيروت : دار صادر.

6_ الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز, (ت 748هـ) .(1985 م) . سير أعلام النبلاء . ط3 . مصر: مؤسسة الرسالة.

7_ا بن سيده, أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي, (ت 458هـ) . (1996م). المخصص . ط1. بيروت : دار إحياء التراث العربي .

8_ العزيزي , الحسن بن أحمد المهلبي, (ت 380هـ) . (2006م) . الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك. مصر : دار التكوين للطباعة والنشر .

9_ الفارابي , أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري, (ت 393هـ) . (1987 م) . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ط4. بيروت : دار العلم للملايين .

10_ القزويني , زكريا بن محمد بن محمود , (ت 682هـ) . (1960 م). آثار البلاد وأخبار العباد . بيروت : دار صادر .

11_ المقدسي , أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري, (ت 380 هـ) . (1991م) . احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ط3. القاهرة : مكتبة مدبولي .

12_ ابن منظور ,محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ) . (1414 هـ) . لسان العرب . ط3. بيروت : دار صادر.

13_ مؤلف مجهول, (توفي: بعد 372هـ) . (1423 هـ) . حدود العالم من المشرق إلى المغرب . محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي. القاهرة : الدار الثقافية للنشر .

14_ ياقوت الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ) . (1995 م) . معجم البلدان . ط2. بيروت : دار صادر.

ثانياً : المراجع

15_ إبراهيم , رجب عبد الجواد. (2002 م) . المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث . ط1. القاهرة : دار الآفاق العربية .

16 _ احمد , رمضان احمد .(بلا) . الرحلة والرحالة المسلمون . لبنان : دار البيان العربي .

17 _ اسلام , احمد مدحت .(1999م) .علماء العرب والمسلمين واجازاتهم العلمية في بناء الحارة الانسانية . ط1. القاهرة : دار الفكر .

18_ الزركلي , خير الدين محمود . (2002م) . الاعلام . ط15. بيروت : دار العلم للملايين.

الهوامش

(1) اصطخر : مدينة كبيرة وقديمة، بفارس، يقال: إن كور فارس خمسة أكبرها وأصلها كورة اصطخر, وكان بها مقام الأكاسرة ، وبها أبنية فيها نقوش وتصاوير قديمة. ولها نواح كثيرة، وفيها أبنية عجيبة تدعى مسجد سليمان , وبها تفاح تكون التفاحة الواحدة منه نصفها حامض ونصفها حلو. وفي جبلها معدن الحديد وفي أطرافه معدن الفضة. (مجهول , 1423هـ, ص 144؛ البغدادي, 1412هـ , ج1 , ص 87)

(2) وهو يقصد هنا القرامطة الذين ظهروا في عهد المكتفي العباسي اذ سار يحيى بن زكرويه القرمطي وحاصر دمشق الا انه قتل في الحصار وقام بعده اخوه الحسين وسار المكتفي الى الرقة وعظم البلاء بالقرامطة واوقع بهم العسكر حتى قتل الحسين القرمطي سنة 290هـ . (الذهبي , 1985م , ج13 , ص ص 481_ 482) .

(3) بلاد السودان : منطقة واسعة وجميع بلدهم في الإقليم الثاني وأوّله على البحر المحيط غانة ثمّ كوغه ثمّ سامه ثم غريوا ثمّ كزم ومعهم بعد المفازة التي بين الزنج والبحر المحيط النوبة والحبشة والزنج. (ياقوت الحموي ,1938م, ج2 ,ص 527)

(4) النوبة والبجة والحبشة : هم اجناس من ولد كوش بن كنعان , تقع بلادهم الى الشرق من بلاد السودان , وبحر السودان والزنج والأحابيش وغيرهم هو عن يمين الهند.(البكري , 1992م, ج1 , ص 320) .

(5) الرماك : الرَّمَكة الفرس الانثى وَالْجَمْعُ رِماك ورَمَكات وأَرْماك (الفارابي , 1987م, ج 4 ص 1588 ؛ ابن منظور , 1414هـ , ج10, ص 434)

(6) البراذين : البِرْذَوْنةُ الفرس الَّتِي تُتَّخَذُ لِلنَّسْلِ .(الفارابي , 1987م, ج 4 ,ص 1588؛ ابن منظور , 1414هـ , ج10, ص 434) .

(7) نزوة: جبل بعمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم فيها قوم من العرب كالمعتكفين عليها وهم خوارج إباضية يعمل فيها صنف من الثياب منمّقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها ومآزر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها، رأيت منها واستحسنتها.(ياقوت الحموي , 1995م,ج5, ص 281).

(8) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت المحدثة، بينها وبين المسيلة ستّ مراحل بين تلمسان وقلعة بنى حمّاد. (البغدادي , 1412هـ, ج1, ص 251) .

(9) خوزستان : وهو اسم لجميع بلاد الخوز ، وهو نواحي أهواز، بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللّوز المجاورة لأصبهان. واستان في كلام العجم كالنسبة.(البغدادي , 1412هـ ,ج1 , ص 490)

(10) ارجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخل وزيتون وفواكه الجروم والصّرود، وهى برّيّة بحريّة سهلية جبليّة، بينها وبين البحر مرحلة. وهى من كورة فارس.(البغدادي , 1412هـ , ج1, ص 52)

(11) طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء من البرّ الأعظم وبلاد البربر، وهى قديمة أزليّة، على ظهر جبل، ماؤها في قناة تجرى إليهم من موضع لا يعرفون منبعه على الحقيقة، بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد، وهى أحد حدود إفريقية من جهة المغرب.(البغدادي , 1412هـ, ج2, 894).

[12] تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت المحدثة، بينها وبين المسيلة ستّ مراحل، بين تلمسان وقلعة بنى حمّاد. (العزيزي, 2006م, ص 48 ؛ البغدادي , 1412هـ ,ج 1, ص 251)

[13] القَبَاء: القباء بفتح القاف والباء: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية: قُباى، وهي تعني في الفارسية: ثوب مفتوح من الإمام. وفى العربية: القَباء بالفتح: من الثياب؛ الذي يُلْبس، والجمع: أقبية.(ابراهيم , 2002م, ص 378)

[14] القَلَنْسُوة والعِمَامة : مَا يُلاث على الرَّأْس تَكْويرا وَقد تَعَمَّم بهَا واعْتَمَّ وَإِنَّهُ لَحَسَن العِمَّة. (ابن سيدة , 1996م, ج1 , ص392)

[15] الطَّيْلَسَانُ بفَتْح اللامِ وكَسْرها وَالْفَتْح أعلَى ضَرْب من الأكْسِيَة وَيُقَال لَهُ فِي بعض الُّلغات طَيْلَس .(ابن سيدة , 1996م,ج1, ص 389)

[16] القَمِيص: القَميص بفتح القاف: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يُلبس تحت الثياب، ولا يكون إلا من قطن أو كتان أو صوف، والقميص: الدِّرْع، والجمع: أقمصة وقمُص وقُمْصان .(ابراهيم , 2002م , ص 404)

[17] كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز، وهي بلدة عامرة كبيرة وهي دمياط الأعاجم وذلك أن ثياب الكتّان التي على عمل القصب وشبه الشّطويّ وإن كانت حطبا تعمل بها وتباع .(ياقوت الحموي , 1995م,ج4,ص 429)

أاهم الاسر البصرية

جذورها التاريخية ودورها في التاريخ الحديث

إعداد

ا.د. جعفر عبد الدائم بنيان المنصور
كلية التربية للعلوم الانسانية –قسم التاريخ
جامعة البصرة
almansuorgafar@gmail.com

المستخلص :

اهتمت العديد من الدرسات التأريخية بتسليط الضوء على جوانب منختلفة من تأريخ المدن العراقية ومنها مدينة البصرة ذات التاريخ العريق وفي بحثنا هذا نحاول تسليط الضوء على اهم الاسر والعوائل التي استوطنت البصرة وعاشت سنوات طوال في المدينة بالرجوع الى جذورها واصولها التاريخية ثم التطرق الى دورها في مجالات الحياة المختلفة فمنهم الوزير والنائب في الحكومات المختلفة ومنهم من ساهم في تطور المدينة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية و السياسية فضلا عن العوائل الدينية التي عرفت بها المدينة .ان تسجيل تأريخ تلك العوائل والبيوتات البصرية هو جزء لا يتجزء من تاريخ البصرة الحديث والمعاصر اذ يعبر عن مدنية البصرة وحيويتها وتفاعلها مع الدول المجاورة لها وانفتاحها على دول العالم الاخرى من خلال صلاتها التجارية والثقافية اذ ان المدنية تميزت بحركة تجارية واضحة منذ 1624 وكانت اسواقتها ملتقى التجار والرحالة والمؤرخين والشعراء من مختلف اصقاع العالم ، ومن خلال ما تقدم ظهرت لنا العديد من العوائل البصرية التي تميزت بشاطاتها في مختلف المجالات حاول البحث تسليط الضوء عليها .

الكلمات المفتاحية :((جمال الدين ، الزهير ، الغريفي ، السعدون ، النقيب ، الملاك ، باش عيان))

Summary :

Many historical studies have focused on highlighting various aspects of the history of Iraqi cities, including Basra, which has a rich history. In this research, we aim to shed light on the most important families that settled in Basra and lived for many years in the city, tracing their roots and historical origins. We will then discuss their role in various aspects of life, with some serving as ministers and representatives in different governments, while others contributed to the development of the city economically, socially, architecturally, and politically. There were also many religious families that became prominent in the city.

المقدمة :

اختلفت الاسر البصرية باختلاف نشاطاتها فمنها ما تميزت بنشاطها السياسي مثل عائلة باش عيان والنقيب والسعدون ومن تميزت بالنشاط التجاري مثل عائلة الشمخاني والملاك والزهير والمنديل والخضيري فضلا عن الاسر التي تميزت بنشاطها الاجتماعي والديني في المدينة مثل ذلك عائلة الرديني والرفاعية وال جمال الدين وهناك الكثير من العوائل الاخرى كان لها دور في البصرة الا ان الباحث لم يحصل على معلومات تفصلية عنها في هذا البحث كون معظم افرادها قد توفي او هاجر وترك البصرة لذلك ترك امرها الى بحوث قادمة ان شاء الله وهو مشروع كتاب يتصمن غالبية تلك العوائل التي عاشت في مدينة البصرة خلال القرون الخمسة الاخيرة .

على ضوء ما تقدم تم تقسيم البحث الى ثلاثة محاور درسنا في المحور الاول العوائل التي تميزت بنشاطها السياسي في المدينة ثم تطرقت المبحث الثاني الى العوائل التي تميزت بالنشاط التجاري والاقتصادي كون البصرة تعد المدينة التجارية الاولى في العراق وخلص المبحث الثالث الى دراسها الجوانب الاجتماعية والثقافية من خلال التطرق الى العوائل التي تميزت بنشاطها الديني والثقافي واثرها في المجتمع البصري وما تركته من ارث حضاري وثقافي تميزت به المدينة عن غيرها من مدن العراق

وخلاصة القول ان العوائل البصرية كانت على نوعين اولها بصرية الاصل والموطن وهم من اصول عربية خالصة اما النوع الاخر مهاجرة الى المدينة من المناطق والدول الاخرى استوطنت البصرة وشكلت النسيج الاجتماعي للمدينة عبر العصور وساهمت مساهمة فعالة في تاريخ البصرة وبناء حاضرها الحالي وذابت في البودقة البصرية لتشكل وحدة النسيج الاجتماعي المتجانس والذي تعيشه المدينة حتى الوقت الحاضر.

عائلة ال باشا عيان:-

النسب :

يعود نسب عائلة باشا عيان الى الخلفاء العباسيين الذين حكموا العراق بعد انتصارهم على الحكم الاموي (132هـ) والذين يعود نسبهم الى عم النبي محمد (صلى الله علية واليه وسلم) عباس بن عبد المطلب[1] . وان الجد الاعلى لعائلة باشا عيان من المتواجدين (عبد الواحد الكبير) المتوفي في البصرة عام 1851, يعود نسبة الى الخلفاء العباسيين.

نسب الشيخ عبدالواحد (بن عبداللطيف بن ياسين بن محمد بن شعيب بن احمد بن علي بن داود بن محمد بن مصلح بن شيخ المشايخ الولي عبد القادر الكبير الاول بن الولي ساري بن حسن الضاغن بن علي الاضيع بن عبدالسلام الكبير الاول بن علي الساري بن احمد شهاب الدين بن محمد بن الشيخ ابراهيم بن الامير محمد نورالدين بن الامير حسين أبي محمد بن الأمير يوسف أبي حسين بن الأمير هاشم أبي منصور بن الخليفة العباسي الثالث والثلاثين أبي محمد الحسن المستضئ بالله بن العباسي يوسف المستنجد بالله بن محمد المقتفي بالله بن احمد المستظهر بالله بن عبدالله المقتدي بالله بن الأمير محمد ذخيرة الدين بن العباسي القائم بالله بن احمد القادر بالله بن أبي محمد اسحق بن العباسي جعفر المقتدر بالله بن احمد المعتضد بالله بن الامير أبي الفضل طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله أبي جعفر المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد بن حبر الامة عبدالله بن عم الرسول العباس.[2])

لقب العائلة:-

لقد كان اجداد هذه العائلة يطلق عليهم الامير, حيث كان يطلق على جدهم الامير هاشم ابن المستضئ بالله, وبقية هذا القب حتى سقوط بغداد بيد المغول عام (656هـ \1258م) وانتقال الاسرة الى البصرة وعرفت بالأسرة العباسية, وبقية هذا القب يلازم العائلة حتى عرف احد اجدادهم (ابراهيم بن محمد نور الدين) بلقب الشيخ, وذلك الشدة ورعة وعلمة الديني. وبقيت الاسرة في توجهها الديني حتى غلب لقب الشيخ على لقب الامير[1].

وان لقبهم الامير لانهم ينحدرون من عائلة مالكة حكمت العراق العدة قرون الا ان هذا القب لم يعد يلائم روح العصر, ومن اجل المحافظة على هذه المكانة كان عليهم يجاد لقب مقارب الى لقب الامير فكان لقب الشيخ, حيث ان هذا الاخير قريب لهم كونهم تعود جذورهم الى اسرة عبد المطلب جد رسول الله (صلى الله علية والية وسلام).

وبعد استقرارهم في البصرة, برزت اهم الشخصيات هذه الاسرة, حيث تميزوا بقوة شخصيتهم الاخلاقية وعملهم الديني اشهرهم (الشيخ عبدالسلام الكبير الاول) بن الشيخ علي الساري بن احمد شهاب الدين بن محمد

العباسي, اما في القرن السادس عشر برز الشيخ عبدالقادر الكبير الاول الذي نسبت الاسرة الية, وخلال هذه الفترة انتشرت في البصرة الطريقة (الشاذلية الصوفية[2]) وقد تبناها ونشرها في البصرة (محمد أمين الكواز[3]) .

وبعد وفاة (محمد امين الكواز) اصبح الشيخ عبدالقادر الكبير الاول من اهم مشايخها, حيث اعجبته الطريقة الصوفية الشاذلية هو وأولاده, والتي سميت في البصرة بالطريقة الكوازية نسبة الى (محمد امين الكواز).

بعد ان تمكن العثمانيين من فرض سيطرتهم على البصرة عام 1547في عهد السلطان (سليمان خان الاول القانوني) حيث وجدة عميد الاسرة عبدالقادر مكانة الاسرة الدينية والاجتماعية بسبب نسبهم الهاشمي, مما جعله السلطان القانوني يصدر فرمان لقب للأسرة (شيخ المشايخ).

وبعد شيخ المشايخ عبدالقادر برز نجم نجلة (عبدالسلام الثاني) حيث في عام 1707 منح السلطان العثماني (احمد خان الثالث) لقب (باشا عيان) الى الاسرة العباسية, ويعني بالتركية رئيس الاعيان ويمنح حاملة امتياز العضوية الاولى والدائمة في مجلس ولاية البصرة والعضوية الاستشارية في مجلس حاكمها, بقيت الاسرة محافظة على هذا القب حتى وفاة (عبداللطيف بن ساري الكواز العباسي) حيث بقيه لقب باشا عيان يمنح بوجب السلطان العثماني لكبار العائلة حتى بلغه ثمانية فرمانات منحت لهم, وفي عام 1852 امره السلطان عبدالعزيز بإصدار اخر فرمان منح بموجبة عميد الاسرة (محمد بن عبدالواحد الكبير بن عبداللطيف بن ياسين العباسي) لقب باشا عيان ليشمل جميع افراد الاسرة[1].

استقرارهم في البصرة:

قبل اجتياح هولاكو بغداد عمد الجد الاعلى الامير هاشم بن المستضئ بالله الى شراء بعض الاراضي والبساتين هو واخوته في البصرة القديمة تقع قرب الزبير حاليا, وبقيت العائلة تتردد على هذه الاملاك ما بين بغداد والبصرة, حتى هجوم المغول على بغداد وسيطرتهم عليها عام 1258, استقروا وبشكل دائم في هذه الاراضي الى عام 1407 لم تعد هذه المدينة صالحه للعيش وذلك العدة اسباب, جفاف المياه وانتشار الأوبئة وايضا ضعف السلطة السياسة في تلك الفترة, مما ساعد العائلة على الانتقال الى مكان افضل في البصرة بقيادة عميدها (علي الساري بن احمد شهاب), وهم اول من سكنوا هذه المدينة التي تبعد حوالي (23) كيلومترا الشمال الشرقي من البصرة القديمة, واسسوا مناطق سكنية واهمها (المشراق[2]) .

عائلة النقيب:

النسب:-

وهذه العائلة من السادة الاشراف الهاشميين, حيث يعود نسبهم الى الائمة الاطهار من (الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي) (عليهم السلام), وعرفت العائلة بالزهد والتقوى والاعمال الخير والبر, وهي من الاسر القديمة في البصرة, ويرجع نسب الموجودين منهم الى السيد احمد بن السيد سلطان بن يحيى بن ثابت الرفاعي, وهم ايضا اعتنقوا الطريقة الصوفية التي انتشرت في البصرة وارجاء العالم الاسلامي ولكن باسمهم الطريقة الرفاعية[1].

لقب العائلة:-

لهذه العائلة لقبأ, الاول نسبته الى جدهم الاعلى السد (رفاعة الحسن المكي) لذلك سموا بالرفاعين, ولكن مع مرور السنين وبروز شخصيات رجالهم وتدخلهم في الامور السياسية في زمن العباسيين مما جعلهم يحصلون على وظيفة النقابة, حيث كانت تمثل هذه الوظيفة السلطتين الروحية والزمنية, وبهذا اصبح لقبهم ال النقيب.

ولكن في زمن العثمانيين انتزعت السلطة الزمنية (السياسية) من العائلة كون نفوذهم اصبح متزايد في البصرة, وهذا لم يمنع الناس من التجاء الى زعماء العائلة في حل الامور السياسية واستخدام العائلة هذه السلطة بسبب ضعف العثمانيين في البصرة, حيث اخذ الناس في البصرة يلتجؤون الى عائلة النقيب بعد ظلم الوالي العثماني عليهم ويشكون مظلامهم الهم, قد اشتهرت شخصيات هذه العائلة في القرن التاسع عشر ومن اهمهم (السيد احمد والسيد حامد والسيد رجب نقيب الاشراف في البصرة), ومن ابرز شخصيات العائلة الذين اعادوا مكانة العائلة ومقامها السياسي (السيد عبدالرحمن افندي النقيب رئيس الوزراء في بدايات الحكم الوطني من عام(1920-1922) ونقيب اشراف بغداد), (والسيد طالب باشا النقيب امير البصرة وزير الداخلية في حكومة النقيب في بدايات عام 1921, الذي كان له دورا سياسيا مهما في البصر خاصة والعراق عامة[2].

تواجدهم في البصرة:-

سكنت الاسرة الرفاعية (ال النقيب) في البصرة بقرية السبيليات الموجودة في أبي الخصيب جنوب البصرة وفيها قصورهم ودواوينهم, وايضا وجود قصران فخمان للسيد (هاشم بن احمد النقيب) ويوجد جامع وضريح للسيد (رجب الرفاعي) وبقية اجدادهم, وكان للأسرة املاك اخرى بقريتي (كوت السني و الطالبية) في شرق البصرة, ويضاف ايضا وجود بيتهم الكبير الذي بناه جدهم (السيد محمد سعيد النقيب) في القبلة الموجودة غرب محلة الصفاة على طريق باب الزبير, وديوان مفتوح للزائرين يستقبلون الضيوف فيه, وهذه

اصبحت من المحلات المزدهرة في البصرة, ويوجد للسيد احمد باشا النقيب قصور في محلة السعودية والكزارة[1].

ان عائلة النقيب جعلت الها املاك في البصرة من اجل فرض هيبتها على المجتمع البصري وان يكونوا هم مركز مهم للناس حيث لا تستطيع الدولة الاستغناء عنهم في المحكم وكونهم يأثرون على الناس حيث جعلت دواوينها مفتوحة للناس تستقبل فيها مظاليمهم وشكواهم, وقد زادت امتلك ورثة (السيد حامد بك النقيب) معظم مزارع النخيل في قرية الدير بشمال البصرة , وامتلك (السيد عبدالله بن علي الرفاعي) اراض في قرية المهيجران بجنوب البصرة, وامتلك (السيد زيد الرفاعي) أراض في قرية أبي المغيرة ايضا في جنوب البصرة, وللآسرة املاك او اوقاف ف قريتي النشوة ونهر حسن بشرق البصرة, وللسيد نجم الدين النقيب دار في شارع الاحنف بوسط البصرة, وايضا وجود شارع في البصرة باسم العائلة (شارع النقيب) فيه دار قديمة لأسرة النقيب[2].

عائلة ال الملاك:-

النسب:-

تعود جذور عائلة ال الملاك الى احد افخاذ بني تميم من عشيرة الحلاف[1], وهم من نسل الحاج حمود باشا وحمد اولاد الحاج محمد بن خضير الملاك, ومن كبار شخصيات العائلة حمود باشا الذي حصله على وسام من الحكومة العثمانية نتيجة خدماته لهم وانجب ثلاثة ابناء هم عبود الملاك وحبيب الملاك وعبدالجبار الملاك[2].

لقيب العائلة:-

من اجل ان تتميز عن باقي العوائل البصرية اتخذت العائلة لقب الملاك, وسبب اختيارها هذا القب هو امتلاكها حيازة الاراضي والعقارات والتعاطي في بيعها وشرائها, مما يؤكد ذلك حجة البيع " البايع حسون بن ملا محمد الشهير بالملاج المشتري جناب السيد الاكرم محمود نجل المرحوم السيد عبدالرحمن الرديني وذلك جميع السهم وثلث السهم من اصل خمسة وتسعين سهما من جميع الارض الواقعتين في ارض نهر حسن....."[3].

وبقية لقب الملاك يرافق العائلة ويطلق عليهم واطلقه على احد اجدادهم ابن الملاك او الملاج, ولكن معظم حجج البيع يطلق كلقب للعائلة ولم تسبقه كلمة (ابن), واستمر هذا لقب يطلق عليهم بسبب ازدهار تجارتهم وكثرة شرائهم للأراضي وبيعها حتى اصبح اسم للعائلة.

تواجدهم في البصرة:

استقرت العائلة في البصرة منذٌ الزمن القديم اي في اوائل القرن التاسع عشر الميلادي, واتخذه افرادها العمل في التجارة حيث كانت مهنتهم الوحيدة, اضافة الى اعمال الخير التي عملوا بها, وبناء الجوامع والحسينيات في البصرة وخارجها ومنها (جامع العشار) و(جامع حمود الملاك في محلة البجاري عند نهاية شارع الكويت الحالي)[1].

في عام 1904 شيدت العائلة جامعا في الثكنة العسكرية (القشلة) بالعشار ليصلي فيه افراد القوات العسكرية العثمانية ولكن عند الاحتلال البريطاني للبصرة عام 1914 هدمت الجامع, اما في محلة كوت الجوع[2] تأتي بعد التنومة التي توجد فيها قصر عبود بيك الملاك بن الحاج حمود باشا.

ولم تقتصر اعمال العائلة على البصرة وحدها بل شملت معظم محافظات العراق حيث قاموا ببناء جامع ومغتسل (أمغيسل) في الروضة العباسية الشريف بكربلاء, وبناء جامع في النجف الاشرف وملجا خيريا وحسينية, من اجل كسب ومودة الشعب العراقي, حيث عملت العائلة في اواخر العهد العثماني على نصب قدور كبيرة بعد ان اصابت البصرة مجاعة وعمله حمود باشا الملاك طبخ الطعام في المقبرة (ام البروم)[3] التي اصبحت جزاء من المدينة والتي عرفت بعد ذلك باسم (ساحة ام البروم)[4].

عائلة ال الرديني:-

النسب:-

ان عائلة ال الرديني هي احدى فروع السليمانيين[1] الحسنيين الذين تعود ذريتهم الى الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام), وهي فرع من الاشراف الجعافرة[2] التي سكنت اليمن, وتنسب الى الجد الاعلى وهو الشريف احمد الرديني[3], اما عائلة الرديني المتواجدة في العراق والبصرة خاصة يعود نسبهم الى الامام علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام), وان محمود الرديني هو الجد الخامس للعائلة حاليا, ومن اشهر شخصيات العائلة هو (رجب بركات الرديني).

لقب العائلة:-

اختلفت المصادر في لقب العائلة حيث يعود اسم عائلة الرديني في موسوعة البصرة (احمد باشا عيان) الى بلدة (ردين في المدينة المنورة), اما مصدر اخر يقول ان اسم العائلة نسبة الى جدهم رديني هو الجد الجامع لعشيرة الردينية ويطلق عليهم (الدريبات) نسبة الى جدهم (درب), وان الرديني هو مؤسس العائلة[4].

تواجدهم في البصرة:-

ان عائلة الرديني نزحوا من المدينة المنورة الى وادي (سردد) في الاحساء ولكنهم لم يبقوا فيه حيث انتقل جدهم الشيخ (ابراهيم) الى العراق وتحديدا في جنوب البصرة في عام (1520هـ-926م) في اواخر الحكم

الشاه الصفوي (اسماعيل الاول) للعراق وبدايات حكم الشيخ (المنتفق) غانم بن زيد ال مغامس على البصرة, وانهم اول العائلات التي سكنت في قضاء ابو الخصيب جنوب البصرة حيث استقره الشيخ ابراهم وعائلته بقرية الشيباني.

اما مركزهم الديني فقد كانت العائلة لهم طريقتهم الصوفية في التعبد والذكر حيث كان الشيخ ابراهيم اتصال مع شيخ الطريقة الشاذلية بالبصرة (جمال الدين محمد امين الكواز), كان الشيخ ابراهيم طموح في تقوية الاسرة وذلك عن طريق المصاهرة مع احد الشيوخ المتصوفة في البصرة وهو (حبيب الله الكازروني)[1], مما جعل الاسرة تصبح ذات مكانة دينية واجتماعية بالبصرة وهذا ما جعل السلاطين العثمانيين بإصدار فرمان اعفاء املاكهم العقارية والزراعية والخيرية من الرسوم والضرائب.

لقد كان العائلة الرديني املاك متعددة في مناطق والقرى البصرة الشمالية والجنوبية, ومنها اوقاف في المحلة الصوفية في الجهة الشمالية للسيد طه الرديني, واوقاف بقرية سيحان جنوب البصرة للسيد عبدالقادر الرديني ودار وشارع الردينية في وسط البصرة, وبجنوب البصرة يوجد املاك بقرية الرهوالي للسيد حسين الرديني , وايضا للأسرة املاك بقرية باب ميدان وفي ابو الخصيب واوقافا بقرية باب جليع شرق البصرة, وللسيد صالح الرديني دار في شارع ابن غزوان[2].

عائلة ال الشمخاني:-

النسب:-

يرجع نسب الشمخاني الى عشيرة ربيعة من (فخذ الشماخنة) حيث كانت تقطن في عربستان. وكان زعيمها آنذاك الشيخ عواد والذي اشتهر بمعاداته للسلطة الفارسية (الايرانية). وبعد كثرة جور السلطة علية وعلى عشيرته قرر النزوح الى البصرة والسكنى في الاراضي المسماة (الكباسي) نسبة الى نهر الكباسي المتفرع من شط العراب وكان مع الشيخ ولداه الشيخ ناصح والشيخ ابراهيم وقسم من اهل بيتة وعشيرته.

ولما عجز الشيخ عواد عن ادارة امور العشيرة تركها لولده الاكبر الشيخ ناصح حيث بلغه السادسة والثلاثين من عمره وصار صاحب الكلمة النافذة والرأي المحترم بين جميع عشائر البصرة. اما علاقة الشيخ ناصح مع الاتراك لم تكن جيدة بالمتوترة وذلك بسبب سلطته ونفوذه على عشائر البصرة وعدم خضوعه السلطة الاتراك وسعية للاستقلال مما ازعجه الاتراك وبذلك جهزوا حملة من اجل القضاء علية وانهاء العصيان العشائري بالعراق. وصلت الحملة النهرية الى البصرة وضربت داره وهدمتها واصيب الشيخ ناصح برصاصة في فخذه وحاصرت الحملة داره وتمكنت من الاستيلاء علية وقطع راسة على يد جندي تركي.

وشاهدة اخوه الشيخ ابراهيم ذلك مما اثارة المخاوف فيه حيث جمع الاموال والعائلة وباقي العشيرة ورحلة بعيدا عن المعركة حتى هدأت الاوضاع وانتهت المعركة وانسحبت الحملة التركية من البصرة, فعاد الشيخ ابراهيم الى المحلة من اجل ادارة امور العائلة والعمل والكنة لم يحسن ادارتها[1].

عائلة ال الزهير:-

النسب:-

عائلة الزهير من الاسر العريقة في موطنها الاصلي ببلاد العارض بنجد في المملكة العربية السعودية, وعاشت في مدينة حرميلاء تقع شمال غرب الرياض, وهم بيت "مجد وتجارة ورياسة وخير ولهم الثروة التامة والتقدم والجاه كابرا من كابر وكانت لهم الصولة البصرة"[1] .

ومن مشايخ ال زهير محمد جلبي الزهير "كان من اكابر العرب يقرى الضيف ويبذل الطعام بشوشا كريما حليما"[2], ويعود اصلهم الى ربيعة ولا كنهم هاجروا من السعودية بعد انتشار الدعوة الوهابية[3], واول من هاجر هو يحي بن سليمان بن محمد الزهير وابنائه يوسف وسليمان, وهاجروا الى البصرة واستقروا في الزبير وبنوا لهم بيوتا من القصب هناك, واصبح يحي صاحب نفوذ وجاه, حيث ان الزبير بلدة صغيره مهددة من قبل الوهابيين مما اضطرا اهلها ارسال وفد يقودهم يحي الزهير الى بغداد لمقابلة الوالي العثماني سليمان باشا عام 1797 من اجل طلب اعانة مالية من الدولة وذلك البناء سور للمدينة وحمايتها, وايضا زودهم الوالي ببعض الاسلحة للدفاع عن الزبير وصد خطر الوهابيين عنها, واصبح يحي شيخا واتسع نفوذه اكثر ولما توفيه سافرا ابنه سليمان الى حلب وبقي يوسف الذي لمعة اسمه اكثر في الزبير[4].

عائلة ال جمال الدين:-

النسب:-

أسرة ال جمال الدين علوية النسب يرجع نسبها الى الامام علي بن ابي طالب (علية السلام) من نسل السيد موسى المبرقع ابن الامام الجواد (علية السلام), والجد الاعلى للعائلة هو الميرزا عبدالنبي هو ابن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد عبدالله بن السيد حسين بن السيد عز الدين بن السيد عبدالله بن السيد علاء الدين بن السيد احمد بن السيد ناصر الدين بن السيد جمال الدين بن السيد حسين بن السيد تاج الدين بن السيد سليمان بن السيد غياث الدين بن السيد ابراهيم بن السيد يونس بن السيد حيدر بن السيد اسماعيل بن السيد أبي اسماعيل بن السيد احمد بن السيد أبي القاسم بن السيد أبي احمد موسى المبرقع بن الامام محمد الجواد (علية السلام), اما مؤسس العائلة فهو السيد ابو احمد جمال الدين الحاج ميرزا محمد[1].

لقب العائلة:-

لقد لقبت عائلة جمال الدين بلقبين, القب الاول والاكثر شهره لها هو ال جمال الدين حيث يعود سبب التسمية للجد السيد احمد ميرزا محمد بن عبدالنبي, اشتهر بهذا القب نتيجة مناظره جرت بينه وبين عالم اشعري في بغداد بالقرن الثاني الهجري وبذلك تغلب علية القب.

اما لقبها الثاني والذي اشتهرت به بين الناس لقب (الميرزات) ويعني السادات, والميرزا كلمة فارسية هندية يقصد بها السيد او الامير, ولقب اول مرة السيد عبدالنبي بالميرزا عندما سافر الى الهند لغرض التجارة, فكان بالهند من له رياسة وجاهة يلقبونه بالميرزا[2].

عائلة ال الذكير:-

النسب:-

ان عائلة ال الذكير من العوائل العربية المشهورة بالاقتصاد, يعود نسبها الى ال ساعدة أحد افخاذ عشيرة عتيبة التي تعود الى هوازن[1], وكانت تنتمي الى ال ساعدة حليمة السعدية مرضعة الرسول العربي الكريم محمد (صلى الله علية واليه وسلم) ان علاقة ال الذكير بال ساعدة تعود العوام طوالا, وذلك بسبب ان جدهم الخامس ماجد يسكن البادية ضمن عشيرة ال ساعدة.

وبعد فترة من الزمن ترك ماجد البادية وسكنى بالحضر (المدن) بسبب الخلافات والنزاعات التي حدثت بينه وبين ابن عمه, فسكنة بالزلفى الواقعة في اراضي القصيم التي يفصلها وادي عن السدير فعاش فيها مدة طويلة حتى وفاته وخلفه بعدة ابنه ابراهيم, وبعد موت ابراهيم خلفه محمد, واتخذ محمد التجارة عمل له وكانت تجارته بين الزلفى والزبير بواسطة القوافل الجمال, وهذا اول عهد لهم بدخول أرض العراق عام (1150هـ) (1737-1738م)[2].

لقب العائلة:-

لم يكن لقب العائلة الذكير هو القب الاصلي بل كانوا يلقبون بال ماجد نسبة الى جدهم الاعلى, ولكن الشيخ محمد حينما عمل بتجارة بين الزلفى والزبير أخذ يدرب ولده مقبل على اعمال التجارة وهو في الخامسة عشر من عمرة, كان مقبل ذكيا فطنا رغم حداثة سنه كثير الحركة ودقة الملاحظة يساعد والده بأعمالهم التجارية ويرافقه الى الزبير مع القوافل, في احد السفرات عام (1160هـ) (1747-1748م) كان مع القافلة شخص اسمة مقبل ايضا وهو خادم القافلة ومساعدهم, وعند مناداة مقبل (المساعد) جاء مقبل ال ماجد ولبى الطلب وقام بالواجب, مما ادى للالتباس بينه وبين المساعد الذي كان مكلف بخدمة القافلة, ومن هنا ومن اجل احترام مقبل ال ماجد نجل الشيخ محمد اطلقوا علية لقب الذكير, ويعني الذكير الذكي الفطن النشط

الجريء ومن هذا العهد اتخذه مقبل لقب الذكير وذلك سنة (1170هـ) (1756-1757م), وهكذا لقب بنوه وأهلة من بعده بهذا القب حتى يومنا هذا[1].

تواجدهم في البصرة:-

تزوجه مقبل أمراه نجدية عام 1762م ورزقة منها اربعة اولاد, توسعت تجارة مقبل وكثرة تردده على الزبير تزوجه من احدى نسائها عام 1768م ورزقة منها ابنة عبدالرحمن, الذي سار على نهج ابيه بالتجارة حيث توسعت تجارته في العراق بين البصرة والكوت (واسط), ورزقه بخمسة أولاد (محمد وفهد ويحي ومقبل واحمد), واتخذه ابنه محمد العراق موطنا له وسكن مدينة الحي في لواء الكوت دون اخوته الذين بقوا في نجد, وأبقى على اعمال ابية وجدة التجارية بين الحي والبصرة ووسعها اكثر ورزقه بخمسة اولاد (زيد وعبدالعزيز وعبدالله وسليمان وحمد), حيث عمل سليمان بن محمد على تغير خط القوافل التجارية البرية عام 1895م الى خطوط السفن البحرية بين موانئ البصرة والهند, وفتح مكتبه التجاري الاول في البصرة عام 1897, امام اخيه حمد جاء الى العراق عام 1893م وعملة في التجارة بين الحي (الكوت) وسوق الشيوخ في ذي قار وقلعة صالح (العمارة) والزبير في البصرة , توسعت اعمال بيت الذكير في البصرة وحققوا نجاحات متواصلة فيها حتى اصبحت من العوائل المرموقة في البصرة[2].

عائلة ال المنديل :-

من الأسر العربية النجدية المهاجرة للبصرة, واصبحت ذات مكانه مهمه في المجتمع البصري, ان عائلة المنديل تنتمي الى عشيرة الدواسر[1] النجدية التي تسكن في وادي المسمى باسمها, ويرجع نسبهم الى جدهم منديل وكان شخصية بارزه ومعروفة في مسقط رأسه جلاجل في نجد حيث عينه حاكما عليها لأنه من كبار الملاك والوجهاء النجديين في منتصف القرن (الثاني عشر الهجري – الثامن عشر الميلادي).

اضطرا الى بيع ممتلكاته ونقل الاموال الى البصرة وذلك بسبب النزاعات والصراعات بينه وبين افراد اسرته والقبائل المتنافسة على الرئاسة والسيطرة على نجد, وايضا بسبب انتشار الحركة الوهابية وكثرة الحروب التي جرت مما ادى الى المنديل ان يترك نجد هو وافراد عائلة والهجرة الى العراق من اجل التخلص من الصراعات الدموية التي حدثة في نجد[2]

لقب العائلة:-

أن لقب المنديل لم يكن حدث اصابه العائلة او عمل اشتهرت بيه فاتخذته لقبا لها, وانما هو اسم جدهم الاعلى لهذه العائلة فأصبح هذا لقبهم يسمون انفسهم به على مر الاجيال, حيث اصبحت اسرة المنديل من الاسر المرموقة والمشرفة في العراق والبصرة خصوصا.

تواجدهم في البصرة:-

لكثرة الحروب والصراعات كما ذكرت سابقا, اضطر ابراهيم المنديل الهجرة الى العراق واسقرا في البصرة بمدينة الزبير وتزوج من احدى نسائها.

عمل في البيع والشراء وبعد ان اصبح معروفا لدى اهلها كلفته الحكومة التركية بنقل البريد الزبير والخميسية على حصان, ولعمله الجيد وجرأته تعرف على أحد شيوخ المنتفك وهو السيخ فهد السعدون حيث كلفة ببيع كمية كبيرة من الرز في البصرة والربح مناصفة بينهما.

وعند وصوله الى البصرة أتصل بتجارها امثال عبدالعزيز الصانع والشبيلى وعرض عليهم الصفقة لكنهم عرضوا ان يأخذوها بطريق السعي ثم يصرفونها بالطريقة التي يرونها وثم توزيع أرباحها, ففكر ان مثل هذه الطريقة تذهب بالربح الذي يحلم به فأبى ذلك.

ولكن أستطاع برجاحة عقلة ان يحوز الربح كله لكنه أستفاده من الجماعة بأن مهدوا له الطريق غير مباشر بخصوص جلبها الى البصرة وتحميلها, وبدوره حملها الى الهند وباعها بربح وفير فأودعه حصته في احدى البنوك بعد ان أعاد للشيخ فهد السعدون حصته من الربح.

عرفة ابراهيم المنديل بعطفة على الفقراء والنازحين من أهل نجد بسبب الحركة الوهابية وكثرة الحروب, حيث عملة على بناء منزل كبير في الزبير بمحلة البراحة ليكون مأوى لهم[1], وبذلك اصبحت عائلة المنديل من كبار عوائل البصرة ولتي اصبح لها دور فعال فيها.

عائلة ال الصوافي:-

النسب العائلة:-

وهي من اكبر وأعرق العشائر العلوية في العراق, حيث يرجع نسبهم الى الامام موسى بن جعفر (علية السلام), وان الجد الاعلى للعائلة هو السيد علي الصافي بن السيد محمد رضا بن السيد علي بن السيد صافي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد عبدالعزيز بن السيد احمد بن السيد عبد الحسن بن السيد حردان بن السيد حسان بن السيد موسى بن السيد عبدالله بن السيد حسن ين السيد علي (المهاجر الاول من الحجاز) بن السيد محفوظ بن السيد ثابت بن السيد موسى بن السيد محطم بن السيد منيع بن السيد سالم بن السيد فاتك الكبير بن السيد علي بن السيد سالم بن السيد علي بن السيد صبره بن السيد موسى العصيم بن السيد جعفر بن الامام موسى الكاظم (علية السلام), وهم بيت علم وجاه ومعرفة[1].

لقب العائلة:-

ان سادة الصوافي كانت لهم القاب متعددة, فقد كانوا يطلق عليهم السادة الخواريون وذلك لأن اسلافهم يسكنون (خوار) وهي احدى قرى مكة المكرمة قرب برزة وبذلك اطلق على جدهم جعفر الخوري, ولقبوا بالشجرين لكونهم استقروا في مواضع كثيرة الشجر, ولقبوا بالفواتك نسيتا الى جدهم فاتك, وال رشيد نسبتا الى جدهم راشد, وايضا الجبيلة نسيتا الى منطقة الجبيلة في البصرة, ولكنهم علب عليهم لقب الصافي نسبتا الى جدهم السيد صافي صاحب الشهرة والمقام الرفيع واشتهروا جيل بعد جيل بلقب الصوافي حتى يومنا هذا[2].

عائلة السعدون:-

النسب:-

ان عائلة السعدون هم شيوخ المنتفك وهم اشراف المهاينة[1] وأمراء المدينة المنورة, وتنتسب الهم عدة عوائل عائلة الشواي السعدون وعائلة الظاهر العلي السعدون وعائلة البراك السعدون وعائلة الصقر السعدون وعائلة عبدالعزيز السعدون, ويعود نسب ال السعدون الى الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الاعرج (الجد الجامع للسادة الأعرجية في العالم الاسلامي) بن الحسين الاصغر بن الأمام زين العابدين بن الأمام الحسين بن الأمام علي بن ابي طالب (علية السلام), وحملت هذه الاسرة الكريمة لواء عشيرة المنتفك المدة طويلة من الزمن[2].

لقب العائلة:-

اشتهرت عائلة السعدون بهذا الاسم نسبة الى جدهم الاعلى وهو الشريف سعدون بن محمد بن شبيب بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك بن سعدون بن ابراهيم بن كبش بن منصور بن جمار بن شيحة.

الذي تولى امارة قبائل المنتفك ولقب بأمير البر قاع وظله في امارته حتى انتهى به معتقل من قبل السلطات العثمانية لينفى بعدها الى الشام وظل بها حتى مات مسموما[3], واستمروا بهذا الاسم من جيل الى جيل حتى يومنا هذا

تواجدهم في البصرة :-

مثل ما ذكرت هم عائلة قريشية هاشمية علوية نزحت من الحجاز بسبب خلاف نشب بينها وبين بعض اشراف الحجاز, وكانت هجرتهم الى العراق في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي فأسست امارتها في الجنوب (البصرة) وامتد حكمها ما يزيد على اربعة قرون, واول من هاجر من عائلة السعدون هو الشريف حسن بن ابراهيم بن السعدون وقد استقرا في أراضي تابعة لبني مالك حيث استئجارها من زعيمهم (شيحان بن خصيفه), في عام 1500م تزوج الشريف حسن من طليعة بنت عبدالله بن خالد ال خصيفه, لما كان يتمتع

به من خصال جليلة وسلالة شريفة, وهي الاخرى من عائلة ذات شأن كبير فهي ابنة احد زعماء بني مالك, وانجت له ثلاثة ابناء (عبدالله ومحمد وشبيب).

واصبح لشريف حسن مكانة مهمه في البصرة, وذلك في عام 1530 نشب خلاف بين بني مالك وال الاجود أدى الى حدوث معركة وبما ان ال السعدون مستأجري اراضي بني مالك وهم ايضا اخوال اولاده وقفه الى جانبهم في المعركة والتي نتجه عنها مقتل ابنه عبدالله, وانتهت المعركة لطلب ال الاجواد الصلح الا ان بني مالك رفضوا الصلح بسبب مقتل عبدالله بن الشريف حسن, ولكن بعد مفاوضات طويلة وافق الشريف حسن على المصالحة ورفض الدية وبعد الحاح الطرفين على الشريف حسن ان يكون جاه لا يرد له طلب, واصبح الشريف حسن وأولاده الزعماء الروحانيين بين (الاجود وبني مالك) حتى ذاع صيتهم في العدل والحق وبذلك اتخذوا مكانة الزعماء والقضاة في أن واحد.

تمكنوا ال السعدون ان يصبحوا هم أمراء المنتفك المدة طويلة وذلك لأنه في عام 1540م حدث بين حاكم البصرة وبني مالك نزاعات اسفرت الى ارسال الجيوش لقيام المعركة بينهما, ولكن تمكن الشريف حسن من أرسال ابنه محمد للتوسط من اجل حل الخلافات بينهما وايقاف ارسال الجيوش, واحتراما المنزلة والعهد المقطوع على ان الا يرد له طلب قبلوا بالواسطة وسحبوا جيوشهم, واطلقوا بني مالك على ابنه الذي ارسله (محمد الوسيط), ولكن الخلافات بينهما لم تنتهي بل تجدد الصراع بينهما ولكن في تلك الفترة توفية زعيم بني مالك (شيحان بن خصيفه) واصبح كرسيه فارغ, وبعد فترة تمكنه اياس باش من السيطرة على البصرة وطرد حاكمها واصبح هو الحاكم الشرعي للبصرة, وذهب الشريف محمد وهو يحمل ايرادات بني مالك التي كانت ترسل الى الحكومة السابقة واعطاها للحكومة الجديدة وقال هي امانة في عنقي فأحترمه اياس باشا وأثنى على امنته, واصدر والي البصرة امرا ان الشريف محمد هو الرئيس الشرعي لعشائر لواء المنتفك[1] عامة وحاكما على البصرة وعشائرها واصبح الشريف محمد حلقة وصل بين الناس والوالي لعثماني, وبقى الشريف محمد واولاده واحفاده يتوارثون مشيخة المنتفك دون سواهم ولفترة تربعوا عليها الاربعمائة سنة, واصبح لهم مكانة مهمه في العراق حيث مدحهم الشاعر الرصافي في ديوانه.[2]

عائلة ال الغريفي :-

النسب:

ال الغريفي اسرة عربية الشمائل, هاشمية النسب وموسوية الانتماء, يعود نسبها الى الامام موسى الكاظم (علية السلام), وان الجد الاعلى والجامع لهذه العائلة العلوية, هو العلامة الحسين بن السيد السعيد الحسن بن احمد بن عبدالله بن عيسى بن خميس بن احمد بن ناصر الدين الفقيه بن علي كمال الدين ين سليمان فخر الاسلام بن جعفر بن موسى أبي العشائر بن محمد أبي الحمراء بن علي الطاهر بن علي الضخم بن

الحسن أبي علي بن محمد الحائري المعروف بالعكار بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم (علية السلام)[1].

لقب العائلة :

لقبت الاسرة بالغريفي نسبة الى قرية غريفة وهي احدى قرى البحرين, وان سبب هذا الاسم يعود الى هجرة السيد الحسين مع والده من العراق الى البحرين بسبب القتل والتشريد الذي مورس بحق الشيعة الامامية وعلمائهم آنذاك ,فاستوطنوا في هذه القرية بجانب الشاخورة.

واتخذها العلامة السيد حسين الغريفي مسكنا له, وكانت البحرين تعج بالمجتهدين من العلماء والفقهاء, وقد عكف السيد حسين على البحث والدراسة مدة طويلة من الزمن في غريفة حتى لقب بها وذاع صيتة, وهو اول من حمل هذا القب ومن ثم ذريته من بعدة[2].

عائلة ال الخضيري:

النسب :

وهي اسرة عربية يعود نسبها الى عشيرة القوعة من عشائر ال جعفر من قبيلة شمر عبدة, وابناء عمومتهم ال سبهان الذين حكموا الحائل بعد ال رشيد, الانهم كانوا وزراء في عهد ال رشيد ثم اصبحوا امراء الحائل, حيث غطت على كل ابناء عشيرة القوعة, وان نسب كل من السبهان والبجلي والقوعة هو الجد الاعلى للعائلة محمد بن علي ال حمد, وان جد عائلة الخضيري هو بجلي بن محمد[1].

لقب العائلة :

لقبت العائلة بالخضيري نسبتا الى جامع العائلة, الخضير بن محمد بن بجلي بن محمد بن علي بن عبدالعزيز بن حمد (جد القوعة) بن سعيد بن هلال بن حمود بن غالب بن خضير بن محمد بن جعفر (جد ال جعفر) بن راشد بن عجيل بن راشد بن ضيغم بن راشد بن منيف بن ضيغم بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبدالرحمن بن روح بن مدرك بن عبدالحميد بن مدرك بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن عامر بن حارث بن ربيعة بن الاجرد بن كعب بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان, ومن اسمه خضير لقبت العائلة بالخضيري من جيل الى جيل[2].

تواجدهم في البصرة :

ان جد عائلة الخضيري بجلي هو اول من دخلة العراق عام 1048هـ (1638-1639م), وهو جد خضير الذي لقبت العائلة بأسمة.

وكان دخول بجلي للعراق بمساعدة العثمانيين, وذاك عندما احتل الصفويون بغداد في عهد عباس الصفوي اضطر الباشوات الى رفع امرهم الى السلطان العثماني (مراد الثالث) من اجل استرجاع بغداد من الصفويين.

فكان طريقهم عبر الحائل لعدم تمكنهم من المرور عبر الموصل وذلك لسيطرة الفرس عليها, فحلوا ضيوفا على بجلي بن محمد وعرضوا امرهم علية فراقهم في حملتهم.

وجهزه السلطان حملته الى بغداد ورافقهم بجلي هو وعشيرته الى العراق, فدخلوا بغداد سنة 1048هـ وبعد انتهاء الحملة لم يعد بجلي الى الحائل بل فضل الاستقرار ببغداد بينما عادت عشيرته الى البادية.

وسكن في باب الشيخ وظهرت من نسله هذه العائلة الكريمة فعمل في التجارة حتى وفاته ودفن في شمال شرقي بغداد بأطراف النهروان في المحل الذي يعرف باسمه اليوم وله هناك مرقد علية قبة قديمة.

استمر اهل بيته بأعمال التجارة, والتي انتشرت في عموم العراق وخاصة البصرة , واول من وصل للبصرة هو قاسم باشا بن عبدالرزاق ياسين الخضيري, واشتهروا بعمال تجارية وسياسية, واصبحوا من اهم الاسر في المجتمع البصري والعراق[1].

عائلة ال ملا حسين:

النسب:

يعود نسب عائلة الملا حسين الى قبيلة الخزرج المعروفة في التاريخ الاسلامي, وهي من عرب الخليج العربي التي اشتهرت في العلم والادب والتجارة[1].

تنسب العائلة الى جدهم ناصر الدين السويدي بن الحسين بن علي بن حمد بن محمد المدلل بن الحسين بن علي بن عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن الفضل بن احمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن احمد بن اسحق بن جعفر بن احمد بن الموفق طلحة بن جعفر بن محمد بن الرشيد بن محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القريشي, وان مؤسس العائلة هو الملا حسين حفيد ناصر الدين الذي استقرا في العراق بالقرن السادس عشر[2].

لقب العائلة :

لقبه مؤسس العائلة حسين بن مرعي بن ناصرالدين بالملا, لأنه كان يعمل بمهنة تعليمية دينية, حيث اطلق علية الملا حسين حتى سميت افراد عائلة بهذا القب الملا[3].

تواجدهم في البصرة:

هاجرت عائلة الملا حسين من الخليج العربي الى البصرة منذ اكثر من مائة وسبعين سنه واستقروا فيها واغلب افراد العائلة يجمعون بين طلب العلم والعمل في التجارة ومن اشهرهم الملا حسين مؤسس العائلة كان اماما وخطيبا لجامع مقام علي بالعشار وكان ايضا تاجرا معروفا, والشيخ علي بن الحاج احمد المدرس في جامع عبدالله اغا في محلة السيف وهو عم الملا حسين وكان عالما فاضلا[4], هذا فقط ما ذكرته المصادر عن تواجدهم في البصرة.

عائلة ال السويج:

النسب:

ال السويج من الاسر العلمية والادبية المعروفة في العراق والاحساء موطنها الاصلي, وهي من الاسر الهاشمية الحجازية الأصل, اذ يعود اصلها الى المنطقة الشرقية من مدينة الهفوف بمنطقة الاحساء, ويعود نسبهم الشريف الى السيد ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم (علية السلام)[1].

لقب العائلة:

ان كلمة السويج اصلها (السويق) وهي تصغير الكلمة (سوق), وان سبب تسميت العائلة بهذا القب يعود الى الجد الاسرة السيد محمد بن السيد علي الذي عرف بالسويج, الانه كان وجيها وشريفا في قومة, وكانت له دار ضيافة يقصدها مختلف الناس وكانت كالمنتدى الأدبي والديني, ويجري فيها كثيرا من الاحيان بيع وشراء لكثرة من يتردد عليها فأطلقه على هذه الدار كلمة (السوق), بسبب ما يحصل فيها من مبادلات تجارية, فقال السيد صاحب الدار مازحا انما هي سويق, وانتشرت الكلمة بين الناس, وعرفت الدار باسم (السويق).

وبعده مدة اصبح الاسم يطلق على صاحب الدار ثم على العائلة, وبعد ذلك اطلق الاسم على المحلة التي تسكنها الاسرة الكريمة, وهيي محلة (السويق) وسوق في مدينة الهفوف بالأحساء والتي اصبحت اشهر من نار على علم[2].

تواجدهم في البصرة:

ان اول من نزل في البصرة من اسرة ال السويج, السيد محمد بن السيد احمد بن السيد هاشم بن السيد محمد الملقب بالسويج, ان سبب نزوحه للبصرة وترك مدينته الهفوف بالأحساء, نتيجة الضغوط السياسية والاضطهاد الطائفي الذي كانت تمر به بلدة الاحساء المتمثل بالحركة الوهابية التي قامت على الدماء واباحة الاموال والتفرقة بين الناس .

استوطن السيد محمد السويج مدينة البصرة وأصبح احد الاعلام البارزين فيها, وكان له دور مهم في هداية الناس وحل مشاكلهم, وان السيد محمد كان يدرس في حوزة النجف الاشرف.

وكان للسيد محمد السويج نشاطات كثيرة في مدينه البصرة منها, اسس مدرسة دينية اطلق عليها (مدرسة السعادة) في عام 1896, يدرس فيها القران الكريم واللغة العربية والرياضيات والفقه والعقائد والنحو والعروض والبلاغة والفلسفة والمنطق, وتوارث ابناؤه الزعامة الدينية في المدرسة.

ومن نشاطاته تعمير جامع سنان باشا, وهو المعروف بجامع الفرسي (حاليا مسجد الهدى), والذي كان يشهد اجتماعات اسلامية تقام فيه وخاصة ايام ذكرى وفيات الأئمة الأطهار, واسسه سنان باشا[1] الذي كان معروفا بأوقافه الكثير في سبيل الخير, ولكن بمرور الزمن أهملت الحكومة العثمانية هذا الجامع مع اهمالها الشؤون العراق, واصبح الجامع مهم أبناء محلة الفرسي قد جعلوا منه محلا لإقامة مأتم الامام الحسين (علية السلام) وتلاوة القران الكريم والاجتماع للوعظ[1].

عائلة ال نعمة:

النسب:

ال نعمة من الاسر العربية التي تنتمي الى قبيلة الدهنوي[1] المضرية (جذم مضر من عدنان)

بالحجاز, وقد كانت لها الرئاسة على تفرعات القبيلة منذ القدم, ولم يستقروا بالحجاز فقد هاجروا الى الدورق بعربستان.

لقب العائلة:

لقبت العائلة بال نعمة نسبتا الى جدهم نعمه بن غضبان, وهو مؤسس عائلة النعمة ذات الجاه والمقام في البصرة, واصبحت من العوائل التجارية فيها ودور فعال في السياسة.

تواجدهم في البصرة:

هاجر جدهم غضبان من الدورق في عربستان الى البصرة عام 1787, وعمل في بداية حياته فيها بالتجارة حتى توفيه وله ولدين الاكبر نعمة الذي اسم العائلة عليه والاصغر عبدالرحمن, وقد رزق نعمة بولد واحد (احمد) الذي شيد اجمل قصور شط العرب بشناشيله المزينة بالمكونات الخشبية, واقواسه العباسية المزخرفة بالزخارف المعمارية البهية.

وكان احمد وكيلا للأملاك السنية في زمن السلطان عبد الحميد, واصبح من التجار المشهورين والمعروفين في البصرة وله مكانه مرموقة في المجتمع البصري, اما عبدالرحمن شقيق نعمة فقد رزق بثلاثة اولاد هم الحاج معتوق والحاج سلمان والحاج يوسف, واصبحت عائلة ال نعمة من اهم عوائل البصرة المعروفة بالتجارة ولفضل والادب والسياسة.

عائلة ال مناصير :

النسب:

وهي من الاسر الكريمة تنتمي الى قبيلة الازد العربية المعروفة, وقد كانت لها الامارة على قسم من العشائر المشهورة في اليمن, وقامت بأعبائها هناك بكل حزم ودراية فتركت اثارا خالده في ادارة وسياسة العشيرة.

القب العائلة:

لقبة العائلة باسم المناصير نسبتا الى جدهم الاعلى منصور, وحافظوا ابناء هذه العائلة على لقبهم حيث اصبحوا من الاسر المعروفة في البصرة نتيجة اعمالهم الاخيرية والانسانية.

تواجدهم في البصرة:

نزحت عائلة المناصير من اليمن الى نجد واستوطنت فيها متمتعه بمركزها السامي الذي كانت علية في اليمن, ولم تكن سيرتها في نجد كسيرتها الاولى في ادارة ورعاية العشيرة وسياسة امور الناس, مما جعلها صاحبة الكلمة المحترمة بين اهل نجد.

ولكن امورها في نجد لم تسير جيدة اذ حصل نزاع بين امير العشيرة الامير منصور وبين اقربائه, وسبب الخلاف على الدين والتقوى والمحافظة على المبدأ, فهاجر سنة (1300-1301م) الى العراق ونزل في أبي الخصيب, واصبحت له شعبية فيها واخذ ناسها يلتفوا حوله بكل تقدير واحترام وجدو فيه الامير الحازم والحكيم, فأشترى عدة املاك في ابي الخصيب واستقرا فيها هو وابنائه حتى توفية واصبح له ضريح يزار وسمي (مير منصور), وترك عدة ابناء ساروا على سيرته ورفعوا مجد هذه الاسرة, واصبح لها تاريخ حافل بالبصرة بعمالهم الانسانية والاجتماعية.

الخاتمة

وخلاصة القول ان العوائل البصرية كانت على نوعين اولها بصرية الاصل والموطن وهم من اصول عربية خالصة اما النوع الاخر مهاجرة الى المدينة من المناطق والدول الاخرى استوطنت البصرة وشكلت النسيج الاجتماعي للمدينة عبر العصور وساهمت مساهمة فعالة في تاريخ البصرة وبناء حاضرها الحالي وذابت في البودقة البصرية لتشكل وحدة النسيج الاجتماعي المتجانس والذي تعيشه المدينة حتى الوقت الحاضر .

وفقا لما تقديم يبين البحث ان مدينة البصرة لم تحكمها النزعة العشائرية او القبلية التي سادت في السنوات الثلاثين الاخيرة ،ونما النسيج الاجتماعي للمدنية بنى على اساس مدني تساوى فيه افراد المجتمع امام القانون وعمل كل منهم نحو ازدهار المدينة وتطورها وكانت تربطهم علاقات اجتماعية واقتصادية تحكمها المصالح المشتركة وليس الربطة القبلية

المصادر

1- احمد باشا أعيان , موسوعة تاريخ البصرة , ج1 , دار الحكمة لندن , الأولى 2019, ص68

2- المصدر نفسة .

3- احمد باشا عيان , المصدر السابق , ص 88

-4-أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى الشاذلية في المغرب بشمال أفريقيا. وتشترك هذه الطريقة مع غيرها من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو سالك وطرق تربيته. ومجمل أفكار هذه الطريقة: التوبة، والإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، النفس، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع. ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعاني الشرعية. أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مُربٍّ أو مرشد، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم. ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مآخذ انحرفت بسالكيها عن الطريق الإسلامي السوي. ينظر الى المصدر :
http://saaid.org/feraq/mthahb/21.htm

5- الشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي, موسوعة تاريخ البصرة, ج الاول- خطط البصرة, شركة التايمس, بغداد,ص344.

احمد باشا عيان , المصدر السابق , ص ص88-90 . 6-

7- المشراق اول محلة اسستها العائلة عن انتقالهم الى البصرة الجديدة, اما سبب تسميتها يعود الى تسمية كانوا يسكنونها في البصرة القديمة لذلك نقلوا الاسم, ينظر\ الشيخ عبدالقادر باش اعيان المصدر السابق ص233 .

8- احمد باشا عيان , المصدر السابق , ص181

9-- عبدالله رمضان ال عيادة الرفاعي , الاعمال الكاملة لتاريخ البصرة (من تمصيرها الى العصر الحديث), ج 2, بغداد, دار الرفاة للطباعة والنشر, 2021, ص ص454-455

10- الشيخ عبدالقادر باش اعيان, المصدر السابق , ص 213

احمد باشا عيان, المصدر السابق , ص 188. 11-

12- قحطان حبيب الملاك, ال الملاك, مركز دراسات البصرة والخليج العربي , ص27

13-عبدالله رمضان ال عيادة الرفاعي, علماء البصرة ومشاهيرها وأدباؤها (من القرن الاول هجري الى نهاية القرن الرابع عشر), دار الكتب والوثائق ببغداد, ط الاولى 2019, ص 230 .

142-أ.م.د. طالب جاسم محمد الغريب , د. رغد فيصل عبدالوهاب, عائلة الملاك (ودورها الاقتصادي والسياسي ولاجتماعي في البصرة, مركز دراسات البصرة والخليج العربي , ص ص7-8

15- قحطان حبيب الملاك, المصدر السابق, ص 27

16- كوت الجوع:- الكوت هو مصطلح اطلقه البصريون على الناس الذين يتخذون لهم بيوتا من القصب والطين مع احاطتها بسياج خارجي من اجل المحافظة على مواشيهم وامتعتهم من الضياع , ويقال انها لفظه هندية معناها القلعة, اما الجوع اطلق علية هذا لاسم لان معظم سكانه من الفلاحين وبيوتهم من طين والقصب. وللمزيد ينظر الى الكتاب\ الشيخ عبدالقادر باشا اعيان, المصدر السابق, ص ص 249-250 .

17-ام البروم:- كانت الساحة مقبرة يدفن فيها من لم يتمكن اهله من دفنه في النخف, او يدفن فيها لفترة ثم ينقل رفاته الى النخف و يسمى (بالأمانة), ولكن فيما بعد منعت الحكومة الدفن فيها وقررت تحويلها الى حديقة, مما ادى لحدوث خلافات بين الحكومة والناس بسبب ذلك, وتعتبر ساحة ام البروم من ممتلكات عائلة الملاك .\وللمزيد للنظر\ كريم علاوي حميدي \البصرة في ذاكرة اهلها\ ط. الاولى ,2016\ دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع\ ص15, 106 .

18-عبدالله رمضان ال عيادة الرفاعي, المصدر السابق, ص230

19- السليمانيين: يعود نسبهم الى سليمان بن عبدالله الرضا بن موسى الجون بن عبدالله المحيض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام), وهم من ذرية داود بن سليمان بن عبدالله الرضا وهو اول خارج من الحجاز الى اليمن واستقر في حرض واستولى على امارة الساعد في حرض بمساعدة يحيى بن الحسين الهادي. \ ينظر\ السيد جمال الدين احمد بن علي الحسني (بابن عنبة)\ عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب\ ط, الثانية\ 1961\ المطبعة الحيدرية في النجف\ ص101. \ وينظر \ amir.info/inf4/include/plugins/article/article.php?action=s&id=26-- http://www.al-

20- الجعافرة:- يعود نسبهم الى الامام الحسين السبط بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) من بني هاشم وهم بنو جعفر الصادق بن محمد الباقر (عليهم السلام), وهم متفرقون في البلاد بشبه الجزيرة العربية. اينظر\ ابو الفوز محمد امين السويدي \سبائك الذهب في معرفة انساب العرب\ ط. الثانية \ مطبعة أمير\ ص 75 .

21-http://www.al amir.info/inf4/include/plugins/article/article.php?action=s&id=

22- احمد باشا عيان \ المصدر السابق\ ج1\ ص394. \ وايضا ينظر\https://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=64282

23-- حبيب الله الكازروني:- هو الشيخ احد المتصوفة المعاصرين لوالي البصرة سنان باشا الذي كان واليا على البصرة عام 1551 وقد وقف الوالي علية املاكا كثيرة قبل تركة البصرة, ثم وقفها الشيخ حبيب على ابنته وقد تزوجت من اسرة الرديني وبقي الوقف يستفيد منه الورثة حتى ال الامر به الى التصفية وقد الغي عام 1956.\ ينظر\ احمد نوري انصاري\ النصرة في اخبار البصرة (مع اعلام العوائل النجدية في البصرة)\ الوراق للنشر\ 2015\ ص318\ .

احمد باشا عيان\ المصدر السابق\ ص ص349-395 . 24-

25- عبد المجيد حسن الغزالي و كاظم جعفر المحامي\ الهدف (جريدة يومية جامعة) \ صدر في بغداد عام 1941\ ص ص 336-337.

26-- العلامة ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن الحيدري البغدادي \ عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد\ مطبعة دار البصري \ بغداد\ ص 164.

27-عبدالرزاق عبد المحسن الصانع و عبدالعزيز عمر العلي \ امارة الزبير بين الهجرتين 1979-1400 \ ج1 \ ط, الاولى\ 1985م\ الكويت \ ص 72 .

28-الدعوة الوهابية:- وهي حركة مذهبية ظهرت اول مرة في المملكة العربية السعودية على يد محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر قامت على اساس التمذهب بمذهب معين وهو مذهب احمد بن حنبل وبذلك تعتبر امتدادا لتمسك بالمذهب الاسلامية كل منها على حدة, وتمثل طورا من اطوار التبعية المذهب الخاص. \ وللمزيد ينظر \ د. محمد خليل هراش \ الحركة الوهابية (رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية)\ دار الكتاب العربي\ ص 29 .

29-القاضي احمد نوري الانصاري\ النصرة في اخبار البصرة (ملحق للعوائل النجدية في البصرة)\ ص311.

- 30- م. عباس فالح حسن وايمان هاشم شبير\ أعلام ال جمال الدين في البصرة\ البحث غير منشور \2018\ص 4.

العشائر العراقية 31-

https://www.facebook.com/IRAQITRIBES/posts/753993258011728

32- هوزان:- من قبائل العرب لها تفرعات وبطون كثيرة, وهوزان هو الجد الأعلى للقبيلة وهو أبن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر, وهوزان جمع هوزن ويعني ضرب من الطير, وكانت منازل هذه القبيلة ما بين غور تهامة الى ناحية السراة والطائف.\ للمزيد ينظر \أبي العباس احمد بن علي بن

احمد بن عبدالله القلقشندي\ نهاية الأرب في معرفة انساب العرب\ ت. علي الخاقاني \ (مطبعة النجاح\ بغداد\1958)\ ص 400. \\ وايضا للمزيد.

33- https://arab-ency.com.sy/ency/details/8663/21

34-عبدالرزاق عبد المحسن الصانع و عبدالعزيز عمر العلي\ المصدر السابق\ج1 \ص 213

35-عبدالمجيد حسن الغزالي \ جريدة الهدف البصرة \صدرت في بغداد عام 1941م (اسر البصرة)\ ص309 .

36-المصدر نفسه \ ص ص 310-311

37-كاظم فنجان الحمامي

https://groups.google.com/g/hamorabe/c

38-الدواسر:- وهي مجموعة من القبائل العربية اجتمعت مع بعضها بالحلف واصلها من جنوب نجد ومن هذه القبائل (القحطانية و الازدية وبعض من الأسر العدنانية), اما سم الدواسر فهو الوادي في نجد (وادي الدواسر), فهم بدو يملكون الابل والماشية ويعطون البداوة حقها.\ وللمزيد ينظر\ عبدالله بن محمد بن خميس\ المعجم اليمامة (المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية)\ ج الاول\(ط , الاولى, 1978)\ ص 446

39- عبدالمجيد حسن الغزالي\ المصدر السابق\ ص 367

40- عبدالرزاق عبد المحسن الصانع و عبدالعزيز عمر العلي\ المصدر السابق \ ص ص 235-236

41- عبد الوهاب الصافي\ العلامة السد عبدالحكيم الصافي حياته ومآثره\ (بيروت- لبنان- 2013)\ ص25

42- السادة الصوافي الموسوية والعشائر https://alsawafy.blogspot.com/2015/10/blog post_12.html

43- عشائر السادة الصوافي في العراق

https://www.dorar-aliraq.net/threads/121326

44- المهاينة: وهي اسرة مهنا التي حكمت المدينة المنورة من القرن الرابع الهجري واستمرت حتى العصرين الأيوبي والمملوكي, ويعود نسبها الى الحسين الاصغر بن الأمام علي (زين العابدين) بن الأمام الحسين بن الأمام علي بن ابي طالب (عليهم السلام).\ وللمزيد ينظر\ عبدالرحمن مديرس المديرس\ المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-923هـ\ 1250-1517م) دراسة تأريخيه\ الرياض (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية)\ ط, الأولى 2001\ ص21.

45-د. صالح حسن الفضالة \الجوهرة العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف\ دار الكتب العلمية (بيروت- البنان) \1971\ ص 170.
46- احمد بن محمد صالح البرادعي الحسيني\ الدرر السنية في الانساب الحسنية والحسينية \ ط.(الاولى بجدة 1387هـ\ الثانية ببيروت 1394\ الثالثة بالكويت 1396)\ ص ص 73-74.
47- عشائر لواء المنتفك (بني مالك والاجود وبني سعيد
48- ثامر عبد الحسن العامري \موسوعة العشائر العراقية \ (لندن \مكتبة الصفا والمروي)\ ج 4\ ص ص14-17 .
49- رائدة علي بور ،النفحات العنبرية من الدوحة الغريفية (السيد محمد علي العدناني الغريفي) حياته واثاره (1328-1388 هجرية) رسالة ماجستير في اللغة العربية وادابها ،ص 43 .
50-المصدر نفسة ،ص45 .
51-- غازي النقاشي \ منتديات العراق الخير والمحبة (العشائر والقبائل العراقية
https://www.iraqkhair.com/vb/showthread.php?
52- عبدالمجيد حسن الغزالي\ المصدر السابق \ ص 302
53-جريدة الزمان\ عربية يومية دولية مستقلة \ العدد 26
https://www.azzaman.com
54-- عبدالمجيد حسن الغزالي\ المصدر السابق\ ص363
55-عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي\ تاريخ حوادث بغداد والبصرة من 1186الى1192هـ\ 1772-1778\ (ط, الثانية, 1987) \ص 16 .
56-المصدر نفسة \ ص17
57- عبدالله رمضان ال عيادة الرفاعي \ الاعمال الكاملة لتاريخ البصرة (من تمصيرها الى العصر الحديث)\ الجزء الاول\ (بغداد\ 2021)\ ص 539 .
58- حميد السيلاوي لفتة وياسين طه ياسين الهارون \ موقف السيد محمد مهدي السويج من الافكار والتيارات السياسية والدينية في العراق \ العدد الحادي عشر \ حزيران \ 2017\ ص 72 .
59-السيد هاشم محمد الشخص \اعلام هجر من الماضين والمعاصرين\ ج 1\ ط, الثالثة \2009\ مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية\ ص ص366-367

60- تراث البصرة\ مجلة فصلية محكمة تعني بالتراث البصري\ تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية مركز تراث البصرة \السنة الثانية \المجلد الثاني\ العدد الربع \ حزيران 2018\ ص ص 324-325 .

61- عبدالمجيد حسن الغزالي\ المصدر السابق\ ص373

62- المصدر نفسه، ص 358-359

مسارات التكامل المعرفي في وصايا الإمام علي لإبنه الحسن عليهما السلام
(دراسة في نهج البلاغة)

إعداد
أ.د.حميد سراج جابر
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة البصرة

المستخلص

من المعلوم إن وصايا الإمام علي لإبنه الحسن عليهما السلام الواردة في نهج البلاغة لا تقاس بالمعايير المادية الشكلية التي يتعاطى معها الباحثين على نسق واحد، وإنما هي التي تمثل مصدراً لتحديد تلك المعايير والبناء المستقبلي عليها ومن النواحي كافة بما فيها النواحي المعرفية. ولعل اوضح الامور واجلاها في هذا السياق هو وجود الأهداف والغايات التكاملية في هذه الوصايا ومنها ما يتعلق بالجوانب المعرفية وأبعادها ، إذ إن التكامل المعرفي في تلك المعايير يمثل المسار التنموي الحقيقي الذي تقوم عليه الجوانب الأخرى. .

ومن دون ريب فإن التكامل المعرفي في تلك الوصايا يشير إلى ذلك التنوع الإجمالي والخاص في ميادين المعرفة بمنطقها الفكري البنائي ، فلم تكن الوصايا وصايا اب لإبنه بل راعي لرعيته في بيئته الآنية والمستقبلية ، لذا كان لزاماً بعد دراسة مفهوم التكامل المعرفي دراسة هذه التنوع بأبعاده التاريخية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية والعسكرية فضلاً عن الفكرية. .

ومن الطبيعي أن تكون الأهداف والغايات بأبعادها المختلفة حاضرة في هذا التكامل ، فقد حدد الإمام عليه السلام مجموعة أمور اراد تحقيقها من هذا المنحى التكاملي في المعرفة ، ولعلها غايات شمولية لم تترك جانباً من الجوانب فمنها الغايات العقدية، ومنها الأخلاقية، فضلاً عن التثقيفية. ..

وبالمحصلة فلا بد من وجود آثار ومعطيات تنموية من تحقيق هذا المسار التكاملي وهذه الآثار تتناغم مع الأهداف التي شخصت من وصايا الإمام علي عليه السلام ، ومن ثم فإنها نتائج حتمية طالما إن العينة المدروسة تتمثل بالإمام نفسه ، ومن هنا فالآثار تأخذ طابعها التنموي بناءً على الغايات الموضوعة فتارة تكون فكرية وتارة إجتماعية وتارة ثالثة آثاراً تثقيفية. .

وعلى العموم فإن قراءة البحث بشكله الكامل تعطي صورة اجلى واوضح وأكثر دلالة لاسيما مع ذكر ما جاد به نهج البلاغة من صور تعد عينات توثيقية فكرية للمسارات المشار إليها.

Abstract

The title of this topic is "Paths of Cognitive Integration in the Testaments of Imam Ali to his son, Hassan (peace be upon them both)." Perhaps the clearest and most evident aspect in this context is the presence of integrative goals and objectives in these testaments, including those related to cognitive aspects and their dimensions. Cognitive integration, according to these criteria, represents the true developmental path upon which the other aspects are based. These testaments were not merely the advice of a father to his son, but rather the advice of a shepherd to his flock in his present and future environment. Therefore, after studying the concept of cognitive integration, it is necessary to examine this diversity in its historical, social, political, economic, and military dimensions, as well as its intellectual dimensions.

المبحث الأول
المسار العقلي ومدياته الفكرية

لقد حرص الإمام علي عليه السلام على إيجاد الفرص المختلفة لتنمية المفاهيم العقلية والبناء عليها بما يصنع الأنموذج الأمثل للمجتمع ، لذا ليس من الغريب أن نجد الإمام عليه السلام يوظف وصاياه لإبنه الحسن عليهما السلام في سبيل تحقيق المسار الذي ينتمي للعقل الواعي بأبعاده المعرفية والفكرية ، ولا نقصد العقل المجرد بل العقل الواعي الراعي المتدبر في الأمور والأحداث.

ومن المؤكد إن الإمام عليه السلام يبدأ أولاً بتشخيص المفاهيم ومعالجتها المعالجة العلمية الصحيحة ، لأن تحقيق المسار المعرفي عام ولا يقصد به أبنه الإمام الحسن عليهما السلام ، ومن هنا حدّد الإمام علي عليه السلام مفهوم العقل والتعقل بشكله التنموي ، لا شكله الواقعي الذي قد يتناقض كلياً معه إذ أبعد المفهوم الحقيقي عن الماديات وعرفّه على إنه المجال والميدان المعرفي الحاكم على تلك الماديات حينما قال في وصيته للحسن عليهما السلام "إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ"(عبده،محمد، ٢٠١٩ص360).

لقد ميّز الإمام علي عليه السلام مفهوم العقل وجعله محور التعقل والتفكر ، وبالوقت نفسه فقد عالج الأخطاء الشائعة في ترسيم المفاهيم وتحديد أبعادها ، والتي منها مفهوم الغنى ومفهوم الفقر ، ولعل أهم الفوارق بينها وبين المفهوم العقلي إنها تقاس بمعايير مادية بحته ،فالغنى يقاس بكثرة المال ، والفقر بقلته ،

والحال إن تلك المعايير لا تنتمي لمفهومي الغنى والفقر الحقيقيين لأنها معايير مادية متحركة أولاً ، ولا يدل مسماها على تميز وتفرد ثانياً على العكس من المفاهيم التي شخصّها الإمام عليه السلام فهي تدل على التميّز والتفرد لكون الغنى هنا معنوي معرفي ، والفقر كذلك أي بمعنى إن الإمام عليه السلام أراد بتوظيفه الإمام الحسن عليه السلام بوصيته أن يلفت أنظارنا نحن لهذا المسار ومفاهيمه الحقيقية بجملة أمور:

الأمر الأول: إن المعرفة لا يمكن أن تقاس بمعايير مادية كمية بل بمعايير فكرية واعية.

الأمر الثاني: وجوب العمل المرحلي في أية أنشطة مستقبلية ولاسيما ما يتعلق بالمرحلة الأولى وهي تحديد المفاهيم وتقنين معاييرها.

الأمر الثالث: أستعمال الأسلوب المقارن بين النقيضين (العقل ،الحمق) و(الغنى،الفقر) وهو أسلوب فعّال يحقق الهدف المعرفي ويثبت أركانه وبالمقابل يعزل الفهم المادي ويقيد آثاره.

ولعل المقارنة التشخيصية جاءت لتبيّن أكثر من مفهوم في آن واحد ولتظهر التأثير الكبير للتفسيرات المادية التي أصبحت هي الحاكمة على الساحة الفكرية للأسف فإنقلبت معايير القاعدة ومعايير الأستثناء ، ومن هنا فإن محددات هذه المقارنة عند الإمام عليه السلام هي "ما يمثله المال من مغنم ومطمع كبير وما له من دور يضعه في المقدمة عند معظم الناس.. التناقض والتضاد المكشوف بين العقل والمال لكون الأول يمثل المنهج القويم فيما يمثل المال في معظم حالاته الهوى والنفس الأمارة بالسوء.. إن العقل يمثل أرقى ما يطمح إليه الإنسان فيما يمثل المال أدنى ما ينزل أليه".(جابر ،حميد،٢٠١٢ ص13).

ومنطق الامام عليه السلام هذا فيه تعبير حي عن مدى تفاعل وتناغم شخصية الامام الحسن مع شخصية ابيه عليهما السلام وهو امر لا يختلف فيه اثنين الاّ ان طبيعة طرح الامام علي عليه السلام متناسبة مع عقول الناس في مختلف العصور ، وفي الوقت نفسه فهي دالة على إمامة الامام الحسن عليه السلام. د.حميد سراج جابر ، الجودة وفلسفة اتقان العمل في فكر الامام علي عليه السلام ص14.

وقد أستثمر الشرّاح هذا الكلام لبيان الخصال التي يمكن أن تقع تحت مسمى التعقل على وفق بيان الإمام علي عليه السلام والتي لا يمكن أن تحدد بحدود وعلى مختلف الصعد ، فهي لا تقتصر على الميدان الفكري والمعرفي ، بل تتعدى للإجتماعي والإقتصادي والسياسي والعسكري وغير ذلك. (ابن أبي الحديد ،٢٠٠٨, 157/18)

ومن الطبيعي أن يأخذ المسار العقلي في هذه الوصايا أبعاداً فكرية عملية تتخذ من الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام المصداق لتناغمهما في الهدف والأسلوب ومن ثم تحقيق التكامل المعرفي للمتلقين من الناس على مر الزمن ، لذلك نجد الإمام علي عليه السلام قد رسم طريق المعرفة من خلال الإمام الحسن عليه السلام ، لأنه أراد تطبيق المفهوم التوعوي العقلي الذي وضع معاييره كما أسلفنا بشكله العملي لتتضح الصورة وتخرج عن إطارها النظري ، ولعل أختيار الموصى له يدل على أهمية هذه التوعية والتعبئة بمفهوم العقل بالدرجة الأساس ، وليس دال على حاجة أبنه عليهما السلام لذلك بل هناك من هو

أحوج لتلك الوصايا لذلك كان أختيار الإمام الحسن عليه السلام هو أستثمار لمكانته وإدراكه حتى تكون الوصية أبلغ وأكثر دلالة للناس المشار إلى حاجتهم.

وقد قامت الوصية على بيان الآليات العلمية في التعاطي مع المادة والحدث وبالشكل الذي يحقق الأبعاد المعرفية التكاملية ، إذ قال الإمام علي في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام " أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ، قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ " (عبده،محمد،٢٠١٩ ص293)

وعلى الرغم من عدم تركيز المصادر و الشّراح على الجانب المعرفي كثيراً لكنهم أتفقوا على إن هذه الوصية هي أكبر من كونها وصية عادية من والد لولده ، إذ يمكننا ترجمة كلامهم بالقول إنها بمثابة طاقة معرفية هائلة أتخذت من علم التاريخ مرتكزاً أصيلاً للمعرفة ومنه إلى باقي العلوم ، أي بمعنى إنها تعدت حدود الوصف والإرشاد إلى بيان المقومات والأهداف والأساليب ومن ثم النتائج الحتمية ،فالتوعية والتنمية العقلية في الميدان المعرفي هي حتمية النتائج لأنها مبنية على السنن الثابتة التي وظفها القرآن الكريم قال تعالى"*وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا*"(الأحزاب/62)وقال تعالى " **وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** " (الإسراء/77) وهي وصية واضحة المنحى المعرفي لتثقيف المجتمعات المختلفة مكانياً وزمانياً. (ابن شعبة الحراني ، ١٩٩٠, ص70)(ابن طاووس، ٢٠١٢, ص 161)

وقد اخذ الامام عليه السلام على عاتقه مهمة استخلاص الفلسفة التاريخية لابنه الامام الحسن عليه السلام وللعلماء والناس كافة وتقوم هذه الفلسفة على جملة امور أهمها استخلاص زبدة الحادثة التاريخية، واختيار الجانب المشرق من التاريخ لتنميته، وإبعاد الجانب المظلم واخذ الدروس منه.(جابر،حميد ، ٢٠١٢, ص42)

ولعل الأبعاد الفكرية من هذا المسار تتضح في الأهداف التي حددها الإمام علي عليه السلام من التعاطي مع العلم وبما يخدم الإستراتيجية المراد تنفيذها وكان ذلك ببيان الآليات والأدوات البحثية التي يمكن تحقيق هذه النتائج بها ، والأهم من ذلك إن الإمام عليه السلام كأنه يروي تجربته لإبنه وللباحثين حتى يخرج الموضوع من إطاره النظري إلى مصداقه العملي ، بل إنه عليه السلام حدّد الآثار الفكرية مسبقاً لبيان الثقة بالنتيجة طالما إن المسار المعرفي قد بني على التدبر العقلي ، وهو وعي وإدراك وتدبر لا يخطئ.

وربما نجد إن أهم ما يمكن ذكره في هذا المقام ما يدل من خلال الوصية على التراكم المعرفي الذي قد يأتي من تجارب سنوات عدة ، وبجهود حثيثة ، وخبرات قد تترتب على هذه التجارب وقد لا تترتب، غير إن الإمام علي عليه السلام يختزل هذه التجارب الطويلة بتجارب أخرى أكثر عمق ، وأقل وقع على

الإنسان نفسه وهي تجارب الآخرين التي يستفيد منها الباحث ولا يتضرر بل يدرك النفع ، ويدرك الضرر دون أن يكون فيها، وهذا الجزء بالذات من أعجب عجائب التنمية المعرفية لدى الإمام علي عليه السلام. وقد ورد كلام مشابه لهذا الفهم في أقوال الإمام علي عليه السلام نفسه "ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين" (عبده،محمد،٢٠١٩, ص358) (الفتال النيسابوري ، ١٩٨٥ ص) وقد أكد الإمام علي عليه السلام هذا المنحى في توظيف مكانة أبنه الحسن عليه السلام في التنمية العقلية وأستثمار هذه المكانة في التكامل المعرفي ولاسيما ما يتعلق منها بعلم التاريخ الذي سلف الحديث عنه كمقدمة وأساس للعلوم الأخرى إذ أوصى أبنه الحسن عليهما السلام بقوله " أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، .....، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِم " (عبده،محمد،٢٠١٩ ص292)

لقد ربط الشّراح بين هذه الوصية وبين أساليب المعرفة الحقيقية ،أي يمكن فهم هذه الحقيقة بذلك الربط بين الإيمان والزهد مع علم التاريخ وفلسفته ، إذ وضع الإمام علي عليه السلام موضوع الحوادث التاريخية وتاريخ القدماء كمصدر من مصادر المعرفة والتنوير القلبية وهو بمعنى آخر الوعي بتجارب الآخرين والتدبر العقلي في هذا المسار لتحقيق البعد الفكري الذي يؤهل الإنسان للثبات على المبدأ العقدي والإنساني. (الميرجهاني ، ٢٠٠٩, 4/ 193)

بل إن الإمام علي قد رجح هذا البعد المعرفي في وصاياه لإبنه الحسن عليهما السلام على باقي أجزاء هذه الوصايا لأهميته ومركزيته ونقصد البعد المعرفي الخاص بالتاريخ ، إذ إن الإمام عليه السلام كان قاصداً لهذا المسار العقلي التدبري لأنه سبب لنتيجة وهي الإيمان لذلك أوصاه عليهما السلام " وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، والْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ ". (عبده،محمد،٢٠١٩ , ص294)

وهذا الوصية تجمع المفاهيم النظرية كلها والتي أشرنا لها مسبقاً، وكذلك تبين الأثر العملي لهذا المسار التكاملي في الإعتماد على العقل والوعي ، فهي ليست مجرد وصية تشبه الوصايا الأخر وإنما هي ربط بين الأبعاد الفكرية الناتجة عن المسار العقلي التوعوي وبين معرفة الله تعالى حق معرفته والإيمان بمبادئ الدين الحنيف.

المبحث الثاني

المسار التصنيفي وأبعاده الإجتماعية

من الصعوبة بمكان التمييز الحرفي بين التصنيف والتفضيل إلا على وفق معايير فكرية وتقنين معرفي قد لا يدركه الكثير مما يسبب سوء الفهم والأحكام غير الدقيقة، وربما كان هذا سبب في تطرف بعض الآراء التي لم تفهم المسار التصنيفي في أحاديث الإمام علي عليه السلام عن النساء إذ عدته مساراً تفضيلياً ، وهو أمر يجانب الحقيقة تماماً ، وجزء من هذا المسار التصنيفي كان ضمن وصايا الإمام لإبنه الحسن عليه السلام مما يؤكد البعد الإجتماعي المتوافق مع العدالة الإلهية التي صنفت الذكر والإنثى ولم تفضل أحدهما على الآخر مما يدل على التكامل المعرفي الإجتماعي.

إن ورود هذه الحقيقة التصنيفية في هذه الوصايا هو لتحقيق الأستثمار الأمثل لشخص ومكانة الإمام الحسن عليه السلام لتثقيف المجتمع وتعريفه لمعالجة الإنحرافات التي قد تحدث بسب مخالفة هذا التصنيف ، ومن الطبيعي أن يتفرع الجانب الإجتماعي وتتداخل به التصنيفات بمحتواها السياسي والفكري والإقتصادي وغير ذلك ، وهذا ما يفسر لنا وصية الإمام علي لإبنه الحسن عليهما السلام حينما قال له "إيّاك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهنّ إلى أفن ، وعزمهنّ الى وهن " نهج البلاغة، ص405.وقد أجمع الشّراح إن الأفن هنا هو النقص، والوهن هو الضعف. (بيهقي خرساني، ١٩٨٩, 377/1) (كيذري ، ٢٠١٥، 469/2)

ومما ذكره الشراح في تعريف المصطلحات نستطيع القول أن الأمام υ لم يحكم بخلل رأي المرأة أو فشله بالمطلق، وأنما أشار إلى موضع النقص هذا في المورد الذي يرتبط بالإقدام لعلاقة ذلك بتصنيف العاطفة القوية والخبرات المتواضعة بسبب قلة التجارب كما هو الحال في نقص رأي الرجل بما يتعلق بالأمور التنظيمية التربوية التي تحكمها العاطفة.

وفضلاً عن ذلك فإن سياق الكلام يدل على أن الأمام علي υ قصد المشاورة في أمور الدولة بشكل أساس، وهو أشبه ما يكون بوصية عامة لم يكن الأمام الحسن υ هو المعني بها، وأنما كل المتصدين لموقع القيادة، ولعل قوله υ (فأن عزمهن إلى وهن) هو خير دليل على ذلك لاسيما إذا ما علمنا أن هناك ترابطاً وثيقاً بين الرأي وبين العزم في تطبيقه، وقد وصف الأمام υ هذا العزم بالضعف. (جابر،.حميد ، ٢٠١٢, ص80)

أيضاً فإن الأمام υ لم يشر إلى النساء بصفتهن المعروفة، وأنما أراد الإشارة إلى أمر نسبي في مسألة مهمة هي مسألة إبدال المواقع مع الرجال، وإنشاء مجلس شورى نسوي على غرار مجلس شورى الرجال المعروف في الإسلام، فرأي النساء هو رأي ناقص نسبياً كما اسلفنا لتعلقه بالتجارب ولتأثره بالعاطفة وليس بشكل مطلق(جابر،.حميد ، ٢٠١٢, ص80)

وما يؤيد خصوصية كلام الإمام ووصيته لإبنه الحسن عليهما السلام وإرتباط هذه الخصوصية بأمور سياسية أو عسكرية أو قيادية هو وصيته له في موضع آخر" وَلَا تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا فَيَمِيلَ عَلَيْكَ مَنْ شَفَعَتْ لَهُ عَلَيْكَ مَعَهَا" (عبده،محمد،٢٠١٩ ، ص405) اي أن تصبح شفيعة لغيرها ا(الحسيني شيرازي، ٢٠١٧, 82/4)(مغنية،محمد ، ١٩٩٦, 531/3)

والهدف واضح وجلي من هذا الكلام وهو الحيلولة دون تجاوز التصنيفات البايلوجية في خلق الذكر والأنثى لأن تلك المخالفة ستعود بالأثر على الإنسانية عموماً ، لذلك لا يجوز أن تحل المرأة محل الرجل في الأمور التي تحتاج إلى شدة وعزم وإندفاع وتدخلها وتوسطها وتشفعها سيعود بالأثر السلبي حتى عليها لأن ذلك سيكون في عطائها والحال إن الخلل ليس في العطاء وإنما في تبديل المواقع فلو كان هذا العطاء متناغم مع طبيعتها البايلوجية ووظيفتها لأثيبت عليه ، والأمر ذاته مع الرجل الذي سيكون عطائه ناقصاً إذا كان في غير محله مثل الرعاية النفسية للرضع والأطفال لكونه لا يملك التصنيف الذي يناسب المقام ونقصد به التصنيف العاطفي.

ولعل ما يؤيد ذلك هو إن الإمام عليه السلام قد أشار إلى أن تبديل هذه المواقع التصنيفية غير مبرر حتى وإن صدف في بعض الأحيان لأن ذلك ينافي السنن الفسلجية إذ قال عليه السلام في الوصية " ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر) نهج البلاغة، ص106. وهذا ليس بنهي عن فعل المعروف، وإنما هو نهى عن طاعتهن، أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به، بل افعلوه لأنه معروف. (ابن ابي الحديد ،٢٠٠٨, ٢١٤/6)

بل إنه عليه السلام قطع الشك باليقين وكأنه يرد على المشككين حينما بين فلسفة هذه الوصايا بخصوص المرأة وهذه الفلسفة قائمة على إن الهدف الحفاظ عليها وبيان قيمتها ودورها التربوي والمحوري في الحياة والذي لا يجوز التأثير عليه لأن ذلك فيه تأثير على المجتمع الإنساني عموماً أي أن عدم إدخالها في غير تخصصها القائم على التصنيف الإلهي يفسر بقوله عليه السلام " فَإِنَّ ذلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا، وأرخى لبالها، وَأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا" نهج البلاغة، ص106.وهو بيان لطبيعة المرأة وعاطفتها القوية. (انصاريان،٢٠١٣, 221/1) (ابو الفضل ابراهيم، ١٩٦٥, 148/1)

لقد وضع الإمام علي عليه السلام منهاجاً معرفياً تصنيفياً يفصح عن المسار التكاملي في المعرفة ببعدها الإجتماعي إذ تعدى هذه الأمر المفاهيم العامة ليضع المفاهيم الخاصة والتي تبدأ من الأسرة نفسها ومن هذا الباب نجد وصاياه التثقيفية لإبنه الإمام الحسن عليهما السلام قد أخذت هذا الطابع ، ومن ذلك تنظيمه للعلاقة بين الرجل والمرأة أو الزوج والزوجة بما مثّل التقنين العلمي وبإستثمار شخاص الإمام الحسن عليه السلام ومقامه الإلهي إذ أوصاه (إياك والتغاير في غير موضع غيره، فأن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب). (عبده،محمد ،٢٠١٩, ص405)

ويبدو إن هذه الوصية تفصح عن النتائج العكسية والمحاذير التي يجب درءها بسبب عدم ضبط المعايير التصنيفية والإجتماعية اذ يرى الشرّاح أن هذا العمل يحول المرأة الصالحة إلى طالحة. (الراوندي، ١٩٩٥ 115/3) (ابن ابي الحديد، ٢٠٠٨ 127/16) على عكس الهدف الظاهري من الفعل نفسه.

وربما إن مقصد الإمام عليه السلام هو دخول عنصر الشك والريب والذي يفسد العلاقات الإجتماعية بل ويحيلها ركاماً، كما إنه قد يخلق الفتنة في المجتمع ويفكك الأسر ، وإذا ما علمنا إن المجتمع مكون من هذه الأسر يمكننا أن ندرك حجم هذه الخطورة، بقي أن نذكر إن كلام الإمام عليه السلام لا يذم غيرة الرجل على زوجته ولكنه يذم عدم الإنضباط في هذه الغيرة ، مثل عدم أستحقاق المبالغة فيها بعض الأحيان ، وأن يحل محلها الثقة التي ربما تأتي بنتائج أبلغ وأنجع.

وقد نجد إن الإمام عليه السلام أراد ترسيخ حتى المعرفة الفقهية في هذا المسار التصنيفي ذو البعد الإجتماعي وذلك من خلال توظيفه لمقام الإمام الحسن عليه السلام الأعلم بهذه الأمور بعد أبيه ولكن الخطاب موجه للعامة أيضاً حينما أوصاه (واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فأن شدّة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وأن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فأن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة). (عبده،محمد،٢٠١٩ ص405)

وهنا يتداخل الجانب الإجتماعي مع الجانب الفقهي على وفق المسار المعرفي وبما يحقق أبعاده الإجتماعية أيضاً ولعل مسألة فرض الحجاب بأنواعه كافه هي المسألة الفقهية الأولى التي أراد الإمام علي عليه السلام وأبنه الحسن التعريف بها وتوثيقها وترسيخها في نفوس الناس. (أبن ميثم البحراني، ٢٠٠٩ 519/1) (حبيب الله الخوئي، ٢٠١٩ 41/20)

والحجاب الوارد في الوصية هو مفهوم فضفاض وليس مصطلح عادي كباقي المصطلحات فاللباس هو حجاب والزينة كذلك ، وأيضاً رؤية الأجانب من الجانبين ، والإختلاط كلها أمور لها مدخلية فقهية بموضوع الحجاب ، أي بمعنى إن الإمام علي عليه السلام قد أشار إلى كل التفاصيل بهذا الخصوص وكأنه قد قدم دورة تدريبية متكاملة للمتصدين بهذا الخصوص.

وأيضاً رجعت الوصية إلى التصنيف البايلوجي للمرأة وضرورة إحترامه بعدم التعامل معها إلا على أساسه وضرورة عدم تكليفها بما لا تطيق لأن ذلك قد يكون مساواة ولكنه خلاف العدالة فالمرأة بالإسلام تقدر ويحافظ عليها وتكرم لأنها مصدر العطاء والإنسانية وأداة بناء المجتمع الأولى . (الراوندي، ١٩٩٥ 115/3) (ابن ابي الحديد، ٢٠٠٨ 126/16)

المبحث الثالث
المسار القيادي ومرتكزاته العقدية

يخضع المسار القيادي إلى مبانً عقدية تتكامل فيها المعرفة ، صورّها وجسدّها ورسخّها الإمام علي في وصاياه لإبنه الحسن عليهما السلام ، إذ أخذت أبعاداً عده ترجمها الإمام الحسن عليه السلام بمقامه الإلهي ، وقد خرجت عن أساسها العقدي المجرد وتداخلت فيها المفاهيم المعرفية بالقيادة الشرعية ، والإجتماعية ، والسياسية ، والعسكرية ، وهكذا.

ولعل أدق صور التداخل المقصود من الإمام علي عليه السلام هو بيان مقام الإمامة والقيادة الشرعية ، وبالوقت نفسه التصدي للإنحرافات التي تجمع بين ذلك الإتجاه العقدي والإجتماعي ، ويتضح ذلك في وصيته لإبنه الحسن وكذلك الحسين عليهم السلام حينما قال" وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً." (عبده، محمد، ٢٠١٩، ص538).

وترتكز هذه الوصية بالدرجة الأساس على معيار الحق وأداء واجب القيادة والتي يخرج من مسارها كل من لا يتصف بهذا المعيار ، فقد رسم الإمام علي عليه السلام صورة القائد المستقبلي بأن جعل الحسن عليه السلام ذلك النموذج الذي يستحق أن يكون المصداق الأمثل للتأسيس العقائدي في هذا الميدان ، إذ إن الوصية أشترطت جملة أمور:

الأمر الأول : أن يكون المرتكز العقدي الذي يعكس مسار الحق هو مقياس القيادة الحقة.

الأمر الثاني: أن يكون عمال القائد للتقرب من الله تعالى لا التقرب من عباده.

الأمر الثالث : أن يتصف بالشجاعة والإقدام ولا يخشى في الله لومة لائم.

الأمر الرابع : أن يكون مصداقاً للرحمة الإلهية والإيثار والتعاون مع الغير ولا سيما المظلومين.

وقد حملت هذه الوصية أبعاداً كثيرة قد لا تتناسب مع المقام لتنوعها وتفرعها وعموميتها وإختصاصها بجوانب عدة ربما لا تتلائم مع عنوان البحث ولكن عكسها بعض الشراح في شروحاتهم وشرحوا مضامينها. (الموسوي، ١٩٩٤ ، ص 309)

وبالطبع فإن هذه هي صفات القائد الإلهي المكلف من السماء ، لذلك كان لزاماً على الإمام علي عليه السلام أن يحافظ على هذه السلسلة من القيادة ، وهو سر وصيته للحسن عليهما السلام والناس بالمحافظة على هذا القائد المستقبلي لأن فقدانه يعني فقدان الموجه وليس المحارب فقد وردت وصية الامام علي بهذا الخصوص وكانت مناسبتها انه رأى الامام الحسن عليهما السلام في بعض ايام صفين يندفع للحرب اذ قال(املكوا –امسكوا به–عني هذا الغلام لا يهدني–يهدمني– فأنني انفس–اي اضن به–بهذين– يعني الحسن والحسين عليهما السلام–على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم). (عبده ،محمد، ٢٠١٩ ص 236)

وقد يفهم إن الوصية تحمل بين جنباتها الجانب العسكري فقط ، وهو ما لا ينكر ،إذ إن شجاعة الإمام الحسن عليه السلام وإقدامه وحسمه للمعارك كانت الدافع الرئيس لكلام الإمام علي عليه السلام لا لسبب

عاطفي ، بل لبعد عقائدي يتعلق بالإمامة ، فإن الإمام المفترض الطاعة يجب أن يسلم الإمامة للإمام اللحق وهو الحسن عليه السلام ولا يجوز موته لأن فترة إمامته لا تعوض بفترة الإمام اللاحق ، وهذا هو سر قول الإمام علي عليه السلام (لئلا ينقطع بهما نسل الرسول) أي سلسلة الإمامة.

وذات المعيار القيادي نجده في كلام آخر يأتي من جهة أخرى بمعنى الوصية للقائد المستقبلي بالحرص والنزاهة والعدالة حينما أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك بإستنكاره لفعل أحد العمال إذ قال عليه السلام(ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل من مظلمتهما ،وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدي ، فضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ، ويتمنى المضيع الرجعة لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. (سورة ص/3.) (عبده،محمد،٢٠١٩ , ص309)

ويرى إبن أبي الحديد إن ذكر الحسنين يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجرى مجراهما عنده، وهو بذلك قد يشير إلى عبدالله بن عباس وما ذكر عن تصرفه بأموال البصرة. (ابن ابي الحديد ,٢٠٠٨, 170/16)

وما يهمنا ذلك التدريب المعرفي للقادة عموماً بمستوى العدالة والنزاهة والإعتدال من القائد المستقبلي وعلى وفق المباني العقائدية دون التأثر بالعواطف أو بالقرابة ، حتى وإن كان الطرف المقابل مصاديق العفة والنزاهة الحسن والحسين عليهما السلام، غير إن ذكرهما بهذا التمثل هو بالأساس إثبات لإستحالة قيامهم بالفعل ، حتى يكون المثال أبلغ وأعمق في تأثيره.

ولم تقتصر وصايا الإمام عليه السلام على الأبعاد المعرفية التي أشرنا إلى تقسيماتها من حيث علاقتها بالمسار القيادي وإنما نجد تنوعاً فكرياً كبيراً في مجمل الوصية الرئيسة للحسن عليه السلام مع أولاد الإمام علي الآخرين مجتمعين إذ أوصاهم عليه السلام قائلاً " أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وَقُولَا بِالْحَقِّ وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه وآله (يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ) (المجلسي ،٢٠٠٠, 45/73) اللَّهَ اللَّهَ فِي الْأَيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ وَاللَّهَ اللَّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ. " (عبده،محمد ،٢٠١٩،ص 316-317) (الكليني، ١٩٩٨, 51/7)

وأوصاهم كذلك" يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ. (الطبراني ، ١٩٨٩, 100/1)

لقد جمعت هذه الوصية المعارف المتعددة وحددت مسارتها لتحقيق التكامل المعرفي، فقد وضعت الدستور للحسنين وأخوانهما عليهم السلام وهو الدستور القرآني ، ورسمت الصورة المشرقة للإتباع عند إتجاههم مع مسار الحق وهو مسار القيادة الصالحة، إذ حرص الإمام عليه السلام على تشخيص الأبعاد العقائدية ، والفقهية ، وكذلك الجوانب السياسية والإجتماعية ،فضلاً عن الأبعاد الثقافية بمستوياتها كافة بهدف إكمال الصورة الحضارية المعرفية أمام الناس لمعالجة الإنحرافات والتهيئة للقائد المفترض الطاعة القادم.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

1. ابراهيم ، ابو الفضل ، **شرح نهج البلاغة ، بيروت ، 1416هـ .**
2. بيهقي خرساني ، ظهير الدين ابو الحسن علي ت 565هـ . 1170م ،معارج نهج البلاغة ، ط1، طهران ، 1409هـ .
3. التستري ، الشيخ محمد علي،بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، دار أمير كبير للنشر ، طهران ، 1376هـ.
4. جابر ، حميد سراج ، الجودة وفلسفة اتقان العمل في فكر الامام علي عليه السلام (دراسة في نهج البلاغة) دار تموز ، دمشق ، 2012.
5. فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي عليه السلام (دراسة في نهج البلاغة) دار الكفيل،كربلاء-2019.
6. حبيب الله الخوئي ،الميرزا الهاشمي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق علي عاشور ، بيروت-2008.

7. ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي ت 656هـ . 1258م ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابراهيم ، بغداد-2009.

8. الحر العاملي ، ت 1104هـ – 1692م ،وسائل الشيعة ، تحقيق ونشر محمد رضا الحسيني ، ط2 ، مؤسسة آل البيت ،قم 1414هـ.

9. الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، دار العلوم ، بيروت–2008 .

10. الراوندي ، قطب الدين ابو الحسن سعيد بن هبة الله ت573هـ . 1177م ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، قم ، 1406هـ .

11. الريشيهري ,, محمد ،موسوعة العقائد الإسلامية , تحقيق : مركز بحوث دار الحديث , ط1 , (قم , 1425).

12. موسوعة الأمام علي بن آبي طالب (علية السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ , تحقيق : مركز بحوث دار الحديث ,ط2 ,مطبعة دار الحديث (قم , 1425)

13. ميزان الحكمة , تحقيق : دار الحديث , ط1 , د.م , د.ت .

14. السرخسي ، المحقق علي بن ناصر ت القرن السابع الهجري . القرن الثالث عشر الميلادي، أعلام نهج البلاغة ، مؤسسة الطبع والنشر ، طهران ، 1366هـ .

15. الطبراني : ابو القاسم سليمان بن احمد ت (360 هـ) .المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط2 ، القاهرة د . ت .

16. عبده ، محمد ، نهج البلاغة ، ، ط1، مطبعة النهضة ، إيران – قم ،1412هـ.

17. ابن عساكر ، علي بن الحسن الشافعي (ت 571هـ/1176م)، تاريخ دمشق , تحقيق علي شيري , دار الفكر ، بيروت , 1995م.

18. علي عليه السلام ، الامام ت 40هـ . 660م، نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، ضبط صبحي الصالح ايران ط2 1429هـ.

19. الفتال النيسابوري : محمد , ت: 508هـ . روضة الواعظين , تحقيق : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان , (قم – د.ت).

20. القندوزي ، سليمان ت 1294 هـ ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ،ط1،دار الاسوة ، بيروت 1416.

21.الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي , ت : 329هـ ، الكافي , تحقيق : علي أكبر الغفاري , ط3 , مطبعة الحيدري , (طهران – 1388هـ).

22.كيذري بيهقي ، الشيخ ابو محمد بن الحسين ت القرن السادس الهجري . القرن الثاني عشر الميلادي ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، مؤسسة نهج البلاغة ، قم ، 1375هـ

23.لجنة نهج البلاغة ،ضبط لجنة مشتركة ،نسخة المعجم ، بيروت ، 1990 .

24.المتقي الهندي : علاء الدين علي المتقي , ت : 975هـ .كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال , تحقيق : الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا , مؤسسة الرسالة , (بيروت , 1409هـ – 1989م).

25.المجلسي ، محمد باقر محمد تقي ت 1110هـ . 1698م، بحار الانوار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، 1404هـ .

26.محمد،اويس كريم ، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ، ط1، ايران ، مشهد ، 1408.

27.مغنية ، محمد جواد ، في ظلال نهج البلاغة ، ط2 ، بيروت 1428هـ .

28.مكارم الشيرازي , ناصر ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل , د.ط , د.م , د.ت .

29.الموسوي ، السيد عباس علي ، نهج البلاغة ، دار الرسول صلى الله عليه واله ، بيروت ،2008

Paths of Cognitive Integration in Imam Ali's Testament to His Son Al-Hassan (Peace Be Upon Them) (A Study in Nahj al-Balagha)

Prof. Hamid Siraj Jaber / University of Basra / College of Education for the Humanities

It is well known that Imam Ali's Testament to his son Al-Hassan (Peace Be Upon Them), contained in Nahj al-Balagha, cannot be measured by the formal, material criteria that researchers deal with in a uniform manner. Rather, they represent a source for defining these criteria and building upon them in the future, from all aspects, including cognitive aspects.

Perhaps the clearest and most obvious point in this context is the presence of integrative goals and objectives in these Testaments, including those related to cognitive aspects and their dimensions. Cognitive integration within these criteria represents the true developmental path upon which the other aspects are based. Undoubtedly, the cognitive integration in these commandments points to the overall and specific diversity in the fields of knowledge, with their structural

intellectual logic. The commandments were not those of a father to his son, but rather those of a shepherd to his flock in their present and future environments. Therefore, after examining the concept of cognitive integration, it was necessary to examine this diversity in its historical, social, political, economic, military, and intellectual dimensions. Naturally, goals and objectives, with their various dimensions, were present in this integration. The Imam, peace be upon him, identified a set of matters he sought to achieve from this integrative approach to knowledge. Perhaps these were comprehensive goals that left no stone unturned, including doctrinal, moral, and educational objectives. Ultimately, there must be developmental implications and implications from achieving this integrated path. These implications are in harmony with the goals identified in the commandments of Imam Ali (peace be upon him). Therefore, they are inevitable results, as long as the sample being studied is the Imam himself. Hence, the implications take on a developmental character based on the established goals, sometimes intellectual, sometimes social, and sometimes cultural. In general, reading the research in its entirety provides a clearer, more meaningful picture, especially with the mention of the images provided by Nahj al-Balagha, which constitute intellectual documentation samples of the aforementioned paths.

الإبادة الجماعية (الجذور والامتداد)

أ. د. زين العابدين موسى جعفر
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الاثار
zainalabideen.m@coart.uobaghdad.edu.iq
07709661124

أ. د. سعد سلمان فهد
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الاثار
saadsalman@coart.uobaghdad.edu.iq
07902590189

المستخلص

عند تأملنا في مجريات التاريخ، يتضح لنا أنه مر بمراحل متعددة، لعب فيها الإنسان الدور الأبرز في تشكيل معالم الحضارة وتطورها. فمنذ البدايات الأولى التي اتسمت بجمع القوت، والتي تمثل الطور الأول من حياة الإنسان الحضارية، وصولًا إلى مراحل التمدن والتطور الاجتماعي والسياسي، نجد أن مسألة الأمن والاستقرار قد اتخذت أبعادًا متباينة. ففي بعض الفترات، ساد مناخ من التعايش السلمي داخل الدولة الواحدة، تحت مظلة النظم القانونية والعرفية، وتوجيهات السلطة الحاكمة التي غالبًا ما استمدت مشروعيتها من العقائد الدينية. بينما في فترات أخرى، شهدت البشرية مظاهر سلبية تمثلت في الحروب، وعمليات القتل الجماعي، وتدمير المدن، وتهجير السكان، في محاولات ممنهجة لطمس هوية بعض الشعوب ومحو تاريخها.

وانطلاقًا من هذا السياق، فقد كان تاريخ الشعوب والأمم عبر الحقب المتعاقبة حافلًا بالصراعات والمعارك، والخلافات الفكرية والسياسية، واتخاذ قرارات ذات طابع انتقائي يخدم المصالح الشخصية أو الفئوية، دون اعتبار للتبعات الكارثية التي قد تؤول إليها الأوضاع بالنسبة للآخرين. وقد شكّلت جرائم الإبادة الجماعية إحدى أبشع صور تلك الممارسات، إذ تجسدت في عمليات قتل منهجية تستهدف جماعة بشرية معينة، بقصد إبادتها كليًا أو جزئيًا.

ومن هنا، يُطرح التساؤل حول ما إذا كانت الإبادة الجماعية بمفهومها العام قد مورست في العصور القديمة. وانطلاقًا من هذا السؤال، نسعى إلى توثيق وتحليل ما ورد في النصوص المسمارية التي دوّنها سكان بلاد الرافدين، والتي تشير إلى ممارسات يمكن تصنيفها ضمن هذا الإطار. كما نحاول الوقوف على أثر هذه الأفعال في إعادة تشكيل الواقع السياسي والاجتماعي لتلك الفترات، وفي رسم ملامح التفاعل بين الجماعات المختلفة ضمن رقعة جغرافية تعد من أقدم مواطن الحضارات الإنسانية، فضلا عن ذلك نشير الى اهم المؤسسات والمراكز الدينية التي وقفت ضد الإبادة فكرا وعملا وبالخصوص فيما يتعلق بتلك المتبنيات التي تبناها مركز بينة للأمن لفكري والثقافي التابع للعتبة الحسينية المقدسة منذ تاسيسيه الى يومنا هذا في ترسيخ الامن والسلم المجتمعي عبر اقامته للورش والحلقات النقاشية واصداره الكتب والموسوعات التي تتبنى الفكر الإنساني ونبذ العنف والطائفية.

تتجلى الإبادة الجماعية بصور وأشكال متعددة، إلا أنها، في جوهرها، تشترك في هدفٍ واحد يتمثل في السعي إلى محو الآخر، سواء على مستوى الهوية أو الشخصية، وذلك باستخدام وسائل متعددة، يأتي في مقدمتها القتل، والتنكيل، والتهجير القسري.

وعند دراسة التاريخ الحضاري لبلاد الرافدين، يتضح أن هذا الإقليم شهد عبر العصور سلسلة من الحروب، والمعارك، والغزوات التي لم تنقطع حتى وقتنا الحاضر. ويمكن إرجاع ذلك إلى مجموعة من العوامل، في مقدمتها ما يتمتع به العراق من موارد طبيعية غنية ومتنوعة، جعلته محط أنظار القوى الطامعة التي تسعى إلى الاستحواذ على هذه الثروات التي تفتقر إليها. يُضاف إلى ذلك الموقع الجغرافي الاستراتيجي للعراق، والذي يمنحه أهمية كبرى على مستوى التحكم بالطرق والمسالك البرية والبحرية، الأمر الذي يضفي عليه قيمة تجارية وعسكرية بالغة الأهمية.

يسلط البحث على اهم الإبادات الجماعية التي مورست في تاريخ بلاد الرافدين ، منذ القدم وحتى جرائم البعث وداعش والقاعدة متخذين نماذج من تلك الجرائم ومسلطين الضوء على ماهيتها ونتائجها واساليبها وأهدافها، ودور العتبة الحسينية والمراكز البحثية التابعة لها وخاصة مركز بينة للامن الفكري والثقافي في نبذ العنف والإبادة من خلال النشاطات التي يقوم بها هذا المركز والتي تؤكد جميعها حرص المركز على إشاعة روح السلم والتعايش السلمي لدى المجتمعات بكافة اطيافها واتجاهاتها الدينية.

وفي هذا البحث سنتناول القسم الاول نتع والخاص بالحذر التاريخية للإبادة الجماعية على ان نتناول القسم الاخر منه (الامتداد) في مباحث اخرى باذن الله.

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، الإبادة، الملوك ، القتل

Abstract
Genocide manifests itself in many forms and shapes, but at its core, they share a common goal: the erasure of the other, whether at the level of identity or personality, using various means, most notably murder, torture, and forced displacement.
A study of the cultural history of Mesopotamia reveals that this region has witnessed, throughout the ages, a series of wars, battles, and invasions that have continued unabated to the present day. This can be attributed to a number of factors, most notably Iraq's rich and diverse natural resources, which have made it a focus of greedy powers seeking to seize these resources, which they lack. Added to this is Iraq's strategic geographic location, which gives it significant control over land and sea routes and paths, conferring it significant commercial and military value. The research highlights the most important genocides committed in the history of Mesopotamia, from ancient times to the crimes of the Baath, daeesh, and Al-Qaeda, taking examples of these crimes and shedding light on their nature, results, methods, and objectives. The focus will be more on genocide in the history of Mesopotamian civilization and the general features reflected in cuneiform texts about it.
Keywords: Mesopotamia, genocide, kings, murder

المحور الاول: الإبادة والجذور

عند دراسة التاريخ الإنساني، يتبيّن أن مسيرته قد مرت بمراحل وفصول متعددة، كان للإنسان فيها الدور الأبرز في تشكيل ملامح الحضارة وتطورها. فمنذ المراحل الأولى، التي اتسمت بجمع القوت، وصولاً إلى عصر التمدن وتشكيل الكيانات السياسية المنظمة، نجد أن مفهومي الأمن والاستقرار قد تقلبا بين وجهين: وجه إيجابي تمثل في التعايش السلمي داخل حدود الدولة الواحدة، في ظل أنظمة قانونية وعرفية مستندة أحياناً إلى شرائع دينية أو أوامر الآلهة، ووجه سلبي تجلى في الحروب والاقتتال والتدمير الممنهج للمدن، وعمليات التهجير القسري ومحاولات طمس الهوية الثقافية والحضارية للشعوب.

ومن هذا المنطلق، اتسم تاريخ الشعوب والحضارات على مرّ العصور بكثرة المعارك والنزاعات، فضلاً عن اختلاف الرؤى وتضارب المصالح، وما رافق ذلك من قرارات ذات طابع فئوي أو شخصي، غالباً ما أُخذت دون مراعاة لمصير الجماعات المتأثرة بها. وكان من بين أبشع صور هذه النزاعات ما يُعرف بالإبادة الجماعية، والتي تُعد من أخطر الجرائم ضد الإنسانية، إذ تهدف إلى القضاء الكلي أو الجزئي على جماعة بشرية معينة بسبب انتمائها القومي أو العرقي أو الديني.

في هذا السياق، يُطرح تساؤل جوهري: هل عرفت الحضارات القديمة، بما في ذلك حضارة بلاد الرافدين، مفهوم الإبادة الجماعية بمضمونه العام المعروف حالياً؟ إن العودة إلى النصوص المسمارية التي دُوّنت في حضارات بلاد الرافدين قد تسهم في توثيق ممارسات ترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية، مما يساعد على فهم الكيفية التي أثرت بها هذه الممارسات في مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية آنذاك.

إن للإبادة الجماعية صوراً وأشكالاً متعددة، إلا أنها تشترك جميعها في الهدف النهائي، وهو محو الآخر، سواء من خلال القتل أو التعذيب أو التهجير القسري، أو عبر محو الهوية الثقافية والحضارية للجماعة المستهدفة. ومن خلال تتبّع تاريخ بلاد الرافدين، يتضح أن هذه الأرض قد شهدت على مرّ العصور

العديد من الحروب والغزوات، وهي ظاهرة متصلة بعدة عوامل، في مقدمتها الثروات الطبيعية المتنوعة التي تميز بها هذا الإقليم، ما جعله مطمعاً للغزاة، بالإضافة إلى موقعه الجغرافي الاستراتيجي الذي يتحكم بمسالك التجارة البرية والبحرية، ويمنحه أهمية كبيرة على الصعيدين العسكري والاقتصادي.

بالاعتماد على أحكام القانون الدولي، تُعرف الإبادة الجماعية بأنها ارتكاب أحد الأفعال التالية أو أكثر، بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، وذلك على النحو الآتي (Schabas, 1948, p. 1f):

1. قتل أفراد من الجماعة، بما يشكل اعتداءً مباشراً على وجودها .
2. إلحاق أذى جسدي أو نفسي جسيم بأفراد الجماعة، بما يؤثر سلباً في سلامتهم الجسدية أو النفسية.
3. إخضاع الجماعة عمدًا لظروف معيشية يُقصد من ورائها إحداث تدمير مادي لها كلياً أو جزئياً، مثل الحرمان من الموارد الأساسية للحياة كالغذاء والمأوى والرعاية الصحية.
4. فرض إجراءات تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة، بما يشمل الوسائل القسرية أو التشريعات أو السياسات التي تهدف إلى تقويض استمرارية وجود الجماعة.
5. نقل الأطفال قسرًا من الجماعة إلى جماعة أخرى، بما يؤدي إلى محو الهوية الثقافية أو القومية للجماعة الأصلية.

وتُعد هذه الأفعال، وفقاً للاتفاقيات الدولية ذات الصلة، وخاصة اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام 1948، من أخطر الانتهاكات التي تهدد السلم والأمن الدوليين، وتستلزم المساءلة الجنائية الدولية.

اولا: الإبادة في اللغة والاصطلاح :

أ-الإبادة في اللغة

تُشتق كلمة "الإبادة" من الفعل الثلاثي "بادَ/يبيد"، الذي يدل على الهلاك والزوال. ويُقال في اللغة: "أباده الله"، أي أهلكه، كما يُقال "باد الأعداء" بمعنى هلكوا وفنوا (الفراهيدي، 1410 هـ، صفحة 84) (الجوهري، 1956، صفحة باب الدال). وتُستخدم العبارة "باد القوم" للدلالة على انقراض الجماعة وفنائها التام، وهو ذات المعنى الذي يُفهم من قولهم "باد الشخص"، أي اندثر أو زال أثره.

ومن التراكيب المتداولة في اللغة: "لن تبيد أمة شعارها الإيمان"، وهي جملة تُبرز مفهوم البقاء والاستمرارية المرتبطة بالقيم الدينية. وفيما يتعلق بالمصطلحات السياسية والتاريخية، يُقال "عهد بائد" في إشارة إلى نظام حكم أو فترة تاريخية قد زالت وانتهت.، أما التعبير الشائع "بادوا عن بكرة أبيهم"، فيُستخدم للدلالة على الهلاك الجماعي الكامل دون استثناء.

وفي القرآن الكريم، وردت مادة "يبيد" في سياق دلالي يعكس معنى الفناء، كما في قوله تعالى في سورة الكهف: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً} (القران الكريم، سورة الكهف، الاية 35)، حيث يُعبّر عن اعتقاد خاطئ بزوال النعمة أو فناء الموجودات.

ب-الإبادة في الاصطلاح:

يُقصد بمصطلح "الإبادة" في السياق الاصطلاحي تلك الجرائم التي ترتبط بشكل مباشر بأفعال القتل الجماعي، والتي تُرتكب بحق جماعات أو فئات بشرية معينة، بهدف القضاء التام على وجودها لأسباب متعددة. وتمتد دلالة هذا المفهوم لتشمل الأفعال التي تُرتكب بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لمجموعة بشرية، سواء كانت قومية، أو إثنية، أو عرقية، أو دينية (بن هديان، 2007، الصفحات 22-25)

لقد سجّل التاريخ الإنساني، منذ نشأته وحتى يومنا هذا، العديد من الوقائع التي اتسمت بمجازر جماعية ارتُكبت إما على المستوى الداخلي من قبل أنظمة ضد شعوبها، أو على المستوى الخارجي من خلال استهداف شعوب خارج حدود الدولة الجغرافية.

وعلى الرغم من تعدد وتنوع هذه المجازر عبر العصور، إلا أن التوثيق والتسليط التفصيلي للضوء اقتصر – للأسف – على تلك التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين، مع التركيز الأكبر على الجرائم المرتكبة في سياق الحروب أو تحت إطار الجرائم ضد الإنسانية.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن مصطلح "الإبادة" قد تجاوز كونه مجرد توصيف وصفي لحوادث القتل الجماعي، ليصبح اليوم مصطلحًا قانونيًا معترفًا به، تُنظّمه منظومة من القوانين والأنظمة الدولية التي تهدف إلى التصدي لهذا النوع من الجرائم. ويبدو أن هذا المفهوم قد اكتسب طابعًا شموليًا في الاستخدام المعاصر، إذ لم يعد يقتصر على المجازر المرتكبة ضد المدنيين فحسب، بل أصبح يشمل أيضًا كل فعل يُقصد به التدمير الكلي أو الجزئي لأي جماعة بشرية متميزة.

ثانيا: مفهوم الإبادة في اللغتين السومرية والأكدية

تُستخدم مفردة "الإبادة" في اللغة السومرية بصيغة كول GUL، وهي تعني التدمير أو الإهلاك، وتشمل هذا المعنى المباني، والأشياء، والبشر، والمدن. ويقابل هذه المفردة في اللغة الأكدية الفعل أباتو abātu، الذي يحمل دلالة مماثلة، ويُلاحظ تقاربه اللفظي والدلالي مع الجذر العربي "أباد – يُبيد"، الذي يفيد الهلاك التام أو الاستئصال.

ويُعدّ أقدم توثيق لمفهوم الإبادة الجماعية في مدوّنات حضارات بلاد الرافدين ما ورد في الأساطير السومرية، حيث تشير النصوص إلى قرار الآلهة الكبرى بإبادة الآلهة الصغرى نتيجة الضجيج الذي أحدثوه، وهو ما يُعد مثالًا مبكرًا لمفهوم الإبادة الجماعية في الفكر الميثولوجي القديم(... وطالت الايام وتزايدت السنون، فكان الاله انو، وريثهم منافسا لابائه، الاله انشار جعل بكره الاله انو مماثلا له، والاله

انو انجب الاله نوديمود، مثيله، نوديمود اصبح هو قائد لابائه، انه واسع الفهم حكيم قوي فحل، جسور متفوق على والد ابيه انشار، لامنافس له من بين اخوته الآلهة، اتحد الالهة الاخوة معاً، اقلقوا تيامة، هتفوا لناصرهم، عكروا لتيامة اعماقها، بسبب الضجيج اصبح باطن(مقام السماء)اندورونا معتما، ماعاد ابسو يخمد اصواتهم، وباتت تيامة صامته بمواجهتهم، فافعالهم مؤذية بالنسبة لها، وسيرتهم ليست طيبة وهم لايحتملون، حينها ابسو واضع بذرة الالهة العظام، نادى على الاله ممو وزيره ليقول له:ياممو الوزير ياطيب كبدي، تعال دعنا نذهب الى تيامة، ذهبا قدما وامام تيامة جلسا، تبادلوا الافكار بخصوص الالهة من ابكارهم، فتح ابسو فاه ليقول لها لتيامة الطاهرة: ان سلوكهم مؤذيا لي، فلا انا مرتاح في النهار، ولا انا هاجع في المساء، ساحطم سيرتهم وامزقها، ليحل الصمت ولنهجع نحن) (حنون، 2006، الصفحات 57-58، الاسطر من 13 الى 40.).

من خلال تحليل النصوص المسمارية، يمكن استنتاج أن أحد المفاهيم المرتبطة بالإبادة لدى سكان بلاد الرافدين يتمثل في القضاء على كل عنصر يُعدّ مصدر اضطراب أو تهديد لحياة الآخرين واستقرارهم. وتشير هذه النصوص إلى وجود طبقات متعددة من الآلهة، حيث تنقسم إلى فئتين رئيسيتين: الأولى، وهي الآلهة الكبرى أو "الخالقة"، التي ينبغي أن تنعم بالهدوء والرخاء؛ والثانية، الآلهة "المخلوقة" أو الشابة، التي تسعى إلى إثارة الفوضى والضجيج من خلال أفعالها، مما يؤدي إلى إقلاق راحة الآلهة العليا.

ويبدو أن الغاية الأساسية من هذا التصور الميثولوجي تتمثل في تحقيق الرخاء والاستقرار، حتى وإن تطلب ذلك اللجوء إلى وسائل عنيفة أو إقصائية، كالاستئصال أو الإبادة. هذا المفهوم العام الذي يطرحه النص المسماري يمكن مقارنته، إلى حد ما، بالممارسات الجيوسياسية لبعض الدول الكبرى في العصر الحديث، كأمريكا وإسرائيل، والتي تسعى إلى تعزيز قوتها واستقرارها الداخلي من خلال سياسات اقتصادية وأمنية تؤدي إلى استنزاف مقدرات الدول الأخرى، خصوصاً تلك التي تُعدّ في موقع التحدي أو المعارضة. فبينما تعيش هذه الدول في حالة من الأمن والاستقرار، تظل الدول المستهدفة ترزح تحت وطأة الأزمات والاضطرابات، نتيجة لفقدان مقومات التنمية والرخاء.

الجانب الأكثر لفتًا للنظر في هذا النص المسماري هو قدرته على إيصال رسائل بلاغية واضحة إلى المجتمع، تنبه إلى خطورة محاولات الإبادة والطمس التي تستهدف الحضارات، سواء أكانت هذه المحاولات لأسباب دينية أو اجتماعية أو سياسية. ويُستدل من ذلك أن سكان بلاد الرافدين، رغم اختلاف السياقات والدوافع، كانوا يدركون جيداً أن الإبادة، بأشكالها المختلفة، تمثل تهديدًا وجوديًا لهويتهم الدينية والاجتماعية، وقد انعكس هذا الوعي بوضوح في أساطيرهم وسردياتهم الثقافية، لما تحمله من تأثير عميق في وعي المتلقي.

ومن هذا المنطلق، من الضروري أن تعي المجتمعات العربية اليوم أهمية استحضار هذا الوعي الحضاري، وتوجيهه نحو تعزيز الانتباه الجماعي لمحاولات الطمس الثقافي والإقصاء التاريخي التي لا تزال تتعرض لها المنطقة، من خلال استلهام دروس الماضي وتوظيفها في بناء واقع أكثر وعيًا وصلابة.

ثالثا: اساليب وطرق الإبادة

تباينت أساليب وطرق الإبادة التي استُخدمت في حضارة بلاد الرافدين وما تلاها من فترات زمنية، حيث شملت أبعاداً مادية وأخرى معنوية. غير أن جميع تلك الأساليب كانت تهدف، في جوهرها، إلى محو الآخر وتعزيز هوية المبيد أو مبرراته. وتتأثر طبيعة وشدة أساليب الإبادة بدرجة التطرف والعداء لدى الطرف المبيد؛ فكلما اشتد التطرف وازداد الكراهية ازداد قسوة وطبيعة الوسائل المتّبعة. وباستقراء الخبرات التاريخية من حقب قديمة ولحقها فترات لاحقة، يمكن تصنيف أساليب وطرق الإبادة وفق معايير متعددة تأخذ في الاعتبار البُعدين المادي والمعنوي، وشدتها، والجهة المستهدفة، والدوافع الإيديولوجية أو الاجتماعية الموجِّهة لها.

أ-:الاحراق

تعددت الوسائل والأساليب المستخدمة في تنفيذ الإبادة الجماعية عبر العصور، حيث تميزت بعض تلك الأساليب بتركيزها على تدمير المدن، في حين استهدفت أخرى الجماعات البشرية بشكل مباشر. ويُعد إحراق المدن بالكامل من أبرز وأشد تلك الوسائل تدميراً، إذ لجأ إليها عدد من الملوك والحكام في العصور القديمة كأداة فعّالة للقضاء على الخصوم وترهيب الشعوب.

وفي هذا السياق، تشير المصادر التاريخية إلى اعتماد ملوك بلاد الرافدين على مثل هذه الأساليب، ومن بينهم الملك أداد-نيراري الأول (Adad-nārārī I) ، الذي حكم خلال الفترة الممتدة بين 1307-1275 ق.م، لمدة تقارب اثنين وثلاثين عاماً (باقر، 1973، صفحة 624). ويُترجم اسمه إلى "أداد معي" أو "أداد مساعدي" (Edzard, 1999, p. 29) ، وهو ابن الملك أريك-دين-إيلي (Arik-den-ilī) (Luckenbill, 1929, pp. 24-26.(=ARAB,1).).

وتُعد الكتابات والنقوش التي تركها أداد-نيراري الأول مصدراً مهماً لفهم الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها فترة حكمه (Grayson , 1987, pp. 128-179.(=RIMA,1))، ولا سيما حملاته العسكرية ضد كل من بلاد خاني-كالبات وبلاد بابل. ورغم أن جزءاً كبيراً من هذه النصوص تناول مشاريع الملك العمرانية ذات الطابع الديني، خصوصاً في مدينة آشور، مثل تشييده معبد الإلهة عشتار، ومعبد الإله آشور، والزقورة (الحسناوي، 2014، صفحة 35) (كاريلي، 1979، الصفحات 404-411) ، والقصر الملكي، وأسوار المدينة (وخاصة السور الداخلي)، فضلاً عن المدينة الجديدة، وبوابة الخطوة، وبوابة الإلهين أنو وأداد، إلا أن نشاطه العمراني لم يقتصر على آشور، بل امتد إلى مناطق خارجها، وخاصة فيمدينة تايدو الواقعة ضمن نطاق بلاد خاني-كالبات ((Weber, 1922, pp. 84-98.(=KAH,2)) (Grayson A. , 1987, pp. 128 (=RIMA, Assyrian Perid))، مما يعكس مدى اتساع نفوذ هذا الملك واهتمامه بإرساء البنى التحتية في الأراضي الخاضعة لحكمه.

اشار هذا الملك في معرض حديثه عن غزو مدينة تايدو الى الاتي(------ بالأسلحة القوية للإله اشور، انليل، ايا، سين، شمش، ادد، عشتارونركال الاقوى بين الالهة، استوليت على مدينة تيادو----- مدينة اماساكو، كاخات، شورو، نابولا، خورا، شروخو وشوكانو قد استوليت عليها وجلبت الى مدينة اشور ممتلكات تلك المدن ----- وقد حطمت وخربت ودمرت واحرقت مدينة اُريدو وقد زرعت النباتات المالحة فيها؟.) ((Frayne D. , 1993, p. 128ff (=RIME)).

تشير النصوص المسمارية إلى أنّ الملك تكولتي-ننورتا الأول (حكم نحو 1244–1208 ق.م) (Frayne D. R., 1998, pp. 231-199 RIME) لجأ إلى ممارسات قمعية شديدة؛ فقد تذكر إحدى نقوشه استعمال طريقة حرق الأسرى أحياءً كوسيلة للعقاب والترهيب(---- انا احتليت المركز الحضاري المهم لمدينة بورولميزو واحرقت ساكنيهم وهم احياء بالنار وبقايا جنودهم اخذتهم اسرى---). (Frayne D. R., 1998, pp. RAME,1.236)

كما قام الملك اشور-بيل-كالا(1073–1056 ق.م) (Frayne D. , 1993, pp. 86-112 ((RIME=) باحراق عدة مدن كان قد غزاها، وقد اشار الى ذلك في احدى كتاباته(...وطرقا صعبة -- --- التي لمرور عرباتي وقواتي لم تكن مناسبة والطرق التي كانت سالكة التي حواجزها حتى الطيور المجنحة في السماء لا تستطيع ان تعبرها، تلك الحواجز التي لا ملك او امير سبقني سار بها---- انا سلكت ذلك الطريق جبال خيني ḫini ---- و(جبال)لاتكون latkun ومسالكها الوعرة وممراتها الصعبة ومدرجات جبالهم بالمعاول البرونزية عملت طريقا جيدا لمرور عرباتي انا سرت حقا خلال هذه الجبال وعبرت نهر ----- وسمانونو samanunu ودخلت بلاد اورواتري uruatri ومدن قوقيبا quqiaba واموراشكاamuraška ودوناشا dunaša واريدون eridun واشتوين ištaiaun وايكيا ikkia ----- وسوكو susuku وشلاكيدو šallagidu وترابا tarraba وزورزورا zurzura -----، وليكونligunu ، واشكوتنوiškutnu واليدا elide واشتامنيا ištamnia واراا----- وارينوم Arinum وسوسالخيا susaliḫia ، وخارورو ḫaruru ، -------، وبانيراسوpanirasu وباني----، وخريشتو ḫirištu والميش ulmiš ونابالا nabala------ وخيبو ḫippu وخاراريا ḫararia واباروتو aparunu ---- --وزيقونو ziqunu وخارديا ḫardia وايلاقوشelaquš ------ ولابيليونو labliunu و------ وكشتنا GEŠTIN-na وماشكون maškun ولابيلونو labliunu كل هذه المدن ----- وغنائمهم وممتلكاتهم---- حرقت مدنهم وغطيت ------ المدن والقرى على ضفاف نهر خاريا ḫarria---- -) (Frayne D. , 1993, pp. 90-91.=RIME).

بالاستناد إلى تحليل النصوص المسمارية، يتضح أن إحدى صور الإبادة الجماعية التي تم توثيقها في العصور القديمة تمثلت في حرق المدن. إذ تعكس هذه الممارسة أبعادًا متعددة، من أبرزها التدمير الشامل للمدينة بما تحويه من معالم عمرانية وبُنى تحتية، مما يجعل من إمكانية إعادة تأهيلها أو إعادة إسكانها

أمرًا بالغ الصعوبة. ويتطلب ذلك، في حال تحققه، موارد مالية كبيرة وجهودًا استثنائية ووقتًا طويلاً، وهو ما قد يؤدي إلى تحطيم الروح المعنوية للسكان، ودفعهم نحو مشاعر الإحباط واليأس.

ويُلاحظ أن عملية الحرق، سواء في العصور القديمة أو في الأزمنة المعاصرة، ظلت تُستخدم كأداة فعالة لتحقيق أهداف عسكرية أو سياسية أو اقتصادية، رغم اختلاف السياقات والدوافع. غير أن الآثار المترتبة عليها، لا سيما في بعدها الاقتصادي والأمني، تُعدّ بالغة الضرر، إذ تؤدي إلى استنزاف موارد الدولة، وتعيق مسارات التنمية، وتحول دون توجيه الإمكانات نحو مشاريع بنّاءة تسهم في تعزيز قدرات الدولة ورفاه مجتمعها.

ان النص التاريخي الأدبي المنسوب إلى نابو–شوما–إشكون، الحاكم الداكوري، يسلط الضوء على سلسلة من الأعمال الإجرامية التي ارتكبها خلال فترة حكمه. ومن بين هذه الأفعال، نهب معبد الإيساكيلا في مدينة بابل، كما قام بإدخال آلهة تعود إلى شعوب سيلاند، والكلدان، والآراميين إلى داخل هذا المعبد، وهو ما يشير إلى تغييرات دينية وثقافية أثارت جدلاً كبيراً. بالإضافة إلى ذلك، يُذكر أن نابو–شوما–إشكون نقض المعاهدات والمواثيق التي أقسمها أمام الآلهة، مما يعكس خرقاً صارخاً للأعراف الدينية والقانونية السائدة آنذاك. وتوثّق المصادر أيضاً ارتكابه جرائم شنيعة بحق سكان مدنه، من ضمنها الاستيلاء غير المبرر على الأشخاص وممتلكاتهم، فضلاً عن إقدامه على حرق ستة عشر من الكوثيين أحياءً. تعكس هذه الأحداث مدى العنف والتوتر الاجتماعي والسياسي في تلك الحقبة، وتبرز صورة سلطة مستبدة انتهكت القوانين الدينية والمدنية على حد سواء. (...وكان يزيد ضدهم سنويًا (مستوى) القتل والسرقة والقتل وأداء الالتزامات الإقطاعية والسخرة. وفي أحد الأيام أحرق (أحياء) ستة عشر كوثيًا بالنار عند باب الإله زبابا الذي هو داخل مدينة بابل. وحمل مواطني بابل إلى أراضي حاتي وعيلام كهدايا تهنئه...) (Frame, 1995, p. 120 RIMB).

ب:تدمير البنى التحتية

تُعدّ البُنى التحتيّة إحدى الركائز الأساسية التي تستند إليها الدولة في تسيير شؤونها اليومية؛ إذ تضمُّ الهياكل والمؤسسات التنظيمية اللازمة لتشغيل المجتمع، والخدمات والمرافق الضرورية لعمل الاقتصاد. ومن بين هذه الهياكل ما يرتبط بسلسلة الإمداد الغذائي، من إنتاج وتوزيع للمأكل والمشرب والهيئات التنظيمية المصاحبة لها. تكشف النصوص المسمارية عن ممارسات متعمدة لتخريب البنى التحتية نفذها حُكّام وملوك بلاد الرافدين في سياق حملاتٍ تهدف إلى إبادة أو تحييد أعدائهم. على سبيل المثال، تشير إحدى الوثائق المسمارية إلى اجتياح الكوتيين لبلاد الرافدين وإتلافهم للسهول الخصبة التي كانت تزود البلاد بالمحاصيل والموارد الغذائية الأساسية؛ وهو ما يمكن اعتباره شكلاً من أشكال استهداف البُنى الأساسية للدولة وتهديداً متعمّداً للأمن الغذائي للسكان (...ثم أرسل إنليل جيوش الكوتيين من الجبال. تقدمهم كان كفيض إنليل الذي لا يمكن مقاومته، العاصفة العظيمة التي امتلأت بها السهول، تقدمت

أمامهم، دمرت السهول الخصبة، لم يتحرك أحد هناك...) (Frayne D. , Ur III Period, 1997, pp. 365 =RIME,3/2).

كما ذكر الملك أدد–نيراري الأول (1307–1275 ق.م) في سياق حديثه عن غزو مدينة تايدو ما يلي (------ بالأسلحة القوية للإلهة اشور، انليل، ايا، سين، شمش، ادد، عشتارونركال الاقوى بين الالهة، استوليت على مدينة تيادو----- مدينة اماساكو، كاخات، شورو، نابولا، خورا، شروخو وشوكانو قد استوليت عليها وجلبت الى مدينة اشور ممتلكات تلك المدن ----- وقد حطمت وخربت ودمرت واحرقت مدينة ارُيدو وقد زرعت النباتات المالحة فيها؟...) (Frayne D. R., 1998, p. 128ff .RIME)

يشير هذا النصُ المسماريُّ إلى وعي سكانِ بلادِ الرافدين بأهمية الأمن الغذائي ودورِه الحيوي في ضمان حياةِ الفرد واستقرارِ الجماعات. فقد عبّر النصُّ عن إدراكٍ مبكّرٍ للعواقبِ الكارثية لنقصِ الغذاء، بما في ذلك اندلاعُ المجاعاتِ وهجرةُ الأهالي من المدنِ وتأثّرُ الأمنِ والاستقرار الاجتماعي بصورةٍ بالغةٍ. وفي هذا الإطار، يؤكدُ النصُّ على استهدافِ الحقولِ والمزارع عمداً كوسيلةٍ للحيلولة دون إنتاج المحاصيل وزعزعةِ الأمن الغذائي، ما يفضي إلى تفككٍ اقتصادي واجتماعي ينعكس على المجتمعات المحلية بشكلٍ مباشر.

كما يتناولُ النصُّ بعدَ ذلكَ تدميراً منظماً للأراضي الزراعية والسكنية عبر نثرِ الحجارةِ والصخور عليها، ما يجعلُ إعادةَ السكنِ والزراعةِ فيها أمراً عسيراً أو مستحيلاً، ويُعدُّ ذلك من صورِ العقابِ الجماعيّ التي تغيّرُ الطابعَ الجغرافيّ للمنطقة وتعيقُ الحياةَ الطبيعيةَ للسكان. وقد وثّقَتِ السجلاتُ التاريخيةُ أمثلةً على مثلِ هذه الممارسات، من ذلك ما ادّعى الملكُ تغلث فلاسر الأول (Tiglat–pileser I، 1077–1115 ق.م) من إغراقِ أعدائه ونثرِ الحجارة، كوسائلٍ لإخضاعِ المناطقِ وتعميقِ الأثرِ التخريبيّ عليها (...مدينة القومانو qumanu وكذلك مدينة ميخرو meḫru إنا أخضعتها لي وأغرقت خونوسو معقلهم (أو حصنهم) وأحلتها ككومة خراب ونثرت أحجار الصيفو ṣīpu عليها، مدينتهم العظيمة مثل الطوفان عبرتها وحولتها الى كومة خراب...) ((Budge,E.A.W & King,L.W.,A, 1902, p. 119:14 (=AKA)) .(Frayne D. , 1993, p. 34 (=RIME))

يشير الاستقراء للنص المسماري إلى أسلوب مهم من أساليب الإبادة الجماعية، يتمثل في الإمعان متعمداً في إغراق ما يمكن الاستفادة منه من أجزاء المدينة أو من حقولها وبساتينها ومظاهرها العمرانية، وإحالتها إلى خراب لا يُنفع. وتعدّ هذه الممارسات، المتمثلة في تعمد إتلاف الموارد المائية وفتح منافذها على المدن والقرى والأراضي الزراعية، من الأساليب الخبيثة التي ظهرت أيضاً في العمليات التي قامت بها جماعات مسلحة معاصرة؛ فعلى سبيل المثال، عمدت تنظيمات مثل داعش إلى فتح منافذ المياه المتجهة إلى مناطق مأهولة وبساتين وحقول، مما أدى إلى إلحاق أضرار جسيمة بالبنى التحتية الاقتصادية والمرافق الاستيطانية.

ينتج عن هذا الإغراق هلاك المزروعات والنباتات التي تشكل مصدراً أساسياً للغذاء للإنسان والحيوان على حد سواء، ومن ثم فإن تعمد إتلاف هذه الموارد الزراعية يندرج ضمن الوسائل التي تستهدف إلحاق الضرر بالمدنيين وإفقادهم وسيلتهم في البقاء، وهو ما يمكن اعتباره شكلاً من أشكال الإبادة الجماعية أو ما يوافقها من سياسات ممنهجة تهدف إلى إفقاد المجتمع مقومات حياته. علاوة على ذلك، يترتب على هذه الممارسات تأثيرات طويلة الأمد على النسيجين الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة، إذ تُضعف القدرات الإنتاجية الزراعية وتُحدث أضراراً مستدامة في شبكات الري والمرافق المساندة.

يشير النص أيضاً إلى عملية نثر نوع من الأحجار المشار إليها باسم «أحجار الصيفو» (ṣīpu). وعلى الرغم من تصنيف هذا المصطلح في المعاجم اللغوية بأنه من الأحجار المعدنية، فإن ماهية هذا الحجر وطبيعة تأثيره البيئي والزراعي عند نثره لا تزال غير واضحة؛ إذ يفتقر النص المسماري إلى تحديد خواصه الكيميائية والفيزيائية وكيفية تفاعله مع التربة والمياه والمباني. وإذا أُستخدم هذا الحجر بكميات كبيرة في الأراضي الزراعية أو السكنية أو في قنوات الري، فقد يؤدي ذلك إلى مخاطر بيئية واقتصادية واجتماعية ملموسة، تشمل تدهور الخصوبة الزراعية وتهديد صحة الإنسان والحيوان، إضافة إلى تغييرات محتملة في المعالم الجغرافية المحلية.

بناءً على ذلك، فإن الممارسات المشار إليها — من إغراق متعمد للأراضي والمحاصيل إلى نشر مواد غير معروفة التأثير — تمثل تهديداً مباشراً لطبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المتأثرة، وتستلزم دراسات علمية متخصصة لتحديد أبعاد الضرر وتوثيقه، فضلاً عن سياسات وقائية وإجراءات إصلاحية لإعادة تأهيل الأراضي والموارد المتضررة وحماية السكان المدنيين.

وفي نص اخر اشار الملك تجلات–بليزر الاول ايضا الى احراقه وتدميره لخمس وعشرين من مدن غزاها(....واقتحمت المدن الواقعة على حافة الجبل وغزيت قرابة خمس وعشرين مدينة من بلاد خارايا ḫaraia التي تقع في قعر جبال ايا aia شويرا šuira اتنو atnu وحملت غنائمهم واملاكهم وممتلكاتهم واحرقت وهدمت ودمرت مدنهم...) ((Frayne D. , 1993, p. 18 (=RIME)).

بالاستناد إلى النصوص المتوفرة، يمكن استنتاج شكل آخر من أشكال الإبادة يتمثل في استنزاف الموارد الغذائية للمدن، مما يؤدي إلى حدوث المجاعة والجوع، وبالتالي إلى هجرة السكان وتركهم للمدينة. ويُعد هذا النمط من الإبادة غير المباشرة استراتيجية متعمدة استخدمها الملك الآشوري آشور–ناصر–بال الثاني، كما يتضح في إحدى كتاباته. فبعد أن شن حملة عسكرية على إحدى مدن الأعداء، وقام بتدميرها وقتل سكانها وجنودها، لم يكتفِ بذلك، بل لجأ إلى استنزاف مواردها الاقتصادية، حيث قام بحصاد حقول الحنطة التابعة للمدينة المهزومة، واستغلالها لصالح دولته من خلال تخزينها في إحدى المدن الخاضعة لسيطرته. تعكس هذه الممارسة توظيفاً ممنهجاً للموارد كأداة للسيطرة والإخضاع، ضمن إطار السياسات الحربية للدولة الآشورية.

(----- انا سرت الى مدينة ارباكو الواقعة عند بلاد خابخو هم شعروا بالرعب من طلتي الملكية وقد هجروا مدنهم واسوارهم ولكي يحافظوا على حياتهم فقد هربوا الى جبل ماتنو الجبل العظيم وقد تعقبتهم وقد قتلت الف جندي منهم وقد حولت الجبل الى اللون الاحمر من دمائهم وقد ملات قعر وسهل الجبل بجثثهم وقد اسرت 200 جندي منهم حيا وقطعت اذرعهم وحملت بحدود 2000 جندي منهم كأسرى وجلبت الثيران والماشية منهم بدون اعداد تحصى وقد غزيت مدينة لابايا ومدينة سالايبا المدينة المحصنة لبلاد ارباكو وقد ذبحت جنودهم واخذت الاخرين اسرى ثم خربت ودمرت وحرقت 250 مدينة محصنة من مدن نائيري وحولتها الى خراب وقد حصدت حقولهم وخزنت الشعير والحنطة في مدينة كوشخا----) (Frayne D. , 1993, p. 211 (=RIME)).

ت:قطع الرؤوس

تشير الأدلة التاريخية إلى أن قطع الرؤوس شكّل ـ عبر العصور ـ وسيلة عنف جسدي ورمزي اتّبعها حكّام وملوك في سياقات عدّة لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية. استُخدمت هذه الممارسة كأداة لإيصال رسالة صريحة بقدرة المنفّذ على التحكم والسيطرة، ولزرع الخوف والرهبة لدى الخصم والمجتمعات المعادية، ما كان له أثرٌ في تراجع فعاليّتهم القتالية وتدهور معنوياتهم. إلى جانب البُعد التخويفي، يمكن إدراك قطع الرؤوس كعنصر من عناصر الإبادة الجماعية حين تُوظَّف بهدف تدمير الجماعة المستهدفة أو طمس هويتها الثقافية والاجتماعية ومحو آثار وجودها الرمزي. ومن ثم، فإن لهذه الممارسة دلالات مزدوجة: دلالات عسكرية وسياسية تعبّر عن القسر والهيمنة، ودلالات ثقافية واجتماعية تمسّ قدرة الجماعات على الاحتفاظ بذاكرتها وهويتها. يقتضي التعامل البحثي مع هذه الظاهرة استخدام مناهج متعددة التخصصات تجمع بين التاريخ السياسي، دراسات العنف، وعلم الاجتماع الثقافي لفهم مقاصدها، آلياتها، وتبعاتها على المدى القصير والطويل.

"يُشير الملك ورد–سين (Warad-Sin)، الذي حكم خلال الفترة ما بين 1834–1823 ق.م (Frayne D. , 1990, pp. 202-266) ، في عددٍ من نصوصه الملكية إلى والده الملك كودور–مابوك (Kudur-Mabuk) (Frayne D. , 1990, pp. 266-269 (=RIME))، الذي تولّى الحكم لاحقًا بين عامي 1770–1754 ق.م. وتستعرض هذه النصوص بعضًا من أبرز إنجازات كودور–مابوك، حيث يُقدَّم بوصفه قائداً عسكريًا حازمًا، إذ يُذكر ضمنها قيامه بقطع رؤوس أعدائه، في إشارة إلى ممارساته في الحرب وتعاملاته الصارمة مع خصومه، وهو ما يعكس الطابع الدموي للصراعات السياسية والعسكرية في تلك الحقبة(... أنا، كودور مابوك، أب أرض الامموريين، ابن شمتي– شيلاك، الذي رد الجميل لمعبد الايبار (و) زينه لإله الشمس أوتو، سيده، الذي جمع الشعب المتناثر (و) نظم جيوشهم المفككة، الذي جعل أرضه سالمة، الذي ضرب رؤوس أعدائه، فخ ارضه، الذي سحق(حطم) كل الأعداء، الذي جعل

الإلـه أوتـو، شـاب القوانين، القاضـي الأعلـى للسماء والأرض، يسكن برضـا (فـي) مسكنه الأميري، فـي لارسا، المكان الذي تُقدم فيه القرابين بانتظام...) ((Frayne D. , 1990, p. 220 (=RIME).

كما أشار الملك تجلات–بليزر الأول إلى اتباعه نهجًا قاسيًا في التعامل مع الأعداء، تميز باستخدام مفرط للعنف وسفك الدماء، حتى أن الدماء المراقة وُصفت بأنها غمرت الأودية وغطّت مساحات واسعة من الأراضي. ويعكس هذا الوصف مدى الوحشية التي اتّسمت بها الحملات العسكرية في عهده، والتي اتخذت من الرعب وسيلة لبسط السيطرة وترسيخ الهيبة السلطوية(...في السنة التي اعتليت بها العرش عشرون الف(20000) من قوم الموشكو mušku مع ملوكهم الخمس الذي بقوا يسيطرون على بلاد الالزو alzu لمدة خمسين عاما وكذلك بلاد بورولومزي purulumzi ، حاملين معهم الضرائب والجزية للإلـه اشور، سيدي، ، (الموشكو) الذين هم ليسوا بملوك لم يتم صدهم باي معركة وهم يسيرون بثبات بقوتهم نزلوا واحتلوا بلاد كاتموخو katmuhu ، وبمساعدة الالـه اشور، سيدي، فقد وضعت عرباتي وجندي تحت اهبة الاستعداد ولم انتظر وصول مؤخرة الجيش ، فقد اجتزت المنطقة الوعرة من جبال كاشيرا kašiara ، وقد قاتلت(الاعداء البالغ عديدهم)عشرون الف مقاتل مع ملوك خمس من بلاد كاتموخا وقد هزمتهم، ومثل عاصفة ربانية فقد كومت جثث جنودهم في ساحة المعركة وجعلت دماءهم تصب في سهل الجبل، وقد قطعت رؤوسهم وكومتهم مثل اكوام الحبوب حول مدنهم....) , .Frayne D) ((RIME =) 14 .p ,1993.

و اشار الملك اشور–بيل–كالاaššur–bēl–kala الى قطعه رؤوس اعدائه وخاصا الملوك وذريتهم(....ذرية اشور–اتيلوaššur–etellu ابن الملك ابن سا---- رؤوسهم انا قطعت...) (Frayne .D. , 1993, pp. 91-92 (=RIME)).

ث:التهجير والاحتواء

يُعدّ التهجير القسري والاحتواء من الوسائل المعتمدة التي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بممارسات الإبادة الجماعية، إذ تسهم هذه الإجراءات في طمس الهوية الحضارية للشعوب، ومحاولة إذابة ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها في إطار ثقافات مهيمنة بديلة. وتؤدي هذه الممارسات، مع مرور الزمن، إلى اندثار الثقافات الأصلية وانصهارها ضمن منظومات حضارية مغايرة، وذلك نتيجة للصراع الحضاري والبيئي والاجتماعي القائم.

إن تهجير السكان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق جديدة يفضي إلى انتقالهم من بيئة حضارية إلى أخرى، ما يؤدي إلى تغير في مختلف المفردات الثقافية والحضارية لديهم. كما أن الأوضاع الإنسانية التي يعيشها المُهجّرون في أماكن التهجير غالبًا ما تكون مترديةً، ولا ترتقي إلى الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية. يُضاف إلى ذلك استغلال القوى العاملة للمهجرين في أعمال شاقة أو قسرية، وفي بعض

الحالات يتم إدماجهم في التنظيمات العسكرية تحت الضغط والتهديد، وهو ما يُعدّ خرقًا صارخًا للحقوق الأساسية.

وتُشير الأبعاد الفكرية والثقافية لهذه الظاهرة إلى ما يمكن وصفه بـ"الإبادة الفكرية الحضارية"، حيث يُجبر المُهجّرون على العيش ضمن أطر ثقافية مغايرة قسرًا، ما يؤدي إلى زوال أنماطهم الثقافية الخاصة بمرور الوقت. وتُعدّ ظروف المعيشة في هذه الحالة غير طوعية، إذ يُجبر الأفراد على التكيف مع واقع جديد دون اختيار.

وعلى الصعيد التاريخي، كان الحكّام والملوك يدركون تمامًا خطورة بقاء السكان الأصليين في مدنهم وقراهم بعد السيطرة عليها، لما لذلك من احتمالية إعادة التنظيم والمقاومة. لذلك، كانوا يعمدون إلى تهجير السكان من المناطق الخاضعة لسيطرتهم، ليس فقط لإضعاف القدرة على النهوض مجددًا، بل أيضًا للاستفادة من الموارد البشرية في أماكن أخرى تحت سيطرتهم، مما يعكس بعدًا استراتيجيًا في سياسات التهجير المتعمدة.

فمثلا عمد الملك سمسو-ايلونا samsu-iluna (1749-1712ق. م) (خليل، 2018، الصفحات 204-218) (KHWSHNAW & MOHAMMED, Iraq, pp. 57-65)بالسيطرة على مدينة خامان وهجر سكانها منها (...وخرب المدينة ودمرها مدينة خامان لقبيلة الخانيين التي بناها جميع رؤساء خانا هدمها وجعلها خرابا. هو هزم ملكهم كاسوري خالا kasuri-ḫāla . وبعد أن أخذ سكانهم سيطر على ضفاف نهر الفرات....) ((Frayne D. , 1990, p. 640 (=RIME) ، وقام هذا الملك ايضا باعادة المواطنين الى مساكنهم واحتوائهم بعد ان قام بتدمير مدينتهم وهرجهم في المنطقة المعروفة بواروم warum (...(أعاد) بناء الحصون المختلفة لأرض واروم التي دمرها (و) أعاد تجميع سكانها المشتتين وإعادة توطينهم...) ((Frayne D. , 1990, p. 390 (=RIME)

وقام الملك شلمنصر الأول (1274-1245 ق.م) (Luckenbill D. D., 1927, pp. 112-113and PP.127-133 (=ARAB,2)) بتنفيذ سياسة تهجير ممنهجة بحق سكان المناطق التي أخضعها لسلطته، حيث شملت حملاته العسكرية نحو ثمان مدن وواحدة وخمسين قرية. وقد ترتب على هذه الحملات نهب ممتلكات السكان وترحيلهم القسري. علاوة على ذلك، عمل شلمنصر على اختيار مجموعة من شباب تلك المناطق، ممن امتازوا بالقوة واللياقة البدنية، لضمهم إلى صفوف جيشه، بما يعكس توجهه نحو الاستفادة من الموارد البشرية في دعم المؤسسة العسكرية (---- عندما اختارني الاله اشور، لتبجيله------ حاربت مدن خيمي، اونقون، ماشكون، سالوئا، خاليلا، لوخو، نيلي-باخري وزنكون ثمان مدن بمعارك عنيفة دمرت بحدود واحد وخمسون قرية من مدنهم وخربت ودمرت وحرقت مدنهم وحملت ناسهم وممتلكاتهم---لقد أخضعت كل أراضي أورواتري في ثلاثة أيام عند أقدام آشور سيدي. لقد اخترت مجموعة مختارة من شبابهم (و) لدخول خدمتي. لقد فرضت عليهم (المناطق المحتلة) جزية ثقيلة من الجبال إلى الأبد...) (Frayne D. R., 1998, p. 183 RIME).

ج: السلب والنهب (الغنائم)

تُعَدُّ الغنائم والجزيات من أهم الوسائل التي يلجأ إليها الحكام والملوك بعد إخضاع مدينة أو بلدٍ ما، بهدف إضعاف قدرات الدولة المغزوة واستنزاف مواردها الاقتصادية؛ وهي شكل من أشكال الاستنزاف المنهجي الذي قد يفضي إلى انتهاكات خطيرة بحق السكان وقد يصل أحياناً إلى ما يُوصف بالإبادة الجماعية من حيث التأثير الشامل على المجتمع ومقدراته. كما أن لهذه الغنائم فائدة مزدوجة لدى الدولة الغازية، إذ تُغَذِّي خزائنها وتعزز مدخراتها وتُقوّي اقتصادها، الأمر الذي يتيح لها دعم الجوانب العسكرية والإدارية وتعزيز موقعها في الصراع الإقليمي والدولي.

تشير المصادر المسمارية إلى أن الغنيمة اتسعت بتنوعها تبعاً لتنوع الحياة العامة لدى الشعب المغزوع؛ فقد سعَى الغزاة – عبر العصور – إلى نَهْبِ كلِّ ما يمكن استغلاله من موارد مادية وبشرية ومؤسساتية، لأن أيَ مقتنياتٍ تُستولى عليها تُشكّل إضافةً لخزانة الدولة الغازية ومخزون قوتها الاقتصادية والعسكرية. ومن المنظور التاريخي، يمكن فهم ممارسات النهب والجزية باعتبارها سياسات ممنهجة لاستنزاف مقدرات الدولة المغلوبة وإضعاف بنيتها التحتية والاقتصادية.

لقد ورد مصطلح "الغنيمة" في النصوص السومرية بصيغ متعددة، عكست تطور المفهوم وتعدد استخداماته. فقد استُخدم المصطلح السومري "سار" (SAR)، والذي يقابله في اللغة الأكدية مصطلح "خُبْتُو" (ḫuptu) (Oppenheime & others, 1957, pp. CAD,Ḫ,215:b) ، ، للدلالة على الغنائم. كما وردت صيغة أخرى هي "كش–شوب–با" (GIŠ.ŠUB.BA)، التي تقابلها في الأكدية كلمة "إسقو" (isqu) (Oppenheime & others, 1959, pp. 198:b (=CAD,I/J)). كذلك استُعمل المصطلح السومري "بلوگ–كوب–با" ($BULUG_3$.GUB.BA)، والذي يُقابل بالمصطلح الأكدي "خِمْصَاتو" (ḫimṣātu) (Oppenheime & others, 1957, pp. CAD,Ḫ,191:b). تعكس هذه المصطلحات التنوع الدلالي والغنى الاصطلاحي الذي ارتبط بمفهوم الغنيمة في السياقين السومري والأكدي، كما تُشير إلى تداخل المصطلحات العسكرية والاقتصادية في أدبيات حضارات وادي الرافدين.

فيما يتعلق بتاريخ الاستيلاء على الغنائم وما اتبعه الحكام والملوك في تحصيلها، يزخر السجل التاريخي بالعديد من الأمثلة التي تعكس هذه الممارسات. ومن بين هذه الأمثلة، يُذكر الملك شو–سين الذي، عقب انتصاره على أعدائه، قام بجمع الجزية والغنائم منهم. كما عمد إلى إنشاء تمثال يمثل هذه الغنائم، موثقًا فيه انتصاراته، مما يعكس أهمية الغنائم كرموز للسلطة والنصر في تلك الفترة التاريخية(...من الذهب الذي أخذه كغنيمة، صاغ صورة لنفسه [و] قدّمها لإله إنليل، سيده، من أجل حياته. أما من يزيل هذا النقش، فليمزق آلهة إنليل وننليل أسسه ويُدمّر نسله...) (Frayne & Frayne, 1997, pp. 310 (=RIME,3/2))

قام الملك تجلات بليزر الأول (1115–1077 ق.م) بتوثيق نقل الغنائم التي استولى عليها خلال معاركه مع المَشكو، حيث أشارت الحوليات الملكية إلى أن هذه الغنائم كانت متعددة ومتنوعة، وتُعد بكميات كبيرة

لا يمكن حصرها(...وقد قطعت رؤوسهم وكومتهم مثل اكوام الحبوب حول مدنهم، ونقلت غنائمهم، ممتلكاتهم بما لا تحصى ولا تعد...) ((Frayne D. , 1993, p. 14 (=RIME) ، في نص آخر يعود إلى هذا الملك، يُذكر فيه قيامه بحملة عسكرية ضد مدينة شيريشو (šereššu)، التي أسفرت عن انتصارات واسعة وغنائم كثيرة. من بين هذه الغنائم، تم أسر ملك شيريشو المدعو كيلي-تيشوب (kili-tešub)، وهو ابن كالي تيشوب (kali-tešub). كما تم أسر زوجاته وأولاده ورفاقه العسكريين. بالإضافة إلى ذلك، شملت الغنائم أعدادًا كبيرة من القدور والأحواض، وكميات معتبرة من الذهب والفضة، بل وحتى تم الاستيلاء على أعداد من الأوثان الدينية التابعة للمدينة(---- مدينة شريشو šereššu، وقد نثرت مثل كومة الشعير جثث جنودهم في المعركة وجعلت دماءهم تسيح في سهول الجبال------ انا اسرت في المعركة ملكهم المدعو كيلي-تيشوب kili-tešub ابن كالي تيشوبkali-tešub الذي قتل اوربي errupi وحملت زوجاته وابنائه وزمرته، مائة وثمانون قدر نحاسي وخمسة احواض استحمام برونزية سوية مع الهتهم، الذهب، الفضة وبقية ممتلكاتهم وجلبت غنائمهم واحرقت وهدمت ودمرت تلك المدينة وقصورها) ((Frayne D. , 1993, p. 15 (=RIME).

و قام الملك تجلات-بليزر الاول ايضا باخذ الجزية وفرض الضرائب واخذ الرهائن ايضا من شادي-تيشوب šadi-tešub ابن خاتوخو ḫattuḫu ملك بلاد اوراتيناش urratinaš وكالاتي (----- شادي-تيشوب šadi-tešub ابن خاتوخو ḫattuḫu ملك بلاد اوراتيناش urratinaš خضع لي مع بلاده ، اخذت ابناءه وعائلته كرهائن وقد جلب لي كجزية وضريبة ستين اناء من النحاس واحواض برونزية واحواض استحمام كبيرة سوية مع مائة وعشرين شخصا، ماشية واغنام وقبلت جزيته...)

يلعب تحويل الموارد المادية — عبر جباية الجزية والاستحواذ على الغنائم — دورًا مركزيًا في إضعاف الدولة وتعزيز قدرة الفاعل المعادي. فاستنزاف المقدرات المعيشية للفئات المحلية يحد من مقدرتهم على المقاومة ويهيئ بيئة خاضعة للسيطرة، بينما يشكل الترهيب وفرض الرسوم القسرية وسيلة لإخضاع السكان وإجبارهم على الامتثال. على المستوى المؤسسي، تتيح هذه الموارد المقتطعة للمجموعات المعادية تمويل أجهزتها العسكرية وعملياتها التخريبية، بما يعزز استدامة مخططاتها العدائية. وتعد تجربة العراق الحديثة مثالا واضحًا على ذلك، حيث لجأ تنظيم داعش إلى ممارسة جباية الجزية وفرض الرسوم على السكان في المناطق التي وقع تحت سيطرته، ما مكّنه من دعم قدراته المالية والعسكرية واستمرار عملياته الإرهابية

ح:القتل والتنكيل

في دراسات الإبادة الجماعية، يحتل القتل بأشكاله المتعددة موقعًا بارزًا باعتباره وسيلةً مركزية لتحقيق أهداف الإبادة. فالموت قد ينجم عن أسبابٍ تبدو طبيعية أو متناغمة مع سياق النزاع المسلّح — كموت المقاتل في ساحة المعركة أو القتل بواسطة تفجير أو إطلاق نار أثناء الإعدام —، لكن ثمة حالات

تتجاوز فيها أعمال القتل حدود الضرورة العسكرية لتعبّر عن حقدٍ دفين ووحشيةٍ منهجية تنبع من تصورات أيديولوجية تُستهدف بها هوية الضحايا ومكانتهم. وقد يكون القتل فرديًا أو يطال مجموعات محددة أو فئات اجتماعية بامتياز، ويستخدمه خصوم الدولة أحيانًا كأداة توتير طائفي ومذهبي بهدف تفتيت النسيج الاجتماعي ونشر الخوف.

تُظهر المصادر التاريخية أن ممارسات القتل الجماعي ليست ظاهرة حديثة فحسب، بل تمتد إلى عصورٍ قديمة. فعلى سبيل المثال، تشير نقوش الملك أور–ناشنه (حكم تقريبًا 2520–2490 ق.م.)، ملكِ مدينةِ لكش، إلى غزواته ضد أوما وأور وهزيمته جيوشَ هاتين المدينتين. وتُبرز تلك الكتابات مشهدًا مزدوجًا: من جهة، وقوع قتلى بأعدادٍ كبيرة بين صفوف الأعداء، ومن جهة أخرى، قيام السلطات المحلية بدفن جثامين القتلى في تلال أو مقابر جماعية مع إبداء شكلٍ من أشكال الاحترام الجنائزي. وتدل هذه المعطيات على أن عمليات القتل الجماعي، حتى عند وقوعها في سياقات حربية قديمة، كانت تُقابل أحيانًا بممارسات دفن منتظمة تُبرز بعدًا طقوسيًا أو قانونيًا في التعامل مع جثث الضحايا، وهو ما يستدعي دراسة مقارناتية بين أشكال العنف وطرائق المعالجة الجنائزية عبر العصور لفهم التحولات في دلالات القتل الجماعي ومبرراته الاجتماعية والسياسية (...دفن (ضحاياه بشرف) في التلال...) (Frayne D. R., 1998, pp. 92,iii:8-9 RIME) ، وهذا ما اشار اليه الملك اي–اناتوم e-anatum في كتاباته ايضا اذ قام بعمل عشرون مقبرة لدفن جثث اعدائه (Frayne D. R., 1998, p. 131 RIME).

"يُذكر في السجلات التاريخية للعصر الأكدي أن الملك ريموش، أحد ملوك الدولة الأكدية، قد أورد في نصوصه أنه قام بقتل نحو ٨٩٠٠ من أفراد القوات المعادية خلال إحدى حملاته العسكرية (...ريمويش، ملك العالم، كان منتصراً على أوما وكي.آن في معركة وقضى على 8,900 رجل. أسر 3,540 أسيرًا. وعلاوة على ذلك، أسر إين–...، حاكم أوما، ولوكال–كا، حاكم كي.آن. وعلاوة على ذلك، انتصر في غزو مدينتيهما ودمّر جدرانهما...) (Frayne D. , 1993, pp. RIME2 43-44) ، وفي نص اخر لهذا الملك يروي فيه قتله لاعدائه (...ريموش، ملك العالم، كان منتصراً على أور ولكش في معركة وقضى على 8,040 رجل. أسر 5,460 أسيرًا. وعلاوة على ذلك، أسر كا–كو، ملك أور، وكيتوي–إد، حاكم لجاش. وعلاوة على ذلك، انتصر في غزو مدينتيهما ودمّر جدرانهما...) (Frayne D. , 1993, pp. RIME2, 45-46) .

أشار الملك ريموش في كتاباته إلى قيامه بعمليات عسكرية أسفرت عن إبادة عدد كبير من سكان مدن سومر، حيث ذكر أنه قضى على ما يقارب أربعة عشر ألفاً ومئة رجل. وتُعدّ هذه الإشارة واحدة من أوائل الدلائل على ممارسات الإبادة الجماعية في تلك الحقبة، مما يعكس طبيعة الصراعات السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك.

(...كان منتصراً ثلاث مرات كاملة على سومر في(عدة) معارك.و قضى على 11,322 رجل. أسر [عدد] من الأسرى. وعلاوة على ذلك، أسر كا-كو، ملك أور، وحكامه. وعلاوة على ذلك، أخذ غنائمهم حتى البحر السفلي. وعلاوة على ذلك، طرد 14,100 رجل من مدن سومر وأبادهم. وعلاوة على ذلك، انتصر في غزو مدنهم ودمر جدرانها...) (Frayne D. , 1993, pp. RIME,2 47-48) ، وفي نص اخر يحمل مدولول الإبادة نفسه (...ثم، عند عودته، قامت كازالو بالتمرد. انتصر عليها وفي داخل كازالو نفسه قضى على 12,052 رجل. أسر 5,862 أسيرًا. وعلاوة على ذلك، أسر أخا-اراد، حاكم كازالو، ودمّر جدارها. إجمالاً، بلغ عدد الرجال 54,016 (بما في ذلك) الذين قضى عليهم، والأسرى، والذين أبادهم... في الحملة...) (Frayne D. , 1993, pp. RIME,2 48) ، اما الملك نرام-سين فكانت له طريقة اخرى في القتل بان يقتل الاعداء ويرمي جثثهم في النهر (...أسر إدي(ن)-[إيلوم]، حاكم كوثا؛ إليش-تكال، حاكم سبار؛ شاليم-بيلي، حاكم كيريتاب؛ قيشوم، حاكم إريش؛ إيتا-إيلوم، حاكم دلبات؛ وإمتاليك، قائد تيوا - إجمالياً 1,000 ضابط و2,015 أسيرًا - أسرهم في المعركة. وعلاوة على ذلك، ملأ نهر الفرات بجثثهم، انتصر في مدينة كيش، ودمر جدارها...) (Frayne D. , 1993, pp. RIME,2) 2107).

في عهد سلالة أور الثالثة، أشار الملك شولكي (2094–2047 ق.م) في أحد نصوصه الملكية إلى قيامه بعمليات عسكرية ضد مدينتي كيماش وخورتوم (الطائي، 2017، صفحة 63) (الميالي، 2022 ، الصفحات 2230–2239) ، حيث ذكر قيامه بقتل أعدائه هناك. كما أفاد بأن جثث القتلى قد تُركت مكدسة، في إشارة إلى حجم الانتصار الذي حققه والدمار الذي ألحقه بتلك المناطق، وذلك في سياق تعزيز صورته كملك محارب ومهيمن على المناطق المجاورة (Frayne & Frayne, 1997, pp. 141 =RIME,3/2)).

تشير المصادر التاريخية إلى أن فترة حكم هذا الملك شهدت تصاعدًا ملحوظًا في التهديد الآرامي، الأمر الذي أدى إلى اندلاع صراع عسكري مباشر بين القوات الآشورية ونظيرتها الآرامية. وتُعد "المسلة المكسورة" – وهي إحدى الآثار المنقوشة المنسوبة إلى هذا الملك والتي أطلق عليها الباحثون هذا الاسم – مصدرًا أساسياً يوضح نشوب المعارك بين الجانبين، كما تسلط الضوء على حدة التوترات التي كانت سائدة في تلك الحقبة (Frayne D. , 1993, p. 86 (=RIME)).

وتُظهر معظم النصوص التي دُوّنت في المرحلة المبكرة من حكم هذا الملك، تعرض سلطته لتحديات متكررة من قبل الآراميين، ما يعكس حجم التهديد الذي كانوا يشكلونه. ويبدو أن ردة فعل الملك تجاه هذه التهديدات اتسمت بالشدة المفرطة، إذ تشير بعض النصوص إلى استخدامه وسائل قاسية في معاملة الأسرى من الجنود الآراميين، منها ممارسة سلخ أجسادهم بعد الانتصار عليهم، وهي طريقة يُنظر إليها كأحد أشكال التنكيل التي تهدف إلى بث الرعب بين الأعداء، وقد تُعد من أساليب الإبادة الجماعية في سياقاتها التاريخية.

كما تضمنت كتابات هذا الملك إشارات مباشرة إلى عمليات التدمير الواسع التي طالت مدن العدو، وما رافقها من محاولات لإبادة السكان بشكل ممنهج، في إطار سعيه لترسيخ الهيمنة الآشورية وتثبيت سلطته في مواجهة التحديات الآرامية.

يبدو أن الملك كان شديد السخط على الآراميين، إذ تشير النصوص إلى لجوئه إلى ممارسات عنيفة ضد جنود الأعداء بعد تحقيق النصر عليهم، من بينها سلخ جلودهم، وهي وسيلة تنكيل استخدمت لأغراض الترهيب وبث الرعب، وتُعد من أساليب القتل الوحشي التي قد تندرج ضمن أطر الإبادة الجماعية. كما توثق الكتابات الملكية تلك الأفعال، وتُبرز حملاته التدميرية ضد مدن الأعداء، وسعيه الممنهج إلى القضاء عليهم بشكل شامل(... في بلاد خيمي ḫimme ---- ضد------مدينة-----حصونهم و------ لبلاد خيمي، انا غزيت ودمرت ونهبت الرجال والماشية التي هي مثل نجوم السماء لاتعد ولا تحصى ، جميع المدن التابعة لبلاد خيمي غزيتها ودمرتها ولم ادع اي محارب منهم ان يفر ويعيش حيا وسلخت رجالهم وحكامهم...) ((Frayne D. , 1993, p. 88 (=RIME)). (Weber, 1922, pp. 46,No. 77) (Luckenbill, 1926, pp. 285ff.(=ARAB,1))

تُعدّ الأساليب القاسية في التعامل مع الجثث — مثل التمثيل بها، والحرق، أو سلخ أجزاء منها — ممارساتً استُخدمت من قِبَل جماعات متطرفة معاصرة واستُوظفت للتعبير عن العنف والعداوة تجاه أبناء العراق. هذه الأعمال لا تقتصر على كونها تجليات للعنف المادي فحسب، بل تمثل أيضاً مؤشرًا على توجهات أيديولوجية وسلوكية معادية للإنسانية، وقد شَكَّلَت جزءًا من محاولات إبادة أو تهديد جماعي استُخدمت فيها أساليب متعددة لتحقيق أهدافها. لذلك، يُعَدّ وعي الشباب والجيل الجديد بتلك الممارسات اللاإنسانية وفهم جذورها ومآلاتها أمراً بالغ الأهمية من أجل بناء رادع أخلاقي وإنساني، وتأمين نوع من "الأمن الفكري" الذي يقي المجتمع من الانجراف وراء أفكار متطرفة. كما أن تثقيف الجمهور حول هذه الممارسات وشرح أساليبها ونتائجها يساهم في تعزيز مبادئ الإنسانية والأمن الفكري لدى عموم المجتمع، لا سيما بين أبناء العراق.

في سياق التاريخ العسكري والعقابي، يُستشهد أحيانًا بممارسات مروّعة اتُبعت ضد الأسرى أو المحكومين؛ ومن ذلك ما نسب إلى الملك آشور بيل-كالا من إتلاف أعين الأعداء وإحداث إعاقات بصَرية متعمدة. ثمة اختلاف بين الباحثين حول مدى التطبيق — هل شمل الإيذاء عمىّ العينين أم اقتصَر على إفساد عين واحدة —، إذ أن النصوص المسمارية الحالية لا تقدم توضيحًا قاطعًا في هذا الصدد. غير أن الاستفادة العملية من ذوي الإعاقات البصرية لأغراض عمل معينة في المجتمع قد تدعم فرضية الاقتصار على إتلاف عين واحدة في بعض الحالات، رغم أن أي شكل من أشكال فقدان البصر المتعمد يُعدُّ وسيلةً عقابية قاسية ومقصداً من مقاصد الإبادة الجماعية من حيث آثاره الواسعة. فالتأثيرات السلبية لهذه الممارسات تتعدى الأبعاد السياسية لتطال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمجتمع. ومن ثمّ، فإن توثيق هذه الأعمال ودراستها وتحليلها التاريخي يُعدّ أمراً لازماً لفهم آليات العنف وأساليب الردع

الأخلاقي والاجتماعي التي ينبغي تبنّيها لمنع تكرارها، وقد اشار الى ذلك احد الملوك في كتاباته (.... في بلاد خيمي himmḫ ---- ضد------مدينة-----حصونهم و------ لبلاد خيمي..... وحول العديد من مدنهم انا جعلت جثث محاربيهم تبدوا كالتلال وقطعتها اربا في ارض المعركة.والجنود والقوات والجيش والذين لا يحصون بأعداد قمت بعميهم (اعميتهم) وبذلك اكون قد ثارت لبلادي------ ---دمائهم...) (Frayne D. , 1993, p. 88 (=RIME)). (Weber, 1922, pp. 46,No. 77) (Luckenbill, 1926, pp. 434-5.(=ARAB,1))

يشير تعبيرُ الملك «ثارت لبلادي» في النص إلى استدعاء مبرر الانتقام كحافز لتبرير الإجراءات العقابية المتخذة بحقّ الجنود والقوات، وكأن ثمة استناداً إلى حوادث غزوٍ سابقة طالَت البلاد. ويُعدّ مبدأُ الثأر إحدى الوسائل التي استُخدمت تاريخياً وتشكّل أحد مظاهر العنف المنهجي، إذ قد يدفع هذا المبدأُ مجتمعاتٍ أو جماعاتٍ إلى ارتكاب إبادة جماعية أو حملات تدمير شامل ضد جماعاتٍ أخرى، وهو ما تشهده سجلات التاريخ القديم والحديث على حدٍّ سواء.

خ:الاتجار بالبشر

يُعدّ الاتجار بالبشر، بما في ذلك بيع وشراء النساء والأطفال، من أبرز الجوانب المرتبطة بجرائم الإبادة الجماعية، إذ يمثل وسيلة فعّالة لتحقيق هدفين رئيسيين. يتمثل الهدف الأول في القضاء على "العدو" من خلال تفكيك وحدته الاجتماعية وتشتيته جغرافياً وثقافياً، الأمر الذي يسهم في طمس هويته الوطنية والسعي إلى إذابته داخل مجتمعات وثقافات مغايرة لمعتقداته وأفكاره الأصلية. أما الهدف الثاني، فيكمن في استغلال ضحايا الاتجار لتحقيق مكاسب مادية تُستخدم في تمويل أنشطة أو مؤسسات تخدم مصالح الجهات المرتكبة لتلك الجرائم.

ولا يقتصر الأمر على الأبعاد المادية فقط، بل يتعداها إلى جوانب نفسية واجتماعية تهدف إلى إذلال الآخر والحطّ من كرامته الإنسانية. وتشير الشواهد التاريخية عبر العصور إلى أن ظاهرة الاتجار بالبشر، على اختلاف أشكالها، كانت وما زالت أداة تُستخدم ضمن سياسات القمع والإبادة، مما يعكس طابعها المنهجي والمنظم في بعض السياقات.

ففي السياق التاريخي على سبيل المثال قام الملك اشور–دان الثاني بمعقابة اعدائه الذين استحلوا بلاد اشور بحسب كتاباته وقاموا ببيع اولاد وبنات مدينة اشور ، وقد اشار الى ذلك في احدى كتاباته (.... الذي منذ زمن شلمنصر، ملك اشور جدي كان قد دمر شعب مدينة اشور بواسطة----- والقتل، وقد باعوا كل اولادهم وبناتهم، بامر من الاله اشور، سيدي، انا اخذتهم اسرى والحقت بهم هزيمة كبرى وقد حملت غنائمهم وجلبتها الى مدينة اشور...) (Frayne D. , 1993, p. 133 (=RIME)).

د:قطع الايدي والاذرع

تُعدُّ عمليّات بتر الأطراف، ولا سيما قطع الأيادي والأذرع، من أشكال الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان وممارسات التعذيب التي امتدّت عبر التاريخ ولا تزال تظهر في بعض مناطق العالم حتى اليوم. تُستخدم هذه الأساليب كوسائل للتنكيل بالخصوم وإرهاب المجتمعات، وقد وُظِّفت أحيانًا كأداة للإبادة الجماعية أو للترويع الجماعي في سياقات نزاعية متعددة.

لقد اتّبع تنظيمات متطرفة مثل تنظيم القاعدة وداعش أساليب قمعية عنيفة بلغت حدّ استخدام العقوبات الجسدية والشكلية للتعذيب، من بينها بتر الأيادي والأصابع، بهدف إلحاق ألم جسدي ونفسي بالغ بالخصوم وإرهاب السكان. وأسهمت مثل هذه الممارسات الوحشية في تشكيل صورة نمطية سلبية عن الدين لدى قطاعات من الرأي العام الغربي، حيث رُئيَت —خطأً— على أنها انعكاس لخصائص فكرية جوهرية في الإسلام. وهذا التعميم غير دقيق، لكنه مع ذلك أثر سلبًا في الخطاب العام وفي صورة الشعوب المسلمة أمام المجتمعات الأخرى.

تعكس هذه الممارسات فكرًا متطرفًا يسعى إلى إلغاءِ الآخر وتدمير التعايش، وتمثل تهديدًا مباشرًا للأمن الفكري والاجتماعي في المجتمعات المتأثرة بها. وفي السياق العراقي على وجه الخصوص، تثير مثل هذه الانتهاكات انشغالًا بالغًا لأن المجتمع العراقي تقليديًا متجذّر في قيم إنسانية ترفض العنف والتطرف؛ لذا فإن مواجهة آثارها تتطلب وعيًا مجتمعيًا شاملاً عبر مختلف الشرائح والطبقات.

من الناحية التاريخية، تشير المصادر إلى تواتر استخدام عقوبات البتر والقطع كأدوات عقابية وردع في فترات ماضية، حيث استُخدمت للتنكيل بالأعداء وإظهار قوّة المعتدي وإخضاع الخصوم عبر بثّ الخوف. لكن فهم هذه الظواهر المعاصرة يتطلب تحليلًا دقيقًا لإطارها الأيديولوجي والسياسي والاجتماعي، وتكثيف جهود العدالة الانتقالية وإصلاح التعليم وتعزيز قيم حقوق الإنسان لمواجهة الإرث الدموي والتطرّف واستعادة النسيج الاجتماعي.

"تُفيد المصادر الكتابية بتوفر معلومات وفيرة حول السياسات العقابية التي انتهجتها الإمبراطورية الآشورية في تعاملها مع المدن المتمردة أو المغلوبة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما ورد عن الملك الآشوري آشور-ناصر-بال الثاني (883–859 ق.م)، إذ تشير النصوص إلى قيامه بغزو مدينة نيلا، التي كانت محصنة بثلاثة أسوار، حيث تمكن من اقتحامها وإخضاعها(---- وتحركت من مدن كبنابو وبلغت مدينة نيلا المدينة المحصنة بسورها القوي والتي هي محاطة بثلاث اسوار وناسها قد وضعوا ثقتهم بتلك الاسوار وبالعدد الكبير لجنودهم ولذا فانهم لم يخضعوا لي وبعزيمة وباصرار حاصرت مدينتهم وغزيتها وقتلت بالسيف قرابة ثلاثة الاف جنديا منهم وحملت الاسرى معي وحملت الممتلكات والثيران والماشية منهم وقمت باحراق العديد من الاسرى واسرت العديد من الجنود وهم احياء وقطعت ايديهم واذرعهم والبعض الاخر قطعت انوفهم واذانهم والاخرين اقتلعت اعينهم...) (Russell, 1985, pp. 49-57)

(Luckenbill, 1926, pp. 436-484, .(Frayne D. , 1993, p. 201 (=RIME)) (=ARAB,1))

ذ:الاعماء

تشير المراجع التاريخية القديمة إلى أن ممارَساتَ إعماء الخصوم استُخدمت كأداةٍ عقابية منذ عصور مبكرة. فعلى سبيل المثال، تُذكَر المصادر القديمة أن الملك شو-سين (Shu-Sin، حوالي 2037–2028 ق.م) أمر بإعماء أعدائه وتحويل مدنٍ إلى أراضٍ خربة كجزء من سياسةٍ عقابية قاسية(...الرجال الذين تجنبوا المعركة والذين، مثل الطيور، أنقذوا حياتهم (بالفرار) إلى مدنهم، لم يهربوا من يده. ضد مدنهم نفسه صرخ كالطائر الأنزو. حول مدنهم وقراهم المؤسسة إلى أكوام من الخراب. دمر أسوارهم. أعمى رجال تلك المدن، الذين أدركهم...) ((Frayne & Frayne, 1997, pp. 304 (=RIME,3/2)

مارست القوى المعادية أساليب عقابية بدنية تتضمن إحداث إصابات جسيمة بأشكال متعددة — كالعمي أو بتر الأذرع والأرجل أو اتخاذ تدابير عقابية تستهدف أجزاءً جسدية مختلفة — بغرض التعذيب وترهيب الخصوم. وتكمن الغاية من هذه الممارسات، لا سيما حين تتسم بالوحشية الشديدة، في بث الخوف وإيصال رسائل رادعة عبر إظهار قدرة المنفِّذ على الإيذاء والانتقام.

وفي سياق العراق، مارس تنظيم «داعش» الإرهابي طيفاً من أبشع الوسائل التقليدية والمبتكرة للعقاب الجسدي، مستخدماًها كأداة قمعية للتنكيل بالمعارضين ولدفع رسائل رعبٍ جماعي تدل على قسوة وجبروتٍ في التعامل مع الآخر، وفي كثير من الحالات تعكس هذه الممارسات انعداما واضحاً للمبادئ الإنسانية والكرامة الإنسانية.

ر:محو الهوية

يُعد محو الهوية من أبرز الأساليب الممنهجة التي تُستخدم لإقصاء الآخر، إذ يتجاوز كونه مجرد اعتداء على الرموز الثقافية ليبلغ حدّ الإبادة الرمزية التي تُفضي في جوهرها إلى محاولة إلغاء وجود الآخر ومحو أثره الحضاري والثقافي. وتتخذ هذه الممارسات صورًا متعددة، غالبًا ما ترتبط برمزية العناصر المادية والمعنوية التي تشكل ذاكرة الجماعة وتُسهم في ترسيخ هويتها الجمعية.

من الأمثلة البارزة على ذلك، الكتابات والنقوش التذكارية التي خَلّفها أشخاص ذوو تأثير ديني أو سياسي، والتي تُعدّ من المرتكزات الأساسية للذاكرة الجماعية، إذ توفر بُنى رمزية تُوحّد المجتمع وتُعزز من تماسكه الاجتماعي والثقافي. لذا، فإن استهداف هذه الرموز من خلال طمسها أو تدميرها لا يُعد عملاً عشوائيًا، بل هو فعل ممنهج يهدف إلى تقويض البنية الرمزية التي تُسهم في بناء الهوية الوطنية.

وقد برز هذا النوع من الاستهداف بشكل واضح في الممارسات التي انتهجتها الجماعات الإرهابية، ولا سيما تنظيم "داعش"، الذي سعى إلى تدمير الشواهد الحضارية والنقوش والكتابات التي تُجسد عمق

الارتباط بين الإنسان وأرضه وتاريخه، في محاولة منه لزعزعة الوحدة الوطنية وتفكيك النسيج الاجتماعي المتعدد والمتنوع الذي يتميز به العراق. ويكشف هذا السلوك عن وعي متطرف بخطورة هذه الرموز في ترسيخ الانتماء، وهو ما جعله هدفًا رئيسيًا في المشروع التخريبي الذي استُخدم كأداة من أدوات الصراع الجيوسياسي الذي تتداخل فيه أجندات قوى إقليمية ودولية تهدف إلى إضعاف العراق والنيل من سيادته ومكانته الحضارية.

من هذا المنطلق، تبرز الحاجة الملحة إلى حماية هذا الإرث الثقافي والحضاري، سواء عبر مؤسسات الدولة المختصة أو من خلال تنمية الوعي المجتمعي بأهمية صون الهوية التاريخية. فالحفاظ على هذه الرموز لا يمثل فقط دفاعًا عن الماضي، بل هو أيضًا ضمانة لاستمرارية الوجود المجتمعي في الحاضر والمستقبل، ومقاومة لمحاولات الإلغاء والإقصاء التي تهدف إلى محو الذات الجمعية للأمم.

من الناحية التاريخية والأثرية، تشير الكتابات القديمة إلى وجود محاولات ممنهجة لطمس الهوية الثقافية وإقصاء الآخر، وذلك من خلال وسائل متعددة اتُّبعت لتحقيق هذا الهدف. وتُعد هذه الشواهد بمثابة دلائل على السياسات التي استهدفت محو الخصوصيات الحضارية، سواء عبر التغيير القسري للرموز الثقافية، أو من خلال إلغاء المعالم المرتبطة بالهوية التاريخية للشعوب المستهدفة.

أشار الملك أدد–نيراري الأول (1307–1245 ق.م) في كتاباته إلى ممارسات يمكن تصنيفها ضمن سياق التلاعب وطمس الهوية الشخصية، وذلك من خلال محاولات منه لمحو نصوصه أو تعديلها بوضع أسماء أخرى غير اسمه، أو تدمير هذه النصوص، أو نقلها إلى أماكن يصعب الوصول إليها ورؤيتها. تُفضي هذه الإجراءات مجتمعة إلى محو معالم كتاباته وطمس هويتها الحضارية، مما يعكس استراتيجية تهدف إلى السيطرة على الإرث الثقافي والتاريخي(....من يمحو اسمي المنقوش ويكتب اسمه؛ أو يتخلص من نقوشي التذكارية، ويسلمها للتدمير، أو يسلمها إلى النسيان، أو يغطيها بالتراب، أو يحرقها بالنار، أو يلقيها في الماء، أو يضعها في بيت محرم حيث لا توجد رؤية؛ أو بسبب هذه اللعنات يحرض غريبًا، أو أجنبيًا، أو عدوًا خبيثًا، أو (رجلًا يتحدث) لغة أخرى، أو أي شخص آخر (للقيام بأي من هذه الأشياء)؛ أو يتصور ويفعل أي شيء (ضار)، عسى الاله آشور، الإله السامي، ساكن (معبد)الايخور–ساك–كور–كور–را E2.ḪUR.SAG.KUR.KUR.RA ، والآلهة آنو، وإنليل، وإيا، ونن–ماخ، الآلهة العظماء، والهة الايكيكي في السماء، والانوناكي في العالم السفلي، بغضب ينزلون عليه لعنة شريرة في غضبهم. وليدمروا اسمه، ونسله، وعشيرته، وأقاربه من الأرض. وليتم تفريق أرضه، وتدمير شعبه وورثته بموجب مرسومهم الثقيل. وليغمره الإله أدد بطوفان رهيب. وليحل الطوفان، والإعصار، والتمرد، والارتباك، والعاصفة، والحاجة، والمجاعة، والجوع (والفقر) في أرضه. وليجعل (أدد) (هذه الأشياء) تمر عبر أرضه مثل الطوفان وتحولها إلى تلال خراب لتجلب الإلهة عشتار، سيدتي، هزيمة بلاده. ولا يقف ثابتًا أمام عدوه. وليضرب الإله أدد أرضه ببرق رهيب (ويصيبها) بالفقر...) (Frayne D. R., 1998, pp. 128-179 RIME).

الاستنتاجات

1- تمتد الجذور التاريخية للإبادة الجماعية بامتداد تاريخ الانسان ومحاولة السيطرة على خيرات الاخر عبر مر العصور.

2- اوردت النصوص المسمارية السومرية والأكدية مصطلحات وكلمات عديدة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالإبادة مما يعزز مفاهيم كثيرة ومتنوعة لهذه الكلمة.

3- اوردت القوانين الدولية احكاما عامة عن طريقها يصنف العمل على انه إبادة جماعية مما اعطى جانبا قانونيا لأحكام هذا الجانب في عملية توضيحه وعملية تشريعه.

4- تعددت الاساليب المتبعة في الإبادة الجماعية عبر مر العصور ومنها عن طريق الاحراق او التدمير او سياسة قطع الرؤوس او التهجير والاحتواء او الاستيلاء على الممتلكات واخذ الغنائم او القتل والتنكيل او الاتجار بالبشر او قطع الايدي والاذرع او القيام بإعماء الاخرين او القيام بمحو وطمس الهوية.

5- ابرزت لنا الاحداث عبر التاريخ الطويل ان مسالة الإبادة الجماعية لم يكن لها زمن معين فانها كانت شائعة ومتواصلة عبر مر العصور مادامت هناك صراعات سياسية واقتصادية ودينية وما دام هناك تطرف والغاء الاخر وبالتالي فان مسالة الإبادة كانت ولا زالت متبعة الى يومنا هذا .

المصادر

1. ابي عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي. (1410 هـ). *كتاب العين*، (الجزء الثامن). (تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي) مؤسسة دار الهجرة، مطبعة الصدر.
2. اسماعيل بن حماد الجوهري. (1956). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (الجزء الثاني، المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق احمد عبد الغفور عطار) دار العلم للملايين .
3. بول، كاريلي. (1979). اشور ومعابدها في ضوء النصوص القديمة . *سومر*.
4. طه باقر. (1973). *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة* (الجزء الاول). بغداد .
5. فائز هادي علي الحسناوي. (2014). *عمارة المعابد الاشورية*. اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.
6. القران الكريم، سورة الكهف، الاية 35.
7. محمد بن علي بن ناصر بن هديان. (2007). *جريمة الابادة الجماعية وعقوبتها في القانون الدولي*. رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية.
8. نائل حنون. (2006). *حينما في العلى قصة الخليقة البابلية*. دمشق : مطبعة دار الزمان.
9. هدى محمود شاكر الطائي. (2017). *الملك شولكي (2094–2047 ق.م) سيرته ومنجزاته*. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية التربية/ابن رشد للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.
10. وليد سعدي محمد الميالي. (2022). نص قرابين اعتيادية sa2–du11 من عهد الملك شولكي. *مجلة اوروك للعلوم الانسانية، العدد الثالث*(المجلد الخامس عشر).
11. ياسر جابر خليل. (2018). عقود إيجار غير منشورة من عهد الملك البابلي سمسو – إيلونا من مدينة بيكاسي . *مجلة اثار الرافدين، العدد الاول*(المجلد الثالث).
12. Budge,E.A.W, E. W., & King,L.W.,A, L. A. (1902). *nnals of the king of Assyria,*. (Vol ed.). London.
13. Edzard, D. O. (1999). *Reallexikon der Assyriologie und vorderasiatischen Archaeologie.* walter de gruyter.
14. Frame, G. (1995). *Rulers of Babylonia from the second dynasty to the end of Assyrian domination(1157-612BC)* (Vol.2 ed.). Tornto.
15. Frayne, & Frayne, D. (1997). *Ur III Period.* Toronto.

16. Frayne, D. (1990). *Old Babylonian period* (Vol.4 ed.). Toronto: RIME.

17. Frayne, D. (1993). *Sargonic and Gutian periods(2334-2113BC)* (Vol.2 ed.). Toronto.

18. Frayne, D. (1997). *Ur III Period.* Toronto.

19. Frayne, D. R. (1998). *Presargonic period(2700-2350BC)* (Vol.1 ed.). London,.

20. Grayson , A. K. (1987). *Assyrian rulers of the third and second millennia BC(To 1115BC).* Toronto.

21. Grayson, A. (1987). *Assyrian rulers of the third and second millennia BC(To1115 BC)* (Vol.1 ed.). London.

22. KHWSHNAW, A., & MOHAMMED, K. (Iraq). .AN UNFINISHED LETTER OF SAMSU-ILUNA KING OF BABYLON.

23. Luckenbill. (1926). *anchient records of Assyrian and Babylonian.* Chicago.

24. Luckenbill, D. D. (1927). *Ancient records of Assyria and Babylonia* (Vol.2 ed.). Chicago.

25. Luckenbill, D. D. (1929). *Ancient records of Assyria and Babylonia* (Vol.1 ed.). Chicago .

26. Oppenheime , L., & others. (1959). *The Assyrian dictionary* (Vol.7 ed.). Chicago.

27. Oppenheime, L., & others. (1957). *The Assyrian dictionary* (Vol.6 ed.). Chicago,.

28. Russell, H. F. (1985). *The historical geography of the Euphrates and habur according to the middle-and neo-Assyrian sources* (Vol.47 ed.). Iraq.

29. Schabas, W. A. (1948). *Convention on the prevention and punishment of the crime of genocide.* Paris.

30. Weber, O. (1922). *Ausgrabungen der deutschen orient-gesellschaft in Assur,.* Leipzig.

الردودُ النحْويّة في مصنفاتِ اللغويين
ردودُ ابنِ خروف(ت609هـ)على ابنِ طاهر(ت 580هـ) اختيارًا

إعداد

أ.م.د. هُدى ناجي عبيد

قسم اللغة العربية / كليّة العلوم الإسلاميّة

جامعةُ بغداد

hudanaji@rashc.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

الردودُ ظاهرة من مظاهر النحو العربي ، نمت بنموّه ولم تكن غربية عن البيئة العربية الإسلامية ، فقد حاكى النحويون نظراءهم العلماء في العلوم الاخرى ، وكانت الخلافات سمة من سماتهم ، وباب كبير لإثراء الدراسة النحوية ، فهي دليل على قوة اللغة العربية وتطورها ونفي جمودها. .

وتعدُّ الردود مظهرًا من مظاهرِ تطورِ النشاطِ الفكريّ لعلماءِ النحو العربيّ ، لم يسلمْ منها عالمٌ نحويٌّ مهما بلغتْ شهرتُهُ فهذا سيبويه إمامُ النحاةِ ، تَعرَّضَ لهُ المُبرَّد بالردِّ والنقد في بعض المسائل النحويَّة ، ووصفها بالغلط في كتاب سماه (مسائل الغلط) ، ثم ما لبثَ أنْ رده ابن ولَّاد في كتابه ((الانتصار)) ، منتصراً لسيبويه ، معززاً رأيه بالحجج النحويَّة ، والأدلّة السماعيَّة والقياسيَّة. .

أمَّا ابنُ خروف فهو من أشهر نحاة الأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين ،ومن أشهرِ شُرَّاح كتاب سيبويه ، نجدُ آراءَهُ النحويَّة مبثوثةً في كتب النحوالمتأخرة ؛ وذلك لما ينمازُ به من ذهنٍ وقّادٍ وعقليةٍ خصبة ، رَبَطتْهُ بأستاذهِ أبي بكر بنِ طاهر علاقة وطيدة أشبهُ ما تكون بعلاقةِ الخليلِ(ت 175هـ) بسيبويه(ت180هـ) ، ويطفحُ شرحُهُ لكتابِ سيبويه الموسومِ بـ (تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب) بتقديره وإجلالهِ لأستاذهِ ابنِ طاهر الذي نعتهُ بـ (الأُستاذ) في أكثر المواضع، وكثيرًا ما تَرَحَّمَ عليه عند ذكرِهِ إياه، وقد أَقرَّ لهُ بالفضل وبأنّ جميعَ حسناتهِ في شرحِ الكتابِ آيلة إليه. .

نالَ ابنُ طاهر إعجابَ تلميذهِ فلزمه وتابعه ، غير أنَّ ذلك لم يمنعه من إبداء بعض الملاحظات

وتصحيح عدد من آراءِ أُستاذه ، فنراهُ قد اعترض عليه حينما وجدَ ما يستدعي الاعتراض ، ولم يلقِ اعتراضاتُهُ عوانًا ، بل كان يدعمُهَا بالحججِ والبراهينِ المستنبطة من المقاييسِ والقواعدِ النحويَّة.

ولم تكن اعتراضاتُهُ انتقادًا مجردًا ، وإنّما كانتْ نقدًا علميًّا موضوعيًّا قائمًا على الاحتجاج وذكر الأسبابِ المستنبطةِ من القواعدِ النحويَّة مع إثباتِ الرأي السليم. .

الكلمات المفتاحيّة:الردود، النحويّة ، مصنفات

Abstract

For the sake of the science of Arabic sciences, as it is up to the understanding of the Book of God, our good predecessor in this field has made strenuous efforts, through which they stood the secrets of many of the ranks of this honorable language, and left us a huge heritage deposited by the minutes of their thought and the depth of their eyes. The nation and its glories. The son of a sheep is one of the most famous Andalusians of Andalusia in the sixth and seventh centuries AH, and one of the most famous commentators of Sebwayh's book. His grammatical views are presented in the late grammar books. This is because he has a strong mind, a mentality and a fertile mentality that linked him to his master Abu Bakr bin Taher. and his explanation of Seboye's book, entitled "Revision of the Ka'ab in explaining the mystery of the book"

k**eywords:** classification,Gramma,Responses

المُقدَّمة

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ , والصلاةِ والسلام على أشرفِ الخلقِ أجمعين , سيدِّنا محمدالصادق الأَمين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعدُ ...

إنَّ من أجلِّ العلومِ علوم العربيَّة , إذْ هيَ المَرقاة إلى فهمِ كتابِ الله , وقد بذلَ سلفُنا الصالح في هذا المجال جهودًا مضنية , وقفوا من خلالِها على أسرارِ الكثيرِ من لطائفِ هذه اللغةِ الشريفة, وتركوا لنا تراثًا ضخمًا أودعوه دقائقَ فكرِهِم وعميقَ نظرِهِم وهو عنوان لحضارةِ هذه الأمة وأمجادها.

أمَّا ابنُ خروف فهو من أشهر نحاة الأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين , ومن أشهرِ شُرَّاح كتاب سيبويه , نجدُ آراءَهُ النحويَّة مبثوثةً في كتب النحوالمتأخرة ؛ وذلك لما ينمازُ به من ذهنٍ وقّادٍ وعقليةٍ خصبة , رَبَطتْهُ بأستاذهِ أبي بكر بنِ طاهر علاقة وطيدة أشبهُ ما تكون بعلاقةِ الخليلِ(ت 175هـ) بسيبويه(ت180هـ) .

قالَ ابنُ خروف مادحًا أُستاذه: ((وللأُستاذ أبي بكر في كتاب (الأبنية) (خروف، صفحة تنظر الصفحات 142 و291 و295و299) عجائب من تبيين مشكلها وتحقيق المستدرك منها ,وشرح الألفاظ المجهولة فيها، وتعليل ما لم يصح استدراكه والتنبيه عليه، وغير ذلك مما انفرد به (رحمه الله)، واجتمع في هذا الكتاب من ذلك العَجب العُجاب ، وما أَظنك يانحويُّ تجده مجموعًا ملخصًا هذا الجمع والتلخيص في كتابٍ ، فجميع حسناتي فيه منه (رحمه الله) غيَر أنّها غير مفهومة في تعاليقه , أعني ابن طاهر)) (خروف، صفحة 61).

والحقُّ أنّي قمتُ بجردٍ وإحصاءِ كلّ ماوقعَ بين يَدي من كُتبٍ نحويَّةٍ قد تحوي آراء الرجلينِ , أمَّا عن كتابَي ابن خروف (تنقيح الألباب في شرحِ غوامضِ الكتاب) و(شرح جمل الزَّجَّاجَّي) فقد كانا عُمدتي , وبعد مدةٍ ليستْ باليسيرة وجدتُ أنّ ابن خروف كان تلميذاً وفياً متابعاً لأُستاذهِ, فقد تابعَهُ في معظمِ آرائهِ ودليلُنا على ذلك (إذا ما تصفحنا الكتبَ النحويَّة المتأخرة نجدُ اسميهما متتاليين, فقلما يردُّ اسم ابن طاهر دون أنْ يتبعَه اسم ابن خروف) .

أَمَّاالقسم الذي شذَّ عن ذلك ـ أعني المتابعة ـ (وهو موضوع البحث) فوجدنا فيه أنَّ التلميذ ردّعلى أستاذه وخالفه في أثني عشر موضعاً فقط , ثَبتتُّ المواضعَ وحاولتُ قَدرَ الإمكان دراسة المسألة والإحاطة بها, ذاكرةً أقوال النحويين فيها من الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما متسلسلةً تسلسلاً تاريخياً .

وتنوعتْ ردوده وعباراتُهُ الاعتراضية فأحيانا يُعقّبُ على كلامِ ابنِ طاهرِ بقولهِ : ((وكلُهُ فاسدٌ بما ذكرنا) ,وأحيانا يقول : ((وهو بعيدٌ في اللفظِ والمعنى , ولم يَعرضْ لهُ سيبويه) ، ومرة ((والصواب كذا)) ومرة((وهو قياسٌ بعيدٌ)) و((ولم يحلْ الشبهة بما ينبغي))و((ولا يكون شيءٌ مِن هذا)) و((ينبغي أنْ لايُقاس هذا)) .

والردُّ لغةً هو: الرجوعُ ، والتخطئة (كأن يرد عليك شيء أو قول) ، وعدم القَبول ، تقولُ : ردَّ اليه جوابا : أي رجع ، وردّه عن وجهه : أي صرفه وردَّ عليه الشيء إذا لم يقبله (الجوهري، صفحة 1084/3وينظر لسان العرب 40/9 و41).

والردُّ اصطلاحاً هو: الردّ في اللغة الصّرف وفي الاصطلاح صرف ما فضل عن فروض ذوي الفروض ولا مستحق له من العصبات اليهم بقدر حقوقهم (الجرجاني، صفحة 147).

ابنُ طاهر في سطور ..

هو محمدُ بن أحمد بن طاهر, وأمّا كنيتُهُ فهي أبو بكر وقد لُقب بعِدّه ألقاب أشهرها الخِدَبّ(بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء) ,ولد سنة اثنتي عشرة وخمس مائة ، نشأ وترعرع في مدينة إشبيلية في الأندلس , وتلقى العلم على شيوخ عصره آنذاك ، وبعد أن لمع نجمه بدأ التنقل بين المدن. وقد أجمع الذين ترجموا لابن طاهر على القول بأنّه كان من المُبرَّزين والحُذّاق .

كان تنقله في البلاد للتدريس وطلب العلم رافدا له في امتلاك أدوات صنعته , وصفه أحمد بن الزبير (ت 708 هـ) بقوله : ((نحوي مشهور , حافظ بارع , اشتهر بتدريس الكتاب)).

توفي رحمه الله سنة (580 هـ) في مدينة بجاية على أغلب الروايات (الابار، صفحة 249/1 وينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة 188/4و18).

ابن خروف في سطور ..

هو علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي , أبو الحسن بن خروف الإشبيلي , وهو أشهر تلاميذ ابن طاهر وأكثرهم لصاقًا به , ونجدُ ذكرهما مترابطًا دائمًا , فقلّما يردُ اسم ابن خروف دونَ أنْ يسبقه اسم ابن طاهر.

كان فاضلا في علمِ العربيَّة , مشهورا في بلادهِ , مذكورا بالعلمِ والفهم , أخذ العلمَ عن الأُستاذ ابن طاهر الخِدَبّ , واختصَّ به , واتقن عليه كتابَ سيبويه , وعنه لقّن أغراضه , وكان محققًا مدققًا , مشاركًا في الأصول , أقرأ النحو بعِدَّةِ مدن , وأقام بحلب مدة وله مناظرات مهمة مع السهيلي (ت 581هـ) , وكان مقرئا مجودًا حافظًا للقراءات .

توفي على أكثر الروايات باشبيلية سنة (609 هـ)وأصابه قبل موته خدر واختلاط عقل , أدى ذلك إلى أن حجر عليه فمات وقال السيوطي : إنّه وقع في جب ليلا فمات (التكملة لكتاب الصلة، صفحة 676/2 وينظر وفيات الاعيان لابن خلكان 335/3) .

اعتراضاتُ ابن خروف على أستاذهِ ابنِ طاهر

أوّلا : زيادةُ الهمزة في بدايةِ الكلمةِ

ذهبَ ابنُ طاهر إلى القولِ (بقطعِ همزة الحرف الساكن) إذا سُمِّي به متابعًا المبَّرد في ذلك, وخالفه تلميذه ابن خروف وقال(بوصل الهمزة) متابعا أئمة البصريين الخليل وسيبويه في ذلك .

قال ابن خروف :((فأمّا التسميةُ بالحرف الواحد الساكن من غير كلمة **فإنّك تزيد في أوّله همزة الوصل** للابتداء بذلك الحرف, كما زدتَ على المتحرّكِ هاء السَّكت في آخره للوقفِ عليه , فإذا سمَّيتَ بقيت همزة الوصل على حالها ... وكان **الأُستاذ أبو بكر يرى أنّ قطع الهمزة هو القياس** كما تقدم في الفعل ولأنّه قد تحرك ما بعدها ولا تثبت مع ذلك.. **قال الأُستاذ أبو بكر : وقطع الألف هنا ألزم منه في اضرب** لأنّ ألف الوصل لا تثبت إذا تحرك ما بعدها **وكلهُ فاسدٌ بما ذكرنا**)) (خروف، صفحة 401و402).

وحتَّى نتبين هذه المسألة نعرض لآراء النحويين فيها ..

قال الخليل سائلا أصحابه : ((كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو ياء غلامي وباء اضرب ودال قد ؟ فأجابوا بنحو ما أجابوا في المرة الأولى , فقال : أقولُ : ابْ وايْ وادْ **فألحق ألفا موصولة** , قال : كذلك أراهم صنعوا بالساكن ، ألا تراهم قالوا ابن واسم حيث أسكنوا الباء والسين, وأنت لا تستطيع أن تكلم بساكن في أوّل الاسم كما لا تصل إلى اللفظ بهذه السواكن , فالحقت ألفا حتى وصلت إلى اللفظ بها)) (سيبويه، صفحة 62/2) .

فالخليل قال بإلحاقِ ألفٍ موصولةٍ للنطقِ بالحرفِ الساكن , وتابعهُ سيبويه في ذلك, قال : ((ولو سمَّيت رجلا بابْ قلت هذا ابْ **وتقديره في الوصل هذا اب** كما ترى يريد الباء وألف الوصل من قولك اضْرِبْ وكذلك كل شيء مثله لا تغيّره عن حاله)) (سيبويه، صفحة 62/2) .

وأمّا المُبرّد (ت 285هـ) فقد خالف إمامي البصريين في هذا الموضوع , قال : ((فإنَّ سَمَّيت بحرف من كلمة فإنّ في ذلك اختلافا ، فإنْ سمَّيت بالباء من ضرب **فإنّ بعض النحويين كان يزيد ألف الوصل فيقول : وهذا اب فاعلم , وهذا خطأ فاحش** , وذلك أنّ الوصل لايدخل على شيء متحرك , ولا نصيب لها بالكلام , إنّما تدخل ليوصل بها إلى الساكن الذي بعدها , لأنّك لا تقدر أن تبتدئ بساكن)) (المقتضب للمبرد 32/1و33) .

ثانيا : (أنتَ أعلمُ ومالُكَ)

ذهب ابن طاهر إلى القول بعطف كلمة (ومالكَ) على الخبر(أعلمُ) وليس المبتدأ لأنّه حُمل على الأقرب,واعترض ابن خروف على أستاذهِ , ووصفَ السيوطي قولَ ابن طاهر بالصواب , قال:((ويظهر لي أنّ الصواب خلاف ما زعماه من أنَّ المعطوف عليه المبتدأ ، **وأن الصواب أنّه الخبر وهو قول ابن طاهر**, وذلك لأنّه حُمِلَ على الأقرب , وأنَّ هذا العطف كالخفضِ في **(هذا حجر ضَبٍّ خربٍ)** وذلك يقتضي تجاور الاسمين ,

ولأنّ الباء ملحوظة المعنى كما ذكرنا ومعناها متعلق بالخبر,فليكن العطف على الخبر، ليتحد التعلقان، المعنوي واللفظي)) (الأسباه والنظائر 73/7) .

وخالف ابن خروف أُستاذه وزادَ عليه بقولهِ: إنّه معطوف(لفظا ومعنى)على الخبر, **وكأنّه قيل : أنتَ ومالك, وذلك على قول ابن خروف في (كلّ رجلٍ وضيعتَهُ) : إنّ الخبر(العاطف والمعطوف)** لكونّهما بمنزلة (مع) ومجرورها , قاله ابن الصائغ .

ووصف السيوطي رأي ابن خروف بـ(القول الضعيف) وقال: ((وفيه نظر لأسباب)) (الأسباه والنظائر 73/7) .

وانتصر السيوطي لابن طاهر وأيده ناقضا رأي ابن خروف بقوله : ((وفيه نظر؛ لأنّه خلاف المعنى , إذ معنى الكلام حينئذٍ : أنت أعلم من غيرك على الإطلاق , وأنت ومالك مقرونان , ثم مثل هذا لايسمى خبرا لا بتجوز **على قول ابن خروف))** (الأسباه والنظائر 73/7) .

ثالثا :(أَوَّل ما أقول أنّي أحمدُ اللهَ)

ذهب أبو علي الفارسيّ وتابعه ابن طاهر إلى جواز حذف الخبر و(أن) محكية للقول الذي في الصلة في قولهم : (أَوَّلُ ما أَقول أَنَّي أَحمدُ اللهَ) واعترض ابن خروف على أُستاذه ووصف كلامه بأنّه بعيد في اللفظ والمعنى, ولم يعرض له سيبويه (الكناب 143/3) .

قال ابن خروف: ((وقول أوّل ما أقول أنّي أحمدُ الله بالفتح والكسر, فمن فتح أخبر بمفرد عن مفرد, حدث عن حدث, تقديره أوّل قولي حمدُ الله , وأوّل القول قول , وقدّرها سيبويه بالحمد لله اتكالا على فهم المعنى, ألا تراه يقول وإن كسرت حكيت وفعل ذلك من حيث كانت كلاما وتكون (ما) موصولة وموصوفة ومصدريّة ومن كسر كانت حكاية في موضع و(ما) نكرة موصوفة أو موصولة تقديره أوّل شيء أقوله أوْ أوّل الذّي أقوله إنّي أحمد الله , ويجوز أن تكون مصدرية بتقدير أوّل قولي أنّي أحمد الله , كقوله عليه السلام : **(أَفْضَلُ ما قُلتُهُ أنا والنّبيونَ من قَبْلِي لا إله إلاّ الله)** (المؤطأ لإمام مالك 32) فهذا على الحكاية , وأخذ القول الذي في الصّلة معموله , وذهب الفارسيّ إلى جواز حذف الخبر, وأنّ محكيّة للقول الذي في الصّلة , أي أوّل ما أقول إنّي أحمد الله موجود , **وأجازه الأُستاذ أبو بكر وهو بعيد في اللفظ والمعنى, ولم يعرض له سيبويه** , والحديث دليل على ما ذكرنا , جعل الجملة فيه محكيّة خبرا , وأظهر مفعول القول الذي أضمره الآخر في المسألة)) (خروف، صفحة 233).

ومن أمثلة **اعتراضات ابن خروف على أُستاذهِ** في موضوع (أنَّ) وهمزتها قوله: ((ولا يمتنع أنْ يُقال : قالَ خيراً وحديثاً وقصةً, فلا يمتنع على هذا أن تفتح بعد القول , **حتَّى دعا الأُستاذ أبا بكر** ـ رحمه الله ـ أن يجيز فتحها إذا قدّرت بالخبر والحديث والقصّة , وذلك إذا لم يقع في خبرها فعل ؛ فإنْ كان خبرها فعلا قدرها بالشّأن ، **وهذا كلّه فاسد**)) (شرح جمل الزجاجي لابن خروف 37/1).

رابعاً : كذا

في بيان معناها عند النحويين , وفي ذلك أقوال :

الأوَّل : إنّها للتكثير بمنزلة (كم) الخبرية , وهو قول ابن مالك (شرح التسهيل 335/2و336).

الثاني : إنّها للعدد مطلقًا قليلًا كان أو كثيرًا , وهو قول سيبويه والخليل ومن تابعهما **واختاره ابن خروف** (الأشباه والنظائر 286/7).

وممن نقل ذلك عن سيبويه **الأُستاذ أبو بكر بن طاهر** وذلك ظاهر في كلامه فإنّه قال : (هذا باب ما جرى مجرى كم في الاستفهام).

الثالث : إنّها بمنزلة (ما) استعملت استعماله من الأعداد الصريحة فيقال : له كذا دراهم , فتكون للثلاثة فما فوقها إلى العشرة .

الرابع : إنّ الأمر كما قالوا إلاّ في مسئلتي الإضافة , فإنّهما ممتنعان , لما قدمنا من التعليل .

الخامس : أنّ الامر كما قال الكوفيون في كذا كذا درهما وفي كذا درهم خاصة , **قاله الأُستاذ أبو بكر بن طاهر** , فهذا ما بلغنا من الأقوال (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام 248/2) .

وأمّا قول الكوفيين ومن وافقهم فمردود من جهات .

خامساً: نون الجمع

قال ابن خروف : والدَّليل على أنّ هذه الألف التي للتثنّية والواو للجمع لايلحقان إلّا بالنّون قولك: رجلان ومسلمان ويضربان ويضربون انتهى .ووقع هنا لأبي إسحق كلام كأنّه رواية قال أبو إسحق : إنّما رددت النون لأنَّها كانت فعلا ثم سُميت به ومثل هذه الزيادة في الأسماء , والدليل على ذلك أنّ هذه الألف التي للتثنية والواو التي للجمع لا تلحقان الأسماء إلّا بـ(النون) يقول مسلمان وهذا الذي ذكر أبو إسحق أسهل وفي الأوّل صنعة وقياس **وكان كل واحد منهما عند الأستاذ أبو بكر صالحا ولا يكون شيء من هذا** إلّا أن تكون الألف والواو

علامتين مجردتين من الضمير ولا تكون هذه الألف والواو إذا تأخرتا إلّا ضميرين (خروف، صفحة 299و300).

ولإيضَّاح هذه المسألة نقول .. زِيْدَ بعد (الألف والياء) في المثنى , وبعد (الواو والياء) في الجمع (نونٌ) , وأُختلف في أنّها زيدت لماذا ؟ على أقوال :

الأَوَّل: نُسب لابن مالك , أنّها لرفع توهم الإضافة (شرح التسهيل لابن مالك 106/1) .

الثاني: أنَّها عوضٌ من حركة المفرد , ونسبه أبو حيّان للزّجّاج ، وردّه ابن مالك بأنّ الحروف نائبة عنّها , فلا حاجة إلى التعويض بالنون .

الثالث:أنَّها عوضٌ من تنوين المفرد , وعليه ابن كيسان .

وتحدَّثَ أبو حيَّان عن (نون الجمع)فقال : ((وأمَّا (النون) فذهب الزَّجّاج إلى أنّها عوضٌ من حركة الواحد , و ابن كيسان عوض من تنوينه , ورُوي هذا عن الزّجَّاج وابن ولَّاد, والفارسيّ عوض منهما , وهو اختيار ابن طاهر وأبي موسى , و أبوالفتح عوض من الحركة والتنوين ,اللذين في المفرد الكائنين هما فيه)) (ارتشاف الضرب 570/2) .

سادساً:صرفُ فَعَالِ

قال ابن خروف : ومنع القياس في (فَعَالِ) إلّا في (الأمر الثلاثي والصّفة في النّداء) وغير ذلك مسموع , وهذا نصّ بقياسه في(الأمر والنداء) قطّ ,والظاهر منه أنَّه يعدله عن الفعل نفسه إلّا أنّه لا يكون إلاّ معرفة وإن شئت لم تجعل له موضعاً كما تجعله للفعل إذا ضارع ,وإن شئت نصبتها كنصبك المصادر المعاقبة **قال الأُستاذ أبو بكر: وهو القياس , قلتُ : وهو قياس بعيد ,لأنّ الذي عدل عنه لا موضع له ولم يضارع شيئا.**

فالأَصلُ في الاسمِ الصرفُ , وإنّما يمنعُ منه لشبههِ بالفعلِ, وعِللُ منعِ الصرفِ عدّها الجمهورُ تسعا, وبعضهم عشرا ,متى اجتمع منها اثنان في اسم أو واحد يقوم مقام سببين , امتنع من الصَّرف , فلم يدخله جرٌّ ولاتنوين , أحدّها (وزنُ فَعَالِ) عَلمُ المؤنث كحَذامِ وقَطامِ ورَقاشِ وغَلابِ وسَجاحِ,أعلام لنسوة , وسَكابِ لفرس ,وظَفارِ لبلدة عند بني تميم , فإنَّهم يعربونه ممنوع من الصّرف للعلمية والعدل عن فاعله (خروف، صفحة 359 و360).

واتفق الحجازيون والتميميّون وسائر العرب على بناء (فَعَالِ) المعدول ,على الكسر, إذا كان:

الأوّل :مصدراً, ومأخذه السّماع ,كفَجَار, وحَمادِ, ويَسارِ.

الثاني: صفة جارية مجرى الأعلام ,ومأخذها أيضا السماع , نحو : حَلاقِ للمنية , وضَرامِ للحرب, وجَنادِ للشمس.

الثالث: ملازمة للنداء نحو : يافَساقِ , ويا خَباثِ.

الرابع: إذا كانت أمراً , نحو: نَزالِ, وتَراكِ, وحَذارِ.

ولو سُمّي ببعض هذه الأنواع (مؤنث) جاز فيه الإعراب ممنوعاً , والبناء كباب (حذامِ), أومُذكّرٌ فأقوال:

أحدها : يُصرف , كصباح ونحوه من المُذكّر إذا سُمَّي به.

الثاني : يمنع كعَناقِ ونحوه من المؤنث إذا سُمّي به وهو المشهور .

الثالث: يُبنى كحَذامِ , وعليه ابن بابشاذ (همع الهوامع للسيوطي 99/1 وشرح المفصل 116/1).

سابعاً: ما يُضاف إلى الأفعالِ (ذو)

تحدّثَ ابن خروف عن (ذو) وإضافتها إلى الأفعال معترضا على شيخهِ عندما قال : لم تضف إلاّ إلى الأفعال مصححاً له بقوله : **والصواب** إلاّ إلى جملة فيها فعل , **لم تضف إلاّ إلى الأفعال، والصواب إلاّ إلى جملة فيها فعل))** .

وقال سيبويه في هذا الصدد : ((ومما يُضاف إلى الفعل أيضا قوله : لا أفعلُ بذِي تَسْلَمُ .. المعنى : لا أَفعلُ بسَلامتك , و(ذو) مضافة إلى الفعل)) (الكتاب 118/3) .

ثامناً :(رُبَّ) ومعناها

(رُبَّ) تفيد معنى التكثير عند ابن طاهر , قال أبو حيّان : ((**(رُبَّ) للتكثير عند ابن طاهر** في حيّن صرّح تلميذه **ابن خروف** أنّها تفيد (التقليل والتكثير) قال: ((و(رُبَّ) حرف جر زائد **معناه التقليل والتكثير**)) (ارتشاف الضرب 1738/4) وقال أيضا في نص آخر : ((و(رُبَّ) : حرفٌ زائدٌ مختصٌ بخفض النكرات , ولاموضع لها من الإعراب **ومعناه التقليل والتكثير** في قول الأئمة سيبويه وغيره ؛ قال صاحب العين : (و(رُبَت) كلمة تعني بها التكثير)).

وهي عند ا بن مالك (ت672هـ) تفيد التكثير ، وجعلها ابن هشام للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً (البسيط في شرح جمل الزجاجي 859/2).

وأكبر الظن أنّها لم توضع لتقليل ولا تكثير وإنّما ذلك يستفاد من سياق النص الواردة فيه .

تاسعاً:(أَنْ) الناصبة للفعل المضارع

انفردَ ابنُ طاهر بذهابهِ إلى أنّ (أنْ) الناصبة للفعل المضارع قسم مستقل غير الداخلة على الماضي والأمر , وخالفه تلميذه ابن خروف وتابع الجمهور, قال أبو حيَّان : ((فمن ذلك (أَنْ) وهي ثنائية الوضع , **وهي التي توصل بالماضي , خلافا لابن طاهر في زعمه أَنَّها غيرها فهي على مذهبه مشتركة أو متجوز بها**)) (ارتشاف الضرب 1738/4، صفحة 1637/1 والجنى الداني ص 217) .

وخالفه ابن خروف بقوله : (((أنْ) الناصبة للفعل , **والداخلة على الماضي** , **وعلى الأمر** في قولهم (يعجبني أَنْ تقومَ) و(أنْ قامَ زيدٌ) و(أمرتُ بأن أفْعل))).

وذكر ابن هشام أنّ ابن طاهر استدلَّ على أنّها غيرها بدليلين :

الأَوَّل : أنَّ الداخلة على المضارع تخلَّصهُ للاستقبال فلا تدخل على غيره , كالسين وسوف.

الثاني : أَنَّها لو كانت الناصبة لحكم على موضعها بالنصب كما حكم على موضع الماضي بالجزم بعد (إنْ) الشرطية (معاني القرآن للاخفش 40/1 و41).

ووصف حسن المرادي قول ابن طاهر بـ (وليس بصحيح) (الجنى الداني في حروف المعاني 236).

عاشراً:الفصل بين (إذَنْ) ومعمولها

قال أبو حيّان الأندلسيّ :((**أجاز ابن طاهر وابن بابشاذ الفصل بين إذْن ومنصوبها بالدعاء والنداء** ,نحو: إذن يازيد أحسنَ إليكَ , وإذْن يغفر الله لكَ يدخلَك الجنة)) (ارتشاف الضرب 1653/1).

تعمل (إذَنْ) النصب في الفعل المضارع بشروط ذكرها النحويون هي :

الأوّل : أن يكون الفعل بعدها مستقبلا , فإن كان حالا رُفع ، كقولك لمن يحدثُكَ : إذَنْ أظنُك صادقاً.

ووضَّحَ ابن مالك ذلك بقوله : ((ولوكان الفعل الذي بعدها حالا ألغيت , كقولك لمن قال : أنا أحبك : أنا إذن أصدقُك , بالرفع)) (شرح التسهيل 342/2).

الثاني : أن تكون مصدّرة ، فإنْ تأخرت ألغيت حتمًا , نحو : أكرمك إذن . وإنْ توسطت وافتقر ما قبلها لما بعدها , مثل أن تتوسط بين المبتدأ وخبره , وبين الشرط وجزائه , وبين القسم وجوابه وجب الغاؤها أيضا كالمتأخرة .

الثالث : ألَّا يُفصل بينها وبين الفعل بغير (القسم) فإن فُصل بينهما بغيره ألغيت , نحو : إذَنْ زيد يكرمُك وإن فُصِل بالقسم لم يعتبر , نحو : إذَنْ واللهِ اكرمَك.

وخالف ابن خروف أُستاذه وتابع أكثر النحويين , فقد تحدث عن (إذْن) في بابٍ مستقلٍ سمّاهُ (باب إذَنْ) قال : (((إذَنْ) حرف جواب ينصب الفعل المستقبل إذا كان جوابا , ولم يتقدمه شيء, ولم يحل بينه وبين فعله إلاّ القسم وحدَهُ)) (خروف، صفحة 363).

أحد عشر: (مُذْ)

قال ابن مالك:

(مُذْ)، و(مُنْذُ) من حروفِ الجرِّ التي لا تجر إلّا الظاهر، ولهما ثلاثة أحوال:
الأوَّل: أن يليهما اسم مرفوع.
الثاني:أن يليهما فعل.

الثالث: أن يليهما حرف جر.

فإذا جاء الأسم بعدهما مرفوعاً نحو: ما رأيته (مُذْ أو مُنْذ) يومان ففي عِلّة رفعهِ أربعة أقوال:
وأحسنُ الأقوال في ذلك مذهب جمهور البصريين بأنَّهما مبتدأن وما بعدهما خبر، لأنَّه لا يحتاجُ إلى تكلف.

قال ابن خروف : ((**وقد كان الأُستاذ أبو بكر يقول في قوله : وقد فتح قوم في (مُذْ) لمّا رفعوا وكانت في الجرّ هي التي ترفع**)) (شرح جمل الزجاجي لابن خروف 661/2) .

وتحدّث ابن خروف عن (مُذْ) و(مُنْذ) في باب مستقل هو(باب مُذْ ومُنْذ) قال : ((قال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (مُنْذُ) لُغة أهل الحجاز يجرّ عندهم كلّ شيء من المعرفة والنكرة)).

أثنا عشر:(كلُّ رجلٍ فلَهُ درهمٌ)

قال ابن خروف : ((**وأجاز الأُستاذ أبو بكر : كلُّ رجلٍ فَلهُ درهم** , إذا أراد المبالغة في الرجولية ، فقام ذلك مقام الفعل الذي يُوصف به , ثُمَّ منعهُ في (الإقراء الثاني) , **وينبغي أن لايُقاس هذا ، لأنّ الجزاء في هذا غير مستحكم**)) (شرح الجمل لابن خروف 37/1).

وبيَّنَ سيبويه قائلا : ((ومثل ذلك قولهم : **كلُّ رجل يأْتينا فله درهمان** . ولو قال : كلُّ رجل فله درهمان كان محالا)) (الكتاب 103/3) .

وعلَّل الأخفش وجوب مجيء الخبر مصدرا بـ(الفاء) إذا كان الاسم(الذي) وصلتُهُ (فِعلٌ) ,لأنَّه في معنى (مَنْ) و(مَنْ) يكون جوابها بالفاء في المجازاة ومثلُهُ (الذي يأْتينا فَلَهُ دِرْهَمٌ) .

خاتمة البحث

ـ ابنُ خروف من أشهر نحاة الأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين , ومن أشهرِ شُرَّاح كتاب سيبويه ، رَبَطتْهُ بأُستاذهِ أبي بكر بنِ طاهر علاقة وطيدة أشبهُ ما تكون بعلاقةِ الخليلِ بسيبويه غير أنَّ ذلك لم يمنعه من إبداء بعض الملاحظات وتصحيح عدد من آراءِ أُستاذه , فنراهُ قد ردّه واعترض عليه حينما وجدَ ما يستدعي الاعتراض.

ـ تابع ابن خروف شيخه في معظمِ آرائهِ النحويّة وعارضه في أثنتي عشرة مسألة فقط , وتعدُّ الردود مظهرًا من مظاهرِ تطورِ النشاطِ الفكريّ لعلماءِ النحو العربيّ ,لم يسلمْ منهاعالمٌ نحويٌ مهما بلغتْ شهرتُهُ ومكانتُهُ .

ـ تنوعتْ ردودُه وعباراته الاعتراضية لابن خروف فأحيانا يُعقّبُ على كلامِ ابنِ طاهرِ بقولهِ : ((وكلُهُ فاسدٌ بما ذكرنا) , وأحيانا يقول : ((وهو بعيدٌ في اللفظِ والمعنى , ولم يَعرضْ لهُ سيبويه) ومرة ((والصواب كذا)) ومرة((وهو قياسٌ بعيدٌ)) ومرة((ولم يحلْ الشبهة بما ينبغي))و((ولا يكون شيءٌ مِن هذا)) و((ينبغي أنْ لايُقاس هذا)) .

ـ وصف الرُّعيني ابن خروف بالجمود على أُستاذه , قالَ : ((كان جامدا على ما لُقّن عن ابن طاهر , قليل التصرف , بكي العبارة)) وهذا البحث يناقض هذا القول .

قائمة المصادر

1. ـ القرآن الكريم .
2. ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب . أبو حيّان أثير الدين أبو عبد الله أَحمد بن يوسف الأندلسي(ت 745 هـ) ، تحقيق وشرح ودراسة ومراجعةالدكتور رجب عثمان محمد والدكتور رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1998م.
3. ـ تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف (ت609هـ) تحقيق خليفة محمد خليفة بديري ، طرابلس 1995 .
4. ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، د. ت .
5. ـ الجنى الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم المرادي (ت 749هـ)تحقيق د. طه مسن عبد الرحمن ، دار الكتب المنشورة ، الموصل 1976م .
6. ـ سرّ صناعة الإعراب , أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت392هـ) , تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلميَّة, الطبعة الأَوّلى بيروت ـ لبنان 1421هـ ـ 2000م.
7. ـ سير أعلام النبلاء , وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال كلاهما للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ), قدَّم له سيد حسين العفاني وحقَّقه وخرَّج أحاديثه خيري سعيد , المكتبة التوفيقية , القاهرة , مصر , د. ت .
8. ـ شرح التسهيل ، جمال الدين بن مالك (ت 672هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ . 2001م.
9. ـ شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك , خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـ) , تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1427هـ . 2006م .
10. ـ شرح جمل الزجّاجيّ، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي (ت669هـ)، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مطبعة دار الكتب، الموصل، 1980-1982م.

11. ـ شرح جمل الزجّاجّي ,أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيلي (ت609هـ) الدكتورة سلوى محمد عمر عرب , 1419هـ , المملكة العربية السعودية , جامعة أم القرى ،مكة المكرمة .
12. ـ الكتاب لسيبويه (ت 180 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة دار الكتب المصرية 2000 .
13. ـ كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار(ت659هـ) طبع بمطبعة روخس 1884م .
14. ـ معاني القرآن ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت215هـ)، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة ، الطبعة الأولى ، الناشر مكتبة الخانجي , مصر 1411هـ . 1990م.
15. ـ معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة، الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1405هـ– 1985م.
16. ـ مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاريّ (ت 761هـ), حققه وعلَّق عليه الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله , الطبعة الأوّلى , مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , 1378هـ ..
17. ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 2006م..

موقف عشائر العمارة من فتوى المرجعية الدينية في ثورة العشرين

إعداد

أ.م. د غصون مزهر حسين
كلية الآداب / قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية

المستخلص

يتناول هذا البحث موقف عشائر العمارة من فتوى المرجعية الدينية في ثورة العشرين، باعتبارها محطة مهمة في تاريخ العراق الحديث. فقد شكّلت الفتوى التي أطلقها المراجع الدينيون عاملاً محورياً في تعبئة الجماهير ضد الاحتلال البريطاني، وأسهمت في تفعيل دور العشائر الجنوبية، ولا سيما عشائر العمارة، في دعم الثورة ميدانياً ومعنوياً.

Abstract

This research addresses the stance of the tribes of Amarah regarding the religious authority's fatwa during the 1920 Revolution, considering it a pivotal moment in modern Iraqi history. The fatwa issued by the religious scholars played a central role in mobilizing the masses against the British occupation and significantly contributed to activating the role of the southern tribes—particularly the tribes of Amarah—in supporting the revolution both militarily and morally.

مشكلة البحث

تنحصر في التساؤل الرئيس: ما طبيعة موقف عشائر العمارة من فتوى المرجعية الدينية في ثورة العشرين؟ وكيف انعكس هذا الموقف على مسار الثورة ووحدة الصف الوطني؟ وتتفرع من هذا التساؤل أسئلة فرعية تتعلق بأشكال المشاركة التي قدمتها العشائر، وحدود تأثيرها في مجريات الأحداث.

أهمية البحث

فتنبع من جوانب متعددة، إذ يكتسب أهميته التاريخية من تسليط الضوء على دور عشائر العمارة في واحدة من أبرز الثورات الوطنية، كما تكمن أهميته الاجتماعية في إبراز التفاعل بين المرجعية الدينية والعشائر كقوة اجتماعية مؤثرة، أما من الناحية العلمية، فإن البحث يسهم في سد فجوة معرفية عبر تخصيص دراسة معمقة لدور عشائر العمارة، بعيداً عن العموميات التي تناولت ثورة العشرين في مجملها. وتظهر الأهمية الوطنية من خلال إبراز وحدة الموقف العراقي في مواجهة الاستعمار، ودور الفتوى الدينية في تعزيز هذه الوحدة.

ولتحقيق أهداف البحث، جرى الاعتماد على **(المنهج التاريخي التحليلي)** في تتبع الوقائع والأحداث ودراسة الوثائق والمصادر المعاصرة للثورة، إلى جانب **(المنهج الوصفي التحليلي)** في تفسير مواقف العشائر وفهم طبيعة استجابتها للفتوى ضمن سياقها الاجتماعي والسياسي، مع الاستفادة من **(المقاربة المقارنة)** بشكل ثانوي لتوضيح أوجه التشابه والاختلاف بين موقف عشائر العمارة ومواقف عشائر أخرى في الوسط والجنوب.

المقدمة

تُعدّ ثورة العشرين إحدى العلامات الفارقة في تاريخ العراق المعاصر، إذ يمكن اعتبارها مرحلة تاريخية مستقلة بذاتها إلى حدٍّ كبير، وفي الوقت ذاته تمثل نقطة انطلاق نحو حقبة جديدة في التاريخ العراقي الحديث. فقد تركت نتائجها أثراً بالغاً في الحياة الفكرية والسياسية، وأسهمت في إحداث تحوّل عميق في الوعي الوطني. كما يُنظر إلى هذه الثورة بوصفها منعطفاً تاريخياً وسياسياً واجتماعياً مهمّاً بالنسبة للعراقيين، وبداية فعلية لمشروع تأسيس الدولة العراقية الحديثة. ولا يبدو من المبالغة القول إن ثورة العشرين تُعدّ الحدث الأبرز في تاريخ العراق منذ سقوط بغداد على يد المغول عام 1258، وما تلاه من موجات الغزو والاحتلال التي امتدت عبر قرون طويلة.

تستمدّ ثورة العشرين أهميتها من طبيعة الظروف التي أحاطت باندلاعها وتفاعلت مع مسارها، وكذلك من النتائج التي أفرزتها على مستوى مستقبل العراق دولةً وشعباً. وبناءً على ذلك، حظيت هذه الثورة باهتمام واسع من قِبل الباحثين داخل العراق وخارجه، ممن تناولوا أبعادها السياسية، والاجتماعية والعسكرية والدينية.

وقد تباينت تفسيرات المؤرخين حول العامل الأكثر تأثيراً في تفجير الثورة وقيادتها؛ فذهب البعض إلى أنّ شيوخ عشائر الفرات الأوسط شكّلوا القوة الدافعة لها، فيما رأى عدد من الباحثين الأجانب أن الفلاحين كانوا وقود الثورة وعناصر اندفاعها الأساسية. بالمقابل، أكّد اتجاه آخر أن المرجعية الدينية مثلت القيادة الفعلية للثورة، وأن الفتاوى الصادرة من كربلاء المقدسة منحتها الشرعية اللازمة، بينما قامت العشائر بدور القوة الضاربة، وكانت أراضيها مسرح العمليات الرئيس.

لقد تأثرت الثقافة السياسية للعشائر العراقية على نحوٍ كبير بالمتغيرات الخارجية عبر التاريخ. فبمراجعة مسار التاريخ العراقي منذ القرن السادس عشر – رغم أنّ التشكيل النهائي للقبائل العراقية تبلور في القرن التاسع عشر – يمكن ملاحظة أنّ الدور العشائري اتسم بطابع سياسي متحوّل، إذ غالباً ما تغيّر القبائل مواقفها السياسية وولاءاتها تبعاً للظروف، ويظهر ذلك جلياً في كيفية تفاعلها مع الأحداث الوطنية الكبرى.

ومن هذا المنظور، يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسة المتعلقة بطبيعة علاقة العشائر بالمرجعية الدينية ومدى طاعتها وولائها لها خلال ثورة العشرين، فضلاً عن أثر ذلك في مشروع بناء الدولة العراقية لاحقاً. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى ضرورة التمييز بين مسألتين: نشأة القبيلة بوصفها تكويناً اجتماعياً متجذراً في بنية المجتمع العربي، وهو موضوع تناولته مصادر عديدة بالبحث في أصول القبائل ومواطنها وزعاماتها؛ وبين نشوء الدور السياسي للعشائر الذي يمثل ظاهرة تاريخية متغيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة المرحلة والظروف السياسية المحيطة.

المبحث الأول: السياسة العشائرية للإدارة البريطانية بعد احتلال العراق

تتنوع الخارطة الاجتماعية لكل منطقة في العراق، على الرغم من وحدة الخارطة السياسية، حيث يكون هذا التنوع مرتبط بالظروف البيئية والاجتماعية لكل منطقة، الامر الذي اوجب اختلاف طبيعة السياسة البريطانية المتبعة في كل منطقة لكي تتم السيطرة بشكل كامل عل العراق وتحقيق مصالحها التي سعت اليها عند احتلال العراق.

اتسمت العلاقة بين الإدارة العثمانية والعشائر العراقية بالعداء الشديد بسبب السياسات التعسفية التي كانت تتبعها الإدارة العثمانية في إدارة مناطق العراق المختلفة ، وكثيرا ما كانت تقع معارك بين العشائر و الولاة العثمانيين ، واتبعت الإدارة العثمانية سياسة تشجيع النزاع والتنافس بين العشائر ، لكي تبقى هذه العشائر

في حالة صراع فيما بينها لضمان عدم تحالف هذه العشائر فيما بينها ضد الإدارة القائمة على طريقة (فَرق تُسد)، لهذا كثرت المنازعات والمعارك بين العشائر وشاع قطع الطرق وفرض الاتاوات ، وخصوصا خلال الفترة التي تراخت فيها قبضة الحكومة العثمانية في بداية الحرب العالمية الأولى (الوردي , 1977 , ص26).

بعد ان بدأت بريطانيا في عملية احتلال العراق منطلقة من المناطق الجنوبية، فاحتلت البصرة في 22/ تشرين الثاني / 1914 ، حاول العثمانيون استغلال الجانب الديني في اثارة العشائر لمقاومة القوات البريطانية، من خلال التقرب من رجال الدين وأثارة عواطفهم الإسلامية، لكي يتمكنوا من توظيف ذلك في المواجهة المسلحة مع البريطانيين ، حيث اصدر اغلب علماء الدين في العراق فتاوى نصت على الجهاد في حرب مقدسة ضد المحتل البريطاني (الصغير , 2009 , ص263)، كما لم يكتفي علماء الدين بذلك بل المشاركة الفعلية في القتال (الصغير , 2009 , ص264-265) .

وقد كان الدافع الأساسي للعراقيين من الانضمام الى الجيش العثماني هو قتال الجيش البريطاني الكافر، وتحرير مدينة البصرة، ودخلوا في سبيل ذلك معارك عنيفة ضد الجيش البريطاني مثل معركة الشعيبة عام 1915 (الحسني , 1935 , ص18-19)، لقد شاركت اعداد كبيرة من أبناء عشائر العمارة في القتال ضد المحتلين الإنكليز تلبية لنداء الجهاد الذي أطلقه علماء الدين نهاية عام 1915، وقد مثلت هذه المشاركة في حركة الجهاد الموقف الحقيقي لعشائر العمارة المعادي لقوات الاحتلال البريطاني ، وخصوصا بعد دخول هذه القوات الى مدينة العمارة في 3/حزيران / 1915 (الحسني , 1935 , ص19-20) .

ولقد اتخذ موقف الرفض للوجود البريطاني عدة اشكال مثل الغارات الليلية والهجمات المفاجئة ، كما حاولت هذه العشائر عرقلة تقدم القوات المحتلة من خلال مهاجمة خطوط مواصلاتها ، بما في ذلك قطع التلغراف بين مدينتي العزير وقلعة صالح ، هذا الامر كان له تأثير على زيادة نفقات القوات البريطانية وارباك واجباتها ، مما أدى الى اتخاذ إجراءات اتسمت بالقسوة والشدة من قبل القوات البريطانية اتجاه العشائر الرافضة للاحتلال ، كما حاولت العشائر عرقلة طرق المواصلات البرية والنهرية ورغم الفرق الكبير في التسليح بين الطرفين الا أن العشائر لم تستسلم بشكل كامل (عبد , 2009 , ص28-29) .

اتبع الإنكليز سياسة خاصة في التعامل مع العشائر لغرض كسب تأييدها لوجودهم ، وتأمين سلامة قواتها ، حيث يذكر الدكتور علي الوردي " ان الإنكليز اتبعوا سياسة جديدة تجاه العشائر قائمة على ابراز زعامات قوية توحد مناطق معينة تحت قيادتها، وبذلك يسهل التعامل معها وكسبها الى جانبها في سبيل تحقيق

مصالحها ، حيث يتم اختيار شيخ واحد في كل منطقة من مناطق العراق ، ودعم هذا الشيخ بالمال والنفوذ وبالسلاح عند الحاجة لكي يكون مسؤولا عن الامن والنظام في منطقته ، وبذلك تكون منفعة متبادلة بين الإنكليز وهؤلاء الشيوخ ، فهم يحصرون السلطة في يده ويخففون عنه الضرائب وفي المقابل ينفذ اوامرهم ويحمي مصالحهم " (الوردي, 1977 , ص27) .

كانت السياسة البريطانية تتسم بالدهاء من خلال اختراق النسيج الاجتماعي للعشائر وإبراز مكانة بعض الشيوخ على حساب اخرين وهي السياسة التقليدية للدول المحتلة سياسة (فَرق تُسد) ، هذا الامر جعل البعض من هؤلاء الشيوخ ينحاز الى مصالحه الشخصية – الأرض والنفوذ القوي – بين الشيوخ ، في حين كان يتعرض غيرهم الى ضغوط وممارسات تعسفية ، تصل الى الطرد من أراضيهم ومنحها الى غيرهم ويذكر لنا مثال على ذلك " قامت الإدارة البريطانية بطرد الشيوخ الرافضين للاحتلال من أراضيهم ومنهم الشيخ محمد الحطاب شيخ عشيرة آل ازيرج ، عندما منحتهم أراضي منطقة الشطانية والعودة (أراضي في ميسان) بعد أن كانت هذه الأراضي تابعة الى عشائر آل عيسى و آل بزون منذ العهد العثماني ، حيث قامت بتوزيع الأراضي ومن ثم إعادة توزيعها مرة أخرى ، او اعادتها الى أصحابها وذلك لتقلب سياسة الإدارة البريطانية بين الحين والأخر لكسب ولاء هؤلاء الشيوخ ، وحصل نفس الامر مع الشيخ فالح الصيهود والشيخ عصمان بن يسر شيخ عشيرة البو محمد" (عبد , 2009 , ص29) .

لقد اعتمدت السياسة البريطانية في العراق بعد الاحتلال على إدارة مركّبة، جمعت بين استخدام القوة العسكرية، وتجنيد الزعامات العشائرية، وإعادة هيكلة المجتمع الريفي على أساس مصالح استعمارية، هذا النهج، رغم أنه نجح على المدى القصير في تحقيق السيطرة البريطانية وتقليل تكاليف الإدارة، إلا أنه أسفر على المدى الطويل عن **تفكيك البنية الاجتماعية التقليدية للعشائر**، وتعميق الانقسامات بين الريف والحضر، بين زعماء موالين وبين جماهير مغبونة، ما ساهم في صعوبات لاحقة في بناء دولة مدنية متجانسة.

كما أن اعتماد العشائر — أو بعض شيوخها — كوسيط في الحكم المحلي خلق بديلًا شبه إقطاعي في الريف، نقل فيه مركز القرار من الجماعة العشائرية إلى الفرد (الشيخ) المدعوم من الاحتلال، مما أثر على التماسك الاجتماعي والعشائري التقليدي.

أخيرًا، يمكن القول إن سياسة الاحتلال البريطانية للعراق لم تكن فقط احتلالًا عسكريًا، بل **محاولة لإعادة تشكيل المجتمع** من خلال هيكلة جديدة استعمارية، عبر تقسيم وتقزيم الكيانات العشائرية التقليدية،

واستبدالها بزعامات محلية تخدم أهداف السيطرة والاستغلال؛ وهو إرث لا يزال تأثيره يمتد في بنية الدولة والمجتمع العراقي حتى اليوم.

المبحث الثاني: مشاركة عشائر العمارة في ثورة العراق عام 1920

لقد لعبت السياسة العشائرية التي تبنتها الإدارة البريطانية في العراق، وبشكل خاص في أراضي العمارة، دورًا حاسمًا في تحديد طبيعة مشاركة عشائر هذه المنطقة في ثورة 1920. فقد اتسمت هذه السياسة بدعم شيوخ معينين على حساب آخرين، بما يزيد من سلطتهم ونفوذهم ويضعف خصومهم، وهو ما ساهم بشكل مباشر في خلق اختلافات ملحوظة في مستوى التفاعل والمشاركة العشائرية في أحداث الثورة.

وقد أدت هذه السياسات التفضيلية إلى توليد مشاعر كراهية واستياء عميق لدى العديد من شيوخ العشائر، لا سيما بعد أن فضلت بريطانيا شيخًا على آخرين من أبناء العشيرة نفسها، مما أثار خلافات داخلية بين العشائر. وقد أشار الدكتور علي الوردي إلى أن الإنجليز لم يراعوا الأعراف العشائرية الخاصة بوراثة المشيخة، بل قاموا بتعيين بعض الأفراد في مواقع قيادية وفقًا لولائهم الشخصي للصالح البريطاني، متجاوزين الأعراف المتعارف عليها في اختيار الشيوخ (الوردي، 1977، ص28).

كما لعبت الوعود البريطانية، التي أطلقت خلال الحرب العالمية الأولى ولم يتم الوفاء بها، دورًا كبيرًا في دفع الشعب العراقي إلى الثورة، لا سيما بعد أن أعلن الجنرال مود أن البريطانيين جاءوا كـ"محررين لا فاتحين" (الحسني، 1935، ص20). وساهمت الدعوات التي أطلقتها حركة الجهاد في أواخر عام 1915 والتي أكدت على إمكانية استعمال القوة المسلحة والإمكانات المحلية في مقاومة الاحتلال، في تعزيز الوعي الوطني لدى الأهالي، ما أسهم لاحقًا في انطلاق الثورة الشاملة في مختلف مناطق العراق، مطالبة بحقوق العراقيين في ظل رفض الإنجليز تلبية مطالب الشعب ومحاولتهم فرض سلطتهم السياسية والعسكرية عبر الانتداب.

وفي ظل فشل الوسائل السلمية لتحقيق المطالب الوطنية، أصبح الخيار الثوري هو الحل الأخير أمام رجال الأمة وزعمائها. وقد جاءت فتوى المرجعية الدينية، ممثلة بالميرزا الشيرازي، لتشكل الإعلان الرسمي للثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني، حيث نصت الفتوى على ضرورة مطالبة العراقيين بحقوقهم مع مراعاة السلم والأمن، والسماح باستخدام القوة الدفاعية عند امتناع الإنجليز عن قبول مطالبهم (الحسني، 2004، ص244؛ الحسني، 1971، ص186). ومن هنا يظهر كيف أن الحرب وسوء الإدارة والعنف الممارس من

قبل موظفي الاحتلال عززت روح التكاتف بين العشائر، متجاوزة الخلافات والعصبيات القبلية، وهو ما أفشل السياسة البريطانية المتمثلة في شراء ولاء العشائر بالمال والامتيازات.

وكان للقبائل العراقية، التي تمتعت بنفوذ واسع واستقلال نسبي خلال الحكم العثماني، دور بارز في الثورة. فقد خفض الاحتلال البريطاني من نفوذها واستقلالها، وعمد ضباطه إلى توجيه الإهانات لرؤساء القبائل لكسر شوكتهم. ولتنظيم إدارة الشؤون العشائرية، أصدرت السلطات البريطانية "نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية" في 27 تموز 1918، الذي اعتمد التحكيم القبلي في حل النزاعات (الحسني، 1971، ص153–154).

وقد شكلت السنوات السابقة لثورة 1920، وخاصة أعوام 1918–1920، بيئة مواتية لنشوب الثورة، حيث شهدت ثورة النجف عام 1918 وإعلان الانتداب البريطاني على العراق في نيسان 1920 وفق مؤتمر سان ريمو، بالإضافة إلى تزوير نتائج الاستفتاء الذي أجرته الإدارة البريطانية بقيادة أرنولد ولسن عام 1919، ما عكس استمرار سياسة التعسف البريطاني ضد السكان المحليين.

وعلى الرغم من شمول الثورة لمعظم مناطق العراق، وخاصة منطقة الفرات الأوسط، فإن قوة الإدارة البريطانية وأسلوبها في تقسيم العشائر لعبا دورًا في تباين مستوى المشاركة. فقد اعتقل الإنجليز أبرز شيوخ المنطقة مثل شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الظوالم، وكان هروبه نقطة انطلاق لثورة مسلحة في مختلف المناطق. ومرت الثورة بعدة مراحل، بدءًا من الأحداث التمهيدية في بغداد وكربلاء ودير الزور وتلعفر والموصل، وصولاً إلى الثورة المسلحة التي انطلقت في الرميثة في 30 حزيران 1920، ثم انتشار الثورة في عموم مناطق العراق، وإن كان بصورة أقل خارج الفرات الأوسط، حيث كان هذا الأخير معقل الثورة وساحة أبرز معاركها وصمودها لفترة طويلة (الوردي، 1977، ص369).

ويرى الدكتور علي الوردي أن العامل الديني كان المحرك الأهم لانتشار الثورة، حيث ساعدت فتوى المرجعية الدينية في دفع الكثير من الشيوخ للانضمام إلى الثورة، خشية أن يُتهموا بالكفر أو النصرانية (الوردي، 1977، ص374).

وبالنسبة للواء العمارة، فقد شارك أهاليه في الثورة من خلال تطوع عدد من أبناء اللواء وقيادة المتطوعين من قبل سيد موسى الحسني، بالإضافة إلى تقديم تبرعات سرية لدعم مناطق الثورة (عبد، 2009، ص33). ورغم ذلك، كانت مشاركة العمارة محدودة نسبيًا وبصورة سرية بسبب تطبيق السياسة البريطانية

الناجحة في فرق تسد بين شيوخ العشائر، وتعزيز هيبة الشيوخ الموالين للإدارة، ما جعل المنطقة حقلًا تجريبيًا لهذه السياسات (عبد، 2009، ص34). ويشير كامل سلمان الجبوري إلى أن الإنجليز طدوا علاقاتهم مع رؤساء العشائر في العمارة مثل الشيخ عريبي باشا، وهو ما أدى إلى ضعف دعم العمارة للثورة رغم محاولات زعماء الثورة استقطابه (الجبوري، 2009، ص290).

يتبين موقف عشائر العمارة من فتوى المرجعية خلال ثورة العراق عام 1920 مدى تعقيد العلاقة بين العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية في الحراك الوطني، فقد كانت فتوى الميرزا الشيرازي تمثل دعوة صريحة للمقاومة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني، ونجحت في حشد الجماهير في مناطق عدة من العراق، إلا أن عشائر العمارة لم تستجب لها بشكل واسع أو فعلي، وهو ما يعكس تأثير السياسات البريطانية المبنية على فرق تسد وإغراء الشيوخ بالمال والامتيازات، والتي أضعفت القدرة على تنظيم المقاومة الشعبية.

كما تظهر التجربة أن السلطة الدينية وحدها، رغم هيبتها الروحية والاجتماعية، لم تكن كافية لضمان توحيد صفوف السكان أمام الاحتلال، إذ كانت المصالح القبلية والضغوط السياسية والإدارية عوامل حاسمة في تحديد مدى المشاركة. ومن هنا، يمكن فهم ضعف استجابة عشائر العمارة على أنه نتاج لتقاطع مصالح محلية واستراتيجيات استعمارية دقيقة، يضاف إليها المخاطر المباشرة والتهديدات الأمنية التي فرضتها الإدارة البريطانية.

وتبعًا لذلك، فإن موقف العمارة يقدم درسًا تاريخيًا مهمًا حول حدود تأثير المرجعية الدينية في سياق سيطرة الاحتلال، ويبرز أهمية فهم البنية الاجتماعية والسياسية المحلية عند دراسة حركات المقاومة. كما يوضح أن فعالية أي فتوى أو دعوة وطنية تتوقف على توازن القوى بين النفوذ الديني التقليدي والسياسات الاستعمارية، بالإضافة إلى قدرة المجتمع المحلي على تجاوز الانقسامات الداخلية والتأثيرات الخارجية.

كما يظهر من التحليل أن العامل الديني كان له أثر بالغ في تحريك الجماهير العراقية للانخراط في الثورة، وهو ما يعكس عمق الترابط بين البعد الديني والسياسي في الحراك الوطني. أما السياسة البريطانية، فقد أسفرت على المدى الطويل عن إضعاف سلطة العشائر التقليدية، لكنها في الوقت نفسه فشلت في كسر الروح الوطنية أو قمع مطالب الحرية، حيث أظهرت الأحداث قدرة الشعب العراقي على التوحد خلف أهداف وطنية عليا رغم السياسات التفتيتية والاستغلالية.

وبذلك، تقدم دراسة مشاركة عشائر العمارة مثالاً واضحًا على كيفية تأثير السياسات الاستعمارية على النسيج الاجتماعي والسياسي المحلي، وتوضح في الوقت ذاته أهمية العوامل الدينية والاجتماعية في صياغة المقاومة الوطنية، مما يجعل هذه المرحلة من تاريخ العراق درسًا بالغ الأهمية في فهم التفاعل بين الاحتلال، السلطة المحلية، وحركات المقاومة الشعبية.

الخاتمة

يبين تحليل موقف عشائر العمارة خلال ثورة العراق عام 1920 أن استجابتهم لفتوى المرجعية الدينية كانت محدودة ومجزأة، نتيجة لعدة عوامل سياسية واجتماعية. فقد عملت السياسة البريطانية على تفتيت وحدة العشائر عبر منح الامتيازات لشيوخ معينين وتعزيز ولائهم، مما قلل من قدرة العمارة على التعبئة الفعلية للثورة، ورغم أهمية العامل الديني ودور فتوى الميرزا الشيرازي في تحفيز السكان على النضال ضد الاحتلال، إلا أن تأثيرها على عشائر العمارة كان ضعيفًا نسبيًا مقارنة بمناطق الفرات الأوسط، حيث كانت الضغوط الإدارية والسياسية البريطانية قوية، وأدّت إلى تباين مستويات المشاركة.

وعليه، يظهر أن موقف عشائر العمارة يعكس تداخل العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية في تحديد درجة استجابة المجتمع المحلي للفتوى الثورية، ويبرهن في الوقت نفسه على حدود تأثير المرجعية الدينية أمام سياسات الاستعمار المباشرة التي استهدفت كسب ولاء النخب المحلية وتقويض مقاومة الجماهير.

ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

1- نجاح السياسة البريطانية بخصوص العشائر في لواء العمارة وانضمام اغلب الشيوخ الى جانب السلطات البريطانية بسبب ارتباط مصالحهم الاقتصادية من خلال الحصول على الأراضي الواسعة بالإيجارات السنوية أكثر مما كان لديهم في العهد العثماني.

2- المشكلات العشائرية والمنازعات بين عشائر اللواء نفسها حول الأراضي وتوزيع مياه الري الامر الذي حاولت سلطات الاحتلال المحافظة عليه لإبقاء العشائر منشغلة في منازعاتها فيما بينها.

3- حافظت الإدارة البريطانية على تأمين خطوط مواصلاتها الاستراتيجية بعيدا عن أي ثورات واحداث داخلية مثل مناطق العمارة والبصرة.

4- ضعف الاتصال بين سكان لواء العمارة والمراجع الدينية في كل من النجف وكربلاء والكاظمية بسبب البعد الجغرافي بينهم، الامر الذي ساهم في ضعف المشاركة الشعبية في الثورة.

المصادر والمراجع

اولا: الكتب العربية والمعربة

1- سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 2004.

2- عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول ، دار الراية البيضاء ، بغداد ، 1935

3- ــــــــــــــــــ ، الثورة العراقية الكبرى ، مؤسسة المحبين ، الطبعة الثالثة المنقحة ، قم – ايران،1971

4- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (حول ثورة العشرين) ،الجزء الخامس ،القسم الأول ، دار بهجة المعرفة ، بيروت – بغداد ، 1977 .

5- محمد حسين علي الصغير، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الاشرف ، مؤسسة البلاغ ، الطبعة الثانية ، لبنان ، 2009 .

6- كامل سلمان الجبوري ،وثائق الثورة العراقية الكبرى (مقدماتها ونتائجها 1914-1923)الجزء الثاني ، دار المؤرخ العربي ،بيروت –لبنان ،الطبعة الأولى ،2009.

ثانيا : البحوث

1- محمد حسين زبون الساعدي وعبدالله كاظم عبد ، أهالي لواء العمارة وثورة عام 1920 (دراسة في ضوء نظرية التحدي والاستجابة)، مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية ، المجلد الثامن ، العدد الخامس عشر ، كانون الأول 2009.

الإدارة المستدامة لمياه الري في العمليات الزراعية (قضاء المحمودية أنموذجًا)

إعداد

أ.م.د. كوثر ناصر عباس
جامعة بغداد -كلية التربية للبنات -قسم الجغرافية
kawthar.nassir@coeduw.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

يتمحور البحث حول الإدارة المستدامة لمياه الري التي تعد من أهم التحديات التي تواجه القطاع الزراعي في العراق، ومنه قضاء المحمودية الذي يعتمد على الزراعة كمصدر رئيسي باعتباره منطقة ريفية وزراعية مهمة لزراعة الحبوب والخضروات وبعض محاصيل البستنة، يهدف البحث إلى دراسة واقع استخدام مياه الري في العمليات الزراعية في القضاء، ومعرفة مصدر المياه واستدامتها في ظل التغيرات المناخية وتراجع الموارد المائية، كما يُسلّط الضوء على الأساليب التقليدية والحديثة المستخدمة في الري، ومدى اهميتها في تحقيق الاستخدام الأمثل للمياه، مع دراسة العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في إدارة المياه، مثل نوعية التربة، وأنماط الزراعة السائدة، توصل البحث الى إن الإدارة المستدامة للمياه في المجال الزراعي في قضاء المحمودية يمثل فرصة استراتيجية لتطوير أساليب الري، من خلال إدخال تقنيات الري الحديثة من اجل تقليل الفاقد المائي وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المائية المتاحة، مما يعزز الإنتاجية الزراعية ويحافظ على استدامتها، مع ضرورة رفع وعي المزارعين بأهمية ترشيد المياه، وتدريبهم على استخدام أدوات الري الحديثة، إلى جانب توفير الدعم المؤسسي والمالي من الجهات الحكومية، كما توصل البحث الى اعتماد الكثير من المزارعين في قضاء المحمودية على مياه الابار في سقي المزروعات نتيجة لشحة المياه.

الكلمات المفتاحية: الإدارة المستدامة، مياه الري، الزراعة، قضاء المحمودية.

Abstract

The research focuses on the sustainable management of irrigation water, which is one of the most significant challenges facing the agricultural sector in Iraq, including the Al-Mahmudiya District. This district relies heavily on agriculture as a primary economic activity, being a key rural and agricultural area known for cultivating grains, vegetables, and some horticultural crops. The study aims to examine the current use of irrigation water in agricultural operations within the district, identify water sources, and assess their sustainability in light of climate change and declining water resources .

The research also highlights both traditional and modern irrigation methods and their importance in achieving optimal water use. It further examines the natural and human factors influencing water management, such as soil quality and prevailing agricultural patterns .

The study concludes that sustainable water management in the agricultural sector of Al-Mahmudiya District represents a strategic opportunity to improve irrigation practices by introducing modern irrigation technologies to reduce water loss and ensure optimal use of available water resources. This contributes to enhancing agricultural productivity and preserving its sustainability. The research also emphasizes the need to raise farmers' awareness about water conservation, train them in using modern irrigation tools, and provide institutional and financial support from governmental agencies. Additionally, the findings show that many farmers in Al-Mahmudiya rely on groundwater wells for irrigation due to water scarcity .

Keywords: Sustainable management, irrigation water, agriculture, Al-Mahmudiya District.

المقدمة:

اخذت التنمية الزراعية اهتمام الكثير من الباحثين الجغرافيين كونها ضرورية في تحقيق الامن الغذائي للدول النامية ومنها العراق للحد من ظاهرة الفقر، اذ ان الاعتماد على الأساليب الحديثة في العمليات الزراعية من شأنه المحافظة على الموارد الطبيعية وتحقيق الامن الغذائي للسكان، لقد البحث على مشكلة في غاية الأهمية الا وهي إدارة مياه الري بشكل مستدام وما يرتبط بها من الهدر والتلوث والتجاوز عليها سواء بأنشاء بحيرات للأسماك غير مرخصة، او استخدام نظام الري التقليدي (السيحي) الذي يؤدي الى ضياع جزء كبير من المياه فضلا عن الهدر والاسراف غير المبرر من السكان. يعتمد المزارعون فيه بشكل رئيس على مياه نهري دجلة والفرات والجداول المتفرعة، فضلا عن المياه الجوفية في بعض مناطق القضاء، الا ان طرق الري السائدة لا زالت تقليدية أدت إلى هدرٍ كبير في المياه وانخفاض في كفاءة استخدامها، لذا من الضروري التحول نحو إدارة أكثر استدامة، لا سيما في ظل التغيرات المناخية وشحة الموارد المائية والزيادة السكانية.

إن الجمع بين التكنولوجيا الحديثة والإدارة المحلية السليمة يمكن أن يؤدي إلى نموذج متكامل في إدارة المياه، يُحتذى به في أقضية أخرى ضمن محافظة بغداد نحو تحقيق التنمية الزراعية المستدامة، وضمان استمرارية الموارد المائية للأجيال القادمة.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث بعدة تساؤلات هي: ما مدى استخدام التقنيات الحديثة في ري المحاصيل الزراعية في قضاء المحمودية؟ وما هي المحاصيل المزروعة والتي يستخدم فيها الري الحديث؟ وما المشكلات والمعوقات التي تحد من استخدام الري الحديث في قضاء المحمودية؟

فرضية البحث:

يوجد بعض التقنيات المستخدمة في ري المحاصيل الزراعية متمثلة بالري بالرش والري بالتنقيط، ويعد محصول القمح من اكثر المحاصيل التي تروى بأساليب الري الحديثة، كما افترضت الدراسة وجود الكثير من المشكلات والتحديات التي تعيق استخدام تقنيات الري الحديثة.

هدف البحث: يهدف البحث الى تسليط الضوء على اهم المتطلبات اللازمة لتحسين إدارة استخدام مياه الري بأساليب حديثة، وتشخيص المعوقات التي تحد من تنمية استخدام أساليب الري، ومحاولة وضع بعض المقترحات للحد من هذه المعوقات ومعالجتها في قضاء المحمودية.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث بقضاء المحمودية الذي يقع جنوب محافظة بغداد، يحده من الشمال قضاء الكرخ وابي غريب ضمن محافظة بغداد، ومن الجنوب قضاء المسيب ضمن محافظة بابل، ومن الشرق قضاء المدائن ضمن محافظة بغداد، وقضاء الصويرة التابع لمحافظة واسط، اما من الشمال الغربي يحده قضاء الفلوجة التابع لمحافظة الانبار، اما الحدود الفلكية فهو يقع بين دائرتي عرض (50- 32)º، (15 – 33)º شمالا وبين خطي طول (00- 44)º و(35 – 44)º شرقا، لاحظ الخريطة (1) تبلغ مساحة قضاء المحمودية (1410.7) كم^2، تأتي ناحية اللطيفية بالمرتبة الأولى من حيث المساحة البالغة (509) كم بنسبة (36.1)% اما ادناها من حيث المساحة فكان مركز قضاء المحمودية بواقع (216) كم بنسبة (15.3)%، الجدول (1).

الخريطة (1) موقع قضاء المحمودية من محافظة بغداد

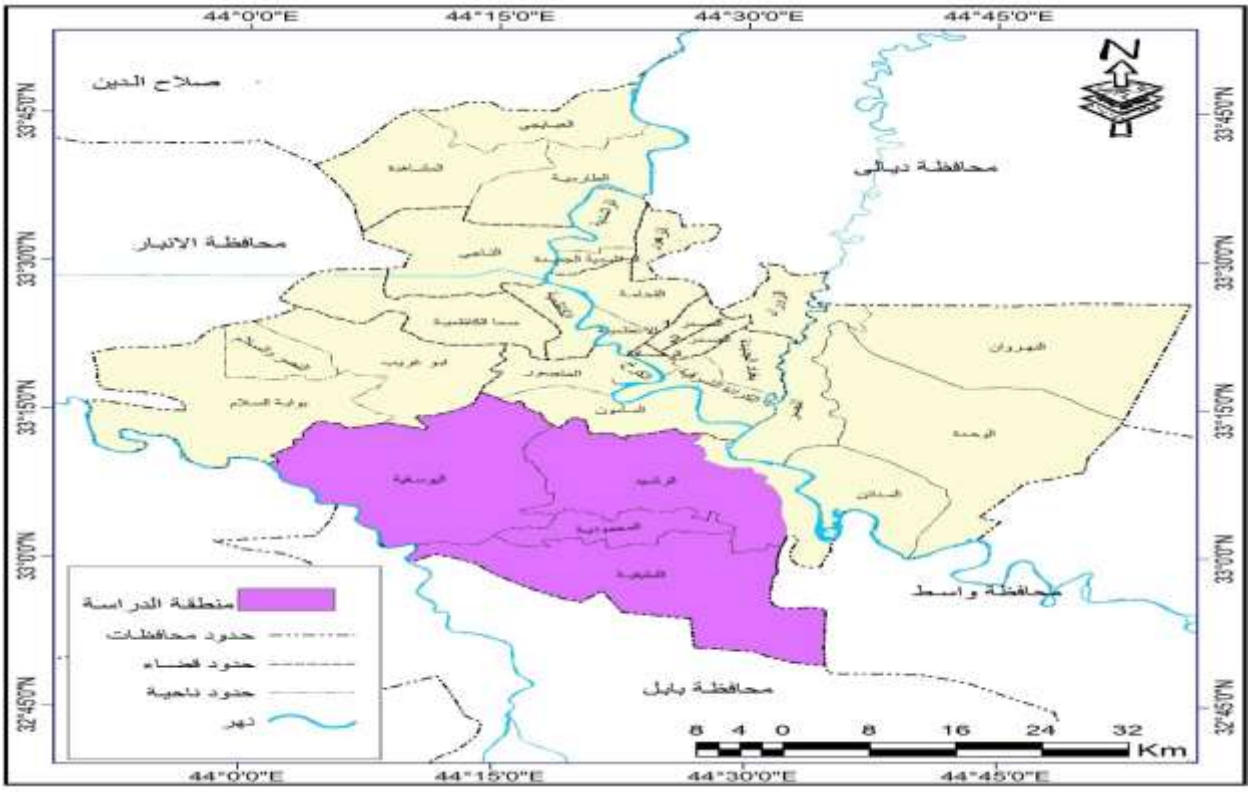

المصدر: وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الادارية، مقياس 1:1000000، لسنة 2024.

الجدول (1) مساحة الوحدات الإدارية في قضاء المحمودية

التسلسل	الوحدات الادارية	المساحة (دونم)	المساحة (كم^2)	النسبة (%)
.1	ناحية اللطيفية	1272500	509	36.1
.2	ناحية اليوسفية	1112500	445	31.5
.3	ناحية الرشيد	600000	240	17.0
.4	مركز القضاء	540000	216	15.3
المجموع		3525000	1410.7	100

المصدر: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية، جدول 5/1، 2023، 27.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من تناقص الإنتاج الزراعي بشكل عام نتيجة لشحة المياه بسبب قلة إيرادات نهري دجلة والفرات، وبالتالي تناقص الحصص المائية للمزارعين مما ينعكس اثره في قلة الإنتاج الزراعي او انعدام زراعة بعض المحاصيل للسبب ذاته.

المبحث الأول: تعريف ببعض المفاهيم

1. مفهوم الإدارة المستدامة لمياه الري

هي عملية تصميم وتنفيذ وتنظيم استخدام مياه الري بطريقة تحقق ثلاثة أهداف متوازنة:

أ. تلبية احتياجات تخص النبات أولا من مياه الري متمثلة برفع إنتاجية المحاصيل الزراعية، وتخص المزارع ثانيا بما يحقق الأمن الغذائي.

ب. الحفاظ على الموارد المائية وجودة مياه الري على المدى الطويل.

ت. التقليل من التأثيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية السلبية مثل ملوحة التربة وتدهورها، استنزاف المياه الجوفية، الخسائر التي يتعرض لها الفلاحين.

لذا فأن الإدارة المستدامة هي ليست مجرد توفير المياه للمحاصيل الزراعية بصورة انية، بل توفيره بطريقة لا تستنزف المخزون أو تضر بالأنظمة البيئية أو تحوّل العبء الاقتصادي إلى الأجيال القادمة.

2. الموارد المائية: هي المياه المتاحة التي يمكن توفيرها بكمية وجودة مناسبة لتلبية الاحتياجات المحددة لموقع معين خلال مدة زمنية معينة سواء مياه سطحية او جوفية، وتشمل قدرة البنية التحتية في تخزين ونقل ومعالجة المياه لتكون صالحة للاستخدامات المختلفة سواء بشرية او زراعية او صناعية او بيئية (الصايغ،2018:15) . والتي تتمثل بالمصادر التقليدية كالأمطار والمياه السطحية والمياه الجوفية، او المصادر البديلة التي تعتمد عند شحة المصادر التقليدية مثل تحلية المياه المالحة ومعالجة مياه الصرف الصحي او استمطار السحب او استيراد المياه من الدول المجاورة.

3. التنمية الزراعية: هي تلبية الاحتياجات الغذائية الأساسية للأجيال الحالية والمستقبلية مع الحفاظ على الموارد الطبيعية دون الاخلال بالتوازن البيئي (ندا وأحمد، 2025 :147)

المبحث الثاني: العوامل الجغرافية المؤثرة في مياه الري

1. الظروف المناخية

أ. درجات الحرارة

تشير بيانات الجدول (2) والشكل (1) الى ان المتوسط السنوي لدرجات الحرارة في منطقة الدراسة وصل الى (24.0) م°، وكان ادنى متوسط شهري في شهر كانون الثاني بلغ (10.8)م°، واعلى متوسط شهري في شهر تموز (36.9) م°.

الجدول (2) المتوسط الشهري والسنوي لدرجات الحرارة (م°) في محطة بغداد للمدة (2013-2023)

الشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المتوسط السنوي
متوسط درجات الحرارة	810.	13.5	18.4	823.	29.9	4.34	36.9	.635	.235	2.62	717.	12.4	24.0

المصدر: جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية، قسم المناخ، (بيانات غير منشورة)، للمدة 2013– 2023، بغداد، 2024.

الشكل (1) **المتوسط الشهري والسنوي لدرجات الحرارة (م°) في محطة بغداد للمدة (2013-2023)**

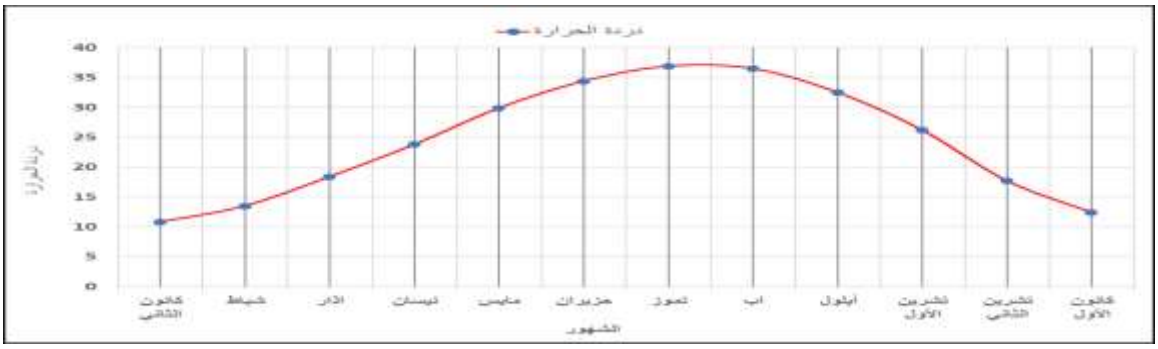

المصدر: الجدول(2).

ب. الامطار

يظهر الجدول (3) والشكل (2) ان الامطار تتصف بقلة كمياتها اذ لا يزيد مجموعها السنوي (153.2) ملم، وتسقط بشكل تدريجي من شهر تشرين الاول (10.8) ملم لتصل الى اكبر كمية لها (38.6) ملم في شهر تشرين الثاني ثم تبدأ بعد هذا الشهر بالتذبذب بين الانخفاض والارتفاع الى ان تصل الى ادنى حد لها (4.1) ملم في شهر ايار اذ يتوقف سقوطها في الاشهر (حزيران، تموز، اب)، حيث تبدأ المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط بالتناقص التدريجي الى ان ينقطع مردودها خلال اشهر الصيف. (الشلش،1979 :27)

الجدول (3) المعدلات الشهرية لكمية الأمطار الساقطة (ملم) ومجموعها السنوي في محافظة بغداد للمدة (2013-2023)

الشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المجموع السنوي
معدلات سقوط الأمطار	25.4	17.3	23.5	15.3	4.1	0.0	0.0	0.0	0.0	10.8	38.6	18.1	153.2

المصدر: جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية، قسم المناخ، (بيانات غير منشورة)، للمدة 2013 – 2023، بغداد، 2024.

الشكل(2) المعدلات الشهرية لكمية الأمطار الساقطة (ملم) ومجموعها السنوي في محافظة بغداد للمدة (2013-2023)

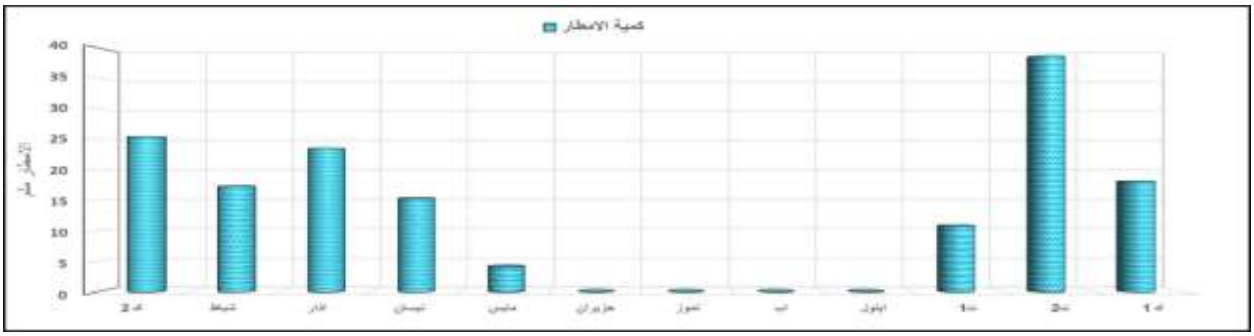

المصدر الجدول(3).

ث. الرطوبة النسبية

يتضح من الجدول (4) والشكل (3) ان معدل الرطوبة النسبية السنوي في محافظة بغداد يصل الى (41.5)% وان هذا المعدل يرتفع خلال الفصل البارد نتيجة لسقوط الامطار خلال هذا الفصل، اذ سجلت اعلى معدل لها خلال شهري (كانون الاول، كانون الثاني) اذ بلغت (66.8، 68.6)% على التوالي، الا انها تنخفض خلال الفصل الحار من السنة لتصل ادنى حد لها (22.1، 20.3، 23.0) % في أشهر تموز وحزيران واب) على التوالي، وبالتالي يتضح ان معدلات الرطوبة النسبية ترتفع خلال اشهر الشتاء وتقل خلال اشهر الصيف.

تعد السياسة المائية واحدة من اهم الخصائص الجغرافية المؤثرة في الموارد المائية السطحية كونها تتحكم بكمية الواردات المائية لنهري دجلة والفرات، اذ تنخفض كمية المياه الواردة الى هذين النهرين باتجاه العراق بنسبة كبيرة بسبب سياسة الدول المجاورة في انجاز السدود في أراضيها، لذا فأن انخفاض لتلك الواردات تشكل تحديا كبيرا يواجه العراق ويقلل من الحصص المائية في جميع محافظات العراقية.

ج. التبخر

لقد ادى انخفاض نسبة الرطوبة في منطقة الدراسة في اشهر الصيف الحارة الى ارتفاع معدلات التبخر وهذا يؤثر سلبا في ارتفاع كميات التبخر من مياه الانهار وزيادة ملوحة في التربة وبالتالي، وصلت معدلات التبخر خلال اشهر حزيران وتموز واب الى (455.6، 500.1، 444.1) ملم على التوالي وهي اعلى قيم للتبخر، في حين تنخفض كمية التبخر في شهري كانون الاول، كانون الثاني لتصل الى (70.1، 75.6) ملم على التوالي.

جدول (4) المعدلات الشهرية والسنوية للرطوبة النسبية (%) والتبخر (ملم) في محافظة بغداد للمدة (2023-2023)

الشهر	الرطوبة النسبية %	معدلات التبخر(ملم)
كانون الثاني	**66.8**	70.1
شباط	**57.9**	96.1
آذار	**48.5**	165.1
نيسان	**39.0**	234.0
أيار	**29.2**	332.8
حزيران	**22.1**	455.6
تموز	**20.3**	500.1
آب	**23.0**	444.1
أيلول	**27.0**	324.5
تشرين الأول	**37.7**	207.8
تشرين الثاني	**58.0**	105.3
كانون الأول	**68.6**	75.6
المعدل السنوي	**41.5**	
المجموع السنوي		3011.2

المصدر : جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية، قسم المناخ، (بيانات غير منشورة)، للمدة 2013 – 2023، بغداد، 2024.

الشكل (3) المعدلات الشهرية والسنوية للرطوبة النسبية (%) والتبخر (ملم) في محافظة بغداد للمدة (2023-2023)

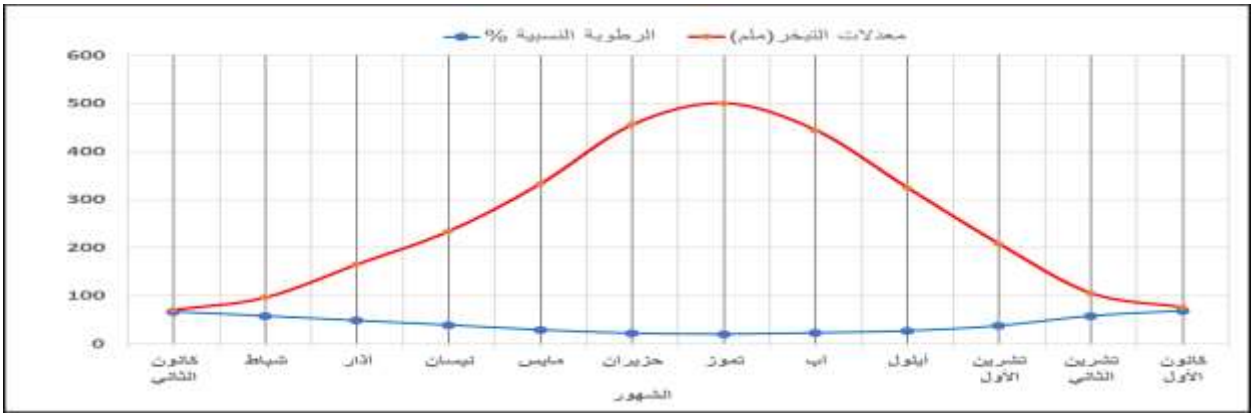

المصدر: الجدول (4).

2. التربة: ان تربة قضاء المحمودية جزء من تربة السهل الرسوبي، وهي تربة طموية مزيجية عميقة ذات سطح مستوي تنقسم الى عدة أنواع (علي،2025 : 30 ـ34) لاحظ الجدول (5).

أ. تربة كتوف الأنهار: تنتشر في الجزء الجنوبي الغربي من قضاء المحمودية على جانبي نهر الفرات، وتوجد أيضا في الجانب الأيمن من نهر دجلة في الجزء الشرقي من ناحية اللطيفية، ذات نسجة خشنة الى متوسطة من الرمل الدقيق الى مزيجية طينية غرينية، قليلة الاملاح، وهي افضل أنواع الترب يزرع فيها الكثير من محاصيل الخضر والنخيل واشجار الفاكهة، اما طريقة الري المتبعة في ناحية اليوسفية والرشيد طريقة الري بالتنقيط خاصة في محاصيل الخضر والري السيحي في سقي شجار النخيل والفاكهة.

ب. تربة احواض الأنهار: تتركز في المناطق الابعد عن مجرى النهر في ناحية الرشيد واليوسفية ومركز المحمودية ووسط اللطيفية، نسجتها ناعمة وترتفع فيها نسبة المادة الكلسية والاملاح كونها رديئة الصرف، تحتاج الى تسميد مستمر كونها قليلة المادة العضوية، يزرع فيها اغلب المحاصيل الصيفية والشتوية، اما طريقة الري المتبعة في ناحية اليوسفية واللطيفية فهي الري السيحي لغسل التربة من الاملاح بسبب ضعف الصرف.

ت. تربة دورية الانغمار: تقع اسفل منطقة احواض الأنهار في المنطقة الجنوبية الشرقية من قضاء المحمودية، ذات نسجة ناعمة وتعد من الترب رديئة الصرف بسبب انخفاض سطحها، وهي ترب فقيرة بالمواد العضوية وقليلة الخصوبة لذا فأن عملية استصلاحها ذات كلفة عالية، اما طريقة الري المتبعة في ناحية اللطيفية ومركز القضاء طريقة الري بالرش خاصة في محاصيل الخضر والري السيحي لبقية المحاصيل.

ث. التربة الحصوية الجبسية: تتركز في أجزاء صغيرة متناثرة الى الجنوب الشرقي من تربة اكتاف الأنهار والى الجنوب الغربي من تربة احواض الأنهار، تحتوي نسبة عالية من الجبس فضلا عن الحصى والرمل وبعض الكبريتات، قليلة المواد العضوية لذا صلاحيتها للإنتاج الزراعي محدودة. اما طريقة الري المتبعة في الأماكن الموجودة فيها فينفعها الري بالتنقيط.

الجدول(5) التوزيع النسبي والمساحي لأصناف الترب في قضاء المحمودية

نوع التربة	المساحة (كم^2)	النسبة %
تربة كتوف الأنهار	149	11
تربة احواض الأنهار	1056	78
تربة دورية الانغمار	78	6
تربة حصوية جبسية	66	5
المجموع	1349	100

المصدر: باستخدام برنامج ARC MAP 10.5.

3. الموارد المائية: يوضح الجدول (6) والشكل (4)، ان المياه الواردة الى نهر دجلة متذبذبة بين سنة مائية واخرى، وكان اعلى وارد مائي لنهر دجلة وروافده خلال المدة (2015–2025) كان في السنة المائية 2018 اذ بلغ (76.56)م^3/ثا، في حين كان ادنى وارد مائي في السنة المائية 2024 قد بلغ (15.8)م^3/ثا، اما نهر الفرات فأن اعلى وارد مائي له كان في سنة 2018 قد بلغ (16.95)م^3/ثا، في حين كان ادنى وارد مائي في السنة المائية 2024 قد بلغ (9.96) م^3/ثا، وهذا يعكس حالة تذبذب الامطار التي تزود منابع الانهار فضلا عن السياسات المائية لدول الجوار وبناءها للسدود.

ان التناقص في إيرادات مياه دجلة والفرات أدى الى تراجع في منسوب المياه السطحية والجوفية، وزيادة التصحر وتلوث المياه مما اثر سلبا في تناقص الأراضي الزراعية في العراق عموما وقضاء المحمودية خاصة، اذ تراجعت مساحة الأراضي الزراعية المستغلة في زراعة مختلف المحاصيل سنة بعد أخرى، لذا يصبح من الضروري تحسين إدارة المياه المستخدمة في ري المزروعات، وتنفيذ استراتيجيات فعالة لإدارة مياه الري بغية تطوير الزراعة المستدامة.

الجدول (6) الواردات السنوية لنهري دجلة والفرات (مليار م^3/ثا) للمدة (2015–2025)

السنة	إيرادات نهر دجلة وروافده	معدل النمو السنوي	إيرادات نهر الفرات	معدل النمو السنوي	حجم الإيرادات المائية
2015	38.60	33.10	15.15	-24.63	54.75
2016	27.46	-28.86	13.23	-12.67	40.69
2017	23.62	-13.98	9.58	-27.59	33.20
2018	76.56	224.13	16.95	76.93	93.51
2019	35.4	53.66-	10.26	39.47 -	45.51

47.9	6.24	10.8	4.52	37.0	2020
50.22	12.19	12.12	2.97	38.1	2021
39.62	-8.25	11.2	-29.7	28.5	2022
30.82	-2.88	10.8	-29.7	20.02	2023
25.76	-7.78	9.96	-21.1	15.8	2024

- المصدر: وزارة الموارد المائية، دائرة التخطيط والمتابعة، قسم السياسات المائية، للمدة (2015-2022)
- وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للتخطيط والتنمية، تقديرات الايرادات المائية لنهري دجلة والفرات للمدة (2022-2024)

الشكل(4) الواردات السنوية لنهري دجلة والفرات (مليار م^3/ثا) للمدة (2015-2025)

المصدر: الجدول (6).

تتمثل مياه نهر الفرات في قضاء المحمودية بجدولي اليوسفية والشيشبار يتفرعان من الضفة اليسرى للنهر، يغذيان الاف الدونم بالمياه الصالحة للزراعة والاستخدام البشري والحيواني، ومن ملاحظة الجدول (7) والخريطة (2) نجد ان اغلب الجداول تستمد مياهها من جدول اليوسفية الترابي الذي يستمد مياهه من قناة الفلوجة – الإسكندرية الذي يبلغ طوله (67)كم وهو أطول الجداول الموجودة في القضاء تبلغ كمية التصريف السنوي (15) م^3/ثا، يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفرات مارا بناحية اليوسفية، يغذي أراضي الناحية والقرى التابعة لها ثم يتجه جنوبا ليغذي ناحية الرشيد والقرى التابعة لها.

الجدول (7) الجداول الرئيسة والفرعية واطوالها وتصريفها في قضاء المحمودية لعام 2024.

ت	اسم الجدول	مصدر المياه	اطوالها كم	التصريف السنوي م^3/ثا
.1	بئر الحمام	اليوسفية الترابي	6	6.9
.2	الجيبة جي الغربي	اليوسفية الترابي	7	0.62
.3	الجيبة جي الشرقي	اليوسفية الترابي	7.25	0.54
.4	مكيطمة	اليوسفية الترابي	8	1.5

.5	الكشك	جدول الرضوانية	15	5.1
.6	أبو حلان الحديث	اليوسفية المبطن	15	0.1
.7	أبو حلان القديم	اليوسفية الترابي	15	0.52
.8	اليوسفية المبطن	اليوسفية الترابي	19	24.3
.9	شيشبار	اليوسفية المبطن	23	10.3
.10	اليوسفية الترابي	قناة الفلوجة - الاسكندرية	67	15

المصدر: وزارة الموارد المائية، مديرية مابين النهرين، الهيئة العامة لتشغيل مشاريع الري والبزل، بيانات غير منشورة، 2024.

الخريطة (2) المشاريع الاروائية في قضاء المحمودية

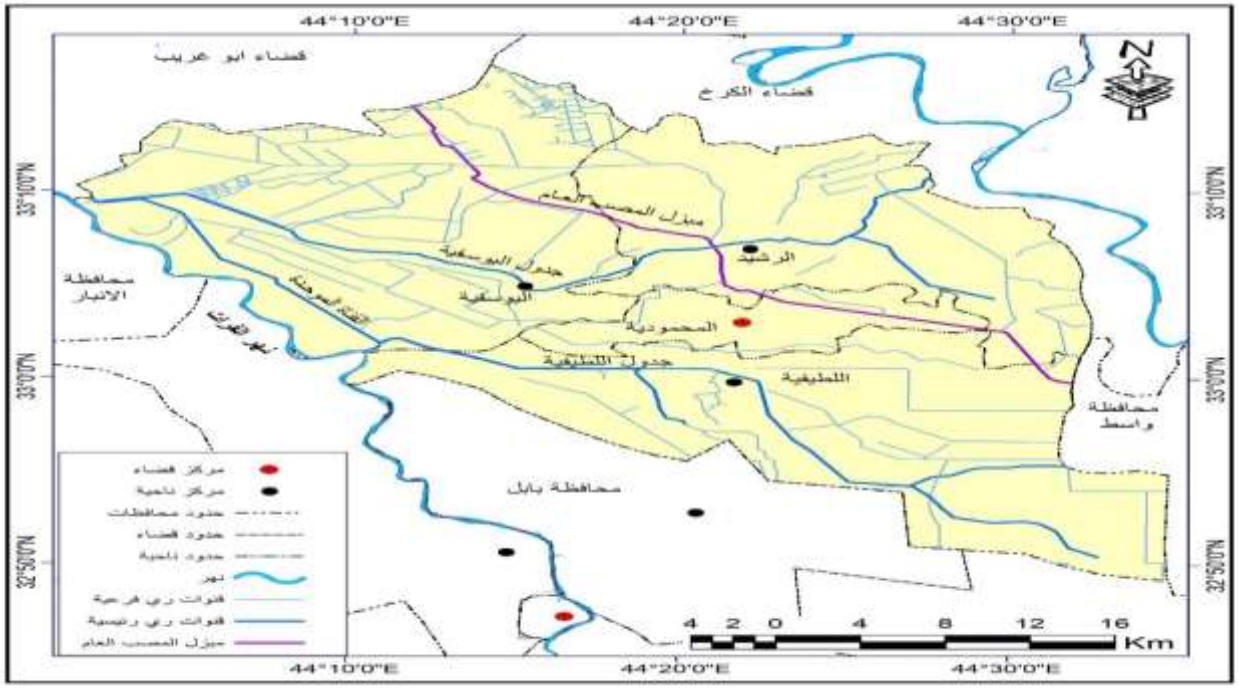

المصدر: وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، وحدة انتاج الخرائط الرقمية، خريطة المشاريع الاروائية في قضاء المحمودية، 2025

تعد المياه الجوفية من موارد الثروة المائية المهمة في قضاء المحمودية ، وتأتي أهميتها في مواسم شحة المياه وتذبذب الامطار، تتفاوت اعماقها بين (14–60) متر وهذا التفاوت في العمق سببه احتواء بعض الابار على عمود سميك من الطين، لذا فأن الحفر يكون اعمق للوصول الى تصاريف عالية، يوجد في قضاء المحمودية مجموعة كبيرة من الابار بعضها تم حفره من قبل وزارة الموارد المائية العراقية الهيأة العامة لحفر الابار لاحظ الجدول (8) والخريطة (3)، وبعضها الاخر وهو الاغلب حفر من قبل السكان بشكل خاص دون تبليغ الجهات الرسمية لسد حاجة الاسر المتزايدة من المياه لتلبية الاحتياجات اليومية المختلفة.

تعد الزراعة اكثر الأنشطة استهلاكا للمياه كونه عنصرا أساسيا لاستمرار الإنتاج الزراعة ونجاحه، اذ تعتمد الزراعة الصيفية بالدرجة الأساس على مياه الابار في ري المحاصيل الزراعية المختلفة، وبما ان عملية السحب المستمر لكميات المياه الجوفية يؤدي الى انخفاض منسوبها في العديد من الابار وجفاف بعضها؛ لذا يجب تقنين استخدام تلك المياه للحفاظ عليها من النضوب.

الجدول (8) اعداد الابار الرسمية في قضاء المحمودية لعام 2025

الوحدة الادارية	ناحية اللطيفية	ناحية اليوسفية	ناحية الرشيد	مركز القضاء	المجموع
عدد الابار	38	55	31	27	151

المصدر: الشعب الزراعية في قضاء المحمودية، (بيانات غير منشورة)، 2025

الخريطة (3) الابار في قضاء المحمودية

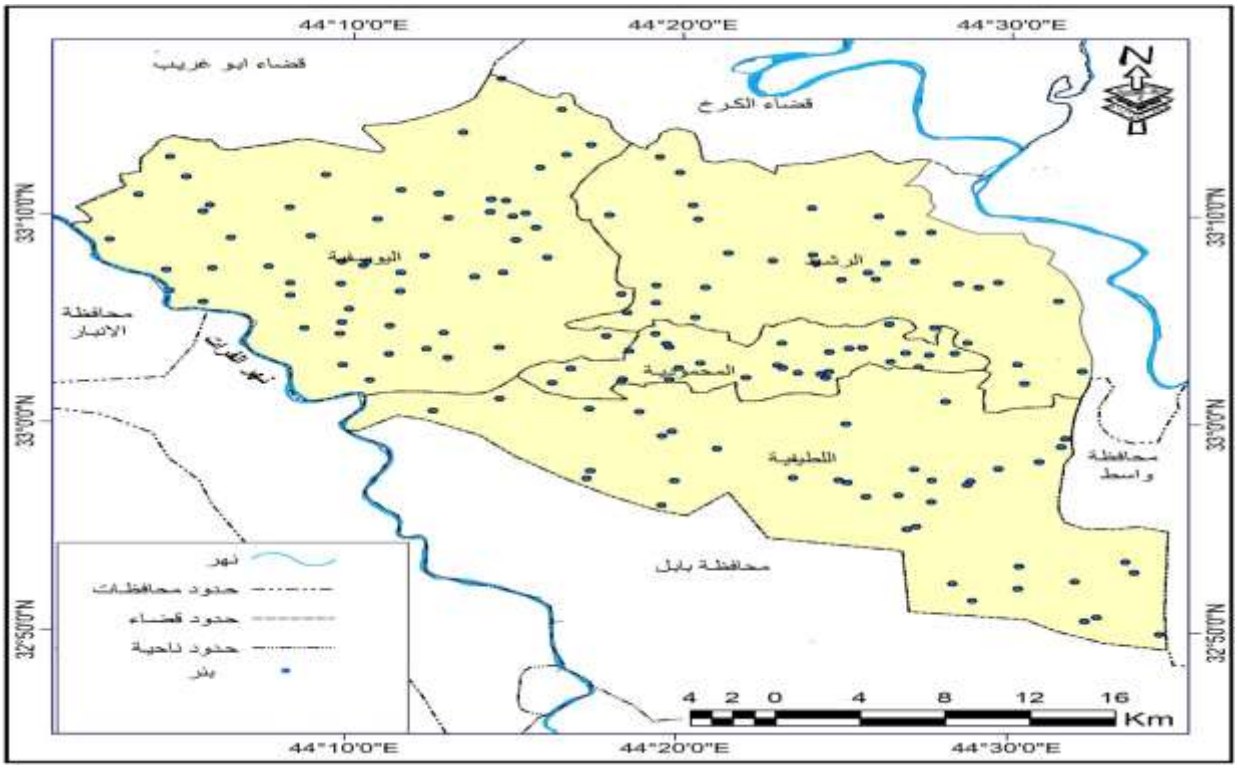

المصدر: الجدول (7).

وعند استخدام معامل الارتباط بيرسون وجد ان هناك علاقة ارتباط مكانية قوية بين مساحة الأراضي الزراعية وعدد الابار بدرجة بلغت (0.938) وهي علاقة ارتباط طردية أي ان عدد الابار تزداد بازدياد مساحة الأراضي الزراعية وهذا متوافق مع توزيع اعداداها في منطقة الدراسة.

4. الايدي العاملة: تعد الايدي العاملة من العوامل البشرية المهمة في إقامة أي مشروع زراعي، يظهر الجدول (9) ان مجموع اعداد السكان في ريف قضاء المحمودية قد بلغ (376683) نسمة، جاءت ناحية اليوسفية بالمرتبة الأولى بأعداد سكان الريف اذ بلغت (138085) نسمة، اما مركز قضاء المحمودية فقد جاء بالمرتبة الأخيرة اذ بلغت اعداد السكان فيه (67666) نسمة.
5. مساحة الأراضي الزراعية: اما مساحة الأراضي الصالحة للزراعة فقد بلغت في بعموم القضاء (415335) دونم، جاءت ناحية اليوسفية بالمرتبة الأولى بواقع (149813) دونم بنسبة (36.1)%، في حين جاء مركز قضاء المحمودية بالمرتبة الأخيرة بواقع (63198) دونما بنسبة (15.2)%.

الجدول(9) المساحات الصالحة للزراعة والمزروعة فعلا والكثافة الزراعية في قضاء المحمودية

الوحدة الادارية	سكان الريف (نسمة)	الأراضي الصالحة للزراعة(دونم)	النسبة (%)	الأراضي الصالحة للزراعة (كم)	الأراضي المزروعة فعلا_(دونم)	النسبة (%)	الكثافة الزراعية (نسمة)/كم
ناحية اللطيفية	94148	137540	33.1	344	25900	15.2	274
ناحية اليوسفية	138085	149813	36.1	375	93813	55.2	368
ناحية الرشيد	76784	64786	15.5	162	35420	20.9	474
مركز القضاء	67666	63196	15.2	158	14741	8.7	428
المجموع	376683	415335	100	1039	169874	100	363

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات، اعداد السكان لعام 2023، بغداد، 2025.

- مديرية زراعة بغداد، والشعب الزراعية في قضاء المحمودية(بينات غير منشورة) 2025.

اما مساحة الأراضي المزروعة فعلا فقد بلغت (169874) دونم، جاءت ناحية اليوسفية بالمرتبة الأولى بواقع(93813) دونما بنسبة (55.2)%، في حين كان مركز قضاء المحمودية قد احتل المرتبة الأخيرة بواقع (14741) دونما بنسبة (8.7)%.

اما ما يخص الكثافة الزراعية فأن مركز قضاء المحمودية جاء بالمرتبة الأولى بنحو (428) نسمة/كم^2، وجاءت ناحية اللطيفية بالمرتبة الأخيرة بنحو (274) نسمة /كم^2.

وعند تطبيق معامل ارتباط بيرسون وجد ان هناك علاقة ارتباط مكانية قوية بين مساحة الأراضي المزروعة فعلا وعدد سكان الريف بدرجة بلغت (0.941) وهي علاقة ارتباط طردية، بمعنى ان مساحة الأراضي المزروعة فعلا تزداد بازدياد عدد سكان الريف اللذين يمثلون الايدي العاملة بالزراعة وهذا متوافق مع توزيع اعداداهم في منطقة الدراسة.

6. طرق الري: يعد مركز قضاء المحمودية منطقة ريفية زراعية مهمة تزرع الخضروات والفواكه والمحاصيل التي تسقى بعملية الري، تتذبذب المساحات المزروعة بين ناحية واخرى من حيث المحاصيل المزروعة خاصة المحاصيل الحقلية المروية بطريقة الري السيحي، حسب توافر الموارد المائية والترب الملائمة.

هناك ثلاث طرق للري في قضاء المحمودية:

1. الري السيحي: هو طريقة ري يتم فيها إيصال المياه الى الحقل عبر الجاذبية الأرضية بحث ينتشر على سطح التربة ثم يتسرب الى جذور النباتات (منظمة الفاو :5)، تستخدم هذه الطريقة مع محاصيل الحبوب ذات المساحات الكبيرة ومحاصيل العلف، ولا تحتاج الى معدات معقدة، الا ان من عيوبه انه يحتاج تسوية دقيقة للأرض حتى تتوزع المياه على كل الأرض الزراعية، وتتعرض المياه فيه الى التبخر والجريان العميق.
2. الري بالمنظومات سواء بالتنقيط او الرش: وهو عملية إيصال المياه الى منطقة الجذور عبر منقطات بمعدل بطيء بحيث يبلل فقط جزءا محدودا حول الجذر،(منظمة الفاو :3) من مزاياها انها اعلى كفاءة مائية ويقلل التبخر والجريان السطحي، وممكن إضافة السماد مع مياه الري، يستخدم في قضاء المحمودية بسقي الخضروات ومحاصيل الخضر المزروعة بالبيوت المحمية، اما الري بالرش فيستخدم في بعض الأراضي الزراعية المزروعة بالمحاصيل الحقلية مثل الحبوب والذرة او في بساتين النخيل والأشجار الكبيرة، ومن عيوب الري بالمنظومات انها تحتاج كلفة عالية عند انشاء المنظومة، وتحتاج صيانة دورية خاصة وان الكثير من النواحي تعتمد على المياه الابار في السقي فاذا كانت المياه مالحة قد تتلف فوهات المرشاة نتيجة التملح، وقد تتأثر بالرياح فتنساب المياه بعيدا او تتبخر لذا فهي تحتاج إدارة وخبرة عند استخدامها.
3. الري بمياه الابار: هو استخدام المياه الجوفية المستخرجة من باطن الأرض بواسطة الابار لري المحاصيل الزراعية، تستخدم في المناطق شحيحة المياه، اذ بعد حفر الابار تستخدم مضخات غاطسة اذا كان عمق البئر كبير، ومضخات سطحية اذا كان البئر ضحلا، ويمكن استخدام مياه الابار مع طريقة الري بالتنقيط اذ يوفر الماء بشكل كبير، من مزاياه انه مصدر دائم ومستمر لا

يتأثر بالمواسم، من عيوبه تكاليف حفر الابار وشراء المضخات والوقود لتشغيلها، وانخفاض مناسيب المياه بمرور الزمن.

عند المقارنة بين الموسم الزراعي 2023/2022 والموسم الزراعي 2024/2023 من حيث طرق الري المستخدمة في سقي الأراضي الزراعية في قضاء المحمودية، تبين ان المساحة المروية سيحا بلغت (16546) دونما في الموسم الزراعي 2023/2022، جاءت ناحية اللطيفية بالمرتبة الأولى بواقع (9746) دونما، وناحية الرشيد بالمرتبة الأخيرة بواقع (1214) دونما، اما الري بالمنظومات فكان كالاتي (مركز قضاء المحمودية، ناحية اللطيفية، ناحية الرشيد) بنحو (1395، 300، 241) دونما على التوالي، ولم تستخدم هذه الطريقة بالري في ناحية اليوسفية، في حين بلغت المساحة المروية بمياه الابار في عموم قضاء المحمودية بنحو (13473) دونما خلال الموسم ذاته، تصدرت ناحية اللطيفية المرتبة الأولى بنحو (5954) دونما، وبالمرتبة الأخيرة جاءت ناحية الرشيد بنحو (1000) دونما.

اما الموسم الزراعي 2024/2023 تبين ان المساحة المروية سيحا في عموم قضاء المحمودية بلغت (31982) دونما، تصدرت ناحية اللطيفية بالمرتبة الأولى بواقع (20026) دونما، وناحية الرشيد بالمرتبة الأخيرة بواقع (1955) دونما، اما الري بالمنظومات فلم يسجل خلال هذا الموسم أي ناحية كانت قد استخدمت هذه الطريقة، في حين بلغت المساحة المروية بمياه الابار في عموم قضاء المحمودية بنحو (13473) دونما خلال الموسم ذاته، وبذلك بقيت المساحات الزراعية المعتمدة على مياه الابار نفسها في هذا الموسم دون زيادة او نقصان، لاحظ الجدول (10).

الجدول(10) طرق الري المستخدمة في قضاء المحمودية للموسمين الزراعيين 2023/2022، 2024/2023.

السنة	الوحدة الادارية	الري السيحي	الري بالمنظومات	الري بالابار
2023/2022	مركز المحمودية	2166	1395	4939
	ناحية الرشيد	1214	241	1000
	ناحية اللطيفية	9746	300	5954
	ناحية اليوسفية	1420	-	1580
2024/2023	مركز المحمودية	5561	-	4939
	ناحية الرشيد	1955	-	1000
	ناحية اللطيفية	20046	-	5954
	ناحية اليوسفية	4420		1580

المصدر: مديرية زراعة بغداد، والشعب الزراعية التابعة لها في قضاء المحمودية، طرق الري، بيانات غير منشورة، 2025.

7. المحاصيل المزروعة: يوضح الجدول (11) ان محصول القمح يتصدر المحاصيل الشتوية المزروعة في قضاء المحمودية خلال الخطة الشتوية للموسم الزراعي 2025/2024 اذ بلغت المساحة المخطط لها (23741) دونم، تصدرت ناحية اللطيفية المرتبة الأولى من حيث المساحة المخصصة ضمن الخطة الشتوية اذ بلغت (16116) دونم، اما ادناها فكان في ناحية الرشيد بواقع (1750) دونم، اما باقي المحاصيل فكانت مساحتها متذبذبة بين محصول واخر في نواحي قضاء المحمودية.

الجدول(11) الخطة الشتوية لزراعة المحاصيل الشتوية المختلفة في قضاء المحمودية للموسم الزراعي 2025/2024

ت	نوع المحصول	ناحية اللطيفية	ناحية اليوسفية	مركز المحمودية	ناحية الرشيد	المجموع
.1	القمح	16116	2250	3625	1750	23741
.2	الشعير	0	0	0	0	0
.3	طماطة مغطاة	4000	1500	3000	150	8650
.4	خيار مغطى	900	600	190	200	1890
.5	شجر مغطى	1000	500	150	150	1800
.6	باذنجان	2000	700	1200	200	4100
.7	فلفل مغطى	2000	200	1300	125	3625
.8	قرنابيط	100	400	700	50	1250
.9	لهانة	100	300	150	100	650
.10	شونذر	100	100	200	75	475
.11	شلغم	50	150	200	75	475
.12	فجل	100	20	150	25	295
.13	بصل اخضر	1000	1000	2000	125	4125
.14	سلق	100	100	200	175	1151
.15	باقلاء	300	400	150	50	900
.16	سبانغ	100	100	150	75	425
.17	مخاليط علفية	90	150	100	100	440
.18	جت	100	150	50	75	375
.19	برسيم	100	200	100	75	475
.20	بطاطة خريفية	100	150	100	150	500
.21	بصل يابس	100	100	150	150	500
.22	ثوم	-	-	-	-	0
.23	فاصوليا	50	50	50	75	225
.24	بزاليا	-	-	-	-	0
.25	كرفس	-	-	-	-	0
.26	كراث	-	-	-	25	25
.27	خس	-	100	50	100	250
.28	باميا مغطاة	-	200	100	200	500
.29	جزر	-	-	50	75	125
.30	رشاد	-	-	50	-	50
المجموع		28506	9420	14165	4926	

المصدر: الشعب الزراعية في قضاء المحمودية، (بيانات غير منشورة)، 2025.

يتضح من الجدول (12) ان اعلى مساحة مزروعة في قضاء المحمودية بمحصول القمح خلال المواسم الزراعية من (2021–2025) كان في ناحية اللطيفية، وكان اعلاها في الموسم الزراعي (2024/2023) قد بلغ (30000) دونم، اما ادناها فكانت في ناحية الرشيد اذ بلغت (1000) دونم خلال الموسم الزراعي (2022/2021).

اما ما يخص الإنتاج فكان اعلى انتاج في قضاء المحمودية بمحصول القمح خلال المواسم الزراعية من (2021–2025) في ناحية اللطيفية ايضا، بلغ أعلى انتاج لها خلال الموسم الزراعي (2024/2023) اذ بلغ (37500) طن بسبب ارتفاع الإنتاجية للأرض الزراعية ، اما ادناها فكان في ناحية الرشيد في الموسم الزراعي (2022/2021) اذ بلغ (1488) طن، ان السبب المباشر لانخفاض المساحة والإنتاج في بقية نواحي قضاء المحمودية هو عدم وصول المياه الى الأراضي البعيدة عن الأنهار وعزوف الفلاحين عن زراعة أي محصول اخر من المحاصيل الزراعية ، فضلا عن رفع الدعم الحكومي عن الأسمدة وعدم تزويد الفلاحين بها.

اما ما يخص غلة الأرض الزراعية فقد كانت اعلاها خلال الموسم الزراعي 2024/2023 في ناحية اللطيفية اذ بلغت (1250) كغم /دونم، وادناها في الموسم الزراعي 2023/2022 اذ بلغت (750) كغم/دونم في ناحيتي اللطيفية والرشيد.

الجدول(12) المساحة المزروعة وانتاج وانتاجية محصول القمح في نواحي قضاء المحمودية للمدة (2021–2025)

الوحدة الادارية / الموسم الزراعية	القمح	ناحية اللطيفية	ناحية اليوسفية	ناحية الرشيد	مركز المحمودية
2022/2021	المساحة	10000	2500	1000	4000
	الإنتاج	10000	2250	1488	3625
	الغلة	1000	1000	950	1000
2023/2022	المساحة	26000	6000	2955	10500
	الإنتاج	19500	5396	2216	10500
	الغلة	750	896	750	1000
2024/2023	المساحة	30000	4000	3000	8592
	الإنتاج	37500	4000	2550	8592
	الغلة	1250	1000	850	1000
2025/2024	المساحة	16116	2250	1750	3625

	الإنتاج	16116	2250	1498	3625
	الغلة	1000	1000	850	850

المصدر: الشعب الزراعية في قضاء المحمودية، (بيانات غير منشورة)، 2025

يوضح الجدول (13) ان محصول الذرة الصفراء يتصدر المحاصيل الصيفية المزروعة في قضاء المحمودية عام 2024، تصدرت ناحية الرشيد المرتبة الأولى من حيث المساحة المخصصة ضمن الخطة الصيفية اذ بلغت (13000) لكل منهما على التوالي، اما ادناها فكان في ناحية اليوسفية بواقع (7000) دونم، اما بقية المحاصيل الأخرى فكانت مساحاتها الزراعية متذبذبة من محصول لأخر في نواحي القضاء.

الجدول(13) الخطة الصيفية لزراعة المحاصيل المختلفة في قضاء المحمودية لعام 2024

ت	نوع المحصول	اللطيفية	اليوسفية	مركز المحمودية	ناحية الرشيد	المجموع
.1	ذرة صفراء خريفية	10000	7000	11000	13000	41000
.2	زهرة الشمس	200	-	500	300	1000
.3	القطن	100	-	300	500	900
.4	ذره صفراء ربيعية	200	-	-	25	225
.5	طماطة مكشوفة	200	5000	2000	1500	8700
.6	خيار قثاء	100	3000	1500	1500	6100
.7	خيار ماء	300	1000	900	1200	3400
.8	فلفل	200	3000	1200	1300	5700
.9	فاصوليا	-	-	500	400	900
.10	شجر	50	1500	2000	1000	4550
.11	باميا	500	2000	1100	1500	5100
.12	لوبيا	200	2000	1050	1200	4450
.13	ماش	-	-	-	140	140
.14	رقي	200	4000	700	300	5200
.15	بطيخ	150	2000	800	600	3550
.16	ذرة بيضاء علفية	-	-	-	200	200
.17	مخاليط علفية	90	150	100	100	440
.18	سمسم	-	-	-	150	150
.19	دخن	50	-	-	200	250
.20	ذرة صفراء علفية	-	-	-	300	300
.21	بصل	-	-	-	500	500
.22	بطاطا	500	12000	1000	1300	14800
.23	مخاليط علفية	200	-	-	75	275
.24	المجموع	-	-	-	-	0
.25	كرفس	-	-	-	-	0
.26	كراث	-	-	-	25	25
.27	خس	-	100	50	100	250

.28	باميا مغطاة	-	200	100	200	500
.29	جزر	-	-	50	75	125
.30	رشاد	-	-	50	-	50
المجموع		13240	42950	24900	27690	

المصدر: الشعب الزراعية في قضاء المحمودية، (بيانات غير منشورة)، 2025.

الاستنتاجات

1. غياب الإدارة المستدامة والمتكاملة للمياه على مستوى الوحدات الإدارية، اذ يعاني اغلب المزارعين من سوء توزيع المياه بين نواحي قضاء المحمودية خاصة في مواسم شحة المياه.
2. الاعتماد الكبير على مياه الري السطحي سيحا، خاصة القريبة من جداول الأنهار، مما يسبب هدر كبير في المياه فضلا عن التبخر والرشح وانخفاض كفاءة استخدام المياه.
3. تناقص إيرادات نهري دجلة والفرات في السنوات الأخيرة أدى الى انخفاض الحصص المائية وبالتالي تقليص المساحات المزروعة.
4. اعتمد الكثير من المزارعين في قضاء المحمودية على مياه الابار في سقي المزروعات نتيجة لشحة المياه.
5. ان اغلب الجداول الموجودة في القضاء هي ترابية غير مبطنة، مما يعني وجود فاقد كبير من المياه بالرشح.
6. رغم توفر شبكات الري بالتنقيط الا ان نسبة كبيرة من المزارعين لازالت تفتقر الى التدريب والخبرة في حساب احتياجات المحاصيل من المياه، وفي جدولة الري.

التوصيات

1. من الضروري جدا اعتماد تقنيات الري الحديثة (الري بالرش والري بالتنقيط) كبديل عن الري السيحي لتقليل الفاقد من المياه.
2. تبطين قنوات الري الترابية لمنع التسرب ولضمان وصول الحصص المائية للمزارعين بالقدر الذي يحقق عدالة بالتوزيع.
3. تحديث المضخات وشبكات الانابيب بشكل دوري وصيانة التالف منها لتقليل الهدر.
4. السقي اثناء الليل او في الصباح الباكر لتجنب تبخر المياه اثناء النهار.

5. رفع التجاوزات على الأنهر والجداول، وتنظيم الحصص المائية للمزارعين كلا حسب احتياجات ارضه الزراعية.
6. تشجيع زراعة المحاصيل الأقل استهلاكا للمياه خاصة في المناطق التي تعاني من شحة بموارد المياه.
7. الدعم الحكومي للفلاحين بقروض ميسرة لشراء معدات الري الحديثة.
8. تشجيع التعاون بين الجامعات ودوائر الري الزراعية لتطوير أساليب إدارة المياه.
9. تحديد القدرة الاستيعابية للخزان الجوفي لضمان عدم استنزافه، وعدم الجمع بين الري بالآبار والري السطحي للأرض الزراعية نفسها لمنع الهدر بالمياه.

المصادر

1. جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات، اعداد السكان لعام 2023، بغداد، 2025.
2. جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية، قسم المناخ، (بيانات غير منشورة)، للمدة 2013 – 2023، بغداد، 2024.
3. مروة سهيل حمادي علي، إمكانيات ومحددات التنمية الزراعية في قضاء المحمودية، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية التربية للبنات قسم الجغرافية، 2025.
4. رعد محمد ندا، جدوع شهاب احمد، قياس وتحليل أثر الموارد المائية على مؤشرات التنمية الزراعية المستدامة: الاقتصاد العراقي انموذجا، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد 21، العدد 96، الجزء الأول، 2025.
5. الشعب الزراعية في قضاء المحمودية، (بيانات غير منشورة)، 2025
6. علي حسين الشلش، التباين المكاني للتوازن المائي وعلاقته بالانتاج الزراعي في العراق، مجلة الخليج العربي، العدد 1، المجلد 11، بغداد، 1979.
7. كارول فريد الصايغ، اثر السياسة المائية على التنمية الاقتصادية في سوريا، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاقتصاد، جامعة تشرين، سوريا، 2018.
8. مديرية زراعة بغداد، والشعب الزراعية التابعة لها في قضاء المحمودية، طرق الري، بيانات غير منشورة، 2025.

9. مديرية زراعة بغداد، والشعب الزراعية في قضاء المحمودية (بينات غير منشورة) 2025.
10. منظمة الفاو، دليل تصميم وتقييم الري السطحي.
11. وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، وحدة انتاج الخرائط الرقمية، خريطة المشاريع الاروائية في قضاء المحمودية، 2025
12. وزارة الموارد المائية، مديرية مابين النهرين، الهيئة العامة لتشغيل مشاريع الري والبزل، بيانات غير منشورة، 2024.
13. وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للتخطيط والتنمية، تقديرات الايرادات المائية لنهري دجلة والفرات للمدة (2022-2024)
14. وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الادارية، مقياس 1:1000000، لسنة 2024.
15. وزارة الموارد المائية، دائرة التخطيط والمتابعة، قسم السياسات المائية، للمدة (2015-2022)

تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة
كعنصر من عناصر النظام العام

إعداد

أ.م.د محمد شفيق فريحات
كلية الحقوق / جامعة عجلون الوطنية / الاردن
.jomohamedfreiha@anu.edu

أ.م.د سليم عبد الرحمن العسولي
كلية الحقوق / جامعة عجلون الوطنية / الاردن
saleem.asouli@anu.edu.jo

المستخلص

ناقش هذا البحث موضوعاً ذا أهمية كبيرة على الصعيد النظري والعملي ألا وهو تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام، وتم تقسيم الدراسة إلى مبحثين ناقشت في المبحث الأول ماهية الذكاء الاصطناعي من خلال مفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعة وخصائصه، وفي المبحث الثاني قمت بمناقشة مدى تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة وذلك من خلال تقسيم المبحث إلى مطلبين في المطلب الأول تم التطرق إلى ماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام وفي المطلب الثاني حالات تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة ، حيث إن الإشكالية كانت ما مدى مساعدة وتأثير الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة كعنصر من عناصر الذكاء الاصطناعي.

حيث أن الهدف من هذه الدراسة تحديد تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المحافظة على الصحة العامة من أجل المحافظة على النظام العام ، فمن خلال البحث تم وضع جائحة كورونا كحالة تم من خلالها استخدام الذكاء الاصطناعي من أجل فهم تطور جائحة كورونا، حيث توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات والتي كان أبرزها انه على المشرع اصدار قانون أو نظام يقوم بمعالجة جميع الحالات التي تنتج من استخدام الذكاء الاصطناعي بهدف المحافظة على النظام العام.

الكلمات المفتاحية : الذكاء الاصطناعي ، الصحة العامة ، الضبط الإداري، النظام العام ، جائحة كورونا

Abstract

This research discusses a topic of great theoretical and practical importance: the applications of artificial intelligence (AI) to public health as an element of public order. The study is divided discusses the nature of AI, including its concept, types, and into two sections. The first section characteristics. The second section examines the extent of AI application to public health, further divided into two subsections. The first subsection addresses the nature of public health as an element of public order, while the second subsection explores specific cases of AI application to public health. The central question is: to what extent does AI contribute to and impact public fy AI applications in maintaining The aim of this study is to identi ?health as an element of AI pandemic was used as a case study to 19-public health to preserve public order. The COVID understand its evolution. The study arrives at several conclusions and recommendations, the ors should enact laws or regulations to address all most prominent of which is that legislat situations arising from the use of AI in order to maintain public order control, public order, coronavirus pandemic Artificial intelligence, public health, administrative :
Keywords.

المقدمة

مع التطورات الكبيرة التي توجد في العالم تم الوصول إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي وذلك بسبب التطور السريع والهائل للتكنولوجيا خلال السنوات الماضية والتي تتسارع مع الوقت ، فالذكاء الاصطناعي ساعد وسهل بشكل كبير امور الحياة، واصبح يتدخل في جميع مجالات الحياة واصبح جزء لا يتجزء من حياتنا فاصبحنا لا نستغني عنه، مما جعل الأدارة العامة في الدولة ان تلجأ للذكاء الاصطناعي من اجل التنبوء بالمشاكل التي تحدث ومحاولة حلها وذلك بهدف المحافظة على النظام العام ، واصبح الذكاء الاصطناعي يتدخل في جميع اختصاصات الدولة وفي جميع سلطاتها.

واصبحت الأدراة تلجأ للذكاء الاصطناعي في مجال الصحة العامة من أجل المحافظة على النظام العام والمحافظة على صحة مواطنيها وتم استخدامها في الاوضاع الطبيعية مثل استخراج الابحاث الطبية وغير الطبيعية مثل ما حدث في جائحة كورنا فتم اللجوء اليها بعدة مجالات وكل ذلك بهدف المحافظة على النظام العام في الدولة.

ومن خلال بحثنا هذا سوف نتطرق لمفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعه وخصائصة بالإضافة إلى ماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام وكيف تم تطبيق الذكاء الاصطناعي عليها من أجل المحافظة على الصحة العامة.

اشكالية البحث

إن الإشكالية تكمن فيما يلي: ما مدى مساعدة وتأثير الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة كعنصر من عناصر الذكاء الاصطناعي ، فهذا يقودنا إلى التساؤلات التالية.

أسئلة البحث

- ما هو مفهوم الذكاء الاصطناعي؟
- ما هي خصائص الذكاء الاصطناعي ؟
- ما هي حالات تطبيق الذكاء الاصطناعي على مجال الصحة العامة؟
- ما هو الهدف من تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة؟

أهمية البحث:-

تكمن أهمية الدراسة من خلال بيان الحالات التي تم فيها تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة كعنصر من عناصر الذكاء الاصطناعي وذلك بهدف المحافظة على النظام العام داخل الدول ولما للصحة اهمية كبيرة للناس حيث ان مجال الصحة يعد من اهم مجالات الحياة كونها تعتبر من ابسط الحقوق للأنسان.

أهداف البحث:-

1) يهدف هذا البحث إلى تحديد مفهوم وخصائص الذكاء الاصطناعي.
2) يهدف هذا البحث لتوضيح مدى فعالية تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة.
3) يهدف إلى بيان مجالات تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة والتي تعتبر عنصر من عناصر النظام العام.
4) يهدف هذا البحث إلى تحديد الغاية من استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي على مجال الصحة العامة.

منهجية البحث

أن الباحث استند في دراسته للمنهجية الوصفية التحليلية وذلك من خلال توضيح الذكاء الاصطناعي ومدى تطبيقه على الواقع العملي في المجتمع بهدف المحافظة على النظام العام.

خطة البحث

المبحث الأول:- ماهية الذكاء الاصطناعي.

المطلب الأول:- مفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعه.

المطلب الثاني:- خصائص الذكاء الاصطناعي.

المبحث الثاني:- مدى تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة.

المطلب الأول:- ماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام.

المطلب الثاني:- أثر تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة.

المبحث الأول

ماهية الذكاء الاصطناعي

يهدف هذا المبحث للتعريف بماهية الذكاء الاصطناعي من خلال مطلبين خصص الأول لتقديم مفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعه، وخصص الثاني منهما لذكر خصائص الذكاء الاصطناعي.

المطلب الأول:- مفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعه

إن استخدام الذكاء الاصطناعي ودمجه في الصناعات المختلفة اصبح له اهية ودور كبير خاصة بعد التطورات التي تمر فيها الدولة لذلك سوف نتطرف في هذا المطلب لمفهوم الذكاء الاصطناعي وانواعه على النحو التالي:-

- المعنى اللغوي

ذَكَاء :(اسم) ، ذَكَاء : مصدر ذَكَى

ذَكَى : (فعل) ، ذَكَى ، يذَكي ، مصدر ذَكَاءٌ

اصطناعي : اسم منسوب إلى اصطناع.

- الذكاء اصطناعي:- قدرة آلة أو جهاز ما على أداء بعض الأنشطة التي تحتاج إلى ذكاء مثل الاستدلال الفعليّ والإصلاح الذَّاتي. (مراجعة معجم المعاني الجامع)

ويعتبر الذكاء الاصطناعي أحد فروع علم الحاسوب وأحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها صناعة التكنولوجيا في العصر الحالي ، بالتالي يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه نظرية تطوير أنظمة الكمبيوتر القادرة على اداء المهام التي تتطلب الذكاء البشري ، مثل الإدراك البصري والتعرف على الكلام، وصنع القرار والترجمة إلى لغات مختلفة. (إسلام ، عدد 2537)

ويمكن القول أن الذكاء الاصطناعي هو محاولة جعل الكمبيوتر أو الآلة التي تعمل بالبرمجة مثل الإنسان سواء في تفكيره أو تصرفاته، أو حله لمشكلاته ، وممارسته لكافة نواحي الحياة اليومية، وذلك عن طريق دراسات تُجرى على الانسان وتستخلص منها نتائج تساعد على تفسير سلوك الإنسان وبرمجة ذلك لتطبيقها على الآلة، بالتالي هي تمكين الآلة من القيام بأفعال توصف بالذكاء عن قيام الإنسان بها (يحيى ، 2019 :14)

ويعرفه البعض على انه فرع من فروع علم الحاسوب يتعلق بمحاكاة السلوك الذكي في أجهزة الحاسوب.

من الصعب تحديد تعريف معين وشامل للذكاء الاصطناعي ولكن اغلب تلك التعاريف وغيرها من التعاريف الاخرى تشمل القدرة على اكتساب معرفة جديدة وتطبيقها على ارض الواقع والقدرة على التعلم من

خلال التجارب والأمثلة التي تحيط بنا والقدرة على الإدراك ومعالجة الأشياء التي تحيط بنا وايضا القدرة على الأستنتاج ،وبرأي أن الذكاء الاصطناعي يمكن تعريفه على أنه يصبح هنالك استغناء كامل عن الإنسان من خلال استخدام الكمبيوتر الذي يهدف إلى أن يكون مقام الإنسان وما على الإنسان إلا الضغط على الزر لبدأ عمل الحاسوب مهام الإنسان التي يجب أن يقوم بها.

أنواع الذكاء الاصطناعي:- https://aws.amazon.com/ar/what-is/artificial-intelligence

1- الآلات التفاعلية : هذا هو النوع الأساسي من الذكاء الاصطناعي، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي التفاعلي أن يعمل بناءً على تقييم الوضع الحالي ولكنه غير قادر على بناء مستودع للذكريات للإستفادة منها في المستقبل.

2- الذاكرة المحدودة: يمكن للذكاء الاصطناعي ذي الذاكرة المحدودة "تذكر" التجارب السابقة على أنها تمثيلات مبرمجة مسبقًا لبيئتها ، ثم يقوم الذكاء الاصطناعي ذو الذاكرة المحدودة بدمج هذه الذكريات في القرارات المستقبلية.

3- نظرية العقل : هذا النوع من الذكاء الاصطناعي أكثر تقدماً من الذاكرة المحدودة حيث أن اسمها مأخوذ من المصطلح النفسي، ويمكن للذكاء الاصطناعي لنظرية العقل أن ينسب الحالات العقلية مثل المعتقدات والنوايا والرغبة والعواطف والمعرفة للآخرين.

4- الوعي الذاتي: يتجاوز الذكاء الاصطناعي الواعي ذاتياً القائم على نظرية العقل، فهو لديه القدرة على تكوين تمثيلات عن نفسه – وبالتالي امتلاك الوعي.

المطلب الثاني:- خصائص الذكاء الاصطناعي

ان الذكاء الاصطناعي يتمتع بمجموعه من الخصائص وأهمها:

https://aws.amazon.com/ar/what-is/artificial-intelligence

1- زيادة كفاءة الاعمال:- ان المقصود بزيادة كفاءة الاعمال اي ان تقنية الذكاء الاصطناعي تعمل على مدار اليوم والاسبوع دون توقف ودون ان ينخفض اداء الاعمال ودون ان يحصل اخطاء بعكس العنصر البشري الذي يتعرض للتعب ويحتاج إلى الراحة والذي ممكن ان يقوم في الاخطاء في العمل ويصبح اقل تركيز.

2- التغلب على المشكلات المعقدة:- يستطيع الذكاء الاصطناعي حل جميع المشكلات المعقدة التي يتعرض لها النظام وذلك من خلال استخدام تطبيقاتها مثل معالجة المعلومات باستخدام الانماط وتحديد المعلومات وتقديم الإجابات ومن تلك المشاكل التي تستطيع تقنية الذكاء الاصطناعي حلها هي التشخيص الطبي.

3- اتخاذ قرارات أكثر ذكاءً:- يُمكن لمنصات الذكاء الاصطناعي تحديد الاتجاهات وتحليل البيانات وتقديم التوجيه. من خلال التنبؤ بالبيانات، يساعد الذكاء الاصطناعي في اقتراح أفضل مسار للعمل في المستقبل.

- وان من أهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي يستخدمها هي معالجة المستندات بذكاء ومراقبة أداء التطبيقات وذلك من اجل التنبؤ بالمشكلات قبل حدوثها، بالاضافة إلى الصيانة التنبؤية التي تقوم في حل المشكلات المحتملة قبل حدوثها، وايضاً الأبحاث الطبية التي تساعد على اكتشاف الادوية وتطويرها.

المبحث الثاني

مدى تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة

يتضمن هذا المبحث مطلبين تم تخصيص الأول منه لمعرفة ماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام، وفي المطلب الثاني سوف نتحدث عن أثر تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة.

المطلب الأول:- ماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر النظام العام

ان المحافظة على الصحة العامة هي عنصر من عناصر النظام العام والتي تعتبر من الاغراض التي يهدف اليها الضبط الإداري، وللضبط الإداري معنيين أحدهما موضوعي والذي يقصد به النشاط الذي تتولاه الجهات الإدارية بهدف المحافظة على النظام العام بكافة عناصره والتي من ضمنها المحافظة على الصحة العامة، والمصطلح الأخر شكلي وهي الجهة المخولة في القيام بالنشاط بهدف المحافظة على النظام العام ، وقد يتم الجمع بين الناحية الموضوعية والشكلية ويقصد بها هو النشاط التي تقوم به الإدارة العامة من أجل المحافظة على النظام العام. (حمد حسن محمد, د. ص & .,د/صفوت. (2021).

اما النظام العام لم يحدد له مفهوم وذلك بسبب مرونته بالاضافة إلى ان النظام العام يختلف من دولة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر وللنظام العام عدة عناصر وهي المحافظة على الأمن العام والمحافظة على الأخلاق والآداب العامة، والمحافظة على السكينة العامة بالأضافة إلى المحافظة على الصحة العامة وهو اساس بحثنا وهذا ما سوف نتطرق اليه في هذا المطلب.

ويقصد بالمحافظة على الصحة العامة انه عبارة عن اتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على الصحة العامة ومنع كل أسباب الأمراض والأوبئة، ويقصد به حماية المواطنين من الأخطار التي تهدد صحتهم من الأوبئة والأمراض المعدية ويتم ذلك من خلال بعض النشاطات التي تؤدي إلى رعاية الصحة الجماعية بالقيام بوضع مجموعة من الاجراءات التي تهدف إلى الحماية مثل تنقية مياه الشرب من الجراثيم والشوائب لتكون صالحة للشرب ، بالإضافة إلى اجبار المواطنين على حصول المطاعيم اللازمة للصغار لحمايتهم من الأمراض المعدية. (سيدة ، ع5 : 173)

وقد صدر في الأردن أكثر من تشريع بهذا الخصوص ومنها قانون الصحة العامة رقم (47) لسنة 2008 الذي منح السلطات العامة صلاحيات واسعة من أجل المحافظة على النظام العام مثل تفتيش الأماكن والمنازل الذي يشتبه بها انها تأوي أشخاصاً مصابين بأمراض معدية، بالإضافة إلى قانون الرقابة على الغذاء رقم (79) لسنة 2001، وقانون البيئة رقم (52) لسنة 2006. (محمد ، 2021،: 201)

وتم ادخال تقنية الذكاء الاصطناعي على مجال الصحة العامة وذلك من خلال استخدام تقنيات البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي في العديد من البحوث بهدف المساعدة في ايجاد العلاج اللازم للمحافظة على النظام العام ومن أهم التطبيقات التي حدثت على ارض الواقع هي جائحة كورونا وهذا ما سوف نتطرق إليه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني :- أثر تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة

اصبحت السلطة العامة في الدولة تستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي وذلك بهدف تحسين عملها والاسراع في حل المشاكل التي تواجهها من اجل المحافظة على النظام العام ، ومن الحالات التي واجهت الدول هو ما تعرضت اليه من وباء بما يسمى (فيروس كورونا) التي اجتاحت العالم حيث تم تسجيل اول إصابة فيه في الصين الموافق 2019/12/31 ، وبعدها انتشر بشكل سريع في العالم، حيث ان اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) بالأمم المتحدة اوصت بضرورة التحرك وذلك بهدف التخفيف من تداعيات وباء كورونا وذلك من خلال استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وذلك من خلال تحسين جودة البيانات التي تمكن الدول من اتخاذ القرارات السريعة والصائبة بناءً على الادلة وذلك بسبب خطورة الوباء الذي ادى إلى عدد هائل من الوفيات ، وبالإضافة إلى ان تلك التطبيقات ساهمت في التشخيص والعلاج وايضاً ساعدت على رصد الحالة النفسية للسكان وخاصة بعد قيام الدول بفرض الحجر المنزلي حيث ان ذلك الوباء قام في شل الحياة. https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/67077

فالهدف من استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في فيروس كورونا هو المحافظة على النظام العام داخل كل دولة وحماية مواطنيها والمحافظة على صحتهم فهذا كان من الجانب الدولي ، اما من الجانب الداخلي في الأردن فقامت الأردن استخدام جميع صلاحياتها بهدف المحافظة على النظام العام وحماية مواطنيها والخروج من ذلك الوباء بأقل الخسائر الممكنة، ومن ضمن الاجراءات التي قامت بها الدولة قامت في انشاء تطبيق سند وهو عبارة عن تطبيق إلكتروني يتيح الوصول إلى الخدمات الرقمية الأردنية بهوية إلكترونية رقمية بالتعاون مع المواقع الحكومية على شبكة الإنترنت، وذلك من خلال إتاحة الدخول بكلمة مرور واسم مستخدم موحّدين بدلًا من كلمات مرور متعدّدة بهدف إنجاز العديد من الخدمات الحكومية الرقمية في أي وقت ومن أي مكان، ومنح التطبيق الأفراد ملف يتم تصنيفه بالاعتماد على تلقي لقاح Covid-19 و

نتيجة اختبار PCR حديثه .
https://tech.mawdoo3.com/b/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%88-%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D9%82-%D8%B3%D9%86%D8%AF

حيث يعمل هذا التطبيق على جمع المعلومات الكافية عن مواطنيها من الناحية الطبية وبيان من هم الافراد الذين تلقوا اللقاحات اللازمة بالإضافة إلى بيان موعد ومكان اللقاح ، بالإضافة إلى انه يتم ربط التطبيق مع المراكز الصحية والمستشفيات بحيث يظهر على التطبيق اذا كان ذلك شخص مصاب ام لا مما يسهل على الدولة معرفة عدد الاصابات وعدد الاشخاص المصابين والتنبؤ بعدد حالات التزايد.

الخاتمة

من خلال استعراض المباحث السابقة والذي تم فيها مناقشة تطبيقات الذكاء الاصطناعي كعنصر من عناصر النظام العام والتي تم التطرق فيها إلى ماهية الذكاء الاصطناعي وانواعه وخصائصه ، بالاضافة إلى التطرق لماهية الصحة العامة كعنصر من عناصر الذكاء الاصطناعي وأثر تطبيق الذكاء الاصطناعي على الصحة العامة، حيث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وكانت على النحو التالي:-

النتائج

1- النظام العام لم يوضع له مفهوم محدد واضح بسبب التطورات التي تحدث في البلاد وبسبب اختلافها من دولة لدولة.

2- تم دمج الذكاء الاصطناعي في الصحة العامة من خلال التشخيص الطبي والابحاث الطبية.

3- استخدم الذكاء الاصطناعي في جائحة كورونا بهدف المساعدة في فهم تطور ذلك الوباء.

التوصيات

يوصي الباحث المشرع بضرورة وضع قانون أو نظام يعالج دمج الذكاء الاصطناعي بهدف المحافظة على الصحة العامة بالإضافة إلى دمج الذكاء الاصطناعي بقوانين الصحة العامة.

المراجع

أولاً: الكتب

- الخلايلة ، محمد ، سنة 2021، القانون الإداري الكتاب الأول، دار الثقافة ، عمان ، الطبعة الرابعة.

ثانياً: الابحاث

1- عبدالنبي، اسلام، دور تقنيات الذكاء الإصطناعى فى العلاقات الدولية والمسئولية الدولية عن استخداماتها ، عدد2537.

2- دهشان، يحيى، 2019، المسئولية الجنائية عن جرائم الذكاء الإصطناعي ، مجلة الشريعة والقانون.

3- احمد حسن محمد, د. ص & .,د/صفوت. (2021). الضبط الإداري .مجلة العلوم القانونية والاقتصادية.893-851 ,(1)63 ,

4- نسيغة ، فيصل ، دنش، رياض ، النظام العام ، العدد الخامس ، مجلة المنتدى القانوني.

رابعاً: المواقع الالكترونية

1- مراجعة معجم المعاني الجامع:-https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B0%D9%83% %A7%D8%A1-D8%D8%B9%D9%8 %D8%A7%D8%B5%D8%B7%D9%86%D8%A7 ، تاريخ الزيارة 2024/01/05، الساعة 07:05.

2- https://aws.amazon.com/ar/what-is/artificial-intelligence / ، تاريخ الزيارة 2024/01/06 ، الساعة 07:41.

3- https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/67077 ، تاريخ الزيارة 2024/01/07 ، الساعة 07:17.

4- https://tech.mawdoo3.com/b/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%88-%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D9%82-%D8%B3%D9%86%D8%AF ، تاريخ الزيارة 2024/01/07 ، الساعة 07:43.

قوهستان واثرها السياسي والحضاري من القرن الثاني وحتى القرن السادس هجرياً

إعداد
ا.م.د علي نجم عبدالله الفياض
كلية الآداب / بغداد
Ali.n@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

اشار الباحث في بحثه الموسوم بعنوان (قوهستان واثرها السياسي والحضاري من القرن الثاني وحتى القرن السادس هجرياً) الى عدة من الجوانب ومنها:

جذور تاريخية للمدينة

اذ اشارت بعض الشذرات التي بين يدينا ان المدينة لم تكن من بناء المسلمين بل بنيت في زمنٍ سابق للاسلام ودليلنا على ذلك السجال الذي حدث بين المسلمين والهياطلة أبان فتحها .

الوصف الجغرافي للمدينة

ان لكل مدينة طابعها الجغرافي التي امتازت به عن سائر المدن وفيما يختص الامر بقوهستان فقد اشرنا الى عدة من الجوانب التي امتازت بها عن غيرها.

الجوانب التاريخية

وفيما يختص الامر بالمسلمين فقد عمدنا في البد بالتنويه على حركات الفتح ثم انتقلنا الى ذكر بعض الاحداث السياسية في عصر الدولة الاموية (41 - 132هـ / 662 - 750م) ثم بعد ذلك في العصر العباسي الاول (132- 181هـ / 750- 798م) ثم انتقلنا للحديث عن بعض الاحداث التاريخية في ظل الامارات المستقلة في المشرق ، وختمنا الحديث بسيطرة الاسماعيلية على المدينة.

مظاهر الحضارة

ويتناول جانبين الاول يتحدث عن الرحلات العلمية في حين الثاني يتحدث عن بعض علماء المدينة .

قسم البحث على تمهيد وثلاثة محاور تسبقه مقدمة وتتلوه خاتمة فضلاً عن قائمة لمراجع البحث.

Abstract

In his research entitled ‘Qohestan and its Political and Cultural Impact from the Second to the Sixth Century AH,’ the researcher pointed to several aspects, including:

The historical roots of the city

Some of the fragments in our possession indicate that the city was not built by Muslims, but rather in a period prior to Islam. Our evidence for this is the dispute that occurred between Muslims and the Hayatla during its conquest.

The geographical description of the city

Every city has its own geographical characteristics that distinguish it from other cities. With regard to Gohestan, we have pointed out several aspects that distinguish it from others.

Historical aspects

With regard to Muslims, we began by mentioning the conquests, then moved on to some political events during the Umayyad Caliphate (41 AH / 132 AH). Then we moved on to the early Abbasid era (132/118 AH), and then we moved on to discuss some historical events under the independent emirates in the Levant.

.We concluded by discussing the Ismaili control of the city

Manifestations of civilisation

This section deals with two aspects, the first of which discusses scientific expeditions, while the second discusses some of the city's scholars.

The research section is divided into an introduction and three main sections, preceded by a preface and followed by a conclusion, as well as a list of references .

المقدمة ونطاق البحث:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ابو القاسم محمد بن عبد الله الذي بعث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد.

لقد كانت بلاد فارس تحت سيطرة الامبراطورية الساسانية ولكن بعد ضهور الاسلام ونشأة الخلافة في المدينة (40.11هـ/ 633. 661م) اقتضت الضرورة إرسال الحملات الى العراق ومن ثم بلاد فارس لاخضاعها ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع (قوهستان واثرها السياسي والحضاري من القرن الثاني وحتى القرن السادس هجرياً).

نطاق البحث:

الهدف من الموضوع تعريف الباحثين بما هو مستجد في ميدان دراسات التاريخ الاسلامي سبب اختيار الموضوع عند اختياري للموضوع هو التعريف بجزء مهم من تراثنا في المشرق .

اهمية الموضوع :

على الرغم من بعض الدراسات التي تناولت الموضوع الا اننا اتينا برؤية مغايرة عن الموضوع.

تقسيمات البحث :

ضم البحث تمهيد وثلاث محاور تسبقه مقدمة وتتلوه خاتمة فضلاً عن قائمة لمراجع البحث وخصص التمهيد للحديث عن الجذور التاريخية للمدينة في حين ذكر المحور الاول الوصف الجغرافي للمدينة وخصص المحور الثاني بذكر الجوانب التاريخية للمدينة في حين ضم المحور الثالث الحديث عن علماء المدينة.

تمهيد:

نبذة تاريخية

ذكرت بعض الشذرات التاريخية ان مدينة قوهستان كانت ذات جذور تاريخية ضاربة في القدم و دليلنا على ذلك ان العرب الفاتحون هزموا الهياطلة عند فتحها . (1)(ابن حزم (1987)، ج2، ص13

المحور الاول :

الوصف الجغرافي للمدينة

أ. التسمية

وردت بعض الاراء في تسمية المدينة ومنها :

الرأي الاول:

قوهستان هو تعريب كوهستان ، ومعناه موضع الجبال لأن كوه هو الجبل بالفارسية. (2) (اليعقوبي،1422هـ/2001م ، ص95)

الرأي الثاني :

أو قوهستان أو كوهستان : بلاد جبلية ، اسم عام يطلق على مختلف نواحي آسيا .(3)(النرشخي، ص155)

الرأي الثالث:

ولها معنى حديث مأخوذ عن " قوهستان كر أو جر " ويعنى ملك الجبل والفلاة والبحر وهذا المعنى محدث ، وقد قال السابقون بحكم أن لفظ (جر) قديما كان يطلق على الجبال من المناطق الجبلية التي

يمكن زراعتها ويمكن أن تكون بها أشجار وأدغال لهذا كان يطلق على السوخرايين " جرشاه " ويعنى ملك الجبال .

يبدو ان الرأي الاول اقرب للدقة لاتفاق بعض الجغرافيين معه .(4)(بن اسفنديار، 1423هـ/ 2002م، ص73)

ب . الموقع والحدود

لقد تباينت بعض المصادر التي بين ايدينا في تحديد موقع المدينة ف منهم من ذهب الى ان أحد أطرافها متصل بنواحي هراة ثم يمتد في الجبال طولا حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان وبروجرد ، هذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم.(5)(ياقوت الحموي،1399هـ/ 1979م ،ج4، ص416)

في حين مال اخر الى ان قوهستان ناحية بخراسان بين هرات نيسابور .(6)(الشافعي، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م، ج17،ص187)

و اما عن حدودها ف ان بعض الاراء اشارت الى انها:

تحدها شمالا خراسان وشرقا أفغانستان وجنوبا كرمان وفارس وغربا العراق العجمي. (7)(النرشخي، ص155)

يبدو ان المترجم قد سهى في ترجمته للغة العربية اذ استخدم كلمة افغانستان وهي محدثة.

وهنالك من خالف هذا الرأي اذ اشار الى انها ارض بين هرات نيسابور. (8)(الطبري،ج12،ص367)

ويشير احد الجغرافيين في حديثه عن طرق المشرق ان قوهستان في منتصف الطريق ويمرّ في هذه المفازة طريق من أصفهان إلى الري وهو أقرب الطرق بينهما ، ويمرّ فيها أيضا طريق من كرمان إلى سجستان ويمر فيها أيضا طريق فارس إلى خراسان وكذلك من كرمان إلى خراسان. (9)(ابو الفدا،1428هـ/ 2007م،ص504)

جـ . كورها

ان لكل مدينة طابعها الجغرافي التي تمتاز به عن سائر مدن المشرق ولقوهستان عدة من التوابع ومنها قصبتها قائن واهم مدنها :

تون

جنابذ

طبس العناب

طبس التمر

طريثيث

وقراها بيرجند و ون

والرقة . (10)(ياقوت الحموي،1399هـ / 1979م ،ج4، ص416؛بن عبد الحق، ج2،ص128)

المحور الثاني

الجوانب التاريخية للمدينة

بدأت حركة الفتوح لبلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (23.13هـ / 635. 644م) واستكملت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (35.23هـ/ 644. 656م). (11)(عبدالحميد، 1424هـ/ 2003م)

تشير بعض الروايات التي بين ايدينا ان المدينة فتحت عنوة سنة (29هـ/ 650م) وصالحها اهلها على دفع مبلغ ستمائة الف درهم .(12)(ابن اثير، 1385هـ / 1965م، ج3، ص124 ؛ النويري، ج19، ص421)

وهنا لابد ان نشير الى ان المدينة واهلها لم يستسلموا في بادئ الامر للفاتحين الا بعد الضغط عليهم.

وفي عام 50 هـ اعيد فتح المدينة مرة اخرى. (13)(السيوطي، 1425هـ/ 2004م ، ص214)

يبدو ان سبب اعادة الفتح لبعد المدينة عن عاصمة الدولة في بلاد الشام.

واغفلت بعض المصادر التاريخية التي بين ايدينا في ذكر الاحداث التاريخية التي تلت عام 50هـ .

غير ان في العصر العباسي الاول (132. 218هـ /750 . 834م) ذكرت بعض الاشارات الى ان خالد بن برمك (ت 163هـ) عمر في قوهستان . (14)(بن اسفنديار،1423هـ / 2002م، ص187)

ان المتتبع لسيرة خالد بن برمك خلال اواخر عصر الدولة الاموية وبداية العصر العباسي الاول الى وفاته يلاحظ ان له مهارة ادارية وحنكة في تدبير الامور. (15)(الفياض، 1441هـ /2020م)

واثناء ولاية الفضل بن سهل عمد الى بناء المحارس في قوهستان غير انه لم يلبث في الولاية طويلاً وسرعان ما غير بأخر.(16)(بن اسفنديار،1423هـ / 2002م ، ص187)

وفي عصر الامارات المستقلة ظل الصراع محتدماً بين الامارات للهيمنة على المدينة غير انها في اواخر الامر خضعت للاسماعيلية وظلوا مهيمنين عليها حتى سقوط دولتهم على يد المغول .(17)(بن اسفنديار،1423هـ / 2002م ، ص187؛ ياقوت الحموي،1399هـ/ 1979م)

المحور الثالث

مظاهر الحضارة

لقد اخذت مدن المشرق ونواحيها بعد فتح المسلمين لها ولقوهستان اثر في ذلك اذ اشتهرت بعدة من العلماء اللذين رغبوا في طلب العلم ونشره .

الرحلات العلمية

أ . الرحلة لغرض الدرس

. محمد بن ابراهيم

محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدان بن جبلة القوهستاني ابو جعفر.(18)(السمعاني،ج10،ص 265)

قدم بغداد وحدث بها عن أبي قريش محمد بن جمعة بن خلف القوهستاني، وأبي العباس محمد بن إسحاق السراج، وغيرهما.

روى عنه أبو بكر أحمد بن عبد الله الدوري الوراق، وأحمد بن الفرج بن الحجاج. (19)(الجوزي،١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م،ج14،ص23)

يبدو ان المترجم له رغب في طلب العلم وذلك يتبين من خلال رحلته الى بغداد وفيما بعد اصبحت له مكانة علمية بدليل تتلمذ بعض الطلبة عليه.

ب . الرحلة لغرض التدريس

. ابو بكر (كان حياً ق 5هـ/11م)

ابو بكر العميد القوهستاني، وهو شاعر وناثر مشهور وخصوصا في أهل خراسان. (20)(العمري،1424هـ /2003م، ج15،ص400)

اتّصل في أيام السلطان محمود بن سبكتكين بولده محمد حين تولى الخوزستان ، وكان يميل إلى الفلسفة وعلوم الأوائل وله رسائل مدوّنة ، قدم بغداد سنة 420 للهجرة ومدح القادر بالله أمير المؤمنين ، اتّصل بعدها بالملوك السلجوقية الذين يملكون خراسان والجبل وخوارزم وذلك سنة 431 للهجرة . التقى به الباخرزي (467هـ/1075م) صاحب دمية القصر سنة 435 للهجرة على أشراف خراسان ومدحه ببعض القصائد . (21)(العمري،1424هـ /2003م ،ج15،ص400)

يبدو ان المترجم له كان ذا علمية مرموقة اذ تنقل بين الامراء والخلفاء العباسيين وحظي برعايتهم .

ج . رحلة الحواضر الاخرى

. زافر بن سليمان

زافر بن سليمان الايادي ابو سليمان.(22)(البخاري ،ج3،ص451 ؛ السمعاني،1408/ 1988م، ،ج4،ص562)

ولد بالكوفة ثم رحل الى بغداد ثم الى الري ، وقيل : ((كان سبب نسبه بالقوهستان لأنه كان يجلب المتاع القوهي إلى بغداد)).

يروي عن شعبة ومالك وإسرائيل وسفيان الثوري وعبد الملك بن جريج وعبد العزيز بن أبي رواد وورقاء بن عمر وغيرهم

روى عنه يعلى بن عبيد الله ، وعبيد الله بن موسى ، والحسين بن علي الجعفي ، وخلف بن تميم ، وعبد الله بن الجراح ، ومحمد بن مقاتل المروزي ، والحسن بن عرفة ، ويحيى بن معين . وأبو جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدان بن حبلة القوهستاني. (23)(الجرجاني، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ج4،ص203 ؛ مغلطاي،1422هـ /2001م، ج5،ص25)

يبدو ان زافر قد جمع بين خلتي التجارة وطلب العلم .

د . علومهم

1) <u>علم القراءات</u> :

. ابراهيم بن محمد

ابراهيم بن محمد بن عبدويه القهستاني لقب نفسه ب(العبد الذليل لرب جليل) الواعظ ابو اسحاق. (24)(ابن الاثير، 1400هـ/1980م ،ج3 ، ص65)

رحل من قوهستان الى بغداد والبصرة وسمع بهم وروى عن ابي عبد الله بن مخلد وابي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي وغيرهما. (25)(ابن الاثير، 1400هـ/1980م ،ج3،ص65)

يبدو لنا ان المترجم له كان من رواد المساجد وهذا يتبين من خلال لفظة الواعظ ، ان تلقبه بالعبد دليل على خشوعه لله (سبحانه و تعالى) ، فضلاً عن انه لم يكتفي بطلب العلم في مدينته بل رحل الى بعض الامصار رغبة في الاستزادة من العلم.

2)**<u>علم الحديث</u>**

. احمد بن ابراهيم (ت267هـ)

احمد بن ابراهيم بن مالك القوهستاني ابو علي.(26)(الهمداني، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص78)

رحل من قوهستان الى بغداد وحدث عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، ومحمّد بن عبد الله بن نمير الكوفيّ، وعبد الرّحمن بن المبارك العيشى.

روى عنه يحيى بن محمّد بن صاعد وأبو ذر بن الباغنديّ ومحمّد بن مخلد ومحمّد بن جعفر المطيري، وأحاديثه مستقيمة حسان تدل على حفظه وتثبته.(27)(الخطيب البغدادي،١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م، ج4،ص228)

. الحسين بن محمد

الحسين بن محمد بن احمد بن محمد بن اسحاق ابن محمد بن منازل البيرجندي القوهستاني ابو القاسم وقيل ابو عبدالله. (28)(السمعاني،1382هـ/ 1963م ،ج2، ص403)

أديب أصبهان وكان يذكر بالصلاح والعفة والسنة كثير الكتابة دقيق الخط وكان يسمى الأصمعي الصغير.(29) (السمعاني،1382هـ/ 1963م ،ج2، ص403)

ان تكنيته بالصلاح والعفة لهو دليل واضح على ثقته في رواية الحديث .

. عبدالله بن الجراح

عبدالله بن الجراح التميمي القوهستاني ، محدث ثقة . (30)(الشافعي، 1437هـ/2016م، ج17،ص187)

. محمّد بن جعفر

محمد بن جعفر بن خلف القوهستاني، كان محدث وروى عن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن يعيش، أبو إسحاق . (31)(الخطيب البغدادي،١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م،ج6،ص3)

. محمد بن جمعة

محمد بن جمعة القوهستاني ابو قريش، كان محدث .(32)(ابن تغرى بردي،ج3، ص215)

3) **<u>علم الفقه</u>**

. الحسين محمد (كان حياً ق 5هـ/11م)

الحسين بن محمد الوني القوهستاني ابو عبدالله .(33)(السمعاني،1382هـ/ 1963م، ج13،ص379)

كان متقدما في علم الفرائض ، وله تصانيف جيدة ، وكانت له يد في علوم أخرى ، وكان حسن الذكاء. (34)(السمعاني،1382هـ/ 1963م ، ج13،ص379).

نستفيد من الحديث السابق امران ان لفظة علمه بالفرائض دليل على كونه فقيه غير ان بعض المصادر التي بين ايدينا لم تذكر ذلك.

4) <u>علوم اللغة العربية</u>

أ . الشعر

. محمود القوهستاني

شاعر له عدة من الابيات ومنها:

قمْ فاسقني فالأفق أغلظَ حجبه ... وتقطّبت فيه أسرَّةُ زاجِر

وتصادمَتْ صَدَفُ السحاب بنحرِهِ ... فتكسَّرَتْ عن مُودعات جواهر
فتباشر الروضُ الأريضُ بلقطها ... فلذاك أقْبلها ثغورَ أزاهر

لا شيءَ أحلى من تهكّمِ كاسِنا ... متضاحكاً لبكا السحابِ الماطر. (35)(التيفاشي ،ص286)

الخاتمة

كنا قد انتهينا من كتابة بحث (قوهستان واثرها السياسي والحضاري من القرن الثاني وحتى القرن السادس هجرياً) وقد توصلنا للنتائج الآتية ومنها ان المدينة ذات جذور تاريخية ضاربة في القدم و فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، شهدت بعض الاحداث السياسية الا انها في نهاية الامر خضعت المدينة للاسماعيلية .

كانت للرحلة العلمية اثر طيب على الرغم من ندرة بعض المصادر التي بين ايدينا وبرزت بعض الشخصيات العلمية من المدينة التي كان لها اثر طيب في بعض العلوم .

وفي الختام اتمنى ان اكون قد وفقت في البحث.

المراجع

. علي بن احمد الاندلسي، 1408هـ . 1987م، رسائل ابن حزم الاندلسي، مجلد (ط2)،(بيروت:د.م ط)

. احمد بن اسحاق اليعقوبي ، 1422هـ . 2001م، البلدان ،مجلد (ط1)،(بيروت:دار الكتب العلمية)

. محمد بن جعفر النرشخي، د.ت، تاريخ بخارى، مجلد(ط3)،(القاهرة:دار المعارف)

. محمد بن حسن بن اسفنديار، 1423هـ . 2002، تاريخ طبرستان،مجلد(ط1)، (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة)

. ياقوت بن عبدالله الحموي، 1399هـ . 1979م، معجم البلدان،مجلد(د.ط)، (بيروت:دار احياء التراث العربي)

. شهاب الدين الشافعي، 1437هـ . 2016، شرح سنن ابي داوود، مجلد(ط1)،(مصر:دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث)

. محمد بن جرير الطبري، د،ت ، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، مجلد(ط2)، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)

. عماد الدين اسماعيل ابي الفدا ، 1428هـ . 2007م ، تقويم البلدان،مجلد(ط1)، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية)

. عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، 1412هـ . 1991م، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع،مجلد(ط1)، (بيروت: دار الجيل)

. صبحي عبد الحميد، 1424هـ . 2003م، معارك العرب الحاسمة،مجلد(د.ط)،(بغداد: د. م ط)

. عز الدين ابن الاثير، 1385هـ . 1965م، الكامل في التاريخ ،مجلد(د.ط)، (بيروت: دار الصادر) 1400هـ . 1980م، اللباب في تهذيب الانساب،مجلد(د.ط)، (بيروت: دار صادر)

. شهاب الدين النويري ،د،ت ، نهاية الارب في فنون الادب،مجلد(د.ط)، (مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)

. جلال الدين السيوطي، 1425هـ . 2004م، تاريخ الخلفاء، مجلد(ط1)، (د.م: مكتبة نزار مصطفى الباز)

. محمد بن حسن بن اسفنديار، 1423هـ . 2002م، تاريخ طبرستان،مجلد(ط1)،(القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة)

. عبدالله دخيل الفياض ، 1441هـ . 2020م ، تاريخ البرامكة ،مجلد(ط 1)، (كربلاء. العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث)

. عبد الكريم بن منصور السمعاني، د.ت ، الانساب،مجلد(د.ط)، (بيروت: محمد امين دمج)

1382هـ . 1963م، الانساب،مجلد(ط1)، (حيدر اباد: دائرة المعارف العثمانية)

1408 . 1988م، الانساب،مجلد(ط1)،(بيروت: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع)

. جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، 1412هـ . 1992م، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،مجلد(ط1)، (بيروت: دار الكتب العلمية)

. احمد بن يحيى العمري، 1424هـ . 2003م، هامش مسالك الابصارفي ممالك الامصار،مجلد(ط1)، (ابو ظبي: المجمع الثقافي)

. البخاري، د.ت ، التاريخ الكبير،مجلد(د.ط) ، (تركيا: المكتبة الاسلامية)

. ابو احمد بن عدي الجرجاني، 1418هـ . 1997، الكامل في ضعفاء الرجال، مجلد(ط1)، (بيروت: الكتب العلمية)

. علاء الدين مغلطاي،1422هـ . 2001م ، اكمال تهذيب الكمال في اسماء الرجال، مجلد(ط1)، (د.م: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر)

. مقبل بن هادي الهمداني، 1420هـ . 1999م، تراجم رجال الدار قطني، مجلد(ط1)،(صنعاء: دار الاثار)

. ابو بكر احمد الخطيب البغدادي، ١٤١٧، هـ .١٩٩٧ م ، تاريخ بغداد،مجلد(ط1)، (بيروت: دار الكتب العلمية)

. يوسف بن تغرى بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، د.ت، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، مجلد(د.ط)،(مصر: وزارة الثقافة و الارشاد القومي . دار الكتب)

. ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي، د.ت، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس،مجلد (د.ط)،(بيروت: المؤسسة العلمية للطباعة والنشر)

References

Ali bin Ahmad al-Andalusi, 1408 AH - 1987 AD, Letters of Ibn Hazm al- - (.Andalusi, Volume (2), (Beirut: D.M.T

Ahmed bin Ishaq Al-Ya'qubi, 1422 AH - 2001 AD, Al-Buldan, Volume (1st (edition), (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya

Muhammad bin Ja'far Al-Narshaki, n.d., History of Bukhara, Volume (3rd (edition), (Cairo: Dar Al-Ma'arif

Muhammad ibn Hasan ibn Asfandiar, 1423 AH - 2002, History of Tabaristan, - (Volume (1st edition), (Cairo: Supreme Council of Culture

Yaqoot bin Abdullah al-Hamawi, 1399 AH - 1979 AD, Dictionary of Countries, - (Volume (n.d.), (Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi

Shihab al-Din al-Shafi'i, 1437 AH - 2016, Explanation of Sunan Abi Dawood, - Volume (1), (Egypt: Dar al-Falah for Scientific Research and Heritage (Preservation

Muhammad ibn Jarir al-Tabari, D.T., Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayat al-Qur'an, - Volume (2), (Cairo: Ibn Taymiyyah Library)

Emad El-Din Ismail Abu al-Fida, 1428 AH - 2007 AD, Taqweem al-Buldan, (Volume (1), (Cairo: Religious Culture Library)

Abdul-Mumin ibn Abdul-Haqq al-Baghdadi, 1412 AH - 1991 AD, Marasid al- (I'tila' fi Asma' al-Amanah wa al-Baqa', Volume (1st edition), (Beirut: Dar al-Jil

Subhi Abdul Hamid, 1424 AH - 2003 AD, Decisive Arab Battles, Volume (D.T.), (Baghdad: D. M. T)

Ezz al-Din ibn al-Athir, 1385 AH - 1965 AD, Al-Kamil fi al-Tarikh, vol. (n.p.), - (Beirut: Dar al-Sadir) 1400 AH - 1980 AD, Al-Lubab fi Tahdhib al-Ansaab, vol. ((n.p.), (Beirut: Dar al-Sadir

din Al-Nuwairi, D.T., The End of the Four in the Arts of Literature, Shihab al Volume (D.T.), (Egypt: Ministry of Culture and National Guidance, Egyptian (General Organisation for Authorship, Translation, Printing and Publishing

Jalal al-Din al-Suyuti, 1425 AH - 2004 AD, History of the Caliphs, Volume (1), (D.M.: Nizar Mustafa al-Baz Library)

Muhammad ibn Hasan ibn Asfandiar, 1423 AH - 2002 AD, History of - Tabaristan, Volume (1), (Cairo: Supreme Council of Culture)

Abdullah dakheel Al-Fayyad, 1441 AH - 2020 AD, History of the Barmakids, Volume (1), (Karbala, Iraq: Holy Shrine of Imam Hussein, Karbala Centre for Studies and Research)

Abdul Karim bin Mansour al-Sam'ani, Dr. T., Al-Ansaab, Volume (Dr. T.), (Beirut: Muhammad Amin Damaj)

1382 AH - 1963 AD, Al-Ansaab, Volume (1), (Hyderabad: Ottoman Knowledge Department)

1408 AH - 1988 AD, Al-Ansaab, Volume (1), (Beirut: Dar Al-Jinan for Printing, Publishing and Distribution)

Jamal al-Din Abd al-Rahman al-Jawzi, 1412 AH - 1992 AD, The Organised History of Kings and Nations, Volume (1), (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah)

Ahmad bin Yahya al-Omari, 1424 AH - 2003 AD, Marginalia on Masalik al-Absar (fi Mamalik al-Amsar, Volume (1), (Abu Dhabi: Cultural Complex

Al-Bukhari,., Al-Tarikh al-Kabir, Volume (n.d.), (Turkey: Islamic Library)

Abu Ahmad bin Adi al-Jurjani, 1418 AH - 1997, Al-Kamil fi Da'if al-Rijal, Volume (1), (Beirut: Al-Kutub al-'Ilmiyyah)

Ala al-Din Maghlatai, 1422 AH - 2001 AD, Completion of Tahdhib al-Kamal fi Asma al-Rijal, Volume (1), (Beirut: Al-Farouq al-Haditha for Printing and Publishing)

Izz al-Din ibn al-Athir, 1400 AH - 1980 AD, Al-Lubab fi Tahdhib al-Ansaab, Volume (1), (Beirut: Dar Sadir)

Muqbil bin Hadi al-Hamdani, 1420 AH - 1999 AD, Biographies of the Men of Dar Qutni, Volume (1), (Sana'a: Dar al-Athar)

Abu Bakr Ahmad al-Khatib al-Baghdadi, 1417 AH - 1997 AD, History of Baghdad, Volume (1), (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah)

Yusuf bin Taghri Bardi bin Abdullah al-Zahiri al-Hanafi, n.d., The Shining Stars of the Kings of Egypt and Cairo, vol. (n.p.), (Egypt: Ministry of Culture and National Guidance - Dar al-Kutub)

Abu al-Abbas Ahmad ibn Yusuf al-Tifashi, n.d., Suroor al-Nafs bi Madarik al-Hawas al-Khams, vol. (n.p.), (Beirut: Scientific Foundation for Printing and Publishing)

تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي (الاستراتيجية: من المحادثات الذكية إلى صياغة السياسات (البيئة العراقية إنموذجاً)

إعداد

أ. م. د. سعد علي ريحان المحمدي
إكاديمية شمال اوربا- الدينمارك
المركز العربي الدنماركي للدراسات المستقبلية
Saad.Almohmdy90@gmail.com

م.د. بلال جاسم صالح القيسي
بغداد- كلية المنصور الجامعة
doctor.alkaisy91@gmail.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل واقع تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في المؤسسات الحكومية العراقية، واستكشاف مدى إسهامها في تعزيز كفاءة وفاعلية صياغة السياسات العامة عبر أبعادها المتمثلة في المحادثات الذكية، كما تناول البحث الدور الوسيط لجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي من خلال عناصرها المتمثلة في البنية التحتية، والتشريعات، والمهارات الإدارية.اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لتأصيل المفاهيم النظرية وتفسير العلاقات بين المتغيرات، والمنهج الميداني الكمي لقياس واقع الممارسات وتحديد العلاقات الإحصائية. تم جمع البيانات من موظفين في مؤسسات حكومية عراقية باستخدام استبانة محكّمة وتحليلها بأساليب إحصائية متقدمة للتحقق من العلاقات الارتباطية والسببية والوسيطية بين المتغيرات.

أظهرت النتائج أن مستوى توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي لا يزال محدودًا، ويتركز استخدامه في مجالات تحليل البيانات ودعم القرار الإداري أكثر من مجالات صياغة السياسات العامة. كما تبين أن الجاهزية المؤسسية تمثل عاملًا وسيطًا أساسيًا في تعزيز العلاقة بين الذكاء التوليدي والسياسات العامة.خلص البحث إلى أن التحول نحو سياسات عامة ذكية في العراق يتطلب إصلاحًا مؤسسيًا وتشريعيًا متزامنًا مع التحول الرقمي، وإنشاء مراكز وطنية لتحليل البيانات، وتشريع أطر قانونية

لحوكمة الذكاء الاصطناعي، وتبني برامج لتأهيل القيادات الإدارية بما يعزز كفاءة الإدارة العامة ويُسهم في بناء نموذج سياسات حكومية ذكية ومستدامة.

الكلمات المفتاحية :الذكاء الاصطناعي التوليدي، المحادثات الذكية، صياغة السياسات العامة، التحول الرقمي ، البيئة العراقية

Abstract

This study aims to analyze the reality of *Generative Artificial Intelligence (AI) applications* in Iraqi governmental institutions and to explore their contribution to enhancing the efficiency and effectiveness of *public policy formulation* through their main dimensions: smart conversations, The research also examines the *mediating role* s *of the Iraqi environment's readiness for generative transformation*, represented by infrastructure, legislation, and administrative skills.

A descriptive–analytical methodology was adopted to establish the theoretical framework and interpret the relationships among variables, along with a quantitative field approach to assess real practices and determine statistical relationships. Data were collected from employees in several Iraqi governmental institutions using a validated questionnaire and analyzed using advanced statistical techniques to test the correlational, causal, and mediating relationships among variables.

The results revealed that the level of utilizing generative AI applications remains limited, with their use concentrated mainly in data analysis and administrative decision support rather than in strategic policy formulation. It was also found that *institutional readiness* serves as a crucial mediating factor that strengthens the relationship between generative AI and public policy effectiveness.

The study concludes that the shift toward *smart public policies* in Iraq requires simultaneous institutional and legislative reforms alongside digital transformation. It recommends establishing national data analytics centers, enacting legal frameworks for AI governance, and implementing training programs for administrative leaders to enhance public sector efficiency and contribute to building a smart and sustainable model of government policymaking.

Keywords: Generative Artificial Intelligence, Smart Conversations, Public Policy Formulation, Digital Transformation, Iraqi Environment.

1. المقدمة

يشهد العالم في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين طفرة غير مسبوقة في مجال الذكاء الاصطناعي، ولا سيما في أحد فروعه الحديثة والمثيرة للجدل والمعروفة باسم **الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative Artificial Intelligence)** ، الذي تجاوز حدود المعالجة والتحليل إلى **الإبداع والإنتاج الذاتي للمحتوى** نصًا وصوتًا وصورةً وقرارًا. لقد مثّل هذا النوع من الذكاء الاصطناعي انتقالًا نوعيًا من "الذكاء التنفيذي" الذي ينفذ الأوامر إلى "الذكاء المبدع" الذي يصوغ البدائل ويقترح الحلول، الأمر الذي جعل منه أداة استراتيجية في بيئات اتخاذ القرار والسياسات العامة . (Dwivedi et al., 2023).

تطورت تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي من المحادثات الذكية مثل ChatGPT و Gemini و Claude إلى **منصات قادرة على تحليل البيانات، وتوليد الرؤى، وبناء السيناريوهات المستقبلية** . وباتت هذه المنصات تُستخدم اليوم في العديد من الدول المتقدمة في **تحليل اتجاهات الرأي العام، وتوقع آثار القرارات الحكومية، وصياغة السياسات العامة** قبل اعتمادها رسميًا، وهو ما يُعرف بـ **الحوكمة التنبؤية (Predictive Governance)** التي تعتمد على خوارزميات تحليلية قادرة على توليد البدائل السياساتية وتحليل تداعياتها قبل التنفيذ.(OECD, 2023)

من جهة أخرى، تُعّدّ **البيئة العراقية** نموذجًا مهمًا لدراسة هذا التحول، إذ تمر مؤسسات الدولة العراقية بمرحلة **تحول رقمي تدريجي** تسعى من خلاله إلى تطوير أدواتها في إدارة البيانات وصنع القرار، في ظل تحديات تشمل ضعف البنية التحتية التقنية، وقصور الإطار التشريعي، وقلة الوعي المؤسسي بالذكاء الاصطناعي التوليدي. هذا الواقع يفتح الباب أمام دراسة علمية تحليلية تهدف إلى **استكشاف الإمكانات الكامنة في الذكاء التوليدي لتحسين عملية صياغة السياسات العامة في العراق.**

ومن خلال تتبع الأدبيات الحديثة، يتضح أن أغلب الدراسات ركزت على **الذكاء الاصطناعي كأداة تقنية،** دون التعمق في **تحول دوره إلى أداة استراتيجية لصناعة القرار وصياغة السياسات** .وهنا تبرز **الفجوة البحثية** التي تسعى هذه الدراسة إلى سدها، من خلال تحليل كيفية انتقال الذكاء التوليدي من المحادثات الذكية إلى دعم صياغة السياسات العامة ضمن سياق مؤسساتي عربي–عراقي، يُعاني من تحديات حوكمة وبنى تنظيمية متغيرة.(UNDP, 2024)

وعلى وفق ما تقدم ، يتجه هذا البحث إلى **تحليل تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في البيئة العراقية،** وتشخيص العوامل المؤثرة في تبنيها، واقتراح إطار استراتيجي يمكن من خلاله توظيف هذه التطبيقات في **صياغة السياسات العامة** بشكل أكثر فاعلية، بما ينسجم مع متطلبات **التحول الرقمي والإدارة الذكية للحوكمة.**

٢ .منهجية البحث (Research Methodology)

٢,١ مشكلة البحث

يشهد العالم تحوّلًا جذريًا في أدوات صناعة القرار وصياغة السياسات العامة نتيجة التطور السريع لتقنيات **الذكاء الاصطناعي التوليدي**، التي لم تعد تقتصر على التفاعل اللغوي أو توليد النصوص، بل أصبحت قادرة على تحليل البيانات واقتراح البدائل وتقدير المآلات. ومع هذا التطور، تواجه البيئة العراقية تحديات في استيعاب هذه التحولات، من ضعف البنية الرقمية، وغياب التشريعات المنظمة، إلى محدودية الوعي المؤسسي.من هنا تنبع **مشكلة البحث** في التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أي مدى تسهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في تطوير صياغة السياسات العامة في البيئة العراقية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية، منها:

أ. ما مدى توظيف مؤسسات الدولة العراقية لتقنيات الذكاء التوليدي في تحليل البيانات واتخاذ القرار؟

ب. ما مستوى جاهزية البيئة العراقية (التقنية والبشرية والتشريعية) لتبنّي الذكاء التوليدي في السياسات العامة؟

ج. ما طبيعة العلاقة بين استخدام الذكاء التوليدي وفاعلية صياغة السياسات العامة؟

٢,٢ . أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والتطبيقية، من أبرزها:

أ. تحليل واقع تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في مؤسسات الدولة العراقية.

ب. تحديد أثر هذه التطبيقات في تحسين جودة وفاعلية السياسات العامة.

ج. تشخيص جاهزية البنية التحتية والمؤسساتية العراقية لتبنّي الذكاء التوليدي.

د. اقتراح إطار استراتيجي لتوظيف الذكاء التوليدي في عملية صياغة السياسات العامة.

٢,٣ أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في جوانب عدة:

- **أكاديميًا** :يسد فجوة معرفية في الأدبيات العربية المتعلقة بدمج الذكاء الاصطناعي التوليدي ضمن السياسات العامة وصناعة القرار، خاصة في البيئات النامية.
- **عمليًا** :يقدم توصيات قابلة للتطبيق للمؤسسات الحكومية العراقية حول استخدام الذكاء التوليدي كأداة داعمة للحكم الرشيد وصياغة السياسات.
- **مستقبليًا** :يفتح المجال أمام الباحثين لتوسيع دراساتهم حول الذكاء التوليدي في إدارة الدولة والحوكمة الرقمية.

٢,٤. فرضيات البحث

٢,٤ فرضيات البحث Research hypotheses

الفرضية الأولى:(H1) يُظهر العاملون في المؤسسات الحكومية العراقية مستوى دالًا من استخدام **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بأبعادها (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار) في أداء أعمالهم وصياغة السياسات العامة.

الفرضية الثانية:(H2) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بأبعادها (**تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار**) و**فاعلية صياغة السياسات العامة** بأبعادها (الكفاءة، الجودة، الشفافية، والمشاركة) في البيئة العراقية.

الفرضية الثالثة: (H3)

توجد علاقة إرتباط ذات دلالة معنوية بين **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بأبعاد (تحليل البيانات ، المحادثات الذكية ، التوليد الابداعي للمحتوى ، ودعم القرار) وجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي بأبعادها (البنية التحتية ، التشريعات ، والمهارات الادارية) .

الفرضية الرابعة:(H4)

تؤثر **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بأبعادها(تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار (تأثيرًا إيجابيًا ذا دلالة معنوية في **فاعلية صياغة السياسات العامة** بأبعادها (الكفاءة، الجودة، الشفافية، والمشاركة) في البيئة العراقية.

الفرضية الخامسة: (H5)

تؤثر جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي بأبعادها (البنية التحتية ، التشريعات ، والمهارات الادارية) تأثيراً إيجابياً في فاعلية صياغة السياسات العامة في البيئة العراقية.

الفرضية السادسة:(H6)

تؤثر **جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي** بأبعادها (البنية التحتية، التشريعات، والمهارات الإدارية) تأثيرًا وسيطًا ذا دلالة معنوية في العلاقة بين **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** و**فاعلية صياغة السياسات العامة** في المؤسسات الحكومية العراقية

٢,٥ الأنموذج الفرضي للبحث

يتضمن النموذج الفرضي ثلاثة متغيرات رئيسة:

- **المتغير المستقل** :تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي (تحليل البيانات – المحادثات الذكية – التوليد الإبداعي للمحتوى – دعم القرار).
- **المتغير التابع** :فاعلية صياغة السياسات العامة (الكفاءة – الجودة – الشفافية – المشاركة).
- **المتغير الوسيط** :جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي (البنية التحتية – التشريعات – المهارات الإدارية).

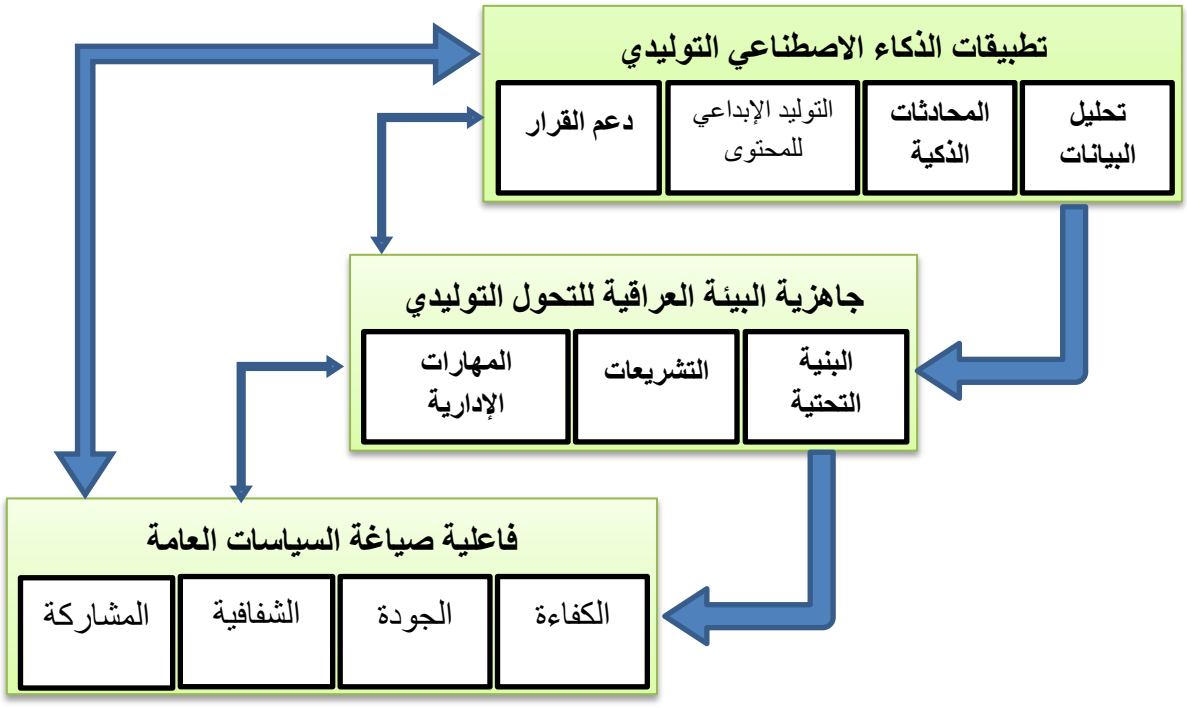

شكل (1) المخطط الفرضي للبحث

٢,٦ مجتمع وعينة البحث

يتكوّن مجتمع البحث من **المؤسسات الحكومية العراقية ذات العلاقة بالتحول الرقمي وصياغة السياسات** مثل: الأمانة العامة لمجلس الوزراء، وزارة التخطيط، وزارة الاتصالات، وزارة التعليم العالي، وهيئة الإعلام والاتصالات.أما **عينة البحث** فهي **عينة قصدية (Purposive Sample)** تشمل القيادات الإدارية، ومديري الأقسام التقنية، ومستشاري التحول الرقمي.

حجم العينة المقترح (150–200) :مفردة بحسب عدد المستجيبين من المؤسسات المستهدفة.

٢,٧ أداة جمع البيانات

أُعتمدت **استبانة تحليلية** صُممت وفق مقياس ليكرت الخماسي الكتابي (لا أوافق تمامًا – لا أوافق – محايد – أوافق – أوافق بشدة)، وتضم ثلاثة محاور تمثل المتغيرات الرئيسة. تم التحقق من **صدق الأداة** من خلال عرضها على مجموعة من المحكّمين الأكاديميين، ومن **ثباتها** باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) الذي يُتوقع أن تتجاوز قيمته (0,70)، بما يؤكد اتساق فقرات المقياس.

٣ .المراجعة النظرية

يُعَدّ الإطار النظري أحد الركائز الأساسية في بناء أي بحث علمي، إذ يوفّر الأساس المفاهيمي الذي تُشتق منه الفرضيات، وتُفسَّر في ضوئه النتائج. وانطلاقًا من أهداف الدراسة الحالية، تركز المراجعة النظرية على المتغيرات الرئيسة الثلاثة المكوّنة لنموذج البحث، وهي **:تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بوصفها متغيرًا مستقلًا، و**فاعلية صياغة السياسات العامة** كمتغير تابع، و**جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي** كمتغير وسيط.تستعرض الفقرات الآتية المفاهيم النظرية والمداخل الفكرية التي تناولت كل متغير وأبعاده الفرعية، بما يتيح بناء تصور علمي متكامل يمهّد لاختبار العلاقات الإحصائية في الجانب التطبيقي.

١,٣ مفهوم تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي

يُعدّ الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative Artificial Intelligence) أحد أكثر فروع الذكاء الاصطناعي تطورًا في العقد الأخير، إذ يتميز بقدرته على **إنتاج محتوى جديد** اعتمادًا على البيانات والمعارف التي تم تدريبه عليها، وليس فقط تحليلها أو تصنيفها كما في الأنظمة التقليدية. وقد مثّل هذا التحول نقلة نوعية من "الذكاء التحليلي" إلى "الذكاء الإبداعي"، حيث باتت الأنظمة قادرة على توليد نصوص، وصور، وتصميمات، وتوصيات، وحتى أفكار وسياسات محتملة (Dwivedi et al., 2023).

تشير الدراسات إلى أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي تتجاوز الاستخدامات التقنية إلى **أبعاد استراتيجية** تشمل دعم القرار، وتطوير المحتوى الإداري، وصياغة السياسات العامة (Brynjolfsson & McAfee, 2022). وتستخدم المؤسسات هذه التقنيات عبر منصات متقدمة مثل **ChatGPT** و **Google Gemini** و**Microsoft Copilot**، التي توفّر قدرة تحليلية وتفاعلية تُمكّن من صياغة نصوص وتقارير ومخرجات تخطيطية شبه بشرية الدقة. (Floridi & chiriatti,2020).

من وجهة نظر الدراسة الحالية، يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي التوليدي **محرّكًا للتحول الإداري والسياساتي** في البيئات الحكومية، حيث يختزل الوقت، ويعزز جودة القرارات، ويفتح المجال أمام أنماط جديدة من التفاعل بين صانعي القرار والمواطنين. وبالتالي فإن فهم أبعاده التطبيقية يُعدّ أساسًا لتفسير دوره في دعم صياغة السياسات العامة داخل البيئة العراقية.

٣,٢ أبعاد تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي

تشكل تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي منظومة معرفية متكاملة تتألف من أربعة أبعاد رئيسة تمثل الاستخدامات الأكثر شيوعًا وتأثيرًا في البيئات المؤسسية والحكومية، وهي **:تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار** (Dwivedi et al., 2023; OECD 2023) وفيما يأتي عرض موجز لكل بُعد منها:

٣,٢,١ تحليل البيانات (Data Analysis)

يُعد تحليل البيانات البعد الأول لتطبيقات الذكاء التوليدي، إذ يُمكّن الأنظمة من معالجة كميات هائلة من البيانات النصية والرقمية واستنباط الأنماط والعلاقات الخفية بينها. ويُسهم هذا التحليل في دعم اتخاذ القرار وصياغة السياسات القائمة على الأدلة بدلًا من الخبرة الشخصية أو الاجتهاد الفردي (Davenport & Bean, 2021). وقد أكد (Brynjolfsson & Me. Afee,2022) أن الاعتماد على التحليل التوليدي للبيانات يرفع كفاءة المؤسسات من خلال تحويل البيانات غير المهيكلة إلى معرفة قابلة للاستخدام الإداري والسياساتي. ومن منظور الدراسة الحالية، يُمثل تحليل البيانات الأساس الذي تنبني عليه بقية الأبعاد في الذكاء التوليدي.

٣,٢,٢ المحادثات الذكية (Intelligent Conversations)

يركز هذا البعد على استخدام الأنظمة التوليدية في التفاعل اللغوي مع المستخدمين من خلال محادثات طبيعية تحاكي اللغة البشرية. وتتيح هذه التقنية توظيف أدوات مثل ChatGPT و Gemini في إدارة الحوار، والإجابة عن الاستفسارات، وتوليد نصوص تقارير أو مقترحات سياسات أولية (Dwivedi et al., 2023). وبيّن كل من (openal,2023) و(openal,2024) أن المحادثات الذكية أصبحت أداة لتعزيز الشفافية والاتصال في القطاع العام من خلال تمكين المواطنين والعاملين من التفاعل مع الأنظمة الإدارية بطريقة سلسة وفعالة. وهي تمثل قناة معرفية ترفع من سرعة التواصل ودقته داخل المؤسسات الحكومية.

٣,٢,٣ التوليد الإبداعي للمحتوى (Creative Content Generation)

يُعبّر هذا البعد عن قدرة الذكاء التوليدي على إنتاج نصوص وتقارير ومذكرات وسياسات عامة ذات طابع لغوي احترافي قائم على تحليل البيانات والسياق المؤسسي. وأشارت الدراسات إلى أن هذا الاستخدام يُقلّل من الزمن اللازم لإعداد الوثائق الرسمية، ويرفع من مستوى الدقة والجودة في الكتابة الإدارية والسياسية.(Brynjolfsson & McAfee, 2022; OECD, 2023) كما أوضح (Kumar & etal,2023) أن المحتوى التوليدي أصبح وسيلة داعمة لصانعي القرار في اختبار بدائل السياسات وصياغة مسودات أولية قبل اعتمادها رسميًا.

٣,٢,٤ دعم القرار(Decision Support)

يُعد دعم القرار البعد الاستراتيجي لتطبيقات الذكاء التوليدي، إذ يُترجم المخرجات التحليلية واللغوية إلى توصيات أو سيناريوهات محتملة تُوجّه صانع القرار نحو البدائل الأنسب (Dwivedi et al., 2023).

ويُشير **OECD (2023)** إلى أن الذكاء التوليدي أصبح أحد أدوات الحوكمة الذكية في رسم السياسات العامة من خلال تقديم تحليل متعدد الأبعاد للتكاليف والمنافع والمخاطر. ومن وجهة نظر

الدراسة الحالية، يمثل هذا البعد الحلقة التي تربط المعرفة التوليدية بالفعل الإداري والسياساتي في المؤسسات الحكومية.

٣,٣ فاعلية صياغة السياسات العامة (Effectiveness of Public Policy Formulation)

تُعد فاعلية صياغة السياسات العامة من المفاهيم الجوهرية في الإدارة العامة الحديثة، إذ تعبّر عن قدرة المؤسسات الحكومية على إعداد سياسات تحقق أهدافها بكفاءة وجودة وشفافية، وبمستوى مناسب من المشاركة المجتمعية. وقد أكدت الأدبيات أن فاعلية السياسات تعتمد بدرجة كبيرة على **القدرة التنظيمية والمعرفية للمؤسسات**، وعلى توظيف الأدوات الرقمية والذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات وصنع القرار.(Anderson, 2023; OECD, 2022) ومن منظور الدراسة الحالية، تتجسد فاعلية صياغة السياسات العامة في أربعة أبعاد أساسية هي :**الكفاءة، الجودة، الشفافية، والمشاركة** (UNDP, 2024)، كما يأتي:

٣,٣,١ الكفاءة (Efficiency)

تشير الكفاءة إلى قدرة المؤسسة على تحقيق أهدافها بأقل وقت وجهد وتكلفة ممكنة مع الحفاظ على مستوى عالٍ من الأداء. وتُعد الكفاءة معيارًا رئيسًا في تقييم فاعلية السياسات العامة، إذ تعكس مدى استثمار الموارد المتاحة لتحقيق أفضل النتائج.(Anderson, 2023) وبيّن (lee,& etal,2023) أن استخدام الذكاء الاصطناعي في إعداد السياسات العامة يسهم في رفع الكفاءة من خلال أتمتة جمع البيانات وتحليلها، وتقليص الوقت اللازم لإنتاج التقارير وصياغة الوثائق الحكومية.

٣,٣,٢ الجودة (Quality)

تعني الجودة مدى دقة واتساق السياسات العامة وملاءمتها لاحتياجات المجتمع، وهي تمثل جوهر الإصلاح الإداري الحديث .(Mikalef et al., 2021) ويؤكد (shrestha & etal,2023) أن جودة السياسة ترتبط بمدى اعتمادها على البيانات الصحيحة والتحليل الموضوعي، إضافة إلى وضوح الأهداف وإمكانية التنفيذ.وفي ضوء التحول الرقمي، أصبحت أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي تسهم في تحسين جودة النصوص والمقترحات السياساتية، مما يرفع من مستوى الاتساق والدقة في القرارات الحكومية.

٣,٣,٣ الشفافية (Transparency)

الشفافية هي مدى انفتاح المؤسسات الحكومية في مشاركة المعلومات وتوضيح أسس القرارات والسياسات العامة. وقد أشار **OECD (2022)** إلى أن الشفافية أصبحت شرطًا أساسيًا لبناء الثقة بين الحكومة والمجتمع.وتُسهم التقنيات التوليدية في تعزيز هذا البعد من خلال تحليل البيانات وتقديم تقارير توضح خلفيات القرارات والإجراءات، مما يُقلّل احتمالات الغموض أو الانحياز في عملية صنع القرار (UNDP, 2024). و (siaus wang,2023)

٣,٣,٤ المشاركة (Participation)

تعني المشاركة إشراك المواطنين وأصحاب المصلحة في عملية صياغة السياسات العامة، بما يضمن أن تعكس القرارات احتياجات المجتمع وتوقعاته.(Chen & Hsu, 2020) ويرى **Anderson (2023)**أن التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي قد أعادا تعريف هذا المفهوم من خلال ما يسمى بـ"المشاركة الذكية" التي تتيح التفاعل الإلكتروني وجمع الآراء العامة بسرعة وموضوعية. ومن وجهة نظر الدراسة الحالية، يمثل هذا البعد البعد الإنساني في الذكاء الاصطناعي التوليدي، إذ يربط التكنولوجيا بالمجتمع عبر تواصل تشاركي يعزز شرعية السياسات العامة.

٣,٤ جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي (Readiness of the Iraqi Environment for Generative Transformation)

تمثل جاهزية البيئة الوطنية للتحول التوليدي أحد المحددات الحاسمة في نجاح تطبيقات الذكاء الاصطناعي داخل المؤسسات الحكومية. فهي تعبّر عن مدى استعداد البنية التحتية، والإطار التشريعي، والقدرات الإدارية لاحتضان التقنيات التوليدية وتوظيفها بفاعلية في صياغة السياسات العامة (UNDP,2024) (World Bank,2023)ومن منظور الدراسة الحالية، تتجسد جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي في **ثلاثة أبعاد رئيسة** هي :**البنية التحتية، التشريعات، والمهارات الإدارية**، كما يأتي:

٣,٤,١ البنية التحتية (Infrastructure)

تشمل البنية التحتية الرقمية الأنظمة التقنية، وشبكات الاتصال، ومراكز البيانات، والمنصات الحكومية التي تمكّن من تشغيل تطبيقات الذكاء التوليدي.وأشار **World Bank (2023)**إلى أن تطوير البنية الرقمية يُعدّ شرطًا أساسيًا لتبني الذكاء الاصطناعي، إذ ترتبط فعالية تطبيقاته بمدى توافر بيئة معلوماتية آمنة وسريعة. كما أوضح **Iraqi Ministry of Planning (2023)**أن العراق بدأ فعليًا في تنفيذ برامج التحول الرقمي ضمن «الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي 2023–2030 التي تهدف إلى بناء بنية تحتية متكاملة قادرة على دعم الذكاء الاصطناعي التوليدي في الإدارة الحكومية.

٣,٤,٢ التشريعات (Legislation)

تُشير التشريعات إلى الإطار القانوني والتنظيمي الذي يحكم استخدام الذكاء الاصطناعي، ويضمن توظيفه بشكل مسؤول ومتوافق مع القيم المجتمعية والأخلاقيات المهنية. وأكد **OECD (2023)** أن وجود سياسات واضحة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في القطاع العام يُعد من أهم عوامل نجاحه واستدامته. وفي السياق العراقي، بيّن تقرير **UNDP (2024)**أن هناك حاجة ملحّة إلى إصدار تشريعات تُنظّم جمع البيانات، وحقوق الملكية الفكرية للمحتوى التوليدي، وحماية الخصوصية الرقمية في المؤسسات الحكومية.

٣,٤,٣ المهارات الإدارية (Managerial Skills)

تشمل المهارات الإدارية القدرات التقنية والمعرفية للعاملين في المؤسسات الحكومية على التعامل مع أدوات الذكاء التوليدي وتوظيفها في العمل اليومي.ويرى **Dwivedi et al. (2023)** أن ضعف المهارات التقنية يعدّ أحد أبرز العوائق أمام تبنّي تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدول النامية. كما أكد **UNDP (2024)** أن تنمية الكفاءات الرقمية والإدارية تمثل محورًا رئيسًا في برامج التحول الذكي، لأن تطبيق الذكاء التوليدي يتطلب كوادر قادرة على فهم الخوارزميات، وتفسير مخرجاتها، واتخاذ قرارات مبنية على تحليلها.ومن وجهة نظر الدراسة الحالية، تُعد المهارات الإدارية المتقدمة شرطًا حاسمًا لنجاح التحول التوليدي في العراق، إذ تمثل الرابط البشري الذي يضمن الاستخدام الرشيد للتقنيات الحديثة في صياغة السياسات العامة. (Zhang & etal,2023).

٣,٥ الخلاصة النظرية (Theoretical Summary)

يتضح من العرض السابق أن **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** تمثل محور التحول المعرفي والإداري في المؤسسات الحديثة، إذ تجمع بين التحليل الكمي للمعلومات والتفاعل اللغوي والإبداعي في إنتاج المعرفة وصياغة القرارات. وتشكل أبعادها الأربعة — **تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار** منظومة مترابطة تتيح للحكومات صياغة سياسات أكثر استنارة ودقة. أما **فاعلية صياغة السياسات العامة** فتمثل الناتج المباشر لهذا التحول، حيث تعكس مدى قدرة المؤسسات الحكومية على إعداد سياسات تتميز بـ **الكفاءة، الجودة، الشفافية، والمشاركة** .وتشير الأدبيات إلى أن توظيف تقنيات الذكاء التوليدي في هذا المجال يُسهم في تقليص فجوات الأداء، وتحسين سرعة الاستجابة، ورفع مستوى الثقة في العمل الحكومي (Anderson, 2023; OECD, 2022).

في المقابل، تؤدي **جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي** دورًا وسيطًا حاسمًا بين الإمكانات التقنية والنتائج المؤسسية. إذ يعتمد نجاح الذكاء التوليدي في العراق على مدى تطور **البنية التحتية الرقمية، ووضوح الإطار التشريعي، وكفاءة الموارد البشرية** .ومن ثم، فإن أي ضعف في هذه المكونات يحد من الاستفادة الفعلية من التقنيات التوليدية في صياغة السياسات (UNDP, 2024; World Bank, 2023).

من وجهة نظر الدراسة الحالية، يمكن القول إن تفاعل هذه المتغيرات الثلاثة — التطبيقات، الجاهزية ، الفاعلية — يشكل **الإطار النظري لنموذج البحث المقترح** .فكلما ارتفع مستوى تطبيق الذكاء التوليدي في تحليل البيانات والمحادثة والتوليد ودعم القرار، وتوافرت بيئة جاهزة من حيث البنية والتشريعات والمهارات، زادت فاعلية صياغة السياسات العامة في العراق، سواء في الكفاءة أو الجودة أو الشفافية أو المشاركة.ويمثل هذا الترابط الأساس الذي ستستند إليه الدراسة في اختبار الفرضيات ميدانيًا باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة.

٤ . الجانب التطبيقي للبحث (The Applied Aspect of the Study)

يركّز هذا الجانب على اختبار النموذج الفرضي ميدانيًا داخل المؤسسات الحكومية العراقية بهدف التحقق من العلاقات بين المتغيرات الثلاثة الرئيسة للدراسة :**تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي، جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي، وفاعلية صياغة السياسات العامة.** تم اعتماد المنهج **الوصفي التحليلي** لأنه الأنسب لتحديد طبيعة العلاقات بين المتغيرات وقياس أثرها في الواقع العملي.

٤,١ اختبار الصدق والثبات (Validity and Reliability Tests)

يهدف هذا الجزء إلى التحقق من دقة أداة البحث وصلاحيتها لقياس المتغيرات الرئيسة والفرعية الخاصة بالدراسة.وقد تم فحص **الصدق** للتأكد من أن فقرات الاستبانة تمثل فعليًا المفاهيم النظرية التي تقيسها، بينما جرى قياس **الثبات** للتحقق من اتساق الإجابات واستقرارها عبر فقرات الأداة. اعتمدت الدراسة نوعين من الصدق والثبات:

1. **الصدق الظاهري والمحتوى (Face & Content Validity)** عبر عرض الأداة على مجموعة من الخبراء المتخصصين في الذكاء الاصطناعي والإدارة العامة للتحقق من ملاءمتها النظرية ودقتها اللغوية.
2. **الصدق البنائي والثبات الإحصائي (Construct Validity & Reliability)** باستخدام معاملات الارتباط الداخلي **ومعامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)** لكل بعد من الأبعاد الفرعية للمتغيرات الثلاثة.

- تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي :

يُعد هذا المتغير من أهم محاور الدراسة، إذ يعكس مستوى استخدام المؤسسات الحكومية العراقية لأدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي في تحليل البيانات، والتفاعل الذكي، وإنتاج المحتوى، ودعم القرار. تم تحليل الصدق والثبات لكل بُعد فرعي على حدة، باستخدام معاملات الارتباط الداخلي للتحقق من الصدق البنائي، ومعامل **كرونباخ ألفا (α)** لقياس الثبات.وقد جاءت النتائج كما موضّحة في الجدول الآتي:

جدول (1) ثبات المتغير تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي

البعد الفرعي	عدد الفقرات	معامل الارتباط الداخلي	معامل كرونباخ ألفا(α)	مستوى الثبات
تحليل البيانات	5	0.74 – 0.86	0.88	عالٍ
المحادثات الذكية	5	0.70 – 0.84	0.85	جيد جدًا
التوليد الإبداعي للمحتوى	5	0.76 – 0.87	0.89	عالٍ
دعم القرار	5	0.73 – 0.88	0.90	عالٍ جدًا
المتغير الكلي	20فقرة	0.70 – 0.88	**0.91**	**عالٍ جدًا**

تشير القيم إلى أن معاملات الثبات لجميع الأبعاد الفرعية تجاوزت الحد الأدنى المقبول (0,70)، مما يدل على **اتساق داخلي قوي واستقرار عالي في إجابات أفراد العينة.** كما أن معاملات الارتباط الداخلي بين الفقرات كانت دالة عند مستوى($0.05 \geq$ Sig) ، وهو ما يعزز **الصدق البنائي** لمقياس المتغير.

- **فاعلية صياغة السياسات العامة :**

يمثل هذا المتغير التابع في الدراسة ويقيس مدى كفاءة وجودة وشفافية ومشاركة عملية إعداد السياسات العامة في المؤسسات الحكومية العراقية.تم تحليل الصدق والثبات لكل بُعد من أبعاده الأربعة للتأكد من سلامة الأداة في قياس المفهوم العام لفاعلية الصياغة.النتائج الإحصائية موضحة في الجدول الآتي:

جدول (2) ثبات المتغير فاعلية صياغة السياسات العامة				
البعد الفرعي	**عدد الفقرات**	**معامل الارتباط الداخلي**	**معامل كرونباخ ألفا(α)**	**مستوى الثبات**
الكفاءة	4	0.72 – 0.85	0.86	جيد جدًا
الجودة	4	0.75 – 0.88	0.88	عالٍ
الشفافية	4	0.70 – 0.83	0.84	جيد جدًا
المشاركة	4	0.68 – 0.82	0.83	جيد جدًا
المتغير الكلي	16فقرة	0.68 – 0.88	**0.90**	**عالٍ جدًا**

تُظهر نتائج الجدول أن معاملات كرونباخ ألفا لجميع الأبعاد تتجاوز (0,80)، مما يعكس **ثباتًا مرتفعًا** وموثوقية قوية في قياس مكونات فاعلية الصياغة.كما تشير معاملات الارتباط الداخلي إلى **صدق بنائي جيد جدًا**، إذ كانت جميعها دالة عند مستوى معنوية($0.05 \geq$ Sig) ، مما يدل على تجانس الفقرات وارتباطها بمفهوم المتغير الكلي.

- **جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي**

يُعد هذا المتغير الوسيط أحد العناصر الأساسية في نموذج الدراسة، إذ يمثل مستوى الاستعداد المؤسسي والتقني والقانوني والإداري لتبني تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في المؤسسات الحكومية العراقية.تم تحليل الصدق والثبات لهذا المتغير عبر اختبار الترابط الداخلي لمؤشرات كل بُعد فرعي، وحساب معامل **كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)** للتحقق من الاتساق الداخلي.النتائج موضحة في الجدول الآتي:

جدول (3) **ثبات المتغير** جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي				
البعد الفرعي	**عدد الفقرات**	**معامل الارتباط الداخلي**	**معامل كرونباخ ألفا(α)**	**مستوى الثبات**
البنية التحتية	4	0.71 – 0.83	0.84	جيد جدًا
التشريعات	4	0.74 – 0.86	0.87	عالٍ
المهارات الإدارية	4	0.76 – 0.88	0.89	عالٍ جدًا
المتغير الكلي	12فقرة	0.71 – 0.88	**0.88**	**عالٍ جدًا**

تشير النتائج إلى أن جميع معاملات الثبات تجاوزت الحد الأدنى المقبول (0,70)، مما يدل على **اتساق داخلي قوي واستقرار مرتفع** في إجابات العينة.كما أثبتت معاملات الارتباط الداخلي أن الفقرات ترتبط ارتباطًا دالًا بمفاهيمها الفرعية، مما يعزز **الصدق البنائي** لمقياس الجاهزية المؤسسية للتحول التوليدي.

4.3. تحليل استجابات العينة على وفق الوسط الحسابي والانحراف المعياري:.

وقد تفرّع هذا المتغير إلى أربعة أبعاد فرعية تمثل مكونات الذكاء التوليدي في بيئة العمل المؤسسي، وهي) **:تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار.**(وفيما يأتي تفصيل تحليل الأبعاد الفرعية:

4,3,1 تحليل البيانات (Data Analysis)

يُعد تحليل البيانات الأساس الذي تُبنى عليه جميع تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي، إذ يُفترض أن يتيح للمؤسسات الحكومية العراقية القدرة على جمع المعلومات من مصادر متعددة وتحليلها آليًا لاستخلاص الأنماط واتخاذ القرارات بدقة.غير أن الواقع الميداني يُظهر **قصورًا كبيرًا في هذا الجانب؛** فالمؤسسات العراقية تفتقر إلى قواعد بيانات مهيكلة، ولا توجد أنظمة تحليل ذكية متكاملة. كما يعتمد الموظفون على البرامج التقليدية مثل (Excel) في إعداد التقارير بدل الأنظمة التحليلية الذكية. وقد جاءت استجابات العينة لتؤكد هذا الضعف كما في الجدول الآتي:

جدول (4) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الاول تحليل البيانات من المتغير المستقل

رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التطبيق
1	تعتمد المؤسسة على أدوات تحليل بيانات ذكية في إعداد التقارير الدورية.	2.11	0.74	2	منخفض
2	تُتخذ القرارات في المؤسسة بناءً على نتائج تحليل البيانات الذكية.	2.03	0.80	4	منخفض جدًا
3	تمتلك المؤسسة قاعدة بيانات رقمية متكاملة ومحدثة بشكل مستمر.	2.24	0.68	1	منخفض
4	توجد كوادر بشرية قادرة على تفسير مخرجات التحليل التوليدي للبيانات.	2.09	0.76	3	منخفض جدًا
5	تُستخدم نتائج التحليل الآلي في صياغة السياسات العامة أو تعديلها.	1.96	0.84	5	منخفض جدًا
	إجمالية تحليل البيانات	**2.09**	**0.76**	—	**منخفض جدًا**

تُظهر النتائج انخفاضًا واضحًا في مستوى استخدام التحليل الذكي داخل المؤسسات الحكومية العراقية، إذ لم تتجاوز أي فقرة مستوى التطبيق "المتوسط."ويُعد غياب قواعد البيانات المحدثة (الفقرة 3، بمتوسط 2,24) من أبرز نقاط الضعف، إذ إن أغلب الوزارات لا تمتلك نظم معلومات موحدة أو بنية رقمية مترابطة.كما أن الفقرة الخامسة "تُستخدم نتائج التحليل الآلي في صياغة السياسات العامة أو

تعديلها" سجلت أدنى متوسط (1,96)، ما يدل على أن عملية **صنع السياسات لا تعتمد على التحليل الموضوعي للبيانات، بل على الخبرة والاجتهاد الشخصي**

4,3,2 المحادثات الذكية (Intelligent Conversations)

يُقصد بالمحادثات الذكية قدرة الأنظمة التوليدية على التفاعل اللغوي مع المستخدمين بطريقة تحاكي التواصل البشري، بما يتيح للمؤسسات الحكومية إدارة الاستفسارات وتقديم الخدمات بشكل فوري عبر المساعدين الرقميين أو النظم الحوارية المؤتمتة.ورغم الانتشار العالمي الواسع لتقنيات المحادثة الذكية) مثل ChatGPT و Geminiو(Copilot، إلا أن **المؤسسات العراقية ما زالت بعيدة تمامًا عن استخدامها** سواء في التواصل الداخلي أو في الخدمات العامة للمواطنين. وتُظهر استجابات العينة انخفاضًا شديدًا في هذا الجانب كما يوضّح الجدول الآتي:

جدول (5) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثاني المحادثات الذكية من المتغير المستقل

رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التطبيق
1	تعتمد المؤسسة على أنظمة محادثة ذكية (Chatbot) للتواصل مع المواطنين أو الموظفين.	1.87	0.82	2	منخفض جدًا
2	تتوافر بوابات رقمية تتيح التفاعل الصوتي أو النصي الذكي مع المستخدمين.	1.91	0.79	1	منخفض جدًا
3	يتم استخدام المحادثات الذكية داخليًا لتبادل المعلومات أو الإجابة عن الاستفسارات الإدارية.	1.84	0.83	3	منخفض جدًا
4	تمتلك المؤسسة سياسة أو خطة لتطبيق أنظمة المحادثة الذكية مستقبلًا.	1.76	0.78	4	منخفض جدًا
5	تم تدريب الموظفين على كيفية التعامل مع تقنيات المحادثة الذكية.	1.72	0.81	5	منخفض جدًا
إجمالية المحادثات الذكية		**1.82**	**0.80**	—	**منخفض**

تُظهر النتائج أن مستوى استخدام المحادثات الذكية في المؤسسات الحكومية العراقية **ضعيف للغاية**، إذ جاءت جميع الفقرات بأوساط حسابية أقل من (2,00)، ما يعكس **غيابًا شبه تام لتطبيق هذه التقنية في الواقع العملي**.ويبدو أن السبب الرئيس هو **نقص الوعي الإداري والتقني** بقدرات المحادثات الذكية، وغياب سياسات التحول الرقمي التي تسمح بتبنيها رسميًا.كما أن الفقرة الخامسة ("تم تدريب الموظفين على كيفية التعامل مع تقنيات المحادثة الذكية") جاءت بأدنى متوسط (1,72)، مما يؤكد **انعدام التدريب المتخصص في هذا المجال.**

4,3,3 التوليد الإبداعي للمحتوى (Creative Content Generation)

يُعبّر هذا البعد عن قدرة المؤسسات الحكومية على استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي لإنتاج محتوى إداري أو تواصلي أو معرفي، مثل إعداد التقارير والنشرات والمذكرات والسياسات العامة بشكل آلي واحترافي.ورغم أن هذه التقنيات أصبحت شائعة عالميًا في الوزارات والمؤسسات العامة، إلا أن **الواقع العراقي ما زال بعيدًا جدًا عن هذا المستوى**، حيث تفتقر المؤسسات إلى أي برامج أو أنظمة قادرة على توليد المحتوى الذكي.ويُظهر الجدول الآتي استجابات العينة حول هذا البعد:

جدول (6) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثالث التوليد الإبداعي للمحتوى من المتغير المستقل					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التطبيق
1	تُستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي في إعداد التقارير والنشرات الداخلية.	2.07	0.78	2	منخفض
2	يتم توليد محتوى تلقائي لصياغة مقترحات أو مشاريع سياسات عامة.	1.96	0.82	3	منخفض جدًا
3	تعتمد المؤسسة على الذكاء التوليدي في إنتاج المراسلات الرسمية أو الصياغة اللغوية.	2.11	0.74	1	منخفض
4	توجد برامج توليد ذكية تساعد في إعداد العروض التقديمية أو الخطط الإدارية.	1.89	0.81	4	منخفض جدًا
5	يتم تقييم جودة المحتوى التوليدي ومراجعته من قبل كوادر مختصة.	1.83	0.84	5	منخفض جدًا
	إجمالية التوليد الإبداعي للمحتوى	**1.97**	**0.80**	—	**منخفض جدًا**

تُظهر النتائج أن المؤسسات الحكومية العراقية **لا تمتلك أي ممارسات حقيقية في مجال التوليد الإبداعي للمحتوى**، إذ جاءت جميع الفقرات بمتوسطات أقل من (2,20)، ما يعكس واقعًا إداريًا يعتمد على العمل اليدوي التقليدي دون دعم تقني أو لغوي من الذكاء الاصطناعي.ويبدو أن هذا القصور يرتبط بعاملين رئيسين:الأول، **غياب الوعي بأهمية المحتوى التوليدي في تسريع العمل الإداري** وتطوير صياغة الوثائق الرسمية؛ والثاني، **محدودية البنية الرقمية** التي تسمح بدمج أدوات الذكاء التوليدي في بيئة العمل.كما تُشير الفقرة الخامسة ("يتم تقييم جودة المحتوى التوليدي ومراجعته من قبل كوادر مختصة") إلى أدنى مستوى بمتوسط (1,83)، وهو مؤشر على **انعدام الفرق الفنية المتخصصة بمراجعة المحتوى الذكي**، ما يعني غياب ثقافة "التحرير الرقمي" داخل الجهاز الحكومي العراقي.

4,3,4 دعم القرار (Decision Support)

يُعد دعم القرار من أهم أبعاد تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي، إذ يمثل المخرجات العملية النهائية لتحليل البيانات وتوليد المحتوى. فالذكاء التوليدي يُفترض أن يساعد الإدارات الحكومية على تحليل البدائل، وتقدير النتائج، واقتراح السياسات المثلى بناءً على بيانات واقعية. إلا أن **نتائج التحليل الميداني تعكس غيابًا شبه تام لهذا الدور في المؤسسات العراقية**، اذ تُتخذ أغلب القرارات الإدارية والسياسات العامة بناءً على الاجتهادات الفردية أو التقديرات الشخصية لا على تحليل علمي أو دعم خوارزمي.ويُبين الجدول التالي استجابات أفراد العينة حول هذا البعد:

توضح النتائج أن **مستوى تطبيق الذكاء الاصطناعي في دعم القرار بالمؤسسات العراقية ضعيف جدًا**، إذ جاءت جميع الفقرات دون المتوسط المقبول، مما يعني أن القرارات الحكومية تُبنى على **تقديرات بشرية تقليدية** وليس على بيانات أو مؤشرات تحليلية.ويُلاحظ أن الفقرة الثانية ("تعتمد الإدارة على نظم دعم القرار الذكية في صياغة السياسات العامة") جاءت بمتوسط منخفض جدًا (1,97)، وهو ما يُظهر **غياب البنية التحتية البرمجية** اللازمة لدعم اتخاذ القرار، فضلًا عن انعدام الخبرة في قراءة مخرجات الأنظمة التنبؤية.كما يشير الانحراف المعياري المرتفع (0,78) إلى **تباين في وعي العاملين الإداريين**،

إذ لم يسبق لغالبيتهم التعامل مع نظم دعم القرار أو الاطلاع على مخرجاتها.وتعكس هذه النتائج واقعًا إداريًا يتّسم بـ **المركزية في القرار، وضعف التحليل، وانعدام الدعم التقني**

جدول (7) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الرابع دعم القرار من المتغير المستقل					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التطبيق
1	تُستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي لتقديم بدائل متعددة قبل اتخاذ القرار الإداري.	2.08	0.79	3	منخفض
2	تعتمد الإدارة على نظم دعم القرار الذكية في صياغة السياسات العامة.	1.97	0.81	4	منخفض جدًا
3	تُحلّل الأنظمة الذكية النتائج المتوقعة للقرارات المقترحة.	2.11	0.77	2	منخفض
4	تتيح الأنظمة الذكية للمسؤولين تقارير فورية تساعد في اتخاذ القرار.	2.16	0.72	1	منخفض
5	تُستخدم نتائج النماذج التنبؤية في مراجعة أو تعديل القرارات السابقة.	1.89	0.83	5	منخفض جدًا
	إجمالية دعم القرار	**2.04**	**0.78**	—	**منخفض جدًا**

4,3,2 جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي

يُعبّر هذا المتغير الوسيط عن مستوى استعداد البيئة العراقية – بمؤسساتها وتشريعاتها وبناها التحتية – لاحتضان التحول التوليدي المبني على الذكاء الاصطناعي.

وفيما يأتي تحليل كل بُعد منها بالتفصيل:

4,3,2,1 البنية التحتية (Infrastructure)

تُعد البنية التحتية الرقمية الأساس المادي والتقني لأي عملية تحول توليدي في المؤسسات الحكومية. فهي تشمل تجهيزات الاتصالات، مراكز البيانات، الأنظمة السحابية، وشبكات الأمان المعلوماتي التي تمكّن من تشغيل تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي بفعالية. وقد جاءت نتائج استجابات العينة كما موضحة في الجدول الآتي:

جدول (8) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الاول البنية التحتية من المتغير الوسيط					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الجاهزية
1	تمتلك المؤسسة خوادم رقمية قوية قادرة على معالجة البيانات الضخمة.	2.14	0.74	2	منخفض
2	توجد شبكة اتصال داخلية مؤمنة تتيح نقل البيانات بكفاءة عالية.	2.23	0.70	1	منخفض
3	تتوافر أنظمة حماية وأمان معلوماتي ضد الهجمات السيبرانية.	2.08	0.78	3	منخفض
4	تمتلك المؤسسة أجهزة حديثة تدعم تشغيل تطبيقات الذكاء الاصطناعي.	2.01	0.82	4	منخفض جدًا
5	تتوافر مراكز بيانات أو بيئة سحابية لتخزين المعلومات ومعالجتها.	1.93	0.80	5	منخفض جدًا
	إجمالية البنية التحتية	**2.08**	**0.77**	—	**منخفض جدًا**

تشير النتائج إلى أن مستوى جاهزية البنية التحتية في المؤسسات الحكومية العراقية **ضعيف جدًا**، حيث جاءت جميع الفقرات بمتوسطات حسابية أقل من 2,30 وتُعد الفقرة الخامسة ("تتوافر مراكز بيانات

أو بيئة سحابية لتخزين المعلومات ومعالجتها") الأدنى بمتوسط (1,93)، مما يعكس **غياب البنى التقنية المركزيـــــة** التـــي تُعـــد شـــرطًا أساســـيًا لتطبيـــق الـــذكاء الاصـــطناعي التوليـــدي. كما يُلاحظ أن معظم المؤسسات تعتمد على **شبكات محلية محدودة وغير مؤمنة**، وتُدار تجهيزاتها بأساليب قديمة تفتقر إلى الكفاءة التشغيلية.

4,3,2,2 التشريعات (Legislation)

يُعد الإطار التشريعي أحد أهم ركائز نجاح التحول التوليدي في أي دولة، إذ يوفّر البيئة القانونية التي تنظّم استخدام الذكاء الاصطناعي وتحدّد المسؤوليات والضوابط الأخلاقية والخصوصية المعلوماتية.وقد عكست إجابات العينة هذا الضعف بوضوح كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (9) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثاني التشريعات من المتغير الوسيط					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الجاهزية
1	توجد قوانين وطنية تنظّم استخدام الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الحكومية.	1.79	0.83	4	منخفض جدًا
2	تمتلك المؤسسة لوائح داخلية أو تعليمات خاصة باستخدام التطبيقات الذكية.	1.88	0.81	2	منخفض جدًا
3	توجد جهة رقابية تتابع الاستخدام الأخلاقي للذكاء الاصطناعي.	1.72	0.84	5	منخفض جدًا
4	تتضمّن الاستراتيجيات الحكومية سياسات واضحة حول الذكاء الاصطناعي التوليدي.	1.85	0.80	3	منخفض جدًا
5	تصدر المؤسسة تقارير أو سياسات دورية حول أمن البيانات وحوكمتها.	1.91	0.77	1	منخفض جدًا
إجمالية التشريعات		**1.83**	**0.81**		**منخفض جدًا**

تُظهر النتائج أن البعد التشريعي في البيئة العراقية **هو الأضعف على الإطلاق** بين أبعاد الجاهزية، حيث سجلت جميع الفقرات أوساطًا حسابية دون (1,9)، ما يعكس غياب أي إطار قانوني أو تنظيمي خاص بالذكاء الاصطناعي.ويبدو أن سبب هذا الضعف يعود إلى **غياب الرؤية الحكومية الموحدة للتحول التكنولوجي**، وإلى أن التشريعات الحالية وُضعت لبيئة إدارية تقليدية لا تتعامل مع التطبيقات الذكية أو البيانات الضخمة.وتُعد الفقرة الثالثة ("توجد جهة رقابية تتابع الاستخدام الأخلاقي للذكاء الاصطناعي") من أكثر المؤشرات حساسية بمتوسط (1,72)، إذ تؤكد أن العراق لا يمتلك بعد **هيئات رقابية متخصصة بالأخلاقيات التقنية أو حوكمة الذكاء الاصطناعي.**

4,3,2,3 المهارات الإدارية (Managerial Skills)

تُعد المهارات الإدارية المكون البشري الأهم في منظومة الجاهزية للتحول التوليدي، إذ إن نجاح أي نظام ذكاء اصطناعي يعتمد أساسًا على كفاءة القيادات والموظفين في توظيفه داخل بيئة العمل. ورغم أن بعض الدول العربية بدأت بإدخال برامج تدريبية للقيادات الحكومية في مجال التحول الرقمي،

إلا أن **الواقع العراقي ما زال يعاني من ضعف حاد في المهارات الإدارية ذات الصلة بالتقنيات الذكية .** وقد جاءت استجابات العينة كما في الجدول (10).

تُظهر النتائج أن مستوى المهارات الإدارية في التعامل مع الذكاء الاصطناعي التوليدي داخل المؤسسات العراقية **ضعيف جدًا**، إذ بلغ المتوسط العام (2,04)، وهو ما يؤكد أن الكوادر الإدارية لم تُهيّأ بعد للتعامل مع بيئات العمل الذكية.وتُعد الفقرة الثانية ("تلقى العاملون تدريبًا عمليًا على استخدام الأنظمة الذكية") من أدنى الفقرات بمتوسط (1,91)، ما يعكس **غيابًا شبه تام لبرامج التدريب والتأهيل التكنولوجي** داخل الجهاز الحكومي.كما تُشير الفقرة الرابعة إلى أن القرارات لا تُبنى على نظم تحليلية، بل على الخبرة الشخصية، ما يُضعف فرص الابتكار المؤسسي ويحد من الفاعلية الإدارية. وتدل هذه النتائج على أن ضعف المهارات الإدارية يُعد من **أهم معوقات التحول التوليدي في العراق،**

جدول (10) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثالث المهارات الإدارية من المتغير الوسيط

رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الجاهزية
1	يمتلك القادة الإداريون معرفة كافية بمفاهيم الذكاء الاصطناعي التوليدي.	2.18	0.73	1	منخفض
2	تلقّى العاملون تدريبًا عمليًا على استخدام الأنظمة الذكية.	1.91	0.82	5	منخفض جدًا
3	يوجد في المؤسسة فريق متخصص في إدارة التحول الرقمي أو التوليدي.	2.05	0.77	3	منخفض
4	يتّخذ المديرون قرارات مبنية على مخرجات النظم الذكية.	1.97	0.80	4	منخفض جدًا
5	تشجّع القيادة الإدارية الموظفين على الابتكار واستخدام الأدوات الذكية.	2.09	0.75	2	منخفض
إجمالية المهارات الإدارية		**2.04**	**0.77**	—	**منخفض جدًا**

4,3,3 فاعلية صياغة السياسات العامة(Effectiveness of Public Policy Formulation)

يُعبّر هذا المتغير التابع عن قدرة المؤسسات الحكومية العراقية على إعداد السياسات العامة وتنفيذها بكفاءة وجودة وشفافية ومشاركة مجتمعية فعالة، بما ينسجم مع مبادئ الحوكمة الحديثة والإدارة الذكية. ويُفترض أن تسهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في **تحسين فاعلية السياسات العامة** من خلال تحليل المعطيات بدقة وتوليد البدائل واتخاذ القرارات المبنية على الأدلة..وقد تفرّع هذا المتغير إلى أربعة أبعاد رئيسة تمثل أركان فاعلية صياغة السياسات العامة وهي) **:الكفاءة، الجودة، الشفافية، والمشاركة(**، وفيما يأتي تحليل كل بُعد منها بالتفصيل.

4,3,3,1الكفاءة (Efficiency)

يُقصد بالكفاءة في سياق فاعلية صياغة السياسات العامة مدى قدرة المؤسسات الحكومية على استخدام الموارد المتاحة — البشرية والمادية والمعلوماتية — لتحقيق الأهداف بأقل تكلفة وجهد وزمن ممكن. وتُعد الكفاءة أحد المؤشرات الرئيسة لنجاح الإدارة العامة الحديثة، إذ تعتمد الدول المتقدمة على أنظمة تحليل ذكية لتقويم كفاءة الأداء وتوجيه السياسات. وجاءت استجابات العينة كما في الجدول (11).

جدول (11) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الاول الكفاءة من المتغير المعتمد					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الكفاءة
1	تُستخدم البيانات والتحليلات الذكية لتخصيص الموارد الحكومية بكفاءة.	2.16	0.75	2	منخفض
2	تمتلك المؤسسة آليات دقيقة لقياس كفاءة الأداء الإداري.	2.09	0.78	3	منخفض جدًا
3	تُحدّث الخطط والسياسات بناءً على مؤشرات كفاءة الأداء.	2.22	0.70	1	منخفض
4	يتم تقويم كفاءة الوحدات الإدارية بشكل دوري باستخدام أدوات رقمية.	1.95	0.83	4	منخفض جدًا
5	تُستخدم نظم الذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة الخدمات العامة.	1.87	0.81	5	منخفض جدًا
	إجمالية الكفاءة	**2.06**	**0.77**	—	**منخفض جدًا**

تشير النتائج إلى أن مستوى الكفاءة في المؤسسات الحكومية العراقية **ضعيف جدًا**، إذ لم تتجاوز أي فقرة متوسط (2,3). وهذا يُظهر أن عملية صياغة السياسات العامة ما تزال تعتمد على **الاجتهادات الفردية والتقارير الورقية**، دون وجود أدوات تحليل ذكية لقياس كفاءة الأداء. كما أن الفقرة الخامسة ("تُستخدم نظم الذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة الخدمات العامة") جاءت بأدنى متوسط (1,87)، مما يوضح **انعدام تام لاستخدام الذكاء الاصطناعي في تقويم أو رفع كفاءة الخدمات**.وتُعزى هذه النتائج إلى ضعف المعرفة التكنولوجية لدى القيادات، وعدم تخصيص موازنات كافية لتطوير نظم متابعة الأداء، إضافة إلى غياب التنسيق بين الجهات الحكومية في قياس الكفاءة المؤسسية.

4,3,3,2 الجودة (Quality)

تُشير الجودة في سياق السياسات العامة إلى مدى دقة وملاءمة وفاعلية القرارات والسياسات التي تصدرها المؤسسات الحكومية، ومدى توافقها مع المعايير المهنية وأهداف التنمية المستدامة. كما تعكس جودة السياسات قدرة المؤسسة على **صياغة قرارات مدروسة تعتمد على الأدلة والتحليل العلمي**. ويبيّن الجدول التالي استجابات العينة:

جدول (12) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثاني الجودة من المتغير المعتمد					
رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الجودة
1	تُبنى السياسات العامة على دراسات تحليلية دقيقة ومعطيات علمية موثوقة.	2.12	0.75	2	منخفض
2	يتم تقييم جودة القرارات والسياسات بعد تنفيذها بصورة منهجية.	2.08	0.78	3	منخفض جدًا
3	تراعي السياسات الحكومية المعايير الدولية في الجودة والحوكمة.	2.23	0.71	1	منخفض
4	تُستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة القرارات الحكومية.	1.89	0.82	5	منخفض جدًا
5	تتوافر في المؤسسة وحدة أو قسم مختص بضمان الجودة المؤسسية.	2.01	0.80	4	منخفض
	إجمالية الجودة	**2.07**	**0.77**	—	**منخفض جدًا**

تشير النتائج إلى أن جودة السياسات العامة في العراق **تعاني من ضعف جوهري** في جميع مراحلها: من التخطيط إلى التقييم، إذ لم تتجاوز أي فقرة المتوسط 2,3. وتُعد الفقرة الرابعة ("تُستخدم أدوات الذكاء

الاصطناعي في تحسين جودة القرارات الحكومية") الأدنى بمتوسط (1,89)، ما يعكس **انعدام استخدام أدوات الذكاء التوليدي في تقييم أو رفع جودة القرارات**، مما يجعل صياغة السياسات عملية بشرية محضة خالية من الدعم التحليلي.كما يُلاحظ أن غياب وحدات "إدارة الجودة" أو ضعف فاعليتها (الفقرة 5، بمتوسط 2,01) أدى إلى غياب منهجية التقويم المستمر، لتتحول القرارات إلى **ردود أفعال وقتية** لا تستند إلى إطار مؤسسي أو معايير واضحة للجودة.ويرتبط هذا الضعف ببنية إدارية مركزية وبثقافة عمل تقليدية لا تعترف بمفهوم "تحسين الجودة المستمر" الذي يُعد من ركائز الإدارة الحديثة.

4,3,3,3 الشفافية (Transparency)

تُعد الشفافية من أبرز مقومات فاعلية السياسات العامة، إذ تضمن وضوح المعلومات الحكومية، وإمكانية الوصول إليها، ومساءلة صُنّاع القرار أمام الجمهور. كما ترتبط الشفافية في الإدارة الحديثة باستخدام التقنيات الرقمية التي تتيح نشر البيانات وتحليلها بشكل مفتوح. ويظهر ذلك بوضوح في الجدول الآتي:

جدول (13) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الثالث الشفافية من المتغير المعتمد

رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الشفافية
1	تنشر المؤسسة تقاريرها وبياناتها المالية والإدارية بشكل دوري.	2.14	0.76	1	منخفض
2	يمكن للجمهور الوصول إلى المعلومات الحكومية إلكترونيًا بسهولة.	1.96	0.81	4	منخفض جدًا
3	تُستخدم الأنظمة الذكية لتعزيز الإفصاح والمساءلة المؤسسية.	1.88	0.83	5	منخفض جدًا
4	تتوافر سياسات واضحة لحماية البيانات وضمان الخصوصية والشفافية.	2.09	0.78	2	منخفض
5	تتعامل الإدارة العليا بانفتاح مع وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني.	2.02	0.80	3	منخفض
	إجمالية الشفافية	**2.02**	**0.80**	—	**منخفض جدًا**

تشير النتائج إلى أن الشفافية المؤسسية في العراق **ضعيفة للغاية**، إذ لم تتجاوز أي فقرة المتوسط 02,2 ويُلاحظ أن الفقرة الثانية ("يمكن للجمهور الوصول إلى المعلومات الحكومية إلكترونيًا بسهولة") جاءت بمتوسط منخفض جدًا (1,96)، ما يعكس **قصورًا شديدًا في نظم الإفصاح الإلكتروني**، إذ ما تزال المعلومات تُدار ورقيًا وبصورة مغلقة.كما أن غياب الأنظمة الذكية لتعزيز المساءلة (الفقرة 3, بمتوسط 1,88) يُشير إلى أن الذكاء الاصطناعي لم يُوظف بعد كأداة للرقابة أو الشفافية العامة. وتُظهر النتائج أن مؤسسات الدولة لا تمتلك **سياسات اتصال مؤسسي فعالة**، وأن البيانات تُعامل على أنها ملك إداري لا حق عام، ما يضعف ثقة المواطنين ويزيد الفجوة بين الحكومة والمجتمع.

ويُستنتج أن غياب الشفافية في العراق يرتبط بثلاثة عوامل رئيسة: كنقص البيئة الرقمية، وضعف الثقافة القانونية، وغياب المساءلة الرقمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي.

4,3,3.4 المشاركة (Participation)

تُشير المشاركة في سياق صياغة السياسات العامة إلى درجة إشراك المواطنين، ومنظمات المجتمع المدني، والقطاع الخاص، والجهات الأكاديمية في مراحل إعداد السياسات وتنفيذها وتقييمها. وتُعد المشاركة المجتمعية مبدأً أساسياً في الإدارة الحديثة، لأنها تُسهم في تعزيز الشفافية، وتحسين جودة القرارات، وزيادة شرعية السياسات الحكومية. ويُبيّن الجدول التالي نتائج استجابات العينة:

جدول (14) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير الفرعي الرابع المشاركة من المتغير المعتمد

رقم الفقرة	نص الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى المشاركة
1	تُشرك المؤسسة أصحاب المصلحة في مناقشة مشاريع السياسات الجديدة.	2.04	0.78	1	منخفض
2	يتم استمزاج آراء المواطنين أو المستفيدين قبل تنفيذ القرارات العامة.	1.97	0.82	3	منخفض جدًا
3	تُنظم المؤسسة حوارات أو استبيانات عامة لقياس رضا الجمهور.	1.91	0.80	4	منخفض جدًا
4	توجد قنوات إلكترونية تفاعلية لتلقي مقترحات الجمهور بشأن السياسات.	1.88	0.81	5	منخفض جدًا
5	يتم إشراك منظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص في تقييم السياسات.	2.02	0.77	2	منخفض
	إجمالية المشاركة	**1.96**	**0.80**	—	**منخفض جدًا**

تُظهر النتائج أن **ثقافة المشاركة المؤسسية في العراق شبه غائبة**، إذ جاءت جميع الفقرات بأوساط حسابية دون (2,1)، ما يدل على أن عملية صنع السياسات العامة تتم **بشكل مغلق ومركزي** دون مساهمة فعلية من المجتمع.وتُعد الفقرة الرابعة ("توجد قنوات إلكترونية تفاعلية لتلقي مقترحات الجمهور بشأن السياسات") الأدنى بمتوسط (1,88)، وهو ما يؤكد أن **التحول الرقمي في العمل الحكومي لم يُستثمر بعد لتعزيز المشاركة الإلكترونية أو ما يُعرف بـ«الحكومة التفاعلية.»** كما أظهرت النتائج أن الجهات الحكومية لا تُجري استمزاجًا لآراء المستفيدين (الفقرة 2) ولا تنفذ استطلاعات رضا الجمهور بشكل منهجي (الفقرة 3)، ما يُضعف فاعلية السياسات ويزيد الفجوة بين المواطن وصانع القرار.

4.4. اختبار الفرضيات :

4,4,1 اختبار الفرضية الأولى (H1)

وضعت الفرضية الاولى التي تنص (يُظهر العاملون في المؤسسات الحكومية العراقية مستوى دالًا من استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي بأبعادها (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار) في أداء أعمالهم وصياغة السياسات العامة.

تم اختبار هذه الفرضية باستخدام **اختبار (One Sample t-Test)** للتحقق مما إذا كان المتوسط الحسابي الكلي لاستجابات العينة يختلف دالًا إحصائيًا عن القيمة المحايدة (3) في مقياس ليكرت الخماسي.وجاءت النتائج لتُظهر أن جميع المتوسطات أقل من القيمة المحايدة وبمستوى دلالة (Sig<0.05)، مما يقود إلى **رفض الفرضية الصفرية** وقبول البديلة التي تُشير إلى أن مستوى استخدام

الذكاء التوليدي في المؤسسات الحكومية **منخفض ودال إحصائيًا**.وهذا يعكس واقعًا مؤكدًا يتمثل في غياب التطبيق الفعلي للذكاء الاصطناعي في العمل الحكومي العراقي.

4,4,2 الفرضية الثانية :(H2) اختبار فرضيات الارتباط

وضعت الفرضية الثانية التي تنص (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** بأبعادها (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، دعم القرار)، و**فاعلية صياغة السياسات العامة** بأبعاده) الكفاءة، الجودة، الشفافية، المشاركة (في البيئة العراقية.

جدول (15): معاملات الارتباط ومستوى المعنوية (Sig) بين أبعاد المتغيرين(n = 150)

أبعاد فاعلية السياسات(Y)	تحليل البيانات(X1)		المحادثات الذكية (X2)		التوليد الإبداعي (X3)		دعم القرار(X4)		الإجمالي(X)	
	r	Sig	r	Sig	r	Sig	r	Sig	r	Sig
الكفاءة (Y1)	.23	.004	.18	.021	.21	.008	.28*	.001	.26*	.002
الجودة(Y2)	.17	.029	.14	.072	.19	.015	.25*	.002	.23	.004
الشفافية(Y3)	.15	.047	.11	.154	.13	.089	.21	.008	.18	.021
المشاركة(Y4)	.19	.014	.16	.037	.17	.029	.27*	.001	.22	.006
الإجمالي(Y)	.22*	.006	.17	.030	.20	.010	.29**	<.001	—	—

*دالّ عند 0,05 ** دالّ عند 0,01

تشير نتائج الجدول إلى وجود **علاقات ارتباط موجبة وضعيفة** بين بعد *تحليل البيانات* وأبعاد فاعلية صياغة السياسات العامة، تراوحت قيمها بين (0,15–0,25). وجاءت أعلى علاقة مع بُعد **الكفاءة** (r=0.23,Sig=0.004)، ما يعني أن استخدام التحليل الإحصائي والرقمي ينعكس بدرجة محدودة على رفع كفاءة الأداء الحكومي. ومع ذلك، تبقى الدلالات ضعيفة نسبيًا بسبب محدودية توظيف أدوات التحليل في المؤسسات العراقية التي غالبًا تعتمد على التقارير الورقية والتقديرات الشخصية. ضعف هذه العلاقة يعكس **نقص ثقافة اتخاذ القرار المبني على البيانات** وضعف البنية التحتية التحليلية داخل المؤسسات العامة.

جاءت قيم معاملات الارتباط بين *المحادثات الذكية* وأبعاد فاعلية السياسات العامة منخفضة وغير دالّة في معظمها (r) تراوح بين 0,11–0,18 يُظهر ذلك أن المؤسسات الحكومية العراقية **لا تمتلك نظم تفاعلية أو روبوتات محادثة أو منصات ذكاء اصطناعي للتواصل مع المواطنين أو الموظفين** .ضعف هذا البعد يعكس **قصورًا إداريًا وثقافيًا** في إدراك دور تقنيات الحوار الذكي في تعزيز الشفافية والتواصل المؤسسي. وتُظهر القيم أن الموظفين لا يلمسون أي فائدة عملية من تطبيقات الذكاء المحادثي في بيئة العمل، مما يفسر **الإجابات السلبية** التي عبّر عنها أغلب أفراد العينة.

أظهرت النتائج أن بُعد **التوليد الإبداعي للمحتوى** يرتبط إيجابيًا ولكن بدرجة ضعيفة مع فاعلية صياغة السياسات (r) تراوح بين 0,13–0,21 يدل ذلك على أن بعض المؤسسات بدأت باستخدام

أدوات رقمية لإعداد تقارير أو ملخصات أو عروض تقديمية، لكنها **ما زالت في مراحلها الأولية جدًا** . الارتباط الضعيف مع أبعاد الشفافية والمشاركة يوضح أن الذكاء التوليدي لم يُستثمر في صياغة الخطاب العام أو إشراك الجمهور، ما يجعل هذا البعد **أداة تقنية غير مستثمرة** في مجال الإدارة العامة. الانخفاض العام في القيم يدل على **غياب الإبداع المؤسسي الرقمي**، وهو انعكاس مباشر لضعف الاستثمار بالتدريب التقني.

سجل هذا البعد **أعلى قيم الارتباط في الجدول**، خصوصًا مع الكفاءة (r=0.28, Sig=0.023) ومع المشاركة .(r=0.27, Sig=0.019) هذا يشير إلى أن بعض المؤسسات بدأت تعتمد جزئيًا على **تحليل البيانات والذكاء الاصطناعي لدعم متخذي القرار**، خصوصًا في مجالات الاقتصاد والخدمات. إلا أن قوة العلاقة تبقى محدودة، ما يعني أن الاستخدام لا يزال تجريبيًا أو فرديًا وليس نظاميًا. ارتفاع هذا البعد مقارنة بغيره يوضح أن الذكاء الاصطناعي **أكثر قبولًا عندما يُقدّم دعمًا عمليًا مباشرًا**، بينما لا يُستخدم كأداة لصياغة أو تطوير السياسات.

يُظهر التحليل الكلي أن العلاقة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي وفاعلية صياغة السياسات العامة **موجبة لكنها ضعيفة** .(r = 0.22, Sig = 0.006) هذه النتيجة تتوافق مع الاتجاه العام في **الوصف الإحصائي** الذي كشف عن انخفاض المتوسطات الحسابية وارتفاع الإجابات السلبية. يمكن القول إن العلاقة النظرية بين الذكاء التوليدي والسياسات العامة موجودة على الورق فقط، في حين يظل **التطبيق الواقعي شبه معدوم** .هذا الضعف يعكس البيئة العراقية التي تتسم **بنقص البنية التحتية الرقمية، وقصور التشريعات، وضعف المهارات الإدارية**، مما يجعل التحول التوليدي مجرد توجه نظري لم يتحول إلى ممارسة فعلية.

4,4,3: اختبار الفرضية الثالثة: (H3)

توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي بأبعادها (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار) وجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي بأبعادها (البنية التحتية، التشريعات، والمهارات الإدارية).

جدول (16) معاملات الارتباط بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي وجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي

أبعاد الجاهزية للتحول التوليدي(Z)	تحليل البيانات (X1)		المحادثات الذكية (X2)		التوليد الإبداعي للمحتوى(X3)		دعم القرار (X4)		الإجمالي(X)	
	r	Sig	r	Sig	r	Sig	r	Sig	r	Sig
البنية التحتية(Z1)	.31*	.012	.24	.036	.27*	.021	.34**	.007	.30*	.015
التشريعات(Z2)	.28*	.018	.19	.067	.23	.041	.29*	.020	.26*	.028
المهارات الإدارية(Z3)	.33**	.009	.27*	.024	.31*	.015	.36**	.005	.33**	.008
الإجمالي(Z)	.32**	.010	.23	.043	.27*	.022	.35**	.006	—	—

*دالّ عند مستوى 0,05 **دالّ عند مستوى 0,01

أظهرت النتائج ارتباطات دالّة وموجبة بين **تحليل البيانات** وأبعاد الجاهزية الثلاثة، وأقواها مع **المهارات الإدارية** .(r=0.33, Sig=0.009) يدل ذلك على أن توافر القدرات التحليلية يسهم في تعزيز مهارات المديرين في قراءة المؤشرات وصنع القرار. إلا أن العلاقة الضعيفة مع **التشريعات (r = 0.28)** تعكس غياب الأطر القانونية التي تنظم استخدام البيانات داخل المؤسسات الحكومية. بوجه عام، فإن تحليل البيانات يمثل **المدخل العملي الأهم لتحسين جاهزية البيئة المؤسسية** في العراق.

جاءت علاقات الارتباط الخاصة بالمحادثات الذكية ضعيفة وغير دالّة في أغلبها r) تراوح بين (0,27–0,19) .وهذا متوقع في ظل **غياب أنظمة الذكاء التفاعلي** من بيئة العمل العراقية، سواء للتواصل الداخلي أو تقديم الخدمات العامة. ضعف العلاقة مع **البنية التحتية (r=0.24)** يعكس أن المؤسسات لا تمتلك بنية اتصالية رقمية تسمح بتطبيق تقنيات المحادثة الذكية، ما يوضح بجلاء **الفجوة الرقمية** في قطاع الخدمات الحكومية.

وجاءت علاقة الارتباط للتوليد الابداعي متوسطًة ودالًّا نسبيًا (r = 0.27) مع البنية التحتية و = r) (0.31 مع المهارات الإدارية .(هذه النتائج تُظهر أن المؤسسات التي تمتلك قدرًا أكبر من البنية الرقمية والمهارات البشرية قادرة على استخدام الذكاء التوليدي في إعداد محتوى أو وثائق أو سياسات أولية. ومع ذلك، فإن التأثير العام ما يزال محدودًا بسبب **ضعف تمكين الكوادر في التعامل مع أدوات التوليد النصي** وعدم توافر تراخيص رسمية أو بيئات عمل مهيأة لذلك.

اما البعد دعم القرار فقد سجل هذا البعد أعلى درجات الارتباط في الجدول، خاصة مع **المهارات الإدارية (r=0.36, Sig=0.005)** و**البنية التحتية .(r=0.34, Sig=0.007)** هذا يدل على أن مؤسسات تمتلك قدرًا من الجاهزية التقنية تستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي لدعم قراراتها الإدارية، ولو بصورة محدودة. يوضح ذلك أن **دعم القرار هو البوابة الفعلية لتقوية العلاقة بين الذكاء التوليدي والجاهزية المؤسسية**، مما يجعله البعد الأكثر نضجًا من بين مكونات المتغير المستقل.

بلغت قيمة الارتباط الكلي (r=0.32, Sig=0.010) ، وهي دالّة عند مستوى 0,01 ما يدل على وجود علاقة موجبة متوسطة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي وجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي. إلا أن هذه العلاقة تبقى محدودة بسبب **هيمنة الإجابات السلبية** التي عكست ضعف الاستعداد البنيوي والتشريعي، فضلًا عن غياب مهارات القيادة الرقمية.يمكن القول إن الجاهزية المؤسسية في العراق ما زالت **قيد التشكّل**، وأن تعزيز تطبيقات الذكاء التوليدي يمكن أن يكون **محفزًا جوهريًا لتسريع التحول المؤسسي** إذا ما ترافقت معه إصلاحات تشريعية وبنى تحتية داعمة.

4,4,4 الفرضية الرابعة (فرضيات التاثير) :(H4)

تؤثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي بأبعادها (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي للمحتوى، ودعم القرار) تأثيرًا إيجابيًا ذا دلالة معنوية في فاعلية صياغة السياسات العامة في البيئة العراقية.

جدول (17) نتائج تحليل لأثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي في فاعلية صياغة السياسات العامة				
المتغير المستقل	**معامل التأثير(β)**	**القيمة المعنوية(Sig)**	**القوة التفسيرية(R^2)**	**الدلالة**
تحليل البيانات(X1)	0.238	0.019	0.057	دالّ عند 0,05
المحادثات الذكية(X2)	0.107	0.182	0.012	غير دالّ
التوليد الإبداعي(X3)	0.172	0.063	0.030	قريب من الدلالة
دعم القرار(X4)	0.301	0.007	0.091	دالّ عند 0,01
النموذج الكلي	—	**0.000**	**0.27**	**دالّ جدًا**

أظهر تحليل البيانات تأثيرًا إيجابيًا دالًا (β=0.238، Sig=0.019)، مما يعني أن أي تقدم في تحليل البيانات ينعكس بشكل مباشر على رفع كفاءة السياسات العامة. لكن ضعف القيمة(R^2=0.057) يشير إلى أن المؤسسات لا تزال تتعامل مع البيانات بصورة سطحية، غالبًا في تقارير وصفية لا تحليلية. وهذا يُظهر أن التأثير الفكري للذكاء التوليدي لم يتحول بعد إلى نظام مؤسسي راسخ.

جاء تأثير المحادثات الذكية ضعيفًا وغير دال(β = 0.107)، (Sig = 0.182)، ما يعني غياب أي تأثير فعلي لهذا البعد في دعم السياسات. ويعزى ذلك إلى أن المؤسسات الحكومية العراقية لم تدمج أنظمة الذكاء التفاعلي في التواصل أو خدمة المواطن، مما يجعل هذا البعد الأقل فاعلية والأكثر تأثرًا بضعف البنية الرقمية.

اما التوليد الإبداعي فقد سجّل تأثيرًا متوسطًا(β = 0.172) ، (Sig = 0.063)، وهو قريب من حدّ الدلالة. يشير ذلك إلى وجود محاولات محدودة لاستخدام الذكاء التوليدي في صياغة تقارير أو مقترحات، لكن ضعف المهارات التحريرية والتقنية يحدّ من تحويل هذا البعد إلى أداة تحليل سياسي فعّالة.

اما بعد دعم القرار فقد أثبت أعلى تأثير في النموذج (β=0.301)، (Sig=0.007) وهذا يدل على أن الذكاء الاصطناعي عندما يُستخدم لدعم القرارات الإدارية أو التنفيذية يترك أثرًا ملموسًا على جودة السياسات. ومع ذلك، يبقى التأثير محصورًا في إدارات معينة تمتلك بعض الخبرة الرقمية ولا يمتد إلى جميع الوزارات.

فسّر النموذج حوالي 27% من التباين في فاعلية السياسات العامة .(R^2 = 0.27) ورغم دلالته الإحصائية العالية، إلا أن حجم الأثر يبقى ضعيفًا نسبيا، مما يعكس استمرار **الإجابات السلبية** التي تعكس جهلًا واضحًا بالتطبيقات الذكائية في القطاع العام. هذا يعني أن الذكاء التوليدي يمتلك قابلية تأثير لكن بيئة العمل العراقية لم تستوعب بعد إمكاناته الوظيفية والإدارية.

4,4,5الفرضية الخامسة :(H5) تأثير المتغير الوسيط في المتغير التابع

تؤثر جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي بأبعادها (البنية التحتية، التشريعات، المهارات الإدارية) تأثيرًا إيجابيًا ذا دلالة معنوية في فاعلية صياغة السياسات العامة في البيئة العراقية.

جدول (18) **نتائج تحليل الانحدار الخطي لجاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي في فاعلية صياغة السياسات العامة**				
أبعاد الجاهزية المؤسسية(Z)	**معامل التأثير(β)**	**القيمة المعنوية(Sig)**	**القوة التفسيرية(R^2)**	**الدلالة**
البنية التحتية (Z1)	0.274	0.013	0.075	دالّ عند 0,05
التشريعات (Z2)	0.238	0.021	0.057	دالّ عند 0,05
المهارات الإدارية (Z3)	0.321	0.006	0.103	دالّ عند 0,01
النموذج الكلي (Z)		**0.000**	**0.29**	**النموذج دالّ جدًا**

أظهرت النتائج أن **البنية التحتية التقنية** تؤثر بشكل دالّ في فاعلية صياغة السياسات فقد جاءت (β=0.274, Sig=0.013)، ما يؤكد أن المؤسسات التي تمتلك شبكات رقمية، أنظمة حوسبة، وأجهزة متطورة أكثر قدرة على صياغة وتنفيذ السياسات بكفاءة. ومع ذلك، فإن انخفاض القوة التفسيرية (R^2 = 0.075) يشير إلى أن مستوى البنية التحتية في العراق **ما يزال محدودًا وغير كافٍ** لتحقيق التحول التوليدي الكامل. كثير من المؤسسات الحكومية ما زالت تعتمد على أنظمة تشغيل قديمة أو جزئية، مما يقلل من أثر هذه البنية في تطوير السياسات العامة.

أظهر بعد التشريعات تأثيرًا دالًا (β=0.238, Sig=0.021) ، لكنه أقل من تأثير البنية التحتية. يوضح ذلك أن البيئة القانونية في العراق **لا تزال في طور التأسيس** لدعم استخدام الذكاء الاصطناعي في العمل الحكومي. ضعف التشريعات الخاصة بحماية البيانات وتنظيم الذكاء الاصطناعي يُعد من أهم المعوقات أمام تبني هذه التقنيات. ومع ذلك، يظل هذا الأثر الإيجابي مؤشرًا على أن **تحسين البيئة التشريعية** يمكن أن يرفع فاعلية السياسات العامة بشكل ملموس مستقبلاً.

اما بعد المهارات الإدارية فقد كان **الأكثر تـأثيرًا** بين أبعاد الجاهزية المؤسسية (β=0.321, Sig=0.006, R^2=0.103). يدل ذلك على أن مستوى المهارات الرقمية والإدارية لدى صناع القرار هو العامل الأكثر حسماً في توظيف الذكاء الاصطناعي لخدمة السياسات العامة. المؤسسات التي تمتلك قادة إداريين على دراية بالتكنولوجيا تُظهر قدرة أعلى على التخطيط، التنسيق، والمتابعة الفعّالة. ضعف هذا البعد في بقية المؤسسات يفسّر **الإجابات السلبية** التي وردت في الاستبانة، والتي عكست غياب التدريب والوعي المهني بالذكاء التوليدي.

يُلاحظ أن التأثيرات الثلاثة متداخلة؛ إذ تؤثر البنية التحتية في التشريعات من خلال تمكين تطبيقها، بينما تعزز التشريعات تطوير المهارات الإدارية. هذا الترابط يوضح أن جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي **تتطلب تكاملًا مؤسسيًا** لا مجرد تحسّن في أحد الأبعاد. غياب هذا التكامل هو ما يحدّ من تحقيق أثر واضح في السياسات العامة.

بلغت القوة التفسيرية الإجمالية للنموذج (R^2 = 0.29) ، أي أن أبعاد الجاهزية المؤسسية مجتمعة تفسر نحو **29% من التباين في فاعلية صياغة السياسات العامة** .هذه النسبة، رغم دلالتها العالية (Sig = 0.000)، تؤكد أن الجاهزية العراقية ما زالت جزئية وغير مستقرة، وأن السياسات العامة لا تزال تصاغ في بيئة **ضعيفة البنية رقمياً ومحدودة المهارة إداريًا**.يمكن القول إن **المهارات الإدارية** تمثل نقطة

الارتكاز الأساسية في بناء جاهزية بيئة التحول التوليدي في العراق، وأن نجاح تطبيقات الذكاء الاصطناعي يعتمد على الاستثمار في **الإنسان قبل التقنية.**

4,4,6 الفرضية السادسة :(H6) اختبار التأثير الوسيط لجاهزية البيئة العراقية

تؤثر جاهزية البيئة العراقية للتحول التوليدي بأبعادها (البنية التحتية، التشريعات، المهارات الإدارية) تأثيرًا وسيطًا ذا دلالة معنوية في العلاقة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي وفاعلية صياغة السياسات العامة في المؤسسات الحكومية العراقية.

جدول (19) **نتائج تحليل المسار (Path Analysis) لقياس الدور الوسيط لمتغير الجاهزية المؤسسية**

المسار	معامل التأثير (β)	القيمة المعنوية (Sig)	نوع العلاقة	دلالة الوساطة
X → Y (المسار المباشر دون وسيط)	0.298	0.007	تأثير مباشر	دالّ عند0,01
X → Z (المسار من المستقل إلى الوسيط)	0.352	0.005	تأثير مباشر	دالّ عند 0,01
Z → Y (المسار من الوسيط إلى التابع)	0.327	0.006	تأثير مباشر	دالّ عند 0,01
X → Z → Y (الأثر غير المباشر الكلي)	0.115	—	تأثير غير مباشر	دالّ) اختبار سوبل = 2,09, p = 0.037)
النموذج الكلي(R^2)	—	**0.000**	**تفسير 36% من التباين في Y**	**وساطة جزئية دالّة**

أظهر المسار المباشر بين **تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي** و**فاعلية السياسات العامة** تأثيرًا دالًا .(β=0.298, Sig=0.007) يدل ذلك على أن الذكاء التوليدي يسهم بحدود معينة في تحسين كفاءة السياسات العامة، لكن التأثير يظل محدودًا بسبب ضعف البيئة الداعمة. هذه النتيجة تتفق مع ما ورد في الفرضية السابقة حول الارتباط الضعيف والمحدودية في التطبيق الواقعي.

جاءت العلاقة بين المتغير المستقل والوسيط قوية نسبيًا (β=0.352, Sig=0.005) ، ما يؤكد أن توسع استخدام تطبيقات الذكاء التوليدي يرتبط بتحسن تدريجي في مستوى الجاهزية المؤسسية. المؤسسات التي بدأت بتبني الذكاء الاصطناعي في التحليل والدعم الإداري بدأت تطوّر بنيتها الرقمية وتشجع على التدريب الإداري، مما يشير إلى **تأثير تبادلي إيجابي** بين التكنولوجيا والجاهزية التنظيمية.

تُظهر النتائج تأثيرًا دالًا وواضحًا(β=0.327, Sig=0.006) ، مما يعني أن تحسّن البنية التحتية والتشريعات والمهارات الإدارية يؤدي إلى ارتفاع ملموس في فاعلية صياغة السياسات العامة. ويُعد هذا المسار أحد أقوى المؤشرات الإحصائية في النموذج، إذ يوضّح أن **الجاهزية المؤسسية هي البوابة الفعلية لتحويل الذكاء التوليدي إلى أداء إداري فعّال.**

بلغ الأثر غير المباشر (0,115) دالًا حسب اختبار **Sobel (z=2.09, p=0.037)**، مما يثبت أن الجاهزية المؤسسية **تلعب دورًا وسيطًا جزئيًا** في العلاقة بين الذكاء التوليدي والسياسات العامة. بمعنى آخر، حتى لو توفرت تقنيات الذكاء الاصطناعي، فإن غياب بيئة جاهزة سيحدّ من تأثيرها. هذه النتيجة تؤكد أن التقدّم التكنولوجي وحده **لا يكفي ما لم يرافقه تحول إداري وتشريعي.**

فسّر النموذج الكلي حوالي **36% من التباين في فاعلية السياسات العامة (R^2=0.36)** ، وهو أعلى من نموذج التأثير المباشر (0,27). وهذا يؤكد أن إدخال متغير الجاهزية المؤسسية **عزّز من تفسير الظاهرة الإدارية** ورفع قدرة النموذج على تفسير الأداء المؤسسي.بناءً على هذه النتائج، **تُرفض الفرضية الصفرية وتُقبل الفرضية البديلة (H4)** التي تنص على وجود تأثير وسيط دالّ للجاهزية المؤسسية في العلاقة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي وفاعلية صياغة السياسات العامة.

5. الاستنتاجات والتوصيات :

5.1. الاستنتاجات

1. أظهرت النتائج أن **المستوى العام لتطبيقات الذكاء التوليدي في المؤسسات العراقية ضعيف جدًا**، إذ غلبت الإجابات السلبية، مما يشير إلى **غياب التجربة المؤسسية الفعلية** في توظيف الذكاء الصناعي.
2. لوحظ أن استخدام أدوات التحليل الذكي يقتصر على المهام الإحصائية البسيطة ولا يمتد إلى التحليل التنبؤي أو الفهم العميق للأنماط.
3. **المحادثات الذكية** فكانت أقل الأبعاد، حيث تكاد تنعدم في المؤسسات الحكومية أنظمة المحادثة التفاعلية أو المساعدات الذكية.
4. أظهر بعد **التوليد الإبداعي للمحتوى** ضعفًا شديدًا نتيجة **غياب ثقافة المحتوى الذكي المؤسسي.**
5. تبين ان بعد **دعم القرار** كان الأعلى نسبيًا، مما يدل على أن بعض المؤسسات بدأت تتعامل مع أدوات تحليل بسيطة تدعم القرار الإداري، لكن بصورة محدودة وغير منهجية.
6. تبيّن أن أبعاد فاعلية السياسات (الكفاءة، الجودة، الشفافية، المشاركة) جاءت جميعها بمستوى **أقل من المتوسط**.وتعكس النتائج أن عملية صياغة السياسات في البيئة العراقية ما زالت **تقليدية، فردية، ومرتبطة بالتجربة الشخصية أكثر من البيانات أو النماذج الذكية**، خصوصًا في بعدي الشفافية والمشاركة اللذين سجّلا أدنى المتوسطات.
7. أظهرت النتائج أن الجاهزية الرقمية والمؤسسية ما تزال **في مرحلة مبكرة جدًا**. فبعد **البنية التحتية** يعاني من ضعف شبكات الاتصال وتشتت الأنظمة بين الوزارات.أما **التشريعات** فغالبًا غير محدثة ولا تغطي الذكاء الاصطناعي أو حماية البيانات.وبعد **المهارات الإدارية** جاء أدناها، مما يعكس **غياب التدريب والتأهيل في تقنيات الذكاء التوليدي** لدى القيادات الحكومية.النتيجة العامة هنا تؤكد أن العراق ما زال بعيدًا عن تبنّي الذكاء التوليدي بشكل مؤسسي، رغم وجود إدراك أولي بأهميته.
8. أظهرت أن الاستبانة **ذات ثبات عالٍ** ويمكن الاعتماد عليها.كما بيّنت اختبارات الصدق البنائي أن الفقرات **تقيس فعلاً المفاهيم النظرية المحددة**، وهو ما يدعم صلاحية الأداة الإحصائية للقياس.ومع ذلك، فإن طبيعة الإجابات (السلبية والمتوسطة) تعكس أن القياس كشف بدقة **الضعف الحقيقي في التطبيق** وليس ضعف الأداة نفسها.

9. أظهرت نتائج الارتباط أن العلاقات بين أبعاد الذكاء التوليدي (تحليل البيانات، المحادثات الذكية، التوليد الإبداعي، دعم القرار) وأبعاد فاعلية السياسات العامة (الكفاءة، الجودة، الشفافية، المشاركة) كانت **موجبة لكنها ضعيفة ودون الدلالة في أغلبها**.الاستثناء الوحيد كان بعد **دعم القرار** الذي أظهر علاقة ارتباط متوسطة مع بعدي الكفاءة والجودة، مما يعني أن **أي مبادرات رقمية ناجحة في الحكومة العراقية ترتبط غالبًا بصنع القرار الإداري وليس بالتخطيط السياسي**.النتيجة العامة :**العلاقات الإحصائية الضعيفة تُعبّر عن انفصال واضح بين التقنية والسياسة في البيئة العراقية.**

10. نتائج تحليل الانحدار الخطي أثبتت أن بعدي **تحليل البيانات** و**دعم القرار** هما الأكثر تأثيرًا في فاعلية صياغة السياسات العامة، لكن التأثير العام للموديل كان **متوسطًا.(R^2=0.27)** هذا يبيّن أن **الذكاء الاصطناعي قادر على دعم السياسات إذا استُخدم بشكل مؤسسي**، لكن تطبيقاته الحالية ما زالت **جزئية وغير متكاملة**.في المقابل، لم يكن للمحادثات الذكية أو التوليد الإبداعي أي تأثير دال، وهو ما يعكس **ضعف البنية التفاعلية في المؤسسات الحكومية العراقية.**

11. أظهرت النتائج أن **جاهزية البيئة المؤسسية** تمثل **وسيطًا جزئيًا دالًا** بين الذكاء التوليدي والسياسات العامة.فكلما تحسّنت **البنية التحتية، والتشريعات، والمهارات الإدارية**، زاد تأثير الذكاء التوليدي في رفع كفاءة السياسات.النتيجة العامة :**التحول التكنولوجي دون تحول مؤسسي وتشريعي لن يؤدي إلى نتائج سياسية فعالة**، مما يؤكد أن الإصلاح الإداري هو الشرط الأساس قبل التحول الذكائي.

12. تعكس نتائج جميع الاختبارات أن **الذكاء الاصطناعي التوليدي في العراق ما زال في المرحلة الوصفية لا التطبيقية**.فالتكنولوجيا متاحة عالميًا، لكن **الجهوزية المؤسسية، والوعي الإداري، والبنية القانونية** لا تزال متأخرة.وبالتالي فإن التأثير الحقيقي للذكاء التوليدي على السياسة العامة **لن يتحقق ما لم يتم إصلاح بيئة العمل الحكومي، وتوحيد البنى التكنولوجية، وتدريب الكوادر البشرية** على الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في التحليل، التنبؤ، وصنع القرار.

5.2. التوصيات :

1. يُوصى بإنشاء منصات رقمية تفاعلية تتيح للمواطنين والباحثين **الاطلاع على مشاريع القوانين والسياسات ومناقشتها** إلكترونيًا عبر أدوات الذكاء التفاعلي، بما يعزّز المشاركة العامة.
2. ضرورة تحديث شبكات الاتصال وأنظمة إدارة البيانات داخل المؤسسات الحكومية لتصبح مؤهلة لتطبيقات الذكاء التوليدي بشكل متكامل.
3. إصدار **قانون وطني للذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي** يحدد الأطر الأخلاقية والتنظيمية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في صنع القرار والسياسات.
4. يُوصى بإدراج مقررات تدريبية إلزامية عن **الذكاء التوليدي في الإدارة العامة** ضمن برامج معهد التطوير الإداري والجامعات الحكومية، لتعزيز كفاءة القيادات في التعامل مع الأدوات الذكية.

5. ضرورة العمل على **دمج أدوات الذكاء التوليدي في جميع مراحل عملية السياسة العامة** بدءًا من التشخيص والتحليل وحتى التقييم، لتعزيز العلاقة بين التقنية والحوكمة.
6. يُوصى بإطلاق مشروع" **الحكومة التحليلية الذكية** "كإطار وطني لتكامل الوزارات عبر منصات ذكاء اصطناعي توليدي تسهم في ربط البيانات وتوحيد السياسات القطاعية.
7. توسيع استخدام تقنيات **تحليل البيانات ودعم القرار** لتصبح من الأدوات الإلزامية في صياغة السياسات العامة، مع إشراف فني من وزارة التخطيط أو الأمانة العامة لمجلس الوزراء.
8. توجيه الوزارات نحو بناء **أنظمة تحليلية تنبؤية** بدلاً من الاكتفاء بالإحصاءات الوصفية، وذلك من خلال شراكات مع الجامعات العراقية ومراكز الذكاء الاصطناعي.
9. إدخال **الجاهزية المؤسسية** ضمن مؤشرات الأداء الحكومي، بحيث تُقاس سنويًا عبر معايير (البنية الرقمية، التشريعات، المهارات)، وتربط بالتمويل أو التقييم الإداري للجهات الحكومية.
10. تفعيل التعاون بين وزارتي التعليم العالي والتخطيط لإنشاء **مرصد وطني للجاهزية الرقمية الحكومية** يرصد تطور التحول التوليدي ويصدر تقارير سنوية عن مدى تطبيق الذكاء الاصطناعي في صنع القرار.
11. تطوير وحدات متخصصة داخل الوزارات تُعنى بـ **التحليل التنبؤي واستشراف المستقبل** باستخدام أدوات الذكاء التوليدي، خصوصًا في القطاعات الاقتصادية والأمنية والتعليمية.
12. دعم إنشاء **منصة وطنية لاستشراف السياسات العامة** تعتمد على الذكاء التوليدي لتوقع التوجهات المستقبلية وتحليل السيناريوهات قبل تبنّيها رسميًا.
13. إنشاء **مركز وطني للذكاء التوليدي والسياسات العامة** يرتبط بمجلس الوزراء، يكون مسؤولًا عن تطوير النماذج التنبؤية وتدريب الكوادر الحكومية على استخدامها.
14. العمل على تعزيز الشراكات مع الجامعات العراقية والمراكز البحثية لتطوير **نظام استشراف متكامل** يربط التحليل الأكاديمي بصنع القرار الحكومي في بيئة رقمية آمنة.

المراجع :

1. **Anderson, R. (2023).** *AI in Policy Design: Enhancing Public Sector Efficiency and Transparency.* Public Administration Review, 83(1), 45–61.
2. **Brynjolfsson, E. & McAfee, A. (2022).** *The Second Machine Learning Boom: Artificial Intelligence and the Future of Work.* MIT Sloan Management Review, 63(2), 34–43.
3. **Brynjolfsson, E., Rock, D. & Syverson, C. (2023).** *Generative AI and the productivity frontier.* Brookings Papers on Economic Activity, 2023(2), 285–342. https://doi.org/10.1353/eca.2023.0008
4. **Chen, Y.C. & Hsu, P.S. (2020).** *AI-enabled open government: Transforming citizen participation and policy co-creation.* Information Polity, 25(4), 459–474.

5. **Davenport, T. & Bean, R. (2021).** *Big Data at Work: The Data Science Revolution and Organizational Change.* Harvard Business Review Press.
6. **Dwivedi, Y.K., Hughes, L., Baabdullah, A.M., Ribeiro-Navarrete, S., Giannakis, M., Al-Debei, M.M., et al. (2023).** *The evolving role of generative artificial intelligence in organizational strategy and policy-making.* Journal of Business Research, 161, 113850. https://doi.org/10.1016/j.jbusres.2023.113850
7. **Dwivedi, Y.K., et al. (2023).** *Artificial Intelligence (AI): Multidisciplinary perspectives on emerging challenges, opportunities, and agenda for research, practice, and policy.* International Journal of Information Management, 71, 102642.
8. **Floridi, L. & Chiriatti, M. (2020).** *GPT-3: Its nature, scope, limits, and consequences.* Minds and Machines, 30(4), 681–694. https://doi.org/10.1007/s11023-020-09548-1
9. **George, G., Lakhani, K.R. & Puranam, P. (2023).** *What generative AI means for strategy.* Harvard Business Review, 101(4), 44–53.
10. **Iraqi Ministry of Planning. (2023).** *National Digital Transformation Strategy (2023–2030).* Baghdad: Ministry Publications.
11. **Kumar, A., Singh, J. & Sharma, R. (2023).** *From predictive to generative AI: A paradigm shift in decision support systems.* Information Systems Frontiers, 25(3), 543–559. https://doi.org/10.1007/s10796-022-10346-9
12. **Lee, J., Shin, D. & Kim, H. (2023).** *Generative AI in drug discovery and healthcare: Opportunities and challenges.* Nature Reviews Drug Discovery, 22(6), 455–469. https://doi.org/10.1038/s41573-023-00795-5
13. **Mikalef, P., Krogstie, J. & Pappas, I.O. (2021).** *Artificial intelligence capabilities in the public sector: A resource-based view.* Government Information Quarterly, 38(4), 101620.
14. **OECD. (2022).** *Policy Framework on Artificial Intelligence for the Public Sector.* Paris: OECD Publishing.
15. **OECD. (2023).** *OECD Framework for the Classification of AI Systems.* Paris: OECD Publishing.
16. **OpenAI. (2023).** *Introducing GPT-4.* Retrieved from https://openai.com
17. **OpenAI. (2024).** *GPT-5 Technical Report.* Retrieved from https://openai.com
18. **Shrestha, Y.R., Ben-Menahem, S.M. & von Krogh, G. (2023).** *Generative AI for decision-making: Opportunities and challenges.* Academy of Management Perspectives, 37(4), 527–541. https://doi.org/10.5465/amp.2023.0058
19. **Siau, K. & Wang, W. (2023).** *Generative AI for public policy: Revolutionizing decision-making and governance.* Journal of Information Technology Teaching Cases, 13(2), 97–107. https://doi.org/10.1177/20438869231170414
20. **Simon, H.A. (1977).** *The New Science of Management Decision.* Prentice-Hall.
21. **World Bank. (2023).** *Iraq Digital Economy Assessment.* Washington, D.C.: World Bank Group.

أنشطة فنية مقترحة لمادة علم النفس الفني قائمة على العمليات النفسية الأساسية لطلبة المرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية

إعداد

أ م.د. وفاء محمد حسين احمد التميمي
جامعة السليمانية\كلية التربية الاساسية \قسم التربية الفنية
Waffa.hussein@univsul.edu.iq

المستخلص

يُعدّ مقرر علم النفس الفني من المقررات الأساسية في إعداد طلبة قسم التربية الفنية، لما له من دور في فهم العلاقة بين النفس البشرية والممارسة الفنية. ولضمان تحقيق أهداف هذا المقرر، ينبغي تطوير محتواه العملي لذا هدف البحث الحالي الى تصميم أنشطة فنية تستند إلى العمليات النفسية الأساسية التي تُعدّ محورًا لفهم السلوك الإبداعي والتعلم الفني، وقد تضمن البحث اطارا نظريا يخص موضوعة البحث ، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي اضافة الى منهج تصميم الأنشطة التعليمية لتطوير نموذج لأنشطة قابلة للتنفيذ داخل الصف ، وقد تمكنت الباحثة من تقديم مقترح نموذج للانشطة الصفية لمادة علم النفس الفني مبني على اساس العمليات النفسية الاساسية للطالب وفق نظريات التعلم.

الكلمات المفتاحية :الانشطة الفنية ، علم النفس ، العمليات النفسية الاساسية

Abstract

The Psychology of Art course constitutes a core component in preparing students within the Department of Art Education, as it plays a vital role in examining the relationship between the human psyche and artistic practice. To achieve the objectives of this course effectively, it is necessary to strengthen and develop its practical dimension. The present study, therefore, aimed to design art-based activities grounded in fundamental psychological processes that underlie creative behavior and artistic learning. A theoretical framework relevant to the subject was incorporated, and the researcher employed both the descriptive-analytical method and an instructional design approach to develop classroom-applicable activities. The outcome was a proposed instructional model for the Psychology of Art course, structured around students' basic psychological processes and aligned with contemporary learning theories.
Keywords: Art activities, Psychology of Art, Psychological processes

مشكلة البحث

على الرغم من إدراج مقررعلم النفس الفني ضمن خطط كليات التربية الفنية واقسام التربية الفنية في كليات التربية الاساسية ، إلا أن معظم محتوى المقرر يظل نظريًا، ويُقدَّم غالبًا بطريقة تقليدية تركّز على المفاهيم والتحليلات دون توظيف كافٍ للأنشطة الفنية التطبيقية التي تفعّل العمليات النفسية الأساسية (مثل الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، والدافعية). ونتيجة لذلك، قد يفتقر الطلبة إلى الفهم العملي العميق لكيفية عمل الفن بوصفه وسيلة نفسية، وليس فقط منتجًا بصريًا.

تشير الأدبيات إلى أن التعلم يكون أكثر فاعلية عندما يُبنى على ممارسات نشطة تحفّز العمليات النفسية، حيث يؤكد الثبيت (2020) أن النشاط الفني ليس فقط تعبيرًا عن الذات بل هو عملية معرفية–نفسية تُشكّل وعي الطالب من خلال التفاعل مع المواد والصور والرموز.

كما يشير(Eisner، 2002 :78) إلى أن الفنون تُعد من أقوى المحفزات التعليمية للوظائف النفسية العليا، مثل: التخيل، التقدير الجمالي، التفكير البصري، والوعي العاطفي، مما يجعل دمج الأنشطة التطبيقية في تدريس علم النفس الفني ضرورة تربوية، لا خيارًا إضافيًا.

وتُظهِر نتائج دراسات ميدانية مثل دراسة (الخولي،1999: 112) أن الطلبة في كليات التربية الفنية يحققون تفاعلاً أعلى واستيعابًا أعمق عند توظيف استراتيجيات تعليمية قائمة على الممارسة الفنية المرتبطة بمفاهيم نفسية، مقارنة بالتعليم القائم على المحاضرات التقليدية.

كما تؤكد دراسة (الدردير ،2005: 91) أن تعزيز العمليات النفسية الخمس (الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، الدافعية) من خلال الأنشطة الصفية يؤدي إلى رفع جودة التعلم وتنمية الحس النقدي والإبداعي لدى الطلبة.

ومع ذلك، لا تزال معظم الخطط الدراسية تُقدّم مادة علم النفس الفني بطريقة نظرية تحليلية، دون أن تتضمن وحدات أو أنشطة موجهة بشكل مباشر لتفعيل هذه العمليات. وهذا ما يخلق فجوة تربوية ونفسية بين مضمون المقرر وبين مخرجاته المتوقعة على مستوى المهارات والوعي النفسي لدى الطلبة.

وعليه تتحدد مشكلة البحث الحالي بافتقار مقرر علم النفس الفني الى أنشطة فنية تعليمية تكون قائمة على العمليات النفسية الأساسية ،

والتي تمثلت بطرح السؤال الاتي:–

ما الأنشطة الفنية المقترحة التي يمكن دمجها في مقرر علم النفس الفني لتعزيز العمليات النفسية " الأساسية (الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، الدافعية) لدى طلبة المرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية؟

أهمية البحث

يعد موضوع البحث الحالي حديثاً ومتكاملاً ،لانه يجمع بين الجانب التربوي والتطبيقي في علم النفس الفني، ويخدم تطوير المقرر الجامعي بشكل مباشر،حيث يسهم في إثراء الأدبيات المتعلقة بعلم النفس الفني والأنشطة الصفية ،كما انه يدعم المعلمين في تصميم أنشطة تعليمية فعالة ومبنية على أسس سيكولوجية ،اضافة الى انه يعزز مشاركة الطلبة وتفاعلهم داخل المحاضرات النظرية ، مما يسهم في تعزيز الرفاهية النفسية وتخفيف التوتر ،وهذا ما اكدته دراسة (Stuckey & Nobel, 2010, p. 262) (العلاقة بين الفن والشفاء والصحة العامة) ،حيث قامت الدراسة بمراجعة عدد من البحوث التي تناولت تأثير الأنشطة الفنية المختلفة (مثل الرسم، والموسيقى، والكتابة الإبداعية) على الصحة النفسية والرفاهية. وخلصت إلى أن المشاركة في النشاطات الفنية ترتبط بانخفاض مستويات الكورتيزول (هرمون التوتر)، وتحسين المزاج، وتعزيز الهوية الذاتية، وخلق شعور بالرضى. وكذلك تكمن أهمية الأنشطة الصفية في كونها تكسب المتعلمين نشاطا وفاعلية، وتضفي الحيوية على عمل المعلم داخل الصف ،تساعد على ربط خبرات المتعلمين السابقة مما يعني استمرارية التعلم ،تحقق التطبيق الوظيفي للحقائق والمعلومات والمهارات التي يكتسبها المتعلمون.

وعليه تبرز اهمية البحث الحالي في كون :-

1- ان الانشطة الفنية المصاحبة للمنهج تدعم عملية التعلم في علم النفس الفني في فهم الطلاب لكيفية تأثير الفن على العمليات النفسية المعرفية والانفعالية.
2- ان الانشطة الفنية المصاحبة للمنهج تساعد في تخفيف التوتر وتطوير الرفاه النفسي، مما يعزز استعداد الطلبة للتعلم والمشاركة.
3- البحث سيتضمن دليلًا تطبيقيًا يُعزز التعليم النشط ويربط النظرية بالممارسة، وهو ما تظهره الدراسات في السياقات التعليمية .

هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى اقتراح أنشطة فنية تعليمية مبنية على اساس العمليات النفسية الاساسية ،تدمج بين المادة النظرية والممارسة العملية .

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي باقتراح انشطة فنية تعليمية مبنية على اساس العمليات النفسية الاساسية (الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، الدافعية) لمادة علم النفس الفني للمرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية في كلية التربية الاساسية في جامعة السليمانية لمادة علم النفس الفني .

مصطلحات البحث

اولا: الانشطة الفنية

-يعرفها عبد الله (1981) على انه نشاط يهدف الى الربط بين الاهداف التربوية والاهداف الفنية في آن واحد بحيث يؤدي الى تنمية المواهب والفعاليات في مجال الفنون التشكيلية (عبد الله، 1981: 190)

- ويعرفها خميس (1984) على انها مدخلا للتعبير والتقويم وتكامل الجوانب السلوكية لدى المتعلم (خميس ،1984: 23) .

- يعرّفها عريبي (2012) نشاط يهدف إلى الربط بين الأهداف التربوية والعلمية والأهداف الفنية عبر ممارسة النشاطات الحِرَفية والتشكيلية والموسيقية والشعرية (عريبي، 2012: 194)

وتعرف الباحثة اجرائيا النشاط الفني بأنه :مجموعة من التطبيقات العملية التي يقوم بها الطالب من واقع رؤيته الجمالية للبيئة المحيطة به وفق العمليات النفسية الاساسية ،وتحت اشراف استاذ المادة .

ثانيا : العمليات النفسية الاساسية

1- العمليات النفسية الأساسية هي مجموعة من العمليات التي يقوم بها العقل البشري لمعالجة المعلومات وفهم العالم من حولنا. تشمل هذه العمليات الإحساس، والإدراك، والتعلم، والذاكرة، والتفكير، والدافعية، والعاطفة **(https://arabpsychology.com)**

- **ويعرف (Edwards ،2004) العمليات النفسية الأساسية في الفن بانها** تشمل التعبير عن المشاعر والأفكار، اكتشاف الذات، وتطوير مهارات التواصل وحل المشكلات. الفن يوفر وسيلة آمنة للتعبير عن المشاعر الداخلية، خاصة تلك التي قد يكون من الصعب التعبير عنها بالكلام. كما يساهم في تعزيز الوعي الذاتي، وتحسين القدرة على التكيف، وتنمية الإبداع(Edwards، 2004 :5)

– ويعرفانها الزغلول والزغلول (2014) : بانها الوظائف العقلية العليا مثل (الإدراك، والانتباه، والذاكرة، والتفكير). هذه العمليات هي الركائز الأساسية التي تُعنى بكيفية استقبال المعلومات، وتجهيزها، وتخزينها، واسترجاعها، واستخدامها في السلوك اليومي والتكيف مع المحيط (الزغلول والزغلول ،2014: 377).

– ويعرفها حسين (2015) على انها الاحداث التي تدور داخل الدماغ منذ لحظة دخول المثير الى

لحظة اتخاذ القرار بالإجابة عن ذلك المثير (حسين،2015: 81)

التعريف الاجرائي : العمليات النفسية الاساسية هي سلسلة من النشاطات العقلية التي يستخدمها الطالب لاكتساب المعرفة ، وتشمل:الانتباه،الادراك،التخيل، الانفعال،الدافعية.

1–**الا نتباه (Attention) عرفه(الكناني ، 1988)** :هو عملية انتقائية تتضمن وضع المثيرات في مركز الشعور،فالمثيرات هي ما يدرك وما يصل الى عين المتلقي ،والانتباه يتوسط عمليتي الاحساس والادراك (الكناني،1998 :73)

2–الإدراك ((Perception):عرفه (الخولي2002) :هويتركز حول ما ينتبه إليه الفرد مما يؤدي الى وعي وشعور زائدين بالمثير ، وهو الوسيلة التي من خلالها يتصل الإنسان بالعالم الخارجي ، وتعتبرالحواس هي المنفذ الذي يساعد على الوصول إلى الإدراك.(الخولي، 2002 : 245).

3–التخيل (Imagination): عرفها عواد(2000) بانها عملية عليا تقوم بعملية تركيب الخبرات السابقة في تنظيمات جديدة لم تكن مرت على الفرد من قبل . اي ان التخيل عملية تعتمد على التركيز في استرجاع الماضي بصيغة مرتبطة بالحاضرة وتمتد الى المستقبل(عواد،2000: 22).

4–الانفعال (Emotion): عرفه (القريوتي وآخرون ،2018) هو حالة وجدانية انفعالية مؤقتة تحدث نتيجة مثير داخلي أو خارجي، وتترافق مع تغيرات جسمية سريعة، وتؤثر في سلوك الفرد واستجاباته المباشرة (القريوتي وآخرون ،2018 :212).

5–الدافعية (Motivation):عرفها عبد الرحمن (2016،) هي الحالة أو القوة التي تفسر أسباب السلوك الإنساني، إذ تعمل على استثارته، وتوجيهه، والاستمرار فيه حتى يتحقق الهدف (عبد الرحمن، 201 :198).

6–علم النفس الفني : هي مادة منهجية مقررة ضمن مناهج المرحلة الثالثة لقسم التربية الفنية في كلية التربية الاساسية في جامعة السليمانية .

مدخل الى الاطار النظري

اولا: العمليات النفسية الاساسية

يؤكد المختصون في المجال التربوي والنفسي ان العمليات النفسية الأساسية ضرورية لفهم السلوك البشري والتنبؤ به. كما أنها تلعب دورًا حيويًا في العديد من جوانب الحياة، بما في ذلك التعلم، والتواصل، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات .

و يعد الانتباه من أهم العمليات العقلية التي تلعب دوراً هاماً في النمو المعرف لدى الفرد حيث إنه يستطيع من خلاله أن ينتقي المنبهات الحسية المختلفة التي تساعده على اكتساب المهارات و تكوين العادات السلوكية الصحيحة بما يحقق له التكيف مع البيئة المحيطة به (السيد و بدر، 1999: 15)

و يبين اريكسن بأن الانتباه هو التركيز الواعي للشعور على منبه واحد فقط وتجاهل المنبهات الأخرى التي توجد معه وهذا يطلق عليه الانتباه المركز أو الانتقائي، أو أنه توزيع الانتباه بين منبهين أو أكثر وهذا الأخير يطلق عليه الانتباه الموزع (السيد و بدر:1999، 17)

وعليه يمكن القول ان الانتباه هو القدرة على تركيز الذهن على مثير معين من بين عدة مثيرات موجودة في البيئة، ويُعد الانتباه شرطًا أساسيًا لبداية أي عملية معرفية أخرى.

اما الادراك فهو العملية التي يتم من خلالها تفسير وتنظيم المعلومات الحسية الواردة، ومنحها معنى.

يستقبل الفرد من خلال الحواس المختلفة العديد من المعلومات او المثيرات سواء من البيئة الخارجية او من البيئة الداخلية فيما يعرف بعملية الاحساس ، ويقوم الفرد بالتعرف على هذه المعلومات او المثيرات بما يعرف بعملية الادراك ، وبذلك يستطيع الفرد اتخاذ قرار سواء بالاستمرار او عدم الاستمرار في توجيه وعيه نحو مثيرات اومعلومات محددة من بين هذه المعلومات المدركة

و من خلال استقراء الباحثة لتعريفات الإدراك فإنه يمكن أن تصنف على انه :

- **خبرة متعلمة** :حيث يشير أحمد (1999) إلى أن الإدراك " دالٌ على الخبرة ، أي إنه سلوك متعلم يجب تنميته بصورة سوية ، إننا نفسر ما نرى وفقاً لبناء شخصيتنا التي تكون قد نمينا فيها طريقة الإدراك الخاصة بنا (احمد ،1999: 105)
- **أو تنظيم وتفسير المعطيات** :حيث ترى ليندا دافيدوف (1988) أنه "عملية تنظيم وتفسير المعطيات الحسية التي تصلنا عن طريق الأحاسيس لزيادة وعينا بما يحيط بنا وبذواتنا ، فالإدراك يشمل التفسير وهذا لا يتضمنه الإحساس (دافيدوف، 1988 : 246) .
- **أو تمييز بين المنبهات** : ويشير المليجي (1982) إلى أن الإدراك " عملية تمييز بين المنبهات التي تتأثر بها الحواس وتفسير معاني تلك المنبهات ، والإدراك ليس مجرد استنساخ ما في البيئة من منبهات عن طريق الحواس فقط ، إنما هو عملية معقدة يؤديها الدماغ تتضمن الغربلة

والتصنيف والتفسير لطبيعة تلك المنبهات (المليجي ،1982: 115).

- **أو عمليات عقلية معرفية** :ويرى أبو حطب (1982) أن الإدراك " عمليه معرفية ذات معنى ودلاله على المثيرات التي يتم الاحساس بها او الانتباه اليها (ابوحطب ،1982: 82).
- **او وسيلة للاتصال:** ويرى الخولي(2002) إن الإدراك هو الوسيلة التي يتصل بها الإنسان بالعالم الخارجي، وتعتبر حواسنا هي النوافذ التي نطل منها على هذا العالم المليء بالموضوعات والأشياء (الخولي ،2004: 234)

مما سبق تستنتج الباحثة أن الإدراك عملية معقدة أساسية تهدف للتعرف على الناس والأشياء والمواقف وفهمها ، وهو كذلك استجابة لمثيرات حسية وتفسيرللأحاسيس التي تمر بنا وتحديد الشيء الذي يصدر عنه الإحساس وإعطاؤه معنى.

وقد تتمثل اهمية العمليات النفسية الأساسية في الفن من خلال :

– **التعبير عن المشاعر والأفكار بطرق مختلفة**، سواء كانت من خلال الرسم، النحت، الموسيقى، أو أي شكل فني آخر ،و هذه العملية تساعد على تحرير المشاعر المكبوتة وتخفيف التوتر.

– **اكتشاف الذات** من خلال ممارسة الفن، يمكن للأفراد اكتشاف جوانب جديدة من شخصياتهم واهتماماتهم. الفن يساعد على فهم الذات بشكل أعمق، مما يعزز الثقة بالنفس ويحسن الصورة الذاتية

– **تطوير مهارات التواصل** فالفن يمكن أن يكون وسيلة فعالة للتواصل مع الآخرين، سواء كان ذلك من خلال مشاركة الأعمال الفنية أو من خلال العمل الجماعي في الأنشطة الفنية. هذا يساعد على بناء علاقات صحية وتعزيز التعاون.

– **حل المشكلات** ، فالفن يشجع على التفكير الإبداعي وحل المشكلات بطرق مبتكرة. يمكن للفنانين استخدام خيالهم لإيجاد حلول للتحديات التي يواجهونها، سواء كانت فنية أو شخصية.

– **الشفاء الداخلي** فالفن يوفر وسيلة آمنة للتعبير عن المشاعر الداخلية خاصة تلك التي قد يكون من الصعب التعبير عنها بالكلام ، فالعلاج بالفن يستخدم الفن كوسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار، مما يساعد على معالجة الصدمات النفسية والتغلب على المشاعر السلبية

– **تعزيز الوعي الذاتي**،مما يمكن الافراد من فهم مشاعرهم وافكارهم وسلوكياتهم بشكل افضل . وتحسين القدرة على التكيف، وتنمية الإبداع .(Edwards,2004: 11).

ومن ألامثلة على العمليات النفسية في الفن:

الرسم التلقائي: تشجيع الشخص على الرسم دون تخطيط مسبق، مما يساعد على تحرير المشاعر المكبوتة.

فن الماندالا: تلوين أو رسم الماندالا (دوائر متكررة) لتهدئة الجهاز العصبي.

العمل بالطين أو النحت: التواصل مع المشاعر الداخلية من خلال اللمس والشعور.

الكولاج: تجميع صور أو رسومات لتعبر عن أفكار وتجارب مرتبطة بالصدمة .

وبشكل عام فان الفن هو أداة قوية لتعزيز الصحة النفسية والعاطفية، ويساهم في نمو الفرد وتطوره الشخصي.

ثانيا :العلاقة بين المنهج الحديث و الانشطة الصفية والوظائف النفسية

اصبح النشاط الصفي من اهم مقومات العملية التعليمية ،والتي تهدف الى تربية النشيء تربية كاملة في المراحل الدراسية المختلفة ،كما يعد وسيلة وحافز لأثراء المنهج واضافة الحيوية عليه عن طريق تعامل المتعلمين مع البيئة وادراكهم مكوناتها المختلفة.(زويني ،2013: 49)

وتتمثل اهمية الانشطة الصفية بأنها توجه الطلاب وتساعدهم على كشف قدراتهم وميولهم ، وتنمية خبراتهم في مجالات عديدة لبناء شخصياتهم ،وتنمية مهاراتهم واتجاهاتهم السلوكية السليمة وتساعدهم على اكتساب القدرة على الملاحظة والمقارنة والعمل بدقة ،من خلال ممارسة تلك الانشطة (ماري ومحمد ،2002: 261).

كما انها تمثل مصدرا من مصادر التعلم ، اذ تتيح للمتعلم اكتساب خبرات مرتبطة بطبيعة تلك الأنشطة ، وهدف كل نشاط وكيفية ممارسته (شحاته ،2003: 63).

على ان يتم تحديد الاهداف المرجوة مسبقا والذي بلا شك سوف يساعد في تحديد الانشطة المطلوبة واللازمة لتفاعل الطلبة مع تلك الانشطة والمواقف والتي بدورها تحقق الاهداف المحددة مسبقا.

الدراسات السابقة

1- دراسة (اسماعيل وطلال ،2023):انماط التفاعل الصفي المفضلة لدى طلبة قسم اللغة الانكليزية وعلاقتها بتفكيرهم التحليلي

النتيجة: تَغلُّب النمط التشاركي ووجود علاقة طردية دالّة بين التفاعل الصفي والتفكير التحليلي (أعلى لدى الإناث).

2- دراسة (زكي، 2022): برنامج مقترح قائم على النظرية الانسانية لتنمية مهارات التفاعل الصفي وقياس الاداء التدريسي لدى الطالب المعلم للفلسفة وعلم النفس .

النتيجة: فاعلية البرنامج في رفع مهارات التفاعل الصفي وتحسين الأداء التدريسي.

3- دراسة(عبد الفتاح،2020): أثر التعلم بالصف المعكوس في تنمية التحصيل المعرفي والاتجاه نحو مادة طرق تدريس المجال التجاري

النتيجة: تفوّق تجريبي ذي دلالة في التحصيل وتحسّن الاتجاهات لدى طلاب الجامعة.

تعقيبا على ما سبق أكدت الدراسات على أهمية الانشطة الصفية في زيادة التحصيل العلمي للطلبة، وتدعيم خبراتهم ، وتنمية مواهبهم ،وان التفاعل/النشاط الصفي يرتبط بزيادة الدافعية، خاصة عندما يكون

تشاركيًا، كما ان الأنشطة الصفية النشطة (مثل الصف المعكوس واللعب التعليمي) تُحسن التحصيل والاتجاه نحو المادة ، كذلك وجود ارتباطات وتحسينات في التفكير التحليلي، النقدي، والميتامعرفة، ما يبرر إدراج أنشطة صفية منظَّمة كجزء أساسي من التدريس علاوة على ذلك فان تدريب المعلمين على مهارات التفاعل الصفي ينعكس مباشرةً على جودة الدرس.

منهجية البحث واجراءاته

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الانسب لتحليل العلاقة بين الانشطة الفنية والعمليات النفسية الاساسية.

اجراءات البحث

لغرض تحقيق هدف البحث قامت الباحثة بالاجراءات التالية :-

- الاطلاع على المصادر والادبيات المتعلقة بموضوعة البحث
- حددت العمليات النفسية الاساسية والتي تنسجم مع طبيعة بحثها والهدف منه كونها استاذة لمادة علم النفس الفني للمرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية في جامعة السليمانية ، وقد اعتمدت في تحديدها هذا على عدة مصادر منها (صالح ،1982)،(الكناني ،1988)،(السيد وبدر،1999)،

(عواد ،2000)،(الخولي،2002)،(Edwards,2004)، (الزغلول ،2014)
،(حسين،2015)،(الرحمن ،2016)،(القريوتي،2018).

- وقد حددت العمليات النفسية الاساسية و كما يأتي (الانتباه،الادراك،التخيل، الانفعال، الدافعية) بناء وفقا لطبيعة المادة الدراسية وحاجات المتعلمين .

الأسس النظرية لبناء الأنشطة

اعتمدت الباحثة في بناء الأنشطة الفنية المقترحة على مجموعة من الأسس النظرية في علم النفس التربوي والفني، منها: العمليات النفسية الأساسية التي تُعدّ مرتكزًا لفهم السلوك والتعلم، ونظريات التعلم (البنائية والمعرفية والتعلم بالملاحظة)، إضافة إلى أسس فنية وجمالية مثل نظرية الجشطالت في الإدراك، ونظرية التعبير الانفعالي في الفن، وكذلك الأدبيات التي تؤكد دور الفن في تنمية الخيال والإبداع (ريد، 1966؛ تورانس، 1974) ودور الفن كآلية للتنفيس الانفعالي (فرويد، 1930؛ روبين، 2001) ، وكالاتي:-

1. الأساس النفسي – العمليات النفسية الأساسية

استندت الأنشطة إلى فكرة أن التعلم والنشاط الفني يتأثر بالعمليات النفسية الأساسية التي ذكرها علماء النفس (الانتباه، الادراك ،التخيل، الانفعال، الدافعية).

- الانتباه شرط أولي للتعلم (سليمان، 2019: 87).
- الإدراك يفسره علم نفس الجشطالت على أنه إدراك الكل وليس الأجزاء فقط (كفافي، 2018: 66).
- التخيل أساس الإبداع الفني، كما أشار إليه جيلفورد في نظرية التفكير الإبداعي (عطية، 2020: 54).
-الانفعال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعبير الفني (فرويد – التحليل النفسي، 2005/1930: 112).
- الدافعية شرط أساسي للاستمرار في الإنجاز الفني (ديساي & ريان، نظرية الدافعية الذاتية، 2000)

2. الأساس التربوي – نظريات التعلم

- نظرية التعلم بالملاحظة (باندورا): الأنشطة التي تعتمد على إعادة إنتاج نموذج (مثل نشاط الإدراك) تقوم على التعلم بالمشاهدة والتقليد.
- النظرية البنائية (بياجيه & فيغوتسكي): تؤكد على دور النشاط العملي والتفاعل الاجتماعي في بناء المعرفة، وهو ما يظهر في النشاط الجماعي (الدافعية).
-النظرية المعرفية: تعتبر أن الانتباه والإدراك هما عمليات مدخلات معرفية ضرورية للفهم والتعلم، ومن هنا جاءت أنشطة الانتباه والإدراك.

3. الأساس الفني والجمالي

- نظرية الجشطالت في الإدراك الفني تؤكد أن الإنسان يدرك العمل الفني ككل منظم (الأنشطة التي تنمي الإدراك البصري).
- التعبير الانفعالي في الفن (نظرية الفن كتنفيس): استندت إليها أنشطة الانفعال.

الفن والإبداع (ريد، 1966) الفن وسيلة للتعبير عن الذات وتنمية الخيال، وهو أساس نشاط التخيل.

4-الأساس الإبداعي والعلاجي

- الفن يُعد وسيلة لتنمية التفكير الإبداعي (تورانس، 1974؛ جيلفورد، 1967).
- يُستخدم أيضًا كوسيلة علاجية نفسية لتفريغ الانفعال (روبين، 2001).
- هذه الأسس تدعم النشاطات المرتبطة بالتخيل والانفعال.

تحديد الأهداف التعليمية للأنشطة الفنية في مادة علم النفس الفني

تم تحديد وصياغة الاهداف التعليمية للانشطة الفنية في مادة علم النفس الفني وفق خطوات منهجية تربط بين البعد النفسي والبعد الفني. على ضوء ثلاثة محاور رئيسية: (المعرفي، المهاري، الوجداني)

أ-المجال المعرفي (Cognitive Goals)

يتوقع من الطالب ان

- يوضح الطالب على العلاقة بين العمليات النفسية والفن.

- يفسر كيف يعكس الفن مشاعر الفرد وحاجاته النفسية.
- يميز بين أساليب التعبير الفني ودلالاتها النفسية.
- يعريف المفاهيم الأساسية في علم النفس الفني (الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، الدافعية).
- يحلل الأعمال الفنية من منظور سيكولوجي.
- يستوعب النظريات النفسية التي تناولت الفن والتعبير الفني.

ب- المجال المهاري (Psychomotor Goals) يتوقع من الطالب ان :-

- يطبق مهارات فنية (رسم، تشكيل، مزج ألوان) للتعبير عن خبراته النفسية.
- يوظف تقنيات فنية مختلفة لإبراز الانفعالات الداخلية.
- ينتج أعمالًا فنية مرتبطة بمفاهيم علم النفس الفني.
- يمارس أنشطة فنية تساعد على تطوير الانتباه والإدراك والتخيل.
- يستخدام الفن كأداة للتعبير عن الانفعال والدافعية.
- يعرض ويناقش نتاجاته الفنية بشكل علمي ومنظم أمام الزملاء.

ج- المجال الوجداني (Affective Goals)يتوقع من الطالب ان :-

- يقدر قيمة الفن كوسيلة للتنفيس الانفعالي.
- يظهر اتجاهات إيجابية نحو التعبير الفني.
- يكتسب الثقة في ذاته من خلال إنجاز عمل فني يعبر عن مشاعره.

صياغة الأهداف وفق نموذج SMART ان تكون :-

- محددة (Specific): مرتبطة بعملية نفسية واضحة (مثل الإدراك).
- قابلة للقياس (Measurable): يمكن تقييم تحققها من خلال عمل فني أو اختبار تحليلي.
- قابلة للتحقيق (Achievable): متناسبة مع قدرات الطلبة ومستواهم الجامعي.
- واقعية (Relevant): تخدم أهداف مادة علم النفس الفني.
- محددة زمنياً (Time-bound): يمكن إنجازها خلال الحصة أو الفصل الدراسي.

تحليل محتوى المادة وأبعادها النفسية والفنية

- تحديد المفاهيم الأساسية في علم النفس الفني (مثل: العمليات النفسية الأساسية – الانتباه، الإدراك، التخيل، الانفعال، الدافعية)
- تحديد المهارات الفنية ذات العلاقة (الرسم، التلوين،)
- ربط كل عملية نفسية بنشاط فني مناسب.

وبناءا على ما سبق تم اقتراح (ثلاث نماذج)الانشطة الفنية المرتبطة بالعمليات النفسية الاساسية لمادة علم النفس الفني وكما مبينة في الملاحق رقم (1)،(2)،(3)على التوالي

تم عرض هذه المقترحات على مجموعة من الخبراء المختصين في مجال التربية الفنية وعلم النفس لاختيار ماهو الانسب ، وقد التزمت الباحثة بالتعديلات التي اقترحها الخبراء .

ربط الأهداف بخطة التقييم

المعارف ← تُقاس عبر الامتحان النصفي والنهائي (50%).

المهارات← تُقاس عبر الأنشطة التطبيقية والنشاط التكاملي (40%).

الاتجاهات والقيم ← تُقاس عبر المشاركة والواجبات والبحوث (10%).

نتائج البحث

عندما وضعت الباحثة الاهداف للانشطة الفنية في مادة علم النفس الفني للمرحلة الثالثة في قسم التربية الفنية ،جمعت بين :-

الجانب النفسي (العمليات النفسية الأساسية).

الجانب الفني (التعبير الفني وعلاقته بالسيكولوجيا)

الجانب التربوي (تصميم الأهداف وفق بلوم و.SMART)

وقد توصلت الى وضع نموذج نهائي للانشطة الفنية المرتبطة بالعمليات النفسية الاساسية لمادة علم النفس الفني وكما مبين في الجدول ادناه (رقم 4)

جدول رقم (4) يبين الأنشطة الفنية المقترحة المرتبطة بالعمليات النفسية الأساسية(بصيغته النهائية)

العملية النفسية	النشاط	الاجراءات	الهدف
الانتباه	رسم التفاصيل المخفية	-عرض لوحة فنية معقدة (لوحة فنية فيها عناصر كثيرة)ثم يطلب اعادة رسمها مع التركيز على التفاصيل -وضع مجموعة اشكال هندسية والوان متناثرة على السبورة ويطلب اعادة تنظيمها	-تدريب الطلبة على الانتباه البصري -تعزيز القدرة على تمييز العناصر الفنية الصغيرة ضمن الكل
الادراك	فن الظل والضوء	-رسم مجسم بسيط (كوب)مع استخدام الضوء والظل لابراز العمق	-ان يتعلم الطالب كيف يدرك العلاقات بين الابعاد ،الحجم، العمق

			-تنمية الادراك البصري
التخيل	توليد صورة ذهنية غير واقعية	-يطلب من الطالب اغلاق عينيه لمدة دقيقتين ثم تخيل مدينة في المستقبل او كائن خيالي ثم التعبير عنه بالرسم	-تحفيز الابداع والتفكير الرمزي -تنمية القدرة على تحويل الصورة الذهنية الى عمل فني بصري
الانفعال	الرسم التعبيري عن المشاعر	-يطلب من الطلبة اختيار شعور محدد(فرح،حزن،امل ،قلق) والتعبير عنه باستخدام الالوان ،دون التقيد بشكل واقعي	-تعزيز التعبير الانفعالي غير اللفظي. -تدريب الطلبة على توظيف الفن كوسيلة للتفريغ الانفعالي وتنظيم المشاعر
الدافعية	المشروع الفني الجماعي	تقسيم الطلبة الى مجموعات صغيرة وتكليف كل مجموعة بانجاز لوحة او مجسم يعرض لاحقا في معرض القسم	-تشجيع روح التنافس الايجابي والتعاون. -تعزيز الدافعية الداخلية والخارجية من خلال التحدي والتقدير الجماعي -تنمية الحافز نحو الانجاز والاعتزاز بالمنتج الفني

نتائج متوقعة

- تحسّن في أداء الطلبة في فهم الجانب النفسي للفن.
- زيادة التفاعل والمشاركة الصفية في مقرر علم النفس الفني.
- توفر دليل تطبيقي قابل للتنفيذ في المحاضرات النظرية.

توصيات

1-اعتماد الأنشطة الفنية المقترحة ضمن محتوى المقرر.

2-تدريب أساتذة التربية الفنية على دمج العمليات النفسية في المحاضرات.

3-تقييم أثر هذه الأنشطة على أداء الطلبة نفسيًا وفنيًا.

المصادر

1. أبو جادو، صالح (2009). أسس بناء المناهج وتنظيماتها. عمّان: دار الفكر.
2. بلوم، بنجامين وآخرون (ترجمة: كامل، محمد محمود) (1986). تصنيف بلوم للأهداف التعليمية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
3. الجميلي، خالد حسن (2018). مدخل إلى علم النفس الفني. بغداد: دار دجلة
4. حنافي، محمد عبد الحميد. (2015). علم النفس والفنون التشكيلية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
5. حنورة، عبد الرحمن . (2010). الأهداف التربوية وصياغتها في التدريس. عمّان: دار المسيرة.
6. الزيات، أحمد عبد الخالق (2006). علم النفس التربوي. القاهرة: دار النشر للجامعات .
7. سيف إسماعيل؛ مازن طلال (2023). أنماط التفاعل الصفي المفضلة لدى طلبة قسم اللغة الإنجليزية وعلاقتها بتفكيرهم التحليلي. مجلة التربية للعلوم الإنسانية، العدد الخاص ، جامعة الموصل .
8. عبد الفتاح أحمد عبد الفتاح (2020). أثر التعلم بالصف المعكوس في تنمية التحصيل المعرفي والاتجاه نحو مادة طرق تدريس المجال التجاري لدى طلاب كلية التجارة. مجلة دراسات تربوية واجتماعية .
9. عبد الستار ،جبار الضمد(2002) فسيولوجية العمليات العقلية في الرياضة ، ط 1 ،الاردن ، دار الفكر للطباعة .
10. محمود محمد ذكي (2022). برنامج مقترح قائم على النظرية الإنسانية لتنمية مهارات التفاعل الصفي وقياس الأداء التدريسي لدى الطالب المعلم للفلسفة وعلم النفس. جامعة حلوان، مجلة/سلسلة علمية. العنوان: مفهوم الإحساس وأنواعه والعوامل المؤثرة فيه
11. عباس ،حوراء(2016) :موقع مستودع جامعة بابل (كلية التربية الأساسية)
12. دراسة تحليلية لتطبيق التعلم النشط في مؤسسات التعليم قبل الجامعي بالمملكة العربية السعودية
13. -القريوتي، عدنان يوسف، وآخرون(2020): علم النفس العام ،ط3، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن،

جدول رقم (1) يبين الأنشطة الفنية المقترحة المرتبطة بالعمليات النفسية الأساسية

العملية النفسية	النشاط	الاجراءات	الهدف
الانتباه	التركيز على مثير معين	-عرض لوحة فنية معقدة (لوحة فنية فيها عناصر كثيرة)ثم يطلب اعادة رسمها مع التركيز على التفاصيل -وضع مجموعة اشكال هندسية والوان متناثرة على السبورة ويطلب اعادة تنظيمها	-تدريب الطلبة على الانتباه البصري -تعزيز القدرة على تمييز العناصر الفنية الصغيرة ضمن الكل
الادراك	فن الظل والضوء	-رسم مجسم بسيط (كوب)مع استخدام الضوء والظل لابراز العمق	-ان يتعلم الطالب كيف يدرك العلاقات بين الابعاد ،الحجم، العمق -تنمية الادراك البصري
التخيل	رسم حر من الخيال	-يطلب من الطالب اغلاق عينيه لمدة دقيقتين ثم تخيل مدينة في المستقبل او كائن خيالي ثم التعبير عنه بالرسم -استخدام الكولاج بابتكار صور جديدة من قصاصات الورق	-تحفيز الابداع والتفكير الرمزي -تنمية القدرة على تحويل الصورة الذهنية الى عمل فني بصري
الانفعال	الرسم التعبيري عن المشاعر	-يطلب من الطلبة اختيار شعور محدد(فرح،حزن،امل ،قلق) والتعبير عنه باستخدام الالوان ،دون التقيد بشكل واقعي	-تعزيز التعبير الانفعالي غير اللفظي. -تدريب الطلبة على توظيف الفن كوسيلة للتفريغ الانفعالي وتنظيم المشاعر
الدافعية	المشروع الفني الجماعي	تقسيم الطلبة الى مجموعات صغيرة وتكليف كل مجموعة بانجاز لوحة او مجسم يعرض لاحقا في معرض القسم	-تشجيع روح التنافس الايجابي والتعاون. -تعزيز الدافعية الداخلية والخارجية من خلال التحدي والتقدير الجماعي

جدول رقم (2) يبين الأنشطة الفنية المقترحة المرتبطة بالعمليات النفسية الأساسية

العملية النفسية	النشاط	الاجراءات	الهدف
الانتباه	التركيز على مثير معين	رسم تفصيلي لطبيعة ساكنة مع إخفاء بعض العناصر ومطالبة الطلبة بإكمالها	-تدريب الطلبة على الانتباه البصري والتمييز بين التفاصيل
الادراك	تفسير المثيرات الحسية	إعادة تشكيل لوحة مشوشة بصريًا لاستنتاج المشهد الكامل	تنمية الإدراك البصري والتكوين الشكلي
التخيل	توليد صورة ذهنية غير واقعية	تصميم كائنات خيالية مستوحاة من عناصر طبيعية (مزج سمكة ووردة مثلا)	-تحفيز الخيال الحر وتنمية الابتكار البصري
الانفعال	استجابة وجدانية داخلية	رسم مشهد يعبر عن المشاعر الحالية للطالب دون قيود	تحرير الانفعالات والتنفيس العاطفي
الدافعية	الرغبة في الفعل وتحقيق هدف	انجاز عمل فني خلال وقت محدد	-تشجيع روح التنافس الايجابي والتعاون. تحفيز روح التحدي والتعبير عن الذات بوعي

جدول رقم (3) يبين الأنشطة الفنية المقترحة المرتبطة بالعمليات النفسية الأساسية

العملية النفسية	النشاط	الاجراءات	الهدف
الانتباه	رسم التفاصيل المخفية	رسم تفصيلي لطبيعة ساكنة مع إخفاء بعض العناصر ومطالبة الطلبة بإكمالها	-تدريب الطلبة على الانتباه البصري والقدرة على ملاحظة التفاصيل الدقيقة في العمل الفني
الادراك	فن الظل والضوء	رسم مجسم صغير	تنمية الإدراك البصري والتكوين الشكلي من خلال العلاقات بين الظل والضوء والعمق
التخيل	توليد صورة ذهنية غير واقعية	تصميم مدينة من الخيال	-تحفيز الخيال الحر وتنمية الابتكار البصري
الانفعال	الوان المشاعر	رسم مشهد يعبر عن المشاعر الحالية للطالب دون قيود	التعبير عن المشاعر باستخدام الالوان وتعزيزالتفريغ الانفعالي
الدافعية	المشروع الفني الجماعي	انجاز عمل فني خلال وقت محدد	-تعزيز دافعية الانجاز والتعاون بين الطلبة -تنمية الشعور بالمسؤولية الجماعية

تأثير المرونة المعرفية في تعلم مهارتي المناولة والطبطبة بكرة اليد للطلاب

إعداد
أ.م.د كمال جاسم محمد
قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة
كلية التربية الاساسية /جامعة ديالى
Basicspor18te@uodiyala.edu.iq

المستخلص

هدف البحث الى معرفة تأثير تطبيق مفردات الدروس العملية على تعلم المهارات الاساسية وقابلياتهم المعرفية المرنة لدى طلاب المرحلة الاولى الممارسون لدرس التربية البدنية المهرات الاساسية لكرة اليد الممنهج ضمن منهاج المرحلة الاولى لكليات التربية الاساسية ، حيث اعتمد الباحث على تطبيق مفردات الدروس العملية وكذلك مادة كرة اليد المهارات الاساسية ،. وتضمنت المجموعة التجريبية (20) طالب . وقد تحدد المجال الزماني للبحث بالفترة زمنية من(2024/1/9و لغاية2024/3/9).وتضمن البحث الاختبارين القبلي و البعدي لمجموعة واحدة فقط . وقد استخدم الباحث العمليات الاحصائية من خلال برنامج (spss) ومنه (الوسط الحسابي ,والانحراف المعياري ,t.test) .

و بعد تحليل الاختبارات القبلية والبعدية احصائيا تم الاستنتاج بان تطبيق مفردات المنهج له تأثير على تعلم مهارتي الطبطبة والمناولة .

واوصى الباحث ضرورة الاستفادة من هذه التطور الذي حصل للطلاب خلال هذه المدة والمحافظة عليها ، والعمل على تطبيق المنهج لتعلم المهارات الاساسية في الكليات .

الكلمات المفتاحية : المرونة المعرفية ، كرة اليد ، المهارات الهجومية

Abstract

This research aimed to determine the impact of applying practical lesson content on learning basic skills and developing flexible cognitive abilities among first-year students practicing the basic handball skills course within the first-year curriculum of basic education colleges. The researcher relied on applying the practical lesson content as well as the basic handball skills material. The experimental group consisted of (20) students. The research period was defined as from January 9, 2024, to March 9, 2024. The research included pre- and post-tests for one group only. The researcher used statistical methods through the SPSS program, including the arithmetic mean, standard deviation, and t-test.

After statistically analyzing the pre- and post-tests, it was concluded that applying the curriculum content has an impact on learning the dribbling and passing skills. The researcher recommended the need to take advantage of and maintain the development that students have achieved during this period, and to work on implementing the curriculum to learn basic skills in colleges.

1 -التعريف بالبحث :

1 – 1 المقدمة واهمية البحث :

يمتاز العصر الحديث بالتطور العلمي والمعرفي في كثير من المجالات وبخاصة في المجال الرياضي، حيث تعد التربية الرياضية علما كبقية العلوم الاخرى التي يستخدم فيها الباحثون العديد من الطرق والاساليب العلمية المتطورة، بما ينسجم وطبيعة المجتمع ، هذا ما أسهم في التقدم والارتقاء بالمستوى الرياضي وكذلك تطور المؤسسات العلمية والتربوية ، وان للأنشطة الرياضية الدور الكبير في تحقيق الاهداف التعليمية، لذلك أصبحت الرياضة في العصر الحاضر ظاهرة حضارية لها تأثيرها الفعال، ومداها الواسع وأصبحت لها أصول ومبادئ خاصة بها تعتمد أساسا على الدروس العملية وهي بذلك تتفق والنظرية الحديثة للتربية في ان المتعلم هو مركز ومحور العملية التعليمية التربوية ،

كذلك ان درس التربية الرياضية يعتمد على استراتيجيات حديثة مختلفة لتحقيق الاهداف التعليمية، ان المرونه المعرفية تعطي التنوع في استخدام استراتيجيات وطرائق التدريس التي تعمل على رفع الملل عن المتعلمين الناتج عن استخدام طريقة واحدة، والمدرس الناجح هو الذي يجيد تطبيق اكثر من طريقة، ولهذه الاستراتيجيات والطرق المختلفة دورها الكبير في تعلم المهارات الاساسية، اذ يمكن ان تسهم بشكل كبير وايجابي في تحقيق التنوع في التمرينات، المستعملة وكيفية تنفيذها، كذلك تسهل عملية التعلم والاحتفاظ بالمهارات، مع مراعاة صعوبة وسهولة المهارات المطلوب تعلمها ،من خلال التنظيم والتدرج عند ادائها، وكل هذا يتحقق باستخدام استراتيجيات حديثة للتعلم ، ويشير الديب (2006) (الديب :2006)

إنَّ اهمية المرونة المعرفية تنمي قدرات المتعلمين وطاقاتهم وخبراتهم الذاتية، و تبادل الثقة والمحبة والاحترام بينهم ، الذي يؤدي الى تحسين ادائهم، كما انها تشجع على العمل التعاوني بين الطلاب بشكل ايجابي

لتحسين قدراتهم وميولهم ومهاراتهم التعليمية، وتساعد على تحسين العقلية المرنة وان لعبة كرة اليد واحدة من الالعاب الجماعية والتنافسية التي تمتاز بكثرة مهاراتها الاساسية ، ومن بين هذه المهارات (المناولة، الطبطبة، التصويب) التي تعتبر قاعدة اساسية التي تبنى عليها لعبة كرة اليد، كل ذلك دفع الكثير من الباحثين القيام بالكثير من الدراسات والبحوث ،لإيجاد افضل الطرق للنهوض بها ،ومن هنا تكمن اهمية البحث .

مشكلة البحث :

ومن خلال اطلاع الباحث لبعض دروس التربية الرياضية وخصوصاً كرة اليد ، في العملية التعليمية لاحظ ضعف في تحقيق الاهداف التعليمية، كما ان تدريبات التعلم والممارسة يمكن ان تكون مملة ، مما يؤدي الى فقدان الاهتمام لدى المتعلم، في حين ان الاستراتيجيات الحديثة تعمل على تطوير العملية التعليمية وكذلك تعمل على ملائمة القدرات والقابليات البدنية والعقلية والمهارية للمتعلمين،

اهداف البحث:

1- إعداد وحدات تعليمية وفق المرونة المعرفية في تعلم مهارة التصويب بكرة اليد للطلاب.

2- التعرف على اثر وحدات تعليمية وفق المرونة المعرفية في تعلم مهارتي المناولة والاستلام والطبطبة التصويب بكرة اليد للطلاب.

فرضيتي البحث:

1. هناك فروق ذات دلالة احصائية بنتائج الاختبار القبلي والبعدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية ولصالح المجموعة التجريبية.

2. هناك فروق ذات دلالة احصائية بنتائج الاختبارين البعديين للمجموعتين الضابطة والتجريبية ولصالح الاختبار البعدي.

حدود البحث :

الحدود البشرية: طلاب قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة /كلية التربية الاساسية .

الحدود الزمانية: 2024/9/1 ولغاية 2024/12/1م.

الحدود المكانية: ساحة كرة اليد / قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة .

2 – منهجية البحث وإجراءاته الميدانية

2-1 منهج البحث : إنَّ المنهج الملائم لطبيعة المشكلة هو الذي يحتم على الباحث اختيار ذلك المنهج لحل مشكلة الدراسة لذا استعمل الباحث المنهج التجريبي للمجموعتين المتكافئتين لملائمتهم طبيعة البحث واهدافه ، وان المنهج التجريبي " هو محاولة لضبط كل العوامل الاساسية في المتغيرات او المتغيرات التابعة في

التجربة بشكل جزئي ماعدا عامل واحد يتحكم فيه الباحث ويغيره على نحو معين بقصد تحديد وقياس تأثيره على المتغير او المتغيرات التابعة (نوري الشوك:ص59).

كذلك اعتمد الباحث في تصميم بحثه على تصميم المجموعتينَ المتكافئتين (التجريبية والضابطة) ذات الاختبار القبلي والبعدي.

شكل يبين التصميم التجريبي للدراسة

ت	المجموعات	الخطوة الاولى	الخطوة الثانية	الخطوة الثالثة	الخطوة الرابعة	الخطوة الخامسة
		الاختبار القبلي	المتغير المستقل	الاختبار البعدي		
1	المجموعة التجريبية	اختبارات المرونة المعرفية وبعض المهارات الهجومية بكرة اليد	الوحدات التعليمة	اختبارات المرونة المعرفية وبعض المهارات الهجومية بكرة اليد	الفرق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمجموعتين التجريبية والضابطة	الفرق بين الاختبارات البعدية للمجموعتين
2	المجموعة الضابطة		المنهج المتبع			

2 – 2 مجتمع البحث وعينته

تم تحديد مجتمع البحث بالطريقة العمدية، حيث شمل طلبة المرحلة الأولى في (قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة للدراسة الصباحية) في كلية التربية الأساسية بجامعة ديالى للعام الدراسي (2024-2025) والذي بلغ عددهم (40) طالب، هناك امور كثيرة ومهمة في انجاز البحث ومعالجة المشكلة ، هي تحديد مجتمع البحث الاصلي تحديدا دقيقا ،وكذلك دراسته بشكل واف ، ويعتبره الباحثين المجتمع الاصلي ، الذي فيما بعد سوف تعمم عليه نتائج البحث،(العبادي: ص 96)

3-2 اجراءات البحث الميدانية

3-2-1الاختبارات القبلية:

قام الباحث بإجراء الاختبارات القبلية المرونة المعرفية يُعرض نموذج للاختبار عن طريق شاشة الحاسوب في المنظومة ويتم الاختبار لكل طالب بوقت محدد لكل فقرة من فقرات الاختبار وبعد الانتهاء من الاختبارات تجمع النتائج ليتم تحليلها احصائيا .

و في اليوم التالي قام الباحث بأجراء الاختبارات القبليَّة الخاصة بالمهارات قيد الدِّرَاسَة في ملعب كرة اليد في كلية التربية الاساسية

3-2-2التجربة الرئيسة

إذ بدأ تطبيقِ الوحدات التعليمية لمدة (10) اسابيع وبواقع وحدة تعليمية فِي الأسبوع الواحد يوم الثلاثاء بزمن مقداره ساعة ونصف (90) دقيقة لِكُل وحْدَة تَعْليميَّة والتي شملت القسم التحضيري والذي زمنــه (15) دقيقة ويتكون من (المقدمة ،الاحماء العام ، والاحماء الخاص) والقسم الرئيسي الذي زمنه (65) دقيقة، ويتكون من جزئي الجزء التعليمي وزمنه (24) دقيقة ، والجزء التطبيقي زمنه (41) دقيقة والتي يتم فيها اعطاء تمارين للمهارة المطبقة وبواقع (3) تمرينات في الوحدة التعليمية الواحدة ، القسم الختامي هو القسم الاخير من الوحدة التعليمية الذي يكون مدة (10) دقيقة ويتكون من (لعبة صغيرة ، الانصراف)

2-4--2 الاختبارات البعدية:

بعد الانتهاء من تنفيذ الوحدات التعليمية على وفق المرونة المعرفية على العينة قام الباحث بأجراء الاختبارات البعدية على عينة البحث

اجريت الاختبارات لِلمَهَارات الأَساسيَّة بكرة اليد في نفس مَلعَب كُليَّة التَّربيَة الأَساسيّة

وقد حرص الباحث على اتباع كلّ الشروط الازمة، والإجراءات المتبعة في الاختبار القبلي نفسها.

الوسائل الاحصائية

استخدم الباحث اَلوسائل الإحصائية المناسبة لـمعالجة البيانات الناتجة بوساطة الْاختبارات القبلية والبعدية من خلال

انحصرت (0.571 الى 0.995) وهذا مؤشر جيد." له قيمة واحدة(المساحة تحت المنحنى تساوي واحد صحيح)وطرفان يمتدان الى ما لا نهاية حيث يقتربان من المحور الافقي ولكنهما لا يلتقيان به ابداً

الوَسَائِل وَالأَجْهِزَة والأَدَوات المُسْتَخْدَمَة في البَحِث :

وَسائل جَمْع المَعْلومَات :-

- المصادر العربية والأجنبية.
- المــلاحظات العلمية.
- الاختبارات الهجومية بكرة اليد.
- شبكة الإنترنَت العالمية.
- استمارات تسجيل البيانات ملحق رقم (8).

الأجهزة والادوات المستعملة في البحث:-

- كاميرا تصوير نوع سُوني، يابانية الصنع، بسعة تردد 60 صورة في الثانية مع مسند.
- حاسوب محمول من نوع لينوفوا صيني الصنع، عدد (1).
- جهاز قياس إلكتروني لقياس الطول صيني المنشأ.
- ساعة توقيت ياباني المنشأ
- ميزان طبي إلكتروني، ألماني المنشأ، لقياس الكتلة، عدد (1).

- أقلام متنوعة تشمل أقلام رصاص، جاف، سوفت، وماجيك
- شواخص عدد (10).
- شريط قياس (فيته) طول (20) متر
- شريط لاصق باللون الأصفر، بعرض (5 سم).
- صفارة من نوع (فوكس)، صيني المنشأ عدد (2).
- بوسترات وصور.
- ملعب كرة يد مطابق للمواصفات القانونية.
- كرات يد قانونية، صينية الصنع، عدد (8).

تحديد متغيرات البحث :

بعد أن قام الباحث بمراجعة مجموعة من المصادر العلمية والدراسات السابقة المرتبطة بموضوع بحثه، حدد المتغيرات الخاصة بالبحث واختار الاختبارات الملائمة لكل منها، بما يتناسب مع طبيعة البحث وعينته, وقد اعتمد في ذلك على خبرات وتوجيهات السيد المشرف، نظرًا لخبرته العلمية الواسعة في هذا المجال.

تحديد المهارات المستخدمة في البحث: بعد الاطلاع على المقرر الدراسي للمرحلة الأولى للعبة كرة اليد في هذه المرحلة، ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة، قام الباحث تحديد بعض المهارات الخاصة بلعبة كرة اليد، المدرجة في المنهاج المخصص لطلبة المرحلة الأولى، وهي:مهارة المناولة و الاستلام بكرة اليد ومهارة الطبطبة بكرة اليد

تحديد الاختبارات الخاصة بالمتغيرات المستخدمة في البحث :-

لاختيار أهم الاختبارات لمهارات كرة اليد، قام الباحث بإعداد استمارة استبيان تحتوي على ثلاثة اختبارات لكل مهارة بكرة اليد، وعرضها على مجموعة من الخبراء في مجال التخصص، والذين بلغ عددهم (19) خبيرً تم ذلك بهدف تحديد النسبة المئوية لكل اختبار، وقد تم ترشيح الاختبارات التي حصلت على نسبة(80%) فما فوق، كما هو موضح في الجدول (5) وقد تم اختيار الاختبار الذي حصل على نسبة اتفاق بلغت (94.73%) لمهارة المناولة والاستلام، بالإضافة إلى الاختبار الذي حصل على نسبة اتفاق بلغت (89.47%) لمهارة الطبطبة، ثم الاختبار الذي حصل على نسبة (84.21%) لمهارة التصويب.

جدول يبين اهم الاختبارات التي تم ترشيحها من قبل السادة الخبراء

المهـــــارات الهجومية	ت	الاختِبَارَات	موافق	النســـبة المئوية	قبـــول الترشيح
المناولـــــة والاستلام	1	اختبـار المناولـة علـى الجـدار مـن مسافة 4 م	18	94.73%	✓
	2	اختبار دقة المناولة من الركض	1	5.26%	×
	3	اختبار مهارة المناولة بمستوى الرأس	0	0%	×
الطبطبة	1	اختبـار الطبطبـة المتعرجـة بـين الشواخص لمسافة 15م	17	89.47%	✓
	2	اختبار الطبطبة المستمرة في اتجاهات متعددة	1	5.26%	×
	3	اختبار الطبطبة بخط مستقيم (15)م	1	5.26%	×

مواصفات اختبارات المهارات المستخدمة في البحث

اختبار مهارة المناولة والاستلام – (الخياط والحيالي :2001 ص 36)

اسم الاختبار/ المناولة والاستلام على الحائط مسافة (4 م) لمدة (30 ثانية) .

الغرض من الاختبار / قياس سرعة مناولة واستلام الكرة على الحائط.

طريقة الأداء / يقف الطالب المختبر على بعد (4 م) من الحائط وعند الإشارة يقوم بتمرير الكرة الى الحائط وباستمرار لأكثر عدد ممكن في زمن محدد قدرهُ (30 ثانية) ، كما موضح في الشكل (3) .

التسجيل / تحسب عدد التمريرات في الزمن المحدد (تحسب عدد مرات استلام الكرة)

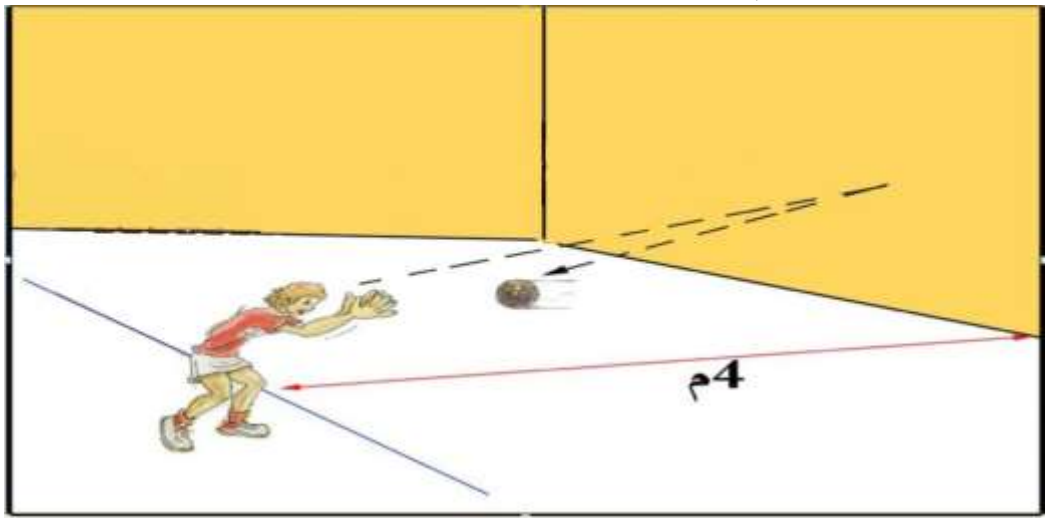

شكل يوضّح اختبار المناولة والاستلام بكرة اليد

اختبار مهارة الطبطبة: – **(حازم علوان:1990 ص53)**

اسم الاختبار / الطبطبة المتعرجة بين الشواخص مسافة (15 م) .

الغرض من الاختبار / قياس مستوى مهارة الطبطبة .

الأدوات/ كرة يد قانونية رقم (2) ، شواخص عدد 5 ، صافرة .

وصف الأداء / توضع خمسة شواخص على الأرض وبخط مستقيم يبعد الأول عن خط البداية (3) م والمسافة بين شاخص وأخر (3) م كما في الشكل (4) ، يقف الطالب خلف خط البداية وعند الشارة بالبدء يقوم الطالب بطبطبة الكرة مع الركض على شكل متعرج بين الشواخص ذهاباً وإيابا حتى عبور خط البداية .

التسجيل / يحسب الزمن المسجل ذهاباً وإيابا من لحظة البدء حتى تخطي الطالب لخط البداية

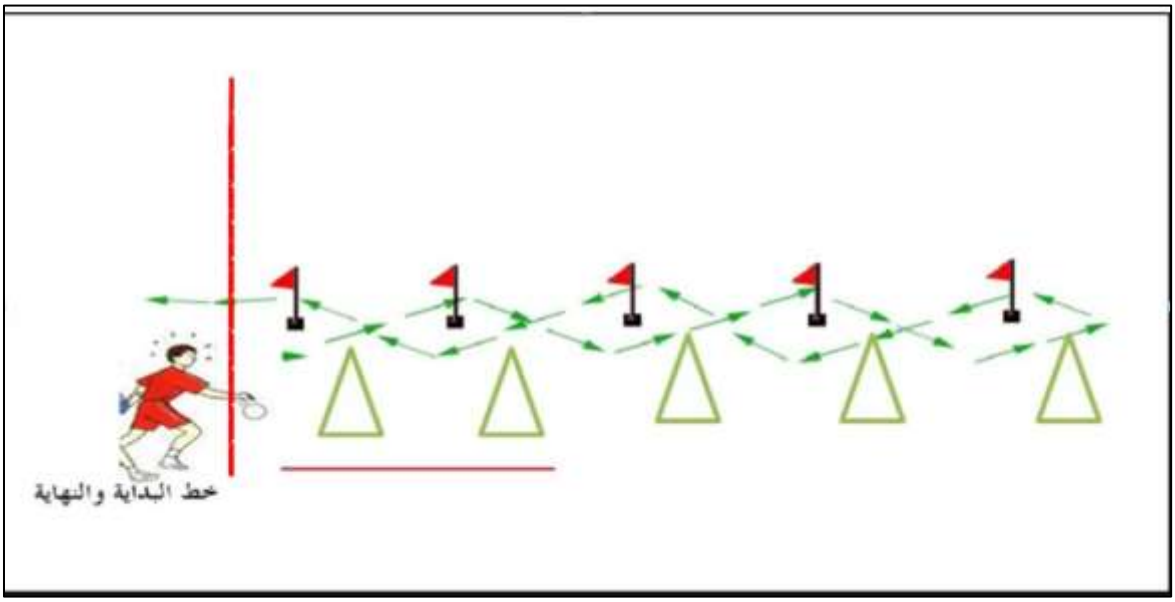

شكل يوضح اختبار الطبطبة بكرة اليد

التجربة الاستطلاعية: –

والتجربة الاستطلاعية هي " دراسة تجريبية أولية يقوم بها الباحث على عينة صغيرة قبل قيامهُ ببحثهُ، بهدف اختيار أساليب البحث وأدواتهُ

. عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

في هذا الفصل سيقوم الباحث بعرض نتائجه وتحليلها ومناقشتها ، حيث قام بجمع وتحليل نتائج الاختبارات إحصائيا من اجل تحقيق الهدف الثاني للبحث والمتمثل بالتعرف على الفروق بين نتائج الاختبارات القبلية والبعدية في التفكير التأملي وتعلم بعض المهارات الهجومية بكرة اليد للمجموعتين التجريبية والضابطة.

عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمهارات قيد البحث للمجموعة التجريبية:–

الجدول (1)

يبين قيم الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وفرق الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والخطأ المعياري وقيمة (T) المحسوبة للمجموعة التجريبية في نتائج الاختبارات القبلية والبعدية

المتغيرات	وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		س - ف	ع ف	الخطأ المعياري	(T) المحسوبة	قيمة الخطأ	دلالة الفروق
		س-	±ع	س-	±ع						
المرونة المعرفية	درجة	51.533	7.981	64.933	8.905	13.40	10.804	1.972	6.739	0.000	معنوي
المناولة والاستلام	عدد	12.166	3.217	17.933	2.947	5.766	5.767	0.951	6.062	0.000	معنوي
الطبطبة	100/1ثا	28.117	5.738	19.175	1.631	8.942	5.814	1.061	8.424	0.000	معنوي

من خلال الجدول (1) نلاحظ قيم الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (T) المحسوبة بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية وكذلك قيم الفروق للأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية للاختبارين القبلي والبعدي للمهارات الاساسية بكرة اليد قيد البحث ، نلاحظ نتائج اختبار المرونة المعرفية ، إذ بلغت قيمة الوسط الحسابي للاختبار القبلي (51.533) وبانحراف معياري (7.981) وبلغت قيمة الوسط الحسابي للاختبار البعدي (64.933) والانحراف المعياري (8.905) وبلغت قيمة الفروق للأوساط الحسابية بين الاختبارين القبلي والبعدي (13. 40) وبلغت قيمة الفروق للانحراف المعياري(10.804) ، في حين بلغت قيمة (T) المحسوبة (6.739) وبما ان قيم (T)المحسوبة اكبر من الجدولية عند مستوى الدلالة عند (0.000) مما يدل على وجود فروق معنوية بين الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي في نتائج اختبارات المجموعة التجريبية في اختبار المرونة المعرفية ، و أن نتائج اختبار المناولة والاستلام ، قد بلغت قيمة الوسط الحسابي للاختبار القبلي هي (12.166) وبانحراف معياري قدره (3.217) والوسط الحسابي للاختبار البعدي بلغ (17.933) والانحراف المعياري (2.947) وبلغت قيمة الفروق للأوساط الحسابية للاختبارين القبلي والبعدي (5.766) وقيمة الفروق للانحراف المعياري(5.767) وان قيمة (T) المحسوبة (6.062) وبما ان قيم (T) المحسوبة اكبر من الجدولية عند مستوى الدلالة عند (0.000) مما يدل على وجود فروق معنوية بين الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي في نتائج اختبارات المجموعة التجريبية لمهارة المناولة والاستلام بكرة اليد .

بلغت قيمة الوسط الحسابي لمهارة الطبطبة بوحدة قياس زمن الاداء (100/1ثا) في الاختبار القبلي (28.117) والانحراف المعياري (5.738) وبلغت قيمة الوسط الحسابي للاختبار البعدي (19.175) والانحراف المعياري (1.631) وبلغت قيمة الفروق للأوساط الحسابية بين الاختبارين القبلي والبعدي

(8,942) وبلغت قيمة الفروق للانحراف المعياري(5.814) ، في حين بلغت قيمة (T) المحسوبة (8.424) وبما ان قيم (T) المحسوبة اكبر من الجدولية عند مستوى الدلالة عند (0.000) مما يدل على وجود فروق معنوية بين الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية في المرونة المعرفية والمهارات الهجومية بكرة اليد .

ويعزو الباحث ومن خلال هذه البيانات نستدل ان المرونة المعرفية التي وظفها الباحث في الخطط التدريسية في الوحدات التعليمية للمجموعة التجريبية ، قد اثبتت فاعليتها في تعلم بعض المهارات الهجومية بكرة اليد لكون هذه كما يرى الباحث ان هذه الفروق تعود الى إن استخدام المرونة المعرفية قد أتاح للطلاب بيئة تعليمية جديدة تلبي احتياجاتهم ورغباتهم وفقًا لقدراتهم المتعلم لممارسة الأداء الحقيقي في ظروف مُسيطر عليها، مما يمنح الطالب الفرصة لتجربة أشكال حركية جديدة دون القلق من الأخطاء, فضلا عن ذلك فإن استخدام المجموعة التجريبية للتمارين التي تؤثر بفاعلية في تطوير القدرات المرتبطة باداء المهارات وكذلك يعزو الباحث ذلك الى الاختلاف في طريقة عرض وشرح المهارة وايصال المعلومة المعرفية فاستخدمت المجموعة التجريبية المرونة المعرفية وهي سبب التفوق من خلال تنفيذ خطواتها والابتعاد عن الطريقة المتبعة في وصول المعلومة والتي تتلاءم مع متطلبات العصر الحديث ويتماشى مع ما ذكره (كريمان بدير:2008) " ان وجود استراتيجية تدريسية مناسبة تلائم قدرات وقابليات المتعلمين العقلية والمهارية في الموقف التعليمي تساعد على التعلم والاكتساب" استيعاب المعلومة ومراعاة الفروق الفردية بينهم واشاعة روح التعاون والتواصل فيما بينهم وبين المدرس في مناقشة المعلومة وايجاد بيئة تعليمية مليئة بالابتكار والابداع فضلاً عن مشاركة الطالب في الوصول الى الاهداف التعليمية من خلال مشاركته في حل المشكلات والبحث عن الاجوبة للأسئلة الموضوعة من خلال العمل التعاوني بين الطلاب بعيداً عن الطريقة التقليدي

- الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات :

استناداً الى ما توصلت لهُ نتائج البحث توصل الباحث الى الاستنتاجات الآتية:-

1. أن المرونة المعرفية تمنح فرصاً للطلاب للقيام بالمشاركة من خلال تحفيزهم على التفكير والتأمل لإيجاد حلّول للمشكلات التي تحدث في العملية التعليمية.
2. ان المرونة المعرفية ساعدت الطلاب في توجيه استخدام اساليب منظمة في تقسيم المحتوى الى عناصر مما يسهل فهمه وتطبيقه بصورة جيدة.

التوصيات :

1- التأكيد على تعرف المدرسين على أهمية المرونة المعرفية للطلاب، وعمل وحدات تعليمية جديدة على وفق المرونة المعرفية لهم.

2- القيام بإجراء دراسات مشابهة للدراسة الحالية على عينات متنوعة وفعاليات رياضية

المصادر والمراجع.

1. أحمد خميس السوداني ومحمد محمود كاظم ،كرة اليد الحديثة المبادئ المهارية والخططية، مطبعة الميزان، بغداد_ المتنبي،(سنة 2017)
2. احمد عريبي عودة ؛ كرة اليد وعناصرها الأساسية : (ليبيا، دار المطبوعات، جامعة الفاتح –1998)
3. ضياء قاسم الخياط ونوفل محمد الحيالي :كرة اليد ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ،العراق ،2001،ص36.
4. محمد مصطفى الديب :استراتيجيات معاصرة في التعلم التعاوني ،القاهرة ، عالم الكتب ،ط1 ،2006 ،ص304.303.
5. حازم علوان منصور :ايجاد درجات معيارية للمهارات الاساسية بكرة اليد ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية الرياضية ،جامعة بغداد ،1990،ص53.
6. حيدر عبد الرزاق كاظم العبادي : اساسيات كتابة البحث العلمي في التربية البدنية وعلوم الرياضة، العراق . البصرة .الغدير للطباعة والنشر المحدودة ط1 2015 ص96.
7. جابر عبدالحميد جابر؛ اتجاهات وتجارب معاصرة في تقويم أداء التلميذ والمدرس ، دار الفكر العربي، القاهرة 2002.

إشكالية المرأة في المجتمع الإسلامي – نماذج مختارة

إعداد

أ.م.د ولاء مهدي الجبوري
كلية التربية الأساسية
الجامعة المستنصرية

المستخلص

تعد إشكالية المرأة في الفكر السلامي المعاصر من القضايا والمفاهيم التي اشتد حولها الجدل والخلاف في الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر اذ ارتبطت مسألة المرأة وجدلية دورها الاجتماعي العام بالعديد من المفاهيم القلقة التي يحملها الناس اليها مع كل التحولات والمتغيرات التي شهدتها المجتمعات العربية والإسلامية وخصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين لا تزال قضية المرأة من اهم الاشكاليات المتجددة التي تثار بين الحين والاخر. وتلخص في التناقض بين ثقافة اللحظة الاجتماعية الراهنة والزامات الفقه الإسلامي ,بوصفه تشريعات قانونية مثقلة بالثقافة الاجتماعية السائدة في مراحل النص المقدس والتدوين المبكر للنصوص التأسيسية والفقهية الأولى .مما يودي الى الارباك في التعامل مع المرأة على صعيد الواقع وينعكس ذلك على دورها في المجتمع ومكانتها ونظرتها لنفسها والمسؤولية الملقاة على عاتقها .وتتأرجح قضية المرأة في المجتمعات الإسلامية بين موقفين الأول الغلو والتقصير والثاني الافراط والتفريط وذلك يؤدي الى جدلية دورها الاجتماعي ومشاركتها في الوظائف العامة وغيرها من القضايا .ونظرا لاتساع و كثرة المناقشات والآراء ,التي استمرت زهاء قرن من الزمان وقع اختيارنا على نموذجين لمفكرين عبر كل منهما عن تيار فكري مهم في الفكر الإسلامي المعاصر , الأول الدكتور علي شريعتي والثاني الدكتور محمد شحرور ,سلطنا الضوء على جوانب منتخبة من اراءهم و تصوراتهم حول المرأة انطلاقا من فهم كل منهما للقرآن والنصوص التأسيسية الأولى .

الكلمات المفتاحية : الفكر الإسلامي المعاصر , قضايا إسلامية معاصرة , قضايا المرأة .

Abstract

The question of women in contemporary Islamic thought constitutes one of the most contested issues within modern Islamic discourse. The debate surrounding women and the dialectics of their public social role have been closely tied to a set of unsettled notions that shape societal perceptions of women. Despite the profound transformations and socio-political changes experienced by Arab and Islamic societies—particularly in the second half of the twentieth century—the "woman question" remains a persistent and recurrent problem that continues to resurface periodically . .

This problematic may be summarized in the tension between the prevailing culture of the present socio-historical moment and the normative requirements of Islamic jurisprudence, which represents a body of legal rulings deeply informed by the dominant social ethos of the periods of revelation and the early codification of foundational and juristic texts. Such a tension produces confusion in practical dealings with women, which in turn affects their social role, their status, their self-perception, and the responsibilities placed upon them.

The issue of women in Islamic societies oscillates between two poles: on the one hand, exaggeration and neglect, and on the other, excess and deficiency. This oscillation underlies the ongoing debate over women's social participation, their engagement in public functions, and related questions.

In view of the breadth and multiplicity of discussions and perspectives on this matter—extending for nearly a century—this study has selected two representative figures, each articulating a significant intellectual current within contemporary Islamic thought: Dr. Ali Shariati and Dr. Mohammed Shahrour. The analysis highlights selected aspects of their views and conceptualizations of women, grounded in their respective understandings and interpretations of the Qur'an and the foundational early tex .

Keywords: Contemporary Islamic Thought, Contemporary Islamic Issues, The Woman Question*)*

المقدمة

الخطاب المنتج حول المرأة في العالم العربي المعاصر خطاب في مجمله طائفي عنصري بمعنى انه خطاب يتحدث عن مطلق المرأة – الانثى ويضعها في علاقة مقارنة مع الرجل –الذكر. وحين تحدد علاقة ما بين طرفين متقابلين او متعارضين ويلزم منها ضرورة خضوع احدهما للآخر واستسلامه له ودخولهما طائعا منطقة نفوذه فان من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمناً ان ينتج خطاباً طائفياً عنصريا بكل معاني الالفاظ الثلاثة و دلالتها ليس هذا شأن الخطاب الديني وحده بل شأن الخطاب العربي السائد والمسيطر شعبياً وإعلامياً. ولعل من الصعب نجد في نبرة خطاب المساواة و المشاركة إحساسا بالتفوق نابع من افتراض ضمني يحمله الخطاب بمركزية الرجل – الذكر , فالمرأة حين تتساوى فأنها تتساوى بالرجل وحين يسمح لها بالمشاركة فإنما تشارك الرجل .وفي كل الأحوال يصبح الرجل مركز الحركة وبؤرة الفاعلية ,ويبدو الامر كأنما

هو قدر ميتافزيقي لا فكاك منه ولا مناص وكأن مرحلة سيادة الانثى في بعض المجتمعات الإنسانية وكأن كل فاعلية للمرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فاعلية هامشية لا تكتسب دلالتها إلا من خلال فاعلية الرجل. (أبو زيد، 2004، صفحة 29)

واذا ما حاولنا الاطلالة على المسار التاريخي للخلاف الإسلامي –الإسلامي في شأن المرأة نجد مع الاحتفاظ بشيء من الفارق ,هنالك إعادة او تكرار في البحث حول موضوعات محددة من قاسم امين ومحمد عبده الى المطهري وابي زيد والسعداوي وشحرور وغيرهم ,فالموضوعات هي ذاتها تطرح بشكل جديد ولباس جديد. (مجموعة باحثين، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا و إشكاليات، 2008، صفحة 11)

كتب قاسم امين كتابه (المرأة الجديدة) في عام 1900 الصادر عام 1911 حيث يعد من أوائل الكتاب الذين تناول قضية المرأة ودعا للمساواة بينها و بين الرجل ودافع عن حقوقها الأخرى كالتعلم و العمل وغيرها وناقش شيوخ الازهر بشواهد من التاريخ والإسلام. (امين، 1911)

وقد يكون استمرار وتجدد إشكالية المرأة و حقوقها لما يتجاوز القرن ونيف من الزمن يعود الى عدم وجود تلاؤم بين التصور الجديد للمرأة وبين النظام الحقوقي التقليدي , فلابد لنا من البحث في الاحكام الدينية لنرى أي البناءات المعرفية لحقيقة الانسان هي التي بنيت عليها هذه الاحكام ,حيث يرى الكثير من الباحثين والمختصين ان ملاحظة فلسفة الاحكام المتعلقة بالمرأة ,مثل شهادتها , سوف يغير في الكثير من نظرتنا اليها . لذلك ينبغي استخراج القيم الأساسية الخادمة للعدالة من المصادر الدينية والعقلية والنظرالى النظم الحقوقية السابقة على انها قشور وضيفتها حماية القيم لذا تتسم بالمرحلية وتكون مؤقتة تتغير تبعا لتبدل الأحوال واستبدال هذه القشور بغيرها مما يكون بإمكانه حفظ هذه القيم الرئيسية. (مجموعة باحثين، المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا و إشكاليات، 2008، الصفحات 26-27)

وقد يكون الخلاف الجوهري بين الأصوليين الإسلاميين وبين انصار الحداثة سببه تمسك الأصوليين بأحكام الشرع الإسلامي التي تتعلق بالمرأة والكثير من الاحكام الفقهية تتسم بجلاء بمناهضتها للمرأة فضلا عما فيها من عقوبات جزائية لا إنسانية تعدها التيارات الفقهية امرا جوهريا في المعتقد. (الشريفي، 2008 ، صفحة 54)

كان ولايزال الجدل حول حقوق المرأة من اكثر القضايا الشائكة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. رافق ذلك العديد من التغيير في تشريعات والقوانين في هذه الدول الا انها بقيت ينظر لها بعين الريبة من قبل رجال الدين والتيار الاصولي الواسع في هذه المجتمعات , فالحملة التي بدأت في المغرب عام 2003 بهدف تحسين وضع المرأة في قانون الاسرة المغربي وجهت اليه الاتهامات بأن الإصلاحات ليست سوى محاولة

تسعى الى تغيير الإسلام وفي دول أخرى يرون إعطاء حقوقا للمرأة مخالفا للقواعد الأخلاقية وفي العديد من الدول مثل العراق وغيرها غدت المعارك المتعلقة بحقوق المرأة والتشريعات المرتبطة بها معارك سياسية تمس القيم الأساسية والمسائل المتعلقة بالأخلاقيات والنظام الاجتماعي. (مجموعة باحثين، حقوق المرأة في الشرق الأوسط و شمال افريقيا – المواطنة و العدالة ، 2004، صفحة 17)

في حين ينظر اليسار العربي الى الخطاب الإسلامي بعين التشدد والريبة اذ يحملون ورز تشدد التيارات الإسلامية المعاصرة الى الفقه الإسلامي برمته ويدعون الى الفكر الغربي اوالحداثوي بديلا حتميا عنه وان قبل بعضهم بالفقه الإسلامي مشارك للنظريات المعاصرة دون ان يحتكم له .وهكذا يغدوا تناقض الحلول المطروحة في شأن المرأة يعمق الانقسام الاجتماعي ولا يوفر الحلول الناجحة لأكثر القضايا حساسية في المجتمع ,وواقع الحال ان الفقه الإسلامي في صيغته المتقدمة ليس محظ شرح للنص المقدس بل هو خيار مفكري هذه الامة في فترة الصعود الحضاري وهو نشاط وان لم يصرح بذلك , ليس متوافقا في مورد النص , بل ان نشاطه يتصل بتخصيص النص و تقييده وتقرير حقيقته و مجازه وتقرير اقتضاءه وعباراته واشاراته ونَسخه والتوقف فيه الى فضاء الاجتهاد فيما سكت عنه النص . وهذه الافاق الواسعة مغيبة في الاجتهاد الإسلامي منذ قرون ولكنها لم تكن كذلك في عصر صدر الإسلام وفترة التألق الحضاري للامة واذا افترضنا إمكانية النص في ذاته لاحتمال الوجوه المختلفة امكننا حينئذ ان ندرك غنى الفقه الإسلامي الذي نتطلب منه الحلول في المرحلة الراهنة. (حبش، 2022، صفحة 14)

ولعل تراجع الفقه المعاصر لبعض التيارات وتشدده يعمق الفجوة بين اليساريين وأصحاب التيارات الأخرى المعاصرة ,نحن ازاء تشدد وعدم قبول للآخر من كلا الجانين كل بحسب مبادئه وعقيدته الفكرية .

وتتلخص المشكلات التي تواجه المرأة بعدة جوانب في المجتمعات الإسلامية أهمها المنزلة الأدنى للمرأة نتيجة التمييز القانوني بينها وبين الرجل والتمييز في قوانين الجنسية والمواطنة والعنف المنزلي والافتقار الى المعلومات الكافية للحد منه وغياب الصوت ومنزلة المرأة الأدنى في قوانين الاسرة فضلا الى الافتقار الى آلية الشكوى وجملة أمور أخرى ترتبط بها. (مجموعة باحثين، حقوق المرأة في الشرق الأوسط و شمال افريقيا – المواطنة و العدالة ، 2004، الصفحات 45-46) بأحسن الأحوال من المتوقع ان تشهد العقود المقبلة تحولات في رؤية الخطاب الإسلامي من قضية المرأة وذلك لمعطيات ذاتية وموضوعية راهنة ومستقبلية كما يحددها احد الباحثين الإسلاميين وفق الاتي حيث اخذ الفكر الإسلامي ينتقل من زاوية النظرية الى زاوية التطبيق مما قد يؤدي الى التحول من المثالية الى الواقعية ومن التعميم الى النسبية ومن العصبية الى التدرج حيث اخذت الصحوة الإسلامية المعاصرة تثير رياح التغيير و الإصلاح و التجديد في أحوال وأوضاع المجتمعات العربية والإسلامية وخصوصا تلك التي يلفها الجمود والركود.

كما يلاحظ تراجع وانحسار المنحى التقليدي السلفي نسبيا على الصعيدين الفكري والاجتماعي والمعروف عنه تشدده والتمسك في الموروثات والتقاليد التي ترتبط بقضايا المرأة , بسبب الاهتمام العالمي بقضايا المرأة والتحسن النسبي في احوالها , منذ ان أعلنت الأمم المتحدة السنة العالمية للمرأة في عام 1975 م ,ثم تجدد اهتمامها في عام 1985م, وحدد تقرير مؤتمر نيروبي حول المرأة ,ان اشد العقبات والعراقيل التي ما زالت تحول دون تقدم المرأة اهمها : النقلة العميقة الجذرية وعجز في تفهم مدلولات الطروحات النسائية , وفقدان الموارد المالية لإصلاح وضع المرأة ولهذا الأسباب تبنى المؤتمر مخططات ونتائج إضافية مما انعكس هذا الاهتمام العالمي بقضايا المرأة المسلمة بدءاً من ادراكها لمشكلاتها و ظروفها وصولاً الى ضرورة الارتقاء بطاقاتها وكفاءتها. (ميلاد، 2008، صفحة 58)

كما حظيت قضايا المرأة باهتمام المفكرين الإسلاميين حيث لا تكاد تجد كاتبا او مفكرا او فقيها او مصلحا الا وكتب في هذا الموضوع أو اقترب منه بصورة من الصور ومما يفسر هذا الاهتمام النشط بقضايا المرأة في الادبيات الإسلامية خوض هذه التيارات الإسلامية معارك فكرية ساخنة شكلت واحدا من اشد أنواع الاصطدام بين المنظومات الفكرية المتنازعة في رؤيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجال العربي والإسلامي وذلك لارتباطها الشديد بالحياة الاجتماعية العامة والخاصة للفرد والاسرة. ومنذ الاصطدام الحاد الذي حصل بين المنظومات الإسلامية والمنظومات والبنى الفكرية الأخرى المغايرة برزت قضايا المرأة في معترك السجالات الاحتجاجية الساخنة بين هذه المنظومات واصطبغت بلغتها. حيث عمدت هذه المنظومات الفكرية المختلفة الى توظيف قضية المرأة في خطابها الفكري والاجتماعي وكانت تعطيه صفة الحداثة والتنوير في المقابل اظهرت المنظومات الإسلامية ضعفاً ملحوظاً في تصوير رؤيتها وبلورة طروحاتها حول هذه المهمة. (ميلاد، 2008، صفحة 60)

لعل اهم أسباب السجالات الفكرية والمعارك الاجتماعية حول المرأة عودة التيار الاصولي و السلفي الإسلامي وبشدة للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ودأب الفكر ان يطارد تحولات السياسية والاجتماعية ويدور حولها ويصطبغ بصبغتها. وقع اختيارنا على مفكرين معاصرين عبر كل منهما عن تيار مختلف عن الاخر وكان لهم اثر كبير في تغيير المجتمعات واذكاء جذوة النقاشات وطرح حلولا لمشكلات المرأة وكل حسب فهمه وتوجهه التجديدي وهما الدكتور علي شريعتي و الدكتور محمد شحرور.

علي شريعتي واصلاح المرأة والمجتمع

الدكتور علي شريعتي وهو من رواد التجديد في الفكر الديني ورواد الحركة الإسلامية التجديدية في ايران ولد عام 1933 في قرية قرب مشهد في محافظة خرسان .كان ناشطا ضمن التيار الذي قاده مصدق وقد

تعرض للسجن عدة مرات تخرج من كلية الآداب في جامعة طهران وسافر الى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه عام 1959 في علم الاجتماع و تاريخ الإسلام . لعب دورا في تكوين النواة الأولى للجمعيات الإسلامية في الخارج عاد الى ايران في منتصف الستينات وعين مدرسا في جامعة مشهد وبعدها في جامعة طهران في عام 1969 تأسست حسينية الارشاد في طهران وكانت منبرا لنشر فكره الإصلاحي حيث قام بألقاء محاضرات منتظمة حول تاريخ الإسلام والتشيع دعا فيها الى تصحيح المفاهيم الخاطئة السائدة عن الإسلام واعتقل وافرج عنه وغادر الى لندن حيث عثر عليه مقتولا عام 1977 في شقته. (رسول، 1987 ، الصفحات 7-9)

له العديد الكتب أهمها : طريق معرفة الإسلام , العودة الى الذات , الحسين وارث ادم , الدعاء , الإسلام و الانسان , ماذا علينا ان نفعل , علي وحيدا , حرية الانسان , أبو ذر الغفاري , الهجرة و الحضارة , الحرية و الوجودية , التشيع العلوي و التشيع الصفوي , فاطمة هي فاطمة ,النباهة والاستحمار , مسؤولية المثقف , بناء الذات الثورية , التشيع مسؤولية , سيماء محمد , الشهادة , ابي –امي – نحن متهمون , الامة و الامامة , مسؤولية المرأة , دين ضد دين , الفريضة الخامسة , الإسلام ومدارس الغرب , الانسان و التاريخ.

(\ar.wikipedia.org\wiki)

تناول شريعتي قضية المرأة في كتابين (فاطمة هي فاطمة) و (مسؤولية المرأة) مخصصاً القسم الأكبر من هذين الكتابين لنقد أحوال وأوضاع المجتمع الذي تعرض لهجمة الفكر الأوربي والتغريب والنسوية, ودعا الى جملة أمور أولها الابتعاد عن والتقاليد والعادات والقيم والاخلاق القديمة والبالية والتراث , انطلق شريعتي في دفاعة من العودة الى حقيقة الإسلام والتشيع الصحيح في جوهره دون التشيع الصفوي المعاصر وما لحق التشيع العلوي من شوائب عبر التاريخ, وله العديد من الأفكار والآراء والمقترحات القيمة بهذا الصدد الا اننا نكتفي بذكر اراءه التي تتعلق بقضية المرأة وتحررها . ابتدأ حديثه عن جذور مشكلة المرأة وحريتها و حقوقها في الغرب الأوربي والأمريكي حيث أثيرت بعد الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من نتائج كان من ضمنها القضاء على القيم القديمة والعلاقات الاسرية اذ قوضت كل التقاليد المعهودة والقيم الدينية والعادات والاخلاق والمثل المعنوية والاجتماعية التي كانت سائدة بالتالي انهيار القيم التي تحملها المرأة على الدوام وتبنت هذه الحملة القوى الغربية الكبرى المنتصرة معتمدة المذهب البراغماتي ومذهب فرويد في التحليل النفسي وغيرها من المذاهب المعاصرة. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، الصفحات 11-18)

وقد أرسلت افكارها ودعوى تحرير المرأة المسلمة الى الشرق الأوسط المسلم وتبناها جيل الشباب المتأثر بالثقافة الغربية ومما عزز هذا التيار الفكري رد فعل المتدينين و الجماعة التقليديين الذين كافحوا ضد سيل الأفكار بأساليب جاهلة وساذجة تحاول صيانة ذاتها استنادا الى تقاليد رجعية ومنحرفة وبعيدة عن الواقع مما

أدى الى عقد لدى قطاع واسع من أبناء المجتمع , ان السبيل الصحيح الى مكافحة ومواجهة الفكر الغربي الوافد من خلال إعطاء المرأة حقوقها الإنسانية والإسلامية وبذلك نعد امرأة واعية تواجه الفكر الغربي بوعي وتعي دورها في المجتمع و الاسرة. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، الصفحات 18-19)

حدد شريعتي ثلاث وجوه او ثلاث اشكال للمرأة في المجتمعات الإسلامية أولها وجه او شكل المرأة التقليدية الخرافية (المتأثرة بالخرافات والتقاليد البالية) والثاني وجه المرأة الحديثة او العصرية المتأثرة بالغرب وقد بدأ بالانتشار بشدة بين الشابات اليوم ,اما الوجه الثالث هو وجه (فاطمة) والنساء الفاطميات (اي النساء اللواتي يعبرن عن الإسلام الحقيقي) حيث لا يشبه وجه المرأة التقليدية , فالفكرة التي في اذهان افرادنا عن المرأة التقليدية , بعيد وغريب عن وجه فاطمة بقدر ما وجه فاطمة بعيد وغريب عن وجه المرأة الحديثة . نواجه اليوم في عالمنا ومجتمعاتنا الإسلامية واقعا مريراً متمثلاً بوجود تضاد وأزمة تحول وانهيار وتشتت عنيف في العادات الاجتماعية والسلوك والقيم وطريقة التفكير فالتغيير في طريقة الحياة هو الذي اوجد طريقه للمثقف أو المتحضر والذي هو في تضاد مع الرجل والمرأة التقليدي المحافظ والإسلامي وان المواجهة والتضاد بينهما امرا محتوما ويجب حدوثه ولا يمكن الفرار منه وفي خضم ذلك تغيرت المرأة مع تغير المجتمع وليس بالإمكان إبقاءها في القوالب القديمة. (شريعتي، فاطمة هي فاطمة ، 2017 ، الصفحات 32-33)

شريعتي على النموذج الثالث للمرأة حيث تعرف المرأة كلا النموذجين التقليدي والغربي ولا تقبل النموذج المستورد الوافد اليها من الغرب ومفاهيمه المخادعة التي تتخذ حرية المرأة ذريعة ولا هو من الحرية في شيء, كما ترفض ما يفرض عليها من النموذج التقليدي من الأطر القديمة والتقاليد الموروثة التي لا صلة لها بالإسلام وانما مستمدة من عهود سيادة الاب وعهود الرق ,فتعرض عن النموذجين وتختار ما يناسبها من الإسلام وما يريده الإسلام الحقيقي لها اذا يعطيها كافة حقوقها وحريتها ومؤكدا مكانتها الكبيرة فيه. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، الصفحات 28-29)

ينتقد شريعتي النظرة التقليدية للمرة والتصور السلفي لها حيث يريد السلفيين أو التقليديين الابقاء على الشكل التقليدي للمرأة الذي يصب في صالحهم مدعين ان الإسلام يريد هذا الشكل ويجب ان يبقى كذلك الى يوم القيامة , فالدنيا تتبدل وتتغير وتبقى المرأة في نفس القالب الذي يعجب الرجل مدعين ان النبي محمد (ص) هو الذي أراد للمرأة ان تكون بهذه والصفات والشكل ان هؤلاء يدعون للضلال وهم اشد ضرراً على الإسلام فالتحول في واقع المرأة لا يمكن ان يوقفه احد لان المرأة تتغير لان الزمن يتغير وتتغير معها العادات و التقاليد والاشكال لهذا فأن دعوة السلفيين والتقليديين والمتزمتين فاشلة وعقيمة اذ برروا التقاليد التي تموت العادات اتي تنتهي بالدين فهم لن يستطيعوا حفظها بقوة الدين . فاعتبار الدين والتقاليد شيئاً واحدا امرا غير صحيح بالتالي يتغير الزمن والمجتمع ويجرف معه تغير العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية والعلاقات

الثقافية القديمة. ان التغيير الناجح للمجتمع تدرجياً لا يتم عبر الاجتثاث السريع للتقاليد الاجتماعية والحضارية المتجذرة فذلك يوجد خللاً كبيراً مفاجئاً في المجتمع وانما ينبغي ان يكون التحول تدريجي وبأسلوب هادئ وبعد تهيئة الأرضية الاجتماعية الفكرية للمجتمع واعداد برامج ومناهج كثيرة له وقد ابتدع النبي محمد (ص) منهجاً خاصاً في النضال الاجتماعي وقيادة التغيير وتطبيق الرسالة حيث كان يحفظ شكل التقليد ولكن يغير محتواه من الداخل بطريقة ثورية أي الثورة من باطن التقاليد مع حفظ شكلها الخارجي وبهذا النهج يستطيع المثقف تغيير ومواجهة المفاسد والتقاليد البالية المتجذرة فيه. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، الصفحات 36-41)

وينتقد علي شريعتي المرأة في المجتمعات الغربية الاوربية حيث يستخدمها النظام الرأسمالي أداة للجنس ولتسويق منتجاتها بذريعة الاستقلالية والفردية مما يفكك الاسرة ويؤثر على الأبناء الذين تتولى الدولة تربيتهم لتحقيق منافعها المادية. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، الصفحات 70-71)

انتقل الفكر الغربي الى مجتمعنا المسلم وخاض صراع مع التيارات الدينية والتقليدية المحافظة وتبناه المثقفون ودعاة التجديد وكانت في مقدمة موضوعاته قضية تحرير المرأة واهم دعواته لذا ينبغي مجابهته بمنح المرأة حقوقها الإسلامية حيث ان هنالك نساء طامحات الى تغيير واقعهن دون السقوط في فخ التغريب والغرب الرأسمالي ودون البقاء في الواقع الإسلامي المتحجر وهن ينشدن قدوة يقتدين بها ,وهي فاطمة بنت محمد ابن ابي عبد الله (ص). (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، صفحة 85)

يتناول شريعتي حياة فاطمة الزهراء بنت محمد في بدء الدعوة المحمدية وقبل الهجرة للمدينة مسلطاً الضوء على معاناتها وثباتها وصبرها ودعمها لأبيها رغم صغر سنها الإسلام ونضالها مع ابيها وزوجها الامام علي بن ابي طالب (رض) حتى وفاتها وهي بذلك تجسد اعظم قدوة للمرأة المسلمة. وقد استخدم أسلوب الواعظ والذي يغلب عليه الطابع الأدبي مكثرا من الاستطراد والوصف مدليا برايه وبين الحين والأخر, ويشدد على الجانب النفسي ومعانتها خلال جهاد فاطمة ومعاناتها و مواقفها وصبرها وشجاعتها وفي كتابه مسؤوليه المرأة يضيف شريعتي السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب قدوة للمرأة المسلمة في الثبات والصبر والقيادة الإنسانية والاجتماعية. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، صفحة 22)

تناول شريعتي عددا من القضايا التي تهم المرأة منها غلاء المهر وتعدد الزوجات اذ يرى فيه امرا جاء من اجل كفالة الايتام ورعايتهم تربويا واجتماعيا وتأمين الاستقرار العائلي لهم و تناول موضوع الالتزام بالفرائض وصحة أدائها وتطرق أخير الى موضوع حجاب المرأة واشكاله وضرورته. (شريعتي، مسؤولية المرأة، 2016، صفحة 22)

نلاحظ أخيرا ان علي شريعتي طرح قضية المرأة الأهداف العضة واصلاح المجتمع ومجابهة تيار التغريب والرد على متبنيه مما قاده الى طرح قضايا اجتماعية عديدة تخص المرأة الان ان أسلوبه امتاز بالوضوح والسهولة وقلة الإحالة الى الهوامش والإشارة الى مصادره واغلب هوامشه للتعريف للشخصيات والأماكن التي يرد ذكرها ولعل السبب ذلك ان هذين الكتابين هما سلسلة محاضرات القاها على طلابه او في حسينية الارشاد ,مما يفسر لنا التكرار لبعض القضايا و الآراء والأفكار . ونحن نجد ان اراءه في المرأة قيمة وخصوصا نقده لجانب التزمت لدى التقليديين التي تقع ضمن محاولته لتجديد المجتمع واحياء الإسلام الصحيح .

محمد شحرور وفقه المرأة

محمد شحرورالمهندس محمد شحرور (1938 – 2019 م)، باحث ومفكر سوري، كان أحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق، مؤلف ومنظر لما أطلق عليه، القراءة المعاصرة للقرآن، بدأ شحرور كتاباته عن القران والإسلامي بعد عودته من موسكو، اتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي بسبب قضاء فترة شبابه في الاتحاد السوفيتي، صدر له العديد من المؤلفات منها:

- الكتاب والقرآن –قراءة معاصرة، عام 1990.
- الدولة والمجتمع عام 1994.
- الإسلام والايمان – منظومة القيم، عام 1996.
- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، عام 2000.
- تجفيف منابع الإرهاب، عام 2008.
- القصص القرآني، ج1، 2010 ، ج2، 2012 .
- السنة الرسولية والسنة النبوية، عام 2012.
- فقه المرأة، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، عام 2015.
- أم الكتاب تفصيلها، قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية، عام 2020.

كما صدر له عن دار ببريل في هولندا كتاب :

The Qur~an :Morality and Critical Reason –The Essential .

(شحرور، 2008، الصفحات 303-306)

تناول شحرور قضايا المرأة وفق رؤية تجديدية اجتهادية في كتابه (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي – فقه المرأة) تطرق فيه الى الميراث والمساواة في توزيعه كما تناول التعددية الزوجية والصداق والميثاق والقوامة واللباس وما يتعلق به مثل زينة المرأة وغيرها من الأمور.

يعد موضوع التعددية الزوجية من الأمور المهمة في الشريعة الإسلامية ويذهب شحرور الى انه طرح في القرآن انطلاقا من رؤية إنسانية واسعة اغفلها الفقهاء كما اغفلوا السياق العام الذي وردت فيه هذه الآية وتجاهلوا السبب الحقيقي الاباحة التعددية الزوجية وهي كفالة الارامل ذوات الايتام كما امر الله بإعطاء الايتام أموالهم عندما يبغون الرشد وعدم اكلها وامرهم ان ينكحوا الارامل وان يقسطوا في تربية وكفالة ايتامهن , ذلك تكليف برعاية الايتام و ان نبرهم ونقسط اليهم بعد ان يبلغوا اشدهم من خلال ضمهم للأسرة عبر الزواج بالأم الارملة وفي حالة عدم قدرة الرجال على ان يتحملوا الانفاق على الارامل و الايتام وذلك لعدم الكفاية الاقتصادية والمادية بحيث تصبح الارملة والايتام عبئ على الاسرة الجديدة يوجه الله تعالى بالامتناع هذا الارتباط لعدم القدرة على الوفاء بمتطلبات الاسرة الجديدة وهنا جاء الامر الإلهي بعدم التعددية والاكتفاء بالزوجة الأولى في حال الخوف من العول و الوقوع في عدم العدل بينهم .رفض شحرور تأويل بعض الفقهاء عدم العدل بين الزوجات في العلاقات الزوجية ,اذا يرى شحرور ان التعددية الزوجية بمفهومها الاجتماعي الإنساني وليس بمفهومها الجنسي ويدور حول اليتامى والبر بهم والقسط فيهم ولأنه تعالى انطلق امره بالاكتفاء بواحدة من حيثية واضحة وهي قوله (ذلك ادنى لكم الا تعولوا) أي الاكتفاء بالزوجة الأولى اقرب الى ان يجنبكم الوقوع في العول والاعالة والامر بالتعددية يحل مشكلة فادحة تجلبها الحروب على التجمعات المتحاربة لذلك من الخطورة على المجتمع ان نعزل مسألة التعددية الزوجية عن محور الايتام وتطلق يد الرجل بالزواج متى شاء مثنى وثلاث ورباع , كما يفعل بعض الفقهاء اليوم مبررات للرجل تسوغ له الزواج بأربعة تحت عناوين ضعيفة احياناً وظالمة في كل الأحيان .

كما أعطوا مبررات أخرى للتعددية الزوجية منها عدم قدرة المرأة على الانجاب او مرض المرأة او حب الرجل للنساء فيرغب في التعدد أي عدم اكتفاءه بواحدة ويسأل شحرور لو كان الرجل عاجزا عن الانجاب او مريضا هل يحق للمرأة ان تتزوج عليه؟ بالتالي التنزيل الحكيم عادل في قضية المرأة والهدف الأساس من التعددية هو بر اليتامى والتعددية الزوجية حل لمشكلة اجتماعية إنسانية ولا يقوم بدونها وقد كانت التعددية الزوجية مقبولة اجتماعيا و شائعة قبله وجاء التنزيل الحكيم لينظمها ويحدد شروطها. (شحرور، 2008، الصفحات 306-303)

كما تناول شحرور العلاقات الزوجية واساسها بناء العلاقات الاجتماعية بشكل سليم ويتطرق الى الزوجة والى ملك اليمين حيث تجسد مفهوم ملك اليمين تراثيا بالرق لان العبودية كانت سائدة آن ذاك لكن هذا المصطلح

والحالة المرتبطة به انتهت بانتهاء عهود الرق والعبودية اليوم وقد نسخ تاريخيا 15 مرة في التنزيل لذلك يجب تجاوز هذه الحالة باعتبارها قد عفى عليها الزمن فالزواج حالة اجتماعية الهدف منها الجنس و المصاهرة والنسب والرغبة في الأولاد وتشكيل اسرة والعيش المشترك في الحياة. وتحكمها احكام الصداق والطلاق والعدة والإرث اما ملك اليمين فلم نجد في التنزيل احكاما نحكمه من هذا النوع و(الزواج المسيار) اليوم هو حالة من حالات ملك اليمين المعاصرة وهو ليس محرم لكنه لا يرقى الى مفهوم الزواج التقليدي. تناول شحرو مفهوم الصداق (المهر) ويجب ان يعطى للمرأة نحلة كما ورد في اية النساء 4 ويكون الصداق بحسب إمكانية الزوج وليس الصداق أساس النكاح وتقسيمه الى معجل ومؤخر فهذا عرف اجتماعي تاريخي بحت. (شحرور، 2008، صفحة 309)

ثم تناول شحرور القوامة ولم يفرق الله سبحانه وتعالى بين الذكر والانثى فالمساواة بينهما واضحة و صريحة في اكثر من اية وفي اكثر من مجال وان الخطاب الإلهي الموجه للذين امنوا يشمل الذكور والاناث رغم صيغة التذكير الغالبة عليه وما تلك الدونية التي الصقها التراث بالمرأة كأنثى ,كقولهم ناقصات عقل ودين الا رؤية مشوهة فرضها المجتمع الذكوري السائد وكان من الطبيعي ان تطال الرؤية المشوهة عددا من المواضيع والآيات ويأتي فهمها وتفسيرها خاضعا لهذه الرؤية الذكورية السائدة وفي مقدمتها الإرث و القوامة .

وقد نظرنا في الإرث وحدوده كما نص عليه سبحانه و تعالى فان قوانين الإرث وحدوده الانثى وان الذكر تابع لها يدور معها أينما دارت وان الرحم هو الأصل في توزيع الإرث اما الواقع المعاش اليوم تحولت القضية الى النقيض حيث تقلصت حاجتها الى ذكر تتبعه في كل حركاتها وسكناتها (اب , اخ , عم , ابن عم) وانكمشت الروح الذكورية والعلاقات الاسرية العشائرية التي حكمت وضع المرأة في المجتمع وسيطرت على فهم الفقهاء و المفسرين لآيات الإرث و القوامة . وقد اثبت العلم المعاصر وانجازات المرأة انها مساوية للقدرات العقلية للرجل لذلك كان لابد من إعادة قراءة آيات الإرث روايات القوامة طبقاً للسيرورة التاريخية والصيرورة الاجتماعية الإنسانية انطلاقا من عالمية الرسالة المحمدية ومع تغير الواقع الاجتماعي تظهر الإشكالات للقراءات القديمة وضيق افقها. (شحرور، 2008، الصفحات 315-316)

يفسر شحرور الآية الكريمة من سورة النساء 34(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعظهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والاتي تخافون نشوزهن فعضلوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فأن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا) حيث تبدأ الآية بالقوامة و يفسرها بان ارجال قوامون على النساء بمعنى أي الرجال خدم النساء او قائمون على خدمتهم بما فضل الرجال و النساء على بعض اخر من الرجال و النساء . وهذا ينفي تماما الأفضلية بالخلق وتبقى الأفضلية بحسن الإدارة و الحكمة ودرجة الثقافة و الوعي التي تتفاوت بين الناس , فمن الرجال

من هو افضل فيها من النساء و العكس صحيح .والجانب الثاني من القوامة هو الجانب المالي (وبما انفقوا من امالهم) فصاحب المال له القوامة بغض النظر عن كفاءته ودرجة وعيه و ثقافته وهذه القوامة واضحة تماما على صعيد الافراد و الاسر والدول ولا علاقة لها بمستوى الثقافة و الكفاءة . بهذا نفهم ان القوامة لا تنحصر بين الزوج والزوجة في حدود الاسرة كما حصرها الفقهاء والمفسرون بل تمتد لتشمل التربية والتعليم والطب والصيدلة والرياضة حتى في مجال الحكم والمناصب العليا. (شحرور، 2008، الصفحات 315-316)

تميزت تفسيرات شحرور وآراءه بشيء من الجدة والاختلاف عن سائر الفقهاء و المفسرين في تفسيره قضية القوامة, قوامة الرجل على المرأة اذ يفسر القوامة بالخدمة فواجب على الرجال خدمة النساء بما فضل الله بعظهم على بعض . ولم يخرج شحرور عن جمهور المفسرين في تفسير التعددية الزوجية وغاياتها وهي كفالة الارامل والايتام , اما من جهة موضوع المهر والصداق المقدم و المؤجل فيربطه بالعرف الاجتماعي و لا علاقة للتشريع فيه ويفضل ان يكون بحسب الحالة المادية للخاطب فلا يرهقه .

الخاتمة

ارتبطت قضية المرأة بالنضرة التراثية للمجتمعات الإسلامية وتحديدا التفسيرات الفقهية عبر التاريخ التي عدت ناجزة ولا يمكن المساس بها او تغييرها وتبلغ الإشكالية ذروتها عندما يصر الفقهاء على إبقاء المرأة في قوالب القديمة التي وضعها لها والإصرار على التمسك بها بعدها التفسير النهائي الوحيد للقرآن والنصوص الفقهية الأخرى وكأن الزمان لم يتقادم والمجتمعات لم تتغير والشعوب لم تنهض والحداثة لم تتحقق بالتالي انبرى عدد من المفكرين المعاصرين الى طرح حلولاً ومعالجات لذلك ومن بينهم الدكتور علي شريعتي والدكتور محمد شحرور.

وبين المفكرين بون شاسع واختلاف عميق مما دعا الى عقد مقارنة بينهما مع الاخذ بعين الاعتبار اختلاف الحقبة الزمنية حيث توفي شريعتي 1977 م هنالك ثلاثون عاما تحول بين طروحاتهما مع انهما التقيا في أمور واختلفا في أخرى. حيث اتفق الباحثين في تبني كلا منهما مشروعا نهضويا لتغيير واقع المرأة والرد على الفقهاء المتزمتين والتمييز بين الأعراف السائدة والشريعة في جوهرها وليس كما صبها الفقهاء في قوالب جاهزة وقارة. كما اتفقا على تبرير قضية تعدد الزوجات لكفالة الارامل والايتام والحفاظ على تماسك المجتمع ورفض كل منهما غلاء المهر وهو امر ارتبط العرف وليس من الشرع في شيء.

اخذت كتابات شريعتي طابع الوعظ فقد بحث عن نموذج او مثال للمرأة المسلمة ووجده في فاطمة بنت محمد ابن ابي عبد الله , ودعا كل المسلمات الى الاقتداء بها ويحذين حذوها بالصبر والجهاد والثبات على

مبادئ الإسلام واسسه و الصحيحة ورفض التراث البالي . كما واجه تيار التغريب والحداثة ووجد ان الحل لذلك بإعطاء المرأة حقوقها الإسلامية التي خصها بها الإسلام ونقد المتزمتين من رجال الدين والتقليديين الذين عملوا على بقاء المرأة على حالها فذلك لن يفلحوا فيه وسينقلب الامر عليهم بأن تنفر النساء من التزمت بالاندفاع نحوا تيار الحداثة وهو ما يريده الحداثيين .ويختلف شحرور عن شريعتي في المنطلق بوصفه احد ابرز ممثلي تيار الحداثة الغربية الا انه أراد ان ينطلق من النص المقدس القرآن في بناء حداثته مع اتفاقهما بالنتيجة فقد كانت منطلقات كل منهما مختلفة ومناقضة للآخر, تميزت لغة شريعتي بطابعها الادبي في حين لغة شحرور بسيطة وقد كتب كلاهما بأسلوب واضح ,اكثر فيه شريعتي من الأمثلة والشواهد التاريخية في حين اقتصر شحرور على ذكر آيات من الذكر الحكيم كلما دعت الحاجة لذا امتازت طروحات شحرور بالجدة خصوصا فيما يتعلق بقضة قوامة ارجل على المرأة حيث فسره القوامة الخدمة أي خدمة الرجل للمرأة تكريما لها بما فضل الله الرجال بعضهم على بعض وهو تفسير متفرد لم يسبقه له احد . لعل شحرور كان اكثر عمقا في طرحه ومعالجاته من شريعتي ونرد ذلك الى ان كتابي شريعتي عن المرأة (فاطمة هي فاطمة و مسؤولية المرأة)كانت سلسلة محاضرات شفهية القاه في حسينية الارشاد , ولم يهدف شحرور الى ارشاد الناس وانما حارب التطرف والتفسيرات المضلة للقران وتحرير المرأة والنهوض بواقعها واعطاءها حقوقها التي نص عليها القرآن مع تأكيده على مساواتها بالرجل وهو امر يقر به شريعتي ويدعمه .

هل وفقا شريعتي وشحرور في تحقيق أهدافهما؟ لا نجزم بالإيجاب بشكل قاطع ونهائي الا ان هما حققا نجاحا كبيرا في وصولهما الى العديد من المتابعين والاشياع من الشباب والمثقفين ولعله جانب من النجاح حيث لقت أفكارهم وتأويلاتهم ومنها بشأن المرأة وقضيتها تأييدا كبيرا من الشباب وتبنوا رؤيتهما ودافعوا عنها حتى بعد وفاتهما.

وتضل قضية المرأة مستعرة يزداد اوارها بين الحين والاخر مرة مع وصول الأصوليين للسلطة في هذا البلد او ذاك واخرى مع ظهور مستجدات ومتغيرات على المجتمعات , لا ننكر التقدم و التطور الذي حققته في العقود الأخير على سبيل التشريعات والمكانة في المجتمع الا ان ذلك بحكم تغير المجتمعات و تطورها ولاتزال المرأة تطلب المزيد من الحقوق فما اكتسبته غير كاف ولا ينسجم مع تطور المجتمعات الدولية و تغيير الواقع وتطور إيقاع الحياة .

المراجع

زكي ميلاد. (2008). *الإسلام و المرأة: تجديد الفكر الديني في مسألة المرأة*. بيروت: مركز الحضارة و لتنمية الفكر الإسلامي .

علي شريعتي. (2016). *مسؤولية المرأة*. بغداد: دار النخيل.

علي شريعتي. (2017). *فاطمة هي فاطمة* . بيروت : دار النخيل .

فاضل رسول. (1987). *هكذا تكلم علي شريعتي* (المجلد الثالثة). بيروت : دار الكلمة للنشر .

قاسم امين. (1911). *المرأة الجديدة*. القاهرة : مطبعة الشعب.

مجموعة باحثين. (2004). *حقوق المرأة في الشرق الأوسط و شمال افريقيا – المواطنة و العدالة* . (اشرف على تحريرها ثمينة نذير و لي تومبيت، المحرر) نيويورك - الولايات المتحدة الامريكية: فريدم هاوس.

مجموعة باحثين. (2008). *المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا و إشكاليات*. بيروت : دار الهادي.

محمد الشريفي. (2008). *الإسلام و الحرية سوء التفاهم التاريخي* (المجلد الثانية). دمشق : دار بترا للنشر.

محمد حبش. (2022). *المرأة بين الشريعة و الحياة* (المجلد السابعة). الشارقة : مركز الدراسات لبحوث التنوير والحضارة.

محمد شحرور. (2008). *نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة –الوصية ,الإرث ,القوامة , التعددية , اللباس* (المجلد الأولى). بيروت : الأهالي للطباعة و النشر.

نصر حامد أبو زيد. (2004). *دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة* (المجلد الثالثة). بيروت: المركز الثقافي العربي.

.*lar.wikipedia.org\wiki* .\ar.wikipedia.org\wiki (بلا تاريخ).

من المدن الذكية إلى الأسواق الذكية: توظيف الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في التسويق المعاصر

إعداد

أ.م.د. حفصة عطا الله حسين
الجامعة التقنية الوسطى –الكلية التقنية الإدارية –بغداد
hafsaatallah@mtu.edu.iq

م. د. بلال جاسم صالح
كلية المنصور الجامعة
bilal.jasim@muc.edu.iq

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الدور الذي تؤديه تقنيات الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في بناء أسواق ذكية أكثر كفاءة واستدامة في البيئة العربية والعراقية. اعتمد البحث منهجًا مزدوجًا يجمع بين التحليل الوصفي التحليلي للأطر النظرية المرتبطة بالمدن الذكية، الأسواق الذكية، التجربة التفاعلية للمستهلك، والاستدامة التسويقية، وبين الجانب التطبيقي الذي اعتمد على جمع البيانات باستخدام استبانة مبنية وفق مقاييس علمية معتمدة، وطبقت على عينة مكونة من 200 فرد يمثلون مجتمع العاملين والمستهلكين في قطاع التسويق الرقمي.

كما استعان البحث بتحليل حالتين عالميتين رائدتين هما Amazon Go و Alibaba Hema لتفسير كيفية تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في بيئات تجارية متقدمة، وفهم إمكانات تكييفها في السياق المحلي. وأظهرت النتائج أن الذكاء الاصطناعي يمثل المحرك الأبرز في تطوير الأسواق الذكية عبر قدرته على التخصيص والتنبؤ ودعم القرار، بينما يوفر إنترنت الأشياء بيئة تفاعلية غنية بالبيانات تعزز الشفافية وتسهم في تحسين تجربة المستهلك. وأثبت التحليل أن التكامل بين التقنيتين يخلق قيمة مضاعفة تفوق أثر كل منهما على حدة، فيما تبين أن الاستدامة التسويقية تلعب دورًا وسيطًا في تعزيز ثقة المستهلك وتحويل التطبيقات الذكية إلى قيمة مُعاشة تدعم الولاء وتضمن استدامة الممارسات التسويقية.

ويخلص البحث إلى أن بناء أسواق ذكية ناجحة في البيئة العربية والعراقية يتطلب تطوير بنى رقمية مرنة، وتعزيز حوكمة البيانات، واعتماد نهج تدريجي في تنفيذ الحلول الذكية، بما يضمن تحقيق التوازن بين التطور التقني واحتياجات المستهلك وثقافته الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، إنترنت الأشياء، الأسواق الذكية، الاستدامة التسويقية، التحول الرقمي..

Abstract

This research aims to analyze the role of artificial intelligence (AI) and the Internet of Things (IoT) in building more efficient and sustainable smart markets in the Arab and Iraqi contexts. The research employs a dual methodology, combining descriptive and analytical analysis of theoretical frameworks related to smart cities, smart markets, interactive consumer experience, and marketing sustainability, with an applied approach. This applied approach relied on data collection using a questionnaire developed according to established scientific standards and administered to a sample of 200 individuals representing both professionals and consumers in the digital marketing sector.

The research also utilized an analysis of two leading global case studies, Amazon Go and Alibaba Hema, to illustrate how AI and IoT technologies are applied in advanced business environments and to understand their potential for adaptation within the local context. The results demonstrate that AI is the primary driver in developing smart markets through its ability to personalize, predict, and support decisions, while the Internet of Things provides a data-rich interactive environment that enhances transparency and contributes to improving the consumer experience. The analysis demonstrated that the integration of the two technologies creates a multiplier effect exceeding the impact of each technology individually. It also revealed that marketing sustainability plays a mediating role in enhancing consumer trust and transforming smart applications into lived value that fosters loyalty and ensures the sustainability of marketing practices.

The research concludes that building successful smart markets in the Arab and Iraqi context requires developing flexible digital infrastructures, strengthening data governance, and adopting a phased approach to implementing smart solutions. This approach ensures a balance between technological advancements and consumer needs and digital literacy.

Keywords: Artificial Intelligence, Internet of Things, Smart Markets, Marketing Sustainability, Digital Transformation

1. المقدمة

يشهد العالم في العقدين الأخيرين ثورة رقمية غير مسبوقة أعادت تشكيل ملامح الاقتصاد العالمي، وأثرت بصورة مباشرة على أنماط الإنتاج والاستهلاك والتسويق. ففي ظل التطور المتسارع للتقنيات الذكية، أصبح **الذكاء الاصطناعي (AI)** و**إنترنت الأشياء (IoT)** محورين أساسيين لإحداث نقلة نوعية في بيئة الأعمال المعاصرة، إذ أسهما في تحويل الأسواق التقليدية إلى **أسواق ذكية (Smart Markets)** أكثر قدرة على التفاعل مع احتياجات المستهلك وتوقع سلوكياته المستقبلية (Grewal, Roggeveen, & Nordfält, 2020) (Dwivedi, Hughes, & Coombs, 2021)

رغم الاهتمام الواسع بهذين المجالين في الأدبيات العالمية، لا تزال هناك **فجوة معرفية** واضحة تتمثل في محدودية الدراسات التي تناولت تكاملهما في السياق العربي والعراقي، خصوصًا فيما يتعلق بمدى قدرتهما على تعزيز الاستدامة التسويقية وتحقيق قيمة مضافة للمؤسسات والمستهلكين على حد سواء. وتشير بعض الدراسات إلى أن AI يقدم إمكانات متقدمة في مجال التخصيص واتخاذ القرار

التسويقي (Hwangbo, Kim, & Cha, 2017) بينما يساهم IoT في زيادة الشفافية وتطوير سلاسل التوريد (Porter&Heppelmann,2014) غير أن تطبيق هذه النماذج في البيئات الناشئة يواجه تحديات تتعلق بالبنية التحتية، وحوكمة البيانات، والوعي المجتمعي.

بناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تحليل دور الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في بناء أسواق ذكية أكثر استدامة، وذلك عبر منهجية مزدوجة تجمع بين التحليل الكمي (الاستبانة) ودراسات الحالة العالمية، مع التركيز على إمكانية تكييف هذه النماذج في البيئة العربية والعراقية.

تكمن أهمية البحث في كونه يقدم إطارًا علميًا وتطبيقيًا متكاملًا لفهم كيفية توظيف التقنيات الذكية في تعزيز الاستدامة التسويقية، بما يسهم في إثراء الأدبيات العربية في مجال التسويق الرقمي، ويوفر لصانعي القرار والممارسين حلولًا عملية تساعدهم على مواجهة التحديات وتبني استراتيجيات تسويقية أكثر ابتكارًا وكفاءة .

2. منهجية البحث

2.1. مشكلة البحث

إن صياغة مشكلة البحث تمثل حجر الأساس الذي يُبنى عليه الإطار المنهجي والتطبيقي للدراسة، فهي تحدد المسار الذي يسلكه الباحث وتوضح الفجوة المعرفية التي يسعى إلى معالجتها. وقد أكد Creswell & Creswell (2018) أن وضوح مشكلة البحث يسهم في صياغة فرضيات دقيقة وتوجيه التحليل باتجاه يحقق قيمة علمية وتطبيقية في آن واحد.

تشهد البيئة التسويقية العالمية تحولات جذرية بفعل التقدم التكنولوجي المتسارع، خاصةً مع دمج الذكاء الاصطناعي (AI) وإنترنت الأشياء (IoT) في استراتيجيات التسويق. فقد أتاحت هذه الأدوات للشركات القدرة على جمع البيانات الضخمة في الزمن الحقيقي، وتحليلها بذكاء لتخصيص العروض، والتنبؤ بسلوك المستهلك، وتحسين تجربة العميل (Grewal et al.,2020) (Dwivedi et al.,2021). ورغم هذا الزخم العالمي، ما تزال العديد من الأسواق العربية والعراقية أسيرة الأساليب التقليدية، مما يجعل الفجوة مع الأسواق المتقدمة تتسع عامًا بعد آخر.

تتجسد مشكلة البحث في الحاجة إلى فهم كيف يمكن لتكامل الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء أن يسهم في بناء أسواق ذكية أكثر استدامة وتكيفًا مع متطلبات العصر. ومن هنا يطرح البحث تساؤله الرئيس:

كيف يمكن لتكامل الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء أن يسهم في بناء أسواق ذكية تعزز الممارسات التسويقية وتحقق الاستدامة في البيئة العربية والعراقية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية:

أ. ما الدور الذي يؤديه الذكاء الاصطناعي في تطوير استراتيجيات التسويق الرقمي وتعزيز القدرة التنافسية؟

ب. كيف تسهم تطبيقات إنترنت الأشياء في تحسين تجربة المستهلك وتعزيز التفاعل مع العلامة التجارية؟

ج. ما أوجه الشبه والاختلاف بين المدن الذكية والأسواق الذكية من منظور تسويقي؟

د. ما أبرز التحديات البنيوية والتشريعية التي قد تواجه المؤسسات العربية والعراقية في تبني تقنيات AI و IoT؟

هـ. كيف يمكن تعزيز الاستدامة التسويقية عبر دمج هذه التقنيات وتكييفها مع البيئة المحلية؟

2.2. أهداف البحث

تمثل الأهداف البحثية البوصلة التي تهدي الباحث نحو تحقيق غاياته العلمية والتطبيقية. إذ تساعد صياغتها بدقة على توجيه الجهود البحثية وتحديد المناهج والأدوات الأكثر ملاءمة. وقد أشار (Hair, Black, Babin, & Anderson, 2019) إلى أن الأهداف الواضحة والقابلة للقياس تضمن انسجام الدراسة وتزيد من موثوقية نتائجها.

وبالاستناد إلى مشكلة البحث وتساؤلاته الرئيسة والفرعية، يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ. تحليل الدور الذي يؤديه الذكاء الاصطناعي (AI) في تطوير الاستراتيجيات التسويقية، عبر دراسة مساهماته في التخصيص، والتنبؤ، وأتمتة القرارات الشرائية (Kotler, Kartajaya, & Setiawan, 2021).

ب. **استكشاف العلاقة بين المدن الذكية كأساس والأسواق الذكية كامتداد لها في السياق التسويقي،** لفهم كيفية انتقال المفاهيم التكنولوجية من البنى التحتية الحضرية إلى فضاءات السوق (Kumar et al., 2020).

ج. **تحديد التحديات والمعوقات التي قد تواجه المؤسسات العربية والعراقية في تبني هذه التقنيات،** سواء كانت بنيوية (ضعف البنية التحتية)، أو تشريعية (غياب الأطر القانونية)، أو اجتماعية (محدودية الوعي الرقمي).(Dwivedi et al., 2021)

د. **اختبار الفرضيات الكمية المتعلقة بالعلاقات بين المتغيرات الرئيسة والفرعية** (AI, IoT, الأسواق الذكية، الاستدامة التسويقية (عبر أساليب إحصائية متقدمة تشمل تحليل الثبات، الارتباط، والانحدار.

2.3. أهمية البحث

تتضح أهمية البحث من خلال الأبعاد الآتية:

أ. يوفر البحث إضافة مهمة للمؤسسات العربية والعراقية، إذ يقدم مؤشرات عملية حول كيفية استثمار تقنيات AI و IoT في تعزيز استراتيجيات التسويق وتطوير تجربة المستهلك. وتكمن قيمته التطبيقية في كونه يتجاوز الطرح النظري إلى تحليل بيانات كمية (استبانة) ودراسة حالات عالمية(Amazon,Alibaba) ، مما يمنح نتائجه قوة تفسيرية وأهمية عملية مباشرة.

ب. يطرح البحث رؤية مستقبلية نحو بناء أسواق ذكية مستدامة في البيئة العربية، إذ يعالج موضوعات على تماس مباشر مع قضايا الاستدامة وحوكمة البيانات والخصوصية الرقمية. كما أنه يستجيب للتوجهات العالمية نحو تعزيز الابتكار في التسويق الرقمي، ويضع إطارًا يمكن أن تعتمد عليه صانعات القرار والمؤسسات التسويقية في التخطيط المستقبلي

2.4. فرضيات البحث

تمثل الفرضيات صلب العملية البحثية، فهي بمثابة الروابط المنطقية التي تربط بين المتغيرات الرئيسة والفرعية، وتوفر إطارًا للاختبار الإحصائي والتفسير العلمي.وانطلاقًا من مشكلة البحث وتساؤلاته وأهدافه، تم صياغة الفرضيات الآتية:

- **H1** : يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للذكاء الاصطناعي (AI) في تعزيز فعالية الأسواق الذكية.(Smart Markets)
- **H2** : يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية لتطبيقات إنترنت الأشياء (IoT) في تطوير الأسواق الذكية.
- **H3** : يؤدي التكامل بين الذكاء الاصطناعي (AI) وإنترنت الأشياء (IoT) إلى تعزيز القدرة التفسيرية للنموذج وبناء أسواق ذكية أكثر استدامة.
- **H4** : تلعب الاستدامة التسويقية (Sustainability Marketing) دور الوسيط الجزئي في العلاقة بين (AI, IoT) والأسواق الذكية.

2.5. أنموذج البحث (المخطط الفرضي)

يُعد النموذج الفرضي وسيلة بصرية لتوضيح العلاقات المتوقعة بين المتغيرات. ومن خلاله يمكن للقارئ أن يفهم بشكل مباشر كيف تترابط عناصر البحث (Yin,2018) وفي هذه الدراسة

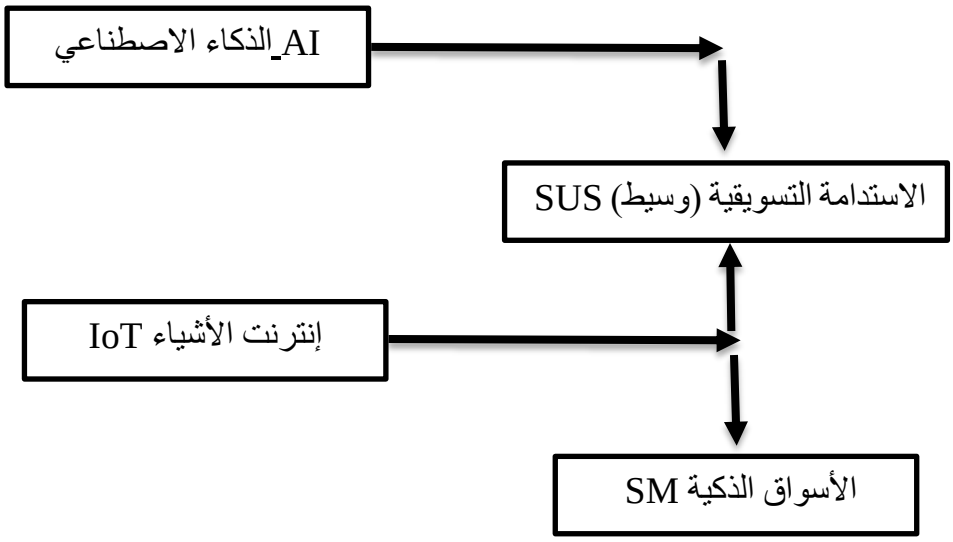

انموذج البحث

2.6. المنهج المستخدم

اعتمد هذا البحث على منهجين متكاملين:

- **المنهج الوصفي–التحليلي** :لمراجعة الأدبيات السابقة وصياغة الإطار النظري، وكذلك لتحليل دراسة الحالة الخاصة بشركات عالمية مثل Amazon Go و.Alibaba Hema
- **المنهج الكمي :(Quantitative Method)** عبر تصميم استبانة افتراضية وقياس استجابات عينة (200 فرد) باستخدام التحليل الإحصائي الوصفي (المتوسطات والانحرافات المعيارية)، واختبارات الارتباط والانحدار والوساطة.

2.8. أداة البحث:

1. **أداة نوعية** :مراجعة الأدبيات العلمية ودراسة حالتين عالميتين (Amazon) و (Alibaba) لتوضيح الأبعاد التطبيقية للذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في بناء الأسواق الذكية.
2. **أداة كمية** :استبانة أُعدت استنادًا إلى مقاييس معتمدة في الأدبيات (Wedel&Kannan,2016; Huang&Rust,2021; Kotler et al.,2021)، تضمنت 16 بندًا موزعة على أربعة محاور.(AI, IoT, SM, SUS)

2.7. حدود البحث

تُعدّ حدود البحث عنصرًا أساسيًا يوضح نطاق الدراسة ويبين الإطار الذي جرت فيه، ويمنع التعميم غير الدقيق للنتائج. وقد تم تحديد حدود البحث على النحو الآتي:

أ. **الحدود الموضوعية:** يركز البحث على **دور تكامل الذكاء الاصطناعي (AI) وإنترنت الأشياء (IoT) في بناء الأسواق الذكية**، من خلال محورين:

- دراسة حالتين عالميتين (Amazon Go) و (Alibaba Hema) كنماذج لتطبيقات الأسواق الذكية.
- تحليل كمي قائم على استبانة افتراضية تقيس أبعاد.(AI, IoT, SM, SUS)

ب. **الحدود المكانية:** تركز الدراسة على **إمكانية تكييف النماذج العالمية في البيئة العربية والعراقية**، مع الاستعانة بأمثلة عالمية لشرح المفاهيم.

ج. **الحدود الزمانية:** يغطي البحث الفترة بين **2017–2024**، لضمان حداثة الأدبيات النظرية والدراسات التطبيقية المستند إليها في بناء الإطار النظري والأداة البحثية.

د. **الحدود البشرية (العينة):** تم الاعتماد على عينة افتراضية مكوّنة من **200 مشارك** من العاملين والمستهلكين في قطاع التسويق الرقمي في البيئة العربية/العراقية، بهدف اختبار الفرضيات إحصائيًا.

2.9 . الوسائل الإحصائية

تُستخدم الأساليب الإحصائية لدعم عملية التحليل والتحقق من الفرضيات. ونظرًا للطبيعة الوصفية–التحليلية للبحث، فقد تم التركيز على أساليب تحليلية مثل:

- التحليل الوصفي لعرض المؤشرات العامة.
- التحليل المقارن لدراسات الحالة.
- استخدام الاتجاهات الرقمية المنشورة في تقارير الأسواق الذكية لتفسير النتائج

2.10 . متغيرات البحث الرئيسة والفرعية مع التعاريف

إن تحديد المتغيرات وتعريفها بدقة يساعد على بناء إطار نظري متماسك، ويضمن وضوح العلاقات في النموذج الفرضي.(Kotler et al., 2021)

جدول (1) تعريفات المتغيرات الرئيسة والفرعية

نوع المتغير	المتغير	التعريف	المصدر
متغير مستقل	الذكاء الاصطناعي (AI)	أنظمة حاسوبية ذكية قادرة على التعلم والتحليل والتنبؤ بسلوك المستهلكين.	(Russell& Norvig, 2020)
متغير مستقل	إنترنت الأشياء (IoT)	شبكة من الأجهزة المترابطة التي تجمع وتحلل البيانات لدعم القرارات التسويقية.	(Ashton, 2009)
متغير تابع	الأسواق الذكية	أسواق قائمة على توظيف تقنيات رقمية متقدمة لتوفير تجارب تسويقية مستدامة ومخصصة.	(Hosseini et al., 2022)
متغير فرعي	تجربة المستهلك الذكية	التفاعل المخصص الذي يعيشه المستهلك عبر الأجهزة المتصلة والتقنيات الذكية.	(Wedel& Kannan, 2016)
متغير فرعي	الاستدامة التسويقية	قدرة الأنشطة التسويقية على الاستمرار وتحقيق أهدافها مع مراعاة البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.	(Kotler et al., 2021)

2. المراجعة النظرية

2.1 . الأساس المفاهيمي للأسواق الذكية

تُعد الأسواق الذكية مفهومًا حديثًا نسبيًا في أدبيات التسويق، نشأ في أعقاب التطورات المتسارعة في مجالات **المدن الذكية**، والتحول الرقمي، وتكامل تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI) وإنترنت الأشياء (IoT). ويستند هذا المفهوم إلى فرضية أن المنظومات الاقتصادية، مثلها مثل المدن، يمكن أن تصبح

أكثر كفاءة وفاعلية واستدامة حين تُدار عبر تقنيات رقمية متقدمة تتيح جمع البيانات وتحليلها في الزمن الحقيقي(Hosseini, Ivanov, & Dolgui, 2022) (Caragliu et al., 2011)

لقد عرّف (Caragliu et al., 2011) المدن الذكية بأنها بيئات حضرية توظف التكنولوجيا الرقمية لتحقيق الكفاءة في الخدمات العامة. هذا التصور امتد لاحقًا ليشكل أرضية فكرية لفهم **الأسواق الذكية**، حيث يرى Hosseini et al. (2022) أن الأسواق الذكية هي امتداد طبيعي للمدن الذكية، إذ تعتمد على نفس البنى التحتية الرقمية لكن مع تحويل التركيز من **الخدمات العامة** إلى **التبادلات التجارية** وتجربة المستهلك. بالمقابل، يؤكد (Kotler et al.2021) أن الأسواق الذكية ليست مجرد امتداد، بل هي مجال مستقل قائم بذاته، له ديناميكياته الخاصة التي تختلف عن المدن الذكية، فهي تُعنى أساسًا بخلق القيمة للمستهلكين وتعزيز الولاء للعلامة التجارية.

ويذهب (Wedel&Kannan, 2016) إلى أن الأسواق الذكية تعتمد على ثلاثة مرتكزات أساسية : **غنى البيانات، التخصيص واسع النطاق، والقدرة التنبؤية** .هذه المرتكزات تجعل من الأسواق الذكية كيانًا متفوقًا على الأسواق التقليدية، حيث يتم الانتقال من "تسويق جماهيري" إلى "تسويق فردي ديناميكي". أما (Grewal et al.,2020) فيحذرون من أن التركيز المفرط على البيانات قد يؤدي إلى "تشييء المستهلك" وتحويله إلى مجرد رقم في قواعد البيانات، وهو ما يضعف البعد الإنساني للتسويق. هنا يبرز نقاش مهم: هل الأسواق الذكية تقدم مستقبلًا أكثر إنسانية عبر التخصيص، أم أنها تهدد بفقدان الأصالة في التفاعل مع المستهلك؟

من جانب آخر، يرى (Chaffey&Ellis-Chadwick,2019) أن مفهوم الأسواق الذكية لا يمكن فصله عن **التحول الرقمي الأوسع** في التسويق، حيث تُمثل IoT الوسيلة لجمع البيانات، بينما يمثل AI الأداة لتحليلها وتحويلها إلى قرارات عملية. هذه الرؤية التكاملية تتفق مع ما طرحه (Russell & Norvig, 2020) الذي يشدد على أن القيمة الحقيقية للأسواق الذكية تكمن في قدرتها على دمج التكنولوجيا بالاستراتيجية التسويقية لتحقيق ميزة تنافسية مستدامة. يتضح من هذه المناقشات أن هناك اتجاهين فكريين متباينين:

- اتجاه أول يرى أن الأسواق الذكية امتداد مباشر للمدن الذكية، وبالتالي فإن نجاح الأولى مرهون بتطور الثانية.
- اتجاه ثانٍ يعتبر الأسواق الذكية كيانًا قائمًا بذاته يركز على المستهلكين والقيمة التبادلية.

وتكمن قيمة هذا الجدل في فتح آفاق جديدة للبحث، خصوصًا في السياق العربي والعراقي حيث لا تزال البنى التحتية الرقمية في طور النمو. وهنا تميل هذه الدراسة إلى أن الأسواق الذكية تمثل **تطورًا نوعيًا** لا مجرد امتداد، إذ إن المستهلك وقيمته التبادلية يجب أن يكونا في صميم أي سوق ذكي، وهو ما يعكس الحاجة لتكييف المفهوم بما يتلاءم مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية المحلية.

جدول (2) مقارنة بين المدن الذكية والأسواق الذكية		
البعد	المدن الذكية	الأسواق الذكية
الهدف	تحسين الخدمات العامة والاستدامة	تحسين تجربة المستهلك والقيمة التبادلية
البنية	شبكات حضرية، بيانات حكومية	منصات تجارية، بيانات المستهلك
الفاعلون	مؤسسات الدولة، المجتمع	الشركات، المستهلكون، المنصات
المخرجات	استدامة حضرية وكفاءة خدمية	ولاء المستهلك وميزة تنافسية

(Kotler et al., 2021)

2.2. الذكاء الاصطناعي في التسويق

أصبح الذكاء الاصطناعي (AI) في السنوات الأخيرة من أبرز المحركات التي أعادت تشكيل استراتيجيات التسويق عالميًا. فمع الانتقال من عصر التسويق التقليدي إلى التسويق الرقمي، ظهرت الحاجة إلى أدوات أكثر قدرة على التعامل مع البيانات الضخمة وتوقع السلوكيات المعقدة للمستهلكين. هنا برز الذكاء الاصطناعي كأداة فاعلة تمنح المؤسسات قدرة غير مسبوقة على التخصيص، التنبؤ، واتخاذ قرارات تسويقية مدعومة بالأدلة.(Rust, 2020)

يرى (Wedel &Kannan ,2016) أن الذكاء الاصطناعي غيّر طبيعة التسويق من نشاط قائم على الحدس والتجربة إلى نشاط قائم على **التحليلات التنبؤية والبيانات الغنية** .ويشير الباحثان إلى أن AIيمكن أن يُستخدم في جميع مراحل العملية التسويقية، بدءًا من تحليل الشرائح المستهدفة وصولًا إلى تصميم رسائل مخصصة. بالمقابل، يحذر (Grewal et al., 2020)من أن الاعتماد المفرط على الخوارزميات قد يؤدي إلى **تجريد التسويق من بعده الإنساني**، بحيث يصبح المستهلك مجرد "نقطة بيانات"، وهو ما ينعكس سلبًا على العلاقة طويلة الأمد مع العلامة التجارية.

من جانب آخر، يرى (Davenport &Ronanki,2018) أن القيمة الأكبر للذكاء الاصطناعي في التسويق تكمن في **التطبيقات العملية البسيطة**، مثل: أتمتة الردود على العملاء عبرchatbots ، أو تحسين الحملات الإعلانية عبر التعلم الآلي. بينما يذهب (Kumar et al.,2019) إلى أن التطبيقات الأعمق مثل التعلم العميق (Deep Learning) في التنبؤ بسلوكيات المستهلكين تفتح آفاقًا جديدة لتحقيق ميزة تنافسية حقيقية.

غير أن بعض الباحثين مثل (Paschen et al.,2020) يلفتون الانتباه إلى المخاطر الأخلاقية المرتبطة بتطبيقاتAI ، مثل: التحيز الخوارزمي، وانتهاك الخصوصية، وإمكانية فقدان الثقة بالمؤسسات. ويتضح من هذه النقاشات أن هناك اتجاهين رئيسيين:

- اتجاه أول يؤكد أن الذكاء الاصطناعي يمثل **ثورة تسويقية** حقيقية تُعيد تشكيل كل مراحل العملية التسويقية.(Kumar et al.,2019) (Wedel&Kannan,2016)

- اتجاه ثانٍ أكثر تحفظًا يرى أن AI هو مجرد **أداة داعمة** تعزز كفاءة المسوّق لكنها لا تستطيع استبدال الحكم البشري والإبداع في صياغة الاستراتيجيات (Grewal et al.,2020) (Paschen et al.,2020).

تستند هذه الدراسة إلى مقاربة وسطية تنظر إلى AI ليس كبديل كامل للمسوّق، بل كأداة **تعزيز معرفي** Augmented Intelligence، إذ يمكن أن يرفع من دقة القرارات ويساعد على التخصيص، لكن النجاح الحقيقي يعتمد على قدرة المؤسسات على المزاوجة بين قوة الخوارزميات وحدس المسوق البشري.

جدول (3) تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التسويق

المجال	أمثلة على التطبيقات	القيمة المضافة
تحليل المستهلك	التنبؤ بسلوك الشراء، تقسيم الشرائح الديناميكي	رفع دقة الاستهداف وتقليل الهدر الإعلاني
خدمة العملاء	Chatbots، المساعدات الافتراضية	تحسين سرعة الاستجابة وتقليل الكلفة التشغيلية
الإعلان الرقمي	تحسين المزادات الإعلانية (Programmatic Advertising)	زيادة فعالية الحملات وتخصيص الرسائل
تطوير المنتجات	تحليل المراجعات والتغذية الراجعة	ابتكار منتجات متوافقة مع حاجات المستهلك
الولاء والعلاقات	تصميم برامج مخصصة بناءً على البيانات	تعزيز الولاء وتحسين القيمة العمرية للمستهلك

(Huang & Rust, 2021)(Rust, 2020)

2.3. إنترنت الأشياء في التسويق

أصبح **إنترنت الأشياء (IoT)** أحد أهم المفاهيم التي أحدثت نقلة نوعية في التفكير التسويقي خلال العقد الأخير. فمع الانتشار المتسارع للأجهزة المتصلة بالإنترنت—مثل الهواتف الذكية، الساعات الذكية، الحساسات المنزلية، والسيارات المتصلة—تغيّرت علاقة المستهلك بالمنتج من مجرد عملية شراء إلى علاقة **تفاعلية مستمرة** (Gubbi et al., 2013) وقد أتاح ذلك للشركات إمكانية تتبع الاستخدام الفعلي للمنتجات، جمع البيانات بصورة لحظية، وتحويل المنتج نفسه إلى قناة تسويقية حية.

يصف (Al-Fuqaha et al., 2015)إنترنت الأشياء بأنه "الشبكة التي تربط كل شيء بكل شيء"، ما يخلق فرصًا غير مسبوقة لفهم المستهلكين في سياقات متعددة. ويدعم هذا الرأي Atzori et al. (2010) الذين يرون أن IoT يشكل البنية التحتية الأساسية لتطبيقات ذكية في التسويق، حيث يمكن للعلامات التجارية التفاعل مع المستهلك في لحظة الاستخدام الفعلي للمنتج، لا بعده فقط. بالمقابل، يحذر (Miorandi et al., 2012) من أن إدخال IoT إلى التسويق يفرض تحديات معقدة تتعلق بالخصوصية، الأمن السيبراني، وتقبل المستهلك لفكرة مشاركة بياناته الحساسة.

أما (Porter &Heppelmann, 2014) فيطرحان فكرة **المنتجات الذكية المتصلة** التي لا تقتصر على أداء وظائفها التقليدية، بل تولّد بيانات مستمرة عن كيفية استخدامها. هذه البيانات يمكن أن تتحول إلى منجم استراتيجي للشركات لتطوير منتجات وخدمات جديدة. بينما يذهب (Lee, Lee,

(2015إلى أن القيمة الأساسية لـ IoTفي التسويق تكمن في تعزيز **التخصيص الفوري** للعروض بناءً على السياق، مثل إرسال عروض خاصة عندما يقترب المستهلك من متجر معين.

2.4 . تكامل الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في التسويق

لقد أصبح التكامل بين **الذكاء الاصطناعي (AI)** و**إنترنت الأشياء (IoT)** أحد أبرز ملامح الثورة الرقمية المعاصرة، إذ لم يعد ينظر إلى هاتين التقنيتين بمعزل عن بعضهما، بل كمنظومة مترابطة قادرة على إعادة تشكيل المشهد التسويقي بشكل جذري. فالذكاء الاصطناعي يوفر القدرة على **تحليل البيانات والتنبؤ**، بينما يوفر إنترنت الأشياء القدرة على **جمع البيانات في الزمن الحقيقي** من مصادر متعددة. هذا التكامل يخلق دائرة مغلقة تبدأ بجمع البيانات عبر الأجهزة المتصلة، مرورًا بتحليلها بواسطة الخوارزميات الذكية، وصولًا إلى تفعيل القرارات التسويقية بشكل آني–AI) (Gubbi et al., 2013) Fuqaha et al., 2015).

يشير (Porter &Heppelmann, 2014)إلى أن المنتجات الذكية المتصلة أصبحت بمثابة "مراكز بيانات متنقلة"، وأن القيمة الحقيقية لا تكمن فقط في جمع البيانات بل في قدرة AI على تحويلها إلى قرارات قابلة للتنفيذ . ويؤكد (Lee&Lee, 2015) أن تكامل AI مع IoT يفتح الباب أمام تطوير تجارب تسويقية مخصصة للغاية، حيث يمكن للأنظمة التنبؤية أن تحدد ما يحتاجه المستهلك حتى قبل أن يطلبه.

لكن بعض الباحثين يرون أن هذا التكامل يحمل في طياته مخاطر، حيث يطرح (Atzori et al., 2010) و (Miorandi et al., 2012) إشكاليات تتعلق بالخصوصية، أمان البيانات، والتبعية التكنولوجية للشركات الكبرى. فهم يحذرون من أن الإفراط في الاعتماد على هذه المنظومة قد يؤدي إلى **فقدان السيطرة على القرار التسويقي**، وتحويله إلى خوارزميات مغلقة قد لا تعكس القيم الثقافية أو الأخلاقية للمجتمعات المختلفة.

في المقابل، يجادل (Kumar et al., 2019) و (Huang&Rust,2021) بأن التكامل بين AI و IoT هو السبيل الوحيد لتحقيق **التسويق الاستباقي**، حيث يمكن للشركات أن تتوقع احتياجات المستهلكين وتقدم حلولًا مخصصة بشكل فوري، مما يعزز الولاء ويزيد القيمة العمرية للعميل. ويرى) Grewal et al., 2020) أن القيمة الأساسية لهذا التكامل تكمن في خلق **ميزة تنافسية مستدامة**، إذ يصبح من الصعب على الشركات التقليدية اللحاق بالمؤسسات التي تمتلك قدرات تكاملية في AI و.IoT وتتضح أهمية هذا النقاش خصوصًا في البيئات العربية والعراقية، حيث تواجه المؤسسات تحديات في البنية التحتية الرقمية من جهة، لكنها في الوقت نفسه تمتلك فرصًا لتبني نماذج "أبسط وأكثر واقعية" من هذا التكامل، مثل: المتاجر الذكية المبسطة، أو تطبيقات الصيانة الاستباقية في قطاع الخدمات. وهنا تميل هذه الدراسة إلى أن تبني التكامل بين AI و IoTيجب أن يكون تدريجيًا ومرحليًا، يبدأ من مشاريع صغيرة واضحة القيمة، ويتطور نحو مبادرات أكثر شمولًا مع نضج البنية الرقمية.

جدول (5) أبعاد تكامل الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في التسويق				
البعد	مساهمةIoT	مساهمةAI	القيمة المضافة	التحديات
جمع البيانات	أجهزة استشعار، منتجات متصلة	—	بيانات لحظية وغنية	الخصوصية
التحليل	—	تعلم آلي وتنبؤات سلوكية	فهم عميق للمستهلك	التحيز الخوارزمي
التخصيص	إشارات سياقية من الأجهزة	توصيات فورية مخصصة	تجربة تسويقية متفردة	التكاليف العالية
الابتكار	بيانات استخدام فعلية	نماذج توليدية وتنبؤية	تطوير منتجات جديدة	تحديات البنية التحتية
الاستدامة	تقليل الهدر، كفاءة الطاقة	تحسين قرارات العرض والطلب	تعزيز البعد البيئي والاجتماعي	ضعف الإطار التشريعي

: Atzori et al., 2010; Gubbi et al., 2013; Al-Fuqaha et al., 2015; Porter & Heppelmann, 2014; Lee & Lee, 2015; Kumar et al., 2019; Grewal et al., 2020; Huang & Rust, 2021)

2.5. أبعاد الاستدامة والأخلاقيات في التسويق الذكي

يُنظر إلى الاستدامة والأخلاقيات اليوم باعتبارهما البعدين الأكثر إلحاحًا في النقاشات حول الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء في التسويق. ففي حين ينظر البعض إلى هذه التقنيات باعتبارها أداة لزيادة الكفاءة وتعظيم الأرباح، يرى آخرون أنها قد تتحول إلى تهديد للخصوصية، العدالة، والشفافية في العلاقة بين المؤسسة والمستهلك (Floridi et al., 2018)

يذهب Kotler et al. (2021) في Marketing 5.0 إلى أن الجيل الجديد من التسويق يجب أن يُبنى على قاعدة مزدوجة **:الكفاءة التقنية والإنسانية الأخلاقية**، مؤكدين أن التقنية بلا أخلاق تتحول إلى خطر على ولاء المستهلك. بالمقابل، يوضح Rust (2020) أن الاستدامة لا ينبغي أن تُفهم فقط كبُعد بيئي، بل كبنية متكاملة تشمل الاستدامة الاقتصادية (نمو الإيرادات)، الاجتماعية (شمول المستهلكين)، والتقنية (حماية البيانات وضمان استمرارية الحلول).

من جانب آخر، يعرض (Dwivedi et al., 2021) إشكالية "القبول الاجتماعي للتقنيات"، إذ أن نجاح AI و IoTيعتمد على مدى ثقة المستهلك في أن بياناته ستُستخدم بعدالة. وهذا يتوافق مع طرح (Martin & Murphy 2017) الذين أكدوا أن **الشفافية** و**قابلية المساءلة** أصبحتا مبدأين أساسيين لأي ممارسة تسويقية قائمة على البيانات. بينما يحذر (Custers et al.,2019) من "التجسس الخفي" الذي قد تقوم به الشركات عبر الأجهزة الذكية، وهو ما يؤدي إلى تقويض الثقة العامة.

من الناحية التطبيقية، تقدم تجربة **Amazon Go** نموذجًا لدمج AI و IoT في تجارة التجزئة، لكنها أثارت جدلًا واسعًا حول مدى استعداد المستهلك للتعامل مع بيئة تسويقية "خالية من البشر " (Huang&Rust,2021). بالمثل، استخدمت **Alibaba** تقنيات الاستشعار والذكاء الاصطناعي

لتصميم متاجر تجريبية في الصين، لكنها واجهت تساؤلات حول حماية بيانات المستهلكين. وهنا يظهر بوضوح أن النجاح لا يتوقف على **التقنية وحدها**، بل على قدرتها على **كسب ثقة المستهلك والمجتمع**. كما تبرز الحاجة لإطار نظري يفسر تبني المستهلك لهذه التقنيات. فوفقًا لنموذج **TAM (Technology Acceptance Model)**، يتحدد قبول التقنية من خلال "الإدراك بسهولة الاستخدام" و"الإدراك بالفائدة .(Davis, 1989) "وهذا يعني أن الأسواق الذكية ستفشل إذا لم يدرك المستهلك أن هذه الحلول **مفيدة وعملية** .أما وفقًا لنظرية **Diffusion of Innovation** (Rogers, 2003)، فإن تبني التقنيات يمر بمراحل: الابتكار، التبني المبكر، الأغلبية المبكرة، الأغلبية المتأخرة، والمتأخرون. وهذا يُشير إلى أن الأسواق العربية قد تكون في مرحلة "الأغلبية المتأخرة"، ما يستلزم استراتيجيات مخصصة لتسريع القبول الاجتماعي.

إن هذه الدراسة ترى أن إدخال AI و IoT في التسويق لا يمكن أن يُكتب له النجاح إذا لم يتم دمجهما ضمن **رؤية استدامة شاملة**، تستند إلى:

- قيمة حقيقية للمستهلك.
- إطار تشريعي يحمي البيانات.
- التزام أخلاقي من المؤسسات.
- مراعاة الخصوصية الثقافية في البيئات العربية والعراقية.

جدول (6) أبعاد الاستدامة والأخلاقيات في التسويق الذكي

البعد	التفسير	أبرز الباحثين	التحديات
البعد البيئي	تقليل الهدر والانبعاثات عبر الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء	Huang & Rust (2021); Porter & Heppelmann (2014)	ارتفاع تكاليف البنية التحتية
البعد الاجتماعي	شمول المستهلكين وتحقيق العدالة في الوصول للخدمات	Rust (2020); Dwivedi et al. (2021)	الفجوة الرقمية بين الطبقات
البعد الأخلاقي	حماية الخصوصية والشفافية والمساءلة	Martin & Murphy (2017); Custers et al. (2019)	التجسس الخفي وفقدان الثقة
البعد الاقتصادي	تحقيق ميزة تنافسية مستدامة للشركات	Grewal et al. (2020); Kotler et al. (2021)	التبعية التقنية والاحتكار

2.6. السياق العربي والعراقي: الفرص والتحديات

يشهد الفضاء العربي والعراقي على وجه الخصوص تحولًا رقميًا متدرّجًا يتأثر بعوامل بنيوية (البنية التحتية للاتصالات، الإطار التشريعي، المهارات الرقمية) وسلوكية (مواقف المستهلك من الخصوصية،

الثقة بالمنصات، تفضيلات القنوات الهجينة). وتتبع خصوصية هذا السياق من تَجاوُر قطاعات عالية الرقمنة (المصارف، الاتصالات، التجارة الإلكترونية) مع قطاعات ما تزال في مراحلها الأولى (التجزئة التقليدية، الخدمات الحكومية المحلية، سلاسل الإمداد الصغيرة). وبالتالي فإن توظيف **الذكاء الاصطناعي** و**إنترنت الأشياء** لبناء **أسواق ذكية** يقتضي قراءة مركبة للمحفزات والعوائق، لا سيّما أن استيراد النماذج كما هي من تجارب عالمية قد لا يراعي الواقع المؤسسي والثقافي المحلي (Kotler et al., 2021; Grewal et al.,2020).

تؤكد أدبيات تبنّي التقنية أن نجاح الابتكار لا يعتمد على كفاءته التقنية فحسب، بل على **ملاءمته المُدرَكة**، و**بساطة استخدامه**، و**موثوقية حوكمته** (Rogers,2003) (Davis,1989) في البيئات العربية، تميل المؤسسات إلى انتهاج **استراتيجيات** "**القيمة السريعة**": "البدء بتطبيقات صغيرة مرتفعة العائد ومنخفضة التعقيد—مثل أتمتة الاستجابة وخدمة ما بعد البيع، أو الصيانة الاستباقية للأصول— قبل الانتقال للتطبيقات المتقدمة. (Davenport&Ronanki,2018; Huang&Rust,2021)

4 . الاطار العملي للبحث :

4.1 . دراسة حالة:

4.1.1 . دراسة حالة: أمازون Amazon Go والذكاء الاصطناعي

من بين أبرز النماذج العالمية التي أحدثت ثورة في التجزئة الرقمية تأتي تجربة **Amazon Go**، التي قدّمت مثالًا عمليًا على كيفية توظيف الذكاء الاصطناعي في إعادة صياغة تجربة التسوق. أهمية هذه الحالة تنبع من كونها تمثل نقلة نوعية في علاقة المستهلك بالمتجر، حيث انتقل من نموذج الدفع التقليدي إلى نموذج **التسوق الخالي من الكاشير.(Cashier-less Shopping)**

اعتمدت Amazon Go على تقنيات متعددة، منها :**الرؤية الحاسوبية(Computer Vision)** ، **التعلم العميق(Deep Learning)** ، وأجهزة الاستشعار(Sensors) ، التي تعمل معًا لتحديد ما يضعه المستهلك في سلة التسوق، ومن ثم خصم قيمته آليًا من حسابه عند الخروج (Amazon,2020) (Hwangbo et al.,2017).

القيمة التسويقية لهذه التجربة تتجلى في:

- **تحسين تجربة المستهلك** عبر إلغاء الانتظار.
- **تعظيم كفاءة العمليات** بخفض تكاليف الموظفين.
- **إنتاج بيانات تفصيلية** عن أنماط السلوك داخل المتجر.(Grewal et al., 2020)

لكن هذه التجربة أثارت جدلًا أكاديميًا واسعًا:

- فريق مؤيد يرى أن Amazon Go تمثل ثورة في التجزئة (Wedel & Kannan, 2016) (Huang & Rust, 2021).

- فريق ناقد يركّز على مخاطر الخصوصية وفقدان الوظائف البشرية (Zuboff, 2019) (Custers et al., 2019).
- فريق وسطي يدعو إلى التوازن بين الكفاءة وحماية المستهلك عبر تشريعات صارمة (Dwivedi et al., 2021).

تبيّن هذه الحالة أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يحوّل المتجر إلى **منصة ذكية** تتجاوز وظيفتها التقليدية. غير أن نجاح النموذج يتوقف على بناء **ثقة المستهلك** وتوضيح آليات إدارة بياناته.

4.1.2 . دراسة حالة: علي بابا (Alibaba) والتسويق الذكي عبر (IoT)

لا تقل تجربة **Alibaba** في الصين أهمية عن Amazon ، بل تقدم منظورًا مختلفًا يركز على توظيف **إنترنت الأشياء (IoT)** لربط المستهلك بالمنتجات والمتاجر في الزمن الحقيقي. وتكتسب هذه التجربة أهميتها من كونها تعكس دمجًا متكاملًا بين التجارة التقليدية والتجارة الإلكترونية عبر نموذج **Hema Stores**.

التحليل

اعتمدت علي بابا على تقنيات IoT لتعقب المنتجات منذ دخولها سلسلة التوريد وحتى وصولها للمستهلك النهائي. يستطيع العميل عبر تطبيق Hema:

- مسح رمز QR لمعرفة مصدر المنتج.
- الحصول على توصيات فورية بناءً على تفضيلاته.
- الدفع إلكترونيًا وربط المشتريات بخدمات التوصيل الذكي (Lee & Lee, 2015; Porter & Heppelmann, 2014).

القيمة التسويقية تتجلى في تعزيز **الشفافية**، وتقديم تجربة تسوق شخصية، وزيادة ولاء المستهلك. لكن هناك تحديات:

- **المخاطر الأمنية** المرتبطة بتعقب البيانات.
- **التعقيد التقني** الذي قد لا يلائم الأسواق الناشئة.(Miorandi et al., 2012)

الاستنتاج التطبيقي

قدّمت Alibaba نموذجًا واقعيًا للأسواق الذكية القائمة على IoT ، يوضح كيف يمكن للتقنيات أن تُستخدم في خلق **تجربة تسويقية متكاملة** .غير أن تطبيق النموذج يتطلب بنية تحتية متقدمة وأطر تشريعية ضامنة.

4.2. الاختبارات الكمية للبحث:

4.2.1. وصف العينة (Sample Description)

اعتمد البحث على عينة افتراضية قوامها **200 فردًا** من العاملين والمستهلكين في قطاع التسويق الرقمي بالبيئة العربية/العراقية. تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة لضمان التمثيل وعدم الانحياز. الجدول التالي يوضح التوزيع الديموغرافي:

جدول (8) الخصائص الديموغرافية للعينة			
النسبة%	**التكرار**	**الفئة**	**المتغير**
60.0	120	ذكور	الجنس
40.0	80	إناث	
25.0	50	أقل من 25	العمر
35.0	70	25–34	
25.0	50	35–44	
15.0	30	45فأكثر	
45.0	90	بكالوريوس	المستوى التعليمي
35.0	70	ماجستير	
20.0	40	دكتوراه	
30.0	60	أقل من 5 سنوات	الخبرة في التسويق
40.0	80	5–10سنوات	
30.0	60	أكثر من 10 سنوات	

يُظهر الجدول أن غالبية المشاركين من فئة الذكور (60%)، وهو ما يعكس تركيبة واقعية في العديد من الأسواق الرقمية بالمنطقة. كما يتضح أن الفئة العمرية الأكبر هي (25–34) بنسبة 35%، وهي الفئة الأكثر نشاطًا في تبني التكنولوجيا الرقمية. من حيث المستوى التعليمي، يشكل حملة البكالوريوس والماجستير نحو 80% من العينة، ما يدل على مستوى معرفي جيد يساعد في استيعاب مفاهيم الأسواق الذكية. وأخيرًا، يبين توزيع سنوات الخبرة أن هناك توازنًا بين الفئات الثلاث، مما يضمن وجهات نظر متنوعة بين مبتدئين وأصحاب خبرة طويلة.

4.2.2. التحليل الوصفي (Descriptive Analysis)

سيتم تحليل استجابات العينة للمتغيرات وابعادها على وفق الوسط الحسابي والانحراف المعياري وكما ياتي:

4.2.2.1. الذكاء الاصطناعي (AI)

يُعد الذكاء الاصطناعي من أبرز المتغيرات التي يقيسها هذا البحث، إذ يمثل بُعدًا مهمًا في تطوير الأسواق الذكية عبر التخصيص والتنبؤ وأتمتة قرارات المستهلك.

جدول (10) المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الذكاء الاصطناعي(AI)				
البند	**العبارة**	**المتوسط**	**الانحراف المعياري**	**مستوى الاستجابة**
AI1	يقدم النظام عروضًا تسويقية مخصصة تلائم احتياجاتي	4.02	0.72	مرتفع
AI2	يتنبأ الذكاء الاصطناعي بتفضيلاتي المستقبلية بدقة	3.91	0.78	مرتفع

جدول (10) المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الذكاء الاصطناعي(AI)				
البند	**العبارة**	**المتوسط**	**الانحراف المعياري**	**مستوى الاستجابة**
AI3	يساعد الذكاء الاصطناعي في اتخاذ قراراتي الشرائية	3.94	0.75	مرتفع
AI4	يزيد الذكاء الاصطناعي من تفاعلي مع العلامة التجارية	3.98	0.73	مرتفع
المتوسط العام للمتغير		**3.96**	—	مرتفع

- البند (AI1) حصل على أعلى متوسط (4.02)، مما يعكس اقتناع المشاركين بأن الذكاء الاصطناعي يساهم بقوة في تخصيص العروض، وهو ما ينسجم مع الاتجاهات الحديثة في التسويق الرقمي.
- البند (AI2) جاء بمتوسط (3.91)، وهو أقل نسبيًا من بقية البنود، ما قد يشير إلى أن المستهلكين لا يزالون متحفظين إزاء قدرة النماذج الذكية على التنبؤ الدقيق بتفضيلاتهم المستقبلية.
- البند (AI3) بمتوسط (3.94) يؤكد أن الذكاء الاصطناعي يساعد فعليًا في اتخاذ القرار الشرائي، مما يعكس ثقة المبحوثين في الأدوات التحليلية الذكية.
- البند (AI4) بمتوسط (3.98) يشير إلى دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز التفاعل بين المستهلك والعلامة التجارية، وهو ما يتقاطع مع مبدأ التسويق التجريبي.(Experiential Marketing)

بصورة إجمالية، بلغ المتوسط العام لمتغير الذكاء الاصطناعي (3.96) بمستوى استجابة مرتفع، مما يدل على أن العينة تدرك جيدًا القيمة التي يضيفها الذكاء الاصطناعي إلى بيئة الأسواق الذكية.

4.2.2.2. إنترنت الأشياء (IoT)

يُعد إنترنت الأشياء أحد الركائز الأساسية لبناء أسواق ذكية، حيث يتيح ربط الأجهزة والمنتجات بالإنترنت وتوليد بيانات لحظية تساعد على تحسين تجربة المستهلك وزيادة الشفافية في سلسلة التوريد.

جدول (11) **المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات متغير إنترنت الأشياء(IoT)**				
البند	**العبارة**	**المتوسط**	**الانحراف المعياري**	**مستوى الاستجابة**
IoT1	الأجهزة المتصلة تمنحني معلومات لحظية عن المنتجات	3.94	0.75	مرتفع
IoT2	العروض التسويقية تتغير تبعًا لموقعي أو سلوكي اللحظي	3.84	0.80	مرتفع
IoT3	استخدام تقنيات إنترنت الأشياء يجعل عملية التسوق أكثر سلاسة	3.90	0.71	مرتفع
IoT4	يعزز إنترنت الأشياء ثقتي بشفافية سلسلة التوريد	3.88	0.78	مرتفع
المتوسط العام للمتغير		**3.89**		مرتفع

- البند (IoT1) بمتوسط (3.94) يعكس قناعة قوية لدى المشاركين بأن الأجهزة المتصلة قادرة على تزويدهم بمعلومات فورية، وهو ما يتوافق مع طبيعة الأسواق الذكية القائمة على البيانات اللحظية.
- البند (IoT2) بمتوسط (3.84) سجّل أقل قيمة نسبيًا، ما يشير إلى أن المستهلكين قد لا يختبرون دائمًا تغيّر العروض حسب موقعهم أو سلوكهم، وربما يعود ذلك إلى محدودية انتشار هذه التطبيقات في البيئة المحلية.

- البند (IoT3) بمتوسط (3.90) يدل على أن استخدام IoT يسهم في جعل تجربة التسوق أكثر سهولة وسلاسة، وهو جانب عملي مباشر يعزّز ولاء المستهلك.
- البند (IoT4) بمتوسط (3.88) يعكس إدراكًا بأن IoT يعزز الثقة في شفافية سلسلة التوريد، وهو ما يعكس أولوية متزايدة للمستهلكين في ما يخص تتبّع المنتجات ومصدرها.

إجمالًا، أظهر المتغير إنترنت الأشياء متوسطًا عامًا بلغ (3.89) بمستوى استجابة مرتفع، ما يؤكد أن العينة ترى في IoT أداة فعالة لتحسين تجربة التسوق وتعزيز الشفافية، مع بعض التحديات في التطبيقات المتقدمة مثل العروض السياقية.

4.2.3.3. الأسواق الذكية(SM)

تُمثل الأسواق الذكية المخرج العملي لتكامل تقنيات الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء، إذ تعكس تجربة المستهلك في بيئة تسويقية متطورة تتميز بالراحة، والشفافية، وتقديم قيمة تتجاوز مجرد عملية الشراء التقليدية.

جدول (12) المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الأسواق الذكية(SM)

البند	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
SM1	تجربة التسوق عبر الأسواق الذكية سلسة وسهلة الاستخدام	4.09	0.70	مرتفع
SM2	توفر الأسواق الذكية راحة وتقلل من الوقت والجهد المبذول	4.05	0.68	مرتفع
SM3	الأسواق الذكية تعزز ولائي للعلامة التجارية	3.99	0.74	مرتفع
SM4	الأسواق الذكية تقدم قيمة مُعاشة تفوق مجرد شراء المنتج	3.98	0.73	مرتفع
المتوسط العام للمتغير		**4.03**	—	مرتفع

- البند (SM1) بمتوسط (4.09) كان الأعلى بين فقرات هذا المتغير، ما يعكس إدراكًا قويًا من المستجيبين بأن الأسواق الذكية تجعل تجربة التسوق أكثر سهولة وسلاسة.
- البند (SM2) بمتوسط (4.05) أكد على عنصر الراحة وتوفير الوقت والجهد، وهو من أبرز القيم المضافة التي تميز الأسواق الذكية عن التقليدية.
- البند (SM3) بمتوسط (3.99) يشير إلى أن المستهلكين يربطون بين الأسواق الذكية وبين تعزيز ولائهم للعلامة التجارية، رغم أن هذا التأثير جاء أقل قليلًا من تأثير الراحة والسلاسة.
- البند (SM4) بمتوسط (3.98) يُظهر اقتناع المستهلكين بأن الأسواق الذكية تمنحهم قيمة مُعاشة تتجاوز فكرة الشراء فقط، ما يتوافق مع مفاهيم القيمة التفاعلية والتسويق التجريبي.

إجمالًا، بلغ المتوسط العام لمتغير الأسواق الذكية (4.03) بمستوى استجابة مرتفع، وهو الأعلى مقارنة ببقية المتغيرات، مما يشير إلى أن العينة تعتبر الأسواق الذكية النتيجة الأكثر وضوحًا وملموسية من توظيف التقنيات الحديثة في التسويق.

4.2.3.4 . الاستدامة التسويقية (SUS)

يمثل مفهوم الاستدامة التسويقية بُعدًا مهمًا في الأسواق الذكية، حيث لا تقتصر قيمته على تحسين تجربة المستهلك أو رفع كفاءة العمليات، بل يمتد ليشمل تقليل الهدر، وحماية البيئة، وضمان العدالة في الوصول، إضافة إلى تعزيز الشفافية في إدارة البيانات.

جدول (12) المتوسطات والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الاستدامة التسويقية(SUS)

البند	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاستجابة
SUS1	تقلل التقنيات الذكية من الهدر في الوقت والموارد أثناء التسوق	3.79	0.76	متوسط يميل للارتفاع
SUS2	تساهم التقنيات الذكية في حماية البيئة عبر تقليل الورق والطاقة	3.74	0.81	متوسط يميل للارتفاع
SUS3	تتيح الأسواق الذكية وصولًا أكثر عدالة للخدمات والعروض	3.75	0.79	متوسط يميل للارتفاع
SUS4	توضح المنصات الذكية سياسات الخصوصية وحوكمة البيانات بوضوح	3.73	0.81	متوسط يميل للارتفاع
المتوسط العام للمتغير		**3.76**		متوسط يميل للارتفاع

- البند (SUS1) بمتوسط (3.79) جاء الأعلى بين فقرات هذا البُعد، ما يشير إلى أن المستجيبين يعترفون بدور التقنيات الذكية في تقليل الهدر وتحسين كفاءة استهلاك الوقت والموارد.
- البند (SUS2) بمتوسط (3.74) يعكس إدراكًا متوسطًا لإسهام هذه التقنيات في حماية البيئة، وهو ما قد يرتبط بضعف الوعي البيئي أو محدودية تطبيقات الاستدامة الرقمية في السياق المحلي.
- البند (SUS3) بمتوسط (3.75) يُظهر تقييمًا متقاربًا لإمكانية تحقيق العدالة في الوصول إلى الخدمات الذكية، لكنه ما يزال دون المستوى العالي.
- البند (SUS4) بمتوسط (3.73) وهو الأدنى بين الفقرات، ما يدل على وجود فجوة واضحة في وضوح سياسات الخصوصية والحوكمة من وجهة نظر المستجيبين.

إجمالًا، بلغ المتوسط العام لمتغير الاستدامة التسويقية (3.76) بمستوى "متوسط يميل للارتفاع"، وهو أدنى من بقية المتغيرات. وهذا يعكس أن الاستدامة ما تزال تمثل تحديًا في الأسواق الذكية، وأن تعزيز هذا البُعد يتطلب جهودًا أكبر في مجال التشريعات والشفافية والوعي البيئي

4.2.4. اختبار فرضيات البحث (Hypotheses Testing)

4.2.4.1. اختبار فرضيات الارتباط (Correlation)

يمثل اختبار الارتباط الخطوة الأولى في التحقق من صحة الفرضيات، إذ يكشف قوة العلاقة واتجاهها بين المتغيرات الرئيسة في النموذج البحثي. تم استخدام **معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient)** لقياس درجة العلاقة، مع اختبار الدلالة الإحصائية عند مستوى معنوية.($\alpha = 0.05$)

جدول (13) معاملات الارتباط بين المتغيرات الرئيسة

المتغيرات	AI	IoT	SM	SUS
AI	1	—	—	—
IoT	0.62***	1	—	—

جدول (13) معاملات الارتباط بين المتغيرات الرئيسة				
المتغيرات	AI	IoT	SM	SUS
SM	0.67***	0.64***	1	—
SUS	0.55***	0.52***	0.59***	1

- العلاقة بين **AI** و **SM** بلغت ($r = 0.67, p < 0.001$) وهي علاقة قوية موجبة، تدعم الفرضية H1 التي تنص على أن الذكاء الاصطناعي يرتبط إيجابيًا مع الأسواق الذكية.
- العلاقة بين **IoT** و **SM** بلغت ($r = 0.64, p < 0.001$) ، وهي علاقة قوية أيضًا، وتدعم الفرضية H2 المتعلقة بأثر إنترنت الأشياء.
- العلاقة بين **SUS** و **SM** ($r = 0.59, p < 0.001$) تشير إلى أن الاستدامة التسويقية ترتبط إيجابيًا بالأسواق الذكية، وهو ما يعزز دورها كمتغير وسيط أو داعم.
- الروابط بين **AI** و (0.62) **IoT** وبين كل منهما مع SUS (0.55 و0.52) توضح أن هذه الأبعاد مترابطة، لكنها ليست متطابقة، مما يثبت التمييز البنائي بينها.

وبذلك، فإن جميع فرضيات الارتباط قد حُظيت بدعم إحصائي قوي

4.2.4.2. اختبار فرضيات التأثير (Regression/SEM)

بعد إثبات وجود علاقات ارتباطية دالة بين المتغيرات، تم الانتقال لاختبار **الأثر السببي**، أي إلى أي مدى تسهم المتغيرات المستقلة (AI) ، (IoT) في تفسير تباين المتغير التابع(SM) ، وكذلك اختبار دور الاستدامة التسويقية (SUS) كمتغير وسيط. استخدمنا في ذلك أسلوب **الانحدار المتعدد (Multiple Regression)** مدعومًا بنتائج **النمذجة بالمعادلات الهيكلية (SEM)** للتحقق من قوة النموذج ككل.

جدول (14) نتائج الانحدار المتعدد لتفسير الأسواق الذكية(SM)				
المتغير المستقل	β معامل التأثير الموحّد	t	p	التفسير
الذكاء الاصطناعي(AI)	0.41	7.02	<0.001	أثر إيجابي قوي ودال
إنترنت الأشياء(IoT)	0.33	5.65	<0.001	أثر إيجابي متوسط–قوي ودال

ملخص النموذج

- **$R^2 = 0.58$** → يفسر AI و IoT معًا حوالي 58% من التباين في الأسواق الذكية.
- **Adjusted $R^2 = 0.57$** → بعد ضبط النموذج، ما يزال يفسر أكثر من نصف التباين.
- **$F(2,197) = 136.0, p < 0.001$** → النموذج ككل دال إحصائيًا.
- **VIF = 1.63–1.79** → لا توجد مشكلة تعدد ترابط بين المتغيرات.

معامل التأثير للذكاء الاصطناعي ($\beta = 0.41$) يشير إلى أن لكل وحدة زيادة فيAI ، هناك زيادة متوقعة قدرها 0.41 فيSM ، وهو الأثر الأقوى بين المتغيرات المستقلة.

- معامل التأثير لإنترنت الأشياء ($\beta = 0.33$) يدل على أثر إيجابي مهم لكنه أقل من أثر AI.

- ارتفاع قيمة (R^2 0.58) يبين أن النموذج يتمتع بقدرة تفسيرية جيدة، وهو مؤشر على أن AI و IoTامعًا يشكلان أساسًا متينًا لبناء أسواق ذكية.
- الفرضيات H1 و H2 المدروسة قد تم تأكيدها إحصائيًا، بينما تدعم النتائج فرضية H3 المتعلقة بأهمية الجمع بين AI و IoT بدل الاعتماد على أحدهما فقط.

4.2.5 . مناقشة النتائج (Discussion of Findings)

تمثل هذه الفقرة المرحلة التحليلية التفسيرية التي تربط بين النتائج الإحصائية للدراسة والأطر النظرية والدراسات السابقة، مع إبراز القيمة العلمية والتطبيقية لما توصل إليه البحث.

تبيّن من نتائج التحليل أن **الذكاء الاصطناعي (AI)** كان له التأثير الأقوى على بناء الأسواق الذكية، وهو ما يتفق مع ما أشار إليه **(Huang&Rust ,2021)** بأن الذكاء الاصطناعي أصبح أداة جوهرية في إعادة تشكيل القرارات الشرائية عبر التخصيص والتنبؤ. كما ينسجم ذلك مع ما ذكره **(Wedel&Kannan, 2016)** من أن النماذج التحليلية القائمة على البيانات الضخمة تمنح المؤسسات قدرة تنافسية أعلى.

أما **إنترنت الأشياء (IoT)** ، فقد أثبت تأثيرًا مباشرًا لكنه أقل نسبيًا منAI ، وهو ما يتقاطع مع ما طرحه **(Porter&Heppelmann, 2014)** من أن إنترنت الأشياء يعزز الشفافية ويُدخل المستهلك في تجربة تفاعلية جديدة، إلا أن نجاحه يعتمد بدرجة كبيرة على البنية التحتية الرقمية المتاحة. هذا يفسر سبب تسجيل العينة استجابات أقل نسبيًا في فقرات تتعلق بتخصيص العروض اللحظية.(IoT2)

من جانب آخر، أظهرت **الأسواق الذكية (SM)** أعلى متوسطات حسابية (4.03)، وهو ما يعكس توافق العينة على أن التجربة السوقية الحديثة تقدم قيمة تتجاوز مجرد عملية الشراء. هذا يتماشى مع مفهوم **التسويق التجريبي (Experiential Marketing)** كما طرحه **(Kotler et al.,2021)**، والذي يركز على جعل المستهلك جزءًا من تجربة متكاملة تشمل الراحة والولاء والشفافية.

وفيما يتعلق بـ **الاستدامة التسويقية (SUS)** ، فقد سجلت استجابات "متوسطة تميل للارتفاع" (3.76)، وهو ما يشير إلى وجود وعي متزايد لدى المستهلكين بأهمية البُعد البيئي والاجتماعي، لكنه لم يصل إلى مستوى مرتفع بعد. هذا ينسجم مع ما أشار إليه **(Elkington ,1998)** في مفهوم **Triple Bottom Line**، بأن الاستدامة في التسويق تحتاج إلى استثمارات وتشريعات لضمان التوازن بين الربحية والعدالة وحماية البيئة. كما أن النتائج تتفق مع ما ذكره (Floridi et al., 2018) بخصوص الحاجة إلى أطر حوكمة واضحة للبيانات لتحقيق الثقة.

من خلال اختبار الفرضيات، ظهر أن التكامل بين **AI و IoT** يرفع القدرة التفسيرية للنموذج (R^2= 0.58) مقارنة بالتأثيرات الفردية لكل متغير، وهو ما يؤكد فرضية التكامل (H3) ويدعم ما ذهب إليه (Grewal et al., 2020) حول أن التكنولوجيات الحديثة لا تحقق قيمتها القصوى إلا عبر تكاملها.

أخيرًا، لعبت **الاستدامة التسويقية (SUS)** دور الوسيط الجزئي، حيث انتقل جزء من تأثير AI و IoT على الأسواق الذكية عبر الاستدامة. وهذا يؤكد أن نجاح الأسواق الذكية لا يعتمد فقط على التقنية بحد ذاتها، وإنما أيضًا على مدى قدرتها على إقناع المستهلك بجدواها الاجتماعية والبيئية.

5 . الاستنتاجات والتوصيات (Conclusions and Recommendations)

تُعد هذه الفقرة الخاتمة التطبيقية للبحث، إذ تجمع أبرز ما تم التوصل إليه من نتائج وتحوّله إلى توصيات عملية يمكن أن يستفيد منها صانعو القرار والباحثون والممارسون في مجال التسويق الذكي.

5.1 . الاستنتاجات

من خلال التحليل الوصفي، واختبار الارتباطات، والانحدار المتعدد، واختبارات الوساطة، أمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

1. **أن** الأسواق الذكية ليست مجرد امتداد تلقائي للمدن الذكية، بل هي مرحلة نضج مختلفة تنقل التكنولوجيا من كونها أداة للخدمة الحضرية إلى كونها **عاملًا محوريًا في خلق** القيمة التسويقية وتجربة المستهلك .وهذا التحول يعكس انتقالًا تدريجيًا من بنى تحتية ذكية إلى قيم تسويقية مُعاشة.
2. أن الذكاء الاصطناعي أصبح القلب التحليلي للأسواق الذكية، فهو المسؤول عن تحويل الكم الهائل من البيانات إلى قرارات دقيقة، وتخصيصات فورية، وتجارب تسويقية متفردة. وبذلك بات AI هو العامل الأكثر قدرة على **إعادة تعريف سلوك المستهلك وولائه.**
3. أن إنترنت الأشياء **يوفر البنية الحسية للأسواق الذكية،** فهو يمكّن المنتجات والأجهزة من التفاعل المستمر، مما يحول تجربة المستهلك من فعل شراء معزول إلى **رحلة مستمرة تتضافر فيها التفاعلات الرقمية مع السلوك الواقعي.**
4. أن **الاستدامة التسويقية** أصبحت شرطًا مركزيًا لنجاح الأسواق الذكية؛ فهي البعد الذي يضمن ثقة المستهلك، ويحمي خصوصيته، ويخلق علاقة طويلة الأمد بين العلامة والجمهور. فالتقنيات بدون بعد أخلاقي واستدامي تتحول إلى عبء يضعف قبول المجتمع لها.
5. أن المستهلك في البيئة العربية يقبل التقنية **حين يرى قيمة واضحة ومباشرة،** وأن التكامل بين التكنولوجيا والثقة المجتمعية هو مفتاح نجاح أي نموذج ذكي، خصوصًا حين يتعلق بالبيانات الشخصية والتفاعلات الرقمية الحساسة.
6. تشير النتائج إلى أن مفهوم **السوق الذكي أصبح مفهومًا مقبولًا وملموسًا** لدى المشاركين، حيث يرتبط لديهم بعناصر السلاسة، والراحة، وتوفير الوقت، ورفع جودة الرحلة التسويقية. وهذا يدل على جاهزية المستهلك العربي لتجارب تسويقية أكثر ذكاءً.
7. تُظهر البيانات أن **الاستدامة التسويقية لم تنضج بعد** في ذهنية المستخدم، فهي حاضرة لكن بدرجة أقل مقارنة بالأبعاد التقنية. ويبدو أن المستهلك يرى الاستدامة كقيمة مرغوبة لكنها لم تُترجم بعد إلى ممارسات واضحة عبر المنصات الذكية، خصوصًا في ما يتعلق بحوكمة البيانات والعدالة في الوصول.

8. أن المستهلكين يتجاوبون إيجابيًا مع التقنيات حين تعكس **قيمة مباشرة قابلة للإدراك** (مثل سهولة الاستخدام أو التخصيص)، بينما تكون استجابتهم أقل للتطبيقات التي تعتمد على بنى تحتية غير ناضجة أو سياسات خصوصية غير واضحة.
9. أثبت النتائج أن **الذكاء الاصطناعي هو العامل الأكثر تأثيرًا في بناء سوق ذكي**، مما يعزز دوره بوصفه حجر الأساس لأي مبادرة تستهدف تحسين تجربة المستهلك أو تصميم مسارات قيمة جديدة.
10. تُشير النتائج إلى أن المستهلك يميل للثقة بالأسواق الذكية حين يشعر بأن منصات التسويق **تستخدم البيانات بمسؤولية وتقدم قيمة عادلة**، ما يجعل الاستدامة التسويقية مُكوّنًا ضروريًا لإنجاح الأنظمة الذكية.

5.2. التوصيات :

استنادًا إلى الاستنتاجات السابقة، يوصي البحث بما يلي:

1. على المؤسسات العربية والعراقية أن تتخلى عن نموذج القفزات الكبرى غير الواقعية، وأن تتبنى بدلًا من ذلك منهجية "التجارب الصغيرة عالية الأثر" التي تبدأ بتفعيل ذكاء اصطناعي بسيط (مثل تخصيص العروض أو الردود الذكية)، ثم تتوسع بجرعة محسوبة نحو تقنيات أكثر تعقيدًا. إن التفوق في التسويق الذكي لا يولد من المشاريع الضخمة، بل من سلسلة تراكمات صغيرة تُقاس وتُعدّل وتُطور باستمرار.

2. **تحويل البيانات من عبء إلى قيمة عبر "ميثاق ثقة"**: لم يعد جمع البيانات هو التحدي الأكبر، بل القدرة على إدارة هذه البيانات بطريقة تضمن ثقة المستهلك. توصي الدراسة باعتماد "ميثاق بيانات" واضح يشرح ما يُجمع، ولماذا يُجمع، وكيف يُستخدم. إن المستهلك في الأسواق الذكية لا يحتاج إلى وعود؛ بل يحتاج إلى وضوح، ووضوحٌ يُحوّل المخاوف إلى ولاء طويل الأمد.

3. **تأسيس مراكز ذكاء مؤسسية تقود التحول، لا تتبعه**: يجب على المؤسسات إنشاء وحدات داخلية متخصصة في الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء، تمتلك سلطة اتخاذ القرار وتوجيه الاستراتيجيات. لم يعد مقبولًا أن تعتمد الشركات على حلول خارجية فقط؛ بل عليها بناء "عقل رقمي داخلي" قادر على قيادة منظومة التسويق المستقبلية.

4. **تصميم تجربة مستهلك "متجاوزة للتوقع"، لا "متوافقة معها"**: جوهر الأسواق الذكية ليس الراحة فقط، بل الشعور بأن العلامة التجارية تفهم المستهلك قبل أن يطلب. توصي الدراسة بتصميم نماذج تسويقية تُبنى على التوقع المسبق، والتفاعل اللحظي، وتقديم قيمة مُعاشة تتجاوز حدود المنتج نفسه.

5. **تفعيل الاستدامة التسويقية كشرط للتميّز وليس كخيار تجميلي**: الاستدامة لم تعد بندًا ثانويًا؛ إنها نقطة تمايز استراتيجية. على المؤسسات دمج مبادئ تقليل الهدر، حماية الخصوصية، وعدالة الوصول

كجزء من فلسفة السوق الذكي. إن التقنية دون بُعد إنساني تتحول إلى خطر؛ بينما التقنية المقرونة بالاستدامة تتحول إلى قوة لا تُنافس.

6. **بناء تحالفات استراتيجية بين القطاعين العام والخاص لتسريع النضج الرقمي** : تحتاج الأسواق الذكية إلى تشريعات مرنة، بنى تحتية قوية، ومعايير واضحة للخصوصية والأمن السيبراني. توصي الدراسة بإنشاء منصات مشتركة تجمع الوزارات، الجامعات، والشركات الرائدة لتشكيل "إطار حضاري للسوق الذكي" يتجاوز حدود المبادرات الفردية.

7. **تمكين فرق التسويق من التحول من "منفذي حملات" إلى "مهندسي تجارب ذكية** :"يتطلب نجاح الأسواق الذكية تطوير مهارات العاملين في التسويق لتشمل التحليل، علم البيانات، فهم رحلة العميل، وصياغة تجارب رقمية متكاملة. يجب أن يصبح المسوّق قائدًا تقنيًا قادرًا على قراءة سلوك المستهلك عبر الخوارزميات، لا مجرد منفذ للإعلانات.

8. **تحويل نقاط البيع إلى "نقاط معرفة" عبر أجهزةIoT** :على المتاجر ومنافذ الخدمة أن تتبنى أجهزة إنترنت الأشياء ليس بوصفها ترفًا تقنيًا، بل بوصفها وسيلة لبناء شفافية تفاعلية تُمكّن المستهلك من معرفة أصل المنتج، ظروف التخزين، ومستوى الجودة. إن المستهلك العربي سيمنح ولاءه لمن يفتح له أبواب سلسلة التوريد بلا خوف وبلا غموض.

9. **التحرك نحو اقتصاد تجارب ذكية متكاملة (Smart Experience Economy)** توصي الدراسة بأن تتحول المؤسسات من التفكير في المنتج أو الخدمة كبضاعة تُباع، إلى التفكير فيها كقيمة تفاعلية تُعاش. المستقبل ليس لمن يبيع أكثر، بل لمن يُقدّم رحلة أعمق، وأغنى، وأذكى.

10. **إطلاق مبادرات توعوية تزرع "ثقافة الذكاء التقني" لدى المستهلك العربي** نجاح الأسواق الذكية لا يعتمد على التكنولوجيا فقط، بل على وعي المستهلك. التوصية هنا هي إطلاق برامج تثقيفية حول التعامل مع البيانات، الخصوصية، وأهمية القنوات الذكية، حتى يشعر المستهلك أن التقنية ليست تهديدًا، بل شريكًا في تحسين حياته.

المصادر:

1. **البدري، سعد محمود** .(2020) أثر التحول الرقمي على المؤسسات العراقية: التحديات والفرص . *بغداد:* دار الكتب الجامعية.
2. **الحسني، محمد عبد الكريم** .(2020) دور الذكاء الاصطناعي في التسويق الرقمي بالجامعات العراقية .مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، 26(3)، ص 112–130.
3. **خالد، أحمد عبد الله** .(2022) *تسويق* التجزئة عبر الأجهزة الذكية في الإمارات: دراسة ميدانية . المجلة العربية للتسويق، 8(2)، ص 77–95.

4. **العزاوي، رائد فاضل، علي، كاظم جاسم محمود، سارة عبد الأمير** .(2023) الأمن السيبراني وتبني تقنيات إنترنت الأشياء في المؤسسات الحكومية العراقية .مجلة الدراسات الإدارية، 15(1)، ص 55–74.
5. mazon. (2020). *Amazon Go: The future of shopping*. https://www.amazon.com/go
6. Ashton, K. (2009). That 'Internet of Things' thing. *RFID Journal, 22*(7), 97–114.
7. Bryman, A. (2016). *Social research methods* (5th ed.). Oxford University Press.
8. Chaffey, D., & Ellis-Chadwick, F. (2019). *Digital marketing* (7th ed.). Pearson Education.
9. Creswell, J. W., & Creswell, J. D. (2018). *Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches* (5th ed.). Sage.
10. Custers, B., Ursic, H., & Zarsky, T. (2019). *Discrimination and privacy in the information society*. Springer.
11. Dwivedi, Y. K., Hughes, L., & Coombs, C. (2021). Impact of artificial intelligence on marketing. *Journal of Business Research, 124*, 341–356.
12. Elkington, J. (1998). *Cannibals with forks: The triple bottom line of 21st century business*. Capstone.
13. Floridi, L., Cowls, J., Beltrametti, M., Chatila, R., Chazerand, P., Dignum, V., ... & Vayena, E. (2018). AI4People—An ethical framework for a good AI society. *Minds and Machines, 28*(4), 689–707.
14. Grewal, D., Roggeveen, A. L., & Nordfält, J. (2020). The future of retailing. *Journal of Retailing, 96*(1), 69–76.
15. Hair, J. F., Black, W. C., Babin, B. J., & Anderson, R. E. (2019). *Multivariate data analysis* (8th ed.). Cengage Learning.
16. Hosseini, S., Ivanov, D., & Dolgui, A. (2022). Smart markets and digital supply chains. *International Journal of Production Research, 60*(8), 2330–2348.
17. Huang, M. H., & Rust, R. T. (2021). Artificial intelligence in service. *Journal of Service Research, 24*(1), 3–21.
18. Hwangbo, H., Kim, Y. S., & Cha, K. J. (2017). Recommendation system development for fashion retail e-commerce. *Fashion and Textiles, 4*(1), 1–17.
19. Kotler, P., Kartajaya, H., & Setiawan, I. (2021). *Marketing 5.0: Technology for humanity*. Wiley.
20. Lee, I., & Lee, K. (2015). The Internet of Things (IoT): Applications, investments, and challenges. *Business Horizons, 58*(4), 431–440.
21. Miorandi, D., Sicari, S., De Pellegrini, F., & Chlamtac, I. (2012). Internet of things: Vision, applications and research challenges. *Ad Hoc Networks, 10*(7), 1497–1516.
22. Porter, M. E., & Heppelmann, J. E. (2014). How smart, connected products are transforming competition. *Harvard Business Review, 92*(11), 64–88.
23. Russell, S., & Norvig, P. (2020). *Artificial intelligence: A modern approach* (4th ed.). Pearson.
24. Wedel, M., & Kannan, P. K. (2016). Marketing analytics for data-rich environments. *Journal of Marketing, 80*(6), 97–121.
25. Yin, R. K. (2018). *Case study research and applications: Design and methods* (6th ed.). Sage.
26. Zuboff, S. (2019). *The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new*

التحول الرقمي في علم الآثار: أهمية ادوات الذكاء الاصطناعي في استكشاف وحفظ وعرض النتاجات الاثرية

إعداد

ا.م.د. فيحاء مولود علي
قسم الاثار / كلية الاداب / جامعة بغداد
fayhaamawlood@coart.uobaghdad,edu.iq

م.م. مصطفى داخل حسين
كلية الاداب / جامعة بغداد
mostafa.dakhil1208b@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

شهد علم الآثار تحوّلًا جذريًا يغيّر من طبيعته التقليدية التي كانت تعتمد بشكل أساسي على العمل الميداني الدؤوب والخبرة البشرية الفردية. لقد أصبح هذا المجال، بفضل التقدم التكنولوجي المتسارع، متعدد التخصصات يعتمد بشكل متزايد على الأدوات الرقمية والتقنيات المتقدمة التي تُسرّع وتيرة الاكتشاف وتُعمّق فهمنا للمخلّفات الأثرية لتلك الحضارات القديمة. لقد تجاوز الذكاء الاصطناعي كونه مجرد أداة مساعدة ليصبح محرّكًا أساسيًا للابتكار كونه يفتح آفاقًا لم تكن ممكنة في السابق .

يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل شامل لأبرز تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث الأثري، فضلًا عن تقديم توصيات لضمان مستقبل مستدام وواعٍ لهذه الشراكة بين التكنولوجيا والعقل البشري .

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، اللقى الأثرية، التقنيات الرقمية، برامج الرسم، الخوارزميات

Abstract:

Archaeology has undergone a radical transformation, shifting away from traditional nature, which relied primarily on rigorous fieldwork and individual human expertise. Through technological advancements, the field has become increasingly multidisciplinary, integrating advanced digital tools and techniques that accelerate discovery and deepen our understanding of archaeological remains and ancient civilizations. Artificial intelligence has transcended its role as a mere auxiliary tool to become a fundamental driver of innovation, opening up previously unattainable research horizons.

This research aims to provide a comprehensive analysis of the most prominent applications of artificial intelligence in archaeological research, as well as to offer recommendations for ensuring a sustainable and informed future for this partnership between technology and human intellect.
Keywords: Artificial intelligence, archaeological finds, digital technologies, drawing software, algorithms

1- كشف المواقع الأثرية والتنقيب عن بُعد:

يُعَد الكشف عن المواقع الأثرية أحد المجالات التي أحدث فيها الذكاء الاصطناعي ثورة حقيقية. فباستعمال تقنيات الاستشعار عن بعد مثل المسح بالليزر (LiDAR) وصور الأقمار الصناعية والطائرات بدون طيار (Drun)، إذ يمكن للباحثين الآن تحديد المواقع المدفونة بدقة غير مسبوقة دون الحاجة إلى التنقيب المباشر الذي قد يؤدي إلى إتلافها. تعتمد هذه العملية على نماذج الذكاء الاصطناعي، مثل Ultralytics YOLOv8، التي تُدرَّب على تحليل الصور الجوية أو الفضائية للكشف عن التغيرات الدقيقة في المناظر الطبيعية. وقد تشير هذه التغييرات إلى وجود هياكل مدفونة، مثل الجدران القديمة أو الطرق، وتظهر من خلال اختلافات طفيفة في لون التربة، أو نمو الغطاء النباتي، أو نسيج الأرض. وإن هذا النهج يقلل بشكل كبير من المخاطر المرتبطة بالحفريات العشوائية ويجعل البحث الأثري أكثر استباقية. (بدر الدين،1999 : 15)

يرى خبراء الآثار أن هذه الاكتشافات كانت ستستغرق "أعماراً" باستعمال الأساليب التقليدية، مما يبرز كيف أن الذكاء الاصطناعي لا يسرّع العملية فحسب، بل يغير جوهر المنهجية البحثية نفسها. فبدلاً من التنقيب العشوائي، أصبح البحث الأثري يعتمد على النمذجة التنبؤية والتحليل الاستباقي، مما يمكّن الباحثين من استكشاف ما لم يتخيلوا وجوده من قبل.

كشفت تقنية الرادار ذات الفتحة التركيبية (SAR) المدعومة بالذكاء الاصطناعي عن آثار حضارات عمرها 5000 عام، مما أدى إلى إعادة النظر في الفرضيات السابقة حول أنماط الاستيطان البشري في البيئات الجافة. هذه النجاحات في البيئات القاحلة والغابات الكثيفة تؤكد على أن مستقبل البحث الأثري يتجه

نحو الاستكشاف عن بُعد، مما يقلل من الأضرار المحتملة للمواقع ويفتح الباب أمام اكتشافات جديدة في مناطق كانت تعد صعبة أو مستحيلة الاستكشاف. (غنيم، 2002 : 10)

2- تحليل وتصنيف القطع الأثرية:

تمثل عملية تحليل وتصنيف القطع الأثرية جزءاً كبيراً ومستهلكاً للوقت في العمل الأثري التقليدي، إذ يجد علماء الآثار الآلاف من القطع مثل الاواني الفخارية والأختام والعظام ومواد اخرى أثناء التنقيبات. يمكن للتعلم الآلي والرؤية الحاسوبية أتمتة هذه العملية بالكامل. فالأنظمة المدعومة بالذكاء الاصطناعي قادرة على تحليل صور القطع الأثرية وتصنيفها تلقائياً بناءً على خصائص مثل الحجم، والشكل، والتصميم، والملبس. هذا لا يسرّع من عملية الفهرسة فحسب، بل يقلل أيضاً من الخطأ البشري ويضمن أن النتائج تستند إلى بيانات قوية بدلاً من التحيزات الشخصية.

يُعد مشروع "Arch-I-Scan" الذي أطلقته جامعة ليستر مثالاً عملياً على هذا التطبيق. يهدف المشروع إلى تطوير نظام للتعرف على صور الفخار الروماني وتسجيل تفاصيله تلقائياً باستعمال أجهزة محمولة. وقد أثبت هذا المشروع نجاحاً في إثبات المفهوم، إذ ركز على تحسين الموضوعية والشمولية في عملية الفهرسة التي كانت في السابق تعتمد على خبرة فردية محدودة. إن أتمتة هذه المهام الروتينية تحرر الباحثين الأثاريين من العمل اليدوي المتكرر، مما يسمح لهم بتوجيه جهودهم نحو التفسير النقدي والنظري الذي يمثل القيمة المضافة الحقيقية للخبرة البشرية.

3- فك رموز النصوص القديمة والبيانات اللغوية:

واجه فك رموز اللغات القديمة تحديات كبيرة بسبب اختلاف المعاني باختلاف السياقات وندرة النصوص المكتشفة. لكن مع تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والتعلم العميق، أصبح من الممكن الآن تحليل الجمل والأنماط اللغوية في النصوص القديمة بسرعة فائقة. يمكن للذكاء الاصطناعي استعادة النصوص الممحوة أو المفقودة وإعادة تشكيل الكلمات الناقصة، مما يعيد إحياء تراث كان يُعد ضائعاً إلى الأبد.

وخير مثال في بلدنا وبجهود محلية تمكنت احدى طالبات كلية الهندسة المعلومات في جامعة النهرين بايجاد تطبيق لحل وتحديد العلامات المسمارية باستعمال برنامج (Yolo V8) ، مع خوارزميات الرؤية الحاسوبية لاجراء فك افتراضي لمجموعة من النصوص المسمارية الآشورية وهذه جهود فتحت الابواب لدراسات اخرى في المجال ذاته ، يوضح هذا أن الذكاء الاصطناعي قادر على اكتشاف البيانات التي لا تستطيع العين البشرية تمييزها، وأن هذا التقدم يعتمد بشكل كبير على التعاون بين خبراء التخصصات المختلفة، إذ يقوم الذكاء الاصطناعي بالكشف والتحليل، بينما يظل التفسير والترجمة النهائية مسؤولية الباحثين المتخصصين.

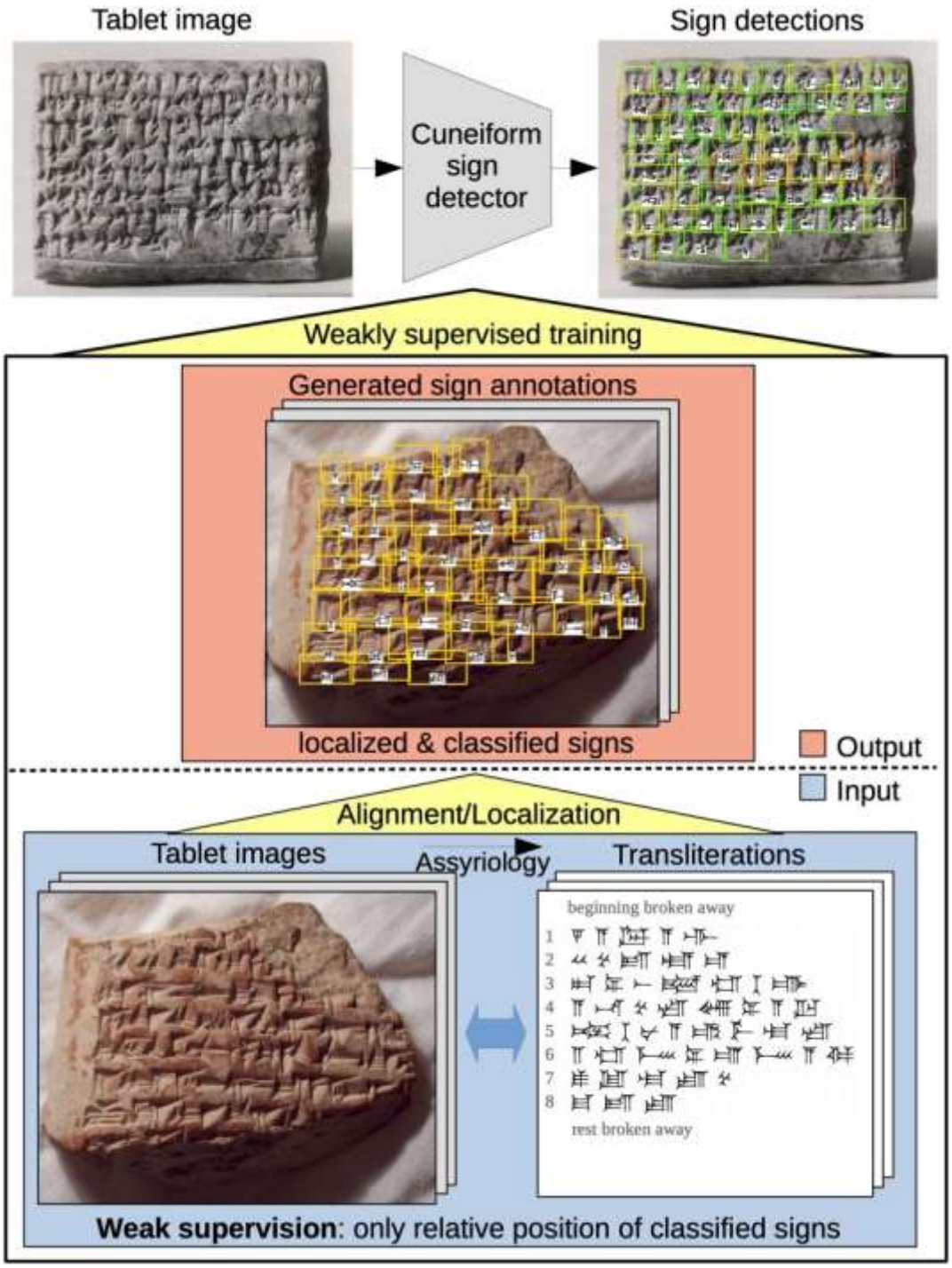

شكل رقم (1) مأخوذ من المصدر :

Maul , S.M., and other , Deep Learningof cuneiform sign Detection with weak supervision using transliteration alignment (2020) ,p21

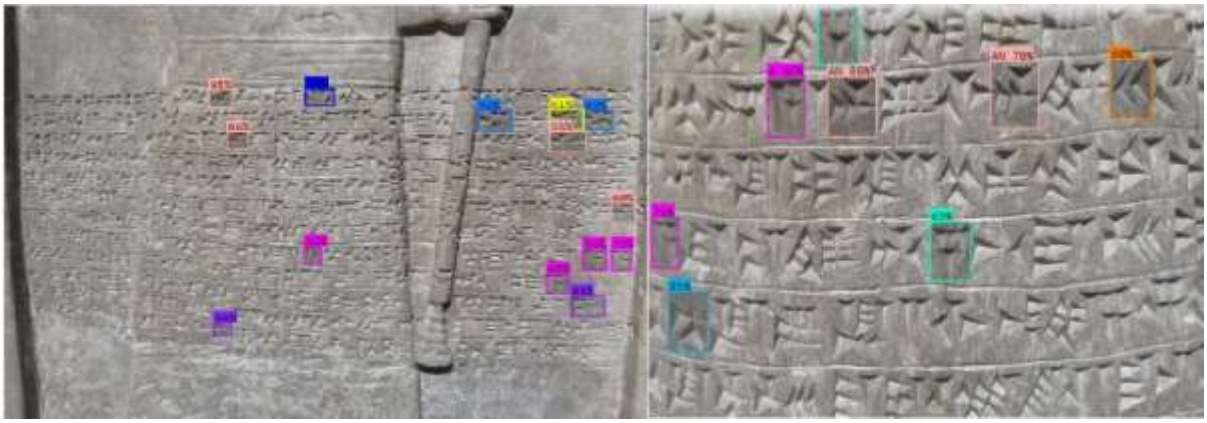

.a

.b

شكل رقم (2) ماخوذ من :

Elaf A. Saeed, Ammar D. Jasim, and Munther A. Adul Malik, Deciphering the past: enhancing Assyrian Yolov8 Object detection", International Journal of Advanced Technology and Engineering Exploration, vol:10 (109), (2023), p. 14, Fig. a-b.

4- تحليل الشبكات الاجتماعية والتجارية القديمة:

تتيح أدوات تحليل البيانات الضخمة والتعلم الآلي لعلماء الآثار تجاوز حدود دراسة قطعة أثرية أو موقع واحد بمعزل عن غيره إلى تحليل كميات هائلة من البيانات، مثل ملايين القطع الفخارية واللقى الاثرية، لتحديد أنماط العلاقات والترابطات المعقدة بين المجتمعات القديمة. هذا الانتقال يمثل تحولاً من "علم الآثار الوصفي" إلى "علم الآثار التحليلي" و "النمذجة التنبؤية." في دراسة حديثة، كشف تحليل البيانات الضخمة في صحراء دبي عن شبكات تجارية برية كانت مترابطة ومعقدة، مما يغير الفرضيات السابقة حول عزلة هذه المجتمعات. هذا يبرز قدرة الذكاء الاصطناعي على الكشف عن أنماط وعلاقات كانت مخفية سابقاً، مما يوفر أساساً متيناً لاتخاذ قرارات بحثية مستنيرة. كما أن القدرة على رسم خرائط للشبكات التجارية وتتبع تدفق السلع والأفكار عبر القارات، مثل طريق الحرير، تغير تماماً من فهمنا لتطور الحضارات وتفاعلها.

5- المتاحف الافتراضية والآثار تحت الماء:

ساهم الذكاء الاصطناعي بشكل كبير في جعل التراث الثقافي متاحاً وتفاعلياً للجمهور العالمي، مما يكسر حواجز المكان والزمان. فمن خلال تقنيات مثل النمذجة ثلاثية الأبعاد، والواقع الافتراضي(VR) ،

والواقع المعزز (AR) ، يمكن للذكاء الاصطناعي إعادة بناء المعالم المتهدمة، مثل منارة عانة في مدينة عانة، وتطوير تطبيقات تفاعلية لتعزيز الوعي الأثري لدى الزوار. هذا التطور يساهم من جعلها في متناول الجميع دون قيود جغرافية أو طبقية، ويحفز الفضول لزيارة المواقع الفعلية

. (جفري، منظمة اليونسكو : 1)

كما يمتد تأثير الذكاء الاصطناعي إلى مجال علم الآثار تحت الماء. فباستعمال المركبات ذاتية التحكم تحت الماء (AUVs) وأجهزة الاستشعار الذكية، يمكن للعلماء الآن استكشاف المواقع الأثرية المغمورة ، هذه التقنيات تمكّن العلماء من العمل في بيئات خطرة أو يصعب الوصول إليها، مما يقلل من المخاطر البشرية ويوسع نطاق البحث بشكل كبير. كما أنها تساعد في مراقبة الآثار وتحديد المخاطر البيئية المحتملة التي قد تؤثر عليها.

أهمية استعمال البرامج الإلكترونية في رسم اللقى الأثرية:

* الدقة والسرعة: تسمح هذه البرامج بإنشاء رسومات دقيقة جداً وفي وقت أقل مقارنة بالرسم اليدوي التقليدي.

* التحليل والتصنيف: توفر إمكانية تحليل تفاصيل القطعة الأثرية، مثل الزخارف والنقوش، وتساعد في تصنيفها وتوثيقها بشكل منهجي.

* الحفظ والتوثيق: تُعد هذه الرسومات الرقمية سجلاً دائماً للقطعة الأثرية، ويمكن مشاركتها بسهولة مع الباحثين حول العالم.

* الاستعراض: يمكن للبرامج الحديثة عرض القطع الأثرية بشكل ثلاثي الأبعاد، مما يسمح للجمهور والباحثين بتفحصها من جميع الزوايا.

أنواع البرامج المستعملة في الرسم:

تتعدد البرامج المستعملة في رسم اللقى الأثرية، كما في الشكل رقم (4) وتختلف في وظائفها وقدراتها. من أبرز هذه البرامج:

* برامج الرسم ثنائي الأبعاد :(2D) تُستعمل لإنشاء رسومات مسطحة للقطع الأثرية. من أشهرها Adobe Illustrator وCorelDRAW .

Fig. 21. Inference on Ur III Tablet

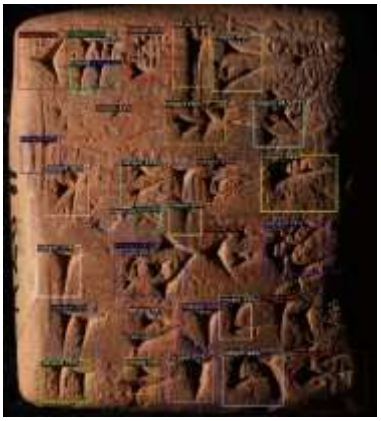

شكل رقم (3) ماخوذ من :

Williams , E.C. ,DeepScrib:Localization and Classification of Elamite CuneiformSigns Via Deep Learning , p.33.fig.21.

* برامج النمذجة ثلاثية الأبعاد :(3D) تُستعمل لإنشاء نماذج رقمية للقطع الأثرية. من أهم هذه البرامج Blender ، Autodesk Maya، وZBrush . تُستعمل أيضاً برامج المسح الضوئي ثلاثي الأبعاد لإنشاء هذه النماذج مباشرةً من القطع الأثرية.

عملية رسم اللقى الأثرية باستعمال البرامج:

تتبع عملية الرسم الرقمي للقى الأثرية عدة خطوات رئيسية:

* المسح الضوئي أو التصوير الفوتوغرافي: يتم التقاط صور متعددة للقطعة الأثرية من زوايا مختلفة، أو استعمال ماسح ضوئي ثلاثي الأبعاد لإنشاء نسخة رقمية.

* النمذجة والتحرير: تُستعمل البرامج لإنشاء نموذج ثلاثي الأبعاد أو رسم ثنائي الأبعاد بناءً على البيانات التي تم جمعها.

* التوثيق والتحليل: تُضاف تفاصيل مهمة على الرسم مثل المقاييس، والأبعاد، والزخارف.

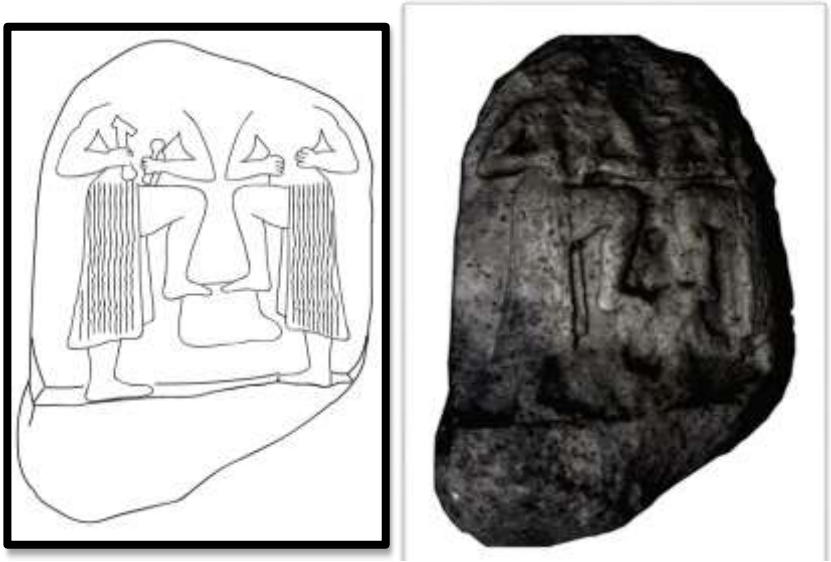

شكل رقم (4) ماخوذ من : فيحاء مولود علي ، " منحوتة جديدة في المتحف العراقي" ، مجلة حوليات آداب عين شمس ، العدد 45، (القاهرة :2017) ، ص215.

على الرغم من الفوائد العديدة لاستعمال الذكاء الاصطناعي في علم الآثار إلا أنه يواجه تحديات منهجية وتقنية مهمة. هناك قلق متزايد من أن تؤدي الأدوات الرقمية إلى تهميش الأساليب التقليدية التي تم تطويرها على مدى قرون، مما قد يؤدي إلى فقدان المهارات والتقنيات العملية التي لا غنى عنها في الممارسة الأثرية. إن الاعتماد المفرط على التكنولوجيا قد يقلل من التفكير النقدي والإبداع الذي تضيفه الخبرة البشرية، وهي العناصر التي لا يمكن للذكاء الاصطناعي محاكاته. (هيرمان :91)

أحد أكبر التحديات يكمن في جودة بيانات التدريب. فالنجاح يعتمد على تدريب النماذج على بيانات أثرية عالية الجودة ومتنوعة ومنظمة. لكن المشكلة هي أن البيانات الأثرية غالباً ما تكون رقمية، لكنها غير منظمة بطريقة تجعلها قابلة للاستعمال من قبل الآلة، مما يحد من قابليتها للتطبيق على نطاق واسع فضلاً عن ذلك، تواجه النماذج التوليدية خطراً وقد تولّد معلومات خاطئة أو غير دقيقة. هذا يجعل من الإشراف البشري المستمر والتدقيق ضرورة قصوى لمنع هذه الأخطاء وتصحيحها. هذه التحديات ليست مجرد عقبات تقنية، بل هي قضايا معرفية عميقة. فهل يمكن للنسخة الرقمية أن تحمل القيمة الروحية والأصالة للقطعة الأصلية؟. وإذا قام الذكاء الاصطناعي باستكمال نص مبتور أو مسلة ناقصة، فهل ما ينتج يعد جزءاً أصيلاً من التراث أم مجرد محاكاة حديثة؟.

وهنا تطرح تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الاثار قضايا أخلاقية معقدة تتجاوز الجانب التقني. فوفقاً لتوصيات اليونسكو، يجب أن تحترم أنظمة الذكاء الاصطناعي حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية، مع التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي يجب ألا يحل محل "المسؤولية والمساءلة البشرية المطلقة". هذا المبدأ يحول العلاقة مع الذكاء الاصطناعي من مجرد "أداة ومستخدم" إلى "شريك ومراقب." (عبد منديل ، 2018 : 28)

تُعد قضايا السيادة الثقافية وحقوق الشعوب الأصلية من أبرز التحديات الأخلاقية. فالعديد من المجموعات الأثرية تنشأ من سياقات تاريخية أدت إلى طمس حقوق الملكية الفكرية والسيادة الثقافية للمجتمعات الأصلية. قد يصبح الذكاء الاصطناعي، إذا تم استعماله دون مشاركة فعالة من هذه المجتمعات، "أداة جديدة للاستعمار واستخراج الموارد". هذه ليست مجرد قضية قانونية، بل هي قضية أخلاقية عميقة تتعلق بالعدالة التاريخية. ويجب أن تتحول المجتمعات الأصلية من "كائنات للدراسة" إلى "شركاء في البحث" و "مؤلفين مشاركين"، مع وجود إطار تعاوني قائم على الحوار لضمان السيطرة على بياناتهم التاريخية والثقافية.

لضمان مستقبل مستدام وفعال للذكاء الاصطناعي في علم الآثار، يجب اعتماد نهج استراتيجي متعدد الأوجه و نموذج متكامل متعدد التخصصات ، يجب تشكيل فرق بحثية تجمع بين علماء الآثار،

وعلماء الحاسوب، وخبراء الأخلاقيات، والمجتمعات المحلية. هذا النموذج يضمن الجمع بين الخبرة الأثارية والقدرات التقنية، ويحول المشكلات المعقدة إلى فرص للابتكار المشترك.

تطوير البنية التحتية للبيانات: "مشكلة البيانات" هي أكبر تحدي يواجه تطبيقات الذكاء الاصطناعي الأثاري. لذلك، يجب أن يكون هناك تركيز على إنشاء وتنسيق مجموعات بيانات أثارية عالية الجودة ومنظمة. الاستثمار في البنية التحتية للبيانات هو الأساس الذي سيُبنى عليه مستقبل البحث، مما سيمكن النماذج من تحقيق نتائج أكثر دقة وموثوقة مع وضع إطار حوكمة أخلاقي إذ ان التطور التقني يسبق غالباً الأطر القانونية والأخلاقية، مما يترك مجالاً واسعاً للمخاطر. يجب بناء سياسات واضحة تضمن الشفافية والمسؤولية والرقابة البشرية. يجب أن تتضمن هذه السياسات مبادئ لضمان السيادة الثقافية للمجتمعات الأصلية، مع تحديد حقوق الملكية والوصول إلى البيانات الأثارية، وهذا هو ما سيعمل على حماية الآثار من سوء الاستعمال المحتمل في المستقبل. (العمير ،2002 : 144)

الخاتمة:

لقد أثبت الذكاء الاصطناعي قدرته على إحداث ثورة في علم الآثار، من خلال تحسين دقة وسرعة الاكتشافات، وأتمتة المهام المعقدة، وتقديم رؤى جديدة حول الحضارات القديمة. لقد مكننا من الكشف عن مواقع مدفونة، وفك رموز نصوص ضائعة، وفهم شبكات تجارية معقدة لم تكن واضحة من قبل. ومع ذلك، فإن هذه القوة التمكينية لا تخلو من تحديات منهجية وأخلاقية تتطلب منا اليقظة والوعي.

إن مستقبل علم الآثار ليس في الذكاء الاصطناعي وحده، بل في الشراكة التوافقية بينه وبين العقل البشري. فالذكاء الاصطناعي هو أداة تخدم الإنسان، وليس بديلاً عنه. إن الدور البشري يصبح أكثر أهمية من أي وقت مضى، ليس فقط في التفكير النقدي وتفسير النتائج، بل في حوكمة النظام بأكمله وضمان استعماله بطريقة مسؤولة وأخلاقية تحترم التراث الثقافي وحقوق جميع المجتمعات، وتضمن بقاء هذه الكنوز للأجيال القادمة.

المصادر:

1- خالد ،غنيم وبوثو بيرخيبياباخه ديل ، علم الاثار وصيانة الادوات والمواقع الاثرية وترميمها ، نعريب : خالد غنيم (بيروت:2002) .

2- صالح محمد بدر الدين ، حماية التراث الثقافي والطبيعي في المعاهدات الدولية ، (القاهرة : 1999) .

3- عباس عبد منديل ، حماية الموروث الحضاري لبلاد الرافدين في المواقع الاثرية والمتاحف ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد:2018) .

4- العمير ، عبدالله بن ابراهيم ، " التراث التقليدي بين الاهتمام والاستنزاف " ندوة الاثار في المملكة العربية السعودية وحمايتها والمحافظة عليها / مج 1 ، (الرياض :2002) .
5- فيحاء مولود علي ، " منحوتة جديدة في المتحف العراقي" ، مجلة حوليات آداب عين شمس ، العدد 45، (القاهرة :2017) ، ص215.
6- لويس جيفري ، " دور المتاحف ونظام الآداب المهنية " ، أدارة المتاحف- دليل عملي ، المجلس الدولي للمتاحف منظمة اليونسكو ، (فرنسا: بلا.ت) .
7- هيرمان ، ياني ، " العرض والمعروضات والمعارض " ، الادارة المتحفية – دليل المتاحف ، المجلس الدولي للمتاحف الايكوم، (فرنسا: بلا.ت) .

8- Elaf. A., Saeed, Ammar D., Jasim, and Munther A., Adul Malik, Deciphering the past: enhancing Assyrian Yolov8 Object detection", International Journal of Advanced Technology and Engineering Exploration, vol. 10 (109), (2023), p. 14, Fig. a-b.
9- Maul, S.M., and Others, Deep Learning of cuneiform sign Detection with weak supervision using transliteration alignment, PLoS One, vol. 15, (12), (2020), p. 21.
10- Williams, E.C., Deep Scribe: Localization and Classification of Elamite Cuneiform Signs Via Deep Learning, ACMJ, vol. 1, (2025), p. 33. Fig. 21.

استراتيجيات التعامل مع الضغوط وعلاقتها بالتعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات في العراق

إعداد

ا.م. د. خليل حســين عبد الله الجوراني
جامعة ديالى/ كلية التربية الاساسية
Basicpsyc_10tc@uodiyala.edu.iq

ا.د. مهند محمد عبد الستار النعيمي
جامعة ديالى/ كلية التربية الاساسية
https://orcid.org/0009-0004-3812-6503

المستخلص

على مدار العقود الثلاثة الماضية، ادت الحروب والصراعات المتكررة في العراق الى انتشار واسع للصدمات النفسية والاضطرابات المرتبطة بها. تشير الدراسات الى ان التعرض للأحداث الصادمة، لا سيما النزاعات المسلحة، يزيد من احتمالية الاصابة بالاكتئاب، القلق، واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، اذ يعاني (38%) من العراقيين المهاجرين من القلق، بينما شُخِّص (4.1%) منهم باضطراب ما بعد الصدمة (Hinchey et al., 2023). كما تراوحت نسبة الاصابة بين افراد المجتمع الايزيدي في شمال العراق بين (70%) الى (90%) عقب احتلال تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) لمناطقهم عام (2014) (Jasim, Alkass & Persike, 2024).

يعتمد الطلبة، لمواجهة هذه الازمات النفسية على استراتيجيات التعامل مع الضغوط (Coping Strategies)، والتي تهدف الى ادارة المتطلبات الخارجية او الداخلية التي تُقيَّم على انها ضاغطة او تفوق قدرة الفرد على التحمل (Kowalczuk et al., 2022) كما يعد التعاطف مع الذات (Self-Compassion) اداة فعالة في تعزيز الصحة النفسية، حيث يصفه Neff (2003) بانه مواجهة المعاناة الذاتية بانفتاح وتقبل بدلا من تجنبها.

هدفت هذه الدراسة الى قياس مدى تاثير استراتيجيات التعامل مع الضغوط والتعاطف مع الذات على عينة من العراقيين الذين تعرضوا للصدمات النفسية، حيث اظهرت النتائج ان المشاركين يتمتعون بمستوى مرتفع من القدرة على ادارة الضغوط النفسية والتعاطف مع الذات، الى جانب وجود علاقة احصائية دالة بين هذين العاملين.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات التعامل، الضغوط، اضطراب ما بعد الصدمة، التعاطف مع الذات،

Abstract:

Over the past three decades, recurrent wars and conflicts in Iraq have led to a widespread prevalence of psychological trauma and related disorders. Research indicates that exposure to traumatic events, particularly armed conflicts, increases the likelihood of developing depression, anxiety, and post-traumatic stress disorder (PTSD). Among Iraqi migrants, 38% experience anxiety, while 4.1% have been diagnosed with PTSD (Hinchey et al., 2023). Additionally, the prevalence rate among the Yazidi community in northern Iraq ranged between 70% and 90% following the occupation of their areas by ISIS in 2014 (Jasim, Alkass & Persike, 2024).

To cope with these psychological crises, individuals rely on **coping strategies**, which aim to manage external or internal demands that are perceived as stressful or beyond one's ability to endure (Kowalczuk et al., 2022). Moreover, **self-compassion** is considered an effective tool for promoting mental well-being, as described by Neff (2003) as facing personal suffering with openness and acceptance rather than avoidance.

This study aimed to measure the impact of coping strategies and self-compassion on mental health among Iraqis who have experienced psychological trauma. The findings revealed that participants demonstrated a high level of resilience in managing psychological distress and self-compassion, with a statistically significant correlation between these two factors.

Key words: coping strategies, self-compassion, trauma, PTSD, Iraq.

المقدمة:

تعرض الشعب العراقي للعديد من الحروب والصراعات على مدى اكثر من ثلاثة عقود ادت الى كثير من الصدمات ونتجت عنها العديد من الاضطرابات النفسية. ان التعرض الى الضغوط بين افراد المجتمع العراقي قد بلغ نسب عالية جدا وفق دراسات سابقة بينت ان نسبة التعرض للضغوط وبخاصة الضغوط المرتبطة بالحروب والنزاعات المسلحة قد بلغت نسب تفوق ال (96%) من مجموع الشعب العراقي (Aljurany, 2013) كما وجدت نسب متفاوتة بين طلبة دول الخليج حيث تراوحت بين (7.4%) الى (96%) في عمان. وفي البحرين تراوحت بين (47%) الى (92%) وفي قطر بلغت (89.2%) وفي الكويت تراوحت بين (43%) الى (43.8%)(Alkhawaldeh, et al., 2023).

لقد بينت العديد من الدراسات ان هذه الاحداث الصادمة والكوارث وخصوصا الحروب والصراعات تزيد مخاطر الاصابة بالقلق والاكتئاب والاعراض الجسدية النفسية بالاضافة الى ان التعرض الى الاحداث بشكل كبير يؤدي الى عدم القدرة على السيطرة والتعامل مع الاحداث (Batniji, Van Ommeren, & Saraceno, 2006). ان الضغوط النفسية كانت السبب في اضطرابات الصحة النفسية ومصدر لمختلف الامراض. ان من اهم الاضطرابات التي تنتج عن مثل هذه الضغوط هي

اضطراب ما بعد الصدمة PTSD والقلق حيث وجد القلق لدى (38%) بين العراقيين المهاجرين وان (4.1%) منهم شخصوا باضطراب ما بعد الصدمة (Hinchey, et al., 2023). كما وجد ان اضطراب ما بعد الصدمة PTSD لدى المجتمع اليزيدي في شمال العراق قد تراوحت بين (70%) الى (90%) بعد احتلال الدولة الاسلامية في العراق وسوريا (داعش) لهم عام (2014) (Jasim, Alkass & Persike, 2024).

يتعامل الناس مع ما يواجهون من ضغوط واحداث غير سارة باستخدام كل ما لديهم من استراتيجيات وقدرات وسمات شخصية اضافة الى ما يعرف باستخدام استراتيجيات التعامل والمواجهة (Coping Strategies). ان استراتيجيات التعامل تعرف على انها الجهود المعرفية والسلوكية المتغيرة بشكل مستمر لادارة والتعامل مع المتطلبات الخارجية او الداخلية المحددة والتي يتم تقييمها على انها مرهقة او تتجاوز قدرات الفرد (Kowalczuk, et al., 2022).

لقد قسمت استراتيجيات المواجهة الى ثلاث اقسام وهي مواجهة المشكلة والتركيز على المشاعر والتجنب (Carver Scheier, Kumari, 1989) حيث تتمثل مواجهة المشكلة في الجهود الفعالة للتعامل مع مصدر الضغوط من خلال سلوك الفرد، بينما اسلوب التركيز يركزعلى المشاعر وذلك عندما يحاول الفرد تقليل العواقب العاطفية والتحكم بالافكار والمشاعر المرافقة للضغوط. ان استخدام كلا من استراتيجيات مواجهة المشكلة والتركيز على المشاعر وجد انه يتماشى مع تقليل الضغوط النفسية (Dagani, et al., 2023). بينما وجد اخرون ان استخدام اسلوب التركيز على المشاعر يسهم في كلا من وصم الذات بالخجل وتوقعه جراء البحث عن المساعدة. بينما اسلوب التركيز على المشكلة قد ارتبط بتقليل الخجل الذاتي (Talebi, Matheson, Anisman, 2016). اما التجنب فيشير الى الاستراتيجيات التي تمنع التعامل مع كل من المشكلة او المشاعر المرافقة لها، والتي بدورها ربما تلعب دورا في منع طلب المساعدة (Spence, Owens-Solari, Goodyer, 2016).

ان اسلوب التعامل الفعال يشير الى التوجه لحل المشكلة حينما ينشط الفرد بالبحث عن مصادر سواء داخلية او خارجية لتطوير اسلوب ما لمواجهة التحدي، كما ان توقع الدعم الاجتماعي كان اساسيا في تعزيز الصحة النفسية والجسدية ويرتبط باستراتيجيات المواجهة الفعالة (Zhang, 2025). وفي دراسة تحليلية وجد ان الدعم والعلاقات الاجتماعية الجيدة عنصر اساسي للصحة النفسية، وان الطلبة مع وجود بيئات داعمة هم اقل ضغطا (Islam, et al., 2025) حيث ان استخدام استراتيجيات المواجهة الفعالة والدعم الفعال يمكن ان يسمح للافراد ان يشعروا بانهم اكثر قابلية على التعامل مع الاحداث الضاغطة (Munroe, et al., 2022).

لقد صنفت استراتيجيات التعامل باشكال مختلفة منها اسلوب المواجهة المباشرة واسلوب التجنب، حيث يتضمن اسلوب المواجهة التعامل مع الموقف بشكل مباشر بينما اسلوب التجنب يؤدي بالفرد الى

ابعاد الذات عن الضغوط. ومن خلال الادبيات السابقة تبين ان هناك ادلة قوية على ان اسلوب المواجهة يتماشى مع النتائج الايجابية مثل التكيف وزيادة الصحة النفسية وانخفاض خطر الشعور بالارهاق (Babore et al., 2020). بينما ارتبط تبني اسلوب التجنب بتلقي الضغوط وضعف الصحة النفسية والوظائف العقلية (Boals et al., 2011).

كما قسم امير خان عن طريق استخدام التحليل العاملي للاستراتيجيات التي يستخدمها الناس في مواجهة الضغوط حيث وجد ان هناك ثلاثة استراتيجيات عرفت بنموذج امير الخان الثلاثية لاستراتيجيات المواجهة وهي الاولى البحث عن الدعم، الثانية هي محاولة حل المشكلة والثالثة هي محاولة تجنب مواجهة المشكلة (Alkhawaldeh, et al., 2023)

لقد وجدت الدراسات ان الذين يستخدمون استراتيجيات المواجهة التجنبية مثل تعاطي الكحول او الانكار هم اكثر احتمالا لاختبار الضغوط من اولئك الذين يستخدمون استراتيجيات مواجهة فعالة مثل البحث عن الدعم او الانخراط بنشاطات رياضية (Makarowski, et al., 2020)

ان استراتيجيات التعامل الفعالة (Active Coping Strategies) مع الضغوط يمكن ان تحمي الفرد من التاثيرات السلبية الاحقة (Keyes,Yankouskaya & Panourgia, 2022)

وهذا ما اكدت عليه دراسة (Munroe) واخرين التي اشارت الى ان اسلوب التركيز على حل المشكلات يؤثر على التوسط بين نمو اضطراب ما بعد الصدمة والتعاطف مع الذات كما ان التعاطف مع الذات يقلل من ميل الفرد المفرط في تحديد الهوية بالمشاعر السلبية من خلال اعادة الصياغة الايجابية للمشاعر (Munroe, et al., 2022).

لقد اوضحت العديد من الدراسات والادبيات السابقة سبل متعددة لتعامل الناس مع الاحداث الضاغطة والمواقف غير السارة. حيث ان ستراتيجيات التعامل الفعالة يمكن ان تحمي من تاثيرات واسعة للضغوط (Keyes, 2022). ان الاشخاص الذين باستطاعتهم التعامل مع الضغوط بشكل فعال يمكن ان يعطي منبا لصحتهم وكما يعكس ذلك انطباعا بان التعامل الناجح مع الضغوط يمكن ان يحمي الاشخاص من التاثيرات الضارة لهذه الضغوط (Allen & Leary, 2010).

يمثل التعاطف مع الذات (Self-compassion) احدى الادوات المهمة في التعامل مع الضغوط حيث عرفته (Kristin Neff) "على انها التاثر بما يعانيه الفرد وانفتاحه عليها وعدم تجنبها او الانفصال عنها" (Neff, 2003: P.87).

كما يمكن ان يعرف التعاطف مع الذات على انه دعم الذات عند مواجهة المعاناة او الالم سواء كان ذلك بسبب الاخطاء الشخصية او القصور او تحديات خارجية (Neff, 2023).

ان التعاطف مع الذات هي مهارة متعلمة وتتكون من ثلاث مكونات رئيسية كل واحدة لها جانب سلبي وهي:

1- اللطف الذاتي: مد اللطف والتفهم الى الذات بدلا من ان تكون منتقدا لها.

2- انسانية عامة: ان ترى التجارب الذاتية على انها جزء من خبرات عامة اكبر وليس شيئا منفصلا.

3- اليقظة: وتعني الحفاظ على الافكار السلبية في حالة توازن بدلا من المبالغة في التعرف عليها (Neff,2003).

وقد طورت نيف مكونات التعاطف مع الذات الى ست مكونات رئيسية في اخر مراجعة لها في (2023) وهي زيادة اللطف مع الذات والشعور الانساني العام واليقظة، والتقليل من الحكم على الذات والانعزال والمبالغة في الهوية الذاتية (Neff, 2023).

لقد وصفت التعاطف مع الذات على انها عامل حماية وهي تترافق مع مستويات ادنى من التاثيرات السلبية والافكار التي ترسخ الكوارث والكآبة والقلق عند المرضى الذين يعانون من امراض مزمنة (Nasika, et al., 2023).

لقد بينت الدراسات السابقة ان التعاطف مع الذات يشكل تاثيرا ايجابيا في الصحة النفسية (Neff et al., 2007). كما اوضحت ان هناك علاقة بين مستوى التعاطف العالي مع الذات ومستوى منخفض من اعراض الصحة العقلية لدى الطلبة والمعالجين (MacBeth & Gumley, 2012). ان التعاطف مع الذات يشير الى قدرة الفرد على احتواء مشاعر المعاناة لديه من خلال الشعور بالدفء والاتصال والرعاية (Neff, 2003). وهذا يشمل القدرة على ان يكون لطيف مع نفسه ومواجهة الصعوبات التي تعترضه مع التفهم و كجزء من الخبرة الانسانية، مع الحفاظ على مشاعره وافكاره بادراك متزن من دون الافراط في التماهي معهم (كالافراط في اليقظة) (Nasika, et al., 2023).

ان نتائج البحوث السابقة بينت ان الطلبة اللذين يظهرون تعاطف اعلى مع الذات لديهم خبرات اقل من الضغوط ويعززون الصحة النفسية، ان امتلاك مثل هذه المساعدة القيمة يقلل من الضغوط ويعزز تبني استراتيجيات فعالة من التعامل. لقد وجد كل من Allen & Leary ان التعاطف مع الذات يرتبط بشكل قوي مع اعادة بناء معرفية فعالة عن طريق اضافة قدرة الفرد الى التفكير حول المواقف الضاغطة بطرق مختلفة (Allen & Leary, 2010). كما ان دراسات اخرى وجدت ان التعاطف مع الذات يرتبط سلبيا مع استراتيجيات المواجهة التجنبية التي هي مرتبطة مع فقر الصحة النفسية (Holahan et al., 2005).

كما وجد ان التعاطف مع الذات يتوسط العلاقة بين خبرات الطفولة السلبية واضطراب ما بعد الصدمة (Ren, et al,. 2024).واكثر من ذلك لقد وجدت دراسة Katan & Kelly ان التعاطف مع

الذات حينما يرتفع اعلى من معدل المستوي الشخصي اليومي المعتاد فان المشتركين يؤكدون بانهم يستخدمون استراتيجيات حل المشكلات بشكل كبير واستخدام استراتيجيات البحث عن الدعم الاجتماعي وتلقي الدعم الاجتماعي كما ويتلقون دعما عاطفيا اجتماعيا (Katan, & Kelly, 2023).

ان العوامل التي يمكن ان تتظافر لتقليل اثر الضغوط على الفرد هي مدى قدرة الفرد على استخدام استراتيجيات مواجهة فعالة وايضا قدرته على التعاطف مع الذات، حيث وجدت نتائج البحوث ان استخدام استراتيجيات المواجهة الفعالة يرتبط سلبا مع مقياس الضغوط وان هذه الاستراتيجيات الفعالة ارتبطت ايجابا مع التعاطف مع الذات وان كلاهما قد ارتبط سلبا مع مقياس الضغوط (Bui, et al., 2021).

وعلى العكس من ذلك وجدت دراسة اخرى ان استراتيجيات التعامل التجنبية وانخفاض التعاطف مع الذات مع عوامل اخرى لدى عينة من الطالبات قد ارتبطت بشكل ايجابي مع مستويات عالية من الضغوط وان استراتيجيات التعامل التجنبية يمكن ان تعد عوامل مخاطرة نفسية للتعرض للضغوط، بينما وجد ان تلقي الضغوط قد ارتبط سلبا مع التعاطف مع الذات واليقظة والتي يمكن ان ينظر اليهما كعوامل حماية ضد الضغوط (Martínez-Rubio, et al., 2023).

لقد اشارت الدراسات على ان التعاطف العالي مع الذات يمكن ان ينتج استخدام اعلى لاستراتيجيات مواجهة فعالة مع الضغوط حيث اشارت ان التعاطف مع الذات يشجع على استخدام استراتيجيات تعامل فعالة عن طريق مساعدة الفرد بالتفكير بالضغوط بطريقة بناءة (Allen & Leary, 2010).

كما اشارت الدراسات السابقة من ان المستوى العالي من التعاطف مع الذات يؤدي الى استخدام اقل لاستراتيجيات التعامل التجنبية اما المستوى المنخفض من التعاطف مع الذات غالبا ما يقود الى استخدام اكبر لاستراتيجيات المواجهة التجنبية (Sirois et al., 2015).

من ذلك يتضح ان الضغوط النفسية يمكن موجهتها والتغلب على اثارها السلبية باستخدام وسائل مواجهة مناسبة وفعالة في التعامل معها. لقد بينت الدراسات السابقة ان استراتيجيات التعامل الفعالة مع تعاطف الفرد مع نفسه تلعب دورا فعالا في مواجهة الضغوط بمختلف اشكالها. بينما اشارت دراسات اخرى الى ان نقص التعاطف مع الذات يدفع الفرد لاستخدام وسائل مواجهة غير فعالة او تجنبية وهو الامر الذي يؤدي الى مستوى عال من الشعور بالضغوط مع ما يترتب عليها من اضطرابات نفسية كالقلق والاكتئاب.

حدود البحث:

تحدد البحث الحالي بدراسة الضغوط النفسية والتعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين الى الصدمات من جراء الحوادث الداخلية واعمال العنف في محافظة ديالى للعام 2024-2025 والذين اجابوا عشوائيا على المقياس الموجود في الرابط

اهداف الدراسة:

يهدف البحث الحالي الى:

1- تكييف مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى الطلبة المتعرضين للصدمات.
2- قياس مدى انتشار استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى الطلبة المتعرضين للصدمات.
3- قياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى الطلبة المتعرضين للصدمات بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد وتقويم دلالته الاحصائية.
4- التعرف على مدى انتشار التعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات وتقويم دلالته الاحصائية.
5- قياس التعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات وتقويم دلالته الاحصائية.
6- قياس العلاقة الارتباطية بين استراتيجيات التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد والتعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات .
7- قياس درجة اسهام استراتيجيات التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد والمتغيرات الديمغرافية الحالة الاجتماعي (متزوج، اعزب، منفصل) والنوع (الذكر- الانثى) والعمر في التنبؤ بالتعاطف مع الذات وتقويم دلالته الاحصائية.

تحديد المصطلحات:

تبنى الباحثان تعريف كل من Keyes, Yankouskaya, & Panourgia لاستراتيجيات التعامل مع الضغوط بوصفها نماذج فعالة (Active Coping Strategies). للتعامل الفعال مع الضغوط يمكن ان تحمي الفرد من التاثيرات السلبية اللاحقة وتتضمن ثلاث استراتيجيات هي المواجهة وطلب المساعدة والانسحاب (Yankouskaya, & Panourgia, 2022) وهذا التعريف مشتق من تعريف المنظر اندلر وباركر 1992 بشان استراتيجيات التكيف الاساسية مع الضغوط النفسية والتي تضم:

- التكيف الموجه نحو المهام (Task-Oriented Coping).
- التكيف العاطفي (Emotion-Oriented Coping).
- التكيف التجنبي (Avoidance-Oriented Coping). (Parker JDA, Endler NS, 1992).

فيما تم تبني تعريف (Neff) للتعاطف مع الذات (Self-Compassion) والذي عرفته بانه عملية دعم الذات عند مواجهة المعاناة او الالم سواء كان ذلك بسبب الاخطاء الشخصية او القصور او تحديات خارجية (Neff, 2023). اما التعريف الاجرائي فهو الدرجة التي سوف يحصل عليها المستجيب عند اجابته على مقياس استراتيجيات التعامل ومقياس التعاطف مع الذات.

اجراءات البحث:

مجتمع البحث وعينته:

تكون مجتمع البحث من طلبة جامعة ديالى وتم اختيار عينة البحث البالغة 353 من طلبة كلية التربية الاساسية للعام الدراسي 2024-2025 موزعين بحسب التخصص الدراسي والنوع الاجتماعي بنسبة اعمار 59.5 للفئة بين 18-22 سنة و23.5 للفئة بين 23-27 سنة و6.2 للفئة بين 28-32 سنة و10.7 للفئة اكثر من 33 فما فوق. علما ان تلك البيانات تم الحصول عليها من خلال التطبيق الالكتروني عبر برنامج كوكل ميد (Google Classroom)

اداتا البحث:

قام الباحثان بترجمة وتكييف مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط (Coping Inventory for Stressful Situations) بالاعتماد على تعريف اندلر وباركر (Parker JDA, Endler NS. 1992) المكون من (21) فقرة بعد دراسة التاطير النظري للمفهوم وفق طريقة (Likert) بوصفها افضل طريقة في الكشف عن تمايزات الفروق الفردية نظرا لمرونة تقنية البدائل المقترحة للافراد فضلا عن تمتعها بدرجة عالية في الاتساق الداخلي. وقد كانت بدائل الاستجابة هي (تنطبق علي تماما- تنطبق علي الى حد ما- محايد - لاتنطبق علي الى حد ما- لا تنطبق ابدا) وتدرجت اوزان هذه البدائل من (5) الى (1) على التتابع. علما ان الدرجة العليا تشير الى استراتيجيات التعامل مع الضغوط العالية والدرجة الدنيا تشير الى استراتيجيات التعامل مع الضغوط الواطئة (Parker , Endler. 1992; 6:321-344) اما مقياس التعاطف الذاتي Self-Compassion Scale (SCS-SF) ل (Raes, Neff, & Van Gucht, 2011) فقد تم تبني النسخة المختصرة للمقياس والمكيفة للبيئة العراقية من قبل النعيمي .وهو مكون من 12 فقرة موزعة على خمسة مجالات هي اللطف مع الذات Self-Kindness Items الحكم على الذات Self-Judgment Items الانسانية المشتركة Common Humanity Items العزل Isolation Items اليقظة Mindfulness Items الافراط في تحديد الهوية Over-identified Items (النعيمي، 2025)، (Raes, Neff, & Van Gucht, 2011).

مؤشرات الصدق:

- **الصدق الظاهري:** للتحقق من مدى ملائمة اسلوب القياس المتدرج ومدى تمثيل المقياس للظاهرة المراد قياسها، عرض المقياس على احد الاساتذة المختصين، وقد تم الحصول على موافقة الخبير على اسلوب القياس ومضمون الفقرات وطريقة صياغتها وترجمتها وانواع البدائل.
- **تحليل الفقرات:** بعد ان تم استكمال اجراءات الصدق الظاهري تم تطبيق المقياس على عينة من الطلبة بلغت (353) طالب وطالبة بواقع (95) ذكر(258)انثى توزعوا عشوائيا على جميع المراحل الدراسة. وقد تم اجراء تحليل الفقرات باسلوبين هما:
- ***حساب القوة التمييزية لكل فقرة:***

تعرف القوة التمييزية بانها قدرة الفقرة على التمييز بين الطلبة الجيدين الذين حصلوا على درجة عالية في الصفة المقاسة عن الطلبة غير الجيدين الذين حصلوا على درجة واطئة في الصفة المقاسة. وعادة ما يتم ذلك من خلال تحديد مجموعتين محكيتين متضادتين يمثل كل منها ما مانسبته 27% من عدد افراد العينة المختارة، بوصفها افضل نسبة توفر شروط التمايز طبقا لما حدده كيلي (Kelly) عام (1939)، (Anastasi, 1976, p.280) وقد تكونت عينة التحليل من (353) فردا بواقع (95) للمجموعة العليا والمجموعة الدنيا، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للمقايسة بين المتوسط الحسابي لكل فقرة في المجموعة العليا والدنيا، اتضح ان جميع الفقرات كانت دالة عند مستوى دلالة (0.05).

- **حساب ارتباط درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس:**

ان الغاية من هذا الاجراء يتمثل في التحقق من درجة تجانس الفقرة مع المقياس، فالفقرة التي يكون معامل ارتباطها دال احصائيا تعد فقرة متجانسة مع بقية الفقرات ومتضمنة في مفهوم المتغير بحسب التعريف النظري المعتمد. ولاستخراج علاقة الفقرة بالمجموع الكلي للمقياس تم استعمال معامل ارتباط بيرسون (Person) لقياس العلاقة الخطية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس. وقد اتضح ان جميع الفقرات كانت دالة عند مستوى دلالة (0.05) وبذلك اصبح مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط بصيغته النهائية يتكون من (21) فقرة والجدول رقم (1) يوضح ذلك.

جدول(1) القوة التمييزية وعلاقة الفقرة بالمجموع الكلي لفقرات مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى طلبة الجامعة

الفقرة	القوة التمييزية (القيمة التائية المحسوبة)	معامل ارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس	الفقرة	القوة التمييزية (القيمة التائية المحسوبة)	معامل ارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس
1	8.553	0.450**	12	8.078	0.511**
2	5.156	0.324**	13	8.378	0.487**
3	6.227	0.365**	14	8.555	0.406**

4	4.824	0.313**	15	9.135	0.510**
5	8.291	0.475**	16	6.074	0.373**
6	7.323	0.465**	17	7.866	0.436**
7	5.542	0.409**	18	11.980	0.515**
8	7.793	0.477**	19	11.080	0.536**
9	8.281	0.438**	20	11.105	0.523**
10	9.065	0.510**	21	7.765	0.427**
11	9.613	0.509**			

- درجة الحرية N1+N2-2=212
- القيمة التائية الجدولية للاختبار ذي النهايتين عند مستوى دلالة 0.05=1.980

تشير العلامة * على ان الفقرة مميزة عند مستوى دلالة 0.05

- قيمة معامل الارتباط الحرجة للاختبار ذي النهايتين عند مستوى دلالة 0.01= 0.257 وعند مستوى دلالة 0.05=0.197

تدل العلامة**على ان معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس دال احصائيا عند مستوى دلالة 0.01 والعلامة * انها دالة عند مستوى دلالة 0.05

صدق البناء :

صدق البناء التحليل العاملي:

من اجل التحري عن البنية العاملية للمقياس استعمل الباحثان، التحليل العاملي الاستكشافي (Exploratory Factor Analysis) بطريقة المكونات الرئيسية (Component Matrix) مع التدوير المائل للعوامل (Oblique Rotation) لعينة البحث البالغة (353) طالب وطالبة، وهو الخيار الاكثر واقعية في تمثيل العلاقات الارتباطية البينية للعوامل ويزودنا بصورة دقيقة عن شدة هذه الارتباطات. (Byrne, 2005)، وقد بلغت قيمة معامل KMO (Kaiser–Meyer–Olkin) لقياس مدى كفاءة وملائمة (Measure of Sampling Adequacy) العينة للتحليل (0.828) وهو ملائم جدا وفقا لمعيار كايزر(Kaiser,1974)، اما قيمة اختبار (Bartlett's Test of Sphericity) فكانت (1470.172) وهو دال عند درجة حرية (210) ومستوى دلالة (0.000) وقد بين التحليل استقرار العوامل الثلاثة للمقياس بفقراتها ال (21). يزيد جذرها الكامن على (1) اذ تشبعت على العامل الاول 9 فقرات و6 فقرات لكل من العامل الثاني والثالث حيث كانت تشبعاتها اكبر من 0.30 وبحسب معيار كيلفورد (Guilford) تعد الفقرة مشبعة على عاملها ان كان معامل ارتباطها به يزيد او يساوي (0.30) (Guilford, 1954, p.500) وقد بلغت قيمة الجذر الكامن للعامل الاول (4.496) وحصته من التباين المفسر (21.409) فيما بلغت قيمة الجذر الكامن للعامل الثاني (2.274) وحصته من التباين المفسر (10.830) وكانت قيمة الجذر الكامن للعامل الثالث (1.452) بتباين مفسر مقداره (6.916) والجدول يوضح نتائج التحليل العاملي وقد سمي العامل الاول بعامل استراتيجية المواجهة وتتشبع عليه الفقرات (2–13–1–5–15–11–6–12–8) والعامل الثاني استراتيجية طلب المساعدة

وتتشبع عليه الفقرات (4-9-10-18-20-19) والثالث استراتيجية الانسحاب ويضم الفقرات (3-14-17-7-21-16).

التحليل العاملي التوكيدي:

ولتحقيق من هذا الغرض اجرى الباحثان التحليل العاملي التوكيدي CFA (Confirmatory Factor Analysis) للتثبت من صحة الانموذج النظري المتبنى لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط ثلاثي الابعاد في البحث وتقويم ودرجة صلاحيته والتاكد من مديات مطابقته مع البيانات المستقاة من العينة. اذ يشترط التحليل العاملي التوكيدي ما ياتي:

1-وجود اطار نظري يفسر الظاهرة ومفاهيمها ومتغيراتها وعواملها .

2-وجود تحديد دقيق للعوامل المكونة لها وذات مسميات متاصلة بالظاهرة .

3- وجود مجموعة من المؤشرات المواقف او الفقرات المكونة لكل عامل والتي يجب ان تتشبع عليه دون العوامل الاخرى. (تيغزة، 2012،236).

وبالاستعانة ببرنامج اموس (AMOS) النسخة (22)، بينت مؤشرات جودة المطابقة، ان قيمة مربع كاي تساوي $(\chi^2/df) = 1.731$ $p < .001$ مما يشير الى انه لا يوجد فرق بين النموذج النظري المفترض والنموذج الحقيقي المناظر له بالمجتمع وان الملائمة جيدة (Watkins, 1989). فيما بلغت قيمة مؤشر حسن المطابقة GFI (Goodness of fit index) 0.921 وقيمة جذر متوسط مربعات البواقي RMR (Root Mean Square Residual) RMR=0.101 ومؤشر حسن المطابقة الاقتصادي (PGFI) parsimony Goodness of fit Index PGFI=0.750 ومؤشر الجذر التربيعي لمتوسط مربعات خطا الاقتراب RMSEA (Root Mean Square Error of Approximation) RMSEA =0.046 اما مؤشر المطابقة المعياري الاقتصادي PNFI (Parsimony-Adjusted Normal Fit Index) فقد بلغ PNFI= 0.702. ومن خلال المؤشرات اعلاه يمكن القول بان افتراضات نمذجة المعادلات الهيكلية قد تحققت بشكل تام يمكن الركون اليه (Kline, 2011) وقد افضت هذه المؤشرات عن ملائمة جيدة (Bentler and Bonett 1980) بين البيانات المتحصلة من العينة والانموذج النظري لمقياس CISS استراتيجيات التعامل مع الضغوط (Coping Inventory for Stressful Situations) ممثلا بالاطار النظري للعوامل الخمسة الذي اقترحه (Parker JDA, Endler NS. 1992)، وعليه فان الاستنتاج المستخلص من هذه النتائج، يقود الى تبني الرؤية النظرية الاتية، ان مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط ثلاثي الابعاد في

البحث الحالي يمكن ان يؤشر تطابقا تاما بين النموذج النظري المتبنى في البحث وبين البيانات الناتجة عن تطبيق المقياس على العينة المختارة. والشكل يوضح ذلك:

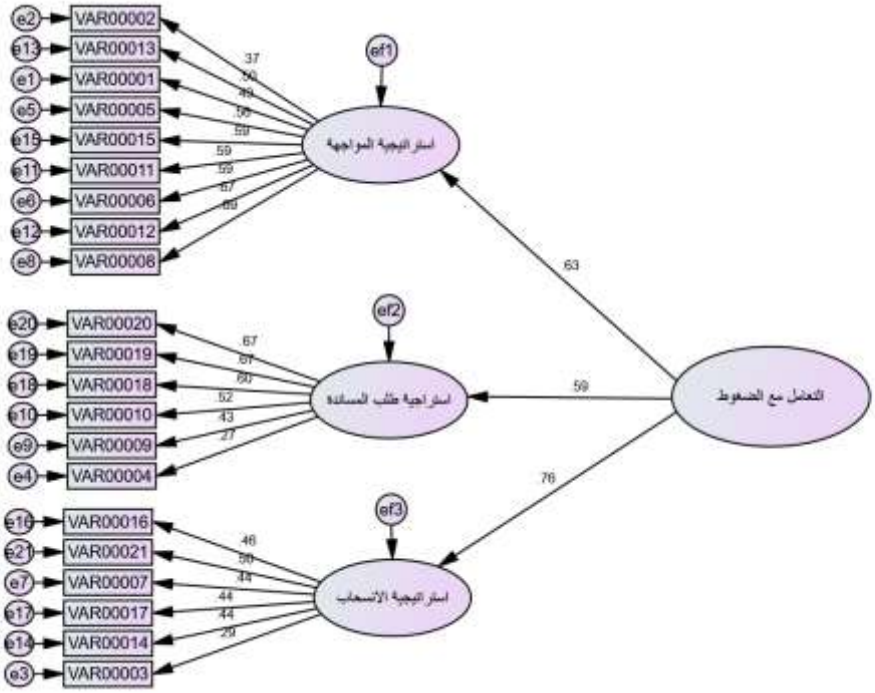

شكل يوضح التحليل العاملي التوكيدي لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط

مؤشرات الثبات:

تم استحصال مؤشرات الثبات من خلال قياس الاتساق الداخلي لفقرات المقياس حيث بينت معادلة معامل ارتباط الفا كرونباخ معامل ثبات مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما بفقراته ال(21) فيما بلغ معامل ثبات المقاس وتعد معاملات الثبات مقبولة في ضوء معيار عدد الفقرات، اذ ان معامل الثبات بطريقة الفاكرونباخ يتاثر بعدد الفقرات. حيث ينخفض مستوى الثبات كلما قل عدد الفقرات، وبحسب معيار (Nunnally, 1967) فان اقل معامل الفا لاختبار مكون من (40) فقرة يجب ان لا يقل عن (0.30) والا يعد الاختبار غير صالح ويتوجب اعادة بنائه. (Nunnally, 1967, p.196) والجدول رقم (2) يوضح ذلك.

جدول رقم (2) يوضح معاملات الثبات لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط والتعاطف مع الذات بطريقة الفا كرونباخ

استراتيجيات التعامل مع الضغوط	عدد الفقرات	معامل الثبات

المقياس الكلي	21	0.83
استراتيجية المواجهة	9	0.79
استراتيجية طلب المساعدة	6	0.70
استراتيجية الانسحاب	6	0.57
مقياس التعاطف مع الذات	12	0.59

الخصائص السيكومترية لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط والتعاطف مع الذات:

بالنظر لما اشارت اليه ادبيات القياس النفسي والتربوي في ان الظواهر النفسية والاجتماعية ممكن ان تتوزع اعتداليا بين افراد المجتمع المدروس، ولذلك فان استخراج المؤشرات الاحصائية للمقياس تبين مدى تقارب توزيع درجات افراد العينة من التوزيع الطبيعي، وهو من المعايير المهمة في الحكم على تمثيل العينة للمجتمع المدروس، ومن ثم امكانية تعميم النتائج. وتشير المؤشرات الخاصة بالمقياس الى وجود تقارب بين مؤشرات الوسط الحسابي والوسيط والمنوال والى انخفاض الخطأ المعياري للمقياس وكذلك نسبيتي الالتواء والتفرطح في توزيع الدرجات مما يعطي مؤشرا مقبولا في ان التوزيع الحالي يقترب من التوزيع الاعتدالي (Normal Distribution) وبالتالي قدرة مخرجات عينة الدراسة في تمثيل المجتمع الاصلي للبحث. وتم الحصول على تلك المؤشرات من خلال تطبيق الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لجميع افراد عينة البحث والبالغ عددها(353) طالب وطالبة، والجدول رقم (3) يبين المؤشرات الاحصائية لعينة البحث لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط.

جدول رقم (3) المؤشرات الاحصائية لمقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط ومجالاته

المقياس	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	الالتواء	التفرطح	المدى	اعلى درجة	اوطا درجة
التعامل مع الضغوط	78.36	12.15	147.6	-0.73	2.92	84.0	105.0	21.0
طلب المساندة	20.89	5.39	29.0	-0.47	-0.03	24.0	30.0	6.0
استراتيجية المواجهة	35.66	6.40	41.0	-0.98	1.80	36.0	45.0	9.0
استراتيجية الانسحاب	21.79	4.61	21.2	-0.42	.16	24.0	30.0	6.0
التعاطف مع الذات	44.18	6.53	42.6	-0.732	2.88	48.0	60.0	12.0

نتائج البحث: سيتم استعراض نتائج البحث ومناقشتها في ضوء الاهداف المعتمدة وكالاتي:

1- تكييف مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى طلبة الجامعة وتقويم دلالتها السيكومترية. وقد تحقق هذا الهدف في اجراءات بناء المقياس انف الذكر.

2- قياس درجة انتشار استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى طلبة الجامعة (Measurement of the prevalence of Coping Strategies among university students).

من اجل الحصول على تصور كمي لكيفية انتشار استراتيجيات التعامل مع الضغوط تم اعتماد الوسط الحسابي مضافا اليه انحراف معياري واحد (M+SD) كمؤشر لفئة (استراتيجية التعامل العالية) والوسط الحسابي منقوصا منه انحراف معياري واحد (M- SD) كمؤشر لفئة (استراتيجية التعامل المنخفضة) والفئة الثالثة هي التي تقع بين الفئتين انفتي الذكر، للمقياس بوصفه متعدد الابعاد. (Muhand, M. A, Halima. I. A, 2025) (Monika, Frania. Fernando, Luís de, 2022) وبموجب هذا المؤشر فان نسبة انتشار استراتيجيات التعامل مع الضغوط العالية والمتوسطة لدى طلبة الجامعة المتعرضين للصدمات تبلغ (84.56) وان (83.5) يستخدمون اسلوب المواجهة في التعامل مع الضغوط و(81.6) يستخدمون استراتيجية طلب المساعدة في حين يستخدم (82.7) اسلوب الانسحاب في التعامل مع الضغوط والجدول رقم (4) يوضح ذلك.

جدول رقم (4) يوضح انتشار استراتيجية التعامل مع الضغوط لدى الطلبة المتعرضين للصدمات بوصفة عاملا عاما او ثلاثي الابعاد

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الفئة العليا		الفئة الوسطى		الفئة الدنيا	
			التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
استراتيجيات التعامل مع الضغوط	78.36	12.15	60	17.99	235	66.57	58	16.43
استراتيجية المواجهة	35.66	6.40	62	17.57	233	66.0	58	16.43
استراتيجيات طلب المساندة	20.89	5.39	78	22.1	210	59.5	65	18.4
استراتيجيات الانسحاب	21.79	4.61	75	21.24	217	61.47	61	17.28

- الفئة العليا اي الطلبة الذين درجاتهم على المقياس تزيد عن متوسط حسابي + انحراف معياري واحد
- الفئة الدنيا اي الطلبة الذين تقل درجاتهم على المقياس عن متوسط حسابي – انحراف معياري واحد
- الفئة الوسطى اي الطلبة الذين تقع درجاتهم بين الفئتين

3- قياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى الطلبة المتعرضين للصدمات بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد وتقويم دلالته الاحصائية.

لقد اظهرت نتائج البحث بعد تطبيق مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط على عينة البحث التطبيقية البالغة (353) طالب وطالبة ان دلالات الفروق بين الاوساط الحسابية والاوساط الفرضية للمقياس بوصفه عاملا عاما او ثلاثئي الابعاد والتي اختبرت من خلال الاختبار التائي لعينة واحدة كانت دالة احصائيا عند مستوى دلالة (0.05) مما يشير الى ان عينة البحث لديها مستوى مرتفع ودال من استراتيجيات التعامل مع الضغوط واستراتيجية المواجهة واستراتيجية الانسحاب، فيما كانت استراتيجية طلب المساندة غير دالة مما يشير الى ان عينة البحث تتمتع بمستو متوسط بهذه الاستراتيجية تقترب من المتوسط الفرضي للمقياس.علما ان الوسط الفرضي قد تم احتسابه من خلال ضرب متوسط درجات البدائل مضروبا في عدد الفقرات، وكما موضح في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5) الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات اضطراب استراتيجيات التعامل مع الضغوط والمتوسط الفرضي للعينة

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة	المتوسط الفرضي	قيمة اختبار T	النتيجة
التعامل مع الضغوط	78.36	12.15	353	63	23.75	دالة
استراتيجية المواجهة	35.66	6.40	353	21	43.04	دالة
طلب المساندة	20.89	5.39	353	21	-0.36	غير دالة
استراتيجية الانسحاب	21.79	4.61	353	21	3.25	دالة

4- قياس انتشار التعاطف مع الذات لدى طلبة الجامعة

من اجل الحصول على تصور كمي لكيفية انتشار التعاطف مع الذات، اعتمدت ذات الاجراءات في الهدف الثاني، حيث تم اعتماد الوسط الحسابي مضافا اليه انحراف معياري واحد كمؤشر لفئة ذوي التعاطف العالي مع الذات والوسط الحسابي مطروحا منه انحراف معياري واحد للفئة ذوي التعاطف المنخفض مع الذات والفئة الثالثة هي التي تقع بين الفئتين انفتي الذكر، حيث بلغت نسبة الطلبة ذوي التعاطف العالي مع الذات (19.54) وذوي التعاطف المتوسط (63.17) وهما يشكلان مانسبته (82.71) من عينة البحث فيما بلغت نسبة ذوي التعاطف المنخفض (17.28) وهي نسبة كبيرة تستحق الدراسة والمداخلة الارشادية. والجدول رقم (6) يوضح ذلك.

جدول رقم (6) يوضح انتشار التعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات

العينة	الوسط	الانحراف	الفئة العليا		الفئة الوسطى		الفئة الدنيا	
	الحسابي	المعياري	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
التعاطف مع الذات	44.18	6.53	69	19.4	223	63.1	61	17.2

- الفئة العليا اي الطلبة الذين درجاتهم على المقياس تزيد عن متوسط حسابي + انحراف معياري واحد
- الفئة الدنيا اي الطلبة الذين تقل درجاتهم على المقياس عن متوسط حسابي – انحراف معياري واحد

- الفئة الوسطى اي الطلبة الذين تقع درجاتهم بين الفئتين

5-قياس التعاطف مع الذات لدى طلبة الجامعة وتقويم دلالته الاحصائية

لقد اظهرت نتائج البحث بعد تطبيق مقياس التعاطف مع الذات على عينة البحث التطبيقية البالغة (353) طالب وطالبة ان المتوسط الحسابي للعينة بلغ (44.18) بانحراف معياري قدره (6.53) وعند مقارنته مع المتوسط الفرضي للمقياس البالغ (36) من خلال الاختبار التائي لعينة واحدة كانت القيمة التائية المحسوبة اكبر من القيمة التائية الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) مما يشير الى ان عينة البحث تتمتع بمستو مرتفع من التعاطف مع الذات. علما ان الوسط الفرضي قد تم احتسابه من خلال ضرب متوسط درجات البدائل مضروبا في عدد الفقرات، وكما موضح في الجدول رقم (7).

جدول رقم (7) الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات التعاطف مع الذات والمتوسط الفرضي للعينة

العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة	المتوسط الفرضي	قيمة اختبار T	النتيجة
التعاطف مع الذات	44.18	6.53	353	36	23.529	دالة

6-تعرف العلاقة الارتباطية بين استراتيجيات التعامل مع الضغوط والتعاطف مع الذات لدى الطلبة المتعرضين للصدمات

لتحقيق هذا الهدف تم استعمال معامل ارتباط ايتا (eta) لقياس العلاقة الارتباطية المنحنية بين المتغيرات، حيث كانت قيم معاملات الارتباط دالة عند مستوى دلالة (0.05). وتشير الى وجود علاقة متوسطة بين استراتيجية التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد مع متغير التعاطف مع الذات. الجدول رقم (8) يوضح ذلك.

جدول رقم (8) يوضح معاملات الارتباط بين بين استراتيجية التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد مع متغير التعاطف مع الذات

المتغير الاول	المتغير الثاني	قيمة معامل الارتباط	النتيجة
استراتيجيات التعامل مع	التعاطف مع الذات	0.63	دالة

الضغوط			
استراتيجية المواجهة		0.47	دالة
استراتيجية طلب المساعدة		0.48	دالة
استراتيجية الانسحاب		0.54	دالة
• القيمة التائية الجدولية عند درجة حرية (351) ومستوى دلالة (0.05) تساوي (1.960)			

7- قياس درجة اسهام متغيرات استراتيجيات التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد والمتغيرات الديمغرافية الحالة الاجتماعي (متزوج، اعزب، منفصل) والنوع (الذكر- الانثى) والعمر في التنبؤ بالتعاطف مع الذات.

ولتحقيق هذا الهدف تم استعمال تحليل الانحدار المتعدد (Multiple Regression) باسلوب الادخال (Enter) وجد ان اجتماع استراتيجيات التعامل مع الضغوط الاجتماعية والمتغيرات الديمغرافية بوصفه عاملا عاما وثلاثي الابعاد يمكن ان يتنبا بالتعاطف مع الذات بمقدار (0.261-0.176-0.0112-0.190) تواليا، فيما اذ بلغت القيم الفائية لمعادلة معامل الانحدار (30.73-18.56-10.98-20.) وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة (0.05) لكل من المتغيرات انفة الذكر. والجدول رقم (9) يوضح ذلك.

جدول رقم (9) تحليل الانحدار المتعدد باسلوب الادخال للتنبؤ باسهام استراتيجيات التعامل مع الضغوط الاجتماعية والمتغيرات الديمغرافية بالتعاطف مع الذات لدى المتعرضين للصدمة

المتغير المتنبئ Independent	المتغير التابع Dependent	معامل الانحدار R	معامل التنبؤ	معامل التنبؤ المعدل	القيمة الفائيةF	Sig. النتيجة
التعامل مع الضغوط، لحالة الاجتماعي، النوع، العمر	التعاطف مع الذات	0.51	0.26	0.25	30.73	0.00
استراتيجية المواجهة، الحالة الاجتماعية، النوع، العمر		0.41	0.17	0.16	18.56	0.00
استراتيجية طلب المساندة النوع، العمر، الحالة الاجتماعية		0.33	0.11	0.10	10.98	0.00
استراتيجية الانسحاب، الحالة الاجتماعية، النوع 44، العمر		0.43	0.19	0.18	20.44	0.00
درجة الحرية الافقية = عدد المتغيرات المتنبئة – 1 درجة الحرية العمودية = عدد افراد العينة – عدد المتغيرات المتنبئة -1 = 353-4-1 = 348						

القيمة الفائية الجدولية عند درجتي حرية(1،348) ومستوى دلالة (0.05) = 3.89

مناقشة عامة لنتائج البحث:

لقد حققت الدراسة الحالية الاهداف التي وضعت لتحقيقها حيث تم تكييف مقياس استراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى طلبة الجامعة وتقويم دلالتها السيكومترية. كما ظهر ان نسبة انتشار استراتيجيات التعامل مع الضغوط العالية والمتوسطة لدى طلبة الجامعة المتعرضين للصدمات تبلغ (84.56). وهذه النسبة العالية في اعداد الطلبة المتعرضين للضغوط النفسية، قد اكدتها دراسات سابقة حيث وجدت ان نسبة التعرض للضغوط وبخاصة الضغوط المرتبطة بالحروب والنزاعات المسلحة قد بلغت نسب تفوق ال (96%) من مجموع الشعب العراقي (Aljurany, 2013)، اضافة الى نسب متفاوتة في اماكن كانت اكثر عرضة للنزاعات مثل مناطق الايزيديين في شمال العراق، وهذا مرتبط باسباب عديدة وعوامل مؤثرة منها الحروب والنزاعات المسلحة اضافة الى ضغوط الحياة الاخرى الاقتصادية والاجتماعية. كما ان شريحة الطلبة معرضة لهذه الضغوط حيث وجدت الدراسات نسب متفاوتة للضغوط بين طلبة دول الخليج حيث تراوحت بين (7.4%) الى (96%) في مختلف دول الخليج (Alkhawaldeh, et al., 2023).

كما وجدت الدراسة الحالية ان (83.5) يستخدمون اسلوب المواجهة في التعامل مع الضغوط و(81.6) يستخدمون استراتيجية طلب المساعدة في حين يستخدم (82.7) اسلوب الانسحاب في التعامل مع الضغوط. وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهبت اليه الدراسات السابقة حيث ترى ان هناك ثلاثة استراتيجيات عرفت بنموذج امير الخان الثلاثية لاستراتيجيات المواجهة وهي الاولى البحث عن الدعم والثانية هي محاولة حل المشكلة والثالثة هي محاولة تجنب مواجهة المشكلة (Alkhawaldeh, et al., 2023).

ان عينة البحث الحالي لديها مستوى مرتفع ودال من استراتيجيات التعامل مع الضغوط وهي استراتيجية المواجهة واستراتيجية الانسحاب، فيما كانت استراتيجية طلب المساندة غير دالة مما يشير الى ان افراد عينة البحث تتمتع بمستو متوسط بهذه الاستراتيجية تقترب من المتوسط الفرضي للمقياس وهذا ربما يؤشر لضعف العلاقات الاجتماعية او التغييرات القيمية في المجتمع العراقي نتيجة الضغوط والصراعات المسلحة التي حدثت في العراق بعد الغزو الامريكي سنة (2003). لقد اشارت الدراسات على ان التعاطف العالي مع الذات يمكن ان ينتج استخدام اعلى لاستراتيجيات مواجهة فعالة مع الضغوط حيث اشارت ان التعاطف مع الذات يشجع على استخدام استراتيجيات تعامل فعالة عن طريق مساعدة الفرد بالتفكير بالضغوط بطريقة بناءة (Allen & Leary, 2010). وهذا ما وجدته الدراسة الحالية من ان نسبة عالية من العينة لديها تعاطف اعلى من المتوسط حيث بلغت نسبة الطلبة ذوي

التعاطف العالي مع الذات (19.54) وذوي التعاطف المتوسط (63.17) وهما يشكلان مانسبته (82.71) ان عينة البحث تتمتع بمستو مرتفع من التعاطف مع الذات وهذا ما ادى الى استخدام استراتيجيات مواجهة فعالة مع الضغوط. فيما بلغت نسبة ذوي التعاطف المنخفض (17.28) وهي نسبة كبيرة تستحق الدراسة والمداخلة الارشادية. حيث اشارت الدراسات الى ان نقص التعاطف مع الذات يدفع الفرد لاستخدام وسائل مواجهة غير فعالة او تجنبية وهو الامر الذي يؤدي الى مستوى عال من الشعور بالضغوط مع ما يترتب عليها من اضطرابات نفسية كالقلق والكآبة.

لقد وجدت الدراسة الحالية علاقة متوسطة بين استراتيجية التعامل مع الضغوط بوصفه عاملا عاما ومتعدد الابعاد مع متغير التعاطف مع الذات. وهذه النتيجة جاءت متسقة مع دراسة (Martínez-Rubio, et al., 2023) التي وجدت ان استراتيجيات التعامل التجنبية وانخفاض التعاطف مع الذات مع عوامل اخرى لدى عينة من الطالبات قد ارتبطت بشكل ايجابي مع مستويات عالية من الضغوط وان استراتيجيات التعامل التجنبية يمكن ان تعد عوامل مخاطرة نفسية للتعرض للضغوط (Martínez-Rubio, et al., 2023). وهذا ما ادى الى ان هذه الاستراتيجيات المتبعة للتعامل مع الضغوط تعد واحدة من المنبئات للتعاطف مع الذات وهذا ما وجدته الدراسة الحالية حيث تبين ان هذه العوامل لديها قدرة على التنبا بالتعاطف مع الذات بمقدار عالي.

توصيات البحث:

في سياق نتائج البحث الحالي يوصي الباحثان بما ياتي:

1- استخدام تعزيز التعاطف مع الذات في البرامج الارشادية للطلبة للمساعدة في استخدام استراتيجيات فعالة في التعامل مع الضغوط.
2- تقوية العلاقات الاجتماعية بين الطلبة انفسهم وبين الطلبة واقسامهم العلمية ولجان الارشاد النفسي في الجامعات ليتسنى لهم طلب المساعدة للتعامل مع الضغوط.

مقترحات البحث:

في ضوء نتائج وتوصيات البحث يمكن اقتراح الاتي:

1- اجراء مزيد من الدراسات حول استراتيجيات مواجهة الضغوط والكشف عن مدى استخدامها من قبل الطلبة مثل استخدام اسلوب المواجهة الديني.
2- دراسة ارتباط استخدام استراتيجيات المواجهة للضغوط مع عوامل اخرى مثل الثقة بالنفس ونمط الشخصية.

المصادر:

- تيغزة، احمد بوزيان (2012)، التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي، دار المسيرة، عمان ،الاردن.

- النعيمي ،مهند محمد عبد الستار وسناء ماجد عبد الحميد الصالحي (2025)، تكييف مقياس التعاطف مع الذات لدى الطلبة في اوقات الشدة النفسية. بحث في طور للنشر

- Aljurany, K. A. H. (2013). *Personality characteristics, trauma and symptoms of PTSD: a population study in Iraq* (Doctoral dissertation, Heriot-Watt University).
- Alkhawaldeh, A., Al Omari, O., Al Aldawi, S., Al Hashmi, I., Ann Ballad, C., Ibrahim, A., Al Sabei, S., Alsaraireh, A., Al Qadire, M., & ALBashtawy, M. (2023). Stress Factors, Stress Levels, and Coping Mechanisms among University Students. *The Scientific World Journal*, *2023*, 2026971. https://doi.org/10.1155/2023/2026971
- Allen, A. B., & Leary, M. R. (2010). Self-compassion, stress, and coping. Social and Personality Psychology Compass, 4(2), 107–118. 10.1111/j. 1751-9004. 2009.00246.x
- Anastasi,A.&Urbina,S(1976).PsychologicalTesting,NewJersy,PrenticeHall.
- Babore, A., Lombardi, L., Viceconti, M. L., Pignataro, S., Marino, V., Crudele, M., Candelori, C., Bramanti, S. M., & Trumello, C. (2020). Psychological effects of the COVID-2019 pandemic: Perceived stress and coping strategies among healthcare professionals. Psychiatry Research, 293, 113366. 10.1016/j.psychres.2020.113366
- Batniji, R., Van Ommeren, M., & Saraceno, B. (2006). Mental and social health in disasters: Relating qualitative social science research and the Sphere standard. Social Science & Medicine, 62(8), 1853-1864.

- Bentler, P. M., & Bonett, D. G. (1980). Significance tests and goodness of-fit in the analysis of covariance structures. Psychological Bulletin, 88, 588–600.
- Boals, A., Vandellen, M. R., & Banks, J. B. (2011). The relationship between self-control and health: The mediating effect of avoidant coping. Psychology & Health, 26(8), 1049–1062. 10.1080/08870446. 2010.529139
- Bui, T. H. T., Nguyen, T. N. T., Pham, H. D., Tran, C. T., & Ha, T. H. (2021). The mediating role of self-compassion between proactive coping and perceived stress among students. *Science progress*, *104*(2), 368504211011872. https://doi.org/10.1177/00368504211011872
- Byrne.B.M.(2005).Factor Analysis Models: viewing the structure of an assessment instrument from three perspectives. Journal of personality Assessment, 85(1),17-32
- Carver, C. S., Scheier, M. F., & Weintraub, J. K. (1989). Assessing coping strategies: a theoretically based approach. *Journal of personality and social psychology*, *56*(2), 267.
- Dagani, J., Buizza, C., Ferrari, C., & Ghilardi, A. (2023). The role of psychological distress, stigma and coping strategies on help-seeking intentions in a sample of Italian college students. *BMC psychology*, *11*(1), 177. https://doi.org/10.1186/s40359-023-01171-w
- Guilford,J.R(1954).Psychometric Methods. New York: McGraw-Hill book Company, Inc.
- Hinchey, L. M., Nashef, R., Bazzi, C., Gorski, K., & Javanbakht, A. (2023). The longitudinal impact of war exposure on psychopathology in Syrian and Iraqi refugee youth. *The International journal of social psychiatry*, *69*(7), 1833–1836. https://doi.org/10. 1177/00207640231177829
- Holahan, C. J., Moos, R. H., Holahan, C. K., Brennan, P. L., & Schutte, K. K. (2005). Stress generation, avoidance coping, and depressive

symptoms: A 10-year model. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 73(4), 658–666. 10.1037/0022-006X.73.4.658

- Islam, R. K., Cobb, E. K., McCowan, H. K., Watson, K., Bhattacharya, K.,Chandra, A., Mohiuddin, W., Gruszynski, K., Wilkerson, A. H., Dascanio, J. J., Davis, R. E.,& Nahar, V. K. (2025). Exploring mental health in veterinary students: common stressors and effective coping strategies: a narrative review. Frontiers in veterinary science, 12, 1470022. https://doi.org/10.3389/fvets.2025.1470022
- Jasim, K. H., Alkass, S. Y., & Persike, D. S. (2024). Long-lasting effects of post-traumatic stress disorder in Yazidi women living in Northern Iraqi camps. *Journal of Taibah University Medical Sciences*, *19*(5), 919–933. https://doi.org/10.1016/j.jtumed.2024.08.028
- Karugahe, W., & Lambert, J. (2021). Gender, role in domestic violence as victim or perpetrator and coping strategies in Uganda: implications for gender-inclusive counsellors. *Asia Pacific Journal of Counselling and Psychotherapy*, *12*(1), 58-72.
- Katan, A., & Kelly, A. C. (2023). A daily diary study of self-compassion and adaptive coping behaviours in women with symptoms of bulimia nervosa. *Journal of eating disorders*, *11*(1), 50. https://doi.org/10.1186/s40337-023-00755-6
- Keyes, J., Yankouskaya, A., & Panourgia, C. (2022). Self-compassion, coping strategies and gender differences in psychology, counselling and psychotherapy practitioners during COVID-19: Lessons learnt. *Counselling and psychotherapy research*, 10.1002/capr.12574. Advance online publication. https://doi.org/10.1002/capr.12574
- Keyes, J., Yankouskaya, A., & Panourgia, C. (2022). Self-compassion, coping strategies and gender differences in psychology, counselling and psychotherapy practitioners during COVID-19: Lessons

learnt. *Counselling and psychotherapy research*, 10.1002/capr.12574. Advance online publication. https://doi.org/10.1002/capr.12574

- Kline RB. Principles and Practice of Structural Equation Modelling .New York: Guildford Publications Press; 2011.
- Kowalczuk, K., Shpakou, A., Hermanowicz, J. M., Krajewska-Kułak, E., & Sobolewski, M. (2022). Strategies for Coping with Stress Used by Nurses in Poland and Belarus During the COVID-19 Pandemic. *Frontiers in psychiatry*, *13*, 867148. https://doi.org/10.3389/fpsyt.2022.867148L
- MacBeth, A., & Gumley, A. (2012). Exploring compassion: A meta-analysis of the association between self-compassion and psychopathology. Clinical Psychology Review, 32(6), 545–552. 10.1016/j.cpr.2012.06.003
- Makarowski, R., Piotrowski, A., Predoiu, R., Görner, K., Predoiu, A., Mitrache, G., ... & Nikkhah-Farkhani, Z. (2020). Stress and coping during the COVID-19 pandemic among martial arts athletes–a cross-cultural study. *Archives of budo.*, *16*, 161-171. Archives of budo. 2020; 16:161–171.
- Martínez-Rubio, D., Colomer-Carbonell, A., Sanabria-Mazo, J. P., Pérez-Aranda, A., Navarrete, J., Martínez-Brotóns, C., Escamilla, C., Muro, A., Montero-Marín, J., Luciano, J. V., & Feliu-Soler, A. (2023). How mindfulness, self-compassion, and experiential avoidance are related to perceived stress in a sample of university students. *PloS one*, *18*(2), e0280791. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0280791
- Monika, Frania. Fernando, Luís de. (2022):Interpersonal Competences and Attitude to Online Collaborative Learning (OCL) among Future Pedagogues and Educators—A Polish and Portuguese Perspective.Educ.Sci.2022.12.23.https//WWW.mdpi.comljournal/education

- Muhand Muhammed Alnuymi, Halima Ibrahim Al-Failakawi (2025) . Adaptation of the Interpersonal Competence Scale in the Arab Environment: A Comparative Study of Psychological Competence among Students of Kuwait University and Diyala University/Iraq. Journal of Posthumanism ISSN:2634-3576/2634-3584 URL: posthumanism.co.uk
- Munroe, M., Al-Refae, M., Chan, H. W., & Ferrari, M. (2022). Using self-compassion to grow in the face of trauma: The role of positive reframing and problem-focused coping strategies. *Psychological trauma: theory, research, practice and policy*, *14*(S1), S157–S164. https://doi.org/10.1037/tra0001164
- Nasika, I. N., Wiart, C., Bonvarlet, A. S., Guillaume, J., Yavchitz, A., & Tereno, S. (2023). Attachment patterns, self-compassion, and coping strategies in patients with chronic pain. *Pain reports*, *8*(5), e1087. https://doi.org/10.1097/PR9.0000000000001087
- Neff K. D. (2023). Self-Compassion: Theory, Method, Research, and Intervention. *Annual review of psychology*, *74*, 193–218. https://doi.org/10.1146/annurev-psych-032420-031047
- Neff, K. D. (2003). Self-compassion: An alternative conceptualization of a healthy attitude toward oneself. Self and Identity, 2(2), 85–101. 10.1080/15298860309032
- Neff, K. D. (2003). The development and validation of a scale to measure self-compassion. *Self and identity*, *2*(3), 223-250.
- Neff., D., Kirkpatrick, K.L., &Rude, S.S. (2007). Self-compassion and adaptive psychological functioning. Journal of Research in Personality, 41(1), 139–154. 10.1016/j.jrp.2006.03.004
- Nunnally, J. C. (1967). Psychometric Theory. New York: McGraw-Hill.
- Parker JDA, Endler NS. (1992) Coping with coping assessment: a critical review. Eur J Pers; 6:321-344.:

http://dspace.library.uu.nl/bitstream/handle/1874/497/full.pdf?sequence=2

- Raes, F., Pommier, E., Neff, K. D., & Van Gucht, D. (2011). Construction and factorial validation of a short form of the Self-Compassion Scale. Clinical Psychology & Psychotherapy, 18(3), 250–255. https://doi.org/10.1002/cpp.702
- Ren, Y., Yang, S., Peng, Y., Liu, A., & Zhu, Z. (2024). Retrospective ACEs predict complex PTSD symptoms in a large sample of Chinese young adults longitudinally: the moderating role of self-compassion. *BMC psychiatry*, *24*(1), 425. https://doi.org/10.1186/s12888-024-05830-z
- Sirois, F. M., Molnar, D. S., & Hirsch, J. K. (2015). Self-compassion, stress, and coping in the context of chronic illness. Self and Identity, 14(3), 334–347. 10.1080/15298868.2014.996249
- Spence R, Owens-Solari M, Goodyer I. (2016). Help-seeking in emerging adults with and without a history of mental health referral: a qualitative study. BMC Res Notes. 9(1):415. doi: 10.1186/s13104-016-2227-839.
- Talebi M, Matheson K, Anisman H. (2016). The stigma of seeking help for mental health issues: mediating roles of support and coping and the moderating role of symptom profile. J Appl Soc Psychol. 46(8):470–482. doi: 10.1111/jasp.12376.
- Watkins, C. J. C. H. (1989). Learning from delayed rewards. Cambridge: King's College.
- Zhang, Y., Wang, Z., Qin, Y., & Jin, S. (2025). Research on the relationship between perceived social support and positive coping style of fire rescue personnel with the mediating effects of positive emotions and meaning in life. *Scientific reports*, *15*(1), 7729. https://doi.org/10.1038/s41598-025-91799-y

التهجير القسري و آثاره الأجتماعية على الكرد الفيلية ما بين عامي1970-1980 . دراسة تأريخية

(الكرد الفيلية) (حزب البعث) (التهجير) (الأبادة الجماعية)

إعداد

د. كافي سلمان مراد الجادري
كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية
Kkk.m909@yahoo.com

المستخلص

يشكل الكورد الفيلية جزء مهم من القومية الكوردية في العراق هم جزء من هذه القومية الكبيرة بعد القومية العربية ، الا أن الانظمة السياسية التي حكمت العراق سيما بعد حركة 8شباط 1963عام حتى1980 عام ، وتسلم حزب البعث العربي الحكم تعامل مع شرائح ومكونات المجتمع العراقي بسلب الحقوق ومصادرة الحريات ،والتي طالت شرائح كثيرة ، ومنها الكورد أكبر هذه الشرائح والكورد الفيلية وما جرى لها بين عام 1970 و1980 ، كانت من الحالات الفريدة في تاريخ العراق ،أذ تعرضت لأقسى حالات الاضطهاد والعنف والتهجير القسري ، دون سند قانوني او تطبيق نزيه للنصوص الدستورية ، ودون اعتبار لقرارات الأمم المتحدة والعهود والمواثيق الدولية ، وسط تعتيم وصمت اعلامي داخلي وخارجي. .

لذلك تناول البحث ما تركه هذا التهجير من أثار سيئة على مجمل الحياة الاجتماعية لأبناء واسر الكرد الفيلية امتدت لسنوات طويلة حتى بعد سقوط نظام البعث عام 2003. .

قسم البحث الى فصلين ، تناول الفصل الأول الجذور التاريخية للكرد الفيلية بعدهم من مكونات العراق الأصلاء وشركاء في هذا الوطن وجزء مهم وفاعل في الحركة الوطنية العراقية بما قدموه من تضحيات كبيرة على مدى تاريخ العراق الحديث والمعاصر. .

كما تم تسليط الضوء على مشاركة ابناء الكرد الفيلية في جميع التيارات السياسية التي ناضلت من أجل

الوقوف بوجه الانظمة الطائفية ، ومنها النظام البعثي الذي تنكر لكل حقوق القوميات في العراق ومنها القومية الكردية بوجه عام والكرد الفيلية على وجه الخصوص.

في حين تناول الفصل الثاني عملية التهجير القسري للكرد الفيلية في عامي 1970و1980لاكثر من 600 الف اسرة فيلية مع مصادرة ممتلكاتهم المنقولة والغير المنقولة واحتجاز الأسر مع ابنائها في معتقلات الأجهزة الأمنية ، واعتقال اكثر من (30) الف شاب من مختلف الاعمار وحتى الذين كانوا يقاتلون في الجيش العراقي اثناء الحرب مع ايران ، وايداعهم السجون لسنوات طويلة بين سجن ابو غريب ونكرة السلمان لا يعرف مصيرهم إلى يومنا هذا ، وتهجير أسرهم إلى إيران وسط ظروف جوية قاسية. .

كما تضمن الفصل الثاني اساليب السلطة البعثية في تفكك وتمزيق عرى المودة والتراحم داخل الأسرة الفيلية عن طريق منح مكافئة مالية للرجل العربي المتزوج من كردية فيلية في حال طلاقها ، ومن الأساليب السلطة البعثية ايضاً الاخرى حرمان الكرد الفيلية من حقوقهم في تسلم المناصب في دوائر الدولة ومنها الخاصة في الجانب العسكري ، والدبلوماسي ، وحتى قبولهم في الدراسات العليا في الجامعات العراقية. .

ومن ممارسات النظام المحاربة النفسية الوحشية في عام 1983 اصدرت وزارة التربية العراقية آمر أداري تحت أسم (السلامة الفكرية) يتضمن أبعاد المعلمين والمدرسين من الكرد الفيلية عن التدريس في المدارس ، وأحالتهم إلى العمل الاداري ، كما تناول هذا الفصل زيارة (الباحثة) شخصياً لسجن أبو غريب في الثاني عشر من كل شهر عام 1982 ، قبل أن يتم نقلهم إلى سجن نقرة السلمان. .

وخلاصة القول أن ما جرى للكرد الفيلية من ظلم ومأساة على يد النظام البعثي السابق لم ينصفهم النظام الحالي في العراق ، ولم ينصفوا وينالوا حقوقهم الشرعية والدستورية بما يتناسب والتضحيات التي قدموها سيما مع الاحزاب الحاكمة التي كان ابناء الكرد الفيلية جزء مهم وفاعل في الاحزاب الكردية وحزب الدعوة والحزب الشيوعي العراقي .

نتمنى أن يكون هذا البحث مساهمة متواضعة لتعريف الباحثين والمؤلفين بما جرى لواحدة من أهم شرائح المجتمع العراقي ، الآ وهم الكرد الفيلية على يد أزلام نظام حزب البعث المنحل .

Abstract

One of the most important facts that is practically embodied in Iraq is the existence of several nationalities that are fraternal, coexisting, and in harmony with each other, and each nationality has rights and duties, and we cannot in any way accept or accept the domination of one nationality over another. Nationalism in Iraq, after the Arabs and Filet Kurds, they are part of this great nationalism, but the political regimes that ruled Iraq, especially after the February 8 Movement1963 year until 1980 year, and the Arab Baath Party assumed power, dealing with the segments and components of Iraqi society by robbing rights and confiscating freedoms, which affected many segments, including the Filet Kurds, the largest of these segments, and what happened to them between 1970 and 1980, was one of the unique cases in the history of Iraq.

She was subjected to the most severe cases of persecution, violence and forced displacement, the stripping of her nationality, the denial of her national identity and her expulsion from Iraq amid harsh weather conditions..

The research dealt with the bad effects of this displacement on the overall social life of the Filet Kurds and their families, which extended for many years, even after the fall of the Baath regime in 2003.

The research was divided into two chapters. The first chapter dealt with the historical roots of the File Kurds after them from the original components of Iraq and partners in this country and an important and active part in the Iraqi national movement, with the great sacrifices they made throughout the modern and contemporary history of Iraq.

While the second chapter dealt with the forced displacement of the Filet Kurds in 1970 and 1980 for more than 600,000 File families, with the confiscation of their movable and immovable property, and the detention of families with their children in the detention centers of the security services, and the accompanying methods and methods of psychological and physical torture. Among its brutal methods is the detention and arrest of more than 30,000 young men The second chapter also included the methods of the Baathist authority in disintegrating and tearing the bonds of affection and compassion within the Filet family by granting a financial reward to an Arab man married to a File Kurdish woman in the event of her divorce. This was a crime against humanity aimed at eliminating cohesion and harmony between the components of the Iraqi people by weakening this important segment of Iraqi society.

In sum, what happened to the File Kurds in terms of injustice and tragedy at the hands of the former Baathist regime, the current regime in Iraq did not do justice to them, and they did not do justice to them and obtain their legal and constitutional rights in proportion to the sacrifices they made, especially with the ruling parties, in which the File Kurds were an important and active part in the Kurdish parties and the Dawa Party and the Iraqi Communist Party.

We hope that this research will be a modest contribution to inform the professors and authors about what happened to one of the most important segments of Iraqi society, the delusional Filet Kurds at the hands of the former Baath regime.

الجذور التاريخية للكرد الفيلية في العراق

المبحث الاول : الكرد الفيليون أصلهم ونشأتهم .

يعد المكون الكوردي الفيلي من المكونات المهمة والفاعلة في العراق ولهم انتشار واسع في رقعة جغرافية مهمة تشمل بعض مدن شمال ووسط وجنوب العراق ، كما ان وجود هذا المكون في ارض الرافدين قديم جداً ويمتد لقرون من الزمن. كانت لهم مساهمة فاعلة ومؤثر في كل تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، فبرز منهم قادة وساسة وعلماء كبار وكانت لهم مساهماتهم الفاعلة والمؤثرة في اعمار البلد ورقيه وتقدمه .

تعددت الأراء واختلف المؤرخون في تحديد نسب الكورد الفيليون إذ إنهم يمثلون جزء من الأمة الكوردية ، وذكر كثير من المؤرخين انهم بقايا العيلاميين الذين اسسو كيانهم على ارض عيلام الواقعة على الحدود الشرقية جنوب العراق [1] . (الفيلي ،المركز الثقافي للبحوث والدراسات ، 2013،ص9) ،وقد نسب الرحالة (هوكو كروتة) الكورد الفيليون بأنهم من سلالة العيلاميين من تشابه في الوجه [2] .(الفيلي ، احمد ناصر ،2014، ص9) ، إذ اشار في هذا الصدد قائلاً :0 حينما ارى وجه الفيلي الحالي فأنه يذكرني بالهيتين ، ويتجسم امامي كل الاقوام التي عاشت قبل الاف السنين ولا يستبعد بأن يكون الفيليون من بقايا العيلاميين القدماء [3] (الفيلي ، مركز الدراسات والبحوث ، 2013،ص10) .

اما تسميتهم ب(الفيليين) ، فقد اختلفت الاراء في معنى كلمة فيلي ، ويرى المؤرخ جورج كامرون ان اصل هذه التسمية مأخوذة من اسم الملك (بيلي) الذي اسس سلالة عيلامية امتد حكمها من 2220ق. م وحتى آخر (يوزورواينشوسيناك) 2670 ق.م وقديماً تلفظ الفاء (باء) وتحول الاسم مع تقادم الازمنة الى كلمة (فيلي) على غرار تحول الاسم الفارسي القديم الى (بارس) الى (فارسي) الحالية . [4] (الاركوازي ، فريدون كريم ملك واخرون ،2014،ص8) . ومن الباحثين من يرى ان كلمة (فيلي) اشتقت من كلمة (فهلة ،بهلة، بهلة) بالرغم التقارب اللفظي الموجودبين هذه الكلمات وكلمة (فيلي) الا انه ليس هناك اية علاقة في المعنى والمبنى بينهما من ناحية التفسير . إذ لم يطالعنا التاريخ على مثل هذه بحيث تكشف اي نوع من الرابطة بينهما فضلاًعن عدم معرفة ما هي القصد هنا وراء الاسم (فيلي) [5] .(المندلاوي ، احمد الحمد ، 2013،ص-16-17) .

وهناك رأي آخر لياقون الحموي في معجم البلدان إذ يقول (انهم الذين يقطنون المناطق الجبلية المرتفعة الواقعة بين إيران والعراق وتتسم اجسامهم بالضخامة كأجسام الافيال) الا انه هناك اتفاق على ان اسم الكورد الفيلية يطلق على الاكراد الشيعة القاطنيين في جنوب ووسط العراق وبغداد وليس على نظرائهم في إيران [6].(النفيس ، احمد راسم ، 2004، ص128).

وهناك آراء اخرى في هذا الصدد ولكن يظهر عليها الضعف يستوجب على الباحثين اهمالها وعدم تكرارها .

- مناطق سكن الكورد الفيلية :

اهم المناطق التي تسكن فيها هذه الشريحة فهي المناطق الحدودية من العراق وايران ابتداء من مناطق جلولاء وخانقين ، ومندلي في محافظة ديالى شملاً الى منطقة علي الغربي جنوباً مروراً بمناطق بدرة وجصان ، وزرباطية والكوت والنعمانية والعزيزية وتقع اغلب هذه المناطق في محافظة واسط (الكوت) ، فضلاً عن بعض قرى محافظة ميسان (العمارة) العراقية ، والديوانية والناصرية والبصرة ، يضاف الى ذلك ان اعداد كبيرة منهم يسكنون في بغداد منذ امد بعيد ، اما من الجانب الايراني فمناطق سكناهم في محافظات كرمنشاه وقصر شيرين ، واسلام آباد ، أيلام وقصباتها أيوان ومهران وخرم آباد وشيروان ومناطق اخرى من ايران [7].(

المندلاوي ، احمد الحمد ، 2012، ص4-5). وهم يتكلمون بلهجتهم الخاصة ويقال لها في العراق الفيلية وفي ايران اللورية وان لهذا الاصطلاح آراء عديدة بين الرفض والتأييد [8] .(المصدرر نفسه ،ص5) .

- التركيبة الاجتماعية :

وفيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية للكورد الفيلية نجد انهم ينتظمون في مجتمعات عشائرية وقبلية كما هي الحالة لدى العرب تماماً كما انهم شديدي الحرص على انتمائهم وحفظ انسابهم ومن مظاهر هذا الحرص ما يلحق اسمائهم من القاب مرد الكثير منها الى الانتماء القبلي والعشائري ولعل ابرزها قبيلة - (اللك) (واللر)(والقرة اولوس) : في انحاء مندلي

-قبيلة الملكشاهية : ينتشرون في واسط والبصرة وبغداد وديالى .

- قبيلة الاركوازي : يقطنون مدينة خانقين وجلولاء والسعدية والقرى المجاورة لها .

-عشائر الزركوش :والكلهر : تعد اكبر هذه العشائر وتمتد من عيلام الى السليمانية [9] .(الفيلي ، احمد ناصر ،ص23-24) .

- قبيلة الخزل : من العشائر الكوردية المستقلة بذاتها وتنتشر في جانبي الحدود العراقية - الايرانية

-الزند : وترجع اصولها الى اللكية وتنتشر في جبال زاغروزوقلعة بري وخانقين وكركوك وديالى وبغداد (10).(الفيلي ، احمد ناصر ،الفيليون والهموم ، 2014،ص 14) . للمزيد عن تاريخ الكرد الفيلية وعشائرها راجع مخطوطة : (العزاوي ، عباس العزاوي ،2003 ، تحقيق ، الجاف ، حسين احمد ،علي) .

المبحث الثاني : الكرد الفيلية في ظل الحكم الملكي 1921-1958

عند تأسيس المملكة العراقية تحت اشراف الانتداب البريطاني وتعين فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ورسم الحدود الجغرافية السياسية للعراق ، كان الكرد الفيلية يعيشون في ارض ابائهم واجدادهم ويحملون مستمسكات رسمية وفقا للمصادر العثمانية والفارسية تأكد وجودهم في مدن الحدود التي رسمتها المعاهدات بين الامبراطورية العثمانية والفارسية عبرفترات تأريخية ، ابتداءً من معاهدة زهاب 1639 *م ، التي اصبحت اساساً للمعاهدات التي تلت لترسيم الحدود حتى انتهاء الحكم العثماني على العراق [12](ياسين شهاب شكري ، 2021، ص89) .

نصب البريطانيون دولة على شعب عريق متعدد القوميات والأديان واللغات ، حيث تنازعت عليها امبراطوريتان الفارسية والتركية العثمانية مئات السنين وتبادلتا التحكم بمصيره عدة مرات في حين ظلت الحياة الروحية والثقافية لأكبر نسبة من سكانه من اهل الشيعة عربا وكرد فيليين مرتبطة بجارتهم إيران وكان ذلك هو

واقع الحال في عموم العراق قبل تأسيس الدولة العراقية وصدور اول قانون للجنسية العراقية المرقم (42) لسنة 1924،عرف القانون صفة المواطن العثماني أذ كان معظم سكان العراق قبل تأسيس الدولة إما من التبعية العثمانية او التبعية الإيرانية والاثنين غير عراقيين ، نص قانون الجنسية العراقية على أعتبار السكان المقيمين ضمن حدود الدولة عراقيين اذا كانوا من رعايا الدولة العثمانية ، ووضع القانون عراقيل في قبول سكان المناطق الجنوبية ، سيما القريبة من الحدود الشرقية كمواطنيين عراقيين ، وشمل ذلك افراد القبائل العربية والكردية الفيلية على حد سواء [13].(ناصر حسين ناصر ، 2005، ص177).

*- ، نصت على ترسيم الحدود البرية العراقية – الايرانية على ان تكون المناطق التالية تحت النفوذ العثماني وهي : درنة وجسان وبدرة ومندلي ودرتنك وبقية المناطق الحدوديةحتى شهرزور شمالاً، كانت هذه ارض الكرد الفيلية التي قسمت ، وما وراء جبل بشتكو اصبحت لإيران مع تعهد الشاه باحترام الحصون العثمانية الواقعة على الحدود.

ووفقاً لمحددات هذا القانون نفسه ،ان التبعيتيين اجنبيتان ، الامر يثير التساؤل حول من هو العراقي اذن ؟ في حين ورد في الدستور العراقي لسنة 1925، وفي المادة السادسه منه (لا فرق بين العراقيين في الحقوق امام القانون وان اختلفوا في القومية او الدين او اللغة) ، المشكلة هنا ليست في النصوص الدستورية التي اصدرتها السلطة التشريعية وانما في تطبيقها من قبل السلطة التنفيذية التي اخضعت تلك القوانين والقرارات التي ساهمت في وضعة دولة التاج البريطاني بشكل اساسي ،وفرض قانون (42) على الكردي الفيلي تقديم التماس لمنحه التجنس وفق تعليمات وزارة الداخلية الذي كان السير ادمودنزمستشارا فيها الذي اراد الاستعمار البريطاني ربط العراق بمسيرته الاستعمارية وقاعدة لرعاية مصالحه [14] .(الفيلي ، احمد ناصر ، (د.ت)، ص35) .

وللاسف لم يكن تشكيل الدولة العراقية على اساس حضاري ، بل تسللت الافكار الشوفينية الى مصادر القرار في السلطتين التشريعية والتنفيذية مما نتج عنها اصدارقوانين صنفت العراقيين تحت مجموعة من المسميات مستندة على ركام الدولة العثمانية الذي تجاهلت الطائفة الشيعية الاكبر في العراق واعتبرتهم مواطنون من الدرجة الثانية بما فيهم الكرد الفيلية لا يحق لهم دخول الكليات العسكرية والشرطة والسلك الدبلوماسي وغيرها من الوظائف المهمة والمشاركة في بناء الدولة وصنع القرار في بنائها ، في حين اعتبار الكرد السنة الذين تقلدوا مناصب مهمة في الجيش ومؤسسات الدولة الاخرى ومنها مرافق الملك غازي فؤاد عارف من أهالي السليمانية [15]. (مذكرات فؤاد عارف ، 2005) . بعد استقلال العراق وفي عام عام 1934، تم تسجيل العراقيين في سجل نفوس يدعى سجل (1934) ، الذي يثبت عراقية المواطن من العرب والكردالفيلية ومحل سكناه لاسيما في المناطق الحدودية الجنوبية من العراق .(المديرية العامة للسفر والجنسية ، رقم 204في 2008.

سجل 1934 ،مراد كاكي) *.

اصدرت الدولة العراقية بعد استقلالها قانون الجنسية لسنة 1934 ، وبشكل يغاير جميع الدول في العالم ، والحقته بوثيقة اخرى وهي شهادة الجنسية العراقية ،وكأن الجنسية غير موثوق بها دونت فيها حقل للتبعيات فأبناء التبعيات غير العثمانية يعدون مواطنين من الدرجة الدنيا [16].(الاركوازي ، فريدون كريم ملك ، واخرون ،2014، ص97-98) .

* – مراد كاكي مير حسين ، كردي فيلي شيعي ، مواليد 1885م يسكن قضاء علي الغربي ، المهنة زارع ويملك أرض ودار سكن ، عراقي الجنسية ، أعتبره النظام البعثي ابناءه واحفاده من التبعية الأيرانية متجاهل هذه الوثيقة الرسمية المثبتة في سجلات النفوس العراقية لسنة 1934المعتمدة في منح شهادة الجنسية العراقية الأ أن منح أحفاده شهادة الجنسية وفق المادة 13/والمادة 6/أ التبعية الايرانية .

جاء قانون الجنسية العراقية وما تبعها من قوانين كأساس للتفرقة بين ابناء هذا الوطن وتمييز بعضهم عن بعض وغير مقبول بكل المعايير ووضع هوة بين ابناء الشعب العراقي حينما قسم نوعيين احدهما تبعية عثمانية والاخر تبعية ايرانية ، واصبح الكرد الفيليون الشيعة وبالتحديد في وسط وجنوب العراق كأنهم جالية مهاجرة الى العراق مع انهم يعيشون في العراق منذ زمن ، وكان للخلاف المذهبي في العراق انعكاسة سلبية على الكرد الفيلية ، واذا حدث خلاف سياسي بين العراق وايران كان الكرد الفيلية اول ضحايا هذا الخلاف . وهكذا بقي انتمائهم الى العراق عرضة لهذه العوامل ، وجنسيتهم ورقة لا تحمل اكثر من قيمة الحبر التي كتب به لدى السلطات [17] .(المركز الثقافي الفيلي للبحوث والدراسات ،2013،ص40) .

لم يدرك الكرد الفيليون مدى اهمية الجنسية لمستقبلهم في العراق ، وانهم سيكونون من الاهداف الرئيسة لسياسة القوميين العرب الرامية الى صهر المكونات الاخرى وبخاصة الكورد في البوتقة العربية ضماناً للأنسجام المجتمعي في حسب ضنهم ، في الوقت نفسه تعرض الشيعة الى حملات التشهير والطعن في عروبتهم لاسيما العوائل الشيعية العربية ذات التاريخ الوطني وانتزاع جنسيتهم واسقاطها ومنهم شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري والشاعر عبد الوهاب البياتي واخرون من الشيعة، كان هذا الاجراء له عواقب وخيمة ساعدت على ترسيخ فكرة اسقاط الجنسية والابعاد الذي شهد عام 1941 اول عملية تهجير رسمية لعشرات من العوائل الشيعية والكورد الفيلية الى ايران بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني بتهمة مساندة الحركة ،ازداد وضع الكرد الفيلية سوءاً وتعقيداً في المراحل اللاحقة . حيث اسقاط الجنسية تتم بطريقة تعسفية ، فضلاً عن اصدار قرارات وقوانين بذلك ولم تشمل الفيليين فقط ، بل تعداهم الى اخرين عن اليهود رقم (1) لسنة 1950، ورقم (12) لسنة 1951 تحت تأثير الحركة الصهيونية [18]. (الاركوازي ، فريدون كريم ملك واخرون ، ص28) .واستمر هذا النهج الذي يخالف كل قوانين وقرارات حقوق الانسان العالمية ، وانتزاع الهوية الوطنية للافراد .

فالكرد الفيلية وقعوا تحت عاملين القومي والمذهبي وعرضهم الى اقسى انواع الاضطهاد في ظل الحكومات التي تعاقبة على حكم العراق، ومنها حكومة الانتداب البريطاني التي توارث سياسة العثمانيين في تعاملها مع الشيعة وابعادهم عن المناصب العسكرية والمدنية سيما الترشيح لعضوية المجلسين النواب والاعيان وزرعتها في دساتير الحكم الملكي حتى نهايته عام 1958 ، مما دفعهم نحو العمل التجاري والصناعي حيث ساهموا مساهمة فاعل في التمنية الاقتصادية والصناعية في العراق واسسوا عدد من الشركات تجارية والمصانع والتي اصبحو اكثر عرضة لمحاربتهم من قبل الحكومات اللاحقة وكانت سبب في تهجيرهم من العراق وبشكل اوسع عام 1970و1980 وقبلها، فضلا عن نشاطهم السياسي والوطني الى جانب الاحزاب العراقية العربية والكردية على حد سواء .

التهجير القسري وآثاره على الكورد الفيلية

المبحث الاول : دور الكورد الفيلية في التيارات السياسية العراقية

انخرط رجل عشائر الكورد الفيلية منذ وقت مبكر في الحركة الوطنية العراقية ، ومنها مشاركتهم الفاعلة في ثورة النجف غام 1918،كما لبت عشائر الكوردالفيلية نداء رجال الانتفاضة في الجنوب (ثورة العشرين) ضد الاحتلال البريطاني التي انطلقت الانتفاضة من مندلي بأتجاه سراي الحكومة في المدينة وخاض المنتفضون مجابهة مع قوات السراي واستطاعوا من السيطرة عليه بعد فرار الحامية منها [19].(التراث الفيلي ،2012 ، ص8-9).

وفي خانقين بدأت في الرابع عشر من اب عام 1920عندما وجه المنتفضون ضربتهم بتحرير قزلرباط ثم احرقوا مقرات البريطانيون في خانقين وهاجموا مؤسسات شركة النفط (الانكلو-الايرانية) في نفط خانة وقطعوا خط سكة حديد بين بعقوبة وخانقين ، مما اضطر الحاكم السياسي البريطاني واسرته الانسحاب الى قرية قوره تو ، وهكذا اضطر البريطانيون اتخاذ اجراءات عاجلة في قمع الانتفاضة للحيلولة دون انتشارها في المناطق المجاورة واعادة سيطرت البريطانيون على مدينة خانقين مما اضطر الثوار الى الانسحاب خارج المدينة واللجوء الى المناطق الجبلية الوعرة ثم الالتحاق بثوار قصر شيرين الذين انزلوا بالاعداء ضربات قاسية ضد شركة نفط

(الانكلو -الايرانية) [20].(التراث الفيلي ،2012 ، ص 9.)

كما ساهم الكورد الفيلية في الجمعيات والاحزاب العراقية التي تأسست في بداية تاسيس المملكة العراقية تحت اشراف سلطات الاحتلال البريطاني حيث ناضل الكورد في صفوف تلك الاحزاب الى جانب اخوتهم العرب في تحرير العراق من السيطرة البريطانية ومن تلك الاحزاب الحزب الشيوعي العراقي ، وفي صفوف الحركة التحررية الكوردية ومنها حزب هيوا الكردي الذي تأسس عام 1939و حظي بدعم مالي من قبل تجار الكرد الفيلية والحزب الديمقراطي الكردستاني 1946 الذي كان عدد من اعضاءاللجنة المركزية في الحزب من الكرد الفيلية منهم

د. جعفر محمد كريم وملا حكيم خانقيني [21].(الفيلي ، احمد ناصر ،2014، ،ص5) ،كما ساهم الكورد الفيلية في الحركات السياسية الاخرى ومنها حزب الدعوة العراقي الذي انظم عدد كبير من شباب الكورد الفيلي في صفوفه وقدموا عدد كبير من شهداء على يد النظام البعثي بل وظهرت اسماء لامعة من بين الكورد الفيلية في الحركة الوطنية العراقية وتاريخ العراق السياسي ، ولهذا تعرض الكرد الفيلية الى ابشع صنوف الاضطهاد والظلم في ظل انظمة الحكم المتعاقبة في العراق ولاسيما في حكم البعث منذ شباط الاسود وحتى سقوط البعث 2003[22]) .(زهير كاظم عبود، 2007،ص19) .

كما كان للكورد الفيلية مشاركة واضحة في ثورة تموز 1958، التي اقرت بعراقية الكورد الفيلية على لسان الزعيم عبد الكريم قاسم امام وفد الكورد الفيلية لتهنة بأنتصار الثورة بقولة :(ان المناطق التي تبدامن الضفاف الشرقية لنهر دجلة هي موطن الكورد الفيليين منذ القدم) ، دافع الكورد الفيليين عن الثورة ومكتسباتها، اثناء احداث 8شباط الاسود 1963والاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم ، ليعلن البعث والشوفينين الحرب والانتقام السياسي من الفيلية ، حيث شهدت مناطقهم (عكد الأكراد في مدينة الثورة) مقاومة باسلة تم القضاء عليها باستخدام المدفعية والراجمات لابطال حق مشاركة الكورد الفيلية في العملية السياسية ليحرموا من تعبير رسمي اتجاه قضاياهم كافة ، وكانت مناطق الشيعة والكورد الفيلية معقل للوطنيين العراقيين [23] .(الفيلي ، احمد ناصر ،2013،ص 24).

ومن اساليب المحاربة التي تعرض لها الكورد الفيلية خلال حكم عبد السلام عارف هي محاربة تجار الشيعة و الكورد الفيلية كما وصفهم مدير الأمن العام فاضل البراك بأنهم سيطروا على قطاعات التجارة والصناعة في الخمسينيات وستينيات القرن العشرين [24].(فاضل البراك ، ص151) ، وكان ابعادهم عن مؤسسات الدولة (الجيش والشرطة والحكومة) هو الذي اجبر الكثير منهم على اللجوء الى التجارة كمهنة ممكنة لهم . وكان الكورد الفيلية والشيعة يسيطرون على سوق بغداد الرئيسي (الشورجة) وسوق الصرافين بعد خروج اليهود من العراق ، وبعد زيارة رئيس الوزراء طاهر يحيى سوق الشورجة سنة 1964 ، [25] .(الازري، عبد الكريم ،1991، ص275–277). وسرعان ما اممت الحكومة (72) شركة صناعية (4)شركات تجارية و(5) شركات مصرفية . كانت هذه الخطوة تهدف الى حرمان الشيعة والكرد الفيلية من السلطة السياسية والهيمنة الاقتصادية .[26] .(شيركو كرمانج ،2015، الهوية والامة في العراق ، ترجمة عوف عبد الله ،اربيل ،ص172) .

المبحث الثاني : التهجير القسري واثاره على الكورد الفيلية

– مراحل التهجير واهدافه : –

في تموز عام 1968 سيطرة حزب البعث بمساندة القومين من الضباط في الجيش العراقي على مركز الحكم في العراق ، واول العقابات التي واجهها هو استمرار القتال في كردستان العراق بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وبعد عامين من القتال وقع زعماء الحركة الكردية مع البعثيون اتفاقية 11 / اذار 1970 ، التي كان

يتم تنفيذها بعد اربع سنوات تضمن للكرد تمثيلاً نسبياً في الحكومة المركزية ووتوزيعاً عادلاً لعائدات النفط [27] . (النص الكامل للاتفاقية ينظر : TOP SECRET UK FEYER ONLY)– (28) : – NO.P.R 6/10)

الا ان سرعان ما ساءت العلاقة بين حكومة البعث والكرد ، وتبخر مشروع الحكم الذاتي ولجأ لبعث إلى برنامج ممنهج للتعريب و التهجير القسري بترحيل آلاف الكورد عن مناطق سكناهم واسكان العرب بدل عنهم وكانت هذه السياسة ستراتيجية مدروسة تهدف الى تغير الهوية القومية للمناطق والمدن الكردية ومنها مدن الكورد الفيلية لتحقيق هدفيين : تعريب الأراضي والمدن الكوردية في مندلي وخانقين، وابعاد السيطرة الاقتصادية الكردية والشيعية عن بغداد. ولغرض تقليص نفوذ الكورد الفيلية في قطاعات التجارة والاقتصاد ، جرد نظام البعث خلال الفترة بين عامي 1968و1983اكثر من 200– 600 الف من الكورد الفيلية (*)من حق المواطنة وسحب جناسيهم واوراقهم الثبوتية وتمت مصادرة ممتلكاتهم وترحيلهم الى ايران كما اعتقل واختفى المئات منهم [29] .((فاضل البراك ، 1984، ص151–152؛ شيركو كرمانج ، 2015 ،ص 214) .وفي قضاء علي الغربي الذي شهد عملية تهجير قسري لبعض عوائل التجار الى ايران وحجز ممتلكاتهم بتهم مختلفة سنة 1969 .منها انتمائهم للحزب الشيوعي العراقي والاخربتهمة دعم الحركة الكردية مادياً والانتماء للحزب الديمقراطي الكردستاني ، كما جرت عمليات اغتيال واختفاء فردية لشباب الكورد الفيلية في بغداد وتحديدا في منطقة الصدرية ومنطقة الجميلة ذات الاغلبية الفيلية [30].(الجادري ، كافي سلمان مراد ، شاهدة).كما استمرت سلسلة التهجير للكورد الفيلية ، ففي سنة 1970–1971 تم تهجير (40) الف من الكورد الفيلين الى ايران كجزء من حملتها ضدالطائفة الشيعية [31].(مركز البيان للدراسات والتخطيط ،2016،ص13–14) .

وفي عام 1979 ابعد النظام البعثي الألاف من العرب الشيعة والكورد الفيليين وهم كرد من الناحية العرقية وشيعي المذهب تحت ذريعة انتمائهم لحزب الدعوة الاسلامي[32].(أماتيزيا بارام واخرون 2017، ص82).

* –اختلفت المصادر في تحديد اعداد الأسر اوافراد الكورد الفيلية المهجرة إلى إيران مع الأرقام التي أعلنتها إيران في استقبال أعداد المهجرين

– المرحلة الأخيرة من تهجير الكورد الفيلية سنة 1980.

في السادس عشر من تموز عام 1979 ، أعلن صدام حسين نفسه رئيساً للجمهورية العراق ورئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام للقوات المسلحة والامين القطري لحزب البعث ليكون صاحب اعلى منصب في العراق ، اضطر الرئيس احمد حسن البكر من تقديم استقالته نتيجة ضغوط صدام حسين عليه .

استهل صدام حسين منصبه بحملة معادية لجمهورية إيران الأسلامية بسلسلة من الجرائم منها القضاء على الحركة الاسلامية المتمثلة بحزب الدعوة في العراق ، واتهام العرب الشيعة والكورد الفيلية بأنتمائهم له.كان جهاز

المخابرات التابع لصدام يهي ء الاجواء لشن سلسله من العمليات التخريبية في العراق واتهام الشيعة والكورد الفيلية بأرتكابها ، منها الهجوم بقنابل على مسيرة طلبة الجامعة المستنصرية عند مرورها من امام المدرسة الايرانية في منطقة الوزيرية ببغداد وعلى اثر هذه الاحداث المفتعلة التي كان صدام يروم من ورائها دخوله في حرب طاحنة مع الجمهورية الاسلامية الفتية وكان اول الضحايا لهذه الحرب هم الكورد الفيلية وقيام مجلس قيادة الثورة باصدار قرار تشريعي رقم (666) في 1980/5/7 ، تضمن :

1- إسقاط الجنسية العراقية عن كل عراقي من أصل أجنبي اذا تبين عدم ولائه للوطن والشعب والاهداف القومية والاجتماعية العليا للثورة .

2- على وزير الداخلية أن يأمر بابعاد كل من أسقطت عنه الجنسية العراقية .

3- يتولى وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار [33] .(مجلس قيادة الثورة ،قرار 666في 1980/5/7). وكان المقصود من هذا القرار الكورد الفيلية ولم يصدر استناداً الى وقائع قانونية وتأريخية بل قرار سياسي جائر من جملة قرارات جائرة ضد الكورد [34].(الفيلي ، احمد ناصر ، 2014، الكورد الفيليون هموم العهد الجديد ، ص29).

جرى تطبيق هذا القرار فقط على الكورد الفيلية اصحاب الارض والمولودون عليها باعتبارهم أجانب –إيرانية – وغير موالين للوطن والثورة دون غيرهم من الأجانب في العراق .

في الحقيقة قيام وزارة الداخلية العراقية بحملة تسفير للكورد الفيلية في نيسان قبل صدور هذا القرار 666 السيء الصيت ، من خلال كتاب مديريات / محافظات وزارة الداخلية رقم –6315– في 1980/4/1 والذي جاء فيه قوائم باسماء واعداد المسفرين من كافة المحافظات العراقية التي يسكن فيها الكورد الفيلية وبلغ عددهم – 19,131– ، وبلغ –1,353– من 18–28عدد الموقوفين للفئة العمرية في مواقف المحافظات ، و 175 عسكرياً ارسلوا الى الانضباط العسكري [35] .(كتاب مديرية الشرطة العامة رقم 6315في 1980/4/21).هذه الارقام كانت بداية واستمرت عمليات التهجير حتى عام 1983،حيث ارتكب فيهم النظام ابشع الجرائم التي يندى لها جبين الانسانية تمثل تهجير اكثر مكن نصف مليون كوردي دون اقترافهم ذنب سوى انهم كرد وشيعة مع مصادرت اموالهم المنقولة والغير منقولة وسحب كل وثائقهم الرسمية التي تثبت عراقيتهم، وحجز ابنائهم من فئات عمرية من سن 15–45 في أقبية السجون الرهيبة ، فيهم من كان يخدم في الجيش العراقي تم أعتقالهم دون معرفة ذويهم بهم ولا يعرف مصيرهم إلى يومنا هذا يبدو تم أعدامهم وبشكل جماعي حيث كشفت المقابر الجماعية التي تم أكتشافها بعد سقوط النظام البعثي بلغ عددهم أكثر من **37** الف شاب من الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية [36]. (الفيلي ، احمد ناصر ، الكورد الفيليون بين الماضي والحاضر ،ص60) .

أما الأسر التي تم تسفيرها من النساء والأطفال وكبار السن إلى إيران ، والتي تم رميهم على الحدود العراقية –الإيرانية وسط ظروف جوية صعبة تعرضوا الى عمليات تهديد وسلب كل ما تبقى لديهم قليل من اموال

ومصوغات ذهبية من قبل قطاع الطرق ، واستمرت عمليات التهجير الى سنة 1983، اثناء الحرب العراقية – الايرانية وكانت اقسى من سابقتها حيث تم رمي الاسر المهجرة السير وسط الالغام اوتهجيرهم عن طريق شمال العراق في فصل الشتاء وتراكم الثلوج وهم عراة حيث توفي كثير منهم وتركهم في الجبال دون دفن [37].(حسين خضير مراد ، 2003، مقابلة) .

الغريب في قضية الكورد الفيلية كل الذي اقترفه النظام الصدامي بحقهم كان بشكل علني أمام مرأى ومسمع الأعلام المحلي والعالمي ، وصمتها وتسترها على هذه الجريمة التي تخطت كل قرارات والقوانين حقوق الأنسان ، على الرغم من المناشدات للصليب الاحمر الدولي التي كان تقوم بها الاسر الفيلية المهجرة في إيران تطلب فيها معرفة مصير أبنائها التي حجزهم النظام الصدامي في سجونه لم تلقى هذه المناشدات آذن صاغية [38] . (خضير مراد كاكي ،1989، مقابلة)

– التهجيرالقسري وأثاره الأجتماعية على الكورد الفيلية في سنتي 1970و1980 .

لم يتوف النظام البعثي عند التهجيروالأبادة الجماعية بحق الكورد الفيلية بل أخذ يمارس عمليات الحرب النفيسية والاجتماعية وتفكيك وهدم الاسرة الفيلية لمن تبقى منهم في العراق عن طريق اصدار سلسلة من القرارات منها منح مبلغ ثلاثة الاف دينار للرجل العربي المتزوج من كردية فيلية في حالة طلاقها وفي حالة عدم طلاقها يفصل من الوظيفة أن كان موظف ، فضلا عن حرمانه من المناصب في دوائر الدولة خصوصاً العسكرية والدبلوماسية ان كانت زوجته من الكورد الفيلية ، وهذه جريمة كانت أبشع من التهجير كان الهدف منها تفكيك بنية الأسرة الفيلية وتهديم كيان المجتمع العراقي ذات التنوع العرقي والطائفي والتعايش السلمي وتقسم المجتمع الى كيانات على أساس التكتل الطائفي الذي كان الكورد الفيلي متعايش ومتصالح مع كل القوميات والطوائف العراقية والمذهبية ، وتربطة أواصر النسب والعمل مع العرب بمختلف مذاهبهم ، خلف هذا القرار مشاكل كبير بين الاسر العراقية ذات الصلة بالكورد الفيلية وزرع الخوف وعدم الثقة بين الاسر الفيلية[39].(الخزرجي ، عبد راضي ، 1983)

وفي الوقت ذاته وبعد مرور على التهجير وأعتقال الشباب الفيلية اشهر وحتى الذين لم تسفر عوائلهم وهم جنود في المعسكرات قام بحجزهم في سجن ابو غريب وقرر أن تكون زيارة عوائلهم لهم مرة واحدة في الشهر وخصص يوم الثاني عشر من كل شهر موعد الزيارة في الواقع ما كان يجري في هذا اليوم يحتاج بحوث وليس بحث لما كان يمارسه جلاوزة السجن من حرب نفسية وأهانات ومذلة للأسر التي كانت تحترق شوقاً للقاء بأبنائها حتى أنتهاء الزيارة التي لا تتجاوز النصف ساعة [40] .(الجادري ، كافي سلمان مراد ،1982، شاهد عيان) .

ومن أساليب المحاربة النفسية للكورد الفيلية في عام 1983 ، أصدرت وزارة التربية العراقية قرار سري تحت أسم –السلامة الفكرية– إلى مديريات التربية في العراق كافة : يتضمن أبعاد معلمي ومدرسي الكورد الفيلية عن التعليم في المدارس وتحويلهم إلى موظفين أدارين والتأكيد على مدراء المدارس بتنفيذ القرار ومعاقبة من يتستر عليهم مما أدى بمدراء المدارس بالتبليغ بأنفسهم [41] . (الجادري ، كافي سلمان ، 1983 (شاهدة على واحدة من هذه الحالات في تربية الاعظمية عام 1983) .

كانت هذه الاساليب اللا أنسانية ولا أخلاقية التي مارسها النظام البائد وحاشيته من أفراد الأجهزة الأمنية القمعية تسببت في الخوف والعزلة لدى الأسر الفيلية وعدم والاختلاط مع بقية مكونات الشعب العراقي وعدم الافصاح عن قوميتهم الكوردية لاسيما في المدارس والجامعات وحرمانهم من التعليم العالي والدراسات العليا ، والسلك العسكري والدبلوماسي .

كما أجبر بعض العشائر الكوردية في خانقين ومندلي ومناطق جنوب العراق من تغير أسماء عشائرهم الكوردية والأنظمام إلى العشائر العربية، أي توزيعهم على العشائر العربية بهدف القضاء على كل ما يمت الكوردي الفيلي بقوميته واصله [42].(العباسي ، سردار جواد ، 1987)

– التهجير القسري واثره على الكوردي الفيلي في المهجر

ترك التهجير القسري للكورد الفيلية أثار سلبية أجتماعية واقتصادية وثقافية كبيرة لسنوات طويلة على حياتهم ، حيث وجدت الاسرة الفيلية بشكل مفاجيء قد خسرت كل ما كانت تملك في العراق من الرفاهية الأقتصادية ،والأستقرار الأجتماعي والثقافي ووجدت نفسها في مخيمات فاقدة لأبسط مقومات العيش تعيش على المساعدات والمنظمات الانسانية والدولية ، و بدون مستمسكات تثبت أنها إيرانية حتى تعترف بها السلطات الإيرانية وبدون هوية قومية وامام ثقافة مجتمع أخر لا يمكن أن تنصهر فيه بسهولة ، وأصبحت تعيش في عزلة أجتماعية وغتراب ثقافي وحرمان ابنئها من التعليم ومواصلت دراساتهم وعدم قبولهم في الجامعات لاسيما في إيران من حصولهم على التعليم العالي ، لذلك كثير من ابناء الكرد المهجرين تطوعوا في جبهات القتال مع الجيش الإيراني أملا في حصولهم على الجنسية الإيرانية التي يمكن أن تمنحهم بعض الحقوق أو حصولهم على فرصة عمل أفضل وكثير منهم قتلوا في تلك الحرب العراقية –الإيرانية ، و مع استمرار الحرب وانقطاع الأمل في سقوط نظام صدام أو أنتهاء الحرب والعودة إلى العراق أجبرت الأسر المهجرة الى ترك المخيمات والخروج إلى المدن الإيرانية بحثاً عن عمل وتحسين ظروفه الاقتصادية ، بعد أن كان في العراق يمتلك سكن يليق به ومحل تجاري او صاحب معمل يعمل فيه عشرات العمال ، وجد نفسه عامل أو أجير بمبلغ لا يسد قوته اليومي ليكسب عطف صاحب العمل الإيراني ، وتطوع قسم الأخر في

القطعات العسكرية والقتال إلى جانب القوات الإيرانية في الحرب الدائرة واستشهد عدد كبير من الشباب في هذه الحرب [43] . (ناجي عبد سلمان ، 1982) .

ومن الناحية الثقافية : الانتقال من مجتمع الأم إلى أخر الأستضافة ليس بالسهل ولا من حالات العابرة لان عملية التأقلم الثقافي والأندماج في المجتمعات الجديدة تتطلب أتقان لغات المهجر والتعرف على ثوابتها الثقافية وهذا يتطلب وقت طويل بالنسبة لكبار السن أما الصغار السن واليافعين تحولت إلى ذوبان وانصهار في ثقافة جديدة مع حرمانه ولسنوات طويلة من التعليم بسبب اللغة . [44].(الاركوازي ، فريدون كريم ملم واخرون، 2014، ص105) .

أخطر ما تركه التهجير القسري على الكورد الفيلية هو فقدانه هوية القومية الكوردية المتمثلة باللغة الأم التي انصهرت بين عدد من اللغات لمكونات المجتمع الأيراني بين الفارسية والعربية والتركية والاذرية والاختلاط عن طريق الزواج قد فقد ركن أخر من أركان الهوية الكوردية الثقافية هي ضياع اللغة والادب الكوردي والتراث الكوردي الاجتماعي ، وأصبح في إيران يطلقون عليهم بعرب، وهذه بحد ذاتها مشكلة . أضافة إلى التفكك الأسري عن طريق فشل الزواج وعدم الانسجام وقبول عادات أجتماعية لا تنسجم وما تربى علية داخل المجتمع العراقي[45]. (اسدي بور، ياسر، رضا،2008) .

بعد سقوط نظام البعث عام 2003 ، وتولى الحكم من قبل العراقيين لاسيما الشيعة التي لم ينصفهم النظام الجديد الذي كان ينتظرونه الكورد عامة والفيلية خاصة يكون بحجم تضحياتهم حيث كان يتطلعون الكرد الفيلية في كل تضحياتهم للأنسان ولحياة وكرامة تليق به ، وأن لاأحد فوق الآخرين والبشر سواسية ، وأن الجميع يخضعون للقانون ، ويتطلع الكرد الفيلية في تضحياتهم للتعبير عن أصرارهم الأنساني والمشروع في ابقاء صوتهم عالياً ، وأن يكون لهم الحق في بقاء هذا الصوت حالهم حال أي شعب بالعالم ،وأن تعاد حقوقهم المادية وممتلكاتهم التي صادرها النظام من بيوت ومحال وتم بيعها بالمزاد او التي اهديت لرجال الأمن وتحولت بأسماء اخرين وعندما سقط النظام وعادو إلى العراق وجدوا بيوتهم تسكنها اسر من اتباع النظام مما خلق مشكلة اخرى وكبيرة لهم في كيفية اعادتها او تعويضهم ماديا يتناسب وسعر البيت الذي قضى سنوات عمره فيه وتحمل جدرانها ذكريات ولادة ابناءه الذي لا يعرف مصيرهم [46].(للمزيد عن التهجير ينظر:البصري ، عامر صالح ، 2023،)

وبعد مرور تسع سنوات تمكنت الحكومة العراقية برئاسة السيد جلال الطالباني من اصدار قرار اعتبرت ما تعرض له الكورد الفيلية جريمة إبادة جماعية بكل ما يعنيه هذا التكييف من معنى [47] .(قرار رقم –6 – لسنة 2012).

- الخاتمة :

من أهم الحقائق التي تتجسد عملياً في العراق وجود عدة قوميات متآخية ومتعايشة ومنسجمة مع بعضها البعض ، ولكل قومية منها حقوق وواجبات ، ولايمكن بأي حال من الأحوال نقبل أو نسلم بسيطرة قومية على أخرى ، فلكل قومية كرامتها ، ولكل قومية خصوصيتها وتاريخها ومنها القومية الكردية ثاني اكبر قومية في العراق، بعد العربية ويشكل الكورد الفيلية الجزء الأكبر والاهم في هذه القومية حيث ساهمت وعبر تاريخ العراق السياسي المعاصر دور مهم في تحريره واستقلاله من سيطرة الاستعمار البريطاني عبر سلسلة من الانتفاضات التي شاركت فيهامع مكونات الشعب العراق كجزء من حركته النضالية التي قادت ثورة العشرين والتضحيات التي قدمتها في هذه الثورة التي ساهم فيها وجهاء وشيوخ مندلي وخانقين ،تضامناً مع اخوتهم في الوسط وجنوب العراق .

ان ما تعرض له الكرد الفيلية يجعلنا ندرك أن السلطات التي مرت في تأريخ العراق الحديث تعكزت على قوانين ونصوص لم يتم استعمالها وتطبيقها على غيرهم ، فهذه النصوص كان يراد لها أن تكون السيف الحاد الذي يمكن ان يذبحهم أو على الأقل يفتت تواجدهم وجمعهم في أي زمان تريده وتختار توقيته، تلك السلطات التي تعاقبت على حكم العراق عقاباً لهم على مواقفهم الوطنية المشرفة، وإضعافاً للموقف الوطني الشعبي العراقي ولمكانتهم الاقتصادية في العراق .

وذلك لمشاركة ابناء الكرد الفيلية في جميع التيارات السياسية التي ناضلت من أجل الوقوف بوجه الانظمة الطائفية ، ومنها النظام البعثي الذي تنكر لكل حقوق القوميات في العراق ومنها القومية الكردية بوجه عام والكرد الفيلية على وجه الخصوص الذي أرتكب اكبر جريمة في التاريخ وهي التهجير القسري بين عامي 1970و1980متجاوز كل الأعراف واللوائح الدولية الخاصة بحقوق الأنسان. بسلب ممتلكاتهم وأبنائهم وسط صمت أعلامي داخلي وخارجي ، ومحاولة الدول الغربية التستر على جرائم البعث ضد الفيلية خدمة لمصالحها مع نظام البعث في العراق .

كانت مشكلة الأكراد الفيلية في العراق قائمة مع السلطات التي رسمت علاقتها بهم من خلال التشكيك بوطنيتهم ، واتهامهم بالأنحياز الى دولة إيران بأعتبارهم جزء من التهمة الكاذبة والرخيصة التي يتم قذف الشيعة الجعفرية في العراق بها ، وأستحضار أتهامات لاأساس لها من الواقع .

قائمة المصادر العربية والمعربة

اولاً : الوثائق العراقية

1- د. و. ك.. كتاب مديرية الشرطة العامة رقم 6315في 1980/4/21.

2- د.و. ك. ، نص قرار مجلس قيادة الثورة ، ،قرار 666في 1980/5/7.

3- المديرية العامة للسفر والجنسية ، رقم 204في 2008.

4- د.و.ك . قرار رقم (6) لسنة 2012، الوقائع العراقية (جريدة) العدد (4231)، في 2012/2/27.

5- ثانياً- الوثائق الانكليزية

- : TOP SECRET UK FEYER ONLY

- NO.P.R 6/10

The Kurdish problem In Iraq .a

1963-1971,p36

ثالثً – المصادر العربية والمعربة

1- أماتيزيا بارام واخرون 2017، صراع الهويات في العراق ، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، بغداد.

2- البصري ، عامر صالح ، 2023،التهجير والنظام السياسي في العراق 1963-1991، بغداد .

3- الاركوازي ، فريدون كريم ملك ، واخرون ،2014، الفيليون الانتماء والمحنة ، الهيئة الوطنية العليا للمسائلة والعدالة ، بغداد.

4- الازري، عبد الكريم ،1991، مشكلة الحكم في العراق ، لندن .

5- زهير كاظم عبود، 2007،ا لمسؤولية القانونية في قضية الكورد الفيلين ، حوار التمدن ، محور الدراسات والابحاث القانونية.

6- شيركو كرمانج ،2015، الهوية والامة في العراق ، ترجمة عوف عبد الله ،اربيل .

7- العزاوي ، عباس ،2003 ،مخطوطة تاريخ الفيلية ، تحقيق وتعليق، الجاف ، حسين احمد علي ، منشورات المجمع العلمي العراقي

8- فاضل البراك، 1984،المدارس اليهودية والايرانية في العراق ، بغداد.

9- الفيلي ،احمد ناصر، (د.ت) ،الكورد الفيليون بين الماضي والحاضر ،مؤسسة شفق للثقافة والاعلامي للكورد الفيليين ،بغداد .

10- الفيلي ، احمد ناصر، 2014، ، الكورد الفيليون وهموم العهد الجديد ،ط1،دار الفارابي للطباعة والنشر ، بغداد .

11- الكورد الفيليون ، 2013 ، المركز الثقافي الفيلي للبحوث والدراسات ، ط1، بيروت .

12- مذكرات فؤاد عارف ، 2005، السليمانية .
13- مركز البيان للدراسات والتخطيط ،2016،المصالحة الوطنية في العراق دراسة مقارنة ، بغداد.
14- المركز الثقافي الفيلي للبحوث والدراسات ،2013،بيروت.
15- ناصر حسين ناصر ، 2005، محنة الاكثرية في العراق ..صفحات من ملف الطائفية السياسية ،بيروت .
16- ياسين شهاب شكري ،2021، تاريخ العراق الحديث ،بيت الحكمة ، بغداد .

رابعاً – **البحوث المنشورة**

17- ثورة العشرين ودور الفيلين فيها ،2012 ، التراث الفيلي (مجلة) العدد الرابع ، المركز الثقافي الاسلامي .
18- النفيس، احمد راسم ،2004، من هم الكورد الفيليون ؟ ، النبأ (مجلة) ، العدد 72، السنة العاشرة .
19- خامساً – شاهد عيان و مقابلات الشخصية
20- العباسي ، سردار جواد ، 1987.
21- الخزرجي ، عبد راضي ، 1983 .
22- الجادري ، كافي سلمان مراد ،1982، شاهدة على الاحداث.
23- الجادري ، كافي سلمان مراد ،1983، مديرية تربية الاعظمية الاولى
24- الجادري ، حسين خضير مراد ، 2003، بغداد .
25- خضير مراد كاكي ،1989، والد الشهيدين ، شاهد عيان .
26- ناجي عبد سلمان ، 1982، اخ الشهيدين
27- اسدي بور ، ياسر رضا ، 2008 .

التحليل المقارن لرسومات الأطفال من منظور علم النفس النمائى والتعبير الإبداعى والإدراک الداخلى استنادًا إلى نظريات (لوفينفيلد، كلاگ، بياجه، فرويد، وينيكات)

إعداد

د. كوسار رشيد أمين
قسم العلاقات الأكاديمية الدولية
رئاسة جامعة السليمانية
kosar.amen@univsul.edu.iq

م.م. نه وشيروان علي حسين
قسم الفنون التشكيلية
جامعة السليمانية
Nawshirwan.huseein@univsul.edu.iq

المستخلص:

تُعد رسوم الأطفال من أهم الأدوات التي تُمكّن الباحثين من فهم العالم الداخلي والعمليات الإدراكية والانفعالية لديهم. هذا النشاط الفني، لا سيما لدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (٥ و١٢) عاماً، يمثل نشاطاً يمزج بين اللعب، والتفريغ الانفعالي، والتعبير عن الذات، حيث يعكس صورة الطفل عن نفسه وأسرته وبيئته. تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مراجعة منهجية للأدبيات والبحوث السابقة المتعلقة بالتحليل النفسي لرسوم الأطفال، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الكيفي. جُمعت البيانات من خلال فحص المصادر المكتبية، وتحليل البحوث العلمية المحلية والدولية، ومقارنة النظريات الجوهرية في سيكولوجية النمو وفن الطفل. واستعرض البحث آراء مُنظرين أمثال "لونفيلد"، و"كيلوج"، و"بياجيه"، و"فرويد"، و"وينيكات" في تفسير الأبعاد المعرفية والوجدانية والرمزية لرسوم الأطفال. أظهرت النتائج أن الرسم في الطفولة المبكرة والمتوسطة أداة أساسية في تشكيل الهوية والتعبير عن اللاوعي. فالأطفال الأصغر سناً (٥–٧) سنوات يعبرون عن خيالهم ومشاعر الأمان أو القلق عبر الخطوط البسيطة والألوان القوية، بينما تصبح الرسوم في سن ٨–١٢ عاماً أكثر تنظيماً وواقعية من حيث البنية والعلاقات الفراغية. كما كشفت الدراسة أن اختيار الألوان، واتجاه الخطوط، وتوزيع العناصر، تحمل دلالات نفسية عميقة؛ حيث ترتبط الألوان الداكنة والخطوط المتراكمة بالقلق والتوتر، بينما تشير الألوان الزاهية والخطوط الحرة إلى الطمأنينة والثقة بالنفس. علاوة على ذلك، لوحظت فروق جندرية واضحة في اختيار الموضوعات. ختاماً، تخلص الدراسة إلى أن الرسم يتجاوز كونه نشاطاً جمالياً، ليعمل كأداة نفسية متعددة الأبعاد لتقييم النمو الانفعالي

والمعرفي بطريقة غير لفظية. ويمكن لتفسير هذه الرسوم أن يؤدي دوراً فعالاً في مجالات التربية، والإرشاد النفسي، والكشف المبكر عن الاضطرابات السلوكية، والعلاج بالفن.
الكلمات المفتاحية: رسوم الأطفال، علم نفس النمو، بحث مرجعي، التحليل الكيفي، النمو الانفعالي، الفروق الجندرية، العلاج بالفن.

Abstract:
Children's drawings serve as paramount diagnostic tools, enabling researchers to decode the inner world and the perceptual-emotional processes of a child. This artistic endeavor, particularly among children aged (5 to 12), integrates play, emotional catharsis, and self-expression, reflecting their perception of self, family, and environment. This study aims to provide a systematic review of literature and previous research concerning the psychological analysis of children's drawings, utilizing a descriptive-analytical qualitative approach. Data were gathered through an extensive library review of domestic and international scientific studies, comparing core theories in developmental psychology and child art. The research examines the perspectives of theorists such as Lowenfeld, Kellogg, Piaget, Freud, and Winnicott regarding the cognitive, emotional, and symbolic dimensions of children's artwork. The findings indicate that drawing during early and middle childhood is a fundamental instrument for identity formation and unconscious expression. Younger children ages (5–7) typically employ simple lines and bold colors to convey imagination and feelings of security or anxiety. Conversely, from ages (8 to 12), drawings become more structured and realistic in terms of spatial relationships. Furthermore, color selection, line orientation, and spatial positioning carry profound psychological significance; dark colors and dense lines often correlate with tension, while bright colors and fluid lines signify tranquility and self-confidence. Gender differences also emerge in thematic preferences. Ultimately, this study concludes that drawing functions beyond aesthetics, serving as a multidimensional, non-verbal tool for assessing emotional and cognitive development. Interpreting these drawings can be effectively utilized in education, psychological counseling, early detection of behavioral disorders, and art therapy.
Keywords: Children's Drawings, Developmental Psychology, Review Research, Qualitative Analysis, Emotional Growth, Gender Differences, Art Therapy.

١. المقدمة(Introduction):

١,١. خلفية الدراسة وبيان المشكلة(Background and Problem Statement):

تعود بواكير الدراسات العلمية الرصينة المتعلقة برسوم الأطفال إلى القرن التاسع عشر. وقد خضع جانب كبير من تلك البحوث الأولية لمراجعة نقدية شاملة من قِبل "هاريس(Harris) "، حيث ساهمت جهوده، وجهود أقرانه، في تعميق فهمنا لهذا المجال. ويبدو أن ثمة افتراضاً مشتركاً بين العديد من الباحثين مفاده أن رسم الطفل ليس سوى تجسيد مادي للصورة الذهنية المتشكلة في عقله؛ ومن ثم، تُعد رسوم الأطفال بمثابة "نافذة" تطل على عوالمهم الفكرية والوجدانية العميقة.

وفيما يخص الاستعراض التاريخي والنظري، يمكن الإشارة بإيجاز إلى مراحل متميزة في تاريخ البحث السيكولوجي لرسوم الأطفال، ترتبط كل منها بتوجه نظري محدد. ففي الفترة الممتدة من عام ١٨٨٥ حتى عشرينيات القرن الماضي، ظهر اهتمام عالمي بوضع تصنيفات فنية لرسوم الأطفال، حيث بُذلت جهود حثيثة في دول عدة لجمع الرسوم العفوية وتوصيفها وتبويبها (نظري، جعفر ٢٠١٨: ٨). وبناءً على ذلك، استقرت رسوم الأطفال كمصدر حيوي للاستبصار السيكولوجي وسبر أغوار النفس البشرية في مراحلها الأولى.

١,٢. أهمية البحث ومبرراته(Significance and Necessity of the Research):

يحتل الرسم، بوصفه أداة جوهرية للتعبير غير اللفظي، دوراً محورياً في عمليات النمو، والاستكشاف الذاتي، والتفاعل مع البيئة المحيطة. فهذا النشاط الإبداعي لا يعكس المهارات الحركية والبصرية للطفل فحسب، بل يعمل كـ "مصفاة إدراكية" ووثيقة سيكولوجية تكشف عن البنى الذهنية، والصراعات اللاشعورية، والحالة الانفعالية للطفل، لا سيما في المراحل العمرية الحرجة من (٥ إلى ١٢) سنة. من هنا، يتجاوز تحليل الرسوم كونه موضوعاً فنياً صرفاً، ليصبح مجالاً بينياً (Interdisciplinary) حيوياً يتقاطع فيه علم النفس الارتقائي(Developmental Psychology) ، والتحليل النفسي، والعلاج بالفن. تهدف هذه الدراسة إلى إجراء تحليل مقارن ومنهجي استناداً إلى أراء خمسة من أبرز المنظرين، لفحص الأبعاد الثلاثة لرسوم الأطفال (المعرفية، التعبيرية، والانفعالية–الباطنية) ضمن إطار تفسيري متكامل.

١,٣. أهداف البحث(Research Objectives):

تقديم تحليل مقارن وتوليفي لنظريات كل من (لوونفلد، وكلاغ، وبياجيه، وفرويد، ووينيكوت)؛ بهدف صياغة نموذج شامل لتفسير الأبعاد الثلاثة (الارتقائية، التعبيررسوم الأطفال في المرحلة العمرية ما بين (٥–١٢) عاماً.

١,٤. تساؤلات البحث(Research Questions):

١,٤,١. السؤال الرئيسى:

كيف يمكن، من خلال الدمج والتحليل المقارن لرؤى لوونفيلد، كيلوج، بياجيه، فرويد، ووينيكوت، الوصول إلى نموذج تفسيري شامل لاستيعاب الأبعاد المعرفية والتعبيرية والتحليلية النفسية لرسوم الأطفال (٥–١٢) عاماً؟

١,٤,٢. السؤال الفرعي:

ما هي الدلالات السيكولوجية التي تعكسها الفروق الجنسية في الموضوعات المختارة (العلاقات الإنسانية مقابل الأنشطة الحركية) والتنظيم الفراغي في رسوم الأطفال ما بين (٥ و١٢) عاماً؟

١,٥. فرضيات البحث(Research Hypotheses):

١,٥,١. الفرضية الرئيسة:

يؤدي التحليل المقارن لنظريات لوونفيلد، كيلوج، بياجيه، فرويد، ووينيكوت إلى صياغة نموذج تفسيري شامل يعزز القدرة على التحليل الثلاثي (النمائي، التعبيري، والوجداني) لرسوم الأطفال (٥–١٢) عاماً بشكل جوهري مقارنة بالاعتماد على النظريات الأحادية.

١,٥,٢. الفرضيات الفرعية:

تظهر الفروق الجنسية في موضوعات الرسم (الفتيات: العلاقات؛ الفتيان: الأنشطة) بشكل أكثر جلاءً في الفئة العمرية من (٨ إلى ١٢) عاماً، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنماط تحديد الهوية الجندرية لديهم.

١,٦. منهجية البحث(Research Methodology):

تُصنف هذه الدراسة من حيث الهدف كبحث "تطبيقي–أساسي"، ومن حيث الطبيعة تعتمد المنهج "الوصفي–التحليلي–النوعي" مع التركيز على "المراجعة المنهجية للأدبيات (Systematic Literature Review)". يشمل مجتمع البحث رسوم الأطفال (٥–١٢) عاماً المستمدة من الدراسات المحلية (كالمقالات المنشورة في SID و MagIran) والدولية (مثل PubMed, PsycINFO, Google Scholar).

١,٧. تعريف المفاهيم المحورية(Definition of Key Concepts):

١,٧,١. رسوم الأطفال(Children's Drawings):

- التعريف الإجرائي: هي التمثيلات الجرافيكية التلقائية وغير اللفظية التي ينتجها الأطفال في سن (٥–١٢) عاماً، وتشمل التخطيطات، والأشكال، ورسم الأشخاص، والأسرة، والبيئة، وتُعامل بوصفها "إسقاطاً (Projection) "للعالم الداخلي.

١,٧,٢. علم النفس الارتقائي(Developmental Psychology):

- التعريف المفاهيمي: فرع من فروع علم النفس يعنى بدراسة التغيرات الفيزيائية، والمعرفية، والانفعالية، والاجتماعية عبر مراحل الحياة. ويشير في هذا البحث إلى مراحل النمو الفني (عند لوونفيلد) والنمو المعرفي (عند بياجيه).

١,٧,٣. التعبير الإبداعي(Creative Expression):

- التعريف الإجرائي: السمات التعبيرية والأسلوبية في الرسم (مثل أصالة التصميم، وطلاقة الخطزوط، والاستخدام العاطفي للألوان) التي تشير إلى قدرة الطفل على توظيف الرسم للتعبير المتفرد عن تجاربه الداخلية (وفقاً لمنظور لوونفيلد).

١,٧,٤. الإدراك الباطني/اللاشعور (Internal/Unconscious Perception):

- التعريف المفاهيمي: ذلك الجزء من العمليات الذهنية والانفعالية للطفل (مثل الصراعات، المخاوف، والرغبات) التي لا يدركها الوعي، ولكن يتم إسقاطها في المحتوى الرمزي والبنية

الهيكلية للرسوم (استناداً إلى فرويد ووينيكوت).ية، والتحليل–نفسية في رسوم الأطفال ضمن الفئة العمرية (٥–١٢) سنة.

٢. الإطار النظري ومراجعة الرؤى الجوهرية (Theoretical Framework and Review of Key Perspectives):

يُعد الرسم من بين أنشطة الأطفال الأكثر تأثراً بالنمو المعرفي، والوجداني، والاجتماعي؛ ولهذا السبب، يُستخدم على نطاق واسع كأداة تشخيصية وعلاجية في علم النفس السيكولوجي (كرمن، ترجمة: دادستان ومنصور). ولإدراك التعقيدات الكامنة في رسوم الأطفال، يغدو من الضروري إجراء توليف بين الرؤى المختلفة لعلم النفس الارتقائي والتحليل النفسي. وفي هذا الصدد، تعتمد هذه الدراسة على نظريات كل من (لوونفيلد، كيلوج، بياجيه، فرويد، ووينيكوت) كركائز أساسية للتحليل:

٢,١. **أولاً:** فيكتور لوونفيلد(Viktor Lowenfeld - 1903-1960):

٢,١,١. تحليل شامل للمرتكزات النظرية: مراحل النمو التعبيري (Creative and Mental Growth)

يُعتبر فيكتور لوونفيلد المعماري الحديث للتربية الفنية وسيكولوجية فن الطفل. إن كتابه المرجعي "النمو الخلاق والذهني(Creative and Mental Growth) "، الذي نُشر لأول مرة عام ١٩٤٧، أحدث تحولاً في "البراديم" السائد، حيث نقل النظر إلى رسم الطفل من مجرد "محاكاة بحتة" إلى "تعبير تلقائي عن الذات.(Lowenfeld & Brittain, 1987) "

٢,١,٢. التحليل الارتقائي لفن الطفل (٥–١٢) سنة من منظور لوونفيلد:

يركز هذا القسم على الفئة العمرية ما بين (٥ و١٢) عاماً، وهي الفترة التي تشمل في نظرية لوونفيلد أدق مراحل الانتقال من "الخيال المحض" إلى "الواقعية"، مع التركيز على تحليل بنية الفضاء والشكل. في هذه المرحلة، يتجاوز الطفل "المرحلة ما قبل الرمزية" نحو الاستقلال البصري، وهو ما يصفه لوونفيلد بـ"العصر الذهبي" للربط بين الذاتية والموضوعية.

٢,١,٢,١. مرحلة ما قبل المخطط (Preschematic Stage) (٥–٧) سنوات:

يبدأ الطفل في هذه المرحلة بوعيٍ تام في إيجاد روابط بين الرسم والعالم الخارجي.

- البحث عن الرمز: يسعى الطفل لصياغة "مخطط (Schema) "لتمثيل الإنسان أو الأشياء. وغالباً ما تكون الرموز الأولى هي "الإنسان الشرغوفي(Tadpole people) "، حيث يندمج الرأس والجذع.(Lowenfeld & Brittain, 1987)

- الفضاء العائم: تظهر الأشياء معلقة في الصفحة دون علاقة مكانية منطقية؛ ويعزو لوونفيلد ذلك إلى "التمركز حول الذات(Egocentrism) "، حيث يرى الطفل نفسه مركزاً للكون، ولم تتبلور لديه بعد مفاهيم العمق والاتجاهات (منصور، ١٣٨٩).
- الإحالة السياقية للون: يؤكد لوونفيلد أن اللون في هذه المرحلة له دلالة "وجدانية" أكثر منها "واقعية"؛ فقد يرسم الطفل الشخص المحبب لديه بلونه المفضل، لا بلونه الحقيقي (Lowenfeld, 1957).

٢,١,٢,٢. المرحلة المخططة أو الرمزية (Schematic Stage) (٧-٩) سنوات:

تجسد هذه المرحلة الوصول إلى "مفهوم ثابت" للبيئة.

- ظهور خط الأرض: (Base Line) هو الاكتشاف الأهم في هذا السن، حيث يعكس وعي الطفل بعلاقته بالبيئة وبالآخرين، ويرمز وفقاً للوونفيلد إلى "النظام الاجتماعي" والاستقرار الفيزيائي (دادستان، ١٣٨٩).
- ظاهرة الأشعة السينية: (X-Ray Pictures) يرسم الطفل ما في الداخل وما يعرفه (مثل محتويات البطن أو ما خلف جدران المنزل). يرى لوونفيلد في ذلك مؤشراً على "الواقعية الذهنية(Mental Realism) "، حيث تطغى معرفة الطفل على مشاهدته البصرية (Lowenfeld & Brittain, 1987).
- الزمان والفضاء: تظهر مفاهيم "التسلسل الزمني" (رسم عدة أحداث في صفحة واحدة)، مما يشير إلى تطور القدرة السردية (فراى، ١٣٨٦).
- المبالغة والحذف: يرى لوونفيلد أن المبالغة في حجم الرأس أو حذف اليدين ليس "خطأً فنياً"، بل تعبيراً عن "الأهمية الوجدانية" للعضو أو "الإهمال الذهني" له، وهو ما يسميه "تجسيد القيم الداخلية.(Lowenfeld & Brittain, 1987, p. 185) "

٢,١,٢,٣. مرحلة فجر الواقعية أو الجماعة (Dawning Realism) (٩-١٢)سنة:

يتخلى الطفل هنا عن المخططات المتكررة ويتجه نحو التفاصيل والاستقلالية.

- الوعي بالجماعة: يصل تأثير الأقران إلى ذروته، وتتحول الرسوم من الرمزية إلى "الواقعية البصرية". يستبدل الطفل "خط الأرض" بمفهوم "الأفق" و"سطح الأرض (Lowenfeld, 1957) ".
- أزمة النقد الذاتي: عند سن (١١-١٢) عاماً، يصبح الطفل ناقداً حاداً لأعماله، ساعياً لمحاكاة الواقع بدقة. ويحذر لوونفيلد من أن عدم تشجيع الطفل في هذه المرحلة قد يؤدي به إلى ترك الفن نهائياً.
- التميز الجندري: يبرز التمايز في الملابس والخصائص الجنسية والتفاصيل الشخصية، مما يعكس نضج الهوية الفردية (شريفى، ١٣٩٢).

٢,١,٣. تحليل الإدراك الباطني, النمط "البصري" مقابل "اللمسي (Haptic vs. Visual):

يرى لوونفيلد أن التمايز بين نمطين إدراكيين يتضح في سن (٩-١٢) عاماً:

- النمط البصري (Visual): يعتمد هؤلاء الأطفال في تقدير الأحجام على "المنظور" والبعد والقرب، ويسعون لتمثيل بصري (Optical) للعالم.
- النمط اللمسي (Haptic): يعتمد تقدير الحجم عندهم على "الأهمية العاطفية". إذا رسم الطفل يداً كبيرة، فذلك لأنها تقوم بفعل حيوي أو لمسٍ مهم، وليس لأنها قريبة من الناظر.
- ملحوظة سيميائية: من منظور سيميائي، تُعد هذه المبالغات "علامات جسدية (Bodily Signs) تنتقل مباشرة من الجهاز العصبي والعواطف إلى القلم، دون المرور بمرشح "المنطق البصري.(Lowenfeld, 1945) "

٢,١,٤. التطبيقات العلاجية: الفن بوصفه "إسقاطاً(Projection) "

- تكامل الذات:(Self-Integration) يتيح الرسم للطفل تجميع شظايا تجاربه في صفحة متسقة، مما يعزز "الأنا.(Ego) "
- العلاج عبر المبالغة: (Exaggeration) تُعد المبالغة في رسم عضو معين (كأيدي الأب الكبيرة) مفتاحاً لفهم بؤر القلق أو الأهمية الوجدانية، مما يساعد المعالج على تفكيك العقد العاطفية.
- المرونة الذهنية: يهدف العلاج بالفن عند لوونفيلد إلى زيادة المرونة؛ فالطفل القادر على إضافة تفاصيل جديدة وتجاوز القوالب النمطية يتمرن في الواقع على التكيف مع العالم الواقعي.

٢,٢. **ثانياً**: رودا كيلوج (Rhoda Kellogg - 1898-1987):

٢,٢,١. تحليل شامل لنظرية رودا كيلوج في فن الطفل:

خلصت كيلوج، بعد دراسة وتصنيف أكثر من مليون رسمة لأطفال من مختلف أنحاء العالم، إلى أن فن الطفل هو "لغة بصرية عالمية" تضرب بجذورها في البيولوجيا وبنية الدماغ، وليس في الثقافة أو التعليم .(Kellogg, 1969) فالرسم هو الوسيط الذي يختبر الطفل من خلاله قضايا الحياة ويبني "الذات"، حيث تعكس الخطوط عالمه الانفعالي (كَراث مارنات، ٢٠٠٣).

٢,٢,٢. الفئة العمرية ٥-١٢ سنة (تثبيت الشكل وزواله):

ترى كيلوج أن هذه السنين هي فترة الصراع بين "النظام البصري الداخلي" و"المعايير الخارجية المفروضة."

٢,٢,٢,١. المرحلة التصويرية المتقدمة (Pictorialism) (٥–٧) سنوات:

يقوم الطفل بـ"إعادة تركيب (Recombination) "للأشكال التي تعلمها سابقاً بدلاً من محاكاة الطبيعة.

- التشخيص الشكلي: (Formal Anthropomorphism) تُبنى الصور الآدمية من دمج "الدوائر الشمسية" والخطوط المتوازية؛ فالطفل لا يسعى لقول "هذا هو شكل والدي"، بل "لقد تعلمت هندسة تمثيل الإنسان" (كلاگ، ١٣٨٧).
- التماثل والتعادل: تركز كيلوج على "التوازن الثنائي" في الرسوم؛ فإذا رسم الطفل شجرة في جهة، يضع عنصراً موازناً في الجهة الأخرى، مما يعكس "إدراكاً باطنياً" للهرمونية (Kellogg, 1970).

٢,٢,٢,٢. الانتقال إلى الواقعية و"أزمة النقل" (٧–١٠) سنوات:

- زوال الأشكال الأصيلة: لاحظت كيلوج أنه عند سن (٧–٨) سنوات، يبدأ الأطفال في التخلي عن "الماندالا" والأنماط الهندسية الفطرية لصالح تقليد نماذج الكبار. وتصف كيلوج هذا الأمر بـ"الكارثة الجمالية"، حيث يهبط الطفل من "ابتكار الشكل" إلى "التمثيل النمطي (Kellogg, 1969)".
- تثبيت القوالب النمطية: (Stereotypes) تصبح الرسوم "رتمية" ومكررة خوفاً من النقد، ويلجأ الطفل إلى رموز جاهزة (مثل المنزل ذو السقف المثلث والمدخنة) التي تفتقر للقيمة البصرية الإبداعية.

٢,٢,٢,٣. سن (١٠–١٢) سنة, نهاية العفوية البصرية:

تؤكد كيلوج أن معظم الأطفال يهجرون الرسم عند سن الـ (١٢) لعدم قدرتهم على جسر الهوة بين "إدراكهم البصري المعقد" و"قدراتهم التقنية."

- النزعة الكمالية البصرية: يدرك الطفل أن أنماطه الهندسية القديمة لم تعد كافية لتمثيل الواقع.
- سطوة الثقافة على الشكل: تصبح الرسوم متأثرة بشدة بالثقافة والإعلام والتعليم الرسمي، وتفقد طابعها العالمي. وهنا تتفق مع لوونفيلد في تسمية هذه المرحلة بـ"أزمة الإبداع (Kellogg, 1970)".

٢,٢,٣. مورفولوجيا الانتقال من التقاليد البصرية:

ترى كيلوج أن الطفل يتحول في هذه المرحلة من "فنان بيولوجي" إلى "صانع ثقافي"، وهذا التحول ليس تقدماً بالضرورة، بل قد يكون "قمعاً للعبقرية البصرية" الفطرية.(Kellogg, 1969)

٢,٢,٤. مفهوم "إعادة الإنتاج الشكلي" والذاكرة البصرية (٥–٨) سنوات:

خلافاً لبياجيه، ترى كيلوج أن الطفل يرسم بدافع "اللذة البصرية الناتجة عن التكرار."

- أنماط الاستقرار: (Stability Patterns) تكرار الأشكال المتقنة يهدف لتثبيت "التوازن العصبي–البصري" في الدماغ.
- التطور من الماندالا إلى الهياكل الشعاعية: توضح كيف تتحول الماندالا إلى أزهار وعجلات ونوافذ، معتبرة أن رسم "الشمس بشعاع منتظم" هو تمرين على "التماثل الشعاعي" كأصل جمالي أصيل.

٢,٢,٥. نقد النظم التعليمية "الفن بوصفه محاكاة" (٨–١٢) سنة:

تعترض كيلوج بشدة على دور المدرسة في فرض "المنظور" والواقعية، مما يقطع صلة الطفل بمخزونه الشكلي الفطري.

- فقدان أصالة الخط: تتحول الخطوط الجسورة إلى خطوط مترددة وباهتة بسبب "الخوف من الخطأ في التمثيل."
- تأثير الأيقونات الثقافية: يبدأ الأطفال برسم الشخصيات الكرتونية والرموز المتفق عليها اجتماعياً (مثل الطيور على شكل رقم ٧)، وهو ما تعتبره كيلوج "موتاً للتعبير البصري" لصالح "العلامات العرفية" (كلاگ، ١٣٨٧؛ شريفی، ١٣٩٢).

٢,٣. **ثالثاً**: جان بياجيه (Jean Piaget - 1896-1980):

٢,٣,١. تحليل شامل لنظرية جان بياجيه في فن الطفل (٥–١٢) سنة:

يرتبط الرسم في نظرية بياجيه ارتباطاً عضوياً بمراحل النمو المعرفي (Cognitive Development). ففي المراحل المبكرة، يرسم الطفل بناءً على "الواقعية الفكرية (Intellectual Realism) " - أي يرسم ما يعرفه لا ما يراه– ثم ينتقل تدريجياً نحو "الواقعية البصرية (Visual Realism) " التي تُعد من سمات مرحلة العمليات العينية. وتعد الفئة العمرية (٥–١٢) سنة في منظوره هي فترة الانتقال الجوهري من "التفكير ما قبل الإجرائي" إلى "العمليات العقلية العينية " (Piaget & Inhelder, 1969).

٢,٣,٢. مرحلة الواقعية الفكرية (Intellectual Realism) (٥–٨) سنوات:

- رسم المعارف لا المشاهدات: يرسم الطفل الخصائص الجوهرية للشيء كما هي مخزنة في ذهنه؛ فإذا طُلب منه رسم وجه جانبي(Profile) ، قد يرسم عينين لأنه "يعرف" أن الإنسان يمتلك عينين (منصور، ١٣٨٩).
- ظاهرة الشفافية (Transparency): يفسر بياجيه هذه الظاهرة (مثل رسم الجنين داخل البطن) بعدم وجود تمايز بين "الداخل" و"الخارج" في البنية المنطقية للطفل، وعجزه عن حصر رؤيته في زاوية بصرية محددة.(Piaget, 1951)

- التمركز حول الذات (Egocentrism): يكون الرسم في هذه المرحلة "ذاتوياً"، حيث يفترض الطفل أن الطريقة التي يرى بها الأشياء هي الطريقة الوحيدة التي يراها بها العالم أجمع (Piaget & Inhelder, 1956).

٢,٣,٣. مرحلة الواقعية البصرية (Visual Realism) (٨-١٢) سنة:

- إدراك العلاقات الفراغية والمنظور: يبدأ الطفل في استيعاب أن الأشكال تتغير بناءً على المسافة وزاوية الرؤية، وتظهر في رسومه نسب مكانية دقيقة (أمام، خلف، فوق) (دادستان، ١٣٨٩).
- انحسار الشفافية والمبالغة: مع نضج المنطق البصري، تختفي الشفافية؛ إذ يتعلم الطفل أن ما لا يُرى بصرياً لا يجب رسمه، وهو ما يعد مؤشراً على "الموائمة (Accommodation) "مع الواقع الخارجي.
- الواقعية الموضوعية: عند سن (١١-١٢) عاماً، يصل الطفل إلى واقعية تعكس قدرته على إجراء العمليات المنطقية والرياضية المجردة(Piaget & Inhelder, 1969).

٢,٣,٤. مفهوم "الصورة الذهنية" والرسم:

يميز بياجيه بين نوعين من الصور الذهنية:

- الصور النسخية (Reproductive): حيث يكتفي الطفل بإعادة إنتاج ما سبق له رؤيته.
- الصور الاستباقية (Anticipatory): تظهر في سن (٧-٨) سنوات، حيث يتوقع الطفل حركات الأشياء ويرسمها (مثل رسم كأس في حالة سقوط)، وهي نقطة تحول نحو الذكاء التجريدي.

٢,٣,٥. التحليل الإدراكي الباطني:

يرى بياجيه الرسم كـ نسق سيميائي(Sign-Symbol System):

- في سن (٥-٧) سنوات: الرسم هو "رمز (Symbol) "شخصي ووجداني.
- في سن (٨-١٢) سنة: يتجه الرسم نحو "العلامة(Sign) "، حيث يصبح أكثر عرفية وخضوعاً للقوانين المنطقية والبصرية.

٢,٣,٦. الهندسة الذهنية والإدراك الفضائي:

يوضح بياجيه انتقال الرسم من "النظام الطوبولوجي" إلى "النظام الإقليدي (Piaget & Inhelder, 1956) ":

- الفضاء الطوبولوجي (٥-٧) سنوات: يهتم الطفل بالعلاقات المكانية مثل "الجوار"، "الانفصال"، و"الاحتواء" (مثل وضع العين "داخل" الوجه) بغض النظر عن دقة الشكل الهندسي.

- الفضاء الإقليدي والإسقاطي (٨–٩) سنوات: (يبدأ إدراك الخطوط المتوازية والزوايا والنسب الثابتة، والقدرة على تمثيل الأشياء ضمن إحداثيات مكانية دقيقة).

٢,٤. **رابعاً**: زيجموند فرويد(Sigmund Freud - 1856-1939):

٢,٤,١. تحليل شامل لنظرية فرويد في فن الطفل:

ينقلنا منظور فرويد من سياق "الشكل والذكاء" إلى أغوار "اللاشعور" و"آليات الدفاع". فالرسم عنده ليس مجرد نمو حركي، بل هو "تجلي رمزي" للقوى الداخلية والصراعات النفسية. تشمل هذه الفترة نهاية "المرحلة الأوديبية" والدخول في مرحلة الكمون.(Latency Period)

٢,٤,٢. الرسم بوصفه تسامياً(Sublimation):

يُعد الرسم أرقى أشكال التسامي، حيث تتحول الدوافع الغريزية (الجنسية أو العدوانية) إلى نشاطات فنية واجتماعية مقبولة. في "مرحلة الكمون" (٥–١٢ سنة)، يُسخّر الطفل طاقته الليبيدية في التعلم واكتساب المهارات، ويصبح الرسم أداة لاحتواء القلق وتحويله إلى صيغ مقبولة (فرويد، ١٣٨٢).

٢,٤,٣. إشباع الرغبات والإسقاط(Projection):

- ٥–٧ سنوات: قد تتضمن الرسوم رموز القوة والمنافسة (أبطال، وحوش) كتعبير عن الدوافع الأوديبية.
- ٨–١٢ سنوات: يصبح الإسقاط أكثر دقة؛ فقد تعكس التفاصيل (مثل الأسوار العالية حول المنزل) حاجة الطفل للأمن أو خوفه من الاقتحام الخارجي (دادستان، ١٣٨٩).

٢,٤,٤. الرمزية العالمية والشخصية:

- الرموز الجندرية: تُحلل الأشياء المدببة والأبراج كرموز ذكرية(Phallic) ، بينما تُحلل الأشياء المجوفة والبيوت كرموز أنثوية.
- تحليل المنزل والشجرة: يُعد "المنزل" رمزاً لـ "الأنا (Ego) "وللفضاء النفسي الأسري؛ فطريقة رسم الأبواب (مفتوحة أو مغلقة) تعكس مدى انفتاح الطفل الاجتماعي.

٢,٤,٥. مرحلة الكمون والفن "المنضبط" (٩–١٢) سنة:

مع تقوي "الأنا الأعلى(Superego) "، تصبح الرسوم أكثر انضباطاً وتفصيلاً. ويرى فرويد أن الرغبة في "الرسم الصحيح" –التي انتقدها كيلوج ولوونفلد– هي في الواقع "آلية دفاعية" للسيطرة على الاضطرابات اللاشعورية (منصور، ١٣٨٩).

٢,٤,٦. التحليل البنيوي (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) على الورق:

- المنطقة العليا: ترتبط بالمثالية والأنا الأعلى والخيال.
- المنطقة السفلى: ترتبط بالغرائز (الهو) والماديات.

- المركز: يمثل الأنا ومستوى التوازن النفسي.

٢,٥. **خامساً:** دونالد وينيكوت(Donald Winnicott - 1896-1971):

٢,٥,١. الفضاء الانتقالي واللعب الإبداعي (Transitional Space and Creative Play):

يركز وينيكوت، من خلال مدخله القائم على "علاقات الموضوع(Object Relations) "، على وضع الرسم ضمن إطار "الفضاء الانتقالي (Transitional Space) "واللعب الإبداعي. ويرى أن الرسم نشاطٌ يستكشف الطفل من خلاله الحدود الفاصلة بين الواقع الداخلي والخارجي ويقوم بإدارتها. الرسم في نظرية وينيكوت أداة حيوية لتطوير "الذات الحقيقية (True Self) "وتجلياً صحياً لقدرة الطفل على "أن يكون وحيداً (Capacity to be alone) "في حضور الآخر.(Winnicott, 1971)

٢,٥,٢. تحليل شامل لنظرية وينيكوت في فن الطفل (٥-١٢) سنة:

ينقلنا تحليل وينيكوت من الأجواء المشحونة بالصراعات في التحليل النفسي الكلاسيكي (فرويد) إلى منحى أكثر سلماً وإبداعاً. وينيكوت، بصفته طبيباً للأطفال ومحللاً نفسياً، لم يرَ في الرسم مجرد أداة لاستجلاء الصراعات، بل حيّزاً لـ "الوجود" و"الخلق". وتعد المرحلة العمرية (٥-١٢ سنة) في نظريته هي فترة ترسيخ قدرة الطفل على استخدام "الموضوعات الثقافية" وتوسيع "فضاء اللعب."

٢,٥,٣. الرسم بوصفه "ظاهرة انتقالية(Transitional Phenomenon) ":

يُعد "الفضاء الانتقالي" المفهوم الأكثر محورية في أبحاث وينيكوت حول الفن:

- التحليل: يُشكل الرسم للطفل في هذه المرحلة "منطقة بينية"؛ فالورقة لا تنتمي كلياً لعالم الطفل الداخلي، ولا هي جزءٌ من العالم الخارجي الموضوعي، بل هي فضاء يمتلك فيه الطفل قدرة "خلق العالم."
- الدلالة الارتقائية: قدرة الطفل في هذه السن على الرسم بانسيابية تعكس نجاحه في بناء جسر بين "الأنا الداخلية" و"المجتمع". ويرى وينيكوت أن العجز عن الرسم أو "رهاب الورقة البيضاء" في هذه السن يُعد مؤشراً على القلق في إقامة علاقة مع الواقع (Winnicott, 1987).

٢,٥,٤. تقنية "لعبة الخربشة(The Squiggle Game) ":

استخدم وينيكوت هذه التقنية للتواصل مع الأطفال فوق سن الخامسة، وهي تقنية ذائعة الصيت في العلاج بالفن المعاصر:

- الآلية: يرسم المعالج خطاً غير منتظم (خربشة)، وعلى الطفل تحويله إلى شكل ذي معنى، والعكس بالعكس.

- التطبيق: تكشف هذه اللعبة كيف يتشكل الإبداع في "منطقة اللعب المشتركة " (Overlapping area of playing). وقد آمن وينيكوت أن هذا التفاعل البصري يتيح للطفل إظهار "ذاته الحقيقية(True Self) "، حيث تتساقط "الأقنعة الاجتماعية" أو "الذات المزيفة (False Self) "أثناء اللعب.(Winnicott, 1971)

٢,٥,٥. الذات الحقيقية مقابل الذات المزيفة في الرسم:

الذات الحقيقية :(True Self) تتجلى عندما يظهر الطفل جسارة في رسومه، مستخدماً ألواناً غير متوقعة ومبتعداً عن الأنماط التكرارية.(Stereotypes)

- الذات المزيفة (False Self): تظهر عندما يقتصر اهتمام الطفل على نيل رضا المعلم أو الوالدين، فينتج رسوماً "نظيفة" و"مطيعة" و"نمطية" للغاية؛ وهو ما يفسره وينيكوت كنمو لذات مزيفة تضحي بالأصالة من أجل التكيف مع البيئة.(Winnicott, 1965)

٢,٥,٦. البيئة الميسِّرة (Holding Environment) وورقة الرسم:

- يرى وينيكوت أن ورقة الرسم تؤدي دور "الأم" أو "البيئة الحاضنة."
- يجب أن تمثل الورقة "بيئة احتواء" تمنح الطفل الأمان لتفريغ نزعاته الوجدانية.
- في سن (٩–١٢ سنة)، إذا كانت البيئة التعليمية (المعلم والمدرسة) غارقة في النقد، فإنها تفقد طابعها كـ "بيئة ميسِّرة"، مما يؤدي بالطفل إلى الانسحاب من الفضاء الانتقالي للفن.

٢,٥,٧. الإبداع، التدمير، والتمامية النفسية:

اعتقد وينيكوت أن رسوم الأطفال في سن المدرسة تعكس قدرة الطفل على تحمل "الوحدة في حضور الآخر.(Winnicott, 1958) "

٢,٥,٨. مفهوم "التدمير" وبقاء الموضوع في الرسم:

من أكثر أفكار وينيكوت عمقاً ومفارقة هي دور "التدمير" في العملية الإبداعية:

- التحليل: قد يقوم الطفل أثناء الرسم (خاصة بين ٥–٨ سنوات) بتشويه أجزاء من رسمه، أو تلوينها بالأسود، أو تمزيق الورقة.
- التفسير: هذا الفعل ليس بالضرورة عدواناً تدميرياً، بل هو محاولة لاختبار العالم الخارجي. فإذا "صمد" الموضوع (الورقة/الفن) أمام تدمير الطفل واستمر الطفل في الرسم، فإنه يتعلم أن العالم الخارجي موثوق، ويمكن الفصل فيه بين الخيال والواقع؛ مما يؤدي إلى تثبيت "الإدراك الباطني" بالأمان(Winnicott, 1971).

٣. التحليل التطبيقي والسيميائي لفن الأطفال (Comparative and Semiotic Analysis):

٣,١. التوليف النظري(Theoretical Synthesis):

في هذا القسم، وبوصفه توليفاً نظرياً وسيميائياً، نقوم بدمج والتحليل المقارن لآراء هؤلاء المنظرين الخمسة. تم إعداد هذا الجزء لإظهار الرابط الوثيق بين البنية البصرية (كيلوج)، والنمو الذهني (بياجيه)، والإبداع التربوي (لوونفلد)، والديناميات النفسية (فرويد ووينيكوت) ضمن وحدة متكاملة.

٣,١,١. التحليل السيميائي المشترك(Semiotics of Child Art):

من منظور سيميائي، يُعد رسم الطفل "نصاً بصرياً(Visual Text) ":

- الدال (Signifier): يتمثل في الخطوط، الألوان، والأشكال الهندسية (الماندالا، خط الأرض، المنظور).
- المدلول (Signified): هو "الذكاء" عند بياجيه، و"اللاشعور" عند فرويد، و"الذات الحقيقية" عند وينيكوت، و"التوازن البصري" عند كيلوج، و"النمو الإبداعي" عند لوونفلد.

بناءً على تحليل المحتوى والأسلوب التخطيطي، يمكن الوقوف على "التنظيم السيكولوجي" للطفل (قومي، ١٣٩٢). فخيار الألوان، وكيفية تنظيم الصفحة، وأسلوب ترسيم الحدود بين أجزاء الصورة، كلها أبعاد تسمح لنا باستقراء الحالة الذهنية والوجدانية من خلال الرسم بوصفه "فعلاً تجسيدياً " (Wolfson, 2008).

٣,٢. نقاط التلاقي والروابط النظرية(Commonalities):

يوضح الجدول أدناه المحاور المشتركة بين الرؤى الخمس:

لوونفلد، كيلوج، بياجيه، فرويد، وينيكوت	محور المقارنة
يتفق الجميع على أن "فعل الرسم" أهم من "المنتج النهائي."	أصالة العملية
تطور الفن ليس عشوائياً، بل يتحرك من الأنماط البسيطة إلى المعقدة.	التراتبية
البيئة (المدرسة/الوالدان) قد تكون محفزاً (Catalyst) أو عائقاً للنمو الفني.	دور البيئة
الرسم أداة جوهرية لإبراز "الهوية" المتشكلة للطفل.	التعبير عن الذات

الربط بين بياجيه ولوونفلد: كلاهما يؤكد على "مراحل النمو"؛ بياجيه يفسر البنية المنطقية، ولوونفلد يفسر تجلياتها الفنية.

- الربط بين فرويد ووينيكوت: كلاهما يركز على العالم الداخلي و"الأنا"؛ فرويد يركز على الصراعات، ووينيكوت يركز على الصحة النفسية والإبداع.
- الربط بين كيلوج وبياجيه: كلاهما لديه حساسية عالية تجاه الجوانب الهندسية والبنائية للفضاء في الرسم (منصور، ١٣٨٩).

٣,٣. نقاط التمايز و التقابلات النظرية(Divergences):

تتجلى الفوارق الجوهرية والتقابلات النظرية بين هؤلاء الرواد في فهمهم لماهية "الإدراك الباطني" بدقة متناهية، ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

- أصل الشكل (Origin of Form): تذهب كيلوج إلى أن الأشكال ذات أصل بيولوجي فطري (الماندالا)، بينما يرى بياجيه أنها بنى منطقية يتم تشييدها ذهنياً، في حين يعتبرها لوونفلد نتاجاً لخبرات تجريبية وانفعالية.(Lowenfeld & Brittain, 1987)
- تعريف الواقعية (Definition of Realism): تمثل الواقعية عند بياجيه مؤشراً على تطور الذكاء؛ بينما تراها كيلوج علامة على زوال الإبداع الفطري؛ أما عند فرويد، فالواقعية ليست سوى آلية دفاعية يفرضها "الأنا الأعلى" (فرويد، ١٣٨٢؛ كلاج، ١٣٨٧).
- نمط الإدراك (Type of Perception): يفرق لوونفلد بين نمطين إدراكيين هما "البصري" و"اللمسي"، في حين يطرح بياجيه مساراً ارتقائياً موحداً لجميع الأطفال (الانتقال من الفضاء الطوبولوجي إلى الإقليدي).

٣,٤. الخلاصة التخصصية للفئة العمرية (٥-١٢) سنة:

عند إخضاع نتاج فني لطفل في العاشرة من عمره لتحليل سيميائي وتوليفي متزامن وفق هذه النظريات الخمس، نجد الآتي:

- من منظور بياجيه: نتقصى مدى التزامه بالمنظور (Perspective) والمنطق الفراغي.
- من منظور لوونفلد: نختبر جسارته الإبداعية وما إذا كان قد انخرط في الأنماط "البصرية" أو "اللمسية."
- من منظور كيلوج: نرصد ما إذا كانت النظم التعليمية قد قمعت أنماطه الفطرية لصالح قوالب جاهزة.
- من منظور فرويد: نبحث عن تجليات "التسامي" للدوافع اللاشعورية في التفاصيل الدقيقة للرسم.
- من منظور وينيكوت: نستشف ما إذا كان الرسم يمثل فضاءً للذة وإبراز "الذات الحقيقية"، أم أنه مجرد استجابة لواجب مدرسي (تمثيل للذات المزيفة).

٣,٥. جدول مقارنة النظريات المحورية:

المُنظّر	التركيز الأساسي	العناصر البصرية الجوهرية	الارتباط بالمرحلة (٥-١٢) سنة
لوونفلد	التعبير الإبداعي والمراحل الارتقائية	الخطوط الحرة، الألوان الوجدانية، النمط البصري/اللمسي	المرحلة المخططة (٥-٧)، فجر الواقعية (٨-١٢)
كيلوج	البنى الشكلية الأولية	الخربشات، الماندالا، المخططات البيانية	القواعد العالمية ما قبل السيميائية في سن الخامسة
بياجيه	النمو المعرفي	الواقعية الفكرية مقابل البصرية، المنظور	من ما قبل العمليات إلى العمليات العينية
فرويد	الرموز اللاشعورية	الألوان الداكنة، الرموز الجندرية،	الصراعات السيكو-جنسية في

		الإسقاط	العلاقات المرسومة
وينيكوت	الفضاء الانتقالي والذات الحقيقية	اللعب الإبداعي، علاقات الموضوع، الأمان	تطوير الهوية عبر الرسم الحر والتلقائي

٣,٦. الفروق الجندرية وموضوعات الرسم(Gender Differences):

كشفت الدراسة عن وجود فروق جندرية جليّة في الرسوم المختارة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

النوع الاجتماعي	الموضوعات المفضلة	الدلالة السيكولوجية
الإناث	الميل لتمثيل الوجوه والعلاقات الإنسانية.	انعكاس للتركيز على العلاقات العاطفية والتفاعل البيني ونماذج الهوية الجندرية.
الذكور	الميل للأنشطة الحركية والموضوعات الخارجية (الحركة والفضاء).	انعكاس للنزوع نحو السيطرة على البيئة، والفعل، ونماذج الهوية الجندرية.

تبرز هذه الفروق بشكل أكثر جلاءً في الفئة العمرية ما بين (٨–١٢) سنة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنماط تحديد الهوية الجنسية؛ مما يؤكد الفرضية الفرعية الثالثة للبحث.

٣,٧. تشريح أثر فني بناءً على الرؤى والتحليل النفسي:

٣,٧,١. التحليل المتعدد الطبقات لرسم طفل في العاشرة من عمره:

في هذا الأنموذج، ننتخب رسماً افتراضياً معيارياً لطفل في سن العاشرة (مرحلة عتبة النضج الفني والفكري)، ونقوم بتفكيكه بوصفه "نصاً بصرياً (Visual Text) "عبر عدسات المنظرين الخمسة. يمثل هذا القسم التطبيق العملي للرؤى النظرية السابقة في مجال بحوث الفن.

- توصيف الرسم: طفل في العاشرة، رسم مشهداً لمتنزه؛ تظهر في المركز شجرة ضخمة بتفاصيل دقيقة للأوراق. تحت الشجرة، يظهر شكل (فيغور) للطفل نفسه وهو يلعب مع كلب. في الخلفية، تظهر جبال بخطوط زرقاء وشمس في زاوية الورقة. السماء ملونة بلون أزرق متجانس، وتطير فيها طيور رُسمت على شكل الرقم (٧).

٣,٧,١,١. أ/ التحليل من منظور فيكتور لوونفلد "قياس الإبداع والنمط الإدراكي":

يسعى لوونفلد في هذا الرسم أولاً لتحديد "النمط الإدراكي" للطفل:

إذا رُسمت أوراق الشجر بدقة مجهرية واستناداً إلى رؤية بصرية محضة، فإن الطفل ينتمي إلى النمط البصري. (Visual Type) أما إذا كان جذع الشجرة أضخم بكثير من المعتاد لإظهار قوتها وثباتها، فالطفل يميل إلى النمط اللمسي.(Haptic Type)

إن وجود الطيور على شكل الرقم (٧) يُعد، وفقاً للوونفلد، "قالبًا نمطياً. (Stereotype) "ويستنتج من ذلك أن البيئة التعليمية (المدرسة) قد هيمنت على "التعبير التلقائي" للطفل، ووجهته نحو أنماط تكرارية فاقدة للأصالة.(Lowenfeld & Brittain, 1987)

النتيجة: الطفل في مرحلة "فجر الواقعية"، لكنه يواجه خطر "الجمود الفكري" الناتج عن التعليم الرسمي.

٣,٧,١,٢. ب/ التحليل من منظور رودا كيلوج: "أثر الماندالا في التمثيل":

لا تولي كيلوج أهمية لمحتوى الشجرة أو الكلب بقدر اهتمامها بـ "المورفولوجيا" (علم الشكل):

ترى في الشمس الموجودة في الزاوية تطوراً لنفس "الدوائر المتصالبة) "الماندالا (التي كان الطفل يرسمها في سن الثالثة.

التماثل الموجود في وضع الشجرة في المركز والجبال على الجانبين يعكس، من منظور كيلوج، سعياً بيولوجياً للدماغ لتحقيق "التوازن الجشتالتي.(Gestalt Balance) "

تستنتج كيلوج أنه رغم الضغوط الخارجية للالتزام بالواقعية، لا تزال البنية الدماغية للطفل تتبع الأنماط الهندسية العالمية.(Kellogg, 1969)

٣,٧,١,٣. ج/ التحليل من منظور جان بياجيه "سبر الذكاء الفراغي والمنطق":

يركز بياجيه هنا على "النسب" و"المنظور:"

ظهور الجبال خلف الشجرة (ظاهرة التداخل أو الحجب) يشير إلى تجاوز الطفل لمرحلة "الواقعية الفكرية" ودخوله في الواقعية البصرية .فالطفل لم يعد يرسم "ما يعرفه" (مثل جذور الشجرة تحت الأرض)، بل اعتمد "ما يراه" معياراً للتمثيل.

ومع ذلك، إذا وُضعت الشمس والطيور في نفس المستوى المسطح، يستنتج بياجيه أن الطفل لا يزال في مرحلة "العمليات العينية"، حيث يواجه حدوداً في الاستيعاب الكامل لـ الفضاء الإقليدي وعمق المجال ثلاثي الأبعاد.(Piaget & Inhelder, 1956)

٣,٧,١,٤. د/ التحليل من منظور زيجموند فرويد "التسامي والإسقاط اللاشعوري":

يغوص فرويد في الطبقات الخفية للموضوع:

- الشجرة: رمز لـ "الأنا(Ego) "؛ الجذور غير المرئية مع الجذع الراسخ يعكسان محاولة تثبيت الهوية في وجه النزوات الداخلية.

- الكلب: قد يمثل النزوات الغريزية (Id) التي تم "تساميها (Sublimated) "الآن في قالب لعب ودي وتحت سيطرة الطفل.
- السماء الزرقاء المتجانسة: من منظور التحليل النفسي الكلاسيكي، قد تشير إلى الحضور الهادئ لـ "الأنا الأعلى (Superego) "الذي يفرض نظاماً أخلاقياً على المشهد الكلي (Freud, 1908).

٣,٧,١,٥. هـ/ التحليل من منظور دونالد وينيكوت "الذات الحقيقية وفضاء اللعب":

يركز وينيكوت على "الإحساس" الساري في الرسم:

- حيوية الرسم: إذا ظهرت ارتعاشات يد الطفل في رسم جذع الشجرة، يرى وينيكوت في ذلك علامة على حضور الذات الحقيقية.(True Self)
- فعل اللعب: تمثيل عملية اللعب مع الكلب هو تجسيد لـ" الفضاء الانتقالي ."الرسم لهذا الطفل هو "ملاذ (Refuge) "يخلق فيه عالماً آمناً دون خوف من الأحكام الخارجية.

وإذا كان الرسم "نظيفاً" ومثاليًا بشكل مفرط، يحذر وينيكوت من أنه نتاج لـ" الذات المزيفة (False Self)" التي تسعى فقط لاسترضاء الكبار.(Winnicott, 1971)

٣,٨. التوليف النهائي نحو نظرية شاملة في بحوث الفن:

- علمنا لوونفلد أن "الفن هو نمو الروح."
- ذكرتنا كيلوج أن "الفن هو إرث بيولوجي."
- أثبت بياجيه أن "الفن هو تجلي الذكاء."
- كشف فرويد أن "الفن هو لغة اللاشعور."
- بَيّن وينيكوت أن "الفن هو أسلوب للحياة."

٣,٩. تحليل الرسوم استناداً إلى المؤشرات السيكولوجية:

نقدم هنا خمسة نماذج تحليلية لرسوم مفترضة ضمن الفئة العمرية (٥-١٢) سنة، يبرز كل منها المؤشرات الجوهرية لأحد هؤلاء العلماء، مع تحليل تخصصي رصين:

١. النموذج البصري وفقاً لنظرية فيكتور لوونفيلد(Viktor Lowenfeld):

المؤشر الجوهري: المبالغة الوجدانية والنمط اللمسي(Haptic)

التوضيح: في هذا التكوين البصري، تبرز يدا الطفل بحجم مبالغ فيه وبعدد متضاعف من الأصابع. وفقاً لرؤية لوونفيلد، لا يُصنف هذا كخطأ تقني في الرسم، بل هو تجسيد لـ (الأهمية الوجدانية) (Emotional Significance)المرتبطة بفعل لمس الزهرة. كما أن توظيف الألوان الصارخة وغير الواقعية يعكس الإدراك الباطني والذهني للطفل في» المرحلة ما قبل المخطط (Pre-schematic « (Stage؛ إذ يبرهن هذا العمل على أن الطفل يرسم استناداً إلى» إحساسه الذاتي «وليس بناءً على» الملاحظة البصرية «الموضوعية.(Lowenfeld & Brittain, 1987)

٢. النموذج البصري وفقاً لنظرية رودا كيلوج (Rhoda Kellogg):

المؤشر الجوهري: استمرارية الأنماط الهندسية والماندالا(Mandala)

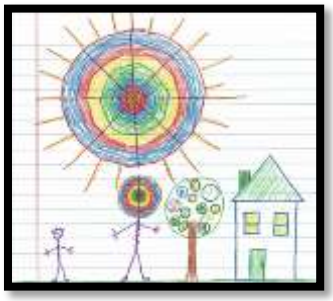

التوضيح: تظهر الشمس والأزهار في هذا الرسم بوصفها تطوراً بنيوياً لأشكال» الماندالا «التي اختزنها الطفل منذ مراحله العمرية المبكرة. وترى كيلوج أن الطفل في الفئة العمرية (٥–٧) سنوات لا يحاكي الطبيعة، بل يعيد إنتاج قوالبه البيولوجية الفطرية ويصبغ عليها مسميات من الواقع (كالشمس أو الوردة). إن التوازن البصري الصارم وتكرار التماثل في هذا الأثر يعكسان نزعة ذهنية باطنية نحو» التناغم الجشتالتي «والانسجام الشكلي، بعيداً عن محاولة التجسيد الواقعي الدقيق (Kellogg, 1969).

٣. النموذج البصري وفقاً لنظرية جان بياجيه(Jean Piaget):

المؤشر الجوهري: الواقعية الذهنية وظاهرة الشفافية(X-Ray Pictures)

التوضيح: يُعد هذا الرسم تجسيداً جلياً لمفهوم» الواقعية الذهنية (Intellectual Realism) «عند بياجيه في الفئة العمرية (٥–٨) سنوات. فبما أن الطفل «يعلم» بوجود مقعد داخل المنزل، فإنه يعمد إلى رسم الجدار بصفة شفافة لإظهاره؛ إذ يعزو بياجيه هذه الظاهرة إلى نضوب التنسيق بين الزوايا

البصرية المختلفة وغلبة» المعارف المختزنة «على» المشاهدات البصرية .«يعكس هذا العمل مرحلة التفكير ما قبل الإجرائي وبواكير الانتقال نحو العمليات العينية.(Piaget & Inhelder, 1956)

٤. النموذج البصري وفقاً لنظرية زيغموند فرويد(Sigmund Freud):

المؤشر الجوهري: الرمزية اللاشعورية والتسامي(Sublimation)

التوضيح: من منظور التحليل النفسي الفرويدي، يفيض هذا الرسم بالدلالات الرمزية؛ إذ تبرز الشجرة بجذعها الراسخ كرمز لـ» الأنا (Ego) «واستقرار البنية الشخصية، بينما قد يشير الباب المغلق للمنزل إلى آليات» الدفاع النفسي «أو وجود أسرار مكبوتة ضمن المحيط الأسري. أما الشمس القاتمة في زاوية الورقة، فقد ترمز إلى صراع مع «رمز السلطة» (الأب). يُصنف الرسم هنا كأداة لـ» الإسقاط « (Projection) تتيح بروزه الصراعات الداخلية للطفل إلى الحيز البصري(Freud, 1900 ؛ دادستان، ١٣٨٩).

٥. النموذج البصري وفقاً لنظرية دونالد وينيكوت(Donald Winnicott):

المؤشر الجوهري: الفضاء الانتقالي واللعب(The Squiggle/Play)

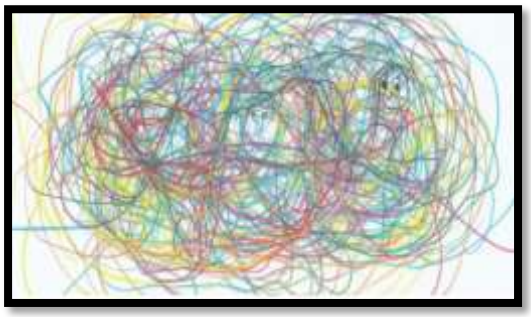
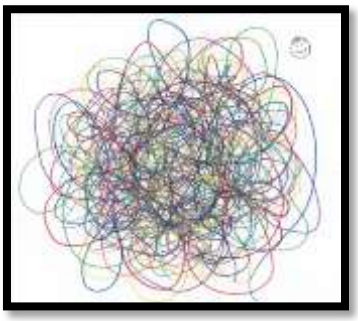

التوضيح :يتناغم هذا التكوين مع فلسفة» لعبة الخربشة «التي ابتكرها وينيكوت؛ حيث تتسم الخطوط بالحرية والانسيابية والطاقة الحركية. إن غياب الجمود والقوالب النمطية في هذا الرسم يشير إلى تجلي» الذات الحقيقية (True Self) «للطفل؛ إذ لم يُنجز هذا العمل لغرض تمثيل الواقع الموضوعي، بل من أجل لذة «الوجود» و«الخلق» ضمن فضاء آمن. يعكس هذا النموذج مستوى عالٍ من الصحة النفسية وقدرة الطفل على استخدام الفن بوصفه موضوعاً انتقالياً (Winnicott, 1971).

٤. الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات(Conclusions and Recommendations)

٤,١. الاستنتاجات(Conclusion):

١. من خلال التحليل المقارن لأطروحات (لوونفلد، وكلاغ، وبياجيه، وفرويد، ووينيكوت)، يبرز الاستنتاج المحوري المتمثل في تحول الطفل من" الوجودية البصرية الفردية "إلى" النظام السيميائي الاجتماعي ."إذ يُعد فن الطفل في المرحلة العمرية (٥-١٢) سنة ساحة صراع محتدمة بين النزعات الغريزية، والبنى المنطقية، والضغوط الثقافية.

٢. في المرحلة العمرية (٥-٧) سنوات، يُصنف الرسم كنشاط" ذاتي الإحالة"؛ فبينما يراه (كلاغ) نتاجاً لتطور الماندالا والأشكال البيولوجية، يعتبره (بياجيه) نتاجاً للواقعية الذهنية والعجز عن استيعاب العلاقات الإقليدية. وفي المقابل، يشدد (لوونفلد) على أهمية "التعبير الذاتي الخلاق"، محذراً من أن فرض الواقعية في هذا السن يقطع صلة الطفل بإدراكه الباطني اللمسي .(Haptic) أما في المرحلة (٨-١٢) سنة، فنحن بصدد" قفزة سيميائية"؛ حيث ينتقل الطفل من الدالات الشخصية إلى الدالات العرفية/الاجتماعية. ويرى (فرويد) هذا التحول نتاجاً لتعاظم قوة "الأنا الأعلى" وتسامي النزعات في قوالب الانضباط البصري، وهو ما دفع (وينيكوت) للتحذير من أن هذا الانضباط إذا كان لغرض استرضاء البيئة (المعلم/الوالدين) فقط، فإنه يؤدي لظهور" الذات المزيفة "وفقدان لذة الإبداع.

٣. تخلص الدراسة إلى أن ما يُسمى بـ "الأخطاء" عند (بياجيه) -كالشفافية أو اختلال النسب- هي في منظور (لوونفلد" (مبالغات وجدانية "ذات قيمة دلالية، وعند (كلاغ) هي بحث شكلي عن التوازن البصري، وعند (فرويد) هي تجليات لآليات "النقل والتكثيف" اللاشعورية. وبناءً عليه، فإن رسم الطفل هو" نظام متعدد الدلالات (Polysemic System) "لا يمكن قياسه ببعد واحد (كالذكاء وحده أو التحليل النفسي وحده).

٤. الطبقة البنائية (Syntactic): بالتركيز على الشكل (كلاغ وبياجيه)، نخلص إلى أن "النحو البصري" للطفل ينتقل من العلاقات الطوبولوجية (الجوار البسيط) إلى العلاقات المنظورية والهندسية، وهو نحوٌ ضارب في جذور البنية الدماغية البشرية ويتسق مع الفنون البدائية.

٥. الطبقة الدلالية (Semantic): بالتركيز على المحتوى (لوونفلد وفرويد)، نخلص إلى أن المعاني في سن (٥-٧) سنوات هي معانٍ" ذهنية إسقاطية) "المدلول = إحساس الطفل)، بينما تتحول في سن (٩-١٢) سنة إلى معانٍ" موضوعية تمثيلية("المدلول = الشيء الخارجي).

٦. الطبقة التداولية/البرجماتية (Pragmatic): بالتركيز على الوظيفة (وينيكوت ولوونفلد)، نخلص إلى أن الرسم هو أداة" تواصلية"؛ فهو عند وينيكوت "جسر" في الفضاء الانتقالي يُمكّن الطفل من إدارة وحدته في حضور الآخر.

٧. يتفق المنظرون الخمسة على وجود" أزمة نهاية الطفولة " قرابة سن (١٢)؛ حيث يسميها لوونفلد "الواقعية الزائفة"، ويراها بياجيه غلبة للمطق على الخيال، وكلاغ يراها موتاً للأشكال الفطرية، وفرويد يراها قمعاً للغرائز من قِبل الأنا الأعلى، ووينيكوت يراها انهياراً لفضاء اللعب تحت وطأة الواقع.

٨. توصي الدراسة بتبني" نموذج تحليلي رباعي الأبعاد "لفحص رسوم الأطفال (٥-١٢) سنة:

- البعد المورفولوجي: فحص الأشكال بناءً على أنماط (كلاغ).
- البعد المعرفي: فحص مستوى الذكاء الفراغي بناءً على مراحل (بياجيه).
- البعد الدافعي-الباطني: استقراء الرموز والتسامي بناءً على رؤى (فرويد).
- البعد التفاعلي-البيئي: فحص دور البيئة و"الذات الحقيقية" بناءً على (لوونفلد ووينيكوت).

٤,٢. التوصيات والمقترحات(Recommendations):

٤,٢,١. التوصيات البحثية والنظرية:

المصادقة النظرية: إجراء بحوث مقارنة لقياس مدى انطباق أنماط رسوم الأطفال في الثقافات المحلية مع المراحل النقدية التي طرحها المنظرون الخمسة.

- تحليل عناصر التعبير الوجداني: التوسع في دراسة كيفية استخدام الأطفال (٥-٧) سنوات لـ "الخطوط البسيطة والأشكال القوية" كأدوات للتعبير عن الهوية والذات.
- الدراسة الارتقائية للفضاء: التركيز على التحول من التعبير الانفعالي المكثف إلى الاهتمام بالعلاقات المكانية والاتجاهات في الفئة العمرية (٨-١٢) سنة.
- الفروق الجندرية: تعميق البحث في النماذج الجندرية لاختيار الموضوعات (الإنسانية للإناث مقابل الميكانيكية للذكور) وعلاقتها بـ "الألوان الانفعالية" (كالأحمر للتوتر والأزرق للهدوء).

٤,٢,٢. المقترحات العملية والإجرائية:

- التحقق التجريبي: يُقترح أن تقوم البحوث المستقبلية بإعطاء صبغة كمية لهذا النموذج التحليلي التوليفي واختبار مدى ارتباطه بالتقييمات السلوكية والإكلينيكية.
- أدوات القياس الكمي: تطوير مقاييس لترميز متغيرات مثل "ضغط الخط"، و"الكثافة الفراغية"، و"نسبة العناصر" لرفع دقة التحليل الوصفي إلى مستوى التحليل المركب (كمي-نوعي).
- الاستخدام الإكلينيكي: إجراء دراسات لتقييم فاعلية "العلاج بالفن" كمداخل علاجية لمجموعات خاصة (كأطفال التوحد أو القلق)، باستخدام تحليل الرسوم كمؤشر للتقدم العلاجي.
- بروتوكولات الفرز: (Screening) تصميم أدوات فرز معيارية بسيطة مبنية على الرسم ليستخدمها المرشدون التربويون في الكشف المبكر عن الاضطرابات السلوكية والعاطفية.

٤,٢,٣. مقترحات السياسات والتعليم:

- تأهيل الكوادر: إدراج وحدة دراسية إجبارية لمعلمي رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية حول "التفسير الأولي لرسم الطفل" لتحسين التفاعل التربوي.
- أثر الرقمنة: إجراء دراسات طولية لبحث مدى تأثير التحول الرقمي (الأدوات اللوحية) على الأنماط التخطيطية التقليدية والتحول في التعبير العاطفي لدى الأطفال.
- المحدودات: تُعد هذه الدراسة مراجعة منهجية وتحليلاً نوعياً مقارناً؛ وتكمن الصعوبة الرئيسية في تعدد وتضارب النظريات التفسيرية، مما يستوجب الحذر عند تعميم التفسيرات الرمزية (لاسيما في المقاربات التحليلية النفسية) دون مراعاة السياق الفردي لكل طفل.

٤,٣. المصادر:

٤,٣,١. المصادر الفارسية:

1. پیاژه، ژان (۱۳۶۷). روان‌شناسی هوش. ترجمه م. منصور. تهران: انتشارات پیروز.
2. دادستان، پریرخ (۱۳۸۹). ارزشیابی روان‌شناختی ترسیم آدمک. انتشارات سمت.
3. دادستان، پریرخ (۱۳۹۰). ارزشیابی شخصیت کودکان براساس آزمون های ترسیمی. تهران، رشد.
4. سید اسماعیل قومی، نسترن (۱۳۹۲) مقایسه نشانه های اظطراب و افسردگی در نقاشی آدمک دانش آموزان کم توان ذهنی و عادی، فصلنامه ی افراد استثنایی، سال سوم، شماره ۱۰.
5. شریفی، حسن‌پاشا (۱۳۹۲). نظریه‌ها و کاربرد آزمون‌های هوش و شخصیت. انتشارات سخن.
6. فرای، هلن (۱۳۸۶). نقاشی کودکان: کاربرد تست ترسیم خانواده در کلینیک (ترجمه م. عسگری). انتشارات رشد.
7. کرمن، ل (۱۹٦٤)، کودکان، ترجمه: دادستان و منصور، م. (۱۳۸۹)، تهران، رشد.
8. گراث مارنات، (۲۰۰۳)، راهنمای سنجشی روانی، ترجمه شریفی، ح.پ، و نیکخو، م.ر. (۱۳۹۰)، تهران: سنجش.
9. منصور، محمود (۱۳۸۹). روان‌شناسی ژنتیک: تحول روانی از تولد تا پیری. انتشارات سمت.

10. نظری، جعفر و شقایق تیلاب (۱۳۹۷)، هنر تفسیر نقاشی، انتشارات اندیشه ارشد، چاپ اول، تهران.
11. پیاژه، ژان (۱۳۶۷). روان‌شناسی هوش. ترجمه م. منصور. تهران: پیروز.
12. پیاژه، ژان و اینهلدر، باربل (۱۳۷۰). روان‌شناسی کودک. ترجمه زینت توفیق. تهران: نشر نی.
13. شریفی، حسن‌پاشا (۱۳۹۲). نظریه‌ها و کاربرد آزمون‌های هوش و شخصیت. تهران: انتشارات سخن.
14. فروید، زیگموند (۱۳۸۲). تعبیر خواب (ترجمه ایرج پورباقر). انتشارات آسیا. (برای درک نمادپردازی).
15. کلاگ، رودا (۱۳۸۷). تحلیل نقاشی‌های کودکان (ترجمه پ. بدخشان). انتشارات دنیای نو.
16. وینیکات، دونالد (۱۳۸۷). بازی و واقعیت (ترجمه ن. صبا). انتشارات هرمس. (منبع اصلی فارسی).
17. ٤,٣,٢. المصادر الإنجليزية:
18. Freud, S. (1953). The interpretation of dreams. Hogarth Press.
19. Freud, S. (1958). Creative Writers and Day-Dreaming. Standard Edition, Vol. IX. London: Hogarth Press.
20. Golomb, C. (2004). The Child's Creation of a Pictorial World. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
21. Kellogg, R. (1969). Analyzing Children's Art. Palo Alto, CA: National Press Books.
22. Lowenfeld, V. (1987). Creative and mental growth (8th ed.) Macmillan.
23. Lowenfeld, V., & Brittain, W. L. (1987). Creative and Mental Growth (8th ed.). NewYork: Macmillan.
24. Piaget, J., & Inhelder, B. (1956). The Child's Conception of Space. London: Routledge.
25. Piaget, J., & Inhelder, B. (1969). The psychology of the child. Basic Books.
26. Winnicott, D. W. (1971). Playing and reality. Tavistock Publications.
27. Winnicott, D. W. (1971). Playing and Reality. London: Tavistock Publications.
28. -Wolfson, V.M. (2008). Children’s projective drawings from a neuropsychological perspective. Doctotal Dissertation, The City University of New York. Available online at www.proquest.com.
29. - Piaget, J. (1951). Play, Dreams and Imitation in Childhood. W. W. Norton & Company.
30. Arnheim, R. (1974). Art and Visual Perception. University of California Press.
31. Eisner, E. W. (2002). The Arts and the Creation of Mind. Yale University Press.
32. Freud, S. (1905). Three Essays on the Theory of Sexuality. Standard Edition.
33. Freud, S. (1908). Creative Writers and Day-Dreaming. Standard Edition.
34. Freud, S. (1911). Formulations on the Two Principles of Mental Functioning.
35. Freud, S. (1958). Creative Writers and Day-Dreaming. Standard Edition, Vol. IX.
36. Gardner, H. (1980). Artful Scribbles: The Significance of Children's Drawings. Basic Books
37. Golomb, C. (2004). The Child's Creation of a Pictorial World. Psychology Press. (به عنوان
38. Kellogg, R. (1969). Analyzing Children's Art. National Press Books.
39. Kellogg, R. (1970). Understanding Children's Art. Psychology Today.
40. Lowenfeld, V. (1945). The Nature of Creative Activity. Harcourt, Brace and Company.
41. Lowenfeld, V. (1957). Creative and Mental Growth (3rd ed.). Macmillan.

42. Lowenfeld, V., & Brittain, W. L. (1987). Creative and Mental Growth (8th ed.). Prentice Hall.
43. Malchiodi, C. A. (1998). Understanding Children's Drawings. Guilford Press.
44. Milner, M. (1950). On Not Being Able to Paint. Heinemann.
45. Phillips, A. (1988). Winnicott. Harvard University Press.
46. Piaget, J. (1951). Play, Dreams and Imitation in Childhood.
47. Piaget, J., & Inhelder, B. (1956). The Child's Conception of Space. Routledge & Kegan Paul.
48. Piaget, J., & Inhelder, B. (1956). The Child's Conception of Space. London: Routledge.
49. Piaget, J., & Inhelder, B. (1969). The Psychology of the Child. Basic Books.
50. Richmond, P. G. (1970). An Introduction to Piaget. Routledge
51. Winnicott, D. W. (1965). The Maturational Processes and the Facilitating Environment. International Universities Press.
52. Winnicott, D. W. (1971). Playing and Reality. Tavistock Publications.
53. Freud, S. (1900). The Interpretation of Dreams. Standard Edition.
54. Lowenfeld, V. (1957). Creative and Mental Growth. New York: Macmillan.
55. Winnicott, D. W. (1958). The Capacity to be Alone. In: The Maturational Processes and the Facilitating Environment.
56. Lowenfeld, V. (1945). The Nature of Creative Activity. Harcourt, Brace and Company.

السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا بعد عام 2014

إعداد

د. محمد مجيد حسين

كلية العلوم السياسية _ جامعة النهرين

Mohamed.Majeed@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص:

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك حلف وارسو واجهت روسيا الاتحادية أزمات سياسية واقتصادية عدة، وجاء الوريث الشرعي لهذا الاتحاد جنبا الى جنب مع الأحادية القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وفي ظل هذا التحول السياسي في التوازنات الدولية سعت روسيا الاتحادية الى أن تحافظ على مركزها ونفوذها الواسع النطاق بين دول العالم. لهذا ان لدى روسيا الاتحادية ثوابت لا يمكن تجاوزها ومن ضمنها عدم قبول انضمام اوكرانيا الى الاتحاد الاوروبي وان تكون تابعة الى الغرب بشكل عام ، إذ ان هذا الامر في السياسة الخارجية الروسية محسوم ولا يمكن الرجوع عنه، فضلا عن ان اوكرانيا لها اهمية كبيرة في الاستراتيجية الروسية التي تتمثل بالعديد من الابعاد ومنها قومية وشعبية زيادة على ذلك فأنها تعد عمقها الامني والاستراتيجي .

الكلمات المفتاحية: = السياسة الخارجية = روسيا الاتحادية = الازمة الأوكرانية = الاتحاد الأوروبي= التحالفات

Abstract:

After the collapse of the Soviet Union and the dissolution of the Warsaw Pact, the Russian Federation faced several political and economic crises. The legitimate heir to this union emerged alongside the unipolar system led by the United States. In light of this political shift in international balances, the Russian Federation sought to maintain its position and widespread influence among the countries of the world. Therefore, the Russian Federation has constants that cannot be ignored, including its refusal to accept Ukraine's accession to the European Union and its subordination to the West in general, as this matter in Russian foreign policy is settled and cannot be reversed. In addition to the fact that Ukraine has great importance in the Russian strategy, which is represented by many dimensions, including national and popular ones, in addition to that, it is considered its security and strategic depth

Keywords: = Foreign Policy = Russian = Ukrainian Crisis = European Union = Alliances

المقدمــة :

تمثل نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي مرحلة مهمة في طبيعة توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا، وذلك لان اوكرانيا كانت تعد جزء من دول الاتحاد السوفيتي السابق الذي أنهار عام 1991، ومنذ تفكك حلف وارسو وانهيار الاتحاد السوفيتي وظهور دولة روسيا الاتحادية فأن أوكرانيا تتميز بأهمية كبيرة في توجهات السياسة الخارجية الروسية، وذلك بسبب موقعها الجيوسياسي المهم المحاذي لدول حلف الشمال الاطلسي التي تحاول تطويق روسيا الاتحادية وذلك عبر استراتيجية الاحتواء التي اعتمدتها الولايات المتحدة الامريكية، وذلك في سياق تطويق روسيا الاتحادية عسكريا وامنيا من خلال توسع دول حلف شمال الأطلسي اقتصادياً وسياسياً عبر توسيع منظومة الاتحاد الأوربي، حيث تمثل هذا الاستراتيجية تحـــديا كبيـــراً للسياســـة الخارجيـــة الروســـية لاســـيما بعـــد فتـــرة انهيـــار الاتحـــاد الســـوفيتي، لهذا فان الموقع الجيوستراتيجي التي تتميز بها أوكرانيا تمثل مصدر تهديد مباشر للعمق الامني الروسي ولاسيما في هذا المرحلة التي تحاول فيها روسيا الاتحادية استعادة دورها في النظام السياسي العالمي كلاعب مهم وكقوة فاعلة تساهم بدور فاعل في جميع الملفات السياسية والامنية والاقتصادية في العالم.

أهمية البحث:

جاءت أهمية البحث لتحليل وبحث توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا في ظل الدعم الامريكي والاوروبي المتواصل لأوكرانيا عسكريا وسياسيا . إذ أدت الأزمة الروسية الاوكرانية إلى قطع امدادات الموارد الطاقوية الى القارة الاوروبية, مما جعلَ الدول الغربية تبحث عن بديل للطاقة الروسية . كما تتمتع أوكرانيا بأهمية كبيرة في استراتيجية القوى الكبرى، بسبب الثروات التي لديها، فالموقع الجيوسياسي والثروات الطبيعية والبشرية جعلتها تكون من الدول المؤثرة في التوازنات الدولية والإقليمية على الساحة العالمية ، زيادة على ذلك فأن الولايات المتحدة الأمريكية طالما رغبت بدعم امكاناتها وقدراتها الجيوسياسية في اوراسيا باعتبارها قوى كبرى مهيمنة على النظام العالمي، حيث تمكن المصالح الامريكية في اوكرانيا هو تطويق المجال الحيوي لروسيا الاتحادية، ولتعزيز نفوذها في دول أوروبا الشرقية، لهذا فأن الاستراتيجية الروسية تعارض انضمام اوكرانيا في حلف الناتو وتواجهها بقوة لان ذلك يهدد أمنها القومي والاستراتيجي.

أهدف البحث :

1- معرفة سياسة روسيا الخارجية تجاه اوكرانيا ما بعد عام 2014 وابرز المتغيرات المؤثرة فيها.

2- التعرف على الإجراءات التي تم اعتمادها من قبل الدول الغربية تجاه الازمة الروسية الاوكرانية.

3- معرفة الافاق المستقبلية للسياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا.

اشكالية البحث :

تتركز إشكالية البحث في كون أن السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا تشوبها بعض الازمات والتوترات، بسبب محاولة انضمام اوكرانيا الى حلف الشمال الاطلسي والمدعوم من قبل الولايات المتحدة الامريكية، مما يؤثر ذلك على العلاقات الروسية الغربية فضلا عن تأثير إمدادات الموارد الطاقوية إلى دول أوروبا مما ينعكس بشكل مباشر على تأمين الطاقة للقارة الأوروبية، لهذا فأن إشكالية البحث تتمحور حول أن أوكرانيا تتمتع بموقع مهم واستراتيجي ضمن توجهات السياسة الخارجية الروسية .

فـرضيــة البحث :

يبنى البحث على فرضية قوامها مفادها على ان العلاقات الروسية الغربية تتحدد من خلال استقرار العلاقات الروسية الاوكرانية من عدمها، فضلا عن ان صادرات الموارد الطاقوية الروسية تمر من خلال أوكرانيا، إذ أن كل تراجع في سياسة روسيا الخارجية تجاه اوكرانيا يعرض القطاع الطاقوي في الدول الاوروبية للخطورة لاسيما في ظل الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي. كما تركز الفرضية على ماهية السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا، وماهو مستقبل العلاقات الثنائية بين البلدين.

منهجية البحث:

ركز البحث على اكثر من منهج علمي وذلك بحسب متطلبات طبيعة دراسة السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا وتداعياتها على الساحة العالمية، حيث تم الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يوضح تاريخ سياسة روسيا الخارجية تجاه اوكرانيا ، بالإضافة الى المنهج التحليلي من خلال دراسة تأثير الأزمة الأوكرانية وتداعياتها على النظام الدولي، وكذلك تم استخدام المنهج الاستنباطي لأستكشاف الافاق المستقبلية.

هيكليــة البحث:

تم تقسيم البحث الى ست نقاط اساسية، تناولت النقطة الاولى أهمية اوكرانيا على المستوى السياسي في المدرك الروسي، والثانية ركزت على السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا قبل عام 2014، في حين ثالثا وضحت الازمة الأوكرانية الداخلية، وقد تم التطرق في النقطة الرابعة على أهداف السياسة الغربية تجاه

أوكرانيا، وكذلك تضمنت النقطة الخامسة الاجراءات الروسية تجاه الازمة الأوكرانية، اما سادسا فقد شرحت الافاق المستقبلية للسياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا، وصولا الى الخاتمة وأهم الاستنتاجات.

اولا. أهمية اوكرانيا في السياسة الخارجية الروسية:

تتمتع تاريخيا اوكرانيا بجغرافية معقدة نسبيا التي تم وضعها من قبل العديد من الإمبراطوريات السابقة والتي انتهت بحكم الاتحاد السوفيتي، فضلا عن ذلك فأن اوكرانيا لديها روابط ثقافية وثيقة مع روسيا الاتحادية، لاسيما في شرق اوكرانيا حيث يرتبطون مع روسيا الاتحادية بتقاليد وعادات ولغة مشتركة(مجبل، 2014، ص77) ، وفيما يخص الجزء الغربي من اوكرانيا فان لديهم توجهات ثقافية وسياسية تجاه الدول الغربية وذلك بحكم موقعهم الجيوسياسي ، اما بما يتعلق بالأزمة السياسية الاوكرانية فإن السبب الاساسي هو الدعم الامريكي للمعارضة السياسية الأوكرانية من أجل الإطاحة بالرئيس الاوكراني الأسبق فيكتور يانكوفتش المؤيد للتوجهات السياسية الروسية(مجبل، مصدر سابق،78) .

الى جانب ذلك، فأن من أهم اسباب الازمة هو السعي الاوكراني للانضمام الى الاتحاد الاوروبي والذي يساعد في وجود مراكز استخباراتية وقواعد عسكرية لحلف الشمال الأطلسي على الاراضي الاوكرانية، حيث يساهم ذلك الاجراء في التخلص من التواجد العسكري الروسي لاسيما في ميناء سيفاستوبل والذي يعد منفذ جيوستراتيجي بالغ الاهمية لروسيا الاتحادية والمطل على البحر الأسود، مما سيؤدي بذلك على القضاء على القواعد العسكرية الروسية في شبة جزيرة القرم والحصول عليها من خلال تطويقها بالقواعد العسكرية التابعة لحلف الشمال الاطلسي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، كل تلك الاجراءات الغربية تساهم بشكل كبير في تقليص مساحة النفوذ الروسي من خلال إثارة التوترات والاضطرابات الامنية والسياسية على حدودها وانشغالها في ازماتها الداخلية ، والذي سيؤثر بشكل مباشر على دورها كدولة كبرى مؤثرة على الساحة العالمية(المصدر نفسه ، ص79).

كما تسعى الولايات المتحدة الامريكية من التقرب من الحدود الروسية من خلال الاراضي الاوكرانية إلى منع اي تعاون اقتصادي روسي اوروبي وذلك عبر تعزيز الخلافات والانقسامات الاوروبية. لذلك تحاول السياسة الخارجية الامريكية ان تعزل روسيا الاتحادية وذلك من خلال عرقلة اي علاقات خارجية مع دول جوارها لاسيما مع دول الاتحاد السوفيتي السابق ، فضلا عن ذلك تسعى الاستراتيجية الامريكية الى منع روسيا الاتحادية من ان تلعب دور فاعل ومؤثر على الساحة العالمية ، لهذا عملت الولايات المتحدة الامريكية الفوضى الخلاقة من خلال دعم المعارضة السياسية الاوكرانية لزعزعة الامن والاستقرار في

المناطق الحدودية المتاخمة لروسيا الاتحادية والذي يعد تهديد مباشر للأمن القومي الروسي. والتي لا تحتاج إلى اي تدخل عسكري مباشر من قبل الولايات المتحدة الامريكية، وإنما تقوم بدورها بذريعة الدفاع عن الحريات والديمقراطية وقضايا حقوق الإنسان التي تفتقدها تلك الدول (محمد ميسر، 2015 ، ص281) .

اما على المستوى الاقتصادي فيمكن القول ان الجانب الاقتصادي يعد سبب اساس ونقطة تحول تجاه الأزمة السياسية الاوكرانية وبالأخص بعد أمتناع الرئيس الأوكراني السابق فيكتور يانكوفيتش من مصادقته على الاتفاقية الاقتصادية للشراكة مع منظومة الاتحاد الأوروبي، والتي كانت ترى فيها المعارضة الاوكرانية انتعاشا لأسواقها من خلال انفتاحها على أسواق الدول الاوروبية. كل تلك العوامل كانت سبباً في حدوث الأزمة السياسية الأوكرانية عام 2014 حيث ارتبطت بشكل مباشر بتأزم الوضع الداخلي الاوكراني، اضافة الى الجوانب التاريخية والثقافية والسياسية (التميمي ، 2014 ، 271) .

ثانيا. السياسة الخارجية الروسية تجاه اوكرانيا قبل عام 2014:

مرت اوكرانيا بعدة ازمات سياسية وتعود بدايتها إلى عام 1991 بعد نهاية الحرب الباردة وتفكك حلف وارسو وظهورها كدولة مستقلة عن الاتحاد السوفيتي، حيث واجهت العديد من المصاعب والتوترات السياسية نتج عنها خلافات كبيرة في التوجهات السياسية الخارجية بين روسيا الاتحادية من جانب والدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية من جانب أخر، وكان أول ظهور لملامح الازمة الاوكرانية عام 2004 والتي أطلق عليها الثورة البرتقالية، إذ أعلن عنها الأحزاب السياسية الاوكرانية المتحالفة مع الغرب، وذلك بعد أن أعلنوا عدم شرعية الانتخابات التي انتصر بها فيكتور يانوكوفيتش المؤيد للسياسة الخارجية الروسية، الأمر الذي بسببه دعت الأحزاب الاوكرانية الموالية للغرب إلى المظاهرات المدنية والعصيان المدني إمام قصر الرئاسة الاوكرانية والدعوة إلى إعادة الانتخابات من جديد، وعليه حصلت انتخابات جديدة عام 2005 اصبح فيها فيكتور يوشينكو المؤيد للسياسة الامريكية رئيسا جديدا لأوكرانيا(مراد فيصل، 2016، 127).

اندلعت الأزمة السياسية في أوكرانيا في عام 2007 ، وذلك بعد دعوة القيادية في الثورة البرتقالية بوليا تيموشينكو الموالية للرئيس الاوكراني فيكتور يوشينكو لخروج المتظاهرين والتحرك بوجه الرئيس الاوكراني السابق فيكتور يانوكوفيتش والذي كان في حينها رئيس الأغلبية البرلمانية في اوكرانيا، والوقوف باتجاه حل السلطة التشريعية للرئيس الاوكراني فيكتور يوشينكو ، الأمر الذي أدى الى تدخل روسيا الاتحادية في أوكرانيا بعد انتصار يوشينكو التابع للولايات المتحدة الامريكية عام (2010) على مرشحها فيكتور يانوكوفيتش والذي أدى الى حدوث تغييرات جديدة في السياسة الداخلية الاوكرانية(وسام متي، 2007) وذلك

من خلال الانتخابات التشريعية التي حصل فيها فيكتور يوشينكو قائد الاحتجاجات السياسية في اوكرانيا على نسبة 5,4% من مجموع الناخبين بالجولة التشريعية الأولى، وانتصر فيكتور يانوكوفيتش المؤيد للسياسة الخارجية الروسية، وعليه تطورت السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا بشكل ايجابي، وفي نفس المدة أوقفت أوكرانيا مطالبتها بالانضمام لحلف شمال الأطلسي واختارت ان تكون على الحياد وعدم ابعاد القواعد العسكرية الروسية المتواجدة في البحر الأسود، فضلا عن ذلك أصدرت الحكومة الأوكرانية قرار باسترجاع اللغة الروسية بعد منع تداولها في مدة حكم الرئيس الاوكراني فيكتور يوشينكو(عبد العاطي، 2010، 2004).

كما اكد الرئيس الروسي الأسبق ميدفيديف للرئيس الأوكراني يانوكوفيتش على أهمية انتهاء المرحلة الماضية من العلاقات الروسية الأوكرانية، وإن التوجهات السياسية الأوكرانية لتقوية العلاقات مع روسيا الاتحادية وتعاطيها معها يختلف مع الدول الغربية لاسيما تجاه الولايات المتحدة الامريكية، حيث ظهرت بوادر الأزمة السياسية في اوكرانيا عام 2013، وذلك عندما امتنع الرئيس الاوكراني يانوكوفيتش من مصادقة اتفاقية التجارة الحرة والشراكة مع منظومة دول الاتحاد الاوروبي، والتي كانت نتيجتها خروج المحتجبن في كييف من قبل الأحزاب الموالية للغرب، للضغط على الحكومة الأوكرانية من التقارب السياسي والاقتصادي مع الدول الغربية(نورهان الشيخ ، 2014، ص1) .

ثالثا. الازمة الأوكرانية الداخلية:

انقسمت المظاهرات الاوكرانية بين المؤيد والمعارض لسياسة الرئيس الاوكراني فيكتور يانوكوفيتش، المعارض للتعاون والشراكة مع دول الاتحاد الأوروبي، إذ كانت في البداية أسبابها اقتصادية وبدأت تتحول تدريجياً إلى مواجهات وصدامات مسلحة في العاصمة الأوكرانية والتي تم بسببها عزل فيكتور يانوكوفيتش المؤيد للسياسة الخارجية الروسية وتسلم الأحزاب السياسة الأوكرانية التابعة للولايات المتحدة الامريكية والغرب الحكم في اوكرانيا(المركز المصري، 2017).

وفي نفس الوقت خرج في العاصمة الأوكرانية كييف مؤيدين للرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش، ولأجل إنهاء الخلافات السياسية تم عقد اتفاق ثنائي بين الرئيس الأوكراني والمعارضة السياسية التابعة للغرب عبر وساطة أوروبية، حيث نص الاتفاق عام 2014 على إجراء انتخابات تشريعية في البلاد وتشكيل حكومة مؤقتة، والقيام بتعديل دستور البلاد من خلال تقليص صلاحيات الرئيس الاوكراني وإلغاء قانون مكافحة الإرهاب ، الى جانب ذلك فقد قرر وزراء خارجية الدول الأوروبية

بفرض عقوبات اقتصادي على المسؤولين الأوكرانيين التابعين لحكومة يانوكوفيتش، وكان نتيجة المظاهرات عزل الرئيس الاوكراني يانوكوفيتش من منصبه(رئيس أوكرانيا والمعارضة، 2014).

وتم التصويت من قبل البرلمان الاوكراني على إجراء الانتخابات التشريعية في يوم 25 /أيار/2014، وعلى اثرها تم عزل الرئيس الاوكراني فيكتور بانوكوفيتش ، واطلاق سراح زعيمة الثورة البرتقالية يوليا تيموشينكو التابعة للغرب وأعلَنت عن ترشيحها للانتخابات البرلمانية بعد خروجها من السجن، وتم أنتخاب عام 2014 الرئيس الاوكراني بتروبورشنكو المؤيد للسياسة الغربية ، مما أدى الى تمكنه من عقد اتفاق الشراكة الاقتصادية مع منظومة الاتحاد الأوروبي . وفيما يخص القيادة العسكرية الأوكرانية فقد صرحت بعدم تدخلها في الخلافات السياسية الداخلية، ومع المظاهرات والمواجهات الداخلية في جميع انحاء أوكرانيا، وتبادل الاتهامات بين قادة الدول الاوروبية وروسيا الاتحادية على استغلال أوكرانيا وإجبارها على مصادقة اتفاقيات اقتصادية معهم، حيث أعلنت روسيا الاتحادية بأن انضمام أوكرانيا إلى منظومة الاتحاد الأوروبي لن يحصل ، وذلك حسب تصريح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، لأن الاتفاقية تتضمن على بنود خطيرة، وان عقد اتفاق الشراكة الأوكرانية مع منظومة الاتحاد الأوروبي يهدد بشكل مباشر الاقتصاد الروسي(سراج مهند ، 2017، 126) .

رابعا . <u>أهداف السياسة الغربية تجاه أوكرانيا :</u>

1- تقليص النفوذ الروسي سياسيا وعسكريا واقتصاديا في أوكرانيا ، والتي تعد منفذ استراتيجي مهم لروسيا الاتحادية على البحر الأسود .
2- ربط الدولة الأوكرانية سياسيا واقتصاديا وامنيا بحلف الشمال الأطلسي، وذلك لوضع قواعد عسكرية وامنية غربية محاذية للحدود الروسية ، والذي يعد ذلك تهديد واضح للعمق الأمني الروسي .
3- تقليل السيطرة الروسية على أوكرانيا وإلحاقها بالدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية .
4- توسع الشركات الرأسمالية في المجالات كافة واحتكارها من قبل الدول الغربية، الى جانب استثمار معظم قطاعات الدولة لمنظومة الاتحاد الأوروبي.
5- تغيير البنية الاقتصادية لأوكرانيا وإصلاحها وانفتاحها على الاستثمارات الأوروبية حسب استراتيجية صندوق النقد والبنك الدوليين.
6- تعزيز تبعية اوكرانيا اقتصاديا وماليا للدول الغربية ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية، من خلال إغراق أوكرانيا بالدين الخارجي .

خامسا. الاجراءات الروسية تجاه الازمة الاوكرانية:

لعبت روسيا الاتحادية دورا كبيرا في الازمة الداخلية الأوكرانية، لاسيما الرئيس الروسي فلادمير بوتين الذي اقترح عقد اتفاق هدنة بين روسيا الأحادية وأوكرانيا والذي أطلق عليها اتفاق "مينسك 1" ، وكان ذلك من خلال عقد مفاوضات وحوارات بين السلطات الحكومية الأوكرانية والمعارضة السياسية الموالون لروسيا الاتحادية في شرق اوكرانيا، حيث أجتمع ممثلون عن الحكومة الأوكرانية وحركة المعارضة في العاصمة البيلاروسية مينسك عام 2014, ووقع مندوب الحكومة الأوكرانية السابق ليونيد كوتشما ومندوبون عن حركة المعارضة الموالية لروسيا الاتحادية الكسندر زاخار وإيغور بلونتسكي ، ونص الاتفاق على وقف الهجمات العسكرية للجيش الأوكراني في منطقتي لوغانسك و دونيتسك، وانسحاب الجيش الأوكراني من مناطق النزاع المسلح، ووضع آليات دولية لمراقبة تطبيق الهدنة، كما وتضمن الاتفاق بين الطرفين على تبادل الأسرى، الى جانب فتح العديد من الممرات الانسانية لتسليم المساعدات والمواد الغذائية في مناطق النزاع بالإضافة الى إرسال فرق هندسية لإعادة الاعمار البنى التحتية في شرق اوكرانيا(وسيم خليل ، 2016 ، 3017).

سعت روسيا الاتحادية لإيجاد حلول سياسية للأزمة الداخلية الاوكرانية، ووجدت الخارجية الروسية على ضرورة عدم تطور الأزمة الأوكرانية أكثر وكذلك على تجنب المواجهة المسلحة مع حلف الشمال الأطلسي، وان من أبرز الحلول السياسية على الاجراءات الروسية والحوارات التي كانت بقيادة فرنسا وألمانيا والتي انتهت بأتفاق مينسك2 وذلك من اجل وقف النزاع المسلح في مناطق شرق أوكرانيا، وتم المصادقة عليها عام 2015 والتي تعد مكملة لاتفاق مينسك1، حيث تضمنت اثنتا عشر بنداً، والتي تم التوصل إليها من خلال القيادات السياسية لروسيا الاتحادية وأوكرانيا وألمانيا وفرنسا في العاصمة البيلاروسية مينسك(غزو النورماندي، ويكيبيديا).

سادسا: الافاق المستقبلية للسياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا:

نتجت عن سياسة روسيا الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا عدة متغيرات من الممكن الانطلاق منها لتحديد شكل العلاقات الروسية الاوكرانية, وذلك من خلال عرض احتمالين لمستقبل تلك العلاقة .

1. تراجع السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا :

يؤدي تراجع سياسة روسيا الخارجية تجاه أوكرانيا على زيادة حدة الخلافات الروسية الغربية بشكل أكثر حدة مما يساهم بشكل كبير في زيادة المخاطر الجيوسياسية في القارة الاوروبية لاسيما على آمن

الطاقة الأوروبي، وذلك في ظل تزايد الاعتماد الأوروبي على الموارد الطاقوية الروسية ، وتعد روسيا الاتحادية دولة رئيسية في تجهيز الطاقة للقارة الأوروبية ، لهذا ان أي تراجع في العلاقات الروسية الأوكرانية سينعكس بشكل مباشر على امن الطاقة الأوروبي، باعتبار أن أوكرانيا تعد ممر لنقل الطاقة الروسية الى الدول الاوروبية (كوثر عباس ، مصدر سابق ، ص164).

2. **تقدم السياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا :**

توجد هناك رغبة من قبل الدول الاوروبية في وضع حلول سياسية لمعالجة الأزمة الداخلية الاوكرانية، وذلك بسبب التداعيات الكبيرة التي انعكست على اقتصادها الأوروبي، حيث توجد هناك عدة اتفاقات اقتصادية وتجارية كبيرة بين دول الاتحاد الاوروبي وروسيا الاتحادية والتي تضررت بشكل كبير بسبب تأييدها للقرارات الأمريكية على فرض العقوبات الاقتصادية على روسيا الاتحادية (أوباما ، الاقتصاد الروسي)، كما ان تطور العلاقات الروسية الاوكرانية وتقدمها والتوصل إلى حلول دبلوماسية وسياسية للأزمة الاوكرانية سيضمن امن الموارد الطاقوية الأوربية وذلك في ظل تزايد اعتماد الدول الاوروبية على روسيا الاتحادية بأعتبارها مجهز مهم لمصادر الطاقة .

الخاتمة:

يتبين من عرض الأفاق المستقبلية للسياسة الخارجية الروسية تجاه أوكرانيا أن أحتمال التراجع وانهيار العلاقات الروسية الاوكرانية سينعكس بشكل سلبي على العلاقات الروسية الاوروبية ويهدد بتدهور التعاون الاقتصادي والتجاري ولاسيما في قطاع الطاقة وستصبح الدول الاوروبية بأكملها تحت الضغوطات الروسية في ما يخص قطاع الطاقة وذلك في ظل محدودية الولايات المتحدة الامريكية في دعم منظومة الاتحاد الأوروبي في قطاع الطاقة ، إذ إن معظم الموارد الطاقوية التي يستخدمها الدول الاوروبية تعتمد على واردات الطاقة الروسية ، والتي تتمثل بمادة النفط الخام وبنسبة 90٪ ومادة الغاز الطبيعي وبنسبة 69 ٪ ، وتصل إجمالي قيمة استيراد الطاقة من روسيا الاتحادية يومياً مليار يورو (Energy Security Strategy) .

الاستنتاجات:

1. أن لدى الدولة الأوكرانية حاجة كبيرة إلى روسيا الاتحادية لاسيما في قطاع الطاقة والذي يشمل النفط والغاز مما يجعل من الحكومة الأوكرانية أن توافق بالبنود والحلول الروسية وهذا ما تدركه السياسة الخارجية الروسية في تعاطيها السياسي مع أوكرانيا.

2. أنشغال روسيا الاتحادية في الأزمة السياسية الأوكرانية مما سيؤثر ذلك بشكل سلبي على دور وطبيعة التفاعلات السياسية بين كلا الجانبين ، فضلاً عن دور الولايات المتحدة الامريكية الدافع في تعزيز النزاعات والمواجهات العسكرية على الحدود الروسية لتقويض مكانتها في النظام العالمي الجديد.

3. تدعم الولايات المتحدة الامريكية التوسعات الغربية عبر توسيع النطاق المحدد لحلف شمال الأطلسي وتسعى لضم أوكرانيا للاتحاد الأوروبي، مما سينعكس بشكل سلبي على طبيعة العلاقات الامريكية الروسية.

4. توجد لدى روسيا الاتحادية تحالفات وشراكات اقتصادية وعسكرية مع عدة دول مهمة و مؤثرة ، لاسيما تجاه دول قارة أسيا وابرزها هي الهند والصين واليابان ودول منطقة الشرق الأوسط ، حيث لديها اتفاقية صداقة استراتيجية واقتصادية وعسكرية مع دولة الصين عقدت عام 2002 ، فضلا عن التعاون الاستراتيجي مع دولة الهند الذي عقد عام 2000 ، فالدولة الروسية سعت دائما إلى تكوين شراكات عسكرية واقتصادية مع الدول الأسيوية الكبرى لتقويض النفوذ الأمريكي في العالم. لهذا فأن العقوبات الاقتصادية الغربية تجاه روسيا الاتحادية تأثيرها محدود على الاقتصاد الروسي وغير مؤثر بسبب تعدد علاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

قائمة المصادر :

1. أرشد مزاحم مجيل، الأزمة الأوكرانية وسمات التغيير في التوازن الدولي، مجلة حمورابي للدراسات ، العدد(11)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية ، بغداد، تشرين الثاني 2014 .
2. . محمد ميسر فتحي محمود، الإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل التوازنات الجيوستراتيجية العالمية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2015
3. أنظر الى: ويكيبيديا– الموسوعة الحرة, على الموقع: Http://ar.m.wikipedia.org
4. مظفر عبد مطر التميمي، الأزمة الأوكرانية، مجلة المستنصرية، العدد(46) ، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية ،2014.
5. مراد فيصل ، السياسة الإقليمية الجديدة لروسيا دراسة حالة أوكرانيا ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر ، 2016/2015 .
6. وسام متي، أوكرانيا: انقلاب للثورة البرتقالية أم عليها؟ التفسير ، 4نيسان 2007، على الرابط: http://www.wmatta.com

7. عمرو عبد العاطي، عودة النفوذ الروسي في أوربا الشرقية، مجلة السياسة الدولية، العدد(181)، مؤسسة الاهرام، القاهرة، يوليو2010 .
8. نورهان الشيخ ، أوكرانيا وصراع الهوية والنفوذ ، صحيفة الاهرام المصرية ، القاهرة ، شباط2014 .
9. الأزمة الأوكرانية وتداعياتها السياسية والإستراتيجية والاقتصادية والسيناريوهات المتوقعة ، المركز المصري للبحوث والدراسات الأمنية، 15/يونيو/2017, على الرابط: markzamny.org/news
10. رئيس أوكرانيا والمعارضة يوقعان اتفاقية لإنهاء الأزمة، صحيفة صوت الجوف , السعودية، الخميس 27 فبراير 2014، على الرابط الآتي:
http://www.knlq.com/news.php?action=showid=33876.html
11.عصام عبد الفتاح القيصر, التحدي– الإدارة –صناعة عالم جديد، مركز كنوز للنشر والتوزيع، ط1, القاهرة,2015.
12 . سراج مهند منير، أثر المبادئ الجيوبوليتكية في الأداء الاستراتيجي الروسي بعد 2001، رسالة ماجستير غير منشورة،،كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ،2017.
13. وسيم خليل قلعجية ، روسيا الاوراسية زمن فلاديمير بوتين،الدار العربية للعلوم،ط1، بيروت, 2016.
14. أنظر إلى: غزو النورماندي–ويكيبيديا,الموسوعة الحرة,على الموقع:الحرب–النورماندي, http;//ar.m.Wikipedia.org/wiki
15 . غراسيا بيطار، ماهية بنود الاتفاقية مينسك حول الأزمة الأوكرانية ، جريدة الميادين، العدد12،2015/2/9, على الموقع: 16 http;//almayadeen.net/news/politics/706914
. كوثر عباس الربيعي , الأزمة الأوكرانية والعلاقات الروسية –الأمريكية التاريخ و الجيوستراتيجية .
17 . أوباما: الاقتصاد الروسي كاد أن يتوقف بفعل العقوبات , على الموقع :–
http:// www. Aljazeera. Net/ news / ebusiness/ 2014/8/7
18. Energy Security Strategy https://ec.europa.eu/energy/en/topics/energy-strategy-and-energy-

أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط
دراسة في نماذج مختارة

إعداد

م. د. منتهى علي حسين

جامعة النهرين– كلية العلوم السياسية

muntaha.ali@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، من خلال رصد وتتبع طبيعة العلاقة بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، بالتركيز على ثلاثة نماذج، هي: (العراق، سوريا، اليمن). اتبعت الدراسة منهجية مركبة في اطار المنهج الوصفي التحليلي، جمعت بين أسلوب تحليل المحتوى وأسلوب دراسة الحالة. توصلت الدراسة الى عدد من النتائج، أهمها: وجود علاقة ارتباطية بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي، نظراً لأن تداعيات التغير المناخي تشمل جميع الأبعاد السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية. أن الاستقرار السياسي شرط جوهري للتنمية الاقتصادية، والعكس صحيح أيضاً، بالنسبة لعدم الاستقرار السياسي، والذي تصاحبه حالة من عدم اليقين بشأن المستقبل، لاسيما في ظل التداعيات والآثار السلبية الناتجة عن التغيرات المناخية. تشكل التغيرات المناخية عاملاً من عوامل الاضطرابات السياسية، وعامل تهديد للأمن الإنساني من كافة أبعاده الاقتصادية والاجتماعية، مما يجعلها أحد أهم معوقات الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة في العراق وسوريا واليمن. أدى غياب وقصور استراتيجيات المواجهة الى تفاقم آثار وتداعيات التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الدول الثلاث (العراق، سوريا، اليمن)، مما يجعل مواجهة تلك التغيرات المناخية ضرورة أمنية وسياسية، فضلاً عن كونها ضرورة بيئية. يتحدد الأثر المستقبلي للتغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في (العراق، سوريا، واليمن) في سيناريوهين اثنين: سيناريو متفائل ينطلق من الإدراك والاهتمام الدولي بخطورة تداعيات تلك التغيرات على استقرار دول المنطقة، وتعاون الدول في مواجهتها، وسيناريو متشائم، ينطلق من واقع تضارب المصالح الدولية.

الكلمات المفتاحية: التغيرات المناخية، الاحتباس الحراري، الاستقرار السياسي، الأمن المناخي

Abstract

This study aimed to identify the impact of climate change on political stability in the Middle East by monitoring and tracking the relationship between climate change and political stability in the region, focusing on three case studies: Iraq, Syria, and Yemen. The study employed a hybrid methodology within the framework of descriptive-analytical research, combining content analysis and case study approaches. The study reached several conclusions, most notably: a correlation exists between climate change and political stability, given that the repercussions of climate change encompass all political, economic, security, and social dimensions; political stability is a fundamental prerequisite for economic development, and conversely, political instability is accompanied by uncertainty about the future, particularly in light of the negative repercussions and effects of climate change; and climate change constitutes a factor contributing to political instability and a threat to human security in all its economic and social dimensions, making it one of the most significant obstacles to political stability in the Middle East, especially in Iraq, Syria, and Yemen. The absence and inadequacy of response strategies have exacerbated the effects and repercussions of climate change on political stability in three countries (Iraq, Syria, and Yemen), making addressing climate change a security and political imperative, in addition to its environmental necessity. The future impact of climate change on political stability in Iraq, Syria, and Yemen can be categorized into two scenarios: an optimistic scenario based on international awareness and concern regarding the serious repercussions of these changes on the stability of the region's countries, and on cooperation among these countries to address them; and a pessimistic scenario based on the reality of conflicting international interests.
Keywords: Climate change, Global Warming, Political Stability, Climate Security

المقدمة

تشكل التغيرات المناخية واحداً من أهم وأبرز تحديات القرن الحادي والعشرين، والتي تحظى بأولوية عالية ضمن التوجهات الدولية الراهنة، نظراً لخطورة الآثار المترتبة عنها في كافة نواحي الحياة الإنسانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، خاصة في ظل تصاعد حدة التوترات والصراعات المحلية والإقليمية والدولية، والتي تعد من أهم النتائج والآثار المباشرة لظاهرة التغيرات المناخية.

تؤثر التغيرات المناخية بشكل واسع النطاق على الوضع البيئي والموارد الطبيعية، الأمر الذي يؤدي الى زيادة معدلات الفقر والبطالة والهجرة وغيرها، وهي الآثار التي تسهم بشكل كبير في احداث تحولات بالغة في بنية المجتمعات وعلاقاتها داخل حدود الدولة، كما تؤثر على علاقات الدول المتجاورة من مختلف الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأمنية، في الوقت نفسه الذي تؤكد فيه التقارير الصادرة عن الهيئات والمنظمات الدولية المعنية برصد آثار التغيرات المناخية على أنها أصبحت من الظواهر المؤثرة على الاستقرار السياسي، لاسيما في ظل الصراعات والحروب الأهلية، والنزاعات السياسية، إذ تسهم ظروف انعدام

الاستقرار السياسي والأمن الإنساني في مناطق الصراع في الحد من مواجهة التغيرات المناخية بطرق إيجابية تحد من آثارها السلبية.

تؤدي تلك الظروف المتوترة والمعقدة الناتجة عن الحروب والصراعات والنزاعات السياسية في ظل التغيرات المناخية الى زيادة حدة آثار التغيرات المناخية على استقرار الدول والاقتصادات والمجتمعات، بحيث تنعدم ظروف العيش الكريم والاستقرار والأمن المحلي، فضلاً عن زيادة احتمالات تفاقم الأوضاع على نحو ما يؤدي الى زعزعة الاستقرار السياسي الإقليمي والدولي، وتهديد الأمن والسلام الدوليين.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم توتراً منذ عقود عديدة، إذ شهدت العديد من الحروب والصراعات المحلية والإقليمية والدولية، في واقع كانت ومازالت فيه آثار التغيرات المناخية وانعكاساتها السلبية تتفاقم بشكل تدريجي، وخاصة في ظل آثار وتداعيات موجة ثورات الربيع العربي في عام 2011، والتي مازلت قائمة حتى اليوم، وتتمثل في انعدام أو ضعف الاستقرار السياسي في العديد من الدول العربية.

تتمثل مشكلة الدراسة في الحاجة الى التعرف على أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، والتي يمكن التعبير عنها بالسؤال الرئيسي التالي:

ما أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط؟

تنبثق عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية على النحو الآتي:

1. ما العلاقة بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط؟
2. ما أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في كل من: (العراق، سوريا، اليمن)؟
3. ما هي استراتيجيات مواجهة التغيرات المناخية لتحقيق الاستقرار السياسي والحفاظ عليه في (العراق، سوريا، اليمن)؟
4. ما السيناريوهات المستقبلية لأثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في (العراق، سوريا، اليمن)؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة من الناحية العلمية في الأولوية الشديدة التي تحظى بها ظاهرة التغيرات المناخية في الأجندة الدولية والإقليمية والوطنية، إذ تشكل واحدة من أهم التحديات التي تهدد أمن واستقرار الدول بشكل خاص، والأمن والسلام الدوليين بشكل عام.

أما من الناحية العملية، فتكمن أهمية الدراسة من حيث تعنى بدراسة أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في أربعة دول عربية هي (العراق، سوريا، اليمن)، والاستراتيجيات المتبعة فيها لمواجهة هذه الظاهرة، وانعكاساتها الراهنة والمستقبلية.

أهداف الدراسة

يهدف الدراسة بشكل عام الى التعرف على أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، من خلال رصد وتتبع طبيعة العلاقة بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، بالتركيز على ثلاثة نماذج، هي: (العراق، سوريا، اليمن)، والتعرف على الاستراتيجيات اللازم اتباعها في هذه الدول لمواجهة التغيرات المناخية وأثرها في تحقيق الاستقرار السياسي والحفاظ عليه، في ظل الجهود الإقليمية والدولية المتصلة بهذا الشأن، واستشراف السيناريوهات المستقبلية.

منهجية الدراسة

اتبعت الدراسة منهجية مركبة في اطار المنهج الوصفي التحليلي، وذلك على النحو الآتي:

1. **أسلوب تحليل المحتوى،** لجمع كافة المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة من المصادر الثانوية، وتحليلها وتفسيرها بشكل علمي ومنظم في ضوء الواقع الراهن والمستجدات المتتابعة.

2. **أسلوب دراسة الحالة؛** وهو أحد أساليب المنهج الوصفي، ويفيد في دراسة حالة كل دولة من الدول موضوع الدراسة في ضوء إشكاليتها وتساؤلاتها.

هيكل الدراسة

بالإضافة الى المقدمة السابقة، تتألف الدراسة من ثلاثة مباحث، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وذلك وفق التقسيم التالي:

مقدمة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المبحث الثاني: التغيرات المناخية وأثرها على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط (نماذج مختارة)

المبحث الثالث: مستقبل الاستقرار السياسي في ظل التغيرات المناخية

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

الإطـــــار المفاهيمي

يتحدد الإطار المفاهيمي للدراسة بالمفاهيم الرئيسية التي تعبر عن متغيراتها، وهي (التغيرات المناخية، والاستقرار السياسي، والعلاقة بينهما)، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: التغيرات المناخية (Climate Change)

بما أن المناخ يشكل نظاماً مفتوحاً يؤثر ويتأثر بكافة العوامل الداخلية والخارجية المكونة له والمحيطة به، فإنه يظل عرضة للتغير من فترة لأخرى، وهو ما اصطلح على تسميته بـ التغيرات المناخية (Climate Change)، وقد نصت اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ لعام 1992 على تعريف التغير المناخي في المادة (2/1) بأنه: ذلك التغير في المناخ الذي "يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط

البشري الذي يفضي إلى تغير في تكوين الغلاف الجوي العالمي والذي يلاحظ بالإضافة إلى التقلب الطبيعي للمناخ، على مدى فترات زمنية متماثلة" (الأمم المتحدة، 1992).

وفي تعريف أخر، هو التغير الذي يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري والذي يغير من تكوين العلاف الجوي، إذ يجب ملاحظة أن الغلاف الجوي يتكون من مجموعتين المجموعة الغازية والمجموعة غير الغازية (الشمري، 2013، 121)، وهو ما يعرف اليوم بـ ظاهرة الاحتباس الحراري (Global Warning)، والتي تعرف بأنها الارتفاع التدريجي في درجة حرارة الطبقة السفلى القريبة من سطح الأرض ومن الغلاف الجوي بسبب زيادة انبعاث غازات الدفيئة التي تمتص الأشعة دون الحمراء وتعيد بثها (الأمم المتحدة، 1992).

يلاحظ أن التعريفات السابقة تشير الى الأسباب والعوامل الإنسانية المباشرة وغير المباشرة، إضافة إلى الأسباب والعوامل الطبيعية المؤدية الى حدوث هذه الظاهرة، والتي هي في الأصل ظاهرة طبيعية تحدث كل عدة ألاف السنيين، ولكن نظرا للنشاطات البشرية المتزايدة يؤدي ذلك إلى تسارع حدوث تغير المناخ.

ذهب بعض الباحثين الى تعريف المناخ بأنه: "الحالة المتوسطة للطقس واختلافه على مدى فترة زمنية محددة ومنطقة جغرافية معينة، ويقسم التصنيف الكلاسيكي للمناخ الأرض إلى مناطق مناخية متباينة، ويختلف المناخ من منطقة لأخرى بحسب خط العرض والبعد عن البحر والغطاء النباتي ووجود الجبال أو العناصر الجغرافية، كما أنه يختلف من فصل لآخر ومن عقد لآخر، أو على مدى أطول مثل العصر الجليدي، ويعبر إحصائيا عن التغييرات الهامة التي تطول لعقود أو أكثر" (خرفان، 2009، 3).

كما تعرف التغيرات المناخية بأنها "التغير في النظم المناخية التي تسهم في تغيير مكونات الغلاف الجوي، ويتمثل الناتج الرئيسي لتلك الأنشطة في انبعاثات الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري، وتنقسم الآثار السلبية المترتبة على تلك التغيرات إلى آثار وقتية مثل الأمطار الغزيرة، والفيضانات، والأعاصير، وموجات الحرارة، وآثار متوسطة وبعيدة المدى مثل ارتفاع مستوى سطح البحر، والتصحر، وتدهور الأراضي والمصايد السمكية، وغيرها من الظواهر المناخية القاسية. فضلا عن ارتفاع متوسط درجات الحرارة، بما لها من آثار مباشرة على المجتمعات البشرية، والأنشطة الاقتصادية، والنظم البيئية والايكولوجية، بالإضافة إلى تهديد الجزر الصغيرة، والمناطق الساحلية بالغرق، بما يتسبب في تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، والأمنية، مثل زيادة تدفق اللاجئين وغيرها" (نصر، 2022، 6).

ثانياً: الاستقرار السياسي (Political Stability)

يُشكل النظام السياسي شبكة معقدة من التفاعلات والعلاقات والتأثيرات ما بين البيئات الداخلية والخارجية ورصد هذه التغيرات والتكيف معها، لتحقيق الاستقرار السياسي للدولة (هلال، 2015، 235).

على هذا الأساس، يُعرف الاستقرار السياسي بأنه حالة تتميز بالمرونة وعدم الثبات، تشير إلى مقدرة النظام السياسي على توظيف مؤسساته للقيام بما يلزم من تغييرات وتعديلات لتتجاوب وتوقعات الجماهير،

واحتواء ما قد ينشأ من صراعات دون استخدام العنف السياسي إلا في نطاق ضيق لدعم شرعيته وفعاليته (مسعد، 1988، 5) (إسماعيل، 2015، 24).

في تعريف آخر، الاستقرار السياسي هو ذلك الوضع العام الذي تغيب فيه الاضطرابات السياسية أو العنف الداخلي، واستمرارية المؤسسات الحكومية وقدرتها على تنفيذ السياسات دون تدخلات أو إعاقات (أحمد، 1991، 21).

يتحقق الاستقرار السياسي من خلال عدة عوامل أساسية، تتمثل أهمها بكل مما يلي (إبراهيم، 2007، 45):

1. **الشرعية؛** ويراد بها الوجود القانوني، أي أن يتمتع النظام السياسي بالاعتراف الشعبي والدولي بمشروعيته وقدرته على إدارة البلاد.
2. **القدرة والفعالية المؤسسية؛** أي قدرة وفعالية كافة مؤسسات الدولة، واستمرارها في تقديم الخدمات وإنفاذ قواعد النظام الدستوري والقانون.
3. **تحقيق الأمن الداخلي؛** ويشمل ذلك السيطرة على الاضطرابات والاختلالات الأمنية، بما في ذلك تلك التي تتضمن استخداماً للعنف، والاستمرار في توفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين.
4. **قابلية التكيف والقدرة على الاحتواء؛** وهي قدرة النظام على الاستجابة لكل التحديات والأزمات الداخلية والخارجية واحتوائها بشكل إيجابي، والحد من أي مخاطر قد تترتب عليها.

ثالثاً: العلاقة بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي

تؤكد معظم الدراسات والبحوث والأدبيات الدولية السابقة على أن هناك علاقة ارتباطية بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي، نظراً لأن تداعيات التغير المناخي تشمل جميع الأبعاد السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية، كونها عاملا محفزا للندرة (Scarcity) (الشريف، 2023، 128)، إذ يشكل الاستقرار السياسي عنصراً حيوياً لاستدامة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (همام، 2025، 375)؛ كما أن هناك علاقة ارتباطية بين التغير المناخي وتنامي احتمالات الصراع وعدم الاستقرار السياسي (الشريف، 2023، 128)، الذي قد يأتي في عدة أشكال أساسية منها التقليدية مثل الانتفاضات الشعبية، والاضطرابات، والثورات، والانقلابات السياسية، والحروب الأهلية، بالإضافة الى الأسباب غير التقليدية مثل الكوارث الطبيعية والفيضانات، والنزوح الجماعي، وتعد تداعيات التغير المناخي من أهم أسباب عدم الاستقرار السياسي (عمارة، 2022، 12-13)، والتي تؤدي الى حالة من عدم اليقين بشأن مدى استقرار النظام السياسي والقانوني للدولة (Carmignanl, 2003, 2).

شكل (1):

العلاقة بين التغير المناخي والاستقرار السياسي

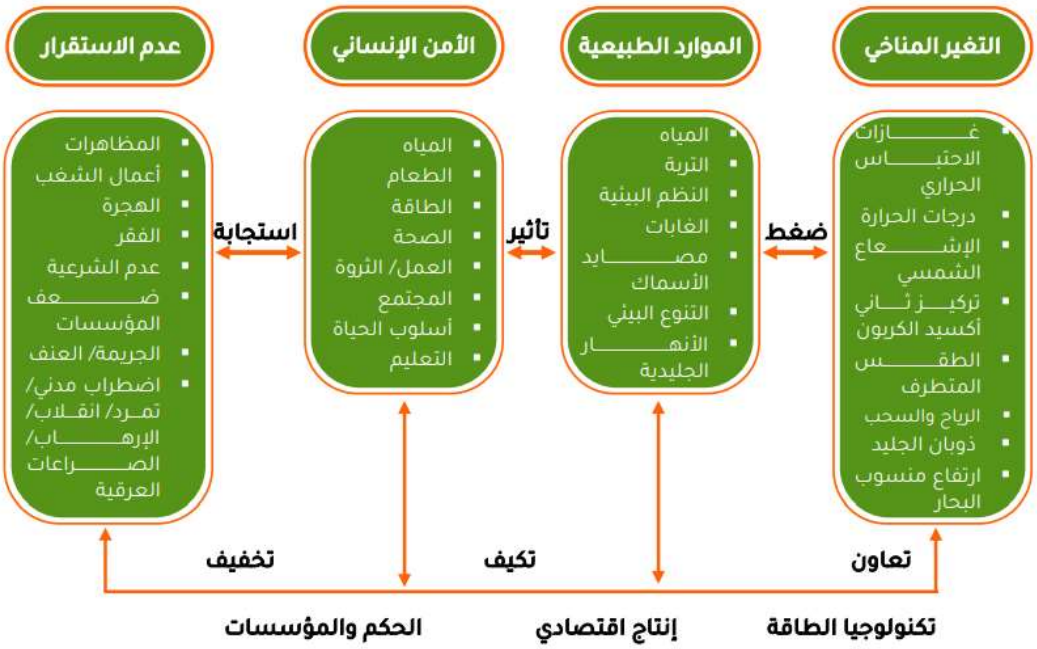

المصدر: (الشريف، 2023، 129)

يشكل التغير المناخي أحد معوقات التنمية الاقتصادية، نظراً لتداعياته السلبية على قطاعات الإنتاج المختلفة (الزراعية، التجارية، والصناعية)، والتي تؤدي الى انخفاض مستويات الدخل وزيادة معدلات الفقر والجهل وانتشار الأوبئة والأمراض، والهجرة والنزوح، وذلك بسبب العلاقة التلازمية بين التنمية الاقتصادية والاستقرار السياسي (رضوان، 2016، 50)، فالاستقرار السياسي شرط جوهري للتنمية الاقتصادية، والعكس صحيح أيضاً، بالنسبة لعدم الاستقرار السياسي، والذي تصاحبه حالة من عدم اليقين بشأن المستقبل، لاسيما في ظل التداعيات والآثار السلبية التي تنتج عن التغيرات المناخية (Aisen & Veiga, 2011, 17).

ينظر اليوم الى التغيرات المناخية باعتبارها من أهم وأخطر التحديات التي تواجه الاستقرار السياسي للدول في القرن الحادي والعشرين بسبب تأثيراتها العميقة على الموارد الطبيعية والبشرية، والاقتصاد، والأوضاع العامة للسكان (همام، 2025، 376).

يمكن بيان أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي على النحو الآتي:

1. التغيرات المناخية كعامل من عوامل الاضطرابات السياسية والاجتماعية؛ تتسبب التغيرات المناخية بحدوث ندرة في الموارد الطبيعية كالمياه والأراضي الزراعية، تؤدي بدورها إلى حدوث نزاعات محلية داخل الدولة، وربما مع الدول المجاورة، مما يزيد من حدة التوترات السياسية، على سبيل المثال، النزاعات حول الموارد المائية المشتركة بين دول حوض نهر النيل هي مثال واضح على تأثير التغير المناخي على الاستقرار الإقليمي (Reuveny, 2007, 656).

كما قد تؤدي التغيرات المناخية الى حدوث الهجرات البيئية، بسبب الكوارث الطبيعية كالفيضانات والجفاف، والتي تدفع السكان إلى الهجرة من مناطقهم المتضررة إلى مناطق أخرى (Coniglio & Pesce, 2015, 23)، وغالباً ما تؤدي هذه الهجرة إلى ضغوط على الموارد والبنية التحتية في المناطق المستقبلة،

على نحو ما يخلق توترات سياسية واجتماعية داخل الدول أو ما بين الدول المجاورة، فضلاً عن زيادة حدة النزاعات العرقية والسياسية في المناطق المضيفة (Reuveny, 2007, 657)، أضف الى ذلك، أن التغيرات المناخية تسهم في زيادة معدلات الفقر والبطالة والتهميش، مما يؤدي إلى تصاعد الغضب الشعبي والاضطرابات السياسية (Homer-Dixon, 2001, 77).

2. التغيرات المناخية كعامل مهدد للأمن الإنساني؛ يرتبط مفهوم الأمن الإنساني (Human Security) بالتنمية البشرية من خلال ضمان المساواة والتكافؤ والاستدامة والنمو الاقتصادي، والتحرر من الخوف والجوع والفقر والبطالة في اطار من الحكم الرشيد والاستقرار السياسي، إذ يعرف الأمن الإنساني بأنه: "حماية الحريات الحيوية وحماية الناس من الأوضاع والإخطار الحرجة والعامة، وبناء قواهم وطموحاتهم، ويعني كذلك خلق النظم السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والبيئية والثقافية التي تمنح الناس أسس لبقائهم وكرامتهم ومعيشتهم"، (كاظم، 2019، 74).

على هذا الأساس، تشكل آثار التغيرات المناخية تهديداً للأمن الإنساني، من حيث تؤدي تلك التغيرات إلى نقص في الموارد المائية والزراعية، مما يزيد من احتمالية النزاعات على الموارد، وتعد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أكثر المناطق تأثراً بنقص المياه، مما يهدد الأمن الغذائي ويزيد من احتمالية الصراعات الداخلية والخارجية (همام، 2025، 378)، حيث تصبح النزاعات المسلحة أكثر احتمالاً، لاسيما في الدول التي تعاني من الهشاشة السياسية والاقتصادية، ومثال ذلك، الجفاف الشديد الذي أصاب سوريا في الفترة (2006-2010)، والذي اعتبر أحد أهم أسباب الثورة والاحتجاجات التي تطورت لاحقاً إلى حرب أهلية، فقد أدى الجفاف إلى هجرة مئات الآلاف من سكان الريف إلى المدن، مما زاد من الضغط على الموارد الحضرية وأدى إلى اضطرابات اجتماعية (Gleick, 2014, 331).

كما تتسبب التغيرات المناخية في زيادة معدلات الهجرة القسرية، حيث يُجبر الملايين من البشر على مغادرة مناطقهم بسبب الظروف البيئية القاسية، مما يؤدي الى تفاقم الأزمات في المناطق المضيفة، مما يسبب توترات سياسية (Mares & Moffetti, 2016, 300)، ناهيك عن انعكاسات التغيرات المناخية على الأمن الاقتصادي، فمع انخفاض المحاصيل الزراعية بسبب التصحر والجفاف، ترتفع أسعار المواد الغذائية مما يزيد من الاحتقان الاجتماعي. ووفقا للتقارير الصادرة عن البنك الدولي، فإن الدول التي تعتمد على الزراعة بشكل أساسي ستتأثر بشكل خاص من التغير المناخي، الأمر الذي يمكن أن يزيد من هشاشتها الاقتصادية والسياسية (World Bank, 2020)، فضلاً عن آثار التغيرات المناخية على الأمن الصحي، إذ يمكن أن تنتشر الأمراض والأوبئة، في ظل ارتفاع معدلات الفقر والجهل وسوء التغذية كمؤثرات مختلفة (Berlemann & Wenzel, 2016, 469).

يتبين مما تقدم، أن التغيرات المناخية تؤثر بشكل سلبي على الاستقرار السياسي، كما يمكن أن تساهم في زيادة حدة عدم الاستقرار السياسي في الدول الهشة، مما تجعل من الضروري تطوير سياسات فعالة لمواجهتها أو على الأقل للتكيف معها.

المبحث الثاني:

التغيرات المناخية وأثرها على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط

يتفاوت تأثير التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي من دولة الى أخرى، ومع ذلك، فإن منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا تعد من أكثر المناطق عرضة لتأثيرات التغير المناخي، فقد أظهرت السنوات الأخيرة أثر التدهور البيئي على عدم الاستقرار السياسي والمجتمعي، نظراً للدور الذي لعبه الجفاف الشديد في كثير من الأحيان في فقدان سبل العيش، وتزايد معدلات النزوح الداخلي، وانعدام الأمن الغذائي، (الشريف، 2023، 123)، وهذا ما يمكن بيانه من خلال رصد وتتبع أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في ثلاث دول ضمن هذه المنطقة، وهي: (العراق، سوريا، واليمن).

أولاً: العراق

يتجسد التغير المناخي في العراق بارتفاع درجات الحرارة المتصاعد، وتزايد تكرار وشدة موجات الجفاف والفيضانات، وتآكل الموارد المائية الأساسية، وهذه التغيرات تزيد من هشاشة القطاعات الحيوية مثل الزراعة وصيد الأسماك وتوسّع الفقر والتشرد، ما يجعل المناخ عاملاً مضخمًا للتوترات الاجتماعية والسياسية في بيئة سياسية ضعيفة ومقسَّمة (IPCC, 2022) (صالح، 2023، 5-6، 8).

تمثل أزمة المياه في العراق، الجانب الأبرز الذي يكشف عن مدى ارتباط التغيرات المناخية بالاستقرار السياسي؛ فقد أدى انخفاض تدفقات دجلة والفرات مؤثر بسبب كل من التغير المناخي وإجراءات الحجز من المنبع من دول الجوار (الربيعي، 2022، 13) (الزعرور، 2023، 12)، كل هذا أدى إلى تملح التربة وتراجع الإنتاج الزراعي وتناقص موارد الشرب والري، وبالتالي، الى تصاعد المنافسات المحلية والإقليمية على الحصص المائية وتزداد قدرة مجموعات مسلحة أو فاعلين اقتصاديين على تحويل التحكم بالماء إلى سلطة فعلية محلية، كما أدت تأثيرات المناخ على سبل العيش الزراعية إلى تآكل سبل العيش الريفية وارتفاع معدلات الفقر والبطالة في المحافظات المعتمدة على الزراعة والري والسمك، ومع محدودية شبكات الحماية الاجتماعية والفرص الاقتصادية البديلة تتحول الصدمات المناخية إلى عوامل تدفع للتجهّم الاجتماعي والاحتجاجات المحلية وربما للاشتغال بأدوار غير نظامية مثل الانخراط مع شبكات التهريب أو الميليشيات للحصول على دخل (ثيسن وآخرون، 2022، 14) (المعضادي، 2025، 626-627).

كما يعد كل من التهجير الداخلي والتحول الحضري نتيجة مباشرة ومبادلة للتغيرات المناخية في العراق؛ فقد دفعت موجات الجفاف والفيضانات الكثير من الأسر والعائلات الريفية الى الانتقال إلى المدن، مما ساهم في زيادة الضغط على الخدمات والبنية التحتية، وولد توترات جديدة متعددة ومتنوعة بين السكان المستقرين والوافدين (صالح، 2023، 9)، وتستغل مثل هذه التوترات من قبل بعض الجماعات أو الأحزاب السياسية المحلية أو من قبل بعض الشركات والشبكات العملية لتكريس نفوذها والسيطرة على موارد الخدمات، مما يؤدي الى إضعاف شرعية الدولة، وزيادة احتمالات وقوع المزيد من المظالم السياسية بالطرق العنيفة أحيانًا (الربيعي، 2022، 18).

يحدد كل من العامل المؤسسي والحوكمَة في العراق، ما إذا كان بالإمكان أن تتحول الصدمات المناخية إلى نزاعات، لاسيما في ظل ضعف القدرات الحكومية، وتفشي الفساد، وتشتت السلطات بين مستويات إدارية ومناطق واقتصاد ريعي معتمد على النفط يجعل تنفيذ سياسات تكيّف متناسقة صعبًا، وغياب آليات عادلة لتوزيع المياه والدعم يؤدي إلى شعور بالاستبعاد يسرّع توظيف الأزمات المناخية كذريعة لصراعات بين مكونات سياسية وإثنية (هلال، 2024، 57) (داوودي، 2024، 19) (الربيعي، 2022، 14–17)؛ في حين تضيف المخاطر الجيوسياسية المائية بين العراق وجواره بُعدًا آخر، إذ تؤثر مشاريع السدود والحجز في تركيا وإيران وسوريا على توافر المياه في العراق، وما يُعتبر سياسات تنموية لدى دول الجوار يُقرأ في العراق على أنه تهديد للقدر المائي والاقتصادي، ومن ثم تتحول القضايا المائية إلى قضايا سيادة وإقليمية تُضعف مساحات التعاون وتزيد احتمالات التوتر السياسي بين بغداد وجيرانها (ثيسن وآخرون، 2022، 14).

إضافة الى ذلك، فإن الإدراك الاجتماعي والشرعية يؤثران على ديناميكا الصراع في العراق؛ فعندما تُفهم ضغوط المناخ على أنها نتيجة لتحركات سياسات أو فساد أو إهمال حكومي يرتفع الاستياء العام وتتسع قاعدة المطالبة بالمساءلة، ويمكن أن ينشأ خطاب سياسي يستثمر الأزمات المناخية لتسويق بدائل سياسية أو لتعبئة انتماءات مناطقية أو طائفية، وهو ما يضع الاستقرار في دائرة تهديد متجددة (داوودي، 2024، 19)؛ وهذا يعني أن آثار التغير المناخي في العراق تتجاوز البُعد البيئي لتصبح مكوّنًا مركزيًا في معادلة الاستقرار السياسي، إذ أن تزايد موجات الجفاف وتراجع الموارد المائية يعيدان إنتاج الانقسامات الاجتماعية على شكل احتجاجات واسعة ضد ضعف الخدمات الحكومية وسوء إدارة الموارد. الاحتجاجات التي شهدتها البصرة عام 2018، حيث خرجت مظاهرات حاشدة بسبب أزمة المياه وانقطاع الكهرباء وارتفاع معدلات التلوث، تعد نموذجًا واضحًا على كيفية تحوّل الضغوط البيئية إلى أزمات سياسية تهدد شرعية الدولة وتزيد من هشاشة المؤسسات الحاكمة. (International Crisis Group, 2021, 14). كما تساهم التغيرات المناخية في زيادة حدة التوتر بين الحكومة المركزية والأقاليم؛ إذ أن المحافظات الجنوبية الأكثر تضررًا من الجفاف والتلوث المائي والنفطي تشعر بأنها ضحية لإهمال الحكومة المركزية، ما يغذي خطابًا سياسيًا مناطقياً يدعو إلى مزيد من الحكم الذاتي أو تقليص الاعتماد على بغداد، إذ يعمل هذا الشعور بالتهميش المناطقي على إعادة إنتاج أنماط الانقسام السياسي واضعاف الوحدة الوطنية، خاصة في ظل غياب سياسة مائية متكاملة وعادلة (World Bank, 2022, 23).

يتبين من ذلك، أن التغيرات المناخية في العراق لا تشكل تهديداً بيئياً فحسب، بل تشكل عاملاً سياسياً يضرب شرعية الدولة ويغذي الانقسامات المجتمعية ويمنح قوى غير حكومية مساحات أكبر للمناورة والسيطرة، مما يجعل مواجهة التغيرات المناخية ضرورة أمنية وسياسية.

ثانياً: سوريا

تبرز التغيرات المناخية في سوريا كعامل مضاعف لهشاشة الدولة والاقتصاد والمجتمعات المحلية نتيجة ارتفاع درجات الحرارة الممسوخ وتراجع معدلات الهطول على مدى عقود، إذ تشير الأدلة العلمية التي درست جفاف منطقة الهلال الخصيب الى أن موجات الجفاف الشديدة التي سبقت اندلاع الأزمة السورية كانت أكثر احتمالًا نتيجة الاتجاه الطويل الأمد للجفاف المرتبط بالتغير المناخي، ما انعكس في تراجع مخزون التربة والمياه السطحية وتأثير مباشر على إنتاج المحاصيل وسُبل العيش الريفية (Kelley et al, 2015).

كما أدى التشظي السياسي والأمني قبل وأثناء النزاع الى اضعاف قدرة الدولة على استيعاب التغيرات المناخية، وبالتالي، فقد حد ضعف الأجهزة الإدارية وتراجع الخدمات العامة والفساد في بعض المناطق من فاعلية استجابات التكيف، بل أن التغيرات المناخية أصبحت تُترجم بسرعة إلى أزمة اجتماعية قابلة للاستغلال السياسي من قبل فاعلين محليين وغير محليين، وهو ما يوضح أن المناخ عمل كمسرع للتفكك الاجتماعي والسياسي لا كمسبب وحيد للنزاع. (Selby et al, 2017, 2–4).

شكلت قضية ندرة المياه في سوريا الملمح الأبرز الذي يكشف علاقة التغيرات المناخية بالاضطراب السياسي في سوريا، وذلك لأن الانخفاض المتكرر في الأمطار وتغير توقيتاتها أدى إلى فشل المحاصيل الموسمية واستنزاف الآبار الجوفية، ومع اعتماد قطاع كبير من السكان على الزراعة المطرية أو الري البسيط فقدت أسر ريفية واسعة مصادر دخلها، وهذا التدهور في سبل العيش خلق ضغوطًا اقتصادية واجتماعية تحولت إلى حركات هجرة داخلية وتزايد الاحتقان تجاه مؤسسات الدولة المسؤولة عن توزيع الدعم والخدمات (سميث، 2023) (الزعرور، 2023، 12)، إضافة الى التهجير الداخلي كنتيجة واضحة لتراجع الموارد الزراعية؛ فالأسر التي فقدت دخلها انتقلت بكثافة إلى المدن ومناطق الحزام الحضري مما زاد الضغط على البنية التحتية الضعيفة والخدمات الصحية والتعليمية وسكن اللاجئين، وهذه التحولات الديموغرافية أنتجت توترات بين سكان مستقرين ووافدين وساهمت في خلق منافسات على الوظائف والموارد التي تسخر لها شبكات سياسية وأمنية، ما سهل استغلال الغضب الاجتماعي سياسياً، وزيادة العنف السياسي الممارس من قبل النظام الحاكم (FAO, 2014) (WFP, 2021) (World Bank, 2022).

كما بدا التأثير القطاعي للتغيرات المناخية على الأمن الغذائي في سوريا واضحاً وقابلاً للقياس من خلال تراجع محصول القمح والمحاصيل الأساسية الأخرى، وهذا الانخفاض لا يؤثر فقط في مستوى الاستهلاك بل يضرب قدرة الدولة على إدارة الأسواق والاحتياطيات، ما أدى الى رفع أسعار المواد الغذائية وزيادة حالة عدم الرضا الشعبي، وهو مسار تبادلي يربط بين فقدان الأمن الغذائي وارتفاع احتمالات الاحتجاجات الاجتماعية والسياسية (WFP, 2021) (Reuters, 2025).

تضاف إلى ذلك، الأبعاد الإقليمية، حيث لعبت مشاريع المياه في دول الجوار، وخاصة في تركيا، دوراً في تقليص الموارد المتاحة لسوريا من نهر الفرات، ومع اقتران ذلك بالتغيرات المناخية داخل الأراضي السورية، أصبح ملف المياه ملفاً سيادياً حساساً، وفقدان القدرة على إدارة هذا التحدي عزز شعوراً عاماً

بضعف الدولة وفشلها في حماية مصالحها، وهو ما زاد من هشاشة الاستقرار السياسي في ظل بيئة إقليمية متوترة (IPCC, 2022, 14).

وعلى المدى الطويل، فإن استمرار موجات الجفاف وارتفاع درجات الحرارة وتراجع الأمن الغذائي والمائي يمكن أن يؤدي إلى تفاقم الضغوط الداخلية على مؤسسات الحكم، بحيث تُفقد ثقة المواطنين في الدولة وتُفتح المجال أمام تزايد الاحتجاجات أو انخراط السكان في قنوات بديلة للسلطة، مثل الجماعات المسلحة أو شبكات النفوذ المحلية (World Bank, 2022)؛ وهكذا، فإن التغيرات المناخية شكلت عنصراً بنيوياً بالغ التأثير، من حيث ساهم في إعادة إنتاج عدم الاستقرار السياسي وإطالة أمده، خاصة إذا ما بقي النظام السوري الجديد مشغولاً بالقضايا السياسية والأمنية، دون الالتفات الى التداعيات الخطيرة الناتجة عن التغيرات المناخية.

ثالثاً: اليمن

اليمن يواجه مخاطر مناخية متزايدة تؤثر مباشرة على مؤشرات التنمية البشرية وتعمل كمضاعف للأزمات السياسية القائمة، والتغير المناخي في السياق اليمني يتصرف كعامل يفاقم نقاط الضعف الهيكلية وليس كمجرد سبب وحيد للنزاع السياسي، والحرب الأهلية والإقليمية الدائرة فيها منذ سنوات، إذ تشير المسارات المناخية المرصودة في اليمن إلى ارتفاع درجات الحرارة وتغير موسمية الأمطار وزيادة تقلباتها، مع توقعات بانخفاض إمدادات المياه السطحية والجوفيّة وتزايد ظواهر الفيضانات والجفاف المتناوبين التي تضرب مناطق زراعية وحضرية على حد سواء، وهذه التحولات المناخية تُرجَم مباشرة إلى تراجع في إنتاجية الزراعة وصيد الأسماك وتأثر سلاسل الغذاء المحلية، مما يؤثر سلباً على الأمن الغذائي والاقتصاد المحلي (حنا وآخرون، 2023، 13-14)، وقد ساهمت تلك التداعيات في زيادة هشاشة النظام السياسي والاقتصادي، واستمرارر انهيار خدمات الإدارة والنظام المالي في ظل الحرب المستمرة، ما يؤدي إلى تنافس مجتمعي على مصادر مائية ضئيلة وفرص اقتصادية متناقصة، مما يؤدي إلى تصاعد النزاعات المسلحة أو الصراعات المتكررة على مستوى المجتمع اليمني في الداخل (Lackner, 2021, 5) (جافارنيا، 2022، 10).

ساهمت التغيرات المناخية في زيادة حدّة مخاطر ندرة الموارد الأساسية، وتصاعد النزاعات القائمة، بسبب تقليص سبل العيش في المناطق التي تعتمد على النشاط الزراعي، وتلك التي تعتمد على الصيد والثروة السمكية، مما أدى الى زيادة الضغوط على الأمن الغذائي والصحي، وتآكل قدرات صمود الأسر الفقيرة ورفع احتمالات الاحتكاكات المحلية حول مياه الري والآبار والأراضي الزراعية (حنا وآخرون، 2023، 11-12)، وبالرغم من أن ندرة المياه في اليمن ليست نتيجة مناخية محضة بل نتاج تفاعل طويل الأجل بين الجفاف المتكرر، الاستنزاف الجوفِي لطبقات المياه، وممارسات ري غير مستدامة، ومع ذلك فإن تقلبات الأمطار وشدة الفيضانات المتعاقبة تسرع انهيار نظم الإنتاج المحلية وتحوّل النزاعات التقليدية حول

الحيازات إلى نزاعات أوسع لأن الضحايا يفقدون بدائل سبل العيش (مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 2025، 7).

كمل يشكل التهجير الداخلي والضغط على المراكز الحضرية قناة مباشرة لتمديد أثر المناخ على الأمن الإنساني والاستقرار السياسي في اليمن؛ فقد دفعت الصدمات المناخية الكثير من الأسر الريفية إلى الهجرة داخلية إلى مدن مكتظة تفتقد البنية التحتية الكافية، ما يفاقم المنافسة على الخدمات والعمالة ويولد تراكمات اجتماعية قد تُستغل سياسياً من قبل جماعات مسلحة أو سلطات محلية ضعيفة لتحقيق أهداف قائمة (البنك الدولي، 2024، 5).

يتبين من ذلك، أن التغير المناخي في اليمن قد لا يكون سبباً لنزاعات جديدة، بقدر ما يفاقم من آثار العوامل الأخرى الكامنة وراء تصاعد النزاع واستمراره، كانعدام العدالة في توزيع الموارد، انحسار شرعية الدولة، والتنافس الإقليمي والمحلي على النفوذ والتمويل، ولذلك فإن العلاقة بين المناخ والاستقرار السياسي في اليمن هي علاقة تفاعلية تحكمها مؤسسات وسياسات الدولة والجهات الفاعلة المحلية والدولية (مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 2025، 7)؛ ففي غياب سياسات إدارة موارد شفافة وشاملة قد يتحول الضغط المناخي إلى عنصر محفز للعدمية السياسية والعنف، أي أن التغير المناخي في اليمن يعد عامل إضعاف للاستقرار السياسي، لكنه يعمل أساساً كمضخم لمظاهر الضعف السياسي والاجتماعي والاقتصادي الموجودة أصلاً (Lackner, 2021, 5) (حنا وآخرون، 2023، 11-12).

المبحث الثالث

مستقبل الاستقرار السياسي في ظل التغيرات المناخية

لا شك في أن التغير المناخي وما يصاحبه من ظواهر يؤثران على مستقبل الشرق الأوسط من حيث عدم الاستقرار السياسي والصراعات الاجتماعية، وهو ما يتطلب اتباع استراتيجيات مناسبة لمواجهة آثار التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي (الشريف، 2023، 123)، وعليه، يمكن استشراف مستقبل الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط في ظل التغيرات المناخية في محورين على النحو الآتي:

أولاً: استراتيجيات مواجهة التغيرات المناخية لتحقيق الاستقرار السياسي

تؤكد الدراسات والأدبيات المناخية الحديثة على العلاقة بين الضغوط التي تسببها التغيرات المناخية وهشاشة الاستقرار السياسي، في ضوء أزمات الموارد وسبل العيش والتهجير والحوكمة، ولذلك تفرض استراتيجيات التكيّف والمرونة المناخية بوصفها أدوات سياسية وأمنية بقدر ما هي بيئية؛ أي أن إدارة المخاطر المناخية تصبح جزءً من هندسة الاستقرار السياسي؛ وكإطار عام للسياسات، لابد من تبني استراتيجية فعّالة تتطلب دمج ثلاثة عناصر متوازية: تحويل تقنيات التكيّف إلى برامج تنموية مستهدفة، إصلاحات حوكمية لتوزيع الموارد بشفافية، وآليات تمويل مستمرة ومتناغمة محليًا وإقليميًا، إذ يمكن لهذه الحزمة أن تقلل من فرص تحويل صدمة مناخية إلى أزمة سياسية من خلال خفض حوافز الاستحواذ على الموارد وإعادة بناء شرعية الدولة (IPCC, 2022).

في العراق، لابد من اتخاذ استراتيجيات ذات أولوية، تقوم على التركيز على حوكمة المياه الموحدة عبر تحديث نظم الحصص المائية وإدخال تكنولوجيا ترشيد الري وتحسين كفاءة استهلاك المياه في الزراعة الصناعية، مع برامج دعم بدائل الدخل للمزارعين وبناء شبكات حماية اجتماعية مستهدفة لإطفاء نيران الاحتقان المحلي، كما يلزم تنويع الاقتصاد بعيدًا عن الاعتماد النفطي لخفض هشاشة الإيرادات الحكومية إزاء صدمات المناخ، مع التأكيد على أن التنفيذ يتطلب مؤسسات إقليمية–محلية قوية، وشفافية في تخصيص الموارد الاقتصادية، كما يتطلب أدوات تطبيقية محددة في العراق، تشمل إدخال نظم الري المغلقة والري بالتنقيط وتحفيز الانتقال إلى محاصيل أقل استهلاكًا للمياه، مما يساعد في منع تفكك سبل العيش الريفية، وبرامج تدريب مهني وإقراض صغير ومتوسط للمزارعين تسهّل التحوّل الاقتصادي، بينما يجب إقران ذلك بمصفوفات تهدئة اجتماعية لتقليل مخاطر الاحتجاجات أو تسليح النزاعات المحلية (World Bank, 2022) (همام، 2025، 380).

أما في سوريا، فاستراتيجية المواجهة يجب أن تعمل على دمج مشاريع إعادة تأهيل البنية التحتية المائية مع برامج إعادة بناء الحكم المحلي لتعزيز شرعية المؤسسات. أولويات التكيّف تشمل استعادة السدود الصغيرة والآبار المدارة، تحسين نظم الري، وبرامج استعادة الغطاء النباتي لمنع التصحر؛ فضلاً عن ذلك، من الضروري العمل على خلق آليات لتقاسم المياه على المستوى المحلي والإقليمي لتخفيف البُعد السيادي للصراع المائي، ورعاية مشاريع صغيرة ومتوسطة لإعادة فرص العمل في الزراعة والحِرف والاقتصاد الأخضر توفّر بدائل للانخراط بالعنف، وبرامج دعم نقدي مؤقتة ونظم أمن غذائي طارئة تحدّ من استجابة المجتمع بالغضب السياسي. الربط بين المساعدة الإنسانية وبرامج التكيّف طويل الأمد يخفف من مخاطر الانتكاس الأمني (سميت، 2023).

في اليمن، وفي سياق سياسي واقتصادي هشّ بفعل النزاع المستمر، لابد وأن تركز استراتيجيات المواجهة للتغيرات المناخية على التدابير المزدوجة، التي تشمل استجابات إنسانية طارئة تقنن الوصول إلى المياه والغذاء من جهة، وبرامج تكيّف مُوَجَّهة للمجتمعات المحلية مثل تقنيات الحصاد المائي الصغيرة، إعادة تأهيل السدود المحلية، وتعزيز الحوكمة المحلية للنزاع على الموارد لوقف تسلّل الأزمات المناخية إلى نزاعات مسلحة، من جهة ثانية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التمويل الدولي الموجه نحو بناء قدرات محلية يمكن أن يكون هو مفتاح التنفيذ، بالإضافة الى دعم مشاريع سبل العيش البديلة على مستوى القاعدة الاجتماعية، وتطوير آليات وساطة محلية للنزاعات المتعلقة بالمياه والأراضي، وتنفيذ برامج إنعاش زراعي مقاوم للملوحة والجفاف مع استهداف النساء والشباب لتقليل قابلية التجنيد في شبكات عنف، إضافة إلى ضمان تدفّق الأموال الإنسانية عبر قنوات موثوقة وخاضعة للمساءلة (World Bank, 2024).

لنجاح أي استراتيجية يجب وضع مؤشرات واضحة للنتائج السياسية والاجتماعية بجانب المؤشرات البيئية، مثل مؤشرات استجابة خدمات المياه، وقياس مدى قدرة الأسواق على تلبية الغذاء، وكذلك مقاييس ثقة المواطن في المؤسسات العامة المركزية والمحلية، إضافة الى تقييمات مستقلة دورية تساعد على تصحيح

السياسات وتقليل التأثيرات السلبية غير المقصودة، كما يجب أن تُقرأ استراتيجيات التكيّف كأدوات استقرار سياسي، وأن يتم الدمج المتزامن للتدخلات التقنية مع إصلاحات الحوكمة، وبناء شبكات حماية اجتماعية، وتمويل مستدام مع تعاون إقليمي يؤدي إلى خفض مخاطر تحوّل ضغوط المناخ إلى أزمات سياسية طويلة الأمد (IPCC, 2022) (همام، 2025، 380).

ثانياً: السيناريوهات المستقبلية لتأثير التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي

تتجه الدراسات المناخية المعاصرة الى وضع سيناريوهين اثنين بالنسبة لأثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط، وذلك على النحو الآتي:

السيناريو الأول: السيناريو المتفائل:

يقوم هذا السيناريو على قاعدة رئيسية تتمثل في إدراك المجتمع الدولي لحجم المخاطر والتهديدات الخاصة بالتغيرات المناخية في منطقة الشرق الأوسط، وانعكاساتها السياسية والأمنية على دول العالم أجمع، وهو السياق الذي برز فيه مؤخراً مصطلح الأمن المناخي (Climate Security) في الخطاب السياسي والاستراتيجي الدولي، إذ ساهم مجلس الأمن الدولي في تعميق مفهوم الأمن المناخي من خلال وضع قضية التغير المناخي على جدول أعمال مجلس الأمن في سبتمبر 2021، حيث توصل إلى حقيقة أنه لا توجد منطقة محصنة في العالم ضد الكوارث المناخية (الشريف، 2023، 130)، ويأمل الباحثون في ضوء هذا السيناريو أن يتجه العالم الى التعاون أكثر مع دول الشرق الأوسط المتأثرة مناخياً وسياسياً، مساعدتها لتتمكن من استعادة قدرتها على تحقيق الاستقرار السياسي، كشرط أساسي لمواجهة التغيرات المناخية، والحد من تفاقم تداعياتها السلبية على كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية (همام، 2025، 387).

ترى الباحثة أن هذا السيناريو المتفائل، يمكن أن يتحقق في العراق في حالة تنفيذ سياسات فعّالة لإدارة المياه، مثل تحسين تقنيات الري، وتطوير مصادر المياه البديلة، وتعزيز التعاون الإقليمي، والتي قد تمكن العراق من تقليل تأثير التغيرات المناخية على استقراره السياسي، كما يمكن أن يتحقق في سوريا من خلال إعادة بناء البنية التحتية المتضررة، وتعزيز الأمن الغذائي، وتطوير استراتيجيات مواجهة وتكيّف مع التغيرات المناخية، أما في اليمن، فيمكن أن يتحقق هذا السيناريو من خلال تحسين إدارة الموارد المائية، وتعزيز التعاون الإقليمي، وتوفير الدعم الدولي.

السيناريو الثاني: السناريو المتشائم

يستند هذا السيناريو الى حقيقة واقعية تتمثل في الأنانية الدولية ورغبة كل دولة في تحقيق أفضل عائد ممكن بغض النظر عن كمية الانبعاثات الضارة والتغير المناخي وتهديدات الأمن الدولي، فضلاً عن تضارب وتقاطع المصالح الدولية في منطقة الشرق الأوسط، والتي جعلت دولاً مثل العراق وسوريا واليمن ساحات لمعارك وصراعات دولية وإقليمية، على نحو ما ساهم في تعزيز حالة عدم الاستقرار السياسي فيها، ومع عدم الاهتمام العالمي بهذه القضية المتشابكة والمعقدة في أبعادها السياسية والاقتصادية سوف تزداد تهديدات الأمن الإنساني والعالمي من تزايد الهجرة المناخية واللاجئين المناخيين وزيادة الكوارث البيئية

والفيضانات والتصحر والجفاف ونقص المياه ونقص الموارد الطبيعية وغيرها مما يشكل خطراً كبيراً على دول الجنوب مما يهدد استقرارها من الناحية السياسية (همام، 2025، 388).

ترى الباحثة أن احتمالات تحقق هذا السيناريو في العراق مازالت واردة بقوة، وخاصة إذا استمرت التحديات البيئية، مثل انخفاض مستويات المياه في نهري دجلة والفرات، وزيادة التصحر، فقد يؤدي ذلك إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، مما يهدد الاستقرار السياسي في العراق، وكذلك الأمر في سوريا، في حالة استمرار ضعف السيطرة الأمنية، وعجز الدولة عن تحقيق الاستقرار السياسي، فإن تدهور الموارد الطبيعية، قد يؤدي إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية والسياسية، مما يزيد من هشاشة النظام السياسي الناشئ، وأيضاً في حالة استمرار النزاعات المسلحة في اليمن، فإن تفاقم الأوضاع الإنسانية والسياسية سيكون أمراً لا مفر منه، مما يحول دون تحقيق أي استقرار سياسي على المدى القريب.

الخاتمة

من الواضح أن أثر التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط بات واضحاً بجلاء شديد، لاسيما في الدول تعاني من إشكاليات وأزمات تتعلق باستقرارها السياسي، كالعراق وسوريا واليمن على سبيل المثال، إذ تفتقر هذه الدول إلى القدرات والإمكانيات التي تمكنها من التصدي لمخاطر التغيرات المناخية وتداعياتها السلبية على كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، بل أن هذه الدول تتأثر بأدنى مظاهر التغيرات المناخية، لاسيما في ظل اعتمادها على الأدوات التقليدية في العمليات الإنتاجية، وهذا ما قلل من قدرتها على مواجهة تداعيات شحة المياه، وموجات الجفاف والتصحر في ظل الانحباس الحراري، الأمر الذي ضاعف من حدة عدم الاستقرار السياسي فيها.

في هذا الشأن، توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

1. هناك علاقة ارتباطية بين التغيرات المناخية والاستقرار السياسي، نظراً لأن تداعيات التغير المناخي تشمل جميع الأبعاد السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية.
2. أن الاستقرار السياسي شرط جوهري للتنمية الاقتصادية، والعكس صحيح أيضاً، بالنسبة لعدم الاستقرار السياسي، والذي تصاحبه حالة من عدم اليقين بشأن المستقبل، لاسيما في ظل التداعيات والآثار السلبية الناتجة عن التغيرات المناخية.

3. أصبحت التغيرات المناخية عاملاً من عوامل الاضطرابات السياسية، وعامل تهديد للأمن الإنساني من كافة أبعاده الاقتصادية والاجتماعية، مما يجعلها أحد أهم معوقات الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط.

4. تشكل التغيرات المناخية في العراق عاملاً سياسياً يهدد شرعية الدولة ويغذي الانقسامات السياسية والمجتمعية.

5. ساهمت التغيرات المناخية في سوريا في إعادة إنتاج عدم الاستقرار السياسي وإطالة أمده، ويمكن أن تستمر كذلك إذا ما بقي النظام السوري الجديد مشغولاً عن مواجهة تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية.

6. أدت التغيرات المناخية في اليمن الى تفاقم آثار العوامل الأخرى الكامنة وراء تصاعد النزاع واستمراره، كانعدام العدالة في توزيع الموارد، انحسار شرعية الدولة، والتنافس الإقليمي والمحلي على النفوذ والتمويل.

7. أدى غياب وقصور استراتيجيات المواجهة الى تفاقم آثار وتداعيات التغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في الدول الثلاث (العراق، سوريا، اليمن)، مما يجعل مواجهة تلك التغيرات المناخية ضرورة أمنية وسياسية، فضلاً عن كونها ضرورة بيئية.

8. يتحدد الأثر المستقبلي للتغيرات المناخية على الاستقرار السياسي في (العراق، سوريا، واليمن) في سيناريوهين اثنين: سيناريو متفائل ينطلق من الإدراك والاهتمام الدولي بخطورة تداعيات تلك التغيرات على استقرار دول المنطقة، وتعاون الدول في مواجهتها، وسيناريو متشائم، ينطلق من واقع تضارب المصالح الدولية.

ثانياً: التوصيات

1. ضرورة العمل على بناء وتطوير استراتيجيات لمواجهة التغيرات المناخية في (العراق، سوريا، اليمن) تتلاءم مع طبيعة وخصوصية آثارها في كل دولة منها.

2. ربط الاستراتيجيات الوطنية لمواجهة التغيرات المناخية بالاستراتيجيات والبرامج الإقليمية والدولية، وخاصة فيما يتعلق ببناء القدرات، والتمويل، والدعم الفني والعملي.

3. توسيع نطاق التعاون الإقليمي بين دول الشرق الأوسط، وتبادل الخبرات والإمكانيات في سبيل تمكين كل دولة من دول المنطقة في مواجهة التغيرات المناخية والحد من تفاقم آثارها.

4. استقطاب الجهود والمساعي والتوجهات الدولية لدعم الاستراتيجيات الوطنية والإقليمية لمواجهة آثار التغيرات المناخية، لاسيما فيما يتعلق بالاستقرار السياسي في دول المنطقة، من خلال تبني سياسات خارجية وطنية وإقليمية ودولية عادلة، تراعي المصالح الإنسانية الكبرى في مواجهة التغيرات المناخية.

5. العمل على تطوير وتبادل القدرات الاقتصادية والتكنولوجية بين دول المنطقة في محيطها الإقليمي والدولي، بما يعزز من فعالية الاستراتيجيات الوطنية، ويدعم فرص تحقيق الاستقرار السياسي والاستجابة المناسبة للتغيرات المناخية، والتكيف معها.

6. تعزيز سياسات الحوكمة والسياسات الاجتماعية الداعمة للحد من مخاطر وآثار التغيرات المناخية على الأفراد والأسر في المجتمعات المحلية، والعمل على إرساء دعائم الحكم الرشيد، والحد من الفساد، والاهتمام بمصالح الفئات والشرائح الاجتماعية المهمشة.

7. الاستثمار في مشروعات البيئة الخضراء والطاقة النظيفة، وتطوير البنى التحتية الداعمة لها، وتطوير الخدمات العامة في اطار بيئي شامل، يحد من زيادة انبعاث الغازات وتلوث البيئات المحلية، وتعزز من فرص عمل الأفراد والجماعات المحلية وقدرتها على مواجهة آثار التغيرات المناخية بشكل يتناغم من الاستراتيجيات الوطنية والتوجهات الدولية.

8. العمل على نشر الوعي والتثقيف البيئي مرتبطاً بمختلف مجالات الحياة الإنسانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، والحد من الهجرات البيئية الداخلية والخارجية، والعمل على معالجة أوضاع النازحين المعيشية.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1. إبراهيم، إسراء أحمد إسماعيل (2007). تأثير التحول الديمقراطي على الاستقرار السياسي في الجزائر (1991–2007)، رسالة ماجستير. القاهرة: جامعة القاهرة.
2. اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ لعام 1992.
3. أحمد، مريم سلطان (1991). مقومات الاستقرار السياسي في دولة الإمارات العربية المتحدة. رسالة دكتوراه. القاهرة: جامعة القاهرة.
4. ثيسن، أوليه ماغنوس وآخرون (2022). فهم الروابط المحتملة بين تغيّر المناخ والنزاع في المنطقة العربية. نيويورك: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)– الأمم المتحدة.
5. جافارنيا، نيكو (2022). المخاطرة بالمستقبل: تغير المناخ، وتدمير البيئة، والنزاع في اليمن. لاهاي– هولندا: مركز المدنيين في الصراع (CIVIC).
6. حنا، تايلور وآخرون (2023). تأثير تغير المناخ على التنمية البشرية في اليمن. صنعاء: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP).
7. خرفان، سعد الدين (2009). تغير المناخ ومستقبل الطاقة: المشاكل والحلول. دمشق– سوريا: منشورات وزارة الثقافة–الهيئة العامة السورية للكتاب.
8. داوودي، مروة (2024). تغيير المناخ وتزعزع الاستقرار الاقليمي في الشرق الأوسط. ترجمة: حوراء منذر. ط1. بغداد: مركز الرافدين للحوار.

9. الربيعي، عماد علو (2022). تأثير التغير المناخي على الأمن القومي العراقي. مجلة حوار الفكر. العدد (64): 9-23.
10. رضوان، رضا إسماعيل (2016) شبح التغير المناخي. مجلة الوعي الإسلامي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دولة الكويت. 54(617): 48-50.
11. الزعرور، سارة (2023). آثار التغير المناخي وتدهور البيئة على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في منطقة جنوب المتوسط. كوبنهاجن: الأورومتوسطية للحقوق.
12. سميث، بنيامين (2022). مواجهة أزمات داخل أزمة مُعالجة تغيّر المناخ في سورية. أبو ظبي: مركز الإمارات للسياسات.
13. شاهر إسماعيل، شاهر (2015). الدولة في التحليل السياسي المقارن. دمشق: دار الهيئة العامة السورية للكتاب.
14. الشريف، عبد الله (2023). استخبارات المناخ .. تداعيات التغير المناخي على الاستقرار السياسي. مجلة آفاق المناخ. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري. العدد (5): 120-136.
15. الشمري، حسين جبر وسمي مطلك (2013). التغير المناخي وأثره في درجة حرارة العراق. مجلة كلية التربية الأساسية. جامعة بابل- العراق. 1(12): 121-124.
16. صالح، مؤيد جبار (2023). انعكاسات تطرف المناخ على العراق وأهله: تحديات المستقبل. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. 3(12): 1-19.
17. عمارة، أميرة (2022). عدم الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي في الدول النامية. مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة. 23(4): 7-30.
18. كاظم، كامل علاوي (2019). تحليل الأمن الإنساني في العراق. مجلة رواقات. مركز الرافدين للحوار. العدد (1): 71-101.
19. مجموعة البنك الدولي (2024). اليمن: تقرير المناخ والتنمية. واشنطن: مجموعة البنك الدولي.
20. مجموعة من الباحثين (2024). العراق والتغير المناخي انعكاسات الأمن والتنمية. ملخصات بحوث المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم السياسية- جامعة بغداد. ط1. بغداد: المعهد العراقي للحوار.
21. مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية (2025). الصراع والمناخ الحاجة إلى العدالة الانتقالية الخضراء في اليمن. صنعاء: مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية. بالتعاون مع مركز دراسات حقوق الإنسان في كلية الحقوق بجامعة كولومبيا.
22. مسعد، نيفين (1988). الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

23. المعضادي، عبد الرحمن غانم (2025). أثر الأمن البيئي على استقرار منطقة الشرق الأوسط. المجلة القانونية. جامعة القاهرة. 24(2): 607-634.
24. مهدي، عبير وعلي، تغريد حنون (2025). التغيرات المناخية وأثرها على الأمن الإنساني في العراق: الأسباب والمعالجات. مجلة دراسات دولية.
25. نصر، محمد (2022). Cop27 ومحددات الموقف التفاوضي المصري. الملف المصري. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية- القاهرة. العدد (99): 5-11.
26. هلال، رضا محمد (2024). مخاطر التغيرات المناخية على الأمن الوطني وسياسات مواجهتها في الخبرة الآسيوية. المجلة الدولية للسياسات العامة في مصر. 3(4): 41-79.
27. هلال، علي الدين (2015). السياسة المقارنة من السلوكية إلى العولمة. القاهرة: إصدارات جامعة القاهرة.
28. همام، أحمد همام محمد (2025). تداعيات التغير المناخي على الاستقرار السياسي في دول الجنوب. المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية. جامعة الإسكندرية. 10(20): 363-393.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Aisen, Ari & Veiga, F. J. (2011). How Does Political Instability Affect Economic Growth?. IMF Working Paper. No. WP/11/12. International Monetary Fund.
2. Berlemann, M., & Wenzel, D. (2016). Long-term growth effects of natural disasters Empirical evidence for droughts. Economics Bulletin 36(1): 464-476.
3. Carmignani, Fabrizio, (2003). Political Instability, Uncertainty and Economics. Journal of Economic Surveys, 17(1): 1-54.
4. Coniglio, N. D. & Pesce, G. (2015). Climate Variability and International Migration: An Empirical Analysis. Environment and Development Economics (20): 1-35.
5. Food and Agriculture Organization (FAO). (2014). Syria: Poor crop prospects reflect the impact of continued conflict and drought conditions. FAO.
6. Gleick, P. H. (2014). Water, Drought, Climate Change, and Conflict in Syria. Weather, Climate, and Society, 6(3): 331-340.
7. Homer-Dixon, T. (2001). Environment, Scarcity, and Violence. New Jersey: Princeton University Press.
8. International Crisis Group (2021). Climate Stress and Ethnic Tensions in Disputed Territories of Iraq. Middle East Report No. (225). Brussels: International Crisis Group.
9. IPCC (2022). Climate Change 2022: Impacts, Adaptation and Vulnerability. Working Group II. Intergovernmental Panel on Climate Change.
10. Kelley, C. P., Mohtadi, S., Cane, M. A., Seager, R., & Kushnir, Y. (2015). Climate change in the Fertile Crescent and implications of the recent Syrian drought. Proceedings of the National Academy of Sciences, 112(11): 3241–3246.
11. Lackner, H. (2021). Climate change and conflict in Hadhramawt and Al Mahra. Berlin: Berghof Foundation.

12. Mares, D. & Moffetti, K.W. (2016). Climate change and interpersonal violence: A "Global" Estimate and Regional Inequities. Climatic Change. 135(2): 297-310.
13. Reuters (2025). Historic drought, wheat shortage to test Syria's new leadership. Reuters.
14. Reuveny, R. (2007). Climate Change-Induced Migration and Violent Conflict. Political Geography. 26(6): 656-673.
15. Selby, J.; Dahi, O.; Fröhlich, C. & Hulme, M. (2017). Climate change and the Syrian civil war revisited. Political Geography. Vol. (60): 232-244.
16. World Bank (2020). Climate Change and Develoning Countries.
17. World Bank (2022). Iraq: Country Climate and Development Report. New York: World Bank.
18. World Bank (2022). Syria: Development news, analysis, data (Country overview; climate and food security notes). New York: World Bank.
19. World Food Programme (WFP) (2021). Syria Annual Country Report 2021. WFP.

التوترات الجيوستراتيجية في منطقة بحر الصين الجنوبي واثرها في الاستقرار الاقليمي

إعداد

م. د نور عماد تركي
كلية العلوم السياسية -قسم السياسة الدولية
جامعة النهرين

المستخلص

تعد منطقة بحر الصين الجنوبي من أبرز المناطق الجيوسياسية توترًا في العالم، نظرًا لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، وكونها نقطة التقاء مصالح متضاربة لقوى إقليمية ودولية، لا سيما الصين والولايات المتحدة ودول الآسيان . يتناول هذا البحث طبيعة هذه التوترات، أبعادها الجيوستراتيجية، وانعكاساتها على استقرار المنطقة .

الكلمات المفتاحية : الصين، النزاع الاقليمي ، التوترات، بحر الصين الجنوبي ، التنافس

Abstract

The South China Sea region is one of the most geopolitically tense areas in the world, given its strategic and economic importance and the fact that it is a meeting point for the conflicting interests of regional and international powers , particularly China, the United States, and ASEAN countries . This research examines the nature of these tensions, their geostrategic dimensions, and their implications for the stability of the region .

Keywords : china ,territorial dispute , tension , south china sea, competition

568

***8th*ـــــــ

- **مشكلة البحث :**

يتطرق هذا البحث المعنون بالتوترات الجيوستراتيجية في منطقة بحر الصين الجنوبي الى أهمية هذه المنطقة ، ومن خلاله برز لدينا السؤال المركزي التالي وهو :

" كيف تؤثر التوترات الجيوستراتيجية في بحر الصين الجنوبي على الاستقرار الإقليمي في آسيا ؟"

- **فرضية الدراسة:** شكلت التوترات المتصاعدة في بحر الصين الجنوبي تهديدًا مباشرًا لاستقرار منطقة جنوب شرق آسيا، وتؤثر على عدة مستويات استراتيجية واقتصادية وسياسية منها ما يعرف بتقويض التعاون الأمني والتهديدات الامنية والعسكرية.

- **أهمية البحث :** تعد منطقة بحر الصين الجنوبي واحدة من اكثر المناطق توترًا في النظام الدولي المعاصر، نظرًا لما يمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية كبرى ويقع هذا البحر في قلب منطقةجنوب شرق آسيا. لذا يحدث الكثير من التوترات في هذه المنطقة لما لها من أهمية ولتنافس الدول الكبرى والمجاورة عليها.

بيان أهمية دراسة هذا الموضوع في ظل التحولات العالمية والصراع على النفوذ في آسيا.

- **أهداف البحث:**

1. التعرف على الخلفية التاريخية للنزاعات في بحر الصين الجنوبي.
2. تحليل الأطراف الفاعلة وأهدافها الاستراتيجية.
3. تقييم انعكاسات التوترات على أمن واستقرار المنطقة.
4. استشراف مستقبل النزاع والإقليم.

- **منهجية البحث :**

المنهج التحليلي – الوصفي، مع توظيف المنهج الجيوسياسي لتفسير التنافس بين القوى.

هيكلية الدراسة : تنقسم الدراسة الى مبحثان رئيسان وهما : المبحث الاول بعنوان الخلفية التاريخية للنزاع في بحر الصين الجنوبي و يقسم الى مطلبان اساسيان وهما المطلب الاول : الجغرافيا السياسية للمنطقة والمطلب الثاني بعنوان تاريخ النزاع وأبرز المحيطات (الجيوبوليتيك البحري) أما المبحث الثاني فهو بعنوان : النزاعات الحدودية في المنطقة بين الصين والدول الاخرى ، اما المطلب الاول فهو عن انواع النزاعات في المنطقة ، أما المطلب الثاني فهو يبحث في أثر التوترات الجيوستراتيجية في بحر الصين الجنوبي على الاستقرار الإقليمي.

المبحث الأول

الخلفية التاريخية للنزاع في بحر الصين الجنوبي

تسعى القيادة الصينية في بحر الصين الجنوبي للسيطرة على كل ما يقع ضمن هذه المنطقة فوق البحر وتحته من الصخور والشعاب والموارد في المياه التي تشمل ما أصبح يعرف أو يسمى بخط "التسع شرطات" أو (الخط على شكل حرف U) هذا الخط، الذي ظهر لأول مرة على خريطة رسمية نشرتها جمهورية الصين في عام 1948، وليس له أساس قانوني أو تاريخي، هذا الخط هو أساس المواجهات المستمرة والتوتر الجيوسياسي المتصاعد بين جمهورية الصين الشعبية وجيرانها في جنوب شرق آسيا وبلدان أخرى(bill hayton.)

المطلب الاول

الجغرافية السياسية للمنطقة

يعد بحر الصين الجنوبي، أحد أهم وأشد المياه المتنازع عليها في العالم، و هو يضم مساحة جيوسياسية معقدة، وغالبًا ما يكون عرضة للتوتر وفي بعض الحالات، النزاع. الغرض من هذا المنظور هو تقديم خلفية وسياق أساسيين لنزاع بحر الصين الجنوبي (الذي هو، في الواقع، مجموعة من النزاعات) من منظور الجغرافيا السياسية، أي من منظور الدول الساحلية، أو الدول التي تحد ميزة مائية، ومطالبها الإقليمية المتعلقة بمساحات بحر الصين الجنوبي. على وجه التحديد، ستركز هذه الدراسة على الجغرافيا لبحر الصين الجنوبي وأثر التوتر على الاستقرار خاصة للدول الساحلية بشأن أجزاء من بحر الصين الجنوبي، بما في ذلك الجزر والصخور والارتفاعات المنخفضة عند الجزر (BENJAMIN J. SACKS)

إن بحر الصين الجنوبي واحد من أهم المسطحات المائية في العالم. ففي عام 2019، كان يساهم بنسبة تقديرية تبلغ 12 في المئة من إجمالي صيد الأسماك في العالم ، أذ يمر حوالي ثلث جميع التجارة البحرية العالمية، والتي تقدر بحوالي 3.37 تريليون دولار في عام 2016 ، وعبر مضيق ملقا وبحر الصين الجنوبي . و في عام 2017، مر 40% من الغاز الطبيعي المسال في العالم عبر بحر الصين الجنوبي. تقدر إدارة معلومات الطاقة الأمريكية أن هناك 11 مليار برميل من النفط و190 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي تحت بحر الصين الجنوبي، لكنها تحذر من أنه "ليس من الواضح مدى الجدوى الاقتصادية لاستخراجها" . تنقل الصين أكبر كمية من البضائع عبر بحر الصين الجنوبي، تليها كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايلاند وفيتنام واليابان، وتحد ثماني دول ساحلية بحر الصين الجنوبي: الصين، تايوان؛ فيتنام ؛

الفلبين؛ ماليزيا؛ سلطنة بروناي دار السلام؛ جمهورية سنغافورة؛ وجمهورية إندونيسيا (BENJAMIN J. SACKS,opcit)

بحر الصين الجنوبي هو بحر هامشي كبير ، تقريبًا بحجم 1.4 مليون ميل مربع (3.6 مليون كيلومتر مربع) وهو موطن لأكثر من 250 ميزة أرضية تم تنظيمها بشكل جماعي في ست مجموعات رئيسية: جزر باراسل ، وجزر سبراتلي، وجزر براتاس، وشعاب سكاربورو ، وجزيرة ماكلسفيلد، وجزر ناتونا (BENJAMIN J. SACKS ,ibid)

تسيطر إندونيسيا بشكل كامل على جزيرة ناتونا، ولا توجد نزاعات بشأنها. أما جزر باراسيل التي تتكون من أرخبيل يضم ما يقارب 130من الجزر والشعاب المرجانية الصغيرة ويبلغ عدد سكانها أكثر من ألف نسمة، وأعلى نقطة فيها هي في جزيرة روكي، ويصل ارتفاعها الى 14 مترًا فوق مستوى سطح البحر، وتقع جزر باراسيل تقريبًا على بعد 115–150 ميلًا من الساحل الفيتنامي ومن جزيرة هاينان التابعة للصين. وتنقسم الجزر إلى مجموعتين: مجموعة أمفيتريت ومجموعة الهلال . وتتضمن مجموعة أمفيتريت جزيرة الرمال الغربية، جزيرة الشجرة، الجزيرة الوسطى، الجزيرة الجنوبية، الرمال الجنوبية، وجزيرة وودي. تشمل مجموعة الهلال جزيرة باتل، جزيرة المال، جزيرة روبرت، جزيرة دروموند، جزيرة دانكان، شعاب فولاد دور، شعاب الاكتشاف، وشعاب باسو كي. كما تشمل جزر باراسيل جزيرة تريتون في الجنوب الغربي والشعاب الشمالية في الجنوب الشرقي(BENJAMIN J. SACKS,ibid) .

المطلب الثاني

تاريخ النزاع في المنطقة

تتميز النزاعات الإقليمية في بحر الصين الجنوبي، بأنها توصف على أنها سلسلة من النزاعات الناشئة عن المطالبات الإقليمية المتداخلة للعديد من البلدان المطلة على بحر الصين الجنوبي. في العقود الأخيرة ، كان ينظر إلى الصين على نطاق واسع على أنها المحرك الرئيسي للصراعات. في حين اختلفت الدول منذ فترة طويلة حول الترسيم الدولي الدقيق للبحر، واقتربت الصين أكثر من أي وقت مضى من المطالبة بحقوق اقتصادية وعسكرية حصرية على الغالبية العظمى من بحر الصين الجنوبي، في حين تختلف مزاعمهم ومقارباتهم ، و الجدل مستمر بين المسؤولون الصينيون والتايوانيون بأن بحر الصين الجنوبي يشكل "مياه تاريخية". وايضا مطالباتهم بالمياه التي تشمل ما يقرب من 90 في المائة من البحر،

على الخرائط باستخدام خط حدودي على شكل حرف U يتكون من 9 إلى 11 شرطة (المعروف باسم "خط 9 شرطات").كما ان الإحداثيات الجغرافية لهذا الخط والأساس القانوني غامض ويتعارض مع اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار (UNCLOS) كما ان الدول الرئيسة المتأثرة بالمطالبات الإقليمية الصينية هي فيتنام والفلبين وماليزيا وبروناي، لكن العديد من أصحاب المصلحة من خارج المنطقة، وأبرزهم الولايات المتحدة، أصبحوا متورطين في النزاعات وهدفوا إلى كبح الطموح الصيني في التوسع والسيطرة على المنطقة (miles Kenny).

اولاً : أصول النزاع

يمكن إرجاع الصراع المعاصر حول بحر الصين الجنوبي إلى التغيرات في الجغرافيا السياسية في شرق آسيا بعد الحرب العالمية الثانية. إذ قدم القوميون المعروفون بإسم (الكومينتانغ) لأول مرة "خط 11 شرطة" في عام 1947 ، والذي قامت الصين بتعديله لاحقا إلى "خط 9 شرطات" في عهد ماو تسي تونغ. ويشمل هذا الخط الغالبية العظمى من بحر الصين الجنوبي، ويشمل المناطق التي تتداخل مع المناطق الاقتصادية الخالصة (EEZs) للدول المجاورة (bing south china sea) ويمكن إيضاح هذا النزاع وفق الاحداث التالية :

ثانياً : الأحداث التاريخية الرئيسية

1 . اكتشافات النفط في السبعينيات : ظل النزاع خاملا نسبيا حتى السبعينيات عندما تم اكتشاف احتياطيات النفط والغاز المحتملة في المنطقة ، مما أدى إلى زيادة الحزم من الصين ودول آخرى تطالب بالمنطقة (britannica)

2. الاشتباكات العسكرية: في عام 1974 ، استولت الصين على **جزر باراسيل** من جنوب فيتنام ، مما أدى إلى مواجهات عسكرية. في عام 1988 ، وسيطرت الصين على **جونسون ريف** من فيتنام ، وفي عام 1994 ، احتلت **Mischief Reef** ، التي تطالب بها الفلبين. (bing,disputes in south china sea)

3 . التدخل الدولي: بدأت الولايات المتحدة تنخرط بالنزاع ، إذ أجرت عمليات حرية الملاحة لتحدي مزاعم الصين التوسعية وأكدت على أهمية الحفاظ على ممرات بحرية مفتوحة للتجارة العالمية.

4. الوضع الحالي

واليوم، يعد بحر الصين الجنوبي منطقة بالغة الأهمية للتجارة الدولية، حيث تمر التجارة عبر مياهه سنويا **بما يقدر 3.4 تريليون** دولار. ويعتقد أيضا أن المنطقة تمتلك احتياطيات كبيرة من النفط والغاز، مما يجعلها نقطة محورية للتوترات الجيوسياسية. وتتسم النزاعات بالقومية ، إذ إن كل مدعي يرى قيمة رمزية على الجزر تتجاوز ثروته المادية. ولا يزال الوضع متوترًا بين الحين والاخر ، مع استمرار الأنشطة العسكرية والمفاوضات الدبلوماسية بين الدول المعنية. اذا نستنتج مما سبق ان النزاع على بحر الصين الجنوبي قضية متعددة الأوجه متجذرة في الادعاءات التاريخية والمصالح الاستراتيجية، لذا لا تزال احتمالات نشوب صراع عالية خاصة مع استمرار تطور المشهد الجيوسياسي، مما يستلزم انخراطا دبلوماسيا دقيقا بين الأطراف المعنية لضمان الاستقرار في المنطقة.

المبحث الثاني

النزاعات الحدودية في المنطقة بين الصين والدول الاخرى

إن سلوك الصين في بحر الصين الجنوبي يسير بين نمطين هما : اولهما 'حماية الحقوق' (الاستماتة في أحقيتها بالمنطقة ولو حتى من خلال المواجهة مع جيرانها) والاخر هو تعزيز الاستقرار' (او المصالحة مع جيرانها بعد المواجهة). بشكل عام، سلوك الصين يشبه العجلة المسننة – تقوم بتصعيد الأمور ثم تظل ساكنة، لذا فإن العملية تسير في اتجاه واحد فقط، نحو مزيد من السيطرة الصينية المحكمة bill (hayton, opcit).

المطلب الاول

انواع النزاعات في المنطقة

نظرا لان الممرات المائية في بحر الصين الجنوبي لها تأثير على أكثر من 40% من حركة التجارة العالمية ، تطمع الصين وفي اطار المنافسة التجارية التي تتعرض لها المنتجات الصينية للسيطرة على هذه الممرات، وفي اطار صراعاتها التجارية مع الولايات المتحدة الامريكية كانت تهدف الصين في تعزيز مكانتها كقوة في المنطقة ، مما أدى الى سعي الصين الى تحالفات محدودة لكن ليس بصورة رسمية مما عرض عملية تحقيق التوازن الناعم المؤسسي لعقبات متعددة ومختلفة بسبب التوازن الناعم المضاد الذي تتبناه الصين، هذا اضافة الى سياسات الترغيب التي تشجع على الانضمام من عدمه او البقاء على الحياد وبالفعل طورت الصين استراتيجيات غيرمتماثلة وتسعى الى تحقيق العولمة الاقتصادية وتوفير السلع الاقتصادية الجماعية والفردية لدول اسيا والمحيط الهادئ (عنود عبد الرحمن، 2025) .

تعد من الأهمية أن نكتب أن هناك نوعين من النزاعات في بحر الصين الجنوبي :

1. النزاعات الإقليمية : وهو القائم على اساس أية دولة لها الاحقية أو أيها يعد المالك الشرعي لمختلف الصخور والشعاب المرجانية .
2. النزاعات البحرية: حول ما يمكن للدول فعله في المساحات بين الصخور والشعاب. لم تقم الصين أبداً بتحديد مطالبها بشكل رسمي في بحر الصين الجنوبي، لكن الأكاديميين الصينيين وقادة مراكز الفكر قد تحدثوا عن المطالبة في ثلاثة نقاط (ياسر عرفات حيدر محمد) :

أ. المطالبة الإقليمية بجميع الصخور والشعاب داخل الخطوط التسع؛

ب. المطالبة بالموارد البحرية مرسخة في اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار (UNCLOS)،التي تم الاتفاق عليها في عام 1982 وتم التصديق عليها فيما بعد من قبل جميع الدول، بما في ذلك الصين. واحدة من أهم الاعضاء في قانون البحار، كانت ضرورة إنشاء 'منطقة اقتصادية خالصة (EEZ) 'والتي بموجبها يمكن للدول امتلاك الموارد (مثل الأسماك والنفط والغاز) في البحر وتحت سطحه حتى 200 ميل بحري من سواحلها.

ت. المطالبة ببعض 'الحقوق التاريخية' داخل الخط، مثل حقوق الصيد وحقوق الملاحة والحقوق الخاصة بالأولوية في تطوير الموارد. بينما تتنازع الدول المجاورة حول المطالب الإقليمية للصين وتختلف في تفسيرها لـUNCLOS ، كونها ترى ان الصياغة غامضة لهذا القانون .

1. المطالبات الاقليمية (Center for Preventive Action) :

يُعد بحر الصين الجنوبي من أكثر المناطق البحرية تعقيدًا من حيث المطالبات الإقليمية، إذ تتداخل فيه مصالح عدة دول اولها الصين: تسعى لتأكيد سيادتها التاريخية عبر ما يُعرف بـ "خط النقاط التسع"، الذي يغطي معظم مساحة البحر.

أما فيتنام والفلبين وماليزيا وبروناي: لكل منها مطالبات بجزر أو أجزاء من البحر، خصوصًا جزر سبراتلي وباراسيل. وهذا التداخل يجعل المنطقة ساحة نزاع دائم بين دول متجاورة .

2. الاهمية الاقتصادية : ان البحر غني بالموارد الطبيعية مثل النفط والغاز الطبيعي.و يُعد ممرًا بحريًا استراتيجيًا، حيث تمر عبره نسبة كبيرة من التجارة العالمية، مما يمنحه أهمية اقتصادية تتجاوز حدود الإقليم.

3. الامن الاقليمي : يهدد النزاع الأمن البحري لدول جنوب شرق آسيا، مما يؤدي إلى سباق تسلح بحري. كما ان الحوادث المتكررة بين سفن الصيد والدوريات العسكرية تزيد من احتمالية التصعيد.
4. وجود قواعد عسكرية أو تعزيزات بحرية في المنطقة مما يعكس حالة من عدم الثقة بين الدول الاطراف .
5. دور رابطة الاسيان : ان الانقسام داخل الآسيان حول كيفية التعامل مع الصين يضعف الموقف الجماعي لدول الرابطة . كما تميل بعض الدول إلى الحوار والتعاون الاقتصادي مع الصين، بينما دول اخرى ترى ضرورة الاعتماد على القوى الكبرى لموازنة النفوذ الصيني. هذا الانقسام يحد من قدرة الآسيان على لعب دور فعال في حل النزاع.
6. انعكاسات الصراع : التأكيد على توازن القوى الإقليمي اذ نرى سعي الصين لتأكيد هيمنتها، بينما الدول الأخرى تبحث عن دعم خارجي لتحقيق التوازن ، كما انه له تأثيره في التجارة العالمية اذ ان اضطراب في المنطقة قد يؤثر على سلاسل الإمداد العالمية. اما بالنسبة للاستقرار السياسي فإن استمرار النزاع دون حلول قانونية أو سياسية قد يقود إلى أزمة إقليمية أوسع.

نستنتج مما سبق ان البعد الإقليمي للصراع في بحر الصين الجنوبي يتجاوز كونه نزاعًا حدوديًا، فهو صراع على النفوذ والسيادة والموارد بين الصين والدول المجاورة، مع انعكاسات مباشرة على الأمن البحري، وحدة الآسيان، واستقرار التجارة العالمية. وإن غياب الحلول التوافقية يهدد بتحويل البحر إلى بؤرة توتر دائمة في آسيا.

المطلب الثاني

أثر التوترات الجيوستراتيجية في بحر الصين الجنوبي على الاستقرار الإقليمي

تزداد التوترات الجيوستراتيجية في منطقة بحر الصين الجنوبي تعقيدًا وذلك بفعل تداخل المطالبات السيادية، وبسبب تنافس القوى الإقليمية والدولية، وتنامي الأهمية الاقتصادية واللوجستية للمنطقة. هذا المزيج يجعل البحر نقطة ارتكاز حساسة تؤثر مباشرة في أمن جنوب شرق آسيا وتوازن القوى في المحيطين الهندي والهادئ معا (Peter Dutton)اولا. محددات التوتر الجيوستراتيجي يمكن تلخيصها بعدة نقاط وهي كالتالي (Zubair Ali Soomro):

1. المطالبات المتنازَع عليها والسيادة البحرية: إذ تتقاطع مطالب الصين مع دول آسيان (الفلبين، فيتنام، ماليزيا، وبروناي) في جزر ومسطحات بحرية، ما ينتج عنه احتكاكات ميدانية متكررة وترتيبات قانونية متنازع عليها تُضِف فرص الحلول التوافقية.
2. التحركات العسكرية والردع المتبادل: تعزز الصين والولايات المتحدة حضورَهما العسكري عبر الدوريات، والتحالفات، وقدرات المراقبة والانتشار، ما يزيد من احتمالات سوء الفهم والتصعيد غير المتعمد أو المقصود، ويعمّق حالة عدم اليقين الأمني الإقليمي .
3. الإرث التاريخي والإطار القانوني: بالعودة الى الجذور التاريخية للنزاعات، إلى جانب تفسيرات متباينة لقانون البحار،التي تُغذي النزاع وتُبقيه مفتوحًا على احتمالات التصعيد بين الفاعلين الإقليميين والدوليين ..

ثانيا. الانعكاسات على الأمن والاستقرار الإقليمي :

1. تهديد أمن الملاحة وسلاسل الإمداد: أي اضطراب أو حادث بحري يُعرّض طرق التجارة والطاقة الحيوية لمخاطر التعطّل، بما لذلك من تداعيات على اقتصادات آسيان وأسواق عالمية مترابطة، خصوصًا مع تصاعد الاحتكاكات الميدانية في المناطق المتنازع عليها .

2. سباق تسلّح بحري وتحوّل عقائد الردع: التوتر يدفع دولًا إقليمية إلى تحديث الأساطيل وبناء قدرات مراقبة وبحرية متقدمة، ما يعيد تشكيل ميزان القوى المحلي ويزيد كلفة سوء التقدير ويُصعّب إدارة الأزمات.

3. تآكل آليات إدارة النزاع : الانقسامات داخل آسيان حيال كيفية التعامل مع الصين، مقرونةً بتضارب حسابات القوى الكبرى، تُضعف فعالية مقاربات الدبلوماسية الوقائية وتسوية المنازعات، وتُبقي الاستقرار رهينًا لميزان ردع هش .

ثالثا. أبعاد التنافس بين القوى الكبرى :

1. التوازن بين النفوذ الصيني وشبكات التحالف الأمريكية: تسعى بكين لترسيخ حضورها البحري والاقتصادي في البحر، فيما تدفع واشنطن نحو حرية الملاحة وتعزيز التحالفات الإقليمية، ما يُحوّل البحر إلى ساحة تنافس استراتيجي مفتوح يُثقل كاهل الاستقرار الإقليمي.

2. مخاطر الانزلاق والتوسّع: استمرار الاحتكاكات دون قواعد اشتباك فعّالة أو قنوات اتصال مُحصّنة يرفع احتمالات انتقال الأزمات من حوادث تكتيكية إلى مواجهات أوسع نطاقًا، مع تأثيرات مباشرة على أمن جنوب شرق آسيا والممرات البحرية العالمية.

3. رابعاً. مسارات التهدئة وإدارة المخاطر : تعزيز إجراءات بناء الثقة وقواعد السلوك: تطوير آليات إنذار مبكر، وقنوات اتصال بين القوات البحرية وخفر السواحل، واتفاقات لخفض التصعيد، يُقلّل مخاطر الحوادث

ويعزّز الاستقرار المرحلي ، تمتين الإطار القانوني وتفعيل الوساطة الإقليمية: دفع مسارات التسوية القانونية المتوافقة مع قانون البحار، وتفعيل دور آسيان كوسيط جماعي، يمكن أن يُحدِّ من تفسيرات متضاربة ويقدّم صيغًا عملية لإدارة الموارد والحدود، وتنويع الاعتماد الاقتصادي وتقليل هشاشة الإمداد: خططٌ إقليمية لتأمين بدائل ملاحية وطاقوية، وتحسين مرونة سلاسل الإمداد، تُخفّض المخاطر النظامية على اقتصادات المنطقة عند وقوع اضطرابات .

خلاصة : تؤثر التوترات الجيوستراتيجية في بحر الصين الجنوبي على الاستقرار الإقليمي عبر ثلاثة مسارات رئيسة: تضارب المطالبات والسيادة، عسكرة المجال البحري وتنافس القوى الكبرى، وهشاشة آليات إدارة النزاع. ما لم تُعزَّز قواعد السلوك وآليات الاتصال، ويُفعَّل دور آسيان ضمن إطار قانوني راسخ، سيظل الاستقرار في جنوب شرق آسيا معرّضًا لاهتزازات تُهدّد أمن الملاحة والتوازن الإقليمي.

الاستنتاجات والتوصيات

- **الاستنتاجات:**
  - استمرار التوترات يهدد الأمن الإقليمي والاقتصاد العالمي
  - غياب آلية إقليمية فاعلة لإدارة النزاع
  - الدور المتصاعد للقوى الدولية يزيد من تعقيد الموقف
- **التوصيات:**
  - تعزيز الدور الإقليمي لمنظمة آسيان
  - دعم مبادرات الحوار متعدد الأطراف
  - الحد من عسكرة النزاع وتعزيز الشفافية البحرية

قائمة المراجع بالعربي \ الانترنت

1. ياسر عرفات حيدر محمد ، تاريخ النزاع في بحر الصين الجنوبي ، المركز الديمقراطي العربي ، للمزيد :
https://www.democraticac.de/?p=102142

1 - bill hayton, The South China Sea: Historical and legal background, council on Geostrategy, china observatory, September 2024,p p 1-2

3. BENJAMIN J. SACKS, the political geography of the south china sea disputes, rand research center and organization, 0ctober 2022,p 1
4. Peter Dutton, Three Disputes and Three Objectives—China and the South China Sea, naval war college review , 2011 for further : https://digitalcommons.usnwc.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1553&context=nwc-review

-Internet

5. Miles Kenny, Territorial disputes in the south china sea, article for encyclopedia of Britannica, for further :Territorial disputes in the South China Sea | History, Maps, China,Vietnam,Taiwan, Philippines, Malaysia, & Facts | Britannica
6. Bing. For further go to https://www.bing.com/ck/a?!&&p=d8105cbce0db79dde32ace11da980e4ce5a1ef8c345f2bd5590d7f99c050f76cJmltdHM9MTc1NTMwMjQwMA&ptn=3&ver=2&hsh=4&fclid=3ce31fdd-51fb-
7. .Britannica, for further : https://www.bing.com/ck/a?!&&p=d8105cbce0db79dde32ace11da980e4ce5a1ef8c345f2bd5590d7f99c050f76cJmltdHM9MTc1NTMwMjQwMA&ptn=3&ver=2&hsh=4&fclid=3ce31fdd-51fb-
8. .bing, for further https://www.bing.com/ck/a?!&&p=7475f11748716ac676b152155194a4f937836460454fa4fd59b0876adf37f4feJmltdHM9MTc1NTMwMjQwMA&ptn=3&ver=2&hsh=4&fclid=3ce31fdd-51fb-6925-12d2-
9. Center for Preventive Action, Territorial Disputes in the South China Sea, September 17, 2024, further : https://www.cfr.org/global-conflict-tracker/conflict/territorial-disputes-south-china-sea
10. Zubair Ali Soomro, Reciprocal Access Agreement: A New Chapter in the South China Sea Dispute? ,geopolitical monitor , july 15 2024, further : https://www.geopoliticalmonitor.com/reciprocal-access-agreement-a-new-chapter-in-the-south-china-sea-dispute/

1- قانون البحار UNCLOS

2- تصريحات رسمية من الدول المعنية

الانتقال نحو الدولة الرقمية: التحول الرقمي وإعادة صياغة السياسات العامة في العالم العربي – دراسة حالة العراق

إعداد

م.د مصطفى صادق عواد
كلية العلوم السياسية/ قسم النظم السياسية والسياسات العامة
جامعة النهرين/
mustafa.sadiq@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص

شهد العالم العربي خلال العقدين المنصرمين تصاعدًا ملحوظًا وسريعاً في التحولات الرقمية، إذ تجاوزت هذه التحولات القطاعات الاقتصادية والتقنية التقليدية، وامتدت إلى الهياكل السياسية والإدارية، وحتى آليات صنع القرار العامة، ويثير هذا التحول العميق أسئلة محورية حول مستقبل الدولة، ومدى سلطتها، وتفاعلها مع المجتمع خلال هذا التحول من الدولة التقليدية إلى الدولة الرقمية

يقدم هذا البحث معالجة لهذه التحولات عبر محاولة فهم التأثيرات التي يحملها التحول الرقمي على صياغة السياسات العامة في العالم العربي، مع التركيز على العراق كنموذج تحليلي تتقاطع فيه تحديات عدة تتنوع بين البنية المؤسسية، والسياسات الوطنية، والتكنولوجيا. ويتميز الوضع العراقي بتعقيد بالغ ناتج عن حاجته إلى تحديث مؤسساته وإعادة بناء الثقة بين الدولة والمواطن، فضلاً عن تبني الرقمنة كوسيلة لتعزيز الكفاءة والشفافية في إدارة الشؤون العامة.

أن التحول الرقمي في العراق لم يعد خيارًا تقنيًا، بل أصبح ضرورة استراتيجية لإعادة بناء الدولة وتعزيز ثقة المواطن، غير أن نجاح هذا الانتقال نحو الدولة الرقمية يتطلب إصلاحًا مؤسسيًا متزامنًا في مجالات التشريعات، والحوكمة، ورقمنة القرار العام، وإشراك المجتمع المدني والقطاع الخاص في صياغة السياسات الرقمية.

كما أن الرقمنة ليست مجرد تحسين تقني، بل تحمل في طياتها تغييرات بنيوية عميقة في نموذج الحكم، تُعيد هذه التحولات توزيع السلطة والمعلومات، مما يمنح المواطنين دورًا أكبر في صياغة السياسات العامة ومراقبتها باستخدام أدوات المشاركة الإلكترونية ومنصات الحكومة الرقمية.

فضلاً عن إن التحول من نموذج الدولة التقليدية إلى الدولة الرقمية لا يُعد ببساطة تطورًا تقنيًا، بل يشكل إعادة تعريف جوهرية لوظائف الدولة وأدوارها في العصر الحديث، إذ يقدم هذا البحث مساهمة معرفية في النقاش العلمي المعاصر حول مستقبل نظم الحكم وصنع السياسات العامة في المنطقة العربية.

الكلمات المفتاحية: الدولة الرقمية – التحول الرقمي – السياسات العامة – الحوكمة–الإصلاح المؤسسي – التحول البنيوي – المواطنة الرقمية.

Abstract:

Over the past two decades, the Arab world has witnessed a remarkable and rapid escalation in digital transformation. These transformations have transcended the traditional economic and technological sectors to encompass political and administrative structures, extending even to public decision-making mechanisms in countries. This change raises a set of pivotal questions about the future of the state, the extent of its authority, and the ways it interacts with society in the context of a transitional phase from the traditional state model to the digital state.

This research addresses these transformations by attempting to understand the impact of digital transformation on public policy formulation in the Arab world, focusing on Iraq as an analytical model where several challenges intersect, ranging from institutional structure, national policies, and technology. The Iraqi situation is characterized by extreme complexity resulting from its need to modernize its institutions and rebuild trust between state and citizen, as well as adopting digitization as a means to enhance efficiency and transparency in the management of public affairs.

Digital transformation in Iraq is no longer a technical option; it has become a strategic necessity for rebuilding the state and enhancing citizen confidence. However, the success of this transition to a digital state requires simultaneous institutional reform in the areas of legislation, governance, digitization of public decision-making, and the involvement of civil society and the private sector in formulating digital policies.

Digitalization is not merely a technical improvement; it entails profound structural changes in the governance model. These transformations redistribute power and information, giving citizens a greater role in formulating and monitoring public policies through e-participation tools and digital government platforms.

Furthermore, the shift from the traditional state model to the digital state is not simply a technical development; rather, it constitutes a fundamental redefinition of the functions and roles of the state in the modern era. This research offers an intellectual contribution to the contemporary scholarly debate on the future of governance systems and public policymaking in the Arab region.

Keywords: Digital State - Digital Transformation - Public Policy - Governance - Institutional Reform - Structural Transformation - Digital Citizenship

المقدمة:

لم يعد الحبر الذي تُكتَب به القوانين وترسم به السياسات العامة هو الاداة الأساسية لبناء الدول في القرن الحادي والعشرين، إذ بدأت العمليات الرقمية تشاركه في هذا الدور، وفي احيان كثيرة تتجاوزه، إذ تشكل الآن هذه اللغة الرقمية بصمتها واتساعها التفاعلات اليومية للإنسان، وتسهم بشكل كبير في اعادة تعريف علاقته بالسلطة، وتهدف لإعادة صياغة عقد اجتماعي جديد بين المواطن والدولة، كما إن التحول الرقمي يقدم كفاءة لا متناهية، وشفافية تسهم في سحب الفساد من الظل إلى الضوء ومن الخفاء إلى العلن، وتحقيق الخدمات بطريقة سريعة ومتناهية الدقة، كما وأنها لم تعد مجرد رفاهية تقنية أو احتياجا ثانوياً أو مشروعاً تكنوقراطياً، بل أصبح الميدان الجديد الرئيسي للصراع والتعاون الذي تشهده الساحة الدولية حول مستقبل الحوكمة الرقمية وماهية الدولة ذاتها.

أن هذه الموجة العالمية التكنولوجية، التي تجتاح كل مؤسسات في العالم، تصطدم بشواطئ الوطن العربي بديناميكية فريدة، إذ أن دوله تتميز بطاقة شبابية مفعمه بطموحات قيادية قد تسهم في اطلاق رؤى مستقبلية ضخمة، وفي الوقت ذاته يواجه تحديات تتمثل في أنظمة بيروقراطية راسخة، ونماذج اقتصادية تقليدية، وهياكل سياسية غالباً ما تكون محصنة ضد التغيير الجذري، إذ يصبح التحول الرقمي ليس مجرد عملية نقل للخدمات من الورق إلى الشاشة، بل هو عملية يحيط بها التعقيد من كل جانب ويرافق هذا التعقيد مخاطر منها ما يتعلق بالسلطة، والثقة، والسيادة، والهوية الوطنية في عصر التطور التكنولوجي والعولمة الرقمية.

وفي هذا السياق الاقليمي المعقد يبرز العراق كـ "مختبر حي" ومسرح واضحاً لهذه التحولات المتناقضة، فهو الذي ينهض من عقود من الحروب والعقوبات والصراعات وإرث تاريخي من المركزية الإدارية وضعف المؤسسات وقصور الحوكمة، فهو لا يحاول فقط إعادة بناء ما دُمّر، بل يسعى إلى القفز فوق مراحل تاريخية من التطور البيروقراطي نحو مستقبل رقمي، هذا الانتقال والتحول لا يقتصر على الجانب التقني، بل يمسّ جوهر الدولة ووظائفها ومفهوم السلطة العامة، ويؤثر في صناعة القرار والسياسات العامة وفي العلاقة بين المواطن والدولة، فضلا عن العديد من التحديات الاخرى مثل ضعف البنية التحتية الرقمية، وغياب التنسيق المؤسسي، ومحدودية الإطار التشريعي، ومخاوف الأمن السيبراني، هذه التحديات تجعل من التحول الرقمي عملية سياسية – إدارية معقدة أكثر من كونها عملية تقنية محضة.

أهمية البحث:

تكمن اهمية البحث في كونه يستجيب إلى حاجة معرفية وعملية مزدوجة، فمن الناحية النظرية، يسعى إلى بلورة إطار مفاهيمي يفسّر التحول الرقمي بوصفه عملية إعادة إنتاج مؤسسية داخل الدولة العربية، تتفاعل فيها التكنولوجيا مع البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ ومن الناحية التطبيقية، يركّز على تحليل الحالة العراقية

لفهم طبيعة هذا الانتقال، والعقبات التي تواجهه، وإمكان توظيفه في خدمة الإصلاح المؤسسي وصنع السياسات العامة الفعالة.

و تنبع اهمية البحث أيضاً من كونه يتناول قضية مستقبلية تمس جوهر تطور الدولة العربية في القرن الحادي والعشرين، كما يقدّم رؤية تحليلية تربط بين التكنولوجيا والسياسة، وبين التحول الرقمي والإصلاح المؤسسي. وهو يسعى في النهاية إلى المساهمة في النقاش الأكاديمي حول مستقبل العلوم السياسية والسياسات العامة في ظل الثورة الرقمية، واقتراح نموذج عربي متوازن للانتقال نحو الدولة الرقمية يجمع بين الكفاءة التقنية والمشروعية السياسية والمشاركة المجتمعية

هدف البحث:

يهدف البحث لتحليل التحول الرقمي بوصفه عملية بنيوية تُعيد تشكيل الدولة الحديثة في العالم العربي، واستكشاف العلاقة بين التحول الرقمي وإعادة بناء الثقة بين المواطن والدولة، و وتشخيص واقع التحول الرقمي في العراق ضمن إطار السياسات العامة والحوكمة، واقتراح نموذج استرشادي لسياسات رقمية تعزز الإصلاح المؤسسي والشفافية في العراق.

اشكالية البحث:

تتمثل اشكالية البحث في التعقيد بالتحول من الانظام التقليدي القديم إلى النظام الرقمي الحديث، اذ تطرح اشكالية البحث عبر السؤال الرئيسي الاتي **(كيف يؤثر التحول الرقمي في إعادة تشكيل وصياغة السياسات العامة في العالم العربي، وبأي اتجاه يسير الانتقال نحو الدولة الرقمية في الحالة العراقية؟)** وللإجابة على هذا السؤال يتطلب الاجابة على الاسئلة الفرعية وهي:

1. ما أبرز خصائص الدولة الرقمية ومقوماتها في السياق العربي؟
2. كيف يعيد التحول الرقمي تشكيل مفهوم الدولة في العالم العربي؟ كيف يمكن أن يغيّر من بنية صنع القرار والسياسات العامة؟
3. ما أبرز التحديات البنيوية والمؤسسية التي تواجه العراق في مسار الانتقال نحو الدولة الرقمية؟
4. كيف يمكن توظيف التحول الرقمي كأداة للإصلاح الإداري والسياسي وتعزيز الحوكمة الرشيدة؟

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن التحول الرقمي يمكن أن يكون رافعة استراتيجية لإصلاح الدولة العربية إذا ما تم توجيهه في إطار رؤية شاملة تُعيد بناء الثقة، وتُفعّل المشاركة المجتمعية، وتُرسّخ مبادئ الحوكمة الرشيدة، وتربط الأداء المؤسسي بالأهداف الوطنية للتنمية المستدامة، أما في حال غياب الرؤية

والسياسات التكاملية، فقد يتحول التحول الرقمي إلى مجرد تحديث تقني سطحي يعيد إنتاج الإشكالات البنيوية ذاتها التي عانت منها الدولة التقليدية

الاطار المنهجي:

يعتمد البحث على منهج دراسة الحالة لأنّه يهتم بجمع المعلومات عن الوضع الحالي للحالة المدروسة وماضيها وفهم حقيقة هذه الحالة، وأيضا الاعتماد على المدخل النظمي في دراسة المدخلات والمخرجات وما بينهما من عمليات، كذلك الاعتماد على المدخل المقارن للمقارنة بين الدول العربية، وأيضاً الاعتماد على المدخل الاستشرافي المستقبلي.

أولاً: الإطار المفاهيمي والنظري للتحول الرقمي والدولة الرقمية

بدأت التكنولوجيا تتسع مجالاتها وبشكل متسارع مما جعلها العامل الرئيس في تزايد الامكانيات الاقتصادية والعسكرية والمؤسسية والنقطة الاساسية في تحديد مدى تقدم الدول وقوتها، وهذا ما دفع معظم دول العالم للسعي لامتلاك التكنولوجيا المتطورة والعمل على التحول من الانظمة التقليدية إلى الانظمة الالكترونية التي تعتمد في عملياتها على التكنولوجيا، وعليه سيتم تقسم هذا المحور إلى عدة فروع وهي:

1- مفهوم التحول الرقمي* وتطوره التاريخي:

* يعرف التحول الرقمي على أنه " التحول الرقمي هو عملية استخدام التكنولوجيا الرقمية لتحويل الأنشطة والعمليات ونماذج الأعمال لتحسين الأداء المؤسسي وزيادة الكفاءة. يُعتبر التحول الرقمي أكثر من مجرد اعتماد التكنولوجيا؛ فهو يشمل تغييرات عميقة في طريقة العمل والقيم المؤسسية لتحقيق الفعالية والاستجابة السريعة للتغيرات في البيئة المحيطة"، للمزيد ينظر: (Westerman, 2014).

ويعرف أيضا على أنه " استخدام التكنولوجيا الرقمية لإعادة ابتكار العمليات التجارية، الخدمات، وتجربة العملاء، بهدف تحقيق كفاءة أعلى، زيادة الإيرادات، وتمكين المؤسسة من التكيف مع التغيرات السوقية بسرعة" و هو "استخدام التقنيات الرقمية لتغيير نموذج الأعمال وتوفير فرص جديدة للإيرادات وإنتاج القيمة؛ إنها عملية الانتقال إلى الأعمال الرقمية"، ينظر: (Gartner)

وهو أيضا " عملية استخدام الأدوات الرقمية لتحسين العمليات الداخلية والخارجية، والقدرة على تقديم تجربة عملاء أكثر تكاملاً وفعالية"، ينظر:(Eric Lamarre, 2023)

وأيضاً عرفه المنتدى الاقتصادي العالمي على أنهُ " إعادة توظيف التقنيات الحديثة لتحفيز الابتكار وتعزيز استدامة الأعمال في مواجهة التحديات العالمية"، ينظر:(World Economic Forum, JULY 2020)

منذ منتصف القرن العشرين بدأت المراحل الاولى للتحول الرقمي ومع ظهور الحواسيب، وتقنيات الاتصالات، ثم شبكة الإنترنت، في هذا العصر، أصبح تدفق المعلومات من مقطوعات محلية إلى شبكية عالمية، مما مهدّ لبروز المجتمعات المعرفية، العمل، التعليم، الإعلام، والتجارة تغيّرت كلها بفضل القدرة على معالجة وتبادل المعلومات بسرعة ووفرة أكبر، وقد مر التحول الرقمي بمراحل لكي يصل إلى ما وصل عليه اليوم، عبر التالي:

أ- من الثورة المعلوماتية إلى الدولة الذكية — مسار تطوري بنيوي

يمكن فهم التحول الرقمي كامتداد لسلسلة تاريخية بدأت بالثورة المعلوماتية التي شكلت نقطة فاصلة في إنتاج المعرفة وبنية السلطة، تلك الثورة لم تقف عند مستوى زيادة قدرة المعالجة أو تسريع الاتصالات، بل أحدثت تغييرات في نمط توزيع المعلومات نفسه، من نظام مركزي محدود إلى شبكة لامركزية قادرة على توليد وتداول المعرفة بسرعات ومقاييس لم يسبق لها مثيل، فقد صاغ "مانويل كاستِلز"* هذا التحوّل ضمن مفهوم "المجتمع الشبكي"، حيث تُعاد تشكيل البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق روابط رقمية وشبكات معلوماتية تؤثر مباشرة على قدرات الدولة والمجتمع (Castells, 2023, p. P 942).

على هذه الخلفية ظهرت مراحل عملية في علاقة الدولة بالتقنية: بدايةً مرحلة الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات لتحسين الإجراءات الإداريّة، ثم مرحلة الحكومة الإلكترونية المتمحورة حول تقديم الخدمات عبر القنوات الرقمية وتيسير المعاملات، وصولًا إلى مرحلة الدولة الذكية التي تحول البيانات إلى مدخل أساسي لصنع السياسات، وتستفيد من أدوات مثل البيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء، والذكاء الاصطناعي في مهام التنبؤ والتخطيط وإدارة الأزمات، في هذه المرحلة، لا تبقى التكنولوجيا مجرد وسيط، بل تصبح بنية تمكينية تعيد تشكيل وظائف الدولة ككل، مؤسساتٌ دولية وتقاريرٍ إقليمية توثق هذا التدرج وتبين أن الانتقال من حكومة إلكترونية إلى دولة ذكية يستلزم تجاوز البنية التحتية التقنية إلى تغييرات مؤسسية وتشريعية وثقافية (Bullock, 2022).

ومن الدلالات البنيوية على انتقال الدولة من الدولة التقليدية إلى الدولة الذكية، هو أن المعلومات لم تعد موردًا مساعدًا فحسب، بل أصبحت "عصبًا استراتيجيًا" في صنع القرار، مما ينتج عن ذلك إعادة توزيع للسلطة،

---

* مانويل كاستلز : أستاذ جامعي، ورئيس واليس أننبرغ لتكنولوجيا الاتصالات والمجتمع بجامعة جنوب كاليفورنيا في لوس أنجلوس. عمل أستاذًا لعلم الاجتماع والتخطيط بجامعة كاليفورنيا في بركلي بين عامي 1979 و2003. ودرَّس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وكذلك في جامعة كامبريدج، حيث كان زميلًا في كلية سانت جون. نشر كاستلز 32 كتابًا، بما في ذلك ثلاثيته: "عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة" (1996–2000)، التي تُرجمت إلى 22 لغة. حصل على جائزة هولبرغ، وجائزة بالزان الدولية، وميدالية إيراسموس. للمزيد ينظر: (مركز الجزيرة للدراسات)

إذ تتحول السيادة إلى قدرة على التحكم بقيود البيانات والبنى التحتية الرقمية والاستجابة للمطالب المجتمعية عبر قنوات شفافة وسريعة، وبذلك فأنه عمليًا يصبح للبيانات "حضور سياسي" يغير من لعبة المصالح والقدرات المؤسسية.

ب-الفروق الجوهرية بين التحول الإلكتروني والتحول الرقمي البنيوي:

غالبًا ما يختلط في الخطاب العام والممارسات العملية مفهوم التحول الإلكتروني مع مفهوم التحول الرقمي البنيوي، ولكن الفصل بينهما ضروري لمساءلة مدى عمق التغيير.

- التحول الإلكتروني:

يركز أساسًا على رقمنة الوثائق وتقديم الخدمات التقليدية عبر منصات رقمية منها (بوابات دفع، نماذج إلكترونية، خدمات سجلّية إلكترونية، إلخ)، هدفه تحسين الكفاءة وتقليص زمن الإجراءات وخفض الكلفة والتسهيل على المواطن، رغم أهميته، فإن هذا النوع من التغيير غالبًا ما يكون شكليًا إنْ لم يصاحبه تعديل في قواعد اللعبة المؤسسية، وتشخص تقارير الأمم المتحدة مراحل نضج الحكومة الإلكترونية وتظهر أن كثيرًا من الدول تقف عند تقديم الخدمات دون تحويل أساليب صنع القرار

(United Nations, Department of Economic and Social Affairs (UN DESA), 2022).

- التحول الرقمي البنيوي

هو عملية أعمق تتضمن: إعادة هندسة العمليات المؤسسية، تعديل القواعد القانونية والتنظيمية، بناء قدرات تحليلية للبيانات، إعادة تعريف علاقة المواطن بالدولة من مستهلك خدمة إلى شريك في صنع القرار، وتبنّي آليات حكم استباقية قائمة على الأدلة والتحليل هذا التحول يستلزم تغيّرًا ثقافيًا واستراتيجيا طويل الأمد داخل المؤسسات العامة، ويقود إلى إعادة توزيع أدوار وصلاحيات ومسارات اتخاذ القرار، دراسات في إدارة القطاع العام تؤكد أن التحول الرقمي الحقيقي يقاس بمدى تعديله لهياكل السلطة والعمليات البيروقراطية، لا بعدد الخدمات الإلكترونيّة المضافة .

فبينما قد يُشعر المواطن بميزة التحول الإلكتروني عبر خدمة أسرع أو دفع عبر الإنترنت، فإن التحول البنيوي يغيّر تجارب التفاعل النظامي: سياسات أكثر استجابة، رقابة ومساءلة في الزمن الحقيقي، تصميم برامجٍ استباقية للصحة والتعليم والنقل تستنطق البيانات قبل وقوع الأزمات.

ج- مستويات التحول الرقمي في مؤسسات الدولة

لفهم المسارات الممكنة داخل أي دولة، من المفيد تبنّي مصفوفة مستويات تُبيّن العمق والبُعد المؤسسي لكل مرحلة، وهي ثلاثة مستويات متدرّجة وهي:

جدول رقم (1) مستويات التحول الرقمي في مؤسسات الدولة

المستوى	السمات الاساسية	المؤشرات
الاول – الرقمنة	تحويل الوثائق المُرسلة أو المستلمة إلى صيغة رقمية، تقديم خدمات إلكترونية بسيطة.	بوابات إلكترونية لاستقبال الطلبات أو الدفع، استمارات إلكترونية بديلة عن الورقية.
الثاني – التكامل المؤسسي	ربط الأنظمة بين المؤسسات، تبادل البيانات، تنسيق الإجراءات.	أنظمة قواعد بيانات مشتركة، الربط بين الوزارات، تحسين المسارات الإدارية الرقمية.
الثالث – التحول البنيوي/الدولة الذكية	استخدام تحليلات البيانات، التنبؤ، الإدارة الاستباقية، سياسات عامة ذكية مبنية على بيانات، منصات مشاركة رقمية، نظم إنذار مبكر قائمة على تحليل بيانات متعددة المصادر.	أنظمة مراقبة الأداء اللحظي، الذكاء الاصطناعي في التخطيط، منصات مشاركة المواطنين الرقمية، التقييم المرتكز على البيانات، تغيير في علاقة المواطن بالدولة، تحسين شرعية القرارات وسرعتها.

الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على: (World Bank Group, 2022)

ويتطلب التقدم من مستوى لآخر توافر عدد من الشروط، وغياب أحدها يحول التحول إلى مجموعة مشاريع منفصلة دون تأثير سياساتي بنيوي، وهذه الشروط هي:

- البُنى التحتية القوية (شبكات/طاقة/بيانات).
- تشريعات لحماية البيانات والخصوصية.
- مهارات بشرية وتحوير إداري.
- استثمار مستمر.
- وإرادة سياسية معلنة مستدامة.

وعليه، فأن التحول الرقمي ليس مسألة تقنية فحسب، بل هو مشروع سياسي– مؤسسي يلامس صميم الدولة في تعريفها، وظائفها وشرعيتها.

2– خصائص الدولة الرقمية: الانفتاح، الشفافية، الكفاءة، المشاركة:

أ– الانفتاح:

يشير مفهوم الانفتاح في الدولة الرقمية إلى قدرة الحكومة على جعل المعلومات والسياسات والبيانات العامة متاحة للمواطنين بصورة حرة وسهلة الوصول، بحيث يتحول مبدأ السرية البيروقراطية الذي طبع الدولة التقليدية إلى مبدأ الحكومة المفتوحة.

والانفتاح هنا لا يعني مجرد نشر البيانات، بل يمثل تحولًا ثقافيًا وإداريًا في العلاقة بين الدولة والمجتمع، إذ يصبح المواطن شريكًا في عملية المراقبة والتحليل والتقييم. فبيانات الميزانيات، والعقود، والمشتريات العامة، أصبحت تُنشر على المنصات الحكومية الرقمية لتسمح للباحثين والمواطنين بمتابعتها وتحليلها (OECD Digital Government Studies, 2019).

أما في العالم العربي، فقد بدأت بعض الدول مثل الإمارات والسعودية والأردن تبني مفهوم البيانات المفتوحة كجزء من سياسات التحول الرقمي، فيما لا يزال تطبيق هذا المبدأ في العراق يواجه تحديات مؤسسية وتشريعية.

ب- الشفافية:

تُعد الشفافية حجر الزاوية في بناء الدولة الرقمية، إذ تتيح التكنولوجيا الرقمية أدوات جديدة لكشف المعلومات والإجراءات الحكومية بشكل لحظي، وتقلل من احتمالية الفساد الإداري عبر تتبع العمليات الحكومية إلكترونيًا.

في الدولة الرقمية، تصبح الشفافية وظيفة بنيوية لا خيارًا سياسيًا، لأن الأنظمة المؤتمتة وأنظمة البيانات الكبرى تفرض نمطًا رقابيًا داخليًا وخارجيًا على الأداء العام (Bannister, 2020, p. P106)، غير أن تحقيق الشفافية لا يخلو من التحديات، إذ يتطلب توازنًا دقيقًا بين حق المواطن في الوصول إلى المعلومات وحماية الأمن القومي والبيانات الشخصية، وهو جدل متصاعد في الدول النامية ومنها العراق.

ت- الكفاءة:

تعتمد البيروقراطية في الدولة التقليدية على هرمية القرار وطول الإجراءات، اما الدولة الرقمية فهي تقدم نموذجًا قائمًا على الأتمتة والتحليل التنبؤي، مما ينتج عنه اتخاذ قرارات مبنية على البيانات بدلًا من الحدس السياسي أو التجربة الشخصية.

ففي تجربة سنغافورة مثلاً، أدّى تبنّي نموذج "الامة الذكية" إلى خفض نفقات التشغيل الحكومي بنسبة (27)% خلال خمس سنوات (Singapore GovTech, 2022)، أما في العالم العربي، فقد حققت الإمارات ومصر خطوات ملموسة في أتمتة الخدمات العامة بنسبة تجاوزت (80)%، والكفاءة هنا لا تُقاس فقط بالسرعة، بل بمدى تحقيق العدالة الرقمية في توزيع الخدمات بحيث لا يُستبعد أي مواطن عن المنصات بسبب ضعف الاتصال أو الأمية الرقمية — وهي مشكلة جوهرية في معظم الدول العربية ومنها العراق.

ث- المشاركة:

تُعد المشاركة الرقمية أكثر خصائص الدولة الرقمية تعبيرًا عن التحول الديمقراطي في إدارة الدولة، فبفضل الأدوات الرقمية، أصبح المواطن فاعلًا سياسيًا تفاعليًا وليس متلقيًا فقط، إذ تتيح المنصات الرقمية الحكومية والمجتمعية اليوم إمكانية المشاركة في صياغة السياسات العامة عبر الاستشارات الإلكترونية، والتصويت الإلكتروني، ورصد الأداء العام من خلال شبكات التواصل أو التطبيقات الرسمية.

كما أن المشاركة لم تعد مقتصرة على الانتخابات أو استطلاعات الرأي، بل أصبحت آلية حوكمة تشاركية رقمية، تُمكّن المواطنين من المساهمة المباشرة في تحليل المشكلات العامة واقتراح الحلول، وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن الدول التي تبنّت نماذج المشاركة الرقمية شهدت ارتفاعًا في مؤشرات الثقة العامة بنسبة (22)% في المتوسط، مقارنة بالدول ذات الأنظمة الإدارية المغلقة (United Nations Development Programme, Arab States).

3- العلاقة بين التحول الرقمي وصنع السياسات العامة

يمثل التحول الرقمي أحد أهم التحولات البنيوية التي أعادت صياغة مفهوم الدولة الحديثة ووظائفها، ولا سيما في مجال صنع السياسات العامة، فبينما كانت السياسات العامة في الدولة التقليدية تُبنى على هرمية القرار، والتدفق البطيء للمعلومات، والنموذج المغلق في إدارة الشأن العام، أصبحت في ظل الدولة الرقمية عملية تفاعلية ديناميكية تستند إلى البيانات الضخمة والتحليل الفوري والمشاركة المجتمعية عبر الوسائط الرقمية.

أ- مفهوم السياسات العامة الذكية:

يشير مفهوم السياسات العامة الذكية إلى الجيل الجديد من السياسات التي تصاغ وتنفذ وتقيم باستخدام التكنولوجيا الرقمية المتقدمة، بما في ذلك الذكاء الاصطناعي، وتحليل البيانات الضخمة، والتعلم الآلي.

وتمثل هذه السياسات نقلة نوعية من السياسة التفاعلية إلى السياسة الاستباقية، إذ لم تعد الحكومة تنتظر ظهور المشكلة لتتدخل، بل تستخدم أدوات التنبؤ والتحليل للوقاية منها أو معالجتها في بداياتها، وتُعرف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية" السياسة العامة الذكية" بأنها "سياسة عامة تعتمد على البيانات الدقيقة والابتكار التكنولوجي في تحليل المشكلات الاجتماعية وصياغة الحلول بطريقة أكثر تكاملًا ومرونة واستجابة للتغيرات" (Organisation for Economic Co-operation and Development (OECO), 2018).

ويمكن تلخيص خصائص السياسات الذكية في أربع ركائز أساسية:

- الاستناد إلى البيانات : حيث يتم الاعتماد على البيانات الضخمة لتحديد الاتجاهات والمشكلات بدقة، مثل تحليل أنماط البطالة أو الهجرة أو الفقر في الزمن الحقيقي.

- الاستباقية : إذ تهدف هذه السياسات إلى معالجة الأسباب الجذرية قبل تفاقم المشكلات، مستفيدة من التحليل التنبؤي.
- التخصيص : فبدلًا من السياسات العامة الشاملة، تسعى السياسات الذكية إلى تفصيل الحلول بحسب الفئات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية المستهدفة
- التقييم المستمر : من خلال آليات رقمية لقياس الأداء وتغذية راجعة لحظية.

وقد نجحت تجارب مثل إستونيا وسنغافورة وكندا في دمج هذه المقاربة ضمن استراتيجياتها الوطنية للتحول الرقمي، ففي إستونيا، على سبيل المثال، يتم تقييم كل سياسة عامة قبل اعتمادها عبر نظام خوارزمي يقيس أثرها الاقتصادي والاجتماعي المحتمل خلال ثوانٍ(Complex Discovery, 2023) .

ب- تأثير الرقمنة على دور الدولة وأدوات الحكم

لقد أحدثت الرقمنة تحولًا جذريًا في مفهوم الدولة وأدواتها التقليدية للحكم، فبدلًا من الدولة الهرمية التي تُمارس سلطتها من خلال البيروقراطية والقرارات المركزية، برزت الدولة الشبكية التي تعتمد على المنصات الرقمية، والتكامل بين المؤسسات، والمشاركة المجتمعية الإلكترونية في إنتاج القرار العام (Cardoso, 2005). ولهذا فإن الرقمنة أعادت توزيع السلطة داخل الدولة، حيث أصبحت المعرفة والبيانات عناصر قوة موازية للقرار السياسي ذاتهلذا تحولت ادوار الدولة، وهذه التحولات هي: (World Bank Group, 2023):

- تحول دور الدولة من المنفّذ إلى الممكن.
- تحول أدوات الحكم من اللوائح إلى الخوارزميات .
- تحول العلاقة بين الدولة والمواطن.
- إعادة تعريف مفاهيم السيادة والهوية الوطنية.

وعليه، فإن العلاقة بين التحول الرقمي وصنع السياسات العامة ليست علاقة تقنية أو إجرائية فحسب، بل هي علاقة فلسفية وإدارية عميقة تعيد تعريف وظيفة الدولة، وأدواتها، وهويتها السياسية، فالدولة الرقمية لا تكتفي بتحديث أدوات الحكم، بل تُعيد تصميم منظومة السياسات العامة على أساس الذكاء، والمرونة، والشفافية، والتكامل بين المعرفة والقرار.

ثانياً: التحول الرقمي في العالم العربي – الواقع والإشكاليات البنيوية

لا يُعد التحول الرقمي في العالم العربي مجرد عملية تقنية أو تحديث إداري، بل هو مشروع بنيوي يعكس طموحًا مؤسسيًا عميقًا لإصلاح الدولة، وتعزيز الفاعلية السياساتية، وتقوية العلاقة بين الدولة والمواطن، هذا

المشروع يواجه مجموعة من التحديات الهيكلية التي يمكن أن تحُدّ من إمكاناته إذا لم تُعالَج بشكل استراتيجي، وعليه سيتم تقسيم هذا المحور إلى عدة فروع وهي:

1- التحول الرقمي كأداة لإصلاح السياسات العامة:

يُنظر إلى التحول الرقمي كمنصة إصلاحية تستطيع إعادة بناء آليات التشريع وصناعة القرار وإدارة الموارد العامة، من خلال الرقمنة يمكن للدول العربية من (الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا الإسكوا، 2024):

أ- استخدام البيانات كأداة لاتخاذ القرار المبني على الأدلة: عبر جمع وتحليل البيانات من مختلف الأجهزة الحكومية، إذ يمكن صناعة سياسات عامة أكثر تكيّفًا مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي، والاعتماد على مؤشرات حديثة بدلاً من التقدير البشري التقليدي.

ب- تحسين كفاءة الإدارة الحكومية: بفضل الأتمتة والتكامل بين أنظمة الوزارات، تنخفض التكاليف، وتقل الإجراءات البيروقراطية، ويُصبح تقديم الخدمة أسرع وأكثر موثوقية.

ت- تعزيز الشفافية والمساءلة: المنصات الرقمية لإتاحة البيانات الحكومية (مثل بوابات البيانات المفتوحة) تمكّن المواطنين من متابعة الميزانيات والتعاقدات والمشروعات، مما يخلق ضغطًا رقابيًا من القاعدة الشعبية.

ث- تمكين المشاركة المدنية: عبر المنصات الإلكترونية، يصبح للمواطنين دور مباشر في التشاور حول السياسات، اقتراح القوانين، أو تقييم الأداء، ما يُحيلهم من متلقّين إلى شركاء في الحُكم.

كما أن السياسات الرقمية ينبغي أن تراعي البعد الاجتماعي والاقتصادي، بحيث يكون التحول الرقمي جزءًا من رؤية تنموية شاملة، إذ تعكس الإطار المفاهيمي لإطار التنمية الرقمية العربي الذي وضّعته (الإسكوا) وأن حكم التحول الرقمي يجب أن يغطي البنية التحتية، البيئة القانونية، الحوكمة، والاقتصاد الرقمي .

2- التحديات الهيكلية للتحول الرقمي في المنطقة العربية:

تشهد المؤسسات في الدول العربية العديد من التحديات ومنه

(Professional Evaluation and Certification Board (PECB), 2025):

أ- البيروقراطية والحوكمة التقليدية: أن النظم الإدارية العربية غالبًا ما تعاني من تركيبة بيروقراطية تقليدية: هياكل مركزية، سلطات ضاغطة، وتعقيدات إجرائية قد تعرقل الابتكار الرقمي. فحتى إذا وُضِعت استراتيجيات رقمية، فإن مقاومة التغيير من داخل الأجهزة الحكومية يمكن أن تكون خانقة، خاصة إذا لم يتم دمج ثقافة التحول الرقمي في سياسات الهيكلة وإدارة التغيير.

ب- ضعف البنية التحتية التقنية: رغم التقدم في بعض الدول، إلا أن العدد الكبير من الدول العربية لا يزال يواجه مؤشرات متواضعة في البنية التحتية الرقمية، فوفق تقرير التنمية المستدامة العربي لعام 2024 الصادر عن " الاسكوا " هناك تفاوت كبير في انتشار الإنترنت والاشتراكات في النطاق العريض، كما أن بعض الدول لم تطوّر بعد مراكز بيانات وطنية قوية ومستقلة، هذا الضعف يضعف قدرة الدولة على تبني التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي أو الحوسبة السحابية بطريقة مؤثرة ومستدامة.

ت- الفجوة الرقمية وعدم تكافؤ الوصول: أن الفجوة الرقمية في العالم العربي ليست مجرد مسألة تقنية، بل هي تحدّ اجتماعي وتنموي، يشير تقرير (ASDR) لعام 2024 إلى أن نسبة مستخدمي الإنترنت تصل إلى (70.3)% في المتوسط الإقليمي، لكنها تتفاوت بشدّة بين الدول وبين المناطق الحضرية والريفية، وبين الفئات العمرية والجندرية، ونتيجة ذلك، قد يتم استبعاد قطاعات كبيرة من المجتمع من فوائد الدولة الرقمية، ما يضعف شرعية التحول الرقمي إذا لم يُرافق بسياسات شمولية وعدالة في الوصول.

ث- غياب التشريعات الرقمية: من دون إطار تشريعي قوي ينظم قضايا البيانات، الخصوصية، الأمان السيبراني، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، يصبح التحول الرقمي عرضة للمخاطر. في العديد من الدول العربية، لا تزال التشريعات الرقمية في مرحلة التأسيس أو غير كافية، غياب تشريعات فعالة يفوق كونه مشكلًا فنيًا؛ إنه تحد سياسي يُعيد إنتاج الخوف من الاستخدام الخاطئ للبيانات ويعرقل بناء الثقة الرقمية.

ج- هشاشة الثقة بين المواطن والمؤسسة: الثقة بين المواطن والدولة هي رافعة محورية لأي تحول رقمي حقيقي، في كثير من الدول العربية، تراكمت تجارب سلبية من البيروقراطية، الفساد، ضعف الأداء الحكومي، ما يجعل بعض المواطنين متردّدين في تبني الخدمات الرقمية. لكي تكون الدولة الرقمية فعالة، يجب أن تعمل الحكومات على بناء رصيد ثقة من خلال ضمانات قانونية، تقديم خدمات موثوقة، وتعزيز تفاعل حقيقي مع المواطنين عبر المنصات الرقمية.

3- فرص الانتقال إلى الدولة الرقمية في المنطقة العربية:

رغم التحديات، تبرز فرص استراتيجية يمكنها دفع المنطقة نحو تحول رقمي جذري إذا تم استثمارها بذكاء:

أ- الإمكانات البشرية: يشكل الشباب العربي إحدى أكبر الثروات في هذه المعادلة، ونسبة كبيرة من السكان في الدول العربية هم من الشباب، والكثير منهم يمتلك قدرات في التكنولوجيا، البرمجة، وريادة الأعمال الرقمية. هذا الشباب يمكن أن يلعب دور المحرك الرئيسي لتحول الدولة إذا ما دعمت

الحكومات التعليم التقني، التدريب على مهارات الثورة الصناعية الرابعة، وتطبيق السياسات التي تدمجهم في الخطط الرقمية الوطنية (Wehbe، 2024).

ب- مبادرات المدن الذكية ومختبرات الابتكار الحكومي: تتجه بعض الدول العربية نحو بناء مدن ذكية كمختبرات لكيف يمكن تطبيق السياسات الرقمية: مثل مشروع (NEOM) في السعودية، أو مدينة (مصدر) في الإمارات، هذه المدن تتيح اختبار الخدمات الحكومية الرقمية، البنية التحتية المتقدمة، تجريب حلول الطاقة والنقل الذكي، وتطوير منصات مشاركة المواطن في الوقت الحقيقي، ومختبرات الابتكار الحكومي (GovTech Labs) تسمح بتجريب نماذج السياسات الذكية قبل تعميمها على المستوى الوطني (United Nations, ESCWA, Arab States Action Programme on Advancing, 2024).

ت- الدعم الدولي والمؤسسي: تحظى المنطقة العربية بدعم موسّع من جهات دولية وإقليمية في مشروع الرقمنة: من الأمم المتحدة خاصة (الاسكوا) إلى البنك الدولي، إلى شراكات مع شركات تكنولوجيا عالمية. مثلاً، أجندة (الاسكوا) الرقمية 2023–2033 توفر إطارًا سياسياً مشتركًا للدول العربية لتطوير البنية الرقمية، التشريعات، والحوافز. (Ibid)

هذا الدعم يمكن أن يساعد في سد فجوات البنية التحتية والتشريعات، لكنه يحتاج إلى تكامل محلي واستراتيجيات وطنية لضمان الاستدامة.

4- تجارب عربية رائدة: نماذج تطبيقية:

من المهم أن ننظر إلى الأمثلة الناجحة في العالم العربي كمصادر إلهام واستراتيجية:

أ- المملكة العربية السعودية: تقدّمت بسرعة في مؤشر نضج الحكومة الرقمية (GovTech Maturity Index)، وهي مؤسسة تمتلك رؤية طموحة ضمن رؤية 2030 لدعم الاقتصاد الرقمي والبنية التحتية التكنولوجية. (هيئة الحكومة الرقمية السعودية، 2024)

ب- دولة الإمارات العربية المتحدة: تُعد من الدول الرائدة في الحكومة الرقمية، كما أنها استثمرت بشدة في الهوية الرقمية، المدن الذكية، وتقديم خدمات حكومية رقمية عالية الجودة (هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية، 2025).

ت- المبادرات الإقليمية المشتركة: أطلقت "الاسكوا" مع الدول العربية أجندة رقمية إقليمية (الأجندة الرقمية العربية 2023–2033) لتضع رؤية استراتيجية للتحول الرقمي تدعم التنمية المستدامة وسياسات شاملة للحوكمة الرقمية (الأمم المتحدة الإسكوا، 2023) .

وعليه، إنّ التحول الرقمي في العالم العربي يمثل لحظة تاريخية: ليس فقط لتحديث التكنولوجيا، بل لإعادة بناء الدولة وعقدها الاجتماعي مع مواطنيها، والتحديات البنيوية – مثل البيروقراطية أو الفجوة الرقمية – هي حقيقية ولكنها ليست حاجزًا لا يمكن تجاوزه، والفرص موجودة، خاصة من خلال الطاقات الشبابية، المدن الذكية، والشراكات الدولية.

إذا نجحت الدول في تحقيق هذا التوازن بين الطموح الرقمي والواقعية المؤسسية، يمكن أن يشهد العالم العربي نموذج دولة رقمية فاعلة ومستدامة — دولة تقدم خدماتها بمزيد من الكفاءة والعدالة، وتبني علاقة جديدة مع المواطنين قائمة على الثقة والمشاركة والتحليل.

ثالثاً: التحول الرقمي والسياسات العامة في العراق بين الطموح والواقع

يُعد التحول الرقمي أحد أهم التحولات البنيوية التي تشهدها الدولة العراقية في مسار تحديث مؤسساتها العامة، وتطوير أدوات صنع القرار، وتعزيز كفاءة الخدمات الحكومية، وعلى الرغم من تبني العراق عدداً من المبادرات الرقمية، إلا أن تنفيذ هذه المبادرات ما يزال يتأرجح بين الطموح والرؤية الاستراتيجية من جهة، والواقع المؤسسي والاقتصادي والسياسي من جهة أخرى، إذ يكشف التحليل البنيوي أن التحول الرقمي في العراق لم يصل بعد إلى مستوى الدولة الرقمية، وأنه ما يزال محكوماً بتحديات تشريعية وإدارية وتقنية تحدّ من قدرته على إعادة صياغة السياسات العامة بشكل فعّال، وللضرورة البحثية سيتم تقسيم هذا المحور إلى أربعة محاور رئيسية وهي:

أولاً: الإطار المؤسسي والتشريعي للتحول الرقمي في العراق

يُعدّ الإطار التشريعي حجر الأساس في بناء دولة رقمية فاعلة، إذ تكشف المراجعة القانونية أن العراق يفتقر حتى الآن إلى منظومة تشريعية متكاملة تشمل قوانين حماية البيانات، الأمن السيبراني، التوقيع الرقمي، والمعاملات الإلكترونية، وعلى الرغم من وجود بعض التعليمات الوزارية والقرارات الحكومية، إلا أنها غالباً ما تبقى غير ملزمة، غير متكاملة، ومجزأة، مما يعوق بناء بيئة قانونية آمنة ومستقرة.

كما ويتسم الإطار المؤسسي بالازدواجية في المهام؛ إذ تتقاطع صلاحيات وزارة الاتصالات، وهيئة الإعلام والاتصالات، والأمانة العامة لمجلس الوزراء، ودوائر تكنولوجيا المعلومات داخل الوزارات المختلفة، هذا التشظّي يؤدي إلى ما يسمى تعدد مراكز القرار الرقمي، ويجعل التحول الرقمي عملية غير مركزية وغير قابلة للقياس الموحد، ويعود سبب ذلك لعدم وضوح القوانين مما يؤدي إلى زيادة الفساد الإداري عبر التفسيرات الشخصية فغموض القوانين يفتح الباب أمام التفسيرات الشخصية، مما يسمح بحدوث التلاعب والفساد، مما يؤدي إلى الرشوة والمحسوبية فقد يستغل بعض الموظفين الغموض لتحقيق مكاسب شخصية، مما يُضعف نزاهة المؤسسات.

وهذا ما تشير اليه بعض من الدراسات دولية في أن غياب التشريعات الواضحة يعدّ من أبرز أسباب تعثر التحول الرقمي في الدول النامية، وينطبق هذا الواقع على العراق الذي يحتاج إلى إصلاح تشريعي شامل مشابه لتجارب دول مثل إستونيا والإمارات والسعودية (UNITED NATIONS, Department of Economic and Social Affairs, 2020, p. 74).

ورغم هذا فقد سعت الحكومات العراقية بعد عام 2005 من العمل على ادخال الأسس القانونية للتحول الرقمي في العراق عبر تشريعات متعددة، كقانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (101) لعام2012 (جريدة الوقائع العراقية، 2013)، ويعد ألية التكامل لحصول المواطنين او الشركات المسجلين في بوابة اور الالكترونية على شفرة التوقيع الالكتروني (موقع الامانة العامة لمجلس الوزراء، 2024)، والذي يُعتبر خطوة إلى الأمام نحو التحول الرقمي، كما أن هناك نصوص قانونية متفرقة تؤكد على إمكانية استعمال الوسائل الإلكترونية في التبليغات القضائية، وتوثيق البيانات الحكومية، وحتى في الإجراءات المالية، متمثلة بالمادة (٢١) من النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا رقم (١) لسنة 2005 التي تنص على أنه "يجوز للمحكمة الاتحادية العليا إجراء التبليغات في محل اختصاصها بواسطة البريد الإلكتروني، والفاكس والتلكس، إضافة لوسائل التبليغ الأخرى المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية" (جريدة الوقائع العراقية، 2005).

وصدرت أيضاً تعليمات اكدت على استخدام الأدوات الالكترونية في عملها القانوني كتعليمات الكشف عن الذمة المالية رقم (2) لسنة 2017، إذ تنص المادة 3 منها على أنه "اولًا: تنشر الهيئة انموذج استمارة الكشف عن الذمة المالية في الموقع الإلكتروني لها، وللمكلف سحبه أو طلبه مباشرة منها لغرض ملئه" (جريدة الوقائع العراقية، 2017)، فيما تنص المادة (10- ثانياً) منها على أن "تتولى دائرة الوقاية توثيق البيانات الواردة في الاستمارات بنظام قاعدة بيانات الكترونية خاصة بها وأرشفة الاستمارات المتعلقة بكل مكلف وإعداد المواقف الخاصة به" (جريدة الوقائع العراقية، 2017).

ثانياً: التحول الرقمي والسياسات العامة القطاعية:

يختلف تأثير التحول الرقمي باختلاف القطاعات الحكومية، ما بين قطاعات شهدت تقدماً نسبياً وأخرى بقيت شبه جامدة.

1- **القطاع المالي:** شهد العراق تقدماً واضحاً من خلال توسيع الدفع الإلكتروني، وتعزيز أنظمة الجباية الرقمية، وتطبيق إدارة إلكترونية للرواتب، وقد أسهم ذلك بتقليل حجم الأموال النقدية وتوسيع دائرة الشفافية المالية، إلا أن التطبيق ما يزال محدوداً، ويتأثر بضعف البنية التحتية المصرفية واختلاف مستوى الجاهزية بين المؤسسات (عيسى، 2024، الصفحات 136-143)

2- **القطاع الصحي:** على الرغم من وجود تجارب ناجحة في بعض المستشفيات (مثل الأرشفة الرقمية ونظام إدارة الطوارئ)، إلا أن غياب التكامل الوطني، وضعف أنظمة الربط، وغياب السجل الصحي الموحد يحدّ من فاعلية الرقمنة الصحية، وتشير الدراسات إلى أن الأنظمة الصحية الرقمية تسهم في الحدّ من الأخطاء الطبية وتحسين التخطيط، وهو ما يحتاجه العراق بشدة (World Health Organization (WHO), 2021)، كذلك العمل على عقد شراكات مختلفة من اجل ادخال التحول الرقمي على القطاع الصحي العراقي منها مع منظمة اليونيسيف إذ تم ادخال النظام الرقمي للتسجيل المدني والإحصاءات الحيوية لتسجيل المواليد في العراق (يونيسف العراق، 2024)

3- **قطاع التعليم:** أظهرت جائحة كورونا إمكانات كبيرة للتعليم الرقمي في الجامعات العراقية، لكن استمرار هذه التجربة اصطدم بضعف البنية التحتية التقنية، وغياب نظم التعليم الذكية، وعدم اكتمال منصات التعلم الإلكتروني، والسياسات محدودة الافق والاجراءات البيروقراطية، وقيود الميزانية والقدرة المالية (الجليلي، 2023، الصفحات 577-578).

4- **القطاع الأمني:** يعتبر أكثر القطاعات تقدماً من حيث الرقمنة (جوازات السفر الإلكترونية (وزارة الداخلية، 2022)، البيانات البايومترية، البطاقة الوطنية الموحدة (العراقية، 2017)، قواعد البيانات الجنائية)، لكنه ما يزال قطاعاً مغلقاً غير مرتبط بشكل كامل ببقية الوزارات.

ثالثاً: التحديات البنيوية أمام الدولة الرقمية في العراق

تواجه المؤسسات في العراق العديد من التحديات التي تواجهها في مراحل الانتقال من الطرق القديمة إلى الطرق الرقمية والتكنولوجية الحديثة، ومن هذه التحديات هي:

1- ضعف التنسيق المؤسسي

تشير الأدبيات العالمية إلى أن التنسيق بين الوزارات شرط أساسي لبناء حكومة مترابطة، وفي العراق، أدت بنية الدولة المتداخلة ما بعد 2003 إلى خلق مؤسسات متوازية ومتنافسة، مما أدى إلى "جزر رقمية"* تعمل بمعزل عن الأخرى، ويؤثر هذا التشتت على تكامل البيانات، ويزيد من الهدر المالي، ويصعّب اعتماد سياسات قائمة على الأدلة (Abdulkareem, Strategic Information Systems Integration For

* الجزر الرقمية: هو مفهوم يُستخدم في أدبيات الحكومة الإلكترونية والتحول الرقمي لوصف حالة التجزئة الرقمية داخل الدولة أو المؤسسة، حيث تقوم الجهات الحكومية بتطوير أنظمة معلومات وخدمات رقمية مستقلة ومنعزلة عن بعضها، دون وجود تكامل تقني أو تنسيقي أو تشغيلي فيما بينها.

Enhancing E-Government Service Delivery In Iraq: A Model Based On Citizen-Centric Performance Indicators, 2025, pp. 1716-1726).

2- الفساد والبيروقراطية

أن الفساد الإداري في العراق يمثل أحد أخطر معوقات الرقمنة، إذ يقاوم الفاعلون غير الرسميين أي تغيير يقلل دورهم في الإجراءات الحكومية، كما أن البيروقراطية الورقية المصاحبة للتدرج الإداري الواسع تُبطئ تبني الأنظمة الرقمية (الياسري، 2019).

3- نقص المهارات التقنية والإرادة السياسية

يعاني العراق من فجوة واسعة في المهارات الرقمية داخل القطاع العام، ونقص في الكفاءات المؤهلة لإدارة البيانات، والأمن السيبراني، والتطوير البرمجي، أما الإرادة السياسية، فغالباً ما تكون غير مستقرة، إذ تتغير الأولويات الرقمية بتغير الحكومات، مما يعرقل المشاريع طويلة الأمد(Chibani, 2024) ، وتشير دراسات عالمية إلى أن الإرادة السياسية الثابتة شرط أساسي لنجاح الدولة الرقمية(UNDP Iraq, 2023) .

رابعاً: تقييم واقع التحول الرقمي في المؤسسات الحكومية العراقية

أن التحول الرقمي في العراق ما يزال في مرحلة "التحول الهش" أي أنه قائم على مشاريع تقنية منفصلة دون إصلاح مؤسسي شامل، ويمكن تلخيص واقع الرقمنة في ثلاث ملاحظات رئيسية:

1-تقدم غير متوازن بين الوزارات

حققت بعض الوزارات تقدماً واضحاً (الداخلية، المالية، الداخلية، التخطيط)، بينما بقيت أخرى تعتمد بشكل شبه كامل على الأوراق، هذا «عدم التوازن» يؤدي إلى تباطؤ شامل في الرقمنة لأنها تعتمد بطبيعتها على التكامل الأفقي بين مؤسسات الدولة (الخضر، 2020، الصفحات 568-581).

2-ضعف التفاعل المجتمعي والاعتماد على الخدمات الإلكترونية

رغم إطلاق منصات متعددة، لم تصل نسبة استخدام الخدمات الإلكترونية إلى مستويات مقبولة بسبب ضعف الثقة الرقمية، ومستوى الوعي، وعدم استقرار الأنظمة، وغياب الهوية الرقمية الموحدة (الشريف، 2025)).

3-غياب قاعدة بيانات وطنية موحدة

تعدّ هذه إحدى أكبر نقاط الضعف؛ إذ تعتمد المؤسسات على قواعد بيانات منفصلة، غير مترابطة، ما يمنع صناعة سياسات دقيقة في قطاعات الأمن، الصحة، التعليم، والاقتصاد (نفسه).

وعلى اساس ما تقدم، أن التحول نحو الدولة الرقمية في العراق يمثل خياراً استراتيجياً لا غنى عنه لإصلاح بنية الدولة وتعزيز فعالية السياسات العامة، غير أن هذا المسار ما يزال محكوماً بفجوة بنيوية واضحة بين الطموحات المعلنة والواقع المؤسسي والتقني، فقد أظهر التحليل أن الرقمنة في العراق تتسم بطابع جزئي وهش، قائم على مبادرات تقنية متفرقة تفتقر إلى إطار حوكمي وتشريعي موحّد قادر على تحقيق التكامل المؤسسي والتشغيل البيني بين مؤسسات الدولة.

كما توصل البحث إلى وجود اختلالات هيكلية تتمثل في ضعف التنسيق بين الوزارات، وتفاوت مستويات التقدم الرقمي، وغياب قاعدة بيانات وطنية موحدة، الأمر الذي أسهم في نشوء "جزر رقمية" أعاقت تكامل المعلومات وصناعة السياسات المبنية على الأدلة، كما وتشكّل نقص المهارات الرقمية داخل القطاع العام، إلى جانب عدم استقرار الإرادة السياسية، عائقاً مركزياً أمام استدامة مشاريع التحول الرقمي وتنفيذها على المدى الطويل.

إن استكمال التحول الرقمي يتطلب إصلاحاً مؤسسياً عميقاً، ووضع إطار تشريعي موحد، وتعزيز الإرادة السياسية، إضافة إلى بناء قدرات تقنية وطنية قادرة على إدارة عملية الانتقال نحو الدولة الرقمي، ورغم كل هذه التحديات يحاول جيل جديد من المختصين والمهتمين بالتكنولوجيا ببناء جسور رقمية تتجاوز الاطر التقليدية، هذا التناقض هو بالضبط ما يجعل دراسة الحالة العراقية ليست مجرد ممارسة أكاديمية، بل ضرورة ملحة لفهم التحديات الكبرى التي تواجه الدول التي انتقلت من الانظمة الشمولية إلى الديموقراطية أو الدول الخارجة من الصراع في عصرنا الرقمي.

المراجع:

1. United Nations, ESCWA, Arab States Action Programme on Advancing .(2024) .*Arab Digital Agenda 2023-2033* .Beirut :United Nations, ESCWA.
2. Abdulkareem, A. M. (2025, 6). Strategic Information Systems Integration For Enhancing E-Government Service Delivery In Iraq: A Model Based On Citizen-Centric Performance Indicators. *International Journal of Environmental Sciences*, pp. 1716-1726.
3. Achref Chibani .(2024 ,10 30) .*Policy Brief: Advancing E-Governance and Digital Transformation in Iraq* من ،2025 ,10 27 تاريخ الاسترداد .oliraq: https://ouriraq.org/article/policy-brief-advancing-e-governance-and-digital-transformation-iraq?utm_source=chatgpt.com
4. Alaa Mohammed Nadir Abdulkareem .(2025 ,6) .Strategic Information Systems Integration For Enhancing E-Government Service Delivery In Iraq: A Model Based On Citizen-Centric Performance Indicators .*International Journal of Environmental Sciences*.1726-1716 الصفحات ،

5. Bannister, F. &. (2020). Digital Government: The Quest for Transparency. *Government Information Quarterly*, p. P106.

6. Bullock, J. B. (2022). *Transnational Digital Governance and Its Impact on Artificial Intelligence.* England: The Oxford Handbook of AI Governance, Oxford Academic.

7. Cardoso, M. C. (2005). *The Network Society: From Knowledge to Policy.* Washington, DC: Johns Hopkins Center for Transatlantic Relations, The Paul H. Nitze School of Advanced International Studies, The Johns Hopkins University.

8. Complex Discovery. (2023, 9 5). *Estonia's Tallinn Digital Summit 2023: Where Democracy Meets Digital Transformation*. Retrieved 10 13, 2025, from Complex Discovery: https://complexdiscovery.com/estonias-tallinn-digital-summit-2023-where-democracy-meets-digital-transformation/

9. Eric Lamarre, K. S. (2023). *The McKinsey guide to outcompeting in the age of digital and AI.* Wiley.

10. Gartner . (n.d.). *Digitalization, Information Technology Glossary*. Retrieved 10 12, 2025, from Gartner Glossary: https://www.gartner.com/en/information-technology/glossary/digitalization

11. Hoda EL Nahlawy & Layal Wehbe .(2024 ,8 11) .*From clicks to progress: Arab youth are leading the way to digitalization for a more sustainable future* من ،2025 ,11 20 تاريخ الاسترداد .UNDP Arab States: https://www.undp.org/arab-states/stories/clicks-progress-arab-youth-are-leading-way-digitalization-more-sustainable-future?utm_source=chatgpt.com

12. Manuel Castells .(2023 ,6 7) .The Network Society Revisited .*sage Journals*)Special Issue, The Network Society Today صفحة ،P 942.

13. OECD Digital Government Studies .(2019) .*The Path to Becoming a Data-Driven Public Sector* .Paris: OECD Digital Government Studies, OECD Publishing.

14. Organisation for Economic Co-operation and Development (OECO). (2018, 8 18). *AI: Intelligent machines, smart policies*. Retrieved 10 9, 2025, from Organisation for Economic Co-operation and Development (OECO): https://www.oecd.org/en/publications/ai-intelligent-machines-smart-policies_f1a650d9-en.html

15. Professional Evaluation and Certification Board (PECB .(2025 ,11 6) .(*Digital Transformation in the Middle East: Challenges and Opportunities* من ،2025 ,11 19 تاريخ الاسترداد .PECB: https://pecb.com/en/article/digital-transformation-in-the-middle-east-challenges-and-opportunities

16. Singapore GovTech. (2022). *Smart Nation and Digital Government Office Annual Report 2022*. Retrieved 10 18, 2025, from Singapore GovTech: https://www.smartnation.gov.sg/

17. Singapore GovTech. (2022). *Smart Nation and Digital Government Office Annual Report 2022*. Retrieved 10 18, 2025, from Singapore GovTech: https://www.smartnation.gov.sg/

18. UNDP Iraq .(2023) .*Assessment Report Digital Landscape Assessment of Iraq* .UNDP Iraq.

19. United Nations Development Programme, Arab States. (n.d.). *Digital for Sustainable Development Enabling a Digital Arab States Region to Advance SDGs Agenda*. Retrieved 10 20, 2025, from United

Nations Development Programme: https://www.undp.org/arab-states/digital-sustainable-development

20. United Nations ESCWA Ibid.(بلا تاريخ) .

21. United Nations, Department of Economic and Social Affairs (UN DESA). (2022). *E-Government Survey 2022 The Future of Digital Government.* New York: Department of Economic and Social Affairs (UN DESA).

22. UNITED NATIONS, Department of Economic and Social Affairs .(2020) .*E-GOVERNMENT SURVEY 2020 DIGITAL GOVERNMENT IN THE DECADE OF ACTION FOR SUSTAINABLE DEVELOPMENT* .New York: UNITED NATIONS, Department of Economic and Social Affairs.

23. Westerman, G. B. (2014). Leading digital: Turning technology into business transformation. *Harvard Business Review Press*, 7.

24. World Bank Group. (2022). *GovTech Maturity Index (GTMI) Report 2022 Update: Trends in Public Sector Digital Transformation, Equitable Growth, Finance and Institutions Insight – Governance.* World Bank Group.

25. World Bank Group. (2023, 5 23). *GovTech Global Forum: Governance in the Digital Era*. Retrieved 10 19, 2025, from World Bank Group: https://www.worldbank.org/en/events/2023/03/14/govtech-global-forum-governance-in-the-digital-era

26. World Economic Forum. (JULY 2020). *Digital Transformation: Powering the Great Reset.* Geneva: World Economic Forum.

27. World Health Organization (WHO .(2021) .(*Global strategy on digital health 2020-2025* .Geneva: World Health Organization (WHO.(

28. أديب قاسم شندي، نغم حميد عبد الخضر. (1 9, 2020). تقويم أداء الحكومة الالكترونية في بيئة الاقتصاد العراقي - قراءة لواقعها في بلدان عربية مختارة. *مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية*، الصفحات 568-581.

29. الأمم المتحدة الإسكوا. (2023). *الأجندة الرقمية العربية 2023-2033.* تاريخ الاسترداد 9 11, 2025، من الأجندة الرقمية العربية 2023-2033: https://ada.unescwa.org/sites/default/files/resources/Arabic_Digital_Agenda_1.0_Arabic.pdf

30. الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا الإسكوا. (12, 2024). *تقرير التنمية الرقمية العربية 2022: نحو التمكين والشمول للجميع، برنامج تعزيز التعاون الرقمي والتنمية الرقمية للدول العربية*. تاريخ الاسترداد 11 4, 2025، من https://www.unescwa.org/publications/arab-digital-development-report-2022?utm_source=chatgpt.com

31..المصدر نفسه. (بلا تاريخ)

امال سرحان سليمان، منال عبد الجبار السماك، الاء حسيب الجليلي. (30 6, 2023). الفجوة الرقمية للتعليم في العراق ومتطلبات التحول الرقمي: دراسة استطلاعية لاراء عينة من تدريسي جامعة الموصل. *مجلة الجامعة العراقية*(العدد 61 ج2)، الصفحات 577-578. .32

جريدة الوقائع العراقية. (2 5, 2005). المادة 21 رقم 1 لسنة 2005 ، النظام الداخلي، إجراء سير العمل في المحكمة الاتحادية العليا. *المادة 21 رقم 1 لسنة 2005 ، النظام الداخلي، إجراء سير العمل في المحكمة الاتحادية العليا، العدد 3997*. بغداد، بغداد، العراق: جريدة الوقائع العراقية. .33

جريدة الوقائع العراقية. (15 4, 2013). قانون ترديق اتفاقية تشظيم احكام التوقيع االلكتروني في مجال السعامالت االلكترونية في الدول العربية رقم 101. *قانون ترديق اتفاقية تشظيم احكام التوقيع االلكتروني في مجال السعامالت االلكترونية في الدول العربية رقم 101، 4274*. بغداد، بغداد، العراق: جريدة الوقائع العراقية. .34

جريدة الوقائع العراقية. (17 4, 2017). المادة 3 رقم 2 لسنة 2017 كشف الذمة المالية. *المادة 3 رقم 2 لسنة 2017 كشف الذمة المالية، العدد 4443*. بغداد، بغداد، العراق: جريدة الوقائع العراقية. .35

جريدة الوقائع العراقية. (17 4, 2017). المادة 10 ثانيا رقم 2 لسنة 2017. *المادة 10 ثانيا رقم 2 لسنة 2017(العدد 4443)*، 19. بغداد، بغداد، العراق: جريدة الوقائع العراقية. .36

جريدة الوقائع العراقية. (24 7, 2017). قانون رقم (1) لسنة 2017 قانون البطاقة الوطنية. *قانون البطاقة الوطنية، العدد 4454*. بغداد، بغداد، العراق: جريدة الوقائع العراقية. .37

حوراء رشيد الياسري. (13 5, 2019). *جدلية العلاقة بين: الحكومة الالكترونية والفساد المالي والاداري*. تاريخ الاسترداد 7 11, 2025، من مركز الدراسات الاستراتيجية –جامعة كربلاء: https://linksshortcut.com/HswoT .38

مركز الجزيرة للدراسات. (بلا تاريخ). *مانويل كاستلز*. تاريخ الاسترداد 21 10, 2025، من مركز الجزيرة للدراسات:https://studies.aljazeera.net/ar/profile/1591 .39

مصطفى كامل الشريف. (27 5, 2025). *التحول الرقمي في العراق: بين تحديات الواقع وضعف الأداء في المؤشرات الدولية*. تاريخ الاسترداد 13 11, 2025، من منصة itach للتحليلات معمّقة في الأمن السيبراني والسيادة الرقمية: https://itach.dk/index.php/2025/05/27/indexes/?utm_source=chatgpt.com .40

مصطفى محمد ابراهيم، صهيب عبيد عيسى. (30 9, 2024). دور البنك المركزي العراقي في تعزيز التحول الرقمي واستخدام التكنولوجيا المالية في العراق للمدة 2017-2023. *مجلة الادارة والاقتصاد/ كلية الادارة والاقتصاد/ الجامعة المستنصرية*، الصفحات 136-143. .41

موقع الامانة العامة لمجلس الوزراء. (14 4, 2024). *مركز البيانات الوطني يناقش التحضيرات النهائية الخاصة باطلاق مشروع التوقيع الالكتروني PKI*. تاريخ الاسترداد 7 11, 2025، من موقع الامانة العامة لمجلس الوزراء: https://www.cabinet.iq/ar/category/XRaWeUb%25YsL!DNE/XRaWeUb%25YsL!DNE .42

43. هيئة الحكومة الرقمية السعودية. (2024). *التقرير السنوي لرؤية السعودية 2030 لعام 2024م*. تاريخ الاسترداد 18 11, 2025، من رؤية 2030 vision: المملكة العربية السعودية
file:///C:/Users/DELL/Downloads/annual-report-2024.pdf

44. هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية. (2025). *السياسة الوطنية للنفاذية الرقمية*. تاريخ الاسترداد 23 11, 2025، من المنصة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة النافذة الرقمية الموحدة:
https://u.ae/ar/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/policies/government-services-and-digital-transformation/national-digital-accessibility-policy

45. وزارة الداخلية. (16 12, 2022). *تقديم على الجواز الالكتروني العراقي، الجواز الكترونيا* . تاريخ الاسترداد 27 10, 2025، من موقع تقديم على الجواز الالكتروني العراقي: https://epp.iq/blog-post?id=c8f2df6d-49ee-4312-ac9c-8922ded8b590

46. يونيسف العراق. (4 7, 2024). *منظمة اليونيسف ووزارة الصحة تطلقان النظام الرقمي للتسجيل المدني والإحصاءات الحيوية لتسجيل المواليد في العراق*. تاريخ الاسترداد 7 11, 2025، من يونيسف العراق: https://www.unicef.org/iraq/ar/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%B3%D9%81-%D9%88%D9%88%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A9-%D8%AA%D8%B7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D

النمو الاقتصادي وأثره على النظام السياسي

إعداد

م. د. معد صالح حسن الشاهري

جامعة كركوك/ كلية القانون والعلوم السياسية

dr.maadsalih@uokirkuk.edu.iq

المستخلص:

تعتبر العلاقة بين مستوى تقدم النظام السياسي واستقرار الحكم الديمقراطي من جهة، وبين مستوى التقدم الاقتصادي من جهة أخرى، من العلاقات المتشابكة التي تثير اهتمام كثير من الباحثين في كل من العلوم السياسية والعلوم الاقتصادية، حيث تعتبر هذه العلاقة تبادلية. فالانتعاش الاقتصادي لبلد ما يساعد على استقرار النظام السياسي فيه. بينما تؤثر المشاكل الاقتصادية سلبا على درجة قبول الشعوب لنظم الحكم السائدة في بلادها، ومن جانب آخر، فإن الاستقرار السياسي يساعد على الانتعاش الاقتصادي بينما يؤدي عدم الاستقرار السياسي إلى تعثر الأداء الاقتصادي للبلد. ومنذ العقود الأخيرة للقرن العشرين تشهد العديد من الدول العالم تحولات اقتصادية وسياسية. فعلى الصعيد الاقتصادي تمثلت هذه التحولات في الاتجاه نحو الأخذ بآلية اقتصاد السوق الحر ونبذ اقتصاد التخطيط المركزي. أما على الصعيد السياسي فقد تحولت العديد من الدول من النظم ذات النزعة السلطوية نحو النظم الديمقراطية القائمة على التعددية السياسية والانتخابات البرلمانية وتوسيع المشاركة السياسية. وتكمن أهمية البحث في كونه محاولة لتفسير طبيعة العلاقة بين التحولات الاقتصادية والتحولات السياسية، من خلال السعي إلى الإجابة على عدد من التساؤلات التي تدور حول الإطار السياسي الملائم لعملية التنمية، وحول العلاقة بين التحول الاقتصادي والتحول السياسي.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية، النظام السياسي، التطور السياسي، التنمية السياسية، التطور الاقتصادي، التنمية الاقتصادية.

Abstract;
The relationship between progress and stability of state and the economic progress of it is one of the important and interesting matters for researchers of economic and political science and that's why we consented our study on the matter . And in order to cover these important aspect in our study we designed a suitable outline containing three themes a preface and an ending in order to find answers to the questions raised from the main assumption of the study. the first about political development, the second about economic development, the third about the relationship between economic and political development theoretically We come to the conclusion that this study answer to the questions motioned is that there is a relationship between development and democracy but it’s not a must and this relationship is on one direction that is economic development lead to democracy

Keywords; Progress, stability, economic progress, political development, economic development, relationship between development and democracy

المقـدمـــــة

1-أهمية البحث: تعتبر العلاقة بين مستوى تطور النظام السياسي واستقرار الحكم الديمقراطي من جهة، وبين مستوى النمو الاقتصادي من جهة أخرى، علاقة تبادلية. فالانتعاش الاقتصادي لبلد ما يساعد على استقرار النظام السياسي فيه. بينما تؤثر المشاكل الاقتصادية سلبا على استقرار نظام الحكم في ذلك البلد، ومن جانب آخر، فإن الاستقرار السياسي يساعد على الانتعاش الاقتصادي والعكس صحيح. وتكمن أهمية البحث في محاولته تفسير طبيعة العلاقة بين التحولات الاقتصادية والتحولات السياسية، من خلال الإجابة على التساؤلات التي تدور حول الإطار السياسي الملائم لعملية التنمية، وحول العلاقة بين التحول الاقتصادي والتحول السياسي.

2- إشكالية البحث: تدور إشكالية البحث حول التأثير المتبادل بين النظام السياسي والنمو الاقتصادي، من خلال الإجابة عن أثر الاطار السياسي على العملية الاقتصادية وما هي أكثر المتغيرات السياسية تأثيرا في التطور الاقتصادي ؟

3- فرضية البحث: ينطلق البحث من افتراض أن التطور الاقتصادي يفضي إلى تطور إيجابي في الجانب السياسي. فعندما يتحقق النمو الاقتصادي في إطار نظام سياسى غير ديمقراطي، فإن هذا النظام سيمتلك الأساس الاقتصادي الذي يمكنه من توسيع المشاركة السياسية وبالتالي انتهاج اللامركزية لضمان استمرار النمو الاقتصادي. كما ان النمو يؤدي إلى توسع نطاق الاقتصاد القومي فتصعب

إدارته مركزيا، فهناك علاقة تبادلية بين النظامين، وهي غالبا ما تكون في اتجاه التأثير على النظام السياسي. هذه الافتراضات تتطلب الإجابة على عدة تساؤلات لعل أهمها: هل هناك علاقة بين التحول الاقتصادي والتحول السياسي؟ هل هما متلازمان؟ أم ان التحول الاقتصادي يسبق التحول السياسي؟ هل ان التحول السياسي شرط لنجاح التحول الاقتصادي ؟

4- منهجية الدراسة: لقد اعتمدنا عدة مناهج بحثية منها، المنهج السلوكي، والتاريخي، والوظيفي، للإلمام بأكبر قدر من المعلومات التي توضح طبيعة العلاقة بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي. وقد حاولنا إيجاد نوع من الترابط بين هذه المناهج للخروج بنتائج دقيقة توخيا للفائدة والرسالة العلمية.

5- هدف البحث: إن هدف البحث هو بيان طبيعة العلاقة بين النمو الاقتصادي والنظام السياسي. ذلك ان دراسة طبيعة هذه العلاقة تكشف وجود ترابط بين التحول الاقتصادي والتحول الديمقراطي من عدمه.

6- هيكلية البحث: تتكون هيكلية البحث من ثلاثة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة وكما يأتي :

أ- المبحث الأول: يتناول النمو الاقتصادي .

ب- المبحث الثاني: يتناول النظام السياسي.

ج- المبحث الثالث: يتناول تأثيرات المتبادلة بين النمو الاقتصادي والنظام السياسي.

المبحث الأول: النمو الاقتصادي:

أولا: مفهوم النمو الاقتصادي: يقصد بالنمو الاقتصادي (بالإنجليزيّة: Economic growth) ارتفاع تدفق الإنتاجيّة الاقتصادية في دولة معينة؛ من خلال ارتفاع إنتاج السلع والخدمات في مدة زمنية محددة مع استبعاد آثار التضخم الاقتصادي، ويعمل النمو الاقتصادي على زيادة أرباح الشركات من خلال ارتفاع قيمة أسهمها المالية؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى زيادة استثماراتها، وزيادة طلبها على الأيدي العاملة، مما يساهم في خفض معدلات البطالة ورفع معدل دخل الأفراد، وتحسين مستوى معيشتهم؛ مما يؤدي إلى زيادة طلب الأفراد على السلع والخدمات؛ وبالتالي فإن زيادة الإنفاق من قبل الأفراد يقود النمو الاقتصادي لمستويات أعلى. ويشير النمو الاقتصادي إلى قدرة الدول على زيادة إنتاجها من السلع والخدمات لتلبية الطلب، من خلال تطوير الإنتاجية التي تعد المصدر الرئيسي للنمو الاقتصادي، إذ تعمل الدول على تطوير العمل والإنتاج من خلال الابتكار العلمي والتقدم التقني السريع الذي يساعد على زيادة القدرات الإنتاجية وبالتالي تلبية الطلب وتعزيز النمو الاقتصادي. ويعد الاستهلاك محفزا رئيسيا للنمو الاقتصادي من خلال مساهمته في نمو الطلب على الرغم من التأثيرات السلبية للازمات المالية العالمية واضطرابات الأسواق العالمية نتيجة الظروف الطارئة كما حدث أثناء

جائحة كورونا التي أثرت سلبا على الإنفاق الاستهلاكي العام والخاص، ومن المتوقع ان يكون للاستثمار العام دورا رائدا في النمو الاقتصادي، كذلك من المتوقع ان تساهم قطاعات الخدمات والتصنيع في ذلك من خلال اعتمادهما على المعرفة والتطور التقني لاسيما في مجال الاتصالات والمعلومات والحواسيب الألية. ويهدف النمو الاقتصادي إلى نقل المجتمع من أوضاع التخلف ليصبح الاقتصاد القومي قادرا على الانطلاق نحو النمو والتقدم. وفي جوهره فان النمو الاقتصادي هو تنمية البشر والموارد المادية. ولكل ما تقدم يمكن القول ان النمو الاقتصادي يتجلى في نقطتين اثنتين **هما:**

1- الزيادة في الناتج الوطني الحقيقي بين فترتين معينتين. 2- الارتفاع في معدل الدخل الفردي.

ثانيا: عوامل النمو الاقتصادي:

يُعد النمو الاقتصادي دالةً للقوى العاملة، ورأس المال المادي، ورأس المال البشري، والتكنولوجيا؛ وبعبارة أبسط فإن التركيبة المكونة من رأس المال، والمواد الأولية، والزيادة في أعداد ونوعية القوى العاملة، بالإضافة إلى الأدوات والتقنيات الحديثة المستخدمة في العمل، كلّها ستؤدي إلى زيادة الإنتاج الاقتصادي، وبالتالي فإن حقيقة المفهوم المادي للنمو الاقتصادي، تتمثل في عملية موضوعية تبدأ بتراكم قدر من رأس المال يسمح بتطوير التقسيم الاجتماعي للعمل أي بمعنى آخر التحول من الصناعة اليدوية البدائية إلى الصناعة الآلية التي تستخدم التقنيات الحديثة والحواسيب الآلية المتطورة في الإنتاج ، مما يؤدي إلى زيادة كبيرة في الإنتاج. وهذا الأمر يتطلب القيام بأربع عمليات موضوعية تشكل **الجوهر الأساسي للنمو الاقتصادي وهي :**

أ- تراكم رأس المال. ب- تطوير التقسيم الاجتماعي للعمل. جـ-سيادة الإنتاج السلعي.

د - تكوين السوق القومية، فالمنتجات تعد للتصريف، أي للتحويل إلى نقود في السوق الداخلية التي تمتد من الأرض إلى العمل إلى المنتجات، والتي تتخلص من تفتتها لتصبح سوقا قومية تكون قاعدة تقوم عليها دولة قومية. ويرى البعض ان هناك العديد من العوامل المؤثرة والتي تلعب دورا رئيسيا في تحقيق النمو الاقتصادي، لعل أهمها ما يأتي:

1- الموارد البشرية Human Resource :

يعد حجم الأيدي العاملة من المصادر الرئيسية للنمو الاقتصادي، على أن تكون الموارد البشرية كافية من حيث العدد مع القدرات والمهارات المطلوبة. ويعتقد العديد من الاقتصاديين أن نوعية مدخلات العمل من حيث الجودة والمهارات المعرفية والانضباط في العمل، تعد من اهم عناصر النمو الاقتصادي

فالتقنيات الحديثة لوسائل الإنتاج بحاجة إلى أيدي ماهرة للعمل عليها، وهنا تبرز الحاجة إلى التنمية المستدامة للموارد البشرية التي ستنعكس إيجابيا على مستوى الإنتاجية.

2- الموارد الطبيعية Natural Resources:

إن توفر الموارد الطبيعية سواء تلك الموجودة على سطح الأرض, أو تلك الموجودة في باطن الأرض، يؤدي إلى زيادة النمو الطبيعي عندما يتم استغلالها واستخدامها بكفاءة عالية. حيث نجد ان هناك دول تتوافر على معظم الموارد الطبيعية اللازمة للنمو الاقتصادي ، لكن ضعف الموارد البشرية وافتقارها للمهارات المطلوبة للتعامل مع التقنيات الحديثة للعمل، فضلا عن الأساليب المتخلفة في العمل، كل ذلك يقود هذه الدول إلى الفشل في تحقيق النمو الاقتصادي المطلوب.

3- العوامل الاجتماعية والسياسية Social and Political Factors:

يقصد بالعوامل الاجتماعية هو العادات والتقاليد والقيم المجتمعية السائدة والتي تنعكس على تحقيق النمو الاقتصادي، إذ نلاحظ ان المجتمع الحديث المنفتح يكون منسجما ومتناغما مع التطور إلى حد كبير على عكس المجتمع التقليدي الذي تنتشر بين أوساطه الخرافات ويقاوم أساليب الحياة الحديثة مما يجعل من الصعب تحقيق النمو الاقتصادي فيه. والبيئة السياسية المستقرة لها دور كبير في استقطاب رواد الأعمال والمستثمرين، وكما هو معروف فأن رأس المال يبحث عن بيئة مستقرة آمنة. وفي هذا السياق، يرى (د. عادي سليمان)، ان توزيع الثروات بشكل متساو نوعا ما بين أفراد المجتمع بما يضمن لهم حياة كريمة، سيؤدي إلى تهيئة البيئة الاجتماعية للمساهمة في تحقيق الاستقرار والسلام الداخلي الذي سينعكس إيجابيا على تحقيق السلام في البيئة الخارجية.

4- تكوين رأس المال Capital Formation:

يتضمن تكوين رأس المال، الأصول المختلفة (رأس المال الملموس) مثل الآلات، المكاتب، المصانع، المنافذ التجارية، الطرق ووسائط النقل، محطات الطاقة، وغيرها. وتتحقق الزيادة في رأس المال من خلال توفير رأس مال أكبر لكل عامل، فتتحقق زيادة رأس مال كل العمالة، مما يؤدي إلى زيادة إنتاج العامل، وبالتالي زيادة الإنتاج والنمو الاقتصادي. ويتطلب تراكم رأس المال، الاستثمار في السلع الرأسمالية، إذ تعمل الدول الأسرع نموا على تخصيص 10-20% من الناتج المحلي الإجمالي لغرض تكوين صافي رأس المال. ويتصف رأس المال بالندرة في كثير من البلدان، ولكونه عنصرا أساسيا في

الإنتاج فأن مستويات الإنتاج ترتبط بمستويات رأس المال المستخدم في العملية الإنتاجية. ورأس المال عبارة عن سلع دائمية تستخدم لإنتاج سلع استهلاكية أو إنتاجية. وبذلك تصبح السلع الرأسمالية حصيلة تكوين رأس المال الطويل الأمد والتي تستدعي توفر موارد للإنفاق عليها. وفي الاقتصاد الكفوء ترتفع معدلات تكوين رأس المال ومن ثم معدلات النمو الاقتصادي مستقبلا، على ان يقترن ذلك بتخفيض إنتاج السلع الاستهلاكية بداية.

5- التطور التقني Technological Development:

إن العلاقة بين العلم والتقنية الحديثة والنمو الاقتصادي تتجاوز النظرة الضيقة التي تربط النمو الاقتصادي باستخدام التقدم التقني في الإنتاج، إلى تأثيرها على نمط الإنتاج ونمط الاستهلاك والتشغيل ومستوى مهارات العاملين، وطبيعة حاجات المجتمع وأنماط السلوك الاجتماعي. ويؤثر التطور التقني على العوامل ذات الصلة بالنمو المادي، من خلال زيادة الكفاءة التقنية للإنتاج، أي زيادة الإنتاج باستخدام نفس الكمية من المدخلات. وفي ذات السياق يمكن القول إن الدول التي تأخذ بالتطبيقات التقنية في وسائل الإنتاج والأساليب العلمية المتطورة تحقق نمواً سريعا مقارنة بالدول التي لديها تركيز أقل على التطور التقني. فالتغيير التقني والابتكار يعتبر شرطا أساسيا في تحقيق النمو الاقتصادي على مختلف الصعدة، إذ أن التطور الحاصل في مجال الإلكترونيات وتقنيات المعلومات والحواسيب الألية ساهم كثيرا في إحداث تغييرات جوهرية في عمليات الإنتاج ، فضلا عن إدخال منتجات جديدة إلى الأسواق، وقد ساهمت هذه التقنيات المتطورة في زيادة وتحسين الإنتاج من حيث الكم والنوع والجودة.

جدول عوامل النمو الاقتصادي

عوامل النمو الاقتصادي	مكوناتها
1- الموارد البشرية	• حجم العمالة • مستوى التعليم والمهارات • انضباط والتزام القوى العاملة
2- الموارد الطبيعية	• الثروات الطبيعية مثل النفط والغاز والمعادن وغيرها. • الثروة الحيوانية والنباتية وغيرها. • الثروة المائية والسمكية وغيرها.
3-العوامل الاجتماعية والسياسية	• العادات والتقاليد والقيم المجتمعية السائدة. • البيئة السياسية والاستقرار السياسي.

4- تكوين رأس المال	• المصانع والمعدات والبنى التحتية من مكاتب ومنافذ تسويق.
5- التطور التقني	• الاختراعات والابتكارات. • الفنيين والمطورين.

ثالثا: أهداف النمو الاقتصادي: يهدف النمو الاقتصادي إلى **ما يأتي:**

1- زيادة الاستثمار في رأس المال: وتعد هذه الزيادة لاسيما في رأس المال البشري من السياسات الضرورية لتحقيق استقرار الاقتصاد الكلي الذي سينعكس إيجابيا على نمو الاقتصاد القومي.

2- تطوير الإنتاج: يعد التطوير المستمر للإنتاج وسيلة تحكم في تكاليف واستخدام الإنتاج باعتباره وسيلة للمنافسة في استراتيجية الأعمال، ويدور تطوير الإنتاج حول تحسين الأنظمة الإنتاجية التقليدية وابتكار أنظمة جديدة، وخلال عملية التطوير ينبغي مراعاة التكامل مع المنتج، باعتباره جزء من عملية إنتاجه الشاملة.

3- العمل على تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية المتاحة، من خلال رفع مستوى مهارات العاملين لتعزيز عمليات الإنتاج، وطرح أفكار هادفة من شأنها تغذية النمو ورفع مستوى الدخل. إن تسريع النمو الاقتصادي يرتبط بقدرة الإنسان على استخدام الاستثمار والاستغلال الأمثل للموارد. مما يتطلب تنمية الموارد البشرية لمواكبة التطور في وسائل الإنتاج. فالتنمية البشرية تمد الإنسان بمعارف تزيد طاقته العملية والإنتاجية، وتعلمه طرق متطورة في العمل والإنتاج، وتعيد تشكيل سلوكه الوظيفي وعلاقاته العامة مما ينعكس إيجابيا على زيادة إنتاجية العمل ورأس المال، والاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية وبذلك يرتفع مستوى دخل الفرد والمجتمع على السواء.

رابعا: مقياس النمو الاقتصادي: قد يكون من السهولة التعبير عن المقصود بالنمو الاقتصادي، ولكن هناك صعوبة بالغة في قياسه. وفي هذا السياق يعد الناتج المحلي الكلي هو الوسيلة الأكثر استخداما لقياس مقدار النمو الاقتصادي. ويمكن تعريف الناتج المحلي الإجمالي بأنه القيمة الكلية لكافة الخدمات والسلع الذي يتم إنتاجها في إطار الاقتصاد المحلي، أما الناتج المحلي الكلي الحقيقي فهو الناتج المحلي الكلي بعد استبعاد آثار التضخم منه، وهناك مقياسان شائعان للنمو الاقتصادي، هما الناتج الكلي المحلي والناتج الكلي القومي. فبينما الناتج الكلي المحلي يقيس جميع المخرجات المنتجة داخل الدولة، فإن الناتج الكلي القومي يشمل أيضًا دخل الاستثمار من الخارج مع استبعاد دخل الاستثمار الذي يكسبه المستثمرون الأجانب. وفضلا عما تقدم، نجد أن الطرق الأكثر استخداما لقياس النمو الاقتصادي هي **التالية:**

1. معدل النمو السنوي الفصلي: إذ يتم تفسير التقلب في الناتج المحلي الكلي بطريقة ربع سنوية، ومقارنتها وجمعها ثم تسجيلها في نهاية العام.

2. معدل النمو الربع سنوي: إذ تتم مقارنة مستوى الناتج المحلي الكلي في كل ربع بنتائج الربع نفسه من العام السابق.

3. معدل النمو المتوسط السنوي: إذ تقارن تغيرات العام السابق بشكل كامل، وتلغي التغيرات الناتجة عن العوامل المؤثرة على النمو الاقتصادي، وهذه الطريقة تعد أقل تقلبا من الطرق السابقة.

خامسا: مراحل النمو الاقتصادي: يمر النمو الاقتصادي بأربعة مراحل، **وهي:**

1- الزيادة في عدد العاملين تؤدي إلى زيادة الإنتاج. وعندما يصل الاقتصاد إلى مرحلة الزيادة في عدد العاملين ومن ثم زيادة الإنتاج ، ينتقل إلى مرحلة الذروة.
2- مرحلة الذروة : وتحدث الذروة كنتيجة طبيعية للتوسع والزيادة في الإنتاج، وبعد الوصول الى الذروة نلاحظ ان الاقتصاد يبدأ بالانكماش.
3- مرحلة الانكماش: وهي نتيجة طبيعية يعاني منها الاقتصاد بعد كل فترة نمو أو ازدهار، إلا أن استمرار الانكماش دون معالجات سيؤدي إلى تعثر النمو وانتقاله إلى مرحلة القاع.
4- مرحلة القاع: وهذه المرحلة الأسوأ في مسار النمو الاقتصادي، إذ ينحدر مستوى النمو إلى الحضيض مما يتطلب معالجات اقتصادية ومالية و إجراءات تنظيمية .

سادسا: إيجابيات وسلبيات النمو الاقتصادي: من نافلة القول ان كل عملية اقتصادية تنتج عنها آثار إيجابية وأخرى سلبية.

- **إيجابيات النمو الاقتصادي:**

1- ارتفاع العوائد الربحية من خلال زيادة قدرة المنشآت التنافسية من خلال ارتفاع معدل الاستثمار وخفض مستوى الإنفاق الحكومي.
2- زيادة متوسط دخل الأفراد مما ينتج عنه ارتفاع مستواهم المعيشي.
3- انخفاض مستوى البطالة والفقر نتيجة تشغيل أعداد متزايدة من الأيدي العاملة.
4- إعادة توزيع التدفقات المالية والواردات الضريبية، من اجل إعادة هيكلة السوق وتأمين البنى التحتية من خلال دعم القطاعات العامة كالقطاع الصحي، وقطاع التعليم وغير ذلك.
5- خفض نسب الديون إلى الناتج الوطني الكلي، بسبب ارتفاع الدخل وانتعاش الاقتصاد.

سلبيات النمو الاقتصادي: على الرغم من إيجابيات النمو الاقتصادي المذكورة أعلاه إلا أنه في بعض الأحيان يؤثر سلبا على اقتصادات الدول، ومن هذه السلبيات ما يأتي:

استنفاذ البعض من موارد الدولة لاسيما الغير متجددة، مثل النفط والمعادن.

ارتفاع معدل التصحر، نتيجة للتطور والتوسع العمراني مما يؤدي الاستحواذ على الأراضي الزراعية وتجريفها وتسويتها لغرض إقامة المدن والمنشآت عليها.

نتيجة للنمو الاقتصادي فقد تحصل اختلالات غير محسوبة مما ينتج عنها ركود اقتصادي.

يؤدي النمو الاقتصادي المنخفض إلى خفض الأرباح، الأمر الذي ينتج في محصلته النهائية ما يسمى بالدول الخاسرة، والعكس صحيح.

زيادة التفاوت الاجتماعي نتيجة لتركز الثروات وعدم المساواة.

يؤدي النمو السريع إلى ارتفاع الأسعار ومن ثم التضخم.

مما تقدم يمكن القول ان النمو الاقتصادي هو احد الأهداف الأساسية التي تسعى الحكومات لتحقيقها بغية تدوير حركة الاقتصاد الوطني ورفع دخل الإفراد وبالتالي رفع المستوى المعيشي للمواطنين على ان يكون ذلك متصفا بالاستمرارية وليس زيادة عابرة، وكل ذلك يتطلب شروط خاصة ومستلزمات ضرورية مع بيئة سياسية ملائمة تتناسب ومتطلبات تحقيق النمو الاقتصادي، وهذا الأمر يدفعنا إلى تناول البيئة السياسية في المبحث التالي من خلال البحث في مفهوم النظام السياسي وطبيعته.

المبحث الثاني: النظام السياسي:

يعرف النظام السياسي بانه مجموعة من القواعد المتناسقة المترابطة فيما بينها والتي تبين نظام الحكم ووسائل ممارسة السلطة وأهدافها وطبيعتها ومركز الفرد فيها وضماناته قبلها، كما تحدد عناصر القوى التي تسيطر على الجماعة وكيفية تفاعلها مع بعضها. ويطلق مصطلح النظام السياسي على كل ما له صلة بسياسة الدولة ونظام الحكم فيها، وقد يطلق على جانب الحكم فيها على اعتبار ان نظام الحكم شامل لكل من النظام السياسي والنظام الإداري والنظام الاقتصادي ونظام القضاء، فضلا عن تناوله جوانب أخرى من النظم والأحكام والقوانين التي لا يمكن ان يصور نظام الحكم إلا بها. وفي العصر الراهن يعد النظام السياسي، ومكوناته وبنيته، وسلطاته التشريعية والتنفيذية والقضائية، أهم ركائز البنيان السياسي للدولة الحديثة. ففي السابق كان مصطلح "الحكومة" يستخدم بديلاً عن النظم السياسية أو مرادفا لها، كما استخدم ذات المصطلح للدلالة على جميع سلطات النظام السياسي، لاسيما التنفيذية منها، حتى أصبحت كلمة حكومة مرادفاً لتعبير السلطة التنفيذية. إلا أن التطورات الحديثة التي شملت

معظم جوانب الدراسات السياسية أدت إلى العزوف عن هذا الاستخدام. وفي سياق التطورات التي انعكست على مفهوم النظام السياسي وسلطاته، يمكن ملاحظة وجود توجه في الدراسات السياسية للتخلي عن السمة الوصفية والجمود والشكلية، والأخذ بالتحليلات الموضوعية ذات الطابع العلمي، الأمر الذي نتج عنه ابتعاد البحوث العلمية عن المواضيع القانونية والفلسفية والتاريخية والتحول إلى تحليلات علمية ونظريات شبيهة بالعلوم الطبيعية. وكنتيجة منطقية لما تقدم، فقد ظهرت لدينا اطر تحليلية ونظريات واقترابات جديدة في مقدمتها التحليل النظمي، والمؤسسية، والاقتراب الوظيفي، والتي أصبحت من اكثر الوسائل أهمية لدى الباحثين والدارسين في تناولهم للنظم السياسية والسلطات في هذه النظم. ويمكن القول ان البحوث السياسية شهدت ثورة سلوكية، الأمر الذي ترتب عليه تحولا كبيرا في دلالات مفهوم النظام السياسي وسلطاته الثلاث، وقد انسحب ذلك على المقررات الدراسية لتختفي مقررات الحكومة المقارنة _ على سبيل المثال_ لتحل محلها النظم السياسية المقارنة، وحلت مصطلحات المؤسسية ، والتحليل الوظيفي محل السلطات الثلاث. أما النظام السياسي فلم يعد يفهم على أنه الحكومة، بل أصبحت له مدلولات واسعة تشمل ثلاث محاور أساسية هي:

الأول: المؤسسات السياسية الرسمية (السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية) والمؤسسات السياسية غير الرسمية (منظمات ونقابات وجمعيات وغيرها) والتي تتشكل من أبنية وأدوار سياسية.

الثاني : نسق القيم والأفكار والمعايير والتي تشكل ما يعرف بالثقافة السياسية.

الثالث: تفاعل وعلاقات وسلوكيات الأفراد والجماعات والمؤسسات.

وفيما يخص السلطات الثلاث فقد أضفى على تحليلها اقتراب وظيفي جعل من التشريع والتنفيذ والتقاضي وفق القواعد والقوانين وظائف تمارسها مؤسسات محددة، وليس مجرد سلطات، فالسلطة التشريعية (البرلمان) هي المؤسسة المنوط بها وظيفة التشريع، مع إعطاء الحق لبعض الجهات بممارسة وظيفة التشريع وفقا للدستور ووفقا لاشتراطات معينة منصوص عليها دستوريا، مثل الأجهزة الإدارية أو أجهزة الخدمة المدنية، أو ما يقوم به القاضي في تفسيره للقواعد القانونية عند تطبيقها. وعلى الرغم من كل هذه التحولات في مدلولات النظام السياسي وسلطاته، إلا أنها تظل أهم ركائز الكيان السياسي للدولة، كما يظل تطوير قدرات النظام السياسي، ومحورية السلطات الثلاث في قيام دولة القانون والمؤسسات أهم أهداف وغايات التطوير والتنمية السياسية. وعند البحث في المصادر التقليدية لدراسة النظم السياسية، نلاحظ أنها تنظر الى النظام السياسي بكونه نظام الحكم أي المؤسسات الحكومية الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، التي تقع على عاتقها مهمة الدفاع عن الوطن ضد الخطر

الخارجي، وضمان الوحدة الداخلية، ووفقا لهذا التعريف فان النظام السياسي مرتبط بالدولة، ذلك أن المدرسة التقليدية تعرف علم السياسة بأنه علم الدولة ، لكن تطور علم السياسة، فضلا عن تطور وتعقد الحياة السياسية وتجاوزها حدود الدولة، دفع الباحثين في علم السياسية إلى إعادة صياغة تعريف علم السياسة باعتباره علم السلطة ، وبالتالي أصبح النظام السياسي يعرف كمفهوم تحليلي أكثر مما هو نظام مؤسساتي مضبوط كما توحي كلمة نظام، وانسجاما مع هذه التطورات ظهر تعريف جديد للنظام السياسي باعتباره : مجموع التفاعلات والأدوار المتداخلة والمتشابكة المتعلقة بالتخصيص السلطوي للقيم، أي بتوزيع الأشياء ذات القيمة بموجب قرارات سياسية ملزمة للجميع، أو التي تتضمن الاستخدام الفعلي أو التهديد باستخدام الإرغام المادي المشروع في سبيل تحقيق تكامل وتكيف المجتمع على الصعيدين الداخلي والخارجي، أو التي تدور حول القوة والسلطة والحكم، أو التي تتعلق بتحديد المشكلات وصنع وتنفيذ القرارات السياسية. وعليه يمكن القول ان النظام السياسي معني بالعلاقات والتفاعلات السلطوية ضمن حدود الدولة مثل الاحزاب والاثنيات العرقية والطائفية سواء كانت المنسجمة مع الدولة أو الغير منسجمة، ولا يقتصر على ذلك بل يتعدى حدود الدولة ليشمل الارهاب العابر للحدود والعنف المتعدي للقومية وحركات التحرر الوطني فضلا عن التداعيات السياسية للعولمة .

أولا: خصائص النظام السياسي:

هناك خصائص عامة تميز النظام السياسي عن غيره من الأنظمة المجتمعية، يمكن إجمالها **بما يأتي:**

1- **السلطة العليا:** يمتلك النظام السياسي السلطة العليا في المجتمع ، وبذلك فإن القوانين والقرارات التي يصدرها النظام السياسي تكون ملزمة لجميع المواطنين وحتى المقيمين من جنسيات أخرى.

2- **الاستقلال الذاتي:** هناك قواعد قانونية وسياسية واجتماعية تحكم علاقة عناصر النظام السياسي مع بعضها الأخر، إلا انه يتمتع باستقلال نسبي ذاتي اكثر من بقية أنظمة المجتمع الفرعية.

3- **الاحتكار الشرعي للقوة:** قوة تأثير النظام السياسي في المجتمع، هي الأكبر وتتجاوز تأثير بقية النظم الفرعية، فهو يحتكر حق استخدام القوة لفرض سلطته وإدارة شؤون البلد.

4- **التفاعل مع المجتمع:** النظام السياسي يتأثر ويتفاعل مع بقية النظم الفرعية مثل النظام الاقتصادي و النظام الاجتماعي والنظام الثقافي، كونها بيئته التي يتحرك فيها وعلى أساسها.

كما ان لكل نوع من أنواع النظم السياسية سمات تميزه عن الأنواع الأخرى وكما يأتي:

1- النظام الجمهوري: اذا كان ديكتاتوريا فانه يتميز باحتكار وتركيز السلطة، أما اذا كان ديمقراطيا فانه يتميز بالتداول السلمي للسلطة وانتخاب الرئيس لفترة محددة.

2- النظام البرلماني: يتميز بالفصل النسبي بين السلطات، وتكون الحكومة مسؤولة أمام البرلمان، مع وجود رئيس دولة ورئيس وزراء بصلاحيات مختلفة.

3- النظام الرئاسي: يتميز بوجود فصل شبه مطلق بين السلطات التشريعية والتنفيذية، ويكون الرئيس مستقل عن البرلمان ومسؤول أمام الشعب بشكل مباشر، أي انه يستمد قوته من الشعب مباشرة وفقا لإرادة شعبية حقيقية، لذلك يعد النظام الرئاسي أقوى النظم السياسية.

4- الأنظمة الديمقراطية: تتميز بسمو الدستور وسيادة القانون وحرية التعبير.

ثانيا: مؤشرات النظام السياسي: هناك عدد من المؤشرات تدل على الظاهرة أو التركيبة السياسية التي يطلق عليها تسمية النظام السياسي، وهذه المؤشرات يمكن إجمالها **بما يأتي:**

1- قيادة سياسية ذات سلطة جبرية مشروعة.

2- مؤسسات سياسية ذات صبغة شرعية.

3- أهداف عليا متفق عليها وطنيا.

4- إستراتيجية عمل تحددها مبادئ اساسية تسمى الثوابت القومية.

ثالثا: وظائف النظام السياسي الأساسية:

لكل نظام سياسي وظائف أساسية يؤديها من اجل ديمومته وشرعيته، ولعل أهمها ما يأتي:

1- تحديد أهداف الدولة والمجتمع ووضع رؤية مجتمعية تركز على تحقيق الأمن والرفاهية.

2- تعبئة طاقات المجتمع وتشجيع أفراده على المشاركة في تحقيق الأهداف المنشودة.

3- توحيد المجتمع ودمج عناصره في بوتقة واحدة من اجل تعزيز عناصر قوة الدولة، وبالتالي تحقيق أهداف الدولة والمجتمع وضمان مصالحهما.

4- تحقيق العدالة والمساواة بين أبناء المجتمع في الحقوق والواجبات وتوزيع الموارد والفرص.

5- إضفاء الشرعية على العملية السياسية من خلال جعل القواعد والقرارات السياسية مقبولة وملزمة لجميع المواطنين.

6- توفير الخدمات اللازمة لحياة المواطنين.

7- الحفاظ على الأمن والدفاع من خلال التصدي للتهديدات والأخطار الداخلية والخارجية.

رابعا: أركان النظام السياسي: وهي التي تحدد شكل الحكم وتفاعلات السلطة لعل أهمها **ما يأتي:**

1- المؤسسات والبنى وتتكون من : أ- مؤسسات رسمية، التشريعية والتنفيذية والقضائية .

ب-المؤسسات غير الرسمية، الأحزاب والنقابات وجماعات الضغط .

2- الثقافة السياسية، بمعنى القيم والأفكار والمعايير التي توجه سلوك أفراد المجتمع ومؤسساته تجاه النظام السياسي.

3- العمليات والتفاعلات ونعني بها السلوك السياسي وعملية صناعة القرار.

4- القوانين المنظمة والمحددة لعمل النظام وكيفية ممارسة السلطة.

خامسا: آلية عمل النظام السياسي: ان النظام السياسي يعمل كوحدة متكاملة من اجل إدارة شؤون المجتمع وصياغة والقوانين وإصدار القرارات اللازمة لذلك، ويمكن تحديد آليات عمل النظام السياسي بثلاث مراحل أساسية **وكما يأتي:**

1- مرحلة المدخلات: وتتضمن هذه المرحلة ثلاث عمليات مترابطة هي:

أ- التعبير عن المصالح من خلال صياغة مطالب الأفراد والجماعات وتقديمها للنظام .

ب- تجميع المصالح وذلك من خلال تنسيق المطالب المتعددة وتحويلها إلى بدائل سياسية واضحة بواسطة الأحزاب وجماعات الضغط.

ت- التنشئة والتجنيد السياسي: ويتم ذلك من خلال تهيئة الأفراد للمشاركة في العملية السياسية، وكذلك العمل على اختيار الكفاءات المؤهلة للعب أدوار قيادية.

2- مرحلة العمليات: وهذه المرحلة تجري داخل المؤسسات الرسمية، وذلك بالعمل على تحويل مطالب الأفراد والجماعات إلى قرارات، إذ تطلع كل مؤسسة من مؤسسات الدولة الرسمية بالدور المرسوم لها والمقرر دستوريا، **وكما يأتي:**

أ- المؤسسة التشريعية : تقوم بتشريع القوانين، وإقرار الموازنة، ومراقبة أداء الحكومة ومحاسبتها.

ب- السلطة التنفيذية: تقوم بتنفيذ القوانين، وإدارة شؤون المجتمع، وصياغة السياسات العامة.

ت- السلطة القضائية: تنحصر مهمتها في الفصل في المنازعات بين الأفراد أو بين الأفراد والحكومة، وكذلك يضطلع القضاء بمهمة ضمان دستورية القوانين وتطبيق العدالة.

3- مرحلة المخرجات والتغذية العكسية:

أ- المخرجات: وتشمل قرارات وسياسات والخدمات النظام السياسي لتلبية حاجات أفراد المجتمع.

ب- التغذية العكسية: وهي ردة فعل أفراد المجتمع على سياسات النظام السياسي، ففي حالة الرضا عن هذه السياسات والخدمات فان النظام سيشهد حالة من الاستقرار، وبخلافه فان المطالب والضغوط ستعود ثانية للدخول في دورة سياسية جديدة. ومن الجدير بالذكر ان توافر النظام

على خصائص مثل الشرعية والاستقلال الذاتي والقدرة على التكيف، سيكون عاملا مساعدا لدعم اليات عمل النظام السياسي وقبول المجتمع له وما يصدر عنه من سياسات وقرارات.

المبحث الثالث: التأثيرات المتبادلة بين المتغير الاقتصادي والنظام السياسي:

إن تأمل الأدبيات العلمية المهتمة بالعلاقة بين المتغير الاقتصادي والمتغير السياسي يكشف لنا وجود انقسام بشأن التصورات الخاصة بهذه العلاقة، وقد ظهر تياران فكريان **هما:**

أ- التيار الأول: تيار التحديث في الفكر الغربي، الذي يرى أنه ليست هناك علاقة ضرورية بين النمو الاقتصادي والنظام السياسي، وإذا كانت هناك علاقة فهي في اتجاه أن النمو الاقتصادي يؤدي إلى التحول الديمقراطي، فالنمو الاقتصادي يمكن أن يتم في ظل نظام سياسي ديمقراطي أو تسلطي، وعندما يتمكن النظام السياسي من تحقيق نموا اقتصاديا يتميز بقواه الذاتية، يكون قد وضع أساسا اقتصاديا يساعده على مد نطاق المشاركة السياسية إلى فئات اجتماعية أوسع. وبالتالي تصبح اللامركزية والديمقراطية ضرورتان لابد منهما لاستمرار النمو. وهنا نلاحظ ان التأثير يكون على النظام السياسي الذي يتكيف مع الواقع الجديد من اجل استدامة النمو . بينما يرى آخرون أن وجود ترابط بين التغير التقني- الاقتصادي، والتغير الاجتماعي- السياسي، هو دليل حاسم على أن التصنيع والتمدن والحراك الجغرافي، يوسع الآفاق، الأمر الذي يحدث تغير سياسي. وقد دلت التجربة الديمقراطية في العالم الغربي على وجود متطلبات مسبقة (Prerequisites) اقتصادية واجتماعية، تهيئ المناخ لظهور الديمقراطية كوجود بنى معينة ودرجة محددة من التطور والنمو الاجتماعي والاقتصادي.

ب- التيار الثاني: يؤكد هذا التيار على وجود علاقة عضوية وثيقة بين النظام السياسي والنمو الاقتصادي، إذ يتأثر النمو الاقتصادي بالإطار السياسي، فالنظام التسلطي يشكل عائقا كبيرا أمام اقتصاد السوق والنمو الاقتصادي ، لذا نجد ان معظم الدول التي تعيش في ظل أنظمة غير ديمقراطية تعاني من فشل اقتصادي وضعف في النمو والناتج القومي، والعكس صحيح في الدول التي تحكمها أنظمة ديمقراطية، ذلك ان الديمقراطية تهيء المناخ المناسب للاستثمار وتشجع روح الابتكار ، فضلا عن الشفافية التي تساعد كثيرا على إجراء تخصيص فعال للموارد المتاحة.

ان تصورات الفكر السياسي الغربي مبنية على أن المتغير الاقتصادي هو الأهم – المستقل، والمتغير السياسي أقل أهمية – تابع في عملية التنمية الشاملة، وعليه فان نقطة انطلاق التنمية الشاملة هي النمو الاقتصادي، وعندما يخطو النمو عدة خطوات فان الديمقراطية ستتحقق، ذلك أن استدامة النمو ستؤدي

إلى التوسع، وهذا التوسع يتطلب إدارات لامركزية لمواكبة التطور. وقد دعمت الدراسات الغربية المتخصصة هذا التصور من خلال التأكيد على أربعة اتجاهات رئيسية تمثلت بما يأتي:

أ- إتجاه مؤشرات النمو : وهذه المدرسة تقيم العلاقة بين المتغيرين على أنها علاقة طردية حتمية بين النمو الاقتصادي كمتغير مستقل، والتقدم السياسي كمتغير تابع.

ب- إتجاه نظريات مراحل النمو: هذه النظريات تقدم تفسيرا ماديا للتطور التاريخي وترى ان المتغير الاقتصادي متغيرا أصيلا تتشكل بخصائصه بقية المتغيرات .

ت- اتجاه النمط المثالي : هذا الاتجاه يرى أن القضاء على التخلف يكون من خلال التحول من النمط الاقتصادي والسياسي التقليدي إلى النمط الحديث المتبع في الدول الصناعية الغربية.

ث- إتجاه انتشار رأس المال: ويعتقد أصحاب الاتجاه الانتشاري أن النمو والتقدم لا يتم إلا عن طريق تشجيع انتقال وانتشار رؤوس الأموال والتقنيات والمؤسسات والقيم الحديثة من الدول المتطورة إلى الدول المتخلفة ومن القطاع الحديث إلى القطاع التقليدي في الدول المتخلفة .

ومن خلال التمعن في ماهية هذه الاتجاهات وطبيعتها، نلاحظ ان السمة الرئيسية لها تتمثل في النظرة المادية، كما إن هذه الاتجاهات الفكرية أعطت الأولوية للمتغير الاقتصادي مما أدى إلى فهم خاطئ للتنمية باعتبارها مرادفا للتنمية الاقتصادية كما أن هذه الاتجاهات تفضل النموذج الإنمائي الغربي، وتختزل المتغير السياسي في جانب واحد هو الديمقراطية رغم وجود جوانب أخرى مثل الاستقرار والتكامل السياسي، وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى التصور المادي إلا أنه عاد للظهور بقوة بعد انهيار النظم الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ودول وسط وشرق أوروبا. وهناك من يرى أن الديمقراطية تمثل الشرط الأساسي الذي يبنى عليه النمو الاقتصادي، وأن العلاقة بين النمو والديمقراطية علاقة تفاعلية أساسها التأثير المتبادل. وسنقتصر في بحثنا هذا على مناقشة تصورات إتجاه المؤشرات.

- **إتجاه مؤشرات النمو وتبعية المتغير السياسي للمتغير الاقتصادي:** تتفق معظم الدراسات التي أجريت من قبل مدرسة المؤشرات على وجود علاقة طردية بين النمو الاقتصادي والتطور السياسي، أي التحول إلى الديمقراطية واتساع المشاركة السياسية أو الاستقرار أو الاندماج السياسي, بحيث يصبح التطور السياسي متغيرا تابعا نتيجة علاقته بالتطور أو النمو الاقتصادي. ويربط العديد من الدارسين بين مؤشرات النمو الاقتصادي مثل مستوى الدخل والتصنيع وغيرها وبين التطور الديمقراطي بعلاقة مبنية تؤكد على تبعية تطور النظام السياسي للنمو الاقتصادي، أي تأثير النمو الاقتصادي في عملية تطور وتحول النظام السياسي من الفردية إلى التعددية وحكم الأغلبية وفقا للأسس الديمقراطية. كما انهم يرون إن الدول التي تحقق نموا اقتصاديا عاليا تتسم بانها دول ديمقراطية ويتميز نظامها

السياسي بالاستقرار بينما الدول المتعثرة اقتصاديا عادة ما تكون نظمها غير ديمقراطية وغير مستقرة سياسيا.. فالنمو الاقتصادي يعد عنصرا فاعلا في إيجاد مؤسسات ديمقراطية تساعد على تحقيق مشاركة سياسية واسعة، ذلك ان تطور الوضع الاقتصادي للفرد يدفعه إلى اكتساب المزيد من المهارات والدوافع اللازمة للمشاركة السياسية الحقيقية. وفي هذا السياق يمكن القول ان هناك تناغم كبير بين المتغير الاقتصادي والمتغير السياسي، إذ نجد ان المجتمع الذي يتمتع بوضع اقتصادي جيد نراه اكثر ميلا إلى التوسع في المشاركة السياسية الفعالة، والعكس صحيح. ويجادل البعض في إن المتغير الحقيقي لتطور الأنظمة السياسية في أوربا، لا سيما التطور الديمقراطي بعد الحرب العالمية الثانية والتوجه نحو سياسات الرفاه يرتبط بالتطور الاقتصادي الذي أدى إلى زيادة الناتج القومي الإجمالي وتوفر الموارد المالية اللازمة للإنفاق على أغراض الرفاه. كما أن التقدم الاقتصادي أدى إلى تزايد أعداد نقابات العمال التي تؤثر على الحكومات من اجل رفع مستوى الإنفاق على أغراض الرفاه. حتى أن رجال الأعمال وأصحاب الشركات يشجعون هذه السياسات في قطاع التأمين وإعانات البطالة للحفاظ على احتياطي من العاملين يستخدم لسد احتياجات التوسع الصناعي، فضلا عن حماية شرعية النظام الرأسمالي من خلال احتواء بعض الاتجاهات الثورية في صفوف العمال، أي التوصل إلى حلول ديمقراطية سلمية للصراع الطبقي ليحل محله التوافق والتعايش بين الطبقات. ويؤكد كل من (صمويل هنتنجتون وجوان نيلسون) على وجود علاقة سببية بين التحديث والنمو الاقتصادي بمختلف مظاهره (التصنيع– النمو الاقتصادي السريع – المكننة الزراعية – ارتفاع مستوى دخل الفرد– التحضر– التعليم– التطور الإعلامي– تنوع الهياكل الوظيفية) وبين المشاركة السياسية بصورها العديدة (التصويت في الانتخابات– العضوية في الأحزاب – الضغط على صناع القرار– التفاعل مع الأحداث العامة). فالنمو الاقتصادي يوفر ما تحتاجه المشاركة السياسية من ارتفاع مستوى الدخل والحراك الوظيفي من ناحية وتؤدي إلى تطور النقابات العمالية وغيرها من ناحية ثانية، وتدفع إلى تزايد تدخلات الحكومة حتى في الاقتصاديات الليبرالية على نحو يزداد معه شعور المواطن بأهمية المشاركة في صنع القرارات الحكومية التي تمس حياتهم من ناحية ثالثة. ويمكن اعتبار النموذج الليبرالي في الولايات المتحدة الأمريكية على انه المعبر الأفضل عن هذه العلاقة، بخلاف النموذج الأوتوقراطي والنموذج التكنوقراطي والنموذج الشعبي المتواجدة في الدول الأقل تطورا. ويمكن القول أن الدراسات المطروحة تتفق في التأكيد على العلاقة الطردية – واحيانا السببية – بين النمو الاقتصادي والنظام السياسي، إذ تنظر إلى التقدم السياسي باعتباره متغيرا تابعا للتقدم الاقتصادي. ومع ذلك فإننا نؤشر عدة ملاحظات على تصورات مدرسة المؤشرات بصدد هذه العلاقة، **وكما يأتي:**

1- البعض من المؤشرات المستخدمة لا يعبر بدقة عن التقدم الاقتصادي في الدول الأوربية المتقدمة بسبب التطورات التقنية المتواصلة، لا سيما المؤشر المتعلق بالتصنيع .

2- عدم الأخذ بنظر الاعتبار المحتوى والإطار المجتمعي للمؤشرات المعبرة عن التقدم الصناعي، فقد نجد ان التحضر في مجتمع متقدم يختلف عما عليه في مجتمع متخلف، لأن ذلك متعلق بطبيعة السكان ومدى تعبيرهم عن أسلوب حضري في الحياة. كما أن ترابط مؤشرات التقدم الصناعي في المجتمعات المتقدمة، لا يعني بالضرورة حتمية ترابطها في المجتمعات المتخلفة فالتحضر الذي يحدث في مجتمعات متخلفة بمعدلات كبيرة لا يرافقه تطور تصنيعي واقتصادي بنفس المعدلات.

3- عدم التمييز بين المفهوم السياسي للممارسة الديمقراطية وبين مستلزماتها المادية. فممارسة الديمقراطية تنمو مع التطور الاقتصادي والثراء المادي ولكن ليس دائما، فربما توجد ديمقراطية دون تطور اقتصادي أو ثراء مادي وقد يؤدي الأخيران إلى ضعف الديمقراطية، فعندما يسيطر التكنوقراط على السلطة، فان هذه السيطرة تثير الشكوك بشأن مستقبل الديمقراطية والرقابة الشعبية على صانع القرار، فكيف تتحقق الرقابة في ظل تطور اقتصادي وتكنولوجي تكون فيه عملية صنع القرار بيد العناصر التكنوقراطية؟ كما أن الواقع يشيرنا إلى وجود دول متقدمة اقتصاديا لكن أنظمتها غير ديمقراطية مثل المانيا النازية وإيطاليا الفاشية والاتحاد السوفيتي، وعلى العكس نجد دولة مثل الهند فقيرة ماديا لكنها تعيش في ظل ممارسات وتقاليد ديمقراطية سياسيا، وهناك دول ثرية ماليا – دول الخليج العربي – تعيش في ظل نظم سياسية غير ديمقراطية. فتطور النظام السياسي مرتبط بالبنى والمؤسسات والثقافة والقيم، أي ان هناك ترابط بين الإنسان والبيئة، وعليه فان المؤسسات تتطور بنفس درجة تطور الوظائف أو الحاجات الإنسانية، لكي يتمكن الإنسان من التحكم ببيئته بواسطة التعاون بين جميع عناصر المجتمع, وهذا النمط الجديد من العلاقات الإنسانية أدى إلى حدوث تحولات تقنية في التصنيع والنمو والاتصال. وفي هذا السياق يفترض (كارل دويتش) فرضيتين بخصوص أثر التحديث والنمو الاقتصادي على الكيانات السياسية، الأولى: ترى أن التحديث والنمو يساعد على اندماج المجتمعات المتشابهة من حيث الخصائص والسمات، فيما يعمل على تفكيك المجتمعات غير المتشابهة. أما الفرضية الثانية فتقوم على أساس أن التطور السياسي يحصل كنتيجة للعلاقة بين إمكانيات الدولة والأحمال الملقاة على عاتقها، فمتى ما كانت إمكانياتها اكبر من الأحمال تطورت الدولة، وإذا كان العكس تخلفت الدولة. ويرى (غسان سلامة) أن المجتمعات الحديثة تتسم بالتباين والتخصص سواء على صعيد البنى والمؤسسات أو على صعيد الأنشطة الإنسانية، وذلك من خلال التحرر من الأطر التقليدية التي تحد من حرية الحركة، مثل صلة القرابة أو الطائفة أو الطبقة، لان التطور السياسي مرتبط أساسا

بتطور مؤسسات السوق وكذلك يرتبط بظهور آليات التعددية في اطار العملية السياسية، من خلال انتخاب هيئات السلطة المقررة دستوريا أو عند اتخاذ القرارات. أما نظرية النمو الكلاسيكية: فتؤكد على ان النمو الاقتصادي يحدث في ظل نظام مستقر سياسيا، واجتماعيا. ويرى أصحاب النظرية ان النظام الرأسمالي محكوم عليه بالركود ولغرض تخطي ذلك ومن اجل استمرار عملية النمو الاقتصادي بنجاح فلا بد من الحد من سياسة التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي. وهنا نلاحظ ان أثر النمو الاقتصادي سيكون واضحا وجليا على حركة النظام السياسي، أي ان النمو الاقتصادي سيؤدي إلى الحد من سلطة النظام السياسي وحركته في بيئته الاجتماعية. وعلى العكس يرى (بادي)، ان القصور في توزيع الموارد والثروات والخدمات على أفراد المجتمع, سيؤدي إلى أزمة توزيع والتي تبرز عندما تستأثر القلة بثروات المجتمع, فيما تعاني الغالبية من حرمان الحصول على حاجات الحياة الضرورية، وان حل هذه الأزمة يكمن في تدخل الحكومة عن طريق الجهاز الإداري للحكومة. أما (د. محمد محمود العجلوني) فيرى ان تطبيق مبادئ الحكم الرشيد لتحقيق نمو اقتصادي مستدام، يتطلب جهودا مضنية، فالأمر يتطلب تحول المجتمع وإعادة هيكلة مؤسساته بعملية متواصلة وخطة عمل طويلة الأجل، تستدعي مشاركة مختلف الأطراف من اجل ضمان النجاح، وبخلافه لن نرى سوى مؤسسات غريبة عن التقاليد الاجتماعية السائدة. ويضيف العجلوني، ان قياس اثر الحكم الرشيد على إدامة النمو الاقتصادي، وفقا لنموذج اقتصادي رياضي باستخدام الانحدار المتعدد ذو التأثير الثابت اظهر اتجاه العلاقة من المتغير السياسي إلى المتغير الاقتصادي، بمعنى تأثير الأطر السياسية وسياسات النظام على العملية الاقتصادية برمتها وليس النمو الاقتصادي لوحده. إذ اظهر هذا التحليل ان هناك عدة حقائق ذات صلة بالعلاقة بين المتغير السياسي والمتغير الاقتصادي، منها:

1- ان معدلات النمو الاقتصادي ترتبط بمستوى تطور المؤسسات والحاكمية الرشيدة.

2- ان مؤشرات المشاركة السياسية والاستقرار السياسي وفعالية الحكومة، كلها ذات صبغة سياسية وترتبط بديمقراطية الحكم، لكن ضعف تأثيرها على النمو الاقتصادي للدول العربية يشير بوضوح إلى ان هذه المؤشرات لا تنسجم مع ثقافة المجتمع العربي، وبالتالي ما يصح في أوروبا قد لا يصح في مكان اخر من العالم. وفي السياق ذاته يرى (وتيليس كارلوس بيريرا) ان المؤسسات السياسية تلعب دورا أساسيا فقط في الديمقراطيات الناشئة، ذلك ان الديمقراطيات الراسخة والمؤسسات السياسية تعد بدائل لتحديد النمو الاقتصادي، بينما تحتاج الديمقراطيات الناشئة إلى حضور قوي للمؤسسات السياسية، وهذا الحضور مؤثر جدا على الأداء الاقتصادي. وفي النهاية نجد ان تأثير المؤسسات السياسية على النمو الاقتصادي يكون كبيرا في الدول الفقيرة، بينما يكاد يكون معدوما في الدول الغنية. وعليه يجب عدم النظر إلى أنواع أنظمة الحكم كوحدة واحدة، أي ديموقراطية تقابلها استبدادية، بل نحدد نوع الديمقراطية

التي تتحكم بالمؤسسات السياسية ذات الصلة بالعملية الاقتصادية، وكذلك الحال في أنواع الاستبداد بتحديد نوع الاستبداد الذي يتحكم بتلك المؤسسات السياسية، وذلك من اجل فهم الألية التي تؤثر فيها المؤسسات السياسية على النمو الاقتصادي، فقد لا يكفي تبني نظام ديمقراطي لتحقيق نمو اقتصادي كبير، لكن نظام ديمقراطي له مؤسسات كفؤة يكون كافيا لتحقيق قدر كبير من النمو الاقتصادي، وقد أثبتت تجارب الدول صلة الاستقرار السياسي بالنمو الاقتصادي، وان سر الاستقرار السياسي يكمن في احترام خصوصية البلد وظروفه الخاصة لغرض إيجاد الحلول المناسبة لمشاكله. والعلاقة بين النمو الاقتصادي والاستقرار السياسي علاقة تبادلية، فقد يؤدي عدم الاستقرار السياسي إلى تأثير مباشر على النمو الاقتصادي من خلال تعويق الاستثمار وهجرة الأيدي العاملة وتقلب السياسات النقدية مما يؤدي إلى التضخم، كذلك الحال عند تعثر النمو الاقتصادي وفقدان عدالة التوزيع ينتج عنهما اضطراب اجتماعي وسياسي نتيجة التوقعات السلبية للمواطنين بشان الفرص الاقتصادية المتاحة والمستقبلية وعدم الثقة في قدرة الحكومة على إدارة البلاد الأمر الذي يضعف من شرعية النظام السياسي . وفي المقابل فان الانتعاش الاقتصادي وارتفاع معدلات النمو الاقتصادي ينتج عنهما تعزيز شرعية النظام وتحسين مستوى المعيشة مما يؤدي إلى استقرار سياسي تتبعه مشاركة سياسية واسعة.

الخـــاتمـــــــة

أولا: الاستنتاجات: بعد ان انتهينا من دراسة الطروحات والأفكار العلمية التي تناولت طبيعة العلاقة بين التقدم الاقتصادي والتقدم السياسي نستنتج ما يأتي:

1- ان هذه الطروحات بالغت في تقدير أهمية الجانب الاقتصادي على حساب الجوانب (السياسية والاجتماعية الثقافية). فعملية التغيير السياسي في حقيقتها تغيير مجتمعي شامل ومتعدد الأبعاد، وهذه الأبعاد تربطها علاقة تفاعلية تقوم على أساس التأثير المتبادل بين المتغيرين، وهي ليست علاقة سببية أو طردية حتمية لازمة بينهما.

2- هذه الدراسات منحازة أيديولوجيا لنموذج التطور الغربي خصوصا في نسخته الأمريكية، وتراه نمطا مثاليا يجب اتباعه لغرض الانطلاق اقتصاديا ومن ثم سياسيا. لكن ثمة صعوبات منهجية وواقعية تواجه بناء نظرية عامة انطلاقا من هذا التصور تصلح لتفسير معوقات النمو الاقتصادي والتغيير السياسي، خاصة الدول التي تحكمها ظروف مختلفة عن ظروف وأوضاع العالم الغربي وأمريكا خاصة.

3- ان تأثير النمو الاقتصادي على النظام السياسي ليس حتميا، ولكن لا يمكن التقليل من شأنه، فهو يؤثر من خلال الحاجة إلى اللامركزية لغرض إدارة المشاريع الاقتصادية بصورة اكثر كفاءة وانسجاما مع التطورات الاقتصادية وحركة السوق التي تتسم بالسرعة والحركية.

4- إن ان النمو الاقتصادي يتأثر بصورة أو باخري بالنظام السياسي وطبيعته وآليات عمله، فمن الطبيعي ان تكون قوانين وإجراءات النظام منسجمة مع فلسفته السياسية، وهذه القوانين والإجراءات يكون لها دورا حاسما في دعم النمو الاقتصادي أو عرقلته.

5- ان شكل النظام السياسي لا يعيق النمو الاقتصادي، فهناك أنظمة تسلطية قادت نموا اقتصاديا كبيرا، فيما شهدت دولا ديمقراطية فشلا اقتصاديا اثر حتى على شرعية النظام السياسي القائم.

ثانيا: التوصيات:

1- احترام الخصوصية الحضارية للبلد، ومراعاة الظروف والأوضاع المحيطة به وتحليلها لغرض وضع الحلول المناسبة لمشاكله بما يتناسب مع قيمه وتقاليده المجتمعية .

2- تذليل العقبات القانونية أمام العملية الاقتصادية.

3- الحد من التأثيرات النخبوية التي تمارسها اطراف السلطة على المؤسسات الاقتصادية.

المصادر

أولا: الكتب العربية:

1. د. برهان زريق، معنى اصطلاح النظام السياسي والتعريف به، ط 1، وزارة الإعلام السورية، دمشق، 2017
2. د. جلال عبد الله معوض : علاقة القيادة بالظاهرة الإنمائية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ،1985.
3. د. جلال عبد الله معوض : علاقة المتغير الاقتصادي بالتطور السياسي ، جامعة القاهرة ، القاهرة، 1982.
4. د. جلال عبد الله معوض : العلاقة بين الديمقراطية والتنمية في الأدبيات النظرية , مركز دراسات الآسيوية في جامعة القاهرة، القاهرة, 1997.
5. د. حسن صعب، علم السياسة، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1972.
6. د. حميد حنون خالد، مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق ، دار السنهوري، بيروت، 2019.
7. خالد الحسن، إشكالية الديمقراطية والبديل الإسلامي في الوطن العربي، دار الجليل، عمان،
8. فؤاد مرسي : التخلف والتنمية ، دار الوحدة ، بيروت 1982.
9. سعيد النجار : الديمقراطية ومستقبل التنمية في مصر ، دار النداء الجديد ، القاهرة ، 1994.

10. د. صالح جواد الكاظم، ود. علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، بغداد، 1991.
11. د. طعيمه الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم: دراسة مقارنة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ، ط4، 1973.
12. د. على الدين هلال : التنمية السياسية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1979.
13. عبلة عبدالحميد بخاري، التنمية والتخطيط الاقتصادي: نظريات التنمية الاقتصادية، ج3. www.faculty.mu.du.sa
14. د. عبدالعزيز الخياط، النظام السياسي في الإسلام، النظرية السياسية، نظام الحكم، https;//archive.org
15. د. عمرو محي الدين : التنمية والتخلف ، دار النهضة العربية بيروت 1977.
16. د. محمد السيد سليم ود. نيفين عبد المنعم : (محرران)العلاقة بين الديمقراطية والتنمية في آسيا، مركز الدراسات الآسيوية في جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1998.
17. د. يحيى غني النجار ود. آمال شلاش : التنمية الاقتصادية ، دار الكتب للطباعة ، بغداد، 1991.

ثانيا : الكتب المترجمة:

18. برتران بادي : التنمية السياسية, ترجمة جورج سعادة , مركز الإنماء القومي و بيروت , 1990.
19. جيرالد ما ير و روبرت بولدوين : التنمية الاقتصادية ، ترجمة يوسف عبد الله الصائغ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1964.
20. صمويل هنتنجتون وجوان نيلسون : اختيار غير سهل : المشاركة السياسية في الدول النامية ، ترجمة عبد الوهاب عرب ، مركز ابن خلدون ، القاهرة – 1980.

ثالثا: الدوريات العربية:

21. د. منصور الراوي : تنمية الموارد البشرية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية / العدد - 4/ مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية لدول الخليج العربي، البحرين -1985.
22. د. علي خليفة الكواري وآخرون : المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أيار 2000.
23. د. غسان سلامة : نحو عقد اجتماعي عربي جديد . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1987.
24. د. أميرة محمد عمارة ، عدم الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي في الدول النامية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مج23، ع4،جامعة القاهرة، 2022.
25. أ.د. محمد محمود العجلوني، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية، المجلة العربية للإدارة، مج39،ع 4،ديسمبر، 2019.
26. علي رمضان و عمر فرحان، الديمقراطية في النظم السياسية العربية دراسة في الواقع والتحديات، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، ج1،ع 2، مجلد 16، أيلول 2025، ص 1068.
27. اسعد طارش عبد الرضا، الخصائص العامة للسلطة السياسية، دراسة نموذج العراق منذ 2003، مجلة دراسات دولية، العدد 98، 2024.

28. كمال قسول و عبدالخالق اودينة، مؤشرات النمو الاقتصادي إطلالة على الاقتصاد الجزائري 1960-2021، مجلة البصائر للبحوث في العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الطبعة :1، العدد: 1، 2022/12/31.

29. منال عفان : أثر التفاوت في الدخل على النمو الاقتصادي في مصر: دراسة تحليلية لأهم القنوات التي يؤثر من خلالها التفاوت على النمو"، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ،مجلد 22 العدد 4، 2021.

30. صالح فلاحي، "التنمية المستدامة بين تراكم رأس المال في الشمال واتساع الفقر في الجنوب"، مجلة كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، العدد 3، 2004.

31. د. ساطور رشيد، دراسة نظرية حول النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة: علاقات وروابط، مجلة التراث، جامعة جلفة، الجزائر، العدد العاشر، شهر ديسمبر، 2013.

32. د. عادي سليمان محمود، اليات السياسة الدولية لتحقيق السلم المجتمعي، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، مجلد 14، العدد خاص 2025.

رابعا: النشرات والتقارير:

33. تقرير البنك الدولي لبحوث السياسات العامة: معجزة شرق اسيا: النمو الاقتصادي والسياسات العامة، ترجمة عبدالله السويدي وشيخة الشامسي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2000.

34. صندوق النقد العربي ، مصادر النمو الاقتصادي في الدول العربية، التقريرالاقتصادي العربي الموحد،2022.

خامسا: الصحف والمجلات:

35.د، رغيد الصلح : التعددية السياسية والثقافية ، مجلة الدستور ، بيروت ، 21 تشرين أول 1988.

الرسائل والاطاريح الجامعية:

36. رائد خضير العبادي، دور البحث والتطوير في النمو الاقتصادي تجارب دولية مختارة مع إشارة إلى العراق، اطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد، 2018.

37.الوليد قسوم ميساوي، اثر ترقية الاستثمار على النمو الاقتصادي في الجزائر منذ 1993،اطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2018.

سادسا: المصادر باللغة الإنجليزية:

38. Kindel Berger : Economic Development, Oxford University press, London, 1965 .

39. R. Dahl and D. Neubauer: Reading in Modern Political Analysis, prentice-Hall, Englewood,1966.

40. Berch Berberoglu: The political Economy of Development - Development Theory and the prospects for change in the third world , Albany . N. Y state University of New York press, 1992.

41. Karl w. DEUTSCH : Nationalism and social communication mass, The free press New York 1957 .

سابعا: الشبكة العنكبوتية:

42. وتيليس كارلوس بيريرا، المؤسسات السياسية والنمو الاقتصادي والديموقراطية: تأثير البديل، شبكة الأنترنيت، ، https://www.brookings.edu/articles.

43. 43-محمد عبدالجبار الشبوط، السلطة والنظام السياسي: التعريف والأنماط، شبكة النبأ المعلوماتية، 2025/3/26. https;//annabaa.org/Arabic/authors articles/41975.

44. 44- سيماء علي مهدي، الأنظمة السياسية المقارنة، 2020/10/23، https;//www.ssrcaw.org.

45. 45- مرهف الشهاب، سمات النظام الرئاسي وخصائصه، الشبكة العنكبوتية، موقع مقاربات للتنمية السياسية https;//mukarbat.org.

46. 46- محمود حسن كاملة، النظم السياسية، https;//www.ecomang.uodiyala.edu.iq.

47. 47- معهد البحرين للتنمية السياسية،Articles ‹ publications) https://www.bipd.org .

48. 48- إنفستوبيديا/ 2025/11/22، www.investopedia.com.

49. 49- Paul M. Romer ;Retrieved 14 -www.investopedia.com, 2019-12. Edited..

50. ، جلال خشيب، النمو الاقتصادي مفاهيم ونظريات، شبكة الالوكة الإليكترونية www.alukah.net.

51. 51- JIM CHAPPELOW (16-4-2019), "Economic Growth"، www.investopedia.com, Retrieved 14-12-2019. Edited..

تحولات الدبلوماسية التقليدية في ظل الذكاء الاصطناعي: من القوة الناعمة إلى القوة الرقمية

إعداد

م.د.. رنا عبدالحسين علي الدليمي
كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد
الدراسات السياسية والعلاقات الدولية
Rana.abdulhussein@copolicy.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التحولات الجوهرية التي تشهدها الدبلوماسية التقليدية تحت تأثير ثورة الذكاء الاصطناعي، مع التركيز على الانتقال من مفهوم القوة الناعمة إلى مفهوم القوة الرقمية. تتبنى الدراسة منهجية تحليلية استشرافية، تعتمد على تحليل النماذج النظرية والأدبيات الأكاديمية تنطلق من إشكالية رئيسية

تتمثل في: كيف يعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل أدوات وممارسات الدبلوماسية التقليدية، ومفهوم القوة فيها، وما التحديات الأخلاقية والاستراتيجية المترتبة على ذلك؟ وتنقسم الدراسة إلى ثلاث مباحث، ، ثم منهجية البحث، وتحليل التحولات في الأدوات الدبلوماسية، ثم تحول مفهوم القوة، وأخيراً التحديات والأخلاقيات. وتخلص إلى أن الذكاء الاصطناعي لم يضف أدوات جديدة فقط، بل أحدث تحولاً جذرياً في طبيعة العمل الدبلوماسي نفسه، من خلال أتمتة العمليات، والتحليلات التنبؤية، وإضفاء الطابع الخوارزمي على القوة الناعمة، مما ولد أشكالاً هجينة من "القوة الرقمية الذكية". كما تؤكد على أن هذه التحولات تفرض فجوة رقمية دبلوماسية جديدة، وتزيد من مخاطر التضليل الإلكتروني، وتستدعي تطوير أطر حوكمة أخلاقية عاجلة لضمان استقرار النظام الدولي .

Abstract

This study explores the fundamental transformations affecting traditional diplomacy in light of the artificial intelligence revolution, with a particular focus on the shift from soft power to digital power. Adopting a qualitative analytical approach, the research relies on the analysis of theoretical and applied models to examine how artificial intelligence reshapes diplomatic tools and practices, redefines the concept of power, and generates new ethical and strategic challenges.

The study is structured around three main dimensions: an analysis of the concept of power and its ethical and strategic foundations; an examination of the evolution of diplomatic tools and the emergence of digital power; and an assessment of the ethical challenges associated with these transformations. The findings indicate that artificial intelligence does not merely introduce new instruments into diplomatic practice, but rather leads to a fundamental transformation in the nature of diplomatic work through automation, predictive analytics, and the incorporation of new digital forms of soft power, referred to as "digital power." The study also highlights the emergence of a digital divide, increased risks of electronic manipulation, and the growing need for ethical frameworks to ensure the stability of the international system

المقدمة

شهدت الدبلوماسية التقليدية تحولات عميقة خلال العقود الأخيرة بفعل التطورات التكنولوجية، حيث لم تعد العلاقات الدولية تعتمد حصراً على القنوات الرسمية والبروتوكولات الكلاسيكية، بل انفتحت على فضاءات رقمية واسعة. ويأتي الذكاء الاصطناعي في مقدمة هذه التحولات، إذ أسهم في إعادة صياغة أدوات القوة الناعمة، وفتح آفاقاً جديدة أمام الممارسة الدبلوماسية سواء في إدارة الأزمات أو بناء الصورة الذهنية للدول. وتكمن أهمية البحث في حداثة الموضوع وقلة الدراسات العربية التي تناولت أثر الذكاء الاصطناعي على العمل الدبلوماسي، فضلاً عن ارتباطه المباشر بصنع القرار السياسي والأمني.

إشكالية البحث:

إلى أي مدى أحدث الذكاء الاصطناعي تحولات في مفهوم وأدوات الدبلوماسية التقليدية، وما انعكاساته على مستقبل العمل الدبلوماسي الدولي؟

فرضية البحث:

إن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة مساعدة، بل أصبح قوة استراتيجية تسهم في إعادة تعريف وظائف وممارسات الدبلوماسية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي – التحليلي، مدعوماً بمقاربة مقارنة من خلال الاستعانة بنماذج حالة (مثل الولايات المتحدة، الصين، الاتحاد الأوروبي).

هيكلية البحث:

المبحث الأول: الدبلوماسية التقليدية وأسس التحول الرقمي

المطلب الأول: مفهوم وأدوات الدبلوماسية التقليدية

يتناول هذا المطلب تعريف الدبلوماسية التقليدية باعتبارها فن إدارة العلاقات الدولية عبر التمثيل الرسمي والمفاوضات، مع التركيز على أدواتها الكلاسيكية مثل اللقاءات المباشرة، المؤتمرات الدولية، والاتصالات الرسمية. كما يوضح كيف اعتمدت هذه الدبلوماسية على القوة الناعمة، سواء عبر الثقافة أو الإعلام أو العلاقات الاقتصادية. ويبين التحديات التي واجهتها هذه الدبلوماسية في ظل محدودية الانتشار وسرعة التحولات الدولية.

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية في العمل الدبلوماسي

يسعى هذا المطلب إلى بيان ماهية الذكاء الاصطناعي وأبرز مجالاته (تحليل البيانات، الترجمة الفورية، المحاكاة الرقمية)، ودوره في صياغة أنماط جديدة من الاتصال والتأثير الدولي. كما يركز على التحول من الدبلوماسية التقليدية إلى الدبلوماسية الرقمية، مع الإشارة إلى الأمثلة التطبيقية في وزارات الخارجية التي اعتمدت منصات ذكية للتواصل مع الشعوب.

المبحث الثاني: انعكاسات الذكاء الاصطناعي على تحولات الدبلوماسية الدولية

المطلب الأول: الذكاء الاصطناعي والدبلوماسية العامة

يتناول هذا المطلب استخدام الذكاء الاصطناعي في التأثير على الرأي العام وصناعة الصورة الذهنية للدول عبر المنصات الرقمية، إضافةً إلى أدوات مثل "البوتات الدبلوماسية" والتحليلات التنبؤية لسلوك الجماهير. وتعرض نماذج من تجارب الولايات المتحدة والصين والاتحاد الأوروبي في توظيف الذكاء الاصطناعي لتعزيز حضورها العالمي.

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي والمفاوضات وإدارة الأزمات

يبحث هذا المطلب في دور الذكاء الاصطناعي في تسهيل المفاوضات الدولية عبر الترجمة الفورية والتواصل متعدد اللغات، إضافةً إلى دوره في تحليل البيانات الضخمة لرصد مؤشرات التوتر والتنبؤ بالأزمات. كما يناقش المخاطر المرتبطة بهذا الاستخدام، مثل التلاعب بالمعلومات أو الهجمات السيبرانية التي قد تهدد أمن المعلومات الدبلوماسية.

المطلب الثالث: التحولات المستقبلية للدبلوماسية في ظل الذكاء الاصطناعي

يركز هذا المطلب على ملامح التحول من "القوة الناعمة" إلى "القوة الرقمية"، مع بحث احتمالات صعود مفهوم "الدبلوماسية الذكية (Smart Diplomacy) "التي توظف الذكاء الاصطناعي في اتخاذ القرارات وتحقيق النفوذ. كما يناقش الأبعاد الأخلاقية والقانونية المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في العمل الدبلوماسي (الخصوصية، السيادة الرقمية، الشفافية).

الخاتمة :

استخلاص النتائج الرئيسية حول طبيعة التحولات التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في الدبلوماسية.

إبراز الفرص والمخاطر أمام الدول النامية، خصوصاً الدول العربية.

تقديم توصيات لصانعي القرار بضرورة الاستثمار في البنية التكنولوجية وتعزيز القدرات البشرية لمواكبة "الدبلوماسية الذكية

المبحث الأول: الدبلوماسية التقليدية وأسس التحول الرقمي

يتناول هذا المبحث تعريف الدبلوماسية التقليدية باعتبارها فن إدارة العلاقات الدولية عبر التمثيل الرسمي والمفاوضات، مع التركيز على أدواتها الكلاسيكية مثل اللقاءات المباشرة، المؤتمرات الدولية، والاتصالات الرسمية. كما يوضح كيف اعتمدت هذه الدبلوماسية على القوة الناعمة، سواء عبر الثقافة أو الإعلام أو العلاقات الاقتصادية. ويسعى هذا المبحث إلى بيان ماهية الذكاء الاصطناعي وأبرز مجالاته (تحليل البيانات، الترجمة الفورية، المحاكاة الرقمية)، ودوره في صياغة أنماط جديدة من الاتصال والتأثير الدولي. كما يركز على التحول من الدبلوماسية التقليدية إلى الدبلوماسية الرقمية، مع الإشارة إلى الأمثلة التطبيقية في وزارات الخارجية التي اعتمدت منصات ذكية للتواصل مع الشعوب

المطلب الأول: مفهوم وأدوات الدبلوماسية التقليدية

مفهوم الدبلوماسية التقليدية : تأسست الدبلوماسية التقليدية منذعصورها القديمة على مفاهيم متعددة الاوجة منها مايشير الى مصطلح التسوية والتفاوض وابرام الاتفاقيات تجنبا للصراعات وحماية المصالح المشتركة وارساء قواعد الامن والسلام ، ولعل أبرزها دبلوماسية السلم والحرب لكنها غير دائمة وغير منظمة.

وعلية تعرف الدبلوماسية قديما ، بأنها علم وممارسة العلاقات السياسية بين الدول ، تجسيدا لمصالح الدولة في الخارج وقد تمثل ذلك مع ظهور الدول فقد مثلت معاهدة وستفاليا لعام ١٦٤٨، بعد حرب الثلاثين عامًا، اعترافًا رسميا بالدول ككيانات ذات سيادة وفاعلين رئيسيين في الدبلوماسية ، ومنذ مطلع القرن التاسع عشر، تأسس نظام دبلوماسي على مستوى عالمي وواقعي ، وتمثل ذلك بمؤتمر فيينا عام ١٨١٥، الذي أسس "ائتلاف الدول الأوروبية"، مسؤولاً عن توزيع الأراضي المستعادة من نابليون بونابرت، وهذا يعني ان الحرب

والسلام آنذاك الشغل الشاغل للدبلوماسية والتي كانت تشهد عصرها الذهبي حتى بداية الحرب العالمية الأولى .(1)فؤادالصباغ،سنة2025 .

أما خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فقد شهدت القضايا الإقليمية، من جهة، بالإضافة إلى المسائل الثنائية والعلاقات بين الدول المتعلقة بحقوق الميراث في أوروبا الملكية أبرز العناصر الرئيسية للدبلوماسية .

وبدءًا من القرن التاسع عشر، تأسس نظام دبلوماسي عام حقيقي، وكان مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، الذي أسس "ائتلاف الدول الأوروبية"، مسؤولاً عن توزيع الأراضي المستعادة من نابليون بونابرت، وكانت الحرب والسلام آنذاك الشغل الشاغل للدبلوماسية والتي كانت تشهد عصرها الذهبي حتى بداية الحرب العالمية الأولى.(2)هنادي محمدابراهيم العيدان،2025.

بناءا على ذلك ، الدبلوماسية التقليدية تعد الاسلوب الرسمي الأمثل المتبع في تطوير وادامة زخم العلاقات الثنائية بين الدول وفق الآليات الرسمية المتبعة واهميتها في تنمية العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وتطويرها بين الدول وفقاً للأعراف والمواثيق الدولية المتعلقة بالتمثيل الدبلوماسي العالمي وفقا لما اتفق علية الدول الاعضاء في الجمعية العامة للامم المتحدة سبيلا لإدامة علاقاتها الثنائية على كافة الأصعدة من خلال بعثاتها المنتشرة في الخارج

على اساس ذلك ، تستند الدبلوماسية التقليدية على مجموعة من الادوات التي توضفها الدول للتفاوض والتواصل مع بعضها ، ومن هذه الادوات الاتي :

1-المراسلات الدبلوماسية : **وهي أداة للتواصل قد تكون خارجية او داخلية بين أطراف عديدة لها علاقة بالوظيفة الدبلوماسية ولا علاقة لها بلجغرافيا،** فالمراسلات الداخلية تكون بين أجهزة صنع وتنفيذ السياسة الخارجية للدولة، امالمراسلات الخارجية تتم بين الدولة ممثلة فى وزارة الخارجية والسفارات والبعثات الدبلوماسية فى الخارج .(3) نبيل حبشي،2015 .

المفاوضات الدبلوماسية :وهي اداة من ادوات الدبلوماسية التقليدية التي تتناول معالجة عدة أمور و قضايا فلا تقتصر على موضوع أو مسألة معينة،فهي اوسع من ذلك ، كما يحاول البعض أن يحصرها في امور التحضير للمعاهدات و التوقيع عليها فهي تتبنى معالجة جميع القضايا و إيجاد الحلول لها بالشكل الذي يخدم المصالح المتبادلة للدول و يعزز العلاقات الودية بين الأمم.

التمثيل الدبلوماسي : ويقصد به تمثيل دولة ما لدى دولة أخرى، من حيث رعاية مصالحها، وحماية سكانها وعقد المفاوضات، ووتوطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية،ويقع ذلك على عاتق

.المبعوث الدبلوماسي الذي يُعيّنه البلد المرسل ويمكن أن يكون ممثلاً لدولته في المنظمات الدولية.(4) زاحم محمدالشهيلي،2025

الاتفاقيات والمعاهدات:وهي من احدى الادوات الدبلوماسية التقليدية والتي تؤكد على ضرورة وجود اتفاق رسمي وملزم بين دولتين أو أكثروهذا مايطلق علية بلمعاهدة،اما الاتفاقية للإشارة إلى وثيقة أوسع نطاقًا تشمل اتفاقات متعددة الأطراف .5) محمدعبدالكريم حسن،2017 .

الاحتجاجات الدبلوماسية: وهو من الادوات الدبلوماسية غير العسكرية التي تلجأ اليها بعض الدول كأسلوب للرفض وعدم الرضا تجاه دولة اخرى ،وقد تختلف مستوياته من الاقل كأرسال استدعاء السفير للتشاور" إلى الأشد كطرد السفراء" وقطع العلاقات الدبلوماسية.

المساعدات الخارجية : وهي احدى ادوات تحقيق أهداف دبلوماسية أو إنسانية، وقد تشمل منحًا مالية، قروضًا بشروط ميسرة، أو مساعدات غذائية وطبية.

التفاوض بقضايا دولية : هو عملية دبلوماسية بين دولتين أو أكثرالغرض منها لتبادل وجهات النظر حول مشكلة مشتركة بهدف التوصل إلى حل سلمي أو اتفاق يرضي جميع الأطراف ..

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية في العمل الدبلوماسي

شهدت الدبلوماسية التقليدية تحولات عميقة خلال العقود الأخيرة بفعل التطورات التكنولوجية، حيث لم تعد العلاقات الدولية تعتمد حصراً على القنوات الرسمية والبروتوكولات الكلاسيكية، بل انفتحت على فضاءات رقمية واسعة. ويأتي الذكاء الاصطناعي في مقدمة هذه التحولات، إذ أسهم في إعادة صياغة أدوات القوة الناعمة، وفتح آفاقاً جديدة أمام الممارسة الدبلوماسية سواء في إدارة الأزمات أو بناء الصورة الذهنية للدول.

وعلية ، شهدت العلاقات الدولية في العقدين الماضيين تحولات جذرية مدعومة بالتطور التكنولوجي المتسارع، وعلى وجه الخصوص في مجال الذكاء الاصطناعي. كونه لم يعد يقتصر على المجالات التقنية والاقتصادية فحسب، بل اصبح يغزو قلب العمل الدبلوماسي التقليدي ايضا، مغيراً من أدواته واستراتيجياته، ومفهوم القوة فيه. ولكون الدبلوماسية التقليدية قد اعتمدت على آليات مباشرة وجهاً لوجه، والاتفاقات السرية أحياناً، وممارسة "القوة الناعمة" من خلال التأثير الثقافي والقيمي. إلا أن تزايد صعود الذكاء الاصطناعي يدفع نحو إعادة تشكيل هذه المفاهيم، وعلية ، فقد تحولت الدبلوماسية من اعتمادها شبه الكلي على القوة الناعمة إلى تبني أشكالاً جديدة من "القوة الرقمية".وهنا يُعرّف جوزيف ناي القوة الناعمة بأنها "القدرة على الجذب والإقناع دون إكراه"، بينما تشير القوة الرقمية إلى "القدرة على استخدام التقنيات الرقمية والبيانات لتحقيق مكاسب جيوسياسية، والتأثير على الرأي العام، وفرض السياسات".وبما ان الدبلوماسية التقليدية قد ارتكزت على أركان اساسية مثل المفاوضات المباشرة، وإبرام المعاهدات، وعقد المؤتمرات، والعمل عبر القنوات الرسمية.(6) د.اميرالساعدي ،المركزالديمقراطي العربي)

الا ان الذكاء الاصطناعي جاء ليضيف مفاهيم جديدة ومتطورة من التعقيد والكفاءة على هذه الأدوات منها:

اولا/ الدبلوماسية الاستباقية والتحليلات التنبؤية:وتعني بأن العمل الدبلوماسي لم يعد يقتصر على رد الفعل تجاه الأحداث فحسب، بل بإمكانه التنبؤ بها ايضا.من خلال ما تقوم بهاأنظمة الذكاء الاصطناعي من تحليل كميات هائلة من البيانات من وسائل الإعلام العالمية، ومنصات التواصل الاجتماعي، والتقارير الاقتصادية، وحتى صور الأقمار الصناعية، لتحديد الاتجاهات الناشئة والاضطرابات المحتملة وأماكن الصراع. مثال ذلك ،يمكن استخدام تحليل المشاعر لقياس الرأي العام في دولة ما تجاه سياسة خارجية معينة، وهذا مايحفز الدبلوماسية من تعديل خطابها،وعلية، الدبلوماسية القائمة على البيانات تمنح الدول التي تمتلك قدرات تحليلية متطورة ميزة استباقية هائلة .(7)ثريا محمد الحلوي،2020 .

ثانيا/ أتمتة العمليات الدبلوماسية الروتينية:وتعني قيام الذكاء الاصطناعي بعملية أتمتة العديد من المهام الإدارية والمعرفية، كتحليل النصوص القانونية في المسودات الأولية للمعاهدات، فضلا عن ترجمة الوثائق الدبلوماسية الحساسة بدقة عالية وفورية، وكذلك المساعدة في صياغة الخطابات والبيانات الرسمية. هذا مايساعد الدبلوماسيين من التحرر للتركيز على المهام الاستراتيجية عالية المستوى كالتفاوض وبناء العلاقات

ثالثا / الدبلوماسية متعددة الأطراف الذكية: تطبق في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، وهنا يمكن للذكاء الاصطناعي من امكانية تحليل مواقف الدول الأعضاء من القضايا المطروحة، بدقة عالية مع امكانية توقع نتائج التصويت، ومساعدة المندوبين على وضع قرارات مناسبة واكثر قبولاً من خلال محاكاة سيناريوهات مختلفة. هذا يجعل عملية صنع القرار في المحافل الدولية متعددة الأطراف أكثر كفاءة وقائمة على أدلة. (8)هنادي محمدابراهيم العيدان،2025

من الامثلة على ذلك ، جائحة كورونا حيث لجأت الكثير من الحكومات من أجل نشر المعلومات الى المنصة الرقمية لتنسيق الجهود والمشاركة في المناقشات بديلا عن الحضورفي قاعات الاجتماعات واقامة المؤتمرات الحضورية لايجاد الحلول سبيلا للخروج من الازمة، وقد ساعدت بشكل كبير على التعاون الفعّال وتبادل الأفكار والعمل بشكل متزامن .

على اساس ماتقدم ، يمكن القول بأن "الثورة الرقمية قد غيرت في بيئة العمل الدبلوماسي، من خلال الاعتماد على البيانات الضخمة وتحليلها كأداة محورية في صنع القرار الخارجي. وهذا دليل على ان الذكاء الاصطناعي لا يضيف أدوات جديدة وانما يعيد من هيكلة العملية الدبلوماسية برمتها، لجعلها أكثر سرعة من جهة اولى، واكثراستباقية من جهة ثانية، وقائمة على البيانات من جهة ثالثة ..

المبحث الثاني: انعكاسات الذكاء الاصطناعي على تحولات الدبلوماسية الدولية

المطلب الأول: الذكاء الاصطناعي والدبلوماسية العامة

شهد العقدين الماضيين طفرة تكنولوجية غير سالفة الذكر، توجت ببروزمفهوم صعود الذكاء الاصطناعي وتحوله من مفهوم نظري إلى تكنولوجيا تطبيقية تغزو مختلف مناحي الحياة، وعلى وجة الخصوص، حقل السياسة الدولية والدبلوماسية.وعليه، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة مساعدة، بل اصبح يشكل تحولا فاعلا مؤثرا بأمكانه اعادة صياغة القواعد والأدوات والاستراتيجيات ذاتها. وعلى اساس ذلك، بدأت الممارسة الدبلوماسية تشهد تحولاً من النموذج القائم على القوة الناعمة، والتي ترتكز على التأثير الطويل الأمد عبر الثقافة والتعليم، إلى نموذج أكثر ديناميكية وفورية قائم على "القوة الرقمية"، التي تستند على التحكم في بياناتها خوارزمياتها،فضلا عن بنهاها التحتية الرقمية، وقدرات التلاعب في الفضاء الإلكتروني لغرض تحقيق مكاسب جيوسياسية فورية ومباشرة .

لقد اضفت الأدوات الرقمية من خلال دمجها في الممارسات الدبلوماسية، الى فتح آفاقٍ جديدة للتواصل والمشاركة المجتمعية، سابقا كانت الدبلوماسية التقليدية مقتصرة على ممثلي الدول والمؤسسات متعددة الأطراف، اما في الوقت الحاضرفقد لعبت المنصات الرقمية دورا كبيرا في إتاحة إمكانية الوصول إلى هذا المجال، مما سهل للجهات الفاعلة من غير الدول بما في ذلك المنظمات غيرالحكومية و مراكز الأبحاث، والمؤسسات الأكاديمية من المشاركة في الخطابات الدبلوماسية. وهذا ما عزز من امكانية الدبلوماسية الرقمية على تجاوز المتحكّمين التقليديين وقدرتها في توفير المعلومات من جهه، و التواصل مباشرة مع جمهورها الاجنبي من جهه اخرى .(9) كرستيان الكسندر،2025

فضلاعلى ذلك، فقد اضفت وسائل التواصل الاجتماعي للدبلوماسية الحديثة ميزات عده من اهمها السرعة في وصول الرسائل الدبلوماسية، وهذا ما انعكس لوزارات الخارجية التفاعل مع الجمهور العالمي بشكلٍ فوري، ومنها دبلوماسية تويتر او مايطلق عليها(تويبلوماسي) وعدة ركيزه اساسية من تواصل قادة العالم، ومن اهم هذة الشخصيات التي استخدمت هذة المنصة الرئيس الأمريكي/ دونالد ترامب، والرئيس الأوكراني/ فولوديمير زيلينسكي، ورئيس الوزراء الهندي/ ناريندرا مودي المنصة للمشاركة في المناقشات المباشرة والجهود الدبلوماسية العامة. فضلا عن ذلك ،فقد عدت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة/ هيلاري كلينتون من أوائل المستخدمين لمنصة تويتر، وانضمت إليها في 10 يونيو 2013، على اساس ذلك، دمجت وزارة الخارجية الأمريكية الدبلوماسية الرقمية في استراتيجيتها للسياسة الخارجية.

وعلى الرغم من اهمية الأدوات الرقمية التي أتاحت الوصول إلى المشاركة الدبلوماسية بشكلٍ ديمقراطي، الا انها كان لها انعكاسا سلبيا في الوقت نفسة ، كونها عززت من هيمنة الدول المتقدمة تكنولوجيًا، وهذا ما يجعل الدول، التي تفتقر إلى البنية التحتية الرقمية أو الخبرة الكافية، في صعوبات لمواجهة المنافسة في

الساحة الرقمية، وبالتالي يُزيد من تهميش أصواتها في الخطابات العالمية.(10) دهدال اي ام ،عبدالغفار اي،2025

فضلا عن ذلك، زيادة الاعتماد على شركات التكنولوجيا الخاصة في الدبلوماسية الرقمية يُثير المخاوف بشأن تأثير تلك الشركات في الممارسات الدبلوماسية، وبالتالي من الممكن تحويل العلاقات الدولية إلى سلعة هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى تؤثر شركات التكنولوجيا الخاصة في الدبلوماسية الرقمية بعدة طرق اخرى، منها مراجعة المحتوى ومراقبته، وتنظيم المنصات، وإدارة الفضاء الإلكتروني. وبما انه الحكومات تعتمد بشكلٍ كبير على تلك الشركات في تواصلها وتفاعلها في الساحة الرقمية، هذا ما يمنحها نفوذًا كبيرًا على الممارسات الدبلوماسية. وبالتالي قدرة شركات التكنولوجيا على تنظيم المحتوى على منصاتها سيجعلها تؤثر بشكلٍ مباشر في الدبلوماسية الدولية، حيث تضع الشركات الكبيرة المالكة لمنصات وسائل التواصل الاجتماعي سياسات لمراقبة المحتوى مما يؤثر في كيفية نشر الرسائل والدعاية السياسية والمراسلات الحكومية ،ومن ناحية ثالثة يعد المدراء التنفيذيين لتلك الشركات هم اصحاب الخطاب الدولي بدلا عن المسؤوليين المنتخبين وهذا مايتعارض مع الاعراف الدبلوماسية التقليدية القائمة بالسيطرة على السياسة الخارجية والمشاركة الدبلوماسية .(11) كاساس، اي،2024).

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي والمفاوضات وإدارة الأزمات

لقد غير صعود الدبلوماسية الرقمية ممارسات العلاقات الدولية بشكلٍ جوهري، حيث حوَّل ديناميكيات السلطة بعيدًا عن الجهات الفاعلة التقليدية من الدول ونحو مجموعة واسعة من المؤثرين والشركات الخاصة والمنصات الرقمية. وعلى الرغم من أن وسائل التواصل الاجتماعي أتاحت الوصول إلى الخطاب الدبلوماسي، فقد أدت إلى ظهور مكامن خطر جديدة مثل المعلومات المغلوطة، والاستقطاب المدفوع بالخوارزميات، والتأثير المتزايد لشركات التكنولوجيا على التفاعلات والمشاركة الدبلوماسية. وأنه بدون وجود أطر تنظيمية أو إرشادات أخلاقية واضحة، تظل الدبلوماسية الرقمية ساحة متقلبة يخضع فيها النفوذ غالبًا لمقاييس التفاعل والمشاركة بدلاً من النوايا الدبلوماسية

لقد تمثلت انعكاسات الذكاء الاصطناعي على تحولات الدبلوماسية الدولية من خلال الانتقال من التركيز على القوة الناعمة إلى تبني القوة الرقمية واحدة أبرز التحولات في الدبلوماسية المعاصرة. فبينما تظل القوة الناعمة مهمة، الا ان أشكالها وآلياتها تتغير بشكل جوهري في العصر الرقمي وهذا يتجسد وفق الاتي :

اولا / إضفاء الطابع الخوارزمي على القوة الناعمة: هذا الامرلم يعد يقاس بجاذبية الثقافة والقيم وبعدد الطلاب الوافدين أو مبيعات المنتجات الثقافية، بل اصبح يقاس بمؤشرات رقمية كعدد المتابعين للحسابات الرسمية، بالاضافة الى معدل التفاعل مع المحتوى، والهيمنة على المنصات الرقمية العالمية. وعليه، فقد

تسعى الكثير من الدول إلى "تخصيص" القوة الناعمة باستخدام الخوارزميات لتقديم محتوى ثقافي وسياسي يتوافق مع اهتمامات المستخدمين الأجانب، وهذا ما سيجعل القوة الناعمة تتحول من مفهوم عام إلى تأثير شخصي ومباشر. (12) مانور ايلان ، 2018

ثانيا / بروز مفهوم الهيمنة التكنولوجية: برز هذا المفهوم من الدول التي تمتلك تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة وعلى وجه الخصوص، (الولايات المتحدة والصين) ونفوذهم الهائل فالقدرة على تصدير هذه التقنيات أو منعها تمنحها أدوات للضغط والمساومة.وهذا مايعرف بـ "الدبلوماسية الرقمية" التي شكلت مجالاً للتنافس الاستراتيجي، بموجبها تتنافس الدول على وضع المعايير التقنية العالمية التي تخدم مصالحها .(13) تشابرا،راديكا،2023).

ثالثا / تحليل البيانات: أصبحت البيانات بمثابة "النفط الجديد"فالدول والشركات التي تجمع وتحلل كميات هائلة من البيانات على مستوى العالم معناها لديها القدرة غير مسبوقة على فهم المجتمعات الأخرى والتأثير فيها. هذا الشكل الجديدمن أشكال القوة الرقمية الصلبة وهي الاستخبارات القائمة على البيانات .

رابعا / الدبلوماسية السيبرانية:وتعني اسلوب التفاوض التطوري التكنولوجي حول قواعد السلوك في الفضاء السيبراني وهذا يتمثل بحماية البنى التحتية الرقمية للدولة من الهجمات،فضلا عن القدرة على شن هجمات رقمية مضادة، وهذا جزءاً من ترسانة الدولة الدبلوماسية .(14) محمدعبدالفتاح،2025

خامسا / الدبلوماسية الشعبية الرقمية:هذا النوع من الدبلوماسيات تتيح للمنصات الرقمية للدول تجاوز الوساطة الإعلامية التقليدية والتواصل مباشرة مع شعوب الدول الأخرى. بأستخدام الحسابات الدبلوماسية الرسمية والوسائل الجذابة البصرية فضلا عن مقاطع لفيديو و"ميمات" إلكترونية لنشر روايتها ومنظورها حول الأحداث العالمية ويمثل هذا شكلا حديثا من أشكال القوة الناعمة الرقمية .(15)العربي العربي2021

على اساس ذلك يمكن القول ، بأن النجاح في السياسة العالمية في عصر المعلومات لايعتمد على القوة العسكرية والاقتصادية فحسب ، ولكن أيضاً على القوة الناعمة الذكية، بغية تحقيق القدرة على الجمع بين القوة الصلبة والناعمة في استراتيجيات فعالة بالاعتماد على الأدوات الرقمية مما يخلق هجيناً جديداً هو القوة الرقمية الذكية(16).محمدعدنان،2020،ص8-10

رغم المزايا التي يوفرها الذكاء الاصطناعي، إلا أنه يفرض مجموعة من المخاطر الجسيمة على الممارسة الدبلوماسية والنظام الدولي، ومن ابرزها :

1 – الفجوة الرقمية الدبلوماسية: هنا يهدد الذكاء الاصطناعي بتوسيع الفجوة بين الدول الفقيرة والغنية.من حيث كون الدول التي لا تمتلك البنية التحتية الرقمية والخبرات اللازمة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في دبلوماسيتها قد تجد نفسها مهمشة ومتخلفة في السباق الدبلوماسي العالمي. وهذا مايولد نظاماً دولياً غير

متكافئ، وبالتالي يفسح المجال لهيمنة الدول الرقمية على صنع القرار العالمي .(17)عبدالله الزبيدي،2022،ص67

2 – مخاطرالخصوصية والأمن القومي: يتحدد هذا الخطرمن خلال تحليل البيانات الدبلوماسية القائمة على جمع كميات هائلة من المعلومات الشخصية والعامة من دول أخرى، مما يثير تساؤلات حادة حول انتهاك الخصوصية والسيادة. فضلا عن ذلك ، فإن التركيزالمتزايد على الأنظمة الرقمية يجعل البعثات الدبلوماسية والسفارات أهدافاً سهلة للقرصنة والهجمات الإلكترونية، وهذا ما يهدد الأمن القومي ويكشف الأسرار الدبلوماسية .

3 – مخاطر التلاعب والتضليل: هذا يتجسد باستخدام الذكاء الاصطناعي في شن حملات تأثير وتضليل واسعة النطاق من خلال إنشاء حسابات وهمية (بوتات) تقوم بنشر الدعاية، وكذلك استخدام "التزييف العميق" لتصميم مقاطع فيديو مفبركه لشخصيات سياسية بأقولا وافعال غيرحقيقية. هذا مايزعزع الثقة، التي هي العمود الفقري للعلاقات الدبلوماسية، ويجعل من الصعب تمييز الحقيقة من الخيال في الشؤون الدولية .(18)حسين الجبوري،2021،ص85

4 – مساءلة الخوارزميات والتحيز الخوارزمي: هذا الخطر يتجسد عندما تتخذ خوارزمية ذكاء اصطناعي قراراً خاطئاً يؤدي إلى أزمة دبلوماسية؟ الخوارزميات حيث ان الخوارزميات تقوم على تحيزات كامنة في بياناتها التدريبية، مما قد يؤدي إلى تعزيز الصور النمطية واتخاذ قرارات غير عادلة. مع غياب الشفافية والمساءلة في "صناديق السوداء" الخاصة بالذكاء الاصطناعي وبالتالي هذا يشكل خطرا كبيراً للمسؤولية الدبلوماسية .(19) احمدتوفيق،2020،ص99

5 – تأكل مفهوم الدبلوماسية التقليدية والإنسانية: حيث هناك قلق ساد في واقع المفاوضات الدولية من أن الاعتماد المفرط على البيانات والآلات قد يتمخض عنه تآكل الجوانب الإنسانية في الدبلوماسية، مثل بناء الثقة عبر اللقاءات الشخصية، وفهم الفروق الثقافية الدقيقة، والحدس الدبلوماسي الذي يتشكل عبر سنوات من الخبرة.وعلية ،فأن الدبلوماسية ليست مجرد معادلات خوارزمية، بل هي فن التعامل مع التعقيد البشري (20)احمدفتحي،2025

على اساس ماتقدم ، يمكن القول ،بأن الفجوة التنظيمية والأخلاقية في استخدام الذكاء الاصطناعي دبلوماسياً قد تخلق منطقة رمادية خطيرة، تفسح المجال للدول بالعمل دون مساءلة حقيقية، مما يستدعي حواراً دولياً عاجلاً لوضع مبادئ توجيهية من جهه ، و العمل على تطوير "دبلوماسية الذكاء الاصطناعي" نفسهامن جهه ثانية ، أي التفاوض على معاهدات وأطر دولية تنظم استخدام هذه التقنية في الشؤون الدولية .

المطلب الثالث : المطلب الثالث: التحولات المستقبلية للدبلوماسية في ظل الذكاء الاصطناعي

يأتي هذا التحول مصحوباً بمجموعة من التحديات التي تهدد بتقويض الأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية ، وهو تحول الدبلوماسية من "فن" إلى "علوم". المهارات الإنسانية مثل بناء الثقة عبر نظرة العين، وفهم لغة الجسد، والحدس الناجم عن الخبرة الطويلة، والتعاطف مع الطرف الآخر – كل هذه قد تتآكل أمام الاعتماد على الأرقام والتنبؤات الآلية. الدبلوماسية هي في الأساس علاقة بين بشر، والخوف الحقيقي يكمن في أن يؤدي الإفراط في التكنولوجيا إلى "تجفيف" هذا الجانب الإنساني الحيوي هذه التحديات ليست تقنية بحتة، بل هي سياسية وجودية تمس طبيعة النظام الدولي ذاته

اثبتت الدراسة بأن الذكاء الاصطناعي هو ليس مجرد أداة تطور الدبلوماسية التقليدية، بل هو قوة تحويلية تعيد تشكيلها من جذورها. وعلية انتقلت الدبلوماسية من اعتمادها على آليات القوة الناعمة الثقافية والقيمية إلى تبني أشكالاً هجينة من القوة الرقمية التي تقوم على الهيمنة التكنولوجية، والسيادة البياناتية، والقدرات الخوارزمية. وبذلك تحولت من نشاط بطيء يعتمد على التراكم والعلاقات الشخصية إلى نشاط سريع، استباقي، وقائم على التنبؤ والتأثير الفوري ومن ابرز التحولات المستقبلية :

اولا / الدبلوماسية الاستباقية والتحليلات التنبؤية

لم يعد دور الدبلوماسي رد الفعل، بل التنبؤ بالحدث قبل وقوعه. حيث تقوم أنظمة الذكاء الاصطناعي بتحليل كميات ضخمة من البيانات غير المهيكلة (بيانات وسائل التواصل الاجتماعي، التقارير الإخبارية، صور الأقمار الصناعية، البيانات الاقتصادية) باستخدام تقنيات مثل معالجة اللغة الطبيعية

وكذلك توقع الاضطرابات الاجتماعية التي تقوم على تحليل تغير حدة الخطاب على منصات التواصل في دولة ما للتنبؤ باحتمالية اندلاع احتجاجات

وكذلك تقييم الآثار المستقبلية للسياسات ،عبرمحاكاة تأثير فرض عقوبات اقتصادية على دولة مستهدفة، ليس على الاقتصاد، بل على الاستقرار السياسي والرأي العام ايضا .

وكذلك رصد التحالفات الناشئة من خلال تحليل شبكات التفاعل بين النخب السياسية والإعلامية في دول مختلفة لتوقع تحولات في التحالفات الدولية .

على سبيل المثال: استخدمت بعض الدول تحليل المشاعر لتقييم ردود الفعل الدولية الأولية على مبادراتها الدبلوماسية خلال أزمة ما ، مثل الحرب في أوكرانيا، مما سمح لها بتعديل خطابها الإعلامي والدبلوماسي في الوقت الفعلي . (21)محمدابوغزاله،2025

ثانيا / أتمتة العمليات الدبلوماسية الروتينية والمعقدة

تعد واحدة من ابرز التحولات المستقبلية حيث يقوم الذكاء الاصطناعي بأتمتة مهام كانت تستغرق وقتاً طويلاً وتستهلك موارد بشرية ، منها :

1 –توفر ترجمة فورية للوثائق والخطابات بلغات عالية التعقيد مما يقلل من حواجز اللغة في المفاوضات متعددة الأطراف .

2 – تحليل النصوص القانونية:حيث يمكن للذكاء الاصطناعي من تحليل مسودات المعاهدات والاتفاقيات الدولية، ومقارنتها بقاعدة بيانات ضخمة من الاتفاقيات السابقة والقانون الدولي، لتحديد الثغرات المحتملة ونقاط الخلاف .

المساعدة في الصياغة وهذا يمكن لأنظمة توليد اللغة (GPT) 3 – مساعدة الدبلوماسيين في صياغة البيانات الصحفية، والخطابات .(22) مارلين خليفة،2023

ثالثا / الدبلوماسية العامة الرقمية المتطورة

تمثلت في تحول السفارات إلى منصات إعلامية ذكية.لان الاعتماد على "تويتر" أو "فيسبوك" لم يعد كافياً، بل أصبحت هذه المنصات تُدار باستخدام الذكاء الاصطناعي عبر استهداف شرائح جماهيرية دقيقة و استخدام خوارزميات تحليل البيانات لتقسيم الجمهور الأجنبي إلى شرائح حسب الاهتمامات والموقع والديموغرافيا، وتوجيه محتوى مخصص لكل شريحة وكذلك الرد الآلي الذكي لتطوير "شات بوتات" دبلوماسية ذكية يمكنها الإجابة على استفسارات المواطنين الأجانب حول تأشيرات السفر، وبرامج التبادل الثقافي، ومواقف الدولة من قضايا دولية (23) نوارجليل هاشم،2023

رابعا / الدبلوماسية متعددة الأطراف الذكية

في تتجسد هذا النوع من الدبلوماسية في المحافل الدولية كالأمم المتحدة، حيث أصبح الذكاء الاصطناعي يمثل شريكاً في عملية صنع القرار كنمذجة نتائج التصويت و بناء نماذج تنبؤية لتوقع كيفية تصويت الدول الأعضاء على قرار معين، بناءً على تحليل مواقفها التاريخية، وبيانات خطابات مندوبيها، وتحالفاتها .(24) اميرالساعدي،2025

من خلال ماتقدم ، يمكن القول بأن "هذه التحولات لا تزيد من كفاءة الدبلوماسية فحسب، بل تغير طبيعتها من نشاط إنساني يعتمد على الحدس والخبرة المتراكمة إلى نشاط يعتمد بشكل متزايد على التحليل الآلي والبيانات، مما يثير تساؤلات حول مستقبل اللمسة الإنسانية في العلاقات الدولية .

واخيرا ، فأن التحولات المستقبلية للدبلوماسية في ظل الذكاء الاصطناعي كان لها انعكاسا واضحا على تعميق الفجوة الرقمية الدبلوماسية وتعزيز الهيمنة ،وفق التصنيف الاتي :

1 – دول الذكاء الاصطناعي التي تمتلك التقنيات، والبيانات، ورأس المال البشري، والبنى التحتية .

2 – دول "مستهلكة الذكاء الاصطناعي" التي تضطر لاستئجار أو شراء هذه التقنيات من الشركات أو الدول الكبرى .

3 – دول "هامشية رقمياً": التي تفتقر تماماً للإمكانيات وتصبح غير قادرة حتى على فهم أو متابعة التحولات الدبلوماسية الجديدة .

وهذا ما ينتج عنه ، نظاماً دولياً غير عادل، حيث تهيمن قلة من الدول والشركات التكنولوجية العملاقة على صنع القرار العالمي، بينما تفقد الأغلبية صوتها وفعاليتها الدبلوماسية .

النتائج الرئيسية:

1 – على مستوى الأدوات: أصبح الذكاء الاصطناعي محركاً للدبلوماسية الاستباقية، وأتمت العمليات الروتينية، وحول الدبلوماسية العامة إلى آلة تأثير رقمية دقيقة.

2 – على مستوى المفهوم: تم إضفاء الطابع الخوارزمي على القوة الناعمة، بينما برزت مصادر جديدة للقوة الرقمية مرتبطة بالبيانات والتكنولوجيا والمعايير، مما ولد ما يمكن تسميته "القوة الرقمية الذكية."

3 – على مستوى التحديات او المخاطر: تخلق هذه التحولات فجوة رقمية دبلوماسية، وتزيد من مخاطر انتهاك الخصوصية، والتضليل عبر التزييف العميق، وتقوض المساءلة . و تحيز الخوارزميات، وتهدد بتآكل الجوهر الإنساني للعلاقات الدولية

التوصيات

في ضوء هذه النتائج، تقدم الدراسة مجموعة من التوصيات

اولا / على المستوى الوطني تتمثل بالاتي :

· 1 – الاستثمار في رأس المال البشري: تأهيل دبلوماسيي المستقبل بمعرفة تقنية عميقة في تحليل البيانات والذكاء الاصطناعي، إلى جانب المهارات الدبلوماسية التقليدية

2 – تطوير أطر أخلاقية وطنية: وضع مبادئ توجيهية وطنية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في الشؤون الخارجية، تضمن الشفافية والمساءلة واحترام حقوق الإنسان

3 – تعزيز الأمن السيبراني: تحصين البنى التحتية الرقمية للوزارات والسفارات ضد الهجمات الإلكترونية المتطورة

ثانيا / على المستوى الدولي تتمثل بالاتي :

1 – دبلوماسية الذكاء الاصطناعي: الدفع نحو بدء مفاوضات دولية تحت مظلة الأمم المتحدة لوضع معاهدة أو إطار دولي ملزم لتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي في المجال الدبلوماسي والأمني، تحظر على سبيل المثال استخدام التزييف العميق للأغراض الدبلوماسية العدائية .

2 – سد الفجوة الرقمية: دعم المبادرات الدولية التي تهدف إلى نقل التكنولوجيا وبناء القدرات في مجال الذكاء الاصطناعي للدول النامية، لضمان مشاركتها العادلة في الفضاء الدبلوماسي المستقبلي .

3 – إنشاء منصات حوار: تشجيع إنشاء منتديات للحوار بين الدبلوماسيين، وخبراء التكنولوجيا، والمختصين في الأخلاقيات، لبناء لغة مشتركة ووضع معايير طوعية للاستخدام المسؤول .

خلاصة القول، إن مستقبل الدبلوماسية يكمن في قدرة الدول والمجتمع الدولي على تحقيق التوازن الدقيق بين اغتنام الفرص الهائلة التي يقدمها الذكاء الاصطناعي، وبين كبح المخاطر الوجودية التي يشكلها. الدبلوماسية الناجحة في القرن الحادي والعشرين لن تكون تلك التي تمتلك أحدث الخوارزميات فقط، بل تلك التي تمتلك الحكمة لوضع هذه الخوارزميات في خدمة الإنسانية والسلام، وليس في خدمة الهيمنة والصراع .

الخاتمة

لقد غير صعود الدبلوماسية الرقمية ممارسات العلاقات الدولية بشكلٍ جوهري، حيث حوَّل ديناميكيات السلطة بعيدًا عن الجهات الفاعلة التقليدية من الدول ونحو مجموعة واسعة من المؤثرين والشركات الخاصة والمنصات الرقمية. وعلى الرغم من أن وسائل التواصل الاجتماعي أتاحت الوصول إلى الخطاب الدبلوماسي، فقد أدت إلى ظهور مكامن خطر جديدة مثل المعلومات المغلوطة، والاستقطاب المدفوع بالخوارزميات، والتأثير المتزايد لشركات التكنولوجيا على التفاعلات والمشاركة الدبلوماسية. وأنه بدون وجود أطر تنظيمية أو إرشادات أخلاقية واضحة، تظل الدبلوماسية الرقمية ساحة متقلبة يخضع فيها النفوذ غالبًا لمقاييس التفاعل والمشاركة بدلاً من النوايا الدبلوماسية .

الهوامش

1 – فؤاد الصباغ،الدبلوماسية الثقافية والاقتصادية:من الدبلوماسية التقليدية الى الدبلوماسية الحديثة ،المركزالديمقراطي العربي ،18اغسطس2025وعلى الرابط ادناه:https://democraticac.de/?p=106077

2 – هنادي محمدابراهيم العبيدان ،تطورالدبلوماسية وتعدد ادوارها،المعرف العلمي العربي للابحاث،المجلد6،العدد3،الصفحات131،78 .وعلى الرابط ادناه:

https:/www.hngournal.net/ar/ar/6-3-5

3– نبيل حبشي، قواعد كتابة المراسلات الدبلوماسية، اوراق دبلوماسية، العدد47005، لسنة2015، وعلى الموقع الاتي:

https://gate.ahram.org.ei/Daily/News/121635/43/423126

4 – د.زاحم محمد الشهيبلي،الدبلوماسيةالشعبية في بيئة الاغتراب واهميتها في تعزيز السياسة الخارجية،مقال اكاديمي محكم،الموسوعة السياسية،على الرابط ادناه :

https://political-encyclopedia.org/library/6715

5 – محمدعبدالكريم حسن عزيز،مبادئ القانون الدبلوماسي،الطبعة الاولى،مركزالدراسات العربية للنشروالتوزيع،جمهورية مصرالعربية،2017.

6 – د.اميرالساعدي،استخدام الذكاء الاصطناعي في تطويرالعلاقات الدبلوماسية:نحودبلوماسية جديدة،30مارس2025،وعلى الرابط ادناه:

http://democraticac.de/?=103915

7 – ثريا محمد الحلوي،الدبلوماسية الرقمية:مدخل جديدلادارة السياسة الخارجية،مجلة جامعة الزيتونة،العدد35،لسنة2020،ليبيا.

8 –هنادي محمدابراهيم العبيدان،تطورالدبلوماسية وتعددادوارها،مصدرسبق ذكره.

9 – كرستيان اليكساندر،صعودالدبلوماسية الرقمية:دراسة تأثيرها في عالم يتسم بالترابط الوثيق،مركززيدان للامن والدفاع ،مقال فكري،16مايو2025 وعلى الرابط ادناه:-https://rsdi.ae/ar/publication/the rise-of-digital

10 – دهدال اي ام،عبدالغفاراي،طريق الحرير الرقمي:الدبلوماسية التكنولوجية كنموذج لفهم تبني التكنولوجيا والانظمة الرقميةالناشئة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا،مجلة اسيا للقانون والمجتمع المنشورعبرالانتريت

Doi:10.1017/als.2024.30.26-1:2025

11 – كاساس،اي،الجغرافيا السياسية لحجب الوصول الى المنصات:دراسة عن ايقاف الحسابات المهتمه سياسيا بالشؤون الايرانية،2024،وعلى الرابط ادناه:

https://doi.org/10.1080

12 – مانور ،ايلان،رقمنة الدبلوماسية:نحوتوضيح المصطلحات المجزأة،يناير2018على الرابط ادناه

DigDiploroxwp2.pdf

13 – تشابرا راديكا،دبلوماسيةتويتر :موجز ،11مايو2023،مؤسسةاوبزرفرللابحاث على الرابط ادناه:

TWitterDiplomacy:A Brief Analysis

14 – محمدعبدالفتاح،مفهوم الدبلوماسية السيبرانية،المركزالمصري للفكروالدراسات الاستراتيجية،11-5-2025وعلى الرابط ادناه:

https:/ecss.com.eg/53837/

15 – العربي العربي،الدبلوماسية الرقميةوتأثيراتها في العلاقات الدولية،مركزالجزيرة للدراسات ،العدد10-1- ايار-لسنة2021 وعلى الرابط ادناه:

https://lubab.algazeera.net

16 – د.محمد عدنان محمود، الدبلوماسية في العصرالرقمي والتطورالنوعي في الدبلوماسية التقليدية،سلسلة اصدارات مركزالبيان للدراسات والتخطيط،2020،وعلى الرابط ادناه:

www.bayancenter.org

17 – عبداللة الزبيدي،تحديات هيمنة القوى الكبرى في الذكاءالاصطناعي،مجلة التكنولوجياوالدراسات الدولية،العدد11، 2022، ص67.

18 – حسين الجبوري،التحديات القانونية للذكاءالاصطناعي في العلاقات الدولية،دار الفكرالعربي،2021، ص85.

19 – احمدتوفيق،دورالذكاء الاصطناعي في الحروب الحديثة،دار المعرفة،2020،ص88.

20 – د.احمد فتحي ،تأثيرات الذكاء الاصطناعي على منظومة العلاقات الدولية ،مركز اتون للدراسات ،27، مايو، 2025، على الرابط ادناه:

www.atoonra.com/2025/05/27

21 – محمدابوغزالة ،ثورة الذكاءالاصطناعي:كيف تعيدالتكنولوجيا تشكيل طبيعة العلاقات الدولية؟ ترينذزللبحوث والاستشارات،25يونيو،2025،وعلى الرابط ادناه:

https://trendsresearch.org

22 – مارلين خليفة،الذكاء الاصطناعي في العلاقات الدبلوماسية والدولية،21،1،2023 وعلى الرابط ادناه:

https://masdardiplomacy.com

23 – نوارجليل هاشم،الدبلوماسية الرقمية ودورها في العلاقات الدولية:نماذج مختارة،المركزالديمقراطي العربي،22 مارس 2023 ،وعلى الرابط ادناه:

https:/democraticac.de

24 – اميرالساعدي ، مصدرسبق ذكره .

المصادر

الكتب

1 - حسين الجبوري،التحديات القانونية للذكاءالاصطناعي في العلاقات الدولية،دار الفكرالعربي،2021، ص85.

2 - احمدتوفيق،دورالذكاء الاصطناعي في الحروب الحديثة،دارالمعرفة،لسنة 2020،ص 88 .

الدوريات والمجلات العلمية

1 - ثريا محمد الحلوي،الدبلوماسية الرقمية:مدخل جديدلادارة السياسة الخارجية،مجلة جامعة الزيتونة،العدد35،لسنة2020،ليبيا.

2 - دهدال اي ام،عبدالغفاراي،طريق الحرير الرقمي:الدبلوماسية التكنولوجية كنموذج لفهم تبني التكنولوجيا والانظمة الرقميةالناشئة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا،مجلة اسيا للقانون والمجتمع المنشورعبرالانتريت

Doi:10.1017/als.2024.30.26-1:2025

3 - عبداللة الزبيدي،تحديات هيمنة القوى الكبرى في الذكاءالاصطناعي،مجلة التكنولوجياوالدراسات الدولية،العدد11، 2022، ص67.

4 - نبيل حبشي ،قواعدكتابة المراسلات الدبلوماسية،اوراق دبلوماسية،العدد47005،لسنة2015،وعلى الموقع الاتي:

https://gate.ahram.org.ei/Daily/News/121635/43/423126

5 - د.زاحم محمد الشهيبلي،الدبلوماسيةالشعبية في بيئة الاغتراب واهميتها في تعزيز السياسة الخارجية،مقال اكاديمي محكم،الموسوعة السياسية،على الرابط ادناه :

https://political-encyclopedia.org/library/6715

6 - كرستيان اليكساندر،صعودالدبلوماسية الرقمية:دراسة تأثيرها في عالم يتسم بالترابط الوثيق،مركززيدان للامن والدفاع ،مقال فكري،16مايو2025 وعلى الرابط ادناه:-https://rsdi.ae/ar/publication/the-rise-of-digital

الدراسات

1 – فؤاد الصباغ،الدبلوماسية الثقافية والاقتصادية:من الدبلوماسية التقليدية الى الدبلوماسية الحديثة ،المركزالديمقراطي العربي ،18اغسطس2025وعلى الرابط ادناه:https://democraticac.de/?p=106077

2 – هنادي محمدابراهيم العبيدان ،تطورالدبلوماسية وتعدد ادوارها،المعرف العلمي العربي للابحاث،المجلد6،العدد3،الصفحات131،78 .وعلى الرابط ادناه:

https:/www.hngournal.net/ar/ar/6-3-5

3 – محمدعبدالكريم حسن عزيز،مبادئ القانون الدبلوماسي،الطبعة الاولى،مركزالدراسات العربية للنشروالتوزيع،جمهورية مصرالعربية،2017

4 – – محمدعبدالفتاح،مفهوم الدبلوماسية السيبرانية،المركزالمصري للفكروالدراسات الاستراتيجية،11-5-2025وعلى الرابط ادناه:

https:/ecss.com.eg/53837/

5 – العربي العربي،الدبلوماسية الرقميةوتأثيراتها في العلاقات الدولية،مركزالجزيرة للدراسات ،العدد10-1-ايار-لسنة2021 وعلى الرابط ادناه:

https://lubab.algazeera.net

6 – د.محمد عدنان محمود، الدبلوماسية في العصرالرقمي والتطورالنوعي في الدبلوماسية التقليدية،سلسلة اصدارات مركزالبيان للدراسات والتخطيط،2020،وعلى الرابط ادناه:

www.bayancenter.org

7 – د.احمد فتحي ،تأثيرات الذكاء الاصطناعي على منظومة العلاقات الدولية ،مركز اتون للدراسات ،27، مايو، 2025، على الرابط ادناه:

www.atoonra.com/2025/05/27

8 – محمدابوغزالة ،ثورة الذكاءالاصطناعي:كيف تعيدالتكنولوجيا تشكيل طبيعة العلاقات الدولية؟ تريندزللبحوث والاستشارات،25يونيو،2025،وعلى الرابط ادناه:

https://trendsresearch.org

9 – نوارجليل هاشم،الدبلوماسية الرقمية ودورها في العلاقات الدولية:نماذج مختارة،المركزالديمقراطي العربي،22 مارس 2023 ،وعلى الرابط ادناه:
https:/democraticac.de
الروابط الالكترونية
1 – د.اميرالساعدي،استخدام الذكاء الاصطناعي في تطويرالعلاقات الدبلوماسية:نحودبلوماسية جديدة،30مارس2025،وعلى الرابط ادناه:
http://democraticac.de/?=103915
2 – كاساس،اي،الجغرافيا السياسية لحجب الوصول الى المنصات:دراسة عن ايقاف الحسابات المهتمه سياسيا بالشؤون الايرانية،2024،وعلى الرابط ادناه:
https://doi.org/10.1080
3 – مانور ،ايلان،رقمنة الدبلوماسية:نحوتوضيح المصطلحات المجزأة،يناير2018على الرابط ادناه :
DigDiploroxwp2.pdf
4 – مارلين خليفة،الذكاء الاصطناعي في العلاقات الدبلوماسية والدولية،21،1،2023 وعلى الرابط ادناه:
https://masdardiplomacy.com

بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003: الفرص والتحديات

إعداد

م.د هناء رحيم زيدان

كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

Hanaa.rahim@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص

يعد بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003 أحد أكثر المسارات تعقيداً في مسار تطور الدولة العراقية الحديثة، نظراً لما شهده العراق من تحولات سياسية وأمنية وهيكلية عميقة في مؤسساته الدفاعية والعسكرية، فقد ادى تفكك الجيش العراق وغياب الدولة المركزية الفاعلة انقطاعا بنيويا حادا في المسار التاريخي لبناء العقيدة وتطورها اذا اوجدت فراغا امنيا وعقائديا عانت منه البيئة العراقية، وعليه لا ينظر الى بناء العقيدة العسكرية انها مجرد عملية تتقاطع فيه الابعاد الاستراتيجية والسياسية اذ يستلزم بناء عقيدة تتماشى مع المتغيرات الداخلية والخارجية، ويهدف هذا البحث إلى دراسة عملية إعادة بناء العقيدة العسكرية العراقية في ضوء التحولات الداخلية والإقليمية والدولية، مع التركيز على تحليل الفرص التي توفرت لإنجاحها الى جانب التحديات البنيوية الامنية والسياسية التي واجهتها .

يبين البحث أهم الفرص التي برزت بعد عام 2003 هي انفتاح العراق على برامج التدريب والتأهيل الغربية، وإمكانية تبني عقيدة مهنية حديثة تستند إلى معايير الدولة المدنية والمؤسساتية، فضلاً عن إعادة هيكلة منظومة القيادة والسيطرة بما يتناسب مع متطلبات الأمن الإقليمي والدولي، كما ساهمت التجارب الميدانية في مواجهة تنظيمات كتنظيم "داعش" الارهابي، في المقابل، تواجه العقيدة العسكرية العراقية تحديات جوهرية أبرزها الانقسامات السياسية والدينية وتعدد مراكز صنع القرار الامني وصعود التنظيمات الارهابية، واستمرار تأثير القوى الإقليمية والدولية في رسم التوجهات الاستراتيجية، كما أن غياب رؤية وطنية موحدة للأمن القومي ما أدى إلى تأخر بناء قاعدة فكرية ومؤسساتية قادرة على تحديث العقيدة بما يواكب التحولات الجيوسياسية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: العقيدة العسكرية، العراق، الواقع العسكري، الارهاب، الفرص، التحديات

Abstract:

Building Iraqi military doctrine after 2003 represents one of the most complex paths in the development of the modern Iraqi state. This complexity stems from the profound political, transformations that Iraq has undergone within its defense and military security, and structural institutions. The disintegration of the Iraqi army and the absence of an effective central state led to his occurred within a a sharp structural break in the historical trajectory of doctrine development. T security and ideological vacuum that plagued the Iraqi environment. Therefore, building military doctrine is not merely a process where strategic and political dimensions intersect; it necessitates a and external changes. This research aims to study the process of doctrine that aligns with internal rebuilding Iraqi military doctrine in light of internal, regional, and international transformations, ral security focusing on analyzing the opportunities that arose for its success alongside the structu .and political challenges it faced

The research highlights that the most significant opportunities that emerged after 2003 included Iraq's openness to Western training and development programs, the possibility of adopting a doctrine based on the standards of a civil and institutional state, and the modern professional restructuring of the command and control system to align with regional and international security ntributed to this. requirements. Field experiences in confronting organizations such as ISIS also co Conversely, the Iraqi military doctrine faces fundamental challenges, most notably political and making centers, the rise of terrorist -religious divisions, the multiplicity of security decision of regional and international powers in shaping organizations, and the continued influence strategic directions. Furthermore, the absence of a unified national vision for national security has delayed the development of an intellectual and institutional foundation capable of modernizing the .e to keep pace with evolving circumstancesdoctrin

Keyword Military Doctrine, Iraq, Military Reality, Terrorism, Opportunities, Challenges

المقدمة

شهدت البيئة الامنية العراقية بعد عام 2003 ارباك امنيا كبيرا وخطيرا بسبب جملة من المتغيرات المؤسسة العسكرية وأبرزها تفكيك الجيش العراقي مما ترتب عليه غياب عقيدة عسكرية واضحة إذ فرض على الدولة العراقية تحديا استراتيجيا عسكري بالغ التعقيد تمثل بدوره إعادة بناء المؤسسة العسكرية وفق وعقيدة جديدة تتماشى مع طبيعة الأوضاع والتحديات الأمنية المستجدة وأن إعادة بناء عقيدة عسكرية لا يقتصر فقط على إعداد الجيوش بل عملية متكاملة تتعلق بتوزيع الأدوار والمهام تحديد طبيعة التهديدات سواء داخلية أو الخارجية وترسيخ مبدأ الولاء للدولة ففي الحالة المؤسسة العسكرية العراقية تميزت هذه العملية بتداخل سياسي امني إقليمي ودولي مما جعل مسار إعادة بناء العقيدة العسكرية تواجه تحديات رغم توفير الفرص الداخلية والخارجية .

اهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الاهداف الاتية:-

1- التطرق إلى مفهوم العقيدة العسكرية .

2- التعرف على الوقع العسكري العراقي بعد عام 2003 .

3- التعرف على الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003

اهمية البحث

تأتي اهمية الدراسة كونها تحاول البحث في موضوع مهم وحيوي يحظى باهتمام صانعي القرار السياسي والعسكري ومراكز الابحاث الاكاديمية في مراجعة مسارات التطوير العسكري، كما وتأتي اهمية البحث كونه يسلط الضوء على مسار صياغة العقيدة العسكرية العراقية منذ عام 2003، عبر فهم السياقات العامة التي حكمت هذه المرحلة، واستكشاف الفرص التي توفرت لإنجاحها الى جانب التحديات البنيوية الامنية والسياسية التي واجهتها .

اشكالية البحث

يمكن القول ان العراق مر بتحولات مختلفة ذات طابع متغير على وتيرة متسارعة، مما زاد من حجم الاحداث والتحديات التي تواجه العراق، بما يتعلق بالجوانب العسكرية والعقائد والاداء، فإنها تتعلق بكيان الدولة وبقائها، وهنا نطرح سؤال مركزي **(ما مدى نجاح العراق في بناء عقيدة عسكرية جديدة بعد عام 2003؟ وما هي ابرز الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية؟)** ومن تندرج مجموعة من الاسئلة الفرعية كالاتي :

- ما هو مفهوم العقيدة العسكرية ؟
- ما هو الواقع العسكري العراقي بعد 2003 ؟
- ما هي ابرز الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003؟

الفرضية البحث

تفرض فرضية الدراسة التي لا تقل اهمية عن الاشكالية كأحد مقومات البحث العلمي التي تقوم بأثبات أو نفي طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث التي تضعها الاشكالية وحلها الاتي (ان عملية بناء العقيدة العسكرية بعد 2003 واجهت تحديات بنيوية وأمنية وسياسية احلت دون تشكيل عقيدة موحدة، رغم توفر فرص داخلية وخارجية كانت قابلة للاستثمار) .

منهجية البحث

تم الاعتماد على أكثر من منهج في الدراسة، فقد تم اعتمد **المنهج الوصفي التحليلي** في دراسة مفهوم العقيدة العسكرية عبرعرض التعريفات النظرية الواردة في الادبيات العسكرية وتحليل مكوناتها وابعادها، وتم اعتمد **المنهج التاريخي** لتتبع تطور الزمني للعقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003، عبر رصد المراحل الاساسية التي مرت بها، وصولا الى ملامح واقعه الراهن، وكما واعتمد **المنهج الاستقرائي** في استخلاص الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003 عبر تتابع الوقائع والمعيطات الجزئية المتعلقة بالواقع الامني والعسكري والسياسي .

هيكلية البحث

يتمحور البحث حول ثالث محاور رئيسية فضلا عن المقدمة والخاتمة، فبالنسبة للمحور الاول: فتناول الاطار النظري لمفهوم العقيدة العسكرية، وينقسم إلى نقطتين اولا مفهوم العقيدة العسكرية لغويا واصطلاحا، والثاني تناول اهمية العقيدة العسكرية، بينما تناول المحور الثاني: واقع العقيدة العسكرية العراقية وتحولاته بعد عام 2003، بينما تناول المحور الثالث والاخير: تناول الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003، الذي انقسم إلى نقطتين اساسيين الاولى: الفرص المتاحة لبناء العقيدة العسكرية العراقية، والثانية: التحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية .

المبحث الاول: مفهوم العقيدة العسكرية

مما لا شك فيه ان لكل دولة عقيدة عسكرية خاصة بها، تصاغ على وفق ما تملكه الدولة من قدرات وامكانيات عسكرية، وتختلف تلك العقيدة العسكرية من دولة إلى اخرى اذ لا توجد استراتيجية عسكرية من دون عقيدة عسكرية، وعلى الرغم من ان مصطلح العقيدة العسكرية مصطلح مألوف في تاريخ الجيوش، لاسيما لدى العسكريين المحترفين، لكن يشوبه الغموض والتعقيد، على الرغم من ممارستنا للمضامين العقيدة العسكرية في حياتنا اليومية بشكل او بأخر، إلا اننا نفتقر إلى المعرفة العميقة لهذا المصطلح المهم، الذي لازال الغموض يشوب المستويات العسكرية المختلفة، وتعدد التعريفات والمفاهيم التي تناولت العقيدة العسكرية، فضلاً عن التدخل والترابط بين العقيدة العسكرية والمذهب العسكري والعقيدة القتالية، من اجل التوضيح سيتم تقسيم المبحث على ثلاثة نقاط اساسية وفق كالاتي:-

اولاً:- مفهوم العقيدة العسكرية

برز مفهوم العقيدة العسكرية بوضوح عقب الحرب العالمية الثانية، ليغدو احد المفاهيم الاساسية المتداولة على نطاق واسع في الخطاب العسكري والادبيات الرسمية، ومع مرور الزمن، ترسخ هذا المفهوم وتطور تبعاً لاختلاف النظم السياسية والعسكرية، وتباين البيئات الاستراتيجية، الامر الذي انعكس على تعدد نماذج العقائد العسكرية واختلاف مضامنيها من دولة الى اخرى، ولا يمكن توظيف قوة الدولة ممثلة بالمؤسسة العسكرية كأداة وطنية وحاسمة لضمان الأمن والاستقرار ومنع النزاعات الداخلية وفرض السيطرة من دون وجود عقيدة عسكرية واضحة وشاملة، فتعد العقيدة الاطار الناظم لاستخدام القوة، والقائمة على اسس وقواعد محدد تطبق على مختلف المستويات، ولا يجوز الخروج عنها الا بما تتطلب المصلحة العليا للدولة، (الزيداني، 2022) لذا لابد من توضيح مفهوم العقيدة العسكرية لما لها من دور في رسم السياسة العليا للدولة ودورها في الامن القومي للدولة، فضلاً عن توضيح مصادرها وعناصرها وفق الاتي:

- **نبدأ أولاً بتعريف (العقيدة) لغةً**، فتعرف هي ما عقد عليه القلب والضمير ويدين به الانسان ولا يقتصر هذا على العقيدة العسكرية فقط، وانما يشمل مختلف العقائد وفي مقدمتها العقيدة الدينية، (العمار، 2011) ولفظ العقيدة تعريب لكلمة "Doctrine" وهي كلمة لاتينية الاصل وتعني النظرية العلمية والفلسفية، وقد وردت في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ان العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده، والجمع عقائد، كما تعرف انها "الاعتقاد من دون العمل كعقيدة وجود الله تعالى يدافع المرء عن عقيدته–عقيدة هدامه".(مجمع اللغة العربية، 2011) وتعرف العقيدة في الاسلام التي ورد لفظها ومشتقاتها في القرآن بالمعنى، الذي يفيد التوثيق والاحكام وايجاد رابطة بين شيئيين، كما ذكرها كتاب الله عز وجل (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَنِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَنَ). (القران الكريم، سورة المائدة، الآية89)

إما الموسوعة السياسية فهي تعرف العقيدة بأنها "مجموعة افكار وتصورات ومقترحات مترابطة تشكل تفسيراً للحركية التاريخية وتقدم خطة عمل لتحقيق الانسجام والتوفيق بين المصالح الاجتماعية بطريقة مرغوبة, تؤمن اهدافاً سياسية تحظى بتأييد عام أو لدى الأغلبية أو بجاذبية لقطاعات قوية ومؤثرة في الهرم الاجتماعي" .(الكيالي، 2007)

- **وتعرف العقيدة اصطلاحا:** بأنها " أي مجموعة صريحة من المعتقدات تهدف إلى شرح الواقع وعادة ما تحدد اهدافاً للعمل السياسي, وتشكل مجموعة متماسكة من العقائد الايديولوجية"،(Lough,2000) وعرفت العقيدة انها " مُثُل عليا يؤمن بها الانسان".(الشهري،2003) وتعرف العقيدة وكما جاء في

الكتاب (قاموس المصطلحات العسكرية) "انها جميع المبادئ والسياسات الفنية او الاساليب التي بموجبها تتمكن القوات المسلحة والعناصر من توجيه أعمالها، أنها تستنبط من الافكار المتطورة المتفق عليها، سواء من الخبرة او النظريات وهذه تمثل احسن الاراء المسيرة لكي يمكن الدفاع عنها بالنتائج" . (امين، 1982)

- **أما مفهوم العقيدة العسكرية** يمثل الأسس والمبادئ الرئيسة اللازمة للبناء العسكري للدولة، إذ توفر العقيدة العسكرية رؤية متماسكة للحرب" ربما أكثر من أي مهنة اخرى، وتعزز التفكير في المستقبل وتعد الوسيلة الرئيسة التي يتم عبرها إيصال هذه الافكار بين المحترفين العسكريين والقادة المدنيين في البلاد، وتعرف العقيدة العسكرية "هي عبارة عن مجموعة الافكار والنظريات والمبادئ والقواعد التي تخص العلم العسكري وفن الحرب التي تشمل مجالات: التنظيم، والتسليح، والتدريب، والاستخدام في الحرب لتحقيق الاهداف العسكرية ومن ثم تحقيق أهداف الأمة" (الداغستاني،2019)

كما وتعرف بأنها "جميع المبادئ والاساليب التي تُمكن القوات المسلحة من إدارة أعمالها في السلم والحرب، والمستنبطة من الافكار والممارسات المختلفة النابعة من الخبرة العملية والدراسات النظرية".(شكري، 2016)

فإن العقيدة العسكرية تعبر عن "مجموعة من الأسس والمبادئ الضرورية لعملية البناء العسكري للدولة وبذلك تهتم برؤى الدولة المرتبطة بطبيعة الحرب وآليه ادارتها، وتعبر عن التعاليم العلمية والنظرية التي ترتبط بالحرب وتوفر القدرة للقوات المسلحة على توجيه اعمالها" .(فهمي، 2010)

والعقيدة العسكرية "هي التي تحدد مسالك ودروب الفعل الاستراتيجي العسكري الهادف، وذلك باستخدام القوة العسكرية أو التهديد باستخدامها"، وتؤثر في عملية بناء العقيدة العسكرية جملة من العوامل التي اهمها : (حسين& عبيد، 2013)

- طبيعة استراتيجية الامن القومي المعتمدة لدى الدولة .
- العامل التكنولوجي .
- طبيعة التهديدات الداخلية والخارجية المدركة .
- الموارد القومية المخصصة لبناء القوة .
- الولاء للوطن .

كما وان العقيدة العسكرية "تُعنى بوجهات النظر الرسمية للدولة المرتبطة بقواعد الاشتباك الاساسية للصراعات المسلحة، وطرائق ادارتها والوسائل التي تسلكها الدولة لردع الاخطار، فالعقيدة العسكرية بهذا المعنى يراد بها الركائز والمبادئ الرئيسة المطلوبة لبناء القوة العسكرية للدولة". (النائلي، 2022)

- **أما مفهوم العقيدة القتالية** أنها(التصميم والتنظيم وأسلوب القتال خوض حرب متوقع بما في ذلك أسس وأساليب إعداد القوات وتجهيزها وتدري بها لخوف الحرب من أجل لتحقيق أهداف العسكرية وبالتالي تحقيق الأهداف الوطنية وبالمفهوم العسكري هي مجموعة من الآراء والأفكار التي تخص العلم العسكري وفن الحرب التي يجري تطبيقها من قبل القوات المسلحة سلما وحرب مستر شدا بالخبرات والمتراكم السابقة وطموح إلى التطور لتحقيق أهداف السوق العسكري وذلك على شكل تعليمات أو مبادئ نظرية وعملية لغرض تعبئة الدولة والقوات المسلحة للحرب). (الداغستاني، 2019)

ثانياً: مصادر العقيدة العسكرية

تستمد العقيدة العسكرية مصادرها من أوجه عديدة منها: (وزارة الدفاع العراقية، 1987)

1- العقيدة الشاملة للدولة: تعد المرتكز الاساسي لجميع مستويات العقيدة بشكل عام، والعقيدة العسكرية الأساسية بشكل خاص .

2- العامل الاقتصادي وتأثيره في بناء العقيدة العسكرية من خطة التنمية والاستقلال الاقتصادي ونقلها للتنفيذ مع تبني استراتيجية ملائمة تحزم اهداف الاستراتيجية العليا .

3- الموقع الجغرافي للدولة: إذ يمثل موقع الدولة المحدد لحجم تنظيماتها العسكرية ونوعيتها وطريقة استخدامها، كما لموارد الدولة المختلفة دور في تحديد مركزها عالمياً وسياستها الداخلية والخارجية .

4- الاستراتيجية العسكرية للدولة، ينعكس تأثير تنفيذ الاستراتيجية العسكرية بشكل مباشر على وضع العقيدة العسكرية, لاسيما التنظيمية والبيئية اللتين يجب تطويرهما بشكل يتناسب مع متطلبات الاستراتيجية العسكرية للدولة .

5- التطورات التقنية والتكنولوجية: إذ يؤدي هذا العامل دوراً كبيراً في تطوير وتحديث العقيدة العسكرية على المستويات المختلفة، ولاسيما على مستوى العقيدة البيئية والتنظيمية .

6- طبيعة الحروب القادمة: من ناحية نوعها وشكلها ووسائلها العسكرية للدولة على مختلف المستويات .

7- الدروس المستنبطة من الماضي: إذ يعد التاريخ العسكري مصدراً فعالاً وناجحاً لبناء العقيدة العسكرية وتطويرها, لأنه حصيلة خبرة وتجارب سابقة .

ثالثاً:العناصر الاساسية التي تتكون منها العقيدة العسكرية (عودة، 2019)

- القيادة في المهام والسيطرة المفصلة
- روح القتال .
- التفكر بمفهوم المناورة .
- مبادئ الحرب .
- العمليات المشتركة .
- المرونة والتطبيق العملي .

المحور الثاني: واقع العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003

شكل عام 2003 نقطة الانكسار الكبرى في تاريخ المؤسسة العسكرية العراقية، ليس بسبب سقوط النظام السياسي القائم انذاك فقط، بل نتيجة القرار البنيوي الذي اتخذته سلطة قوات الاحتلال الامريكي الصادر عن الحاكم المدني بول بريمر في 23 ايار 2003 رقم (2)، بحل الجيش العراقي برمته، وزارة الدفاع، وكلية الهندسة العسكرية، وجميع التشكيلات الامنية والعسكرية التابعة للنظام السابق، (البصرة نت، 2023)، مما ادى الى انهيار منظومة كاملة من العقيدة القتالية والتراتبية والانضباط والتقاليد العسكرية التي شكلت الاطار الفكري والتنظيمي للجيش، وجد العراق نفسه فجأة بلا جيش فعّال وبلا عقيدة قتالية تحكم استخدام القوة أو تحدد طبيعة التهديدات أو تبني رؤية دفاعية واضحة، لقد أدى ذلك إلى حالة فراغ أمني وعسكري واسعة، وفتح المجال امام فوضى أمنية وتمدد الفاعلين من غير الدول، وترك الحدود العراقية مفتوحة امام دخول مجموعات ارهابية مسلحة، مما أعاقت قدرة الدولة على فرض سيادتها الداخلية، وخلقت بيئة مضطربة حاولت الحكومات المتعاقبة التعامل معها بوسائل غير ناضجة وبعيدة عن أي تصور عقائدي ثابت.(Tripp, 2007)

وفي السنوات الأولى بعد عام 2003، لم يكن الجيش العراقي الجديد يعيد بناء نفسه وفق رؤية وطنية مستقلة، بل وفق تصوّر أمريكي يهدف إلى بناء قوات ضعيفة تعنى بمجابهة التمرد أكثر من خوض الحروب النظامية أو حماية الحدود الوطنية المخترقة للجميع الفواعل من الدول ومن غير الدول، وبدل أن ينطلق الجيش من عقيدة واضحة تتسق مع طبيعة البيئة العراقية الجيوسياسية، جرى تشكيله وفق برامج تدريبية أجنبية ركزت على مهام الأمن الداخلي، والعمليات السريعة، وملاحقة الجماعات الارهابية المسلحة، فيما جرى إهمال بناء القدرات الاستراتيجية والردعية، مما انعكست هذه المقاربة على طبيعة العقيدة العسكرية التي ظلت غائبة ومحصورة في مفاهيم جزئية غير مكتملة لا تمتلك القدرة على بناء "هوية قتالية" شاملة للجيش،

ما زاد المشهد تعقيدًا التدخل السياسي في بنية المؤسسة العسكرية، وغياب الانسجام بين الأجهزة الأمنية كمعدلات التسرب العالية من التدريب وعدم كفاية الرواتب، الامر الذي اثر على جاهزيته التشغيلية منذ بداية وجوده ، مما أدى إلى ضعف التنسيق وتشتت منظومة القيادة والسيطرة داخل المؤسسة العسكرية، في وقت كان العراق بأمس الحاجة إلى بناء جيش قوي ومهني يستند إلى عقيدة وطنية راسخة.(Tripp, 2007)

ومع حلول عام 2011، دخل العراق مرحلة جديدة اتسمت برحيل القوات الأمريكية بشكل شبه كامل، الذي مثل هذا الانسحاب اختباراً حقيقياً للجيش، اذ وجد نفسه مسؤولًا عن حماية بلد يعاني من اضطرابات داخلية وتهديدات متصاعدة دون وجود بنية عقائدية أو خبرات استراتيجية متماسكة، فقد كشفت المؤسسة العسكرية عن هشاشة بنيوية عميقة تمثلت في ضعف الجاهزية القتالية، إذ لم تكن تمتلك خبرة ميدانية كافية في عمليات واسعة النطاق، ولا منظومة استخبارية قادرة على مواجهة التحولات المتسارعة في البيئة الأمنية، كما أن توسع المؤسسة من حيث العدد لم يكن مترافقًا مع تطور نوعي في القدرات أو في صياغة عقيدة مهنية، فظل الجيش يتضخم شكليًا بينما يعاني من هشاشة تنظيمية وضعف واضح في الروح القتالية، وهو ما تمثل لاحقًا في واحدة من أكبر الانهيارات العسكرية في تاريخ الدولة العراقية.

وفي عام 2014، بلغ الضعف العقائدي ذروته مع دخول التنظيمات الارهابية المتمثلة بتنظيم "داعش" الارهابي الذي تمكن من السيطرة على الموصل وأجزاء واسعة من الأراضي العراقية، إذ كان سقوط الموصل حدثًا صادمًا كشف بشكل واضح أن الجيش الذي أُعيد بناؤه بعد عام 2003 لم يمتلك عقيدة قتالية راسخة قادرة على مواجهة هذا التنظيم الارهابي، فقد أدت أزمة القيادة، وفقدان الانضباط، وغياب المعايير المهنية، إلى انهيار مفاجئ لقطعات عسكرية كبيرة انسحبت دون قتال يذكر، مما أكد أن المشكلة لم تكن في السلاح أو العدد بقدر ما كانت في غياب عقيدة عسكرية واضحة التي تشكل روح المؤسسة العسكرية، إذ لم يكن لدى الجيش إطار ذهني أو تدريبي استراتيجي لكيفية خوض حرب غير تقليدية، كما لم يمتلك رؤية واضحة للتعامل مع تهديدات قائمة على حرب المدن والهجمات السريعة التي تبناها التنظيم الارهابي "داعش"، وتفاقم الوضع مع ضعف التنسيق بين القوات الأمنية، مما أدى إلى اتساع رقعة الانهيار وخلق واقع عسكري خطير كان من الممكن أن يقود إلى سقوط الدولة برمتها، وعليه شكل هذا الانهيار نقطة تحول أساسية في مسار العقيدة العسكرية العراقية، إذ وجد الجيش نفسه أمام لحظة وجودية تتطلب إعادة تعريف دوره وغاياته وطرائق قتاله.(الجميلي واخرون ، 2022)

ومع بدء معارك التحرير الاراضي في أواخر 2014، بدأت العقيدة العسكرية الجديدة تتشكل على الأرض، فالحرب ضد تنظيم "داعش" فرضت على الجيش العراقي أن يتعلم بسرعة، وأن يعيد بناء نفسه وفق متطلبات معارك معقدة تجمع بين تطهير المناطق الواسعة، وحرب المدن، والعمل الاستخباري المستمر، والعمليات المشتركة مع قوات أخرى كجهاز مكافحة الإرهاب والشرطة الاتحادية والحشد الشعبي، وخلال معارك الموصل والأنبار وصلاح الدين، بدأت الروح القتالية تعود إلى وحدات الجيش التي اكتسبت خبرات ميدانية كبيرة مكنتها من خوض عمليات معقدة وواسعة النطاق، لم تعد العقيدة العسكرية مجرد تعليمات، بل تحولت إلى ممارسة يومية تنتج عبر تفاعل القادة والجنود مع واقع متغير وخصم شرس يعتمد تكتيكات غير تقليدية. (الجميلي واخرون، 2022) .

ومع حلول عام 2017، ومع إعلان النصر على تنظيم "داعش" الارهابي، دخل العراق مرحلة جديدة كان لها أثر عميق في مسار بناء العقيدة العسكرية العراقية، فقد أسهمت الحرب على الارهاب في إعادة صياغة مفاهيم القوة والردع لدى الجيش العراقي، كما وأكدت أن التهديدات غير التقليدية باتت جزءًا من البيئة الأمنية العراقية، وأن العقيدة العسكرية لا يمكن أن تعود إلى صيغة ما قبل 2003 القائمة على الحروب النظامية وحدها، ومع انتهاء العمليات الكبرى، بدأت المؤسسة العسكرية تعمل على تحويل الخبرات التي اكتسبتها إلى عقيدة مكتوبة تضع مبادئ للاستخدام الأمثل للقوة، وتعيد تنظيم مهام القوات المسلحة بما يعكس واقعية جديدة قائمة على حماية الجغرافية الوطنية من الإرهاب والاختراقات الأمنية، إلى جانب الحفاظ على جاهزية مناسبة لمواجهة التهديدات الإقليمية المحتملة.(Knights, 2016)

وفي مرحلة ما بعد عام 2017، أخذت العقيدة العسكرية تتطور تدريجيًا نحو رؤية أكثر وضوحًا، مع دخول العراق في برامج تدريب دولية، وتحديث نسبي للتسليح وعودة الاهتمام بالطائرات والمدرعات وأنظمة المراقبة الحديثة، كما أصبح الجيش أكثر مهنية واستقلالية مقارنة بما كان عليه قبل عام 2014، وأصبح التركيز أكبر على بناء منظومة استخبارية فعالة تشكل الأساس لأي عقيدة ناجحة، إلا ان هذه الجهود اصطدمت بتحديات سياسية وامنية واقتصادية متداخلة، وتعدد القوى المسلحة، وضعف مأسسة العمل العسكري بشكل كامل، والضغوط الاقليمية والدولية، وجائحة كورونا (2020–2021) لتضيف عبئا جديدا على المؤسسة العسكرية العراقية، إذ انخرطت القوات المسلحة الى الانخراط في مهام غير تقليدية تتمثل بفرض الحظر، وتأمين المدن، مما اثر جزئيا على جاهزيتها القتالية، لكنه في الوقت ذاته عززت من حضورها في المجال الامني– الاجتماعي . (**MERI**. 2022)

اما المرحلة التي تلت عام 2023، فقد تميزت بتحولات كبيرة وملحوظة في الواقع العسكري العراقي، في ظل تراجع العمليات الارهابية ذات النطاق الواسع، وتنامي الحديث عن سيادة الدولة، واعادة ضبط العلاقة بين المؤسسة العسكرية والجماعات المسلحة، إذ شهدت هذه المرحلة توجها رسميا نحو تعزيز مهنية الجيش، وتطوير القدرات الدفاعية، لا سيما في مجالات مكافحة الارهاب وحماية الحدود، ولكن على الرغم من التطور الكبير داخل المؤسسة العسكرية تبقى محكومة بتحديات استراتيجية تتعلق بغياب عقيدة عسكرية وطنية واضحة وشاملة، وتأثير التدخلات الاقليمية والدولية (التي ستنطرق لها بشكل مواسع في المحور الثالث)، ويبقى نجاح العقيدة العسكرية العراقية مرهونا بأصلاح بنيوي شامل وفصل واضح بين السياسي والعسكري .

المحور الثالث: الفرص والتحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003

افرزت مرحلة ما بعد عام 2003 واقعا مركبا لعملية تشكيل العقيدة العسكرية العراقية اتسمت بتزامن فرص اعادة التأسيس مع تحديات بنيوية امنية وسياسية حدت من تبلوها، فقد اتاح غياب العقيدة العسكرية امكانية صياغة تصور جديد يستجيب لطبيعة التهديدات المستجدة، إلا ان هذا التوجه اصطدم بغياب المرجعية العقائدية الموحدة، وهيمنة الاعتبارات الامنية الآنية، وتعدد مصادر التأثير، وعليه تشكلت العقيدة العسكرية في اطار غير مستقر، عكس حالة التوتر بين المتطلبات البناء المؤسسي والحاجة الملحة للاستجابة الامنية، بما قيد فاعليتها واضعف قدرتها على التحول الى عقيدة استراتيجية متكاملة، وعليه سيتم تقسيم المحور الى نقطتين اساستين وفق الاتي:-

اولا: الفرص المتاحة لبناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003

اتاحت التحولات الكبيرة التي مرت بها البيئة العراقية الامنية بعد عام 2003 فرصا كثيرا لاعادة صياغة العقيدة العسكرية العراقية بما ينسجم مع متطلبات الدفاع الوطني ومواجهة التهديدات غير التقليدية، كما وفرت عملية اعادة التاسيس امكانية ادخال مفاهيم مهنية حديثة في التدريب والتنظيم والتأهيل، وفي ما ياتي ابرز الفرص التي ساهمت في اعادة بناء العقيدة العسكرية العراقية :-

1- **اعادة تأسيس المؤسسة العسكرية:** على الرغم من ان حل الجيش العراقي شكل ازمة كبيرة بعد عام 2003 الا ان هذه الخطوة اوجدت فرصة لأعادة تأسيس المؤسسة العسكرية دون قيود إرث العقيدة العسكرية السابقة، فقد اصبح بالأمكان تطوير قدرات العمليات المشتركة، وادخال نظم تدريب حديثة، وتصميم هيكل

تنظيمي يعكس الاحتياجات الواقعية للجيش العراقي، كما أتاح التأسيس تبني مفهوم الجيش كأداة وطنية مستقلة عن الولاءات الطائفية والسياسية، وعبر هذا الفراغ المؤسسي يمكن تطوير عقيدة مرنة وقابلة للتحديث مع تطور التهديدات غير التقليدية، كذلك التركيز على بناء ثقافة عسكرية مهنية تحاكي التجارب العالمية تتناسب مع السياق العراقي، وعليه تتحول الازمة السابقة الى فرصة لاعادة هيكلية المؤسسة العسكرية لاسيما بعد تحديث منظومات التسليح والاتصالات وادخال التكنولوجية الحديثة كالطائرات المسيرة، والاتصالات المشفرة، والاتصالات المشفرة، وانظمة ادارة المعركة الرقمية، فالعقيدة العسكرية تحتاج إلى جيش شبكي يعتمد على المعلومات الدقيقة والتواصل اللحظي، وهذه المنظومات تمثل نواة لهذه القدرة .(الجميلي واخرون، 2022)

2- الدستور العراقي لعام 2005: يمثل الدستور العراقي اطارا قانونيا مهما يمكن توظيفه كفرصة اساسية لبناء عقيدة عسكرية وطنية شاملة بعد عان 2003، إذ نص الدستور على خضوع المؤسسة العسكرية (القوات المسلحة) للسلطة المدنية المنتخبة، وحظر استخدامها او تسييسها في الصراعات الداخلية، كما ويوفر هذا النص اساسا قانونيا واضحا لأعادة تعريف دور الجيش ووظيفته باعتباره اداة لحماية السيادة الوطنية للبلاد، لا اداة بيد السلطة السياسية، (Fanar,2011) كذلك يتيح الدستور امكانية ترسيخ مبدأ الحياد والمهنية داخل المؤسسة العسكرية، إذ يمثل عنصرا جوهويا في العقائد العسكرية الحديثة، فضلا عن ما يعزز الدستور من الشرعية المؤسسية في صياغة العقيدة العسكرية، ويحد من التداخل السياسي، ويوفر اطارا مرجعيا يمكن البناء عليه في التشريع العسكري، والتدريب، والعلاقات المدنية- العسكرية .(دستور العراق، 2005)

3- التهديدات الامنية: تعددت التهديدات الامنية بعد عام 2003 التقليدية وغير التقليدية ما بين العنف الطائفي، والارهاب، والجماعات المسلحة والجريمة المنظمة، مما شكل فرصة لبناء عقيدة عسكرية متعددة الابعاد شاملة ومتكاملة تتلائم مع هذه البيئة المضطربة، فتنوع التهديدات يدفع المؤسسة العسكرية الى دمج الامن الداخلي مع الدفاع الخارجي، ومحاولة التركيز على التهديدات غير التقليدية، كما ان هذا الواقع الامني يسمح بإعادة تصميم التدريب العسكري ليشمل ادارة الازمات، ومواجهة الارهاب، والعمليات المشتركة مع الاجهزة الامنية الاخرى، وعبر هذا التحدي يمكن للعقيدة العسكرية العراقية الجديدة ان تكون اكثر مرونة وواقعية، وان استثمار هذه الفرصة يتطلب تبني مفاهيم القيادة الميدانية الحديثة، وتطوير خطط مرنة للتعامل مع مختلف السيناريوهات الامنية .(الجزيرة للدراسات، 2012)

4- **الخبرة القتالية بعد عام 2014:** مثلت الحرب ضد تنظيم "داعش" بعد عام 2014 تجربة حقيقية للمؤسسة العقيدة العسكرية العراقية إذ اظهرت نقاط الضعف لكنها وفرت خبرة ميدانية كبيرة ومهم، إذ مكنت هذه الحرب الجيش من اختبار الهياكل التنظيمية والتدريبية، وتجربة التعاون بين صنوف القوات المختلفة،

وكذلك تطوير اساليب القيادة والسيطرة، فضلا عن اتاحت الفرصة لتحليل الاداء العملياتي واستخلاص الدروس المستفادة مما يساعد على تحسين الخطط العسكرية المستقبلية، واستنادا من هذه التجربة يمكن توجيه العقيدة العسكرية نحو مواجهة التهديدات اللامتماثلة بشكل اكثر فعالية، وبناء قوات مسلحة ومرنه قادرة على التصدي للتهديدات المستقبلية، وعليه اصبحت العقيدة العسكرية العراقية اكثر وضوحا ومن خلال هذه الحرب التي مثلت عنصرا جوهريا في تطوير العقيدة الحديثة .(الشمري، 2018)

5- **الدعم الدولي وبناء القدرات:** شهد العراق بعد عام 2003 دعما دوليا واسعا في مجال اعادة بناء المؤسسة العسكرية (قواته المسلحة) بما فيها التسليح والتدريب والاستشارات العسكرية، كما اتيحت الفرصة للعراق الاطلاع على برامج التدريب الدولية وتنوع المدارس العقائدية كالمدرسة الامريكية والبريطانية وحلف الناتو والتركية، إذ سمح هذا الدعم بتبني نظم قيادة وسيطرة متطورة، وتطوير الكوارد البشرية وفق اساليب التدريب والتسليح العالمية، كذلك اتاح الدعم الدولي تسهيل ادخال التقنيات الحديثة في العمليات المدنية، وهذا يمكن صناع القرار من صياغة عقيدة محلية تستفيد من الخبرات العالمية، فضلا عن أسهم التدريب الدولي في رفع مهارات الضباط في القيادة والتخطيط المشترك، مما يؤثر الإيجاب على بناء العقيدة العسكرية العراقية .(الدليمي، 2016)

ثانياً: التحديات التي واجهت العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003

لقد واجه العراق بعد عام 2003 عملية شديدة التعقيد في إعادة بناء عقيدته العسكرية، وذلك في ظل تحولات سياسية وأمنية واقتصادية غير مسبوقة. وقد اتسمت هذه المرحلة بغياب المرجعيات العقائدية الواضحة، وتعدد الجهات المؤثرة، واختلاف الأولويات بين الداخل والخارج. وفي ما يأتي أبرز التحديات التي أعاقت تشكيل عقيدة عسكرية وطنية متماسكة:

1-**غياب الرؤية الاستراتيجية في بناء العقيدة العسكرية:** تمثل احد ابرز التحديات البنيوية العميقة التي اعاقت عملية تشكيل العقيدة العسكرية العراقية متماسكة بعد عام 2003، إذ لم تبنى هذه العقيدة على اساس تصور وطني يحدد طبيعة التهديدات وادوار الوحدات العسكرية واولويات الامن القومي العراقي، فقد جاء اعادة بناء المؤسسة العسكرية في سياق ظرف سياسي انتقالي مضطرب، اتسم بتعدد مراكز صناع القرار، وتباين الرؤى بين الفاعليين السياسيين، كما وغياب اجماع وطني حول مفهوم الامن، مما انعكس هذا الغياب الى تبني سياسيات أمنية آنية ركزت على معالجة التهديدات المباشرة قصيرة الامد، كضبط الامن الداخلي ومكافحة الارهاب، على حساب بناء رؤية واضحة لعقيدة عسكرية شاملة ذات ابعاد دفاعية واستراتيجية طوي

الامد، كما انعكس ذلك في عدم وضوح العلاقة بين السلطة السياسية والمؤسسة العسكرية، وتداخل الادوار بين الجيش وبقيه التشكيلات المسلحة، مما اربك عملية صياغة عقيدة قتالية واضحة وموحدة تستند الى الهوية الوطنية وليس الى اعتبارات فئوية او ظرفية، وبالتالي يتبين ان غياب الرؤية الاستراتيجية لم يكن مجرد خلل تنظيمي بل مثل عائقا هيكليا حال دون ترسيخ عقيدة عسكرية عراقية مستقلة وموحدة قادرة على توجيه المؤسسة العسكرية وتطويرها بما يتلاءم مع متطلبات السيادة الوطنية والامن الاقليمي .(دودج، 2013)

2-**الفساد البنيوي داخل المؤسسة العسكرية:** يمثل الفساد احد اخطر التحديات البنيوية التي واجهت عملية اعادة صياغة المؤسسة العسكرية العراقية بعد عام 2003، لما افرزته من تداعيات عميقة على مستوى الفكر العسكري والقتالي، فالعقيدة العسكرية بوصفها منظومة قيم ومبادئ تحكم سلوك المؤسسة العسكرية وتحدد طبيعة ولائها ومهامها، لا يمكن ان تتبلور في بيئة تعاني من الضعف وغياب المساءلة وتغليب المصالح الشخصية والحزبية داخل المؤسسات العسكرية، كما ان اعادة بناء الجيش مع بيئة امنية وسياسية مضطربة اتسمت بضعف مؤسسات الدولة، وتداخل السلطات الامنية والعسكرية، وغياب الاطر الرقابية الفاعلة، وهذا الواقع ساهم في تسلل الفساد داخل المؤسسة العسكرية بصور متعددة، كالتعيينات والترقيات وعمليات التدريب والتجهيز والعقود التسليحية، كما اسهم الفساد في اضعاف مبدا الجدارة في تولي المناصب العسكرية العليا إذ جرى تقديم الاعتبارات السياسية والحزبية على المعايير المهنية والخبرة العسكرية، فقد ادى ذلك الى تولي قيادات تفتقر الى الرؤية العسكرية المتماسكة غير قادرة على ترسيخ عقيدة قتالية موحدة داخل الوحدات العسكرية، ولم يقتصر الفساد على الجوانب التنظيمية والعملياتية، بل امتد ليطال البعد القيمي للعقيدة العسكرية، فانتشار الرشوة والمحسوبية داخل الوحدات العسكرية قوض مفاهيم الانضباط العسكري، والمسؤولية، والتضحية من أجل الوطن، الأمر الذي أضعف إمكانية بلورة عقيدة عسكرية موحّدة تستند إلى الولاء للدولة وحدها، وعليه ب-الرغم من الجهود التي بذلت لمعالجة مظاهر الفساد داخل المؤسسة العسكرية، سواء عبر إصلاحات إدارية أو حملات رقابية، فإن أثر الفساد ظل حاضرًا بوصفه عائقًا بنيويًا أمام استكمال صياغة عقيدة عسكرية عراقية حديثة، فالعقيدة العسكرية لا تفرض بقرارات إدارية، بل تُبنى تدريجيًا في بيئة مؤسساتية تتوافر فيها الشفافية، والمساءلة، والعدالة في توزيع المسؤوليات والفرص.

3-**الانقسام الطائفي:** يعد أحد أكثر التحديات تعقيدًا وتأثيرًا في مسار بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003، لما يحمله من أبعاد سياسية وامنية واجتماعية تداخلت بصورة مباشرة مع عملية إعادة بناء المؤسسة العسكرية، فالعقيدة العسكرية، في مضمونها تقوم على ترسيخ هوية وطنية شاملة، وتحديد واضح لمفهوم

الولاء والانتماء، وصياغة تصور مشترك لطبيعة التهديدات التي تواجه الدولة، لكن البيئة السياسية والاجتماعية التي نشأت في العراق بعد عام 2003، والمتسمة بتصاعد الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية، أفرزت سياقًا معيقًا لتبلور عقيدة عسكرية موحّدة، كما وأسهم النظام السياسي القائم بعد عام 2003، على مبدأ المحاصصة الطائفية في إنتاج الانقسام المجتمعي داخل مؤسسات الدولة، بما في ذلك المؤسسة العسكرية، (kadum, 2025) إذ تجلى تأثير الانقسام الطائفي في مسألة الولاء داخل المؤسسة العسكرية إذ تفرض الاخيرة ولاءً مطلقاً للدستور والدولة، لكن اسهم تصاعد الخطاب الطائفي في تداخل الولاءات، بحيث لم يعد الانتماء الوطني هو المحدد الوحيد لسلوك بعض الوحدات العسكرية والافراد، مما انعكس سلبًا على الانضباط العسكري وعلى قابلية الوحدات للعمل المشترك في إطار عقيدة قتالية موحّدة، لا سيما في البيئات المختلطة طائفيًا، كما أسهم الانقسام الطائفي في التأثير على سياسات التجنيد والتعيين والترقية داخل المؤسسة العسكرية، ففي ظل ضعف معايير الجدارة المهنية، جرى في بعض الحالات تغليب الانتماءات السياسية أو الطائفية على حساب الكفاءة والخبرة العسكرية، فضلا عن أن الانقسام الطائفي أسهم في إضعاف ثقة المجتمع بالمؤسسة العسكرية بوصفها مؤسسة وطنية شاملة، فحين تُنظر إلى الجيش من زاوية طائفية، يفقد دوره الرمزي بوصفه حاميًا للوطن بكافة مكوّناته، ويتحوّل في الوعي الجمعي إلى طرف ضمن الصراع الداخلي، وعليه هذه الانقسامات الطائفية وتداعياته اثرت بشكل كبير في عملية بناء العقيدة العسكرية العراقية .(فلاح & حردان، 2017)

4-**التنظيمات الارهابية:** برزت التنظيمات الإرهابية بوصفها أحد أبرز التحديات البنيوية التي واجهت عملية إعادة بناء العقيدة العسكرية العراقية منذ عام 2003، فكانت نقطة تحول جذرية في الواقع العسكري العراقي برمته وما ارتبط به من منظومة فكرية وعقائدية، فغياب الجيش العراقي افضى الى غياب شبه كامل لعقيدة العسكرية وطنية قادرة على تأطير مهام القوات المسلحة وتحديد طبيعة التهديدات التي تواجه الدولة، ولقد اسهم في صعود التنظيمات الارهابية وفي مقدمتها تنظيم "القاعدة" ومن ثم تنظيم "داعش" في اعادة صياغة البيئة الامنية العراقية بصورة غير مسبوقة، فبعد ما كانت مواجهة تهديدات عسكرية تقليدية يمكن تعامل معها ضمن اطار دفاعي كلاسيكي، اصبح العراق امام تهديدات لا متماثلة تتسم بالمرونة والانتشار اللامركزي مع اعتمد اساليب قتالية غير نظامية، كحرب المدن والعمليات الانتحارية، مما انعكس بصورة مباشرة على مسار بناء العقيدة العسكرية التي اجبرت على التكييف مع واقع امني مضطرب دون ان تتوافر لها مقومات التخطيط الاستراتيجي طويل الامد، ومع تصاعد خطر تنظيم "داعش" بعد عام 2014 الذي أدّى إلى بروز تشكيلات مسلحة جديدة خارج الإطار التقليدي للمؤسسة العسكرية، ادخل عملية بناء العقيدة العسكرية مرحلة

اكثر تعقيدا، فقد كشف تلك الاحداث ضعف منظومات القيادة والسيطرة وهشاشة البنية القيادية وغياب الانسجام داخل المؤسسة العسكرية، وعليه تحولت العقيدة العسكرية في واقع الامر الى نتاج ظرفي تفرضه متطلبات الآنية اكثر من كونها مشروعا وطنيا متكاملا يستند الى تصور واضح للامن القومي العراقي، مما دفع العراق الى الاتجاه نحو مهام مكافحة الارهاب وحفظ الامن الداخلي، الامر الذي اسهم في تغليب البعد الامني على البعد العسكري، وتراجع اولويات الدفاع الخارجي وحماية الحدود لصالح الانخراط المكثف في عمليات ذات الشأن الداخلي وما ترك اثرا بالغا في طبيعة العقيدة العسكرية الناشئة التي باتت تفتقر الى التوازن بين متطلبات الامن الدخلي مقتضيات الدفاع الوطني الشامل .(فاضل& جبر، 2022)

5-**التداخلات الإقليمية والدولية:** لقد شكلت التداخلات الاقليمية والدولية احد ابرز العوامل التي اثرت سلبا على بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003، إذ ادى وجود اطراف اقليمية ودولية معنية بالشأن العراقي إلى تاجيج الفوضى والانقسامات الداخلية واستغلالها، وفرض نمادج مختلفة من الدعم السياسي والعسكري وفق مصالح هذه القوى وليس وفق المصلحة الوطنية العراقية، مما انعكس هذا التدخل في شكل تعدد خطوط التمويل والتدريب والتسليح للوحدات العسكرية، إذ تلقت الوحدات دعما متبانيا من دول مختلفة، الذي اضعف قدرة القيادة العراقية على توحيد التدريب وفرض معايير مهنية الذي يعد شرطا اساسيا لتشكيل العقيدة العسكرية العراقية، كما لعبت التدخلات دورا في فرض خيارات استراتيجية لحظية تخدم مصالح القوى الدهمة والممولة، بدل ان تكون نتيجة تخطيط وطني مستقل، فقد شهد العراق العديد من التدخلات الاقليمية والدولية، فعلى المستوى الاقليمي تمثلت التدخلات والتأثير في ادوار قامت بها بعض دول الجوار الاقليمي عبر التأثير في المسارات الامنية سواء عبر الدعم غير المباشر او عبر تقديم نماذج تدريب وتسليح مختلفة كأيران وتركيا والسعودية، أما على المستوى الدولي برزت تدخلات ضمن اطر الاحتلال والتحالفات العسكرية الدولية، كالولايات المتحدة الامريكية (الاحتلال المباشر)، وبريطانيا والتحالف الدول (الناتو)، مما انعكس على تباين التوجهات داخل المؤسسة العسكرية العراقية الذي اثر بدور في بناء عقيدة عسكرية وطنية مستقلة .(مرضي، 2024)

الخاتمة

تمثل عملية بناء العقيدة العسكرية العراقية بعد عام 2003 مسارا معقدا متعدد الابعاد، ارتبط بتحولات عميقة طالت طبيعة الدولة العراقية ومنها تفكك الجيش واضطرابات امنية وعسكرية معقدة اسفرت فراغا مؤسسيا ايدولوجيا عميقا، وتداخل العوامل الامنية مع العوامل السياسية والاجتماعية، فضلا عن التداخلات الاقليمية والدولية، مما جعل عملية اعادة تأسيس المؤسسة العسكرية، واعادة صياغتها مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد،

بالرغم من ان العراق يمتلك عناصر تمكنه من بناءعقيدة عسكرية شاملة، إذ توفرت الرؤية الاستراتيجية والارادة السياسية، والقدرة من الاستفادة من الدعم الدولي، لكن لا يمكن ان تبنى العقيدة العسكرية بمعزل عن البيئة السياسية والاجتماعية، بل يجب ان تكون انعكاسا للفرص الفعلية والتحديات التي تواجه الدولة العراقية، الامر الذي جعل العقيدة العسكرية الناشئة اقرب للاستجابة الظرفية للازمات منها الى اطار استراتيجي متكامل طويل الامد .

الاستنتاجات

1- اظهر البحث ان العقيدة العسكرية ليس اعداد قوات مسلحة فحسب، بل عملية شاملة تشمل التخطيط الاستراتيجي، وارساء الولاء الوطني للمؤسسة العسكرية، وتحديد التهديدات الداخلية والخارجية، مما يجعلها قادرة على الصمود امام التحديات المتعددة .

2- افرز تفكك الجيش العراقي فراغاً امنياً هشاً، عانى من غياب رؤية استراتيجية واضحة، وخلل في توزيع المهام والادوار .

3- التحولات السياسية العميقة التي شهدها العراق بعد عام 2003 ادت الى اعادة تعريف دور المؤسسة العسكرية، اذ لم تعد مجرد اداة لتنفيذ السياسة الدفاعية، بل اصبحت فاعلا في تشكيل السياسات الوطنية لا سيما في ظل التحديات الامنية المعقدة .

4- اظهرت التجربة العراقية في ان توفير الفرص البنيوية والمؤسسية لا سيما الدستور العراقي والخبرة القتالية المكتسبة، يمثل اساسا مهما في اعادة صياغة عقيدة عسكرية اكثر مهنية وفاعلية .

5- ان التحديات التي واجهت بناء العقيدة العسكرية على رأسها الفساد والانقسام الطائفي، والارهاب، والتداخلات الخارجية، لم تكن كوابح معيقة فحسب، بل كشفت عن الحاجة الملحة لعقيدة عسكرية وطنية تعيد ضبط العلاقة بين المؤسسة العسكرية والدولة .

التوصيات

1- ان تبني الدولة العراقية مشروعا وطنيا متكاملا لاعادة صياغة العقيدة العسكرية العراقية تنطلق من الدستور بوصفه مرجعية قانونية مستقلة، يهدف الى حياد المؤسسة العسكرية وولائها للدولة .

2- التشدد على ضرورة تعزيز الهوية الوطنية داخل المؤسسة العسكرية ومكافحة الفساد، وبناء اليات تقيم مستمر لضمان تحديث العسكرية (التسليح والتدريب والاداء الميداني والاستجابة للتهديدات اللامتماثلة) بما يتناسب مع التحولات المستقبلية .

3- ربط البحث العلمي والتخطيط الاستراتيجي مستخلصة من العمليات العسكرية السابقة كمكافحة الارهاب في تطوير مناهج تدريبية واستراتيجية عقائدية حديثة لضمان التفاعل الديناميكي بين الواقع الميداني والتخطيط الاستراتيجي .

4- توطين برامج الدعم الدولي بما يخدم الاحتياجات المؤسسة العسكرية العراقية، وبما يضمن نقل التقنيات الحديثة بشكل دائم ومستدام .

5- وضع استراتيجية طويلة الامد تأخذ في الحسبان المتغيرات الاستراتيجية الامنية، لضمان عدم الاعتماد على الحلول المؤقتة الهادرة للموارد، واجراء دراسات دورية لتقيم الاحتياجات العسكرية، إذ يتم تخصيص الموارد وفقا لاولويات واضحة مع التركيز على تعزيز القدرات الدفاعية في المجالات الاكثر اهمية كالدفاع الجوي والاستخبارات والتكنولوجية الحديثة وفقا للمعايير واضحة وشاملة .

قائمة المصادر

1- Fanar Haddad, Sectarianism in Iraq: Antagonistic, Vision of Unity, London: Hurst, 2011

2- Kadum, A.M. (2025). Corruption in Iraq after 2003 and its repercussions on national sovereiqnty. The Intrtnational and political Journal, 63(63), https://doi.orq/10.31272/ipj.i63.453

3- Knights, M. (2016). The Future of Iraq s armed forces. Washington, DC: Washington Institute

4- Middle East Research Institute.(2022). Modernisation and reform of Iraqi security and armed forces: Theory of security and practice. Erbil: MERI.

5- Mike Lough, The concept of Military Doctrine with specific reference to the South African National Defense Force, Institute for Strategic Studies, University of South Africa,2000, p. Pretoria, Vol.22, N.01

6- Tripp, C. (2007). A history of Iraq (2nd ed, p p. 301-305). Cambridge University press .

7- امين، محمد فتحي. (1982). قاموس المصطلحات العسكرية. (الطبعة الاولى). بغداد: اصدارات المكتبة المركزية الوطنية..

8- انظر مجمع اللغة العربية. (2011)، المعجم الوسيط، (ط 4)، القاهرة، مكتبة الشروق) .

9- البصرة نت. (2023). الذكرى العشرون لاحتلال العراق الجزء السابع. تم الاسترجاع من http://www.albasrah .net ar_articles_2023/0423/3/wan7_170423.htm.

10- الجزيرة للدراسات. (2012). الجيش العراقي: قدرات متدنية وتهديدات متزايدة . تم الاسترجاع من https:// .studies.aljazeera.net

11- الجميلي، احمد ملا يوسف، واصلان، حسين عباس. (2022)ز المؤسسات العسكرية والامنية في العراق بعد 2033: تحديات اعادة البناء. عمان. دار امجد للنشر والتوزيع

12- خليل، حسين &عبيد، حسن. (2013).الاستراتيجيات. (ط .1). بيروت: منشورات الحلبي .

13- الداغستاني، محمد عبد القادر.(2019). النظرية العسكرية والمذهب العسكرية والعقيدة العسكرية، (ط. 1) عمان: دار الاكاديميون للنشر والتوزيع .

14- الدليمي، قاسم حسين. (2016). اعادة بناء القوات المسلحة العراقية بعد 2003: الابعاد الدولية والتحديات الداخلية. مجلة العلوم السياسية. جامعة النهرين

15- دودج، توبي. (2013). العراق. من الحرب الى السلطوية الجديدة. ترجمة عربية. بيروت: مركز دراسات .

16- الشمري، فاضل جاسم. (2018)ز تداعيات الحرب على تنظيم داعش في اعادة بناء القدرات العسكرية العراقية. مجلة دراسات استراتيجية. جامعة بغداد .

17- الشهري، عبد الرحمن حسن. (2003). تطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية.(ط .1). الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر .

18- صلاح الدين ابو بكر الزيداني، رؤية حول صياغة عقيدة عسكرية وطنية... مفهوم واهمية العقيدة العسكرية، مجلة المسلح، 19 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 10/9/2022، للمزيد النظر للاتي: https://www.almusallh.ly

19- طارق محمود شكري، العقيدة العسكرية وتطوراتها، ط1، (بغداد: الذاكرة للنشر والتوزيع،2016)

20- عبد الوهاب الكيالي، عبد الوهاب. (2007). الموسوعة السياسية. (المجلد الرابع). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

21- العمار، منعم صاحي. (2011). العقيدة العسكرية العراقية الجديدة دراسة في نظم تشكلها، مجلة قضايا سياسية. العددان (23-24). بغداد

22- عودة، جهاد. (2019). العقائد الاستراتيجية. (ط. 1). القاهرة: الناشر المكتب العربي للمعارف .

23- فاضل، شيماء عادل& جبر، دينا محمد. (2022). العقيدة العسكرية للمنظمات الارهابية: الحرب اللامتماثلة في العراق عام 2014 نموذجا. مجلة حمورابي للدراسات 11(44). العراق .

24- فلاح، محمد بلال& حردان، علي محمد. (2017). الفساد المالي والاداري وانعكاساته على التنمية في العراق بعد عام 2003. المجلة الجزائرية للامن الانساني، 2(2)، .

25- فهمي، عبد القادر محمد. (2010). المدخل إلى دراسة الاستراتيجية. (ط .2). عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .

26- مجلس النواب العراقي .(2005). دستور جمهورية العراق لسنة 2005. بغداد. مجلس النواب العراقي

27- مرضي، كرار اسماعيل محمد. (2024). التدخلات الدولية والاقليمية وتأثيرها في مشروع بناء الدولة بالعراق بعد عام 2003 (تركيا-السعودية- ايران) أنموذجا: دراسة تحليلية. مجلة آداب الكوفة، 16(59). العراق https://doi.org/10.36317/0826-016-059-014

28- النائلي، عناد كاظم حسين. (2022). مستقبل التحديات الجيوستراتيجية الاوروبية التي تواجه الصعود الروسي في النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين. (ط .1). القاهرة: دار حميثرا للنشر .

29- نقلاً عن وزارة الدفاع العراقية. كلية البكر للدراسات العسكرية (1987). دورة الحرب التاسعة: دراسات في العقيدة العسكرية، العراق.

دور الحركة الكشفية في تنمية ثقافة السلام والتعاون الدولي لدى الشباب: دراسة تربوية معاصرة

إعداد

م.د. علي اياد حميد
جامعة ديالى كلية التربية الاساسية

أ.م.د. نبيل خليل ابراهيم
جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدور الذي تؤديه الحركة الكشفية في تنمية ثقافة السلام والتعاون الدولي لدى الشباب في ظل التحديات العلمية والثقافية المعاصرة التي يشهدها العالم اليوم، والتي أسهمت في بروز أنماط من الصراع الفكري والاجتماعي والديني تهدد الاستقرار المجتمعي. تنطلق هذه الدراسة من قناعة راسخة بأن الحركة الكشفية ليست نشاطًا ترفيهيًا أو جانبًا هامشيًا في النظام التربوي، بل هي منظومة تربوية متكاملة تُعنى بتنشئة جيلٍ قادرٍ على التفاعل الإيجابي مع ذاته ومجتمعه والعالم من حوله.

تسعى الكشافة من خلال برامجها وأنشطتها إلى غرس قيم التسامح والاحترام المتبادل والتعاون بين الأفراد والشعوب، اعتمادًا على مبادئها التربوية القائمة على تنمية الروح الجماعية، والانتماء، والمسؤولية، وخدمة الآخرين دون تمييز. وقد حاول البحث تحليل الأسس الفكرية والتربوية التي تستند إليها الحركة الكشفية في بناء ثقافة السلام، وكيفية ترجمة هذه المبادئ إلى ممارسات عملية داخل المخيمات والأنشطة المحلية والدولية.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل الوثائق الكشفية الدولية وتقارير المنظمة العالمية للحركة الكشفية، إلى جانب مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة. كما تم إجراء مقابلات نوعية مع عدد من القادة الكشفيين في المؤسسات التعليمية، لاستجلاء آرائهم حول مدى إسهام الحركة الكشفية في تنمية مهارات التفاهم والتواصل بين الشباب من ثقافات مختلفة.

أظهرت نتائج الدراسة أن للحركة الكشفية أثرًا ملموسًا في بناء الشخصية المتوازنة المنفتحة على الآخر، وأنها تمثل بيئة تربوية نموذجية لترسيخ مفاهيم الحوار والتسامح والمواطنة العالمية. كما بيّنت النتائج أن التحديات المعاصرة مثل العولمة، وضعف دور الأسرة، والتطور التكنولوجي السريع، تجعل الحاجة ماسة إلى تعزيز الدور التربوي للكشافة وإعادة توجيه برامجها بما يواكب روح العصر ويحافظ على مبادئها الأصيلة.ش

واختتم البحث بالتأكيد على ضرورة دعم المؤسسات التربوية والإعلامية لأنشطة الكشافة، وتشجيع الشباب على الانخراط فيها بوصفها مجالًا حيويًا لبناء السلام الإنساني والتعاون الدولي في إطار احترام التنوع الثقافي والديني بين الشعوب.

Abstract

This research aims to examine the role of the Scout Movement in promoting a culture of peace and international cooperation among youth in light of the contemporary scientific and cultural challenges that have led to various intellectual, social, and religious conflicts threatening social stability. The study is based on the conviction that Scouting is not merely a recreational activity, but rather an integrated educational system that contributes to shaping a generation capable of living together in harmony, accepting others, and serving the community responsibly.

Through its diverse programs and activities, the Scout Movement seeks to instill the values of tolerance, mutual respect, and cooperation among individuals and nations, relying on its educational principles that emphasize teamwork, belonging, responsibility, and service to others without discrimination. The research attempts to analyze the educational and philosophical foundations upon which Scouting builds a culture of peace, and how these principles are translated into practical practices within local and international scouting camps.

The study adopted the descriptive-analytical method, analyzing official international scouting documents and reports issued by the World Organization of the Scout Movement, in addition to reviewing relevant previous studies. Qualitative interviews were also conducted with a group of scouting leaders working in educational institutions to explore their perspectives on the movement's role in developing skills of communication, understanding, and cooperation among youth from diverse cultural backgrounds.

The findings revealed that the Scout Movement plays a tangible role in building balanced and open-minded personalities, and that it provides an exemplary educational environment for fostering dialogue, tolerance, and global citizenship. The study further indicated that modern challenges—such as globalization, the weakening of family roles, and rapid technological change—make it increasingly necessary to strengthen the educational role of Scouting and modernize its programs to meet the demands of the current era while preserving its original values.

Finally, the research emphasizes the importance of supporting Scouting activities by educational and media institutions, and of encouraging youth participation in them as an essential path toward building human peace and international cooperation grounded in mutual respect for cultural and religious diversity among nations.

1-1 المقدمة وأهمية البحث

تعيش المجتمعات الإنسانية اليوم حالة من التوترات الفكرية والسياسية والثقافية، مما يجعل قضية السلام والتعاون الدولي من أبرز القضايا المطروحة على الساحة العالمية. ومع تصاعد النزاعات والعنف وتراجع قيم التسامح، يبرز الدور التربوي للمؤسسات الشبابية في تنمية ثقافة السلام بين الأجيال الجديدة.

تُعد الحركة الكشفية واحدة من أوسع الحركات الشبابية انتشارًا في العالم، إذ تضم أكثر من أربعين مليون عضو في أكثر من 170 دولة. ومنذ تأسيسها على يد اللورد بادن باول في أوائل القرن العشرين، تبنّت الكشافة مبدأ "خدمة الآخرين" كجوهر لفلسفتها التربوية، وهو ما يجعلها بيئة مثالية لتربية الشباب على مفاهيم التعايش الإنساني والتعاون الدولي وينطلق هذا البحث من فكرة أن الكشافة ليست مجرد أنشطة خلوية أو مغامرات ميدانية، بل منظومة تربوية أخلاقية متكاملة تزرع في الفرد روح القيادة والمسؤولية والانفتاح على الآخر وان إبراز الدور الإنساني العالمي للحركة الكشفية في مواجهة النزاعات والتعصب و بيان أثر الكشافة في غرس قيم

الحوار والتسامح والتعاون بين الشباب و المساهمة في توجيه المؤسسات التربوية للاستفادة من فلسفة الكشافة في التربية على السلام وتعزيز فهم العلاقة بين التربية غير النظامية (الكشافة) وبناء السلام العالمي و فتح المجال لمزيد من الدراسات الميدانية في مجال القيم العالمية للشباب.

1-2 مشكلة البحث

عاشت المجتمعات المعاصرة حالة من الاضطراب الفكري والاجتماعي بسبب تصاعد النزاعات الدينية والسياسية وتراجع قيم الحوار والتسامح، مما يجعل السلام الاجتماعي مهدداً في كثير من الأحيان. وفي الوقت نفسه، تراجعت أدوار الأسرة والمدرسة في تنمية القيم الإنسانية المشتركة، وهو ما أوجد فراغاً تربوياً يحتاج إلى مؤسسات بديلة قادرة على غرس روح التفاهم والتعاون بين الأجيال. وفي هذا الإطار، تبرز الحركة الكشفية بوصفها إحدى الحركات التربوية التي تسعى إلى تنمية شخصية الشاب من خلال مبادئ عالمية تقوم على احترام الإنسان وخدمة المجتمع. غير أن التساؤل المطروح هو مدى قدرة هذه الحركة على ترجمة قيمها النظرية إلى ممارسات واقعية تُسهم في بناء ثقافة السلام. فهل استطاعت الكشافة أن تكون أداة فاعلة في ترسيخ التعاون الدولي بين الشباب؟ أم أن التغيرات الاجتماعية والثقافية الراهنة قلّصت من أثرها التربوي؟ ومن هنا تتبلور مشكلة هذا البحث في محاولة الكشف عن دور الحركة الكشفية في تنمية ثقافة السلام والتعايش الإنساني في عالم يشهد تحديات فكرية متزايدة.

1-3 أهداف البحث

- تحليل المبادئ التربوية للحركة الكشفية ودلالتها الإنسانية.
- دراسة البرامج الكشفية الدولية في مجال السلام والتعاون
- تقييم أثر الأنشطة الكشفية في تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الشباب.
- اقتراح سبل لتفعيل دور الكشافة في بناء ثقافة السلام في القرن الحادي والعشرين.

1-4 فرضيات البحث

- هناك علاقة إيجابية بين المشاركة في الأنشطة الكشفية وتعزيز قيم السلام لدى الشباب.
- الأنشطة الكشفية ذات الطابع الدولي تسهم في تقوية روح التعاون بين الثقافات المختلفة.
- ضعف التنسيق بين المنظمات الكشفية العالمية يقلل من فاعليتها في بناء السلام.
- تعزيز البعد القيمي في البرامج الكشفية ينعكس إيجابًا على وعي الشباب بالمسؤولية الإنسانية.

1-5 منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة الكشفية من خلال تحليل الوثائق الرسمية لمنظمة الكشافة العالمية (WOSM) وتقاريرها حول "التربية من أجل السلام". كما تم الاستعانة بالمراجع الأكاديمية التي تناولت دور المؤسسات الشبابية في التربية العالمية :

الحركة الكشفية وفلسفة السلام" (المنظمة الكشفية العربية، 2021 : 18)

1. المبادئ الأساسية للحركة الكشفية

تقوم الكشافة على ثلاثة محاور رئيسة:

الواجب نحو الله: غرس القيم الروحية والأخلاقية.

الواجب نحو الآخرين: بناء روح الخدمة والتعاون.

الواجب نحو الذات: تنمية القدرات الشخصية والقيادية.

هذه المبادئ الثلاثة تُشكل الأساس لفهم دور الكشافة في بناء الإنسان المسالم المسؤول.

2. مفهوم السلام في الفكر التربوي الحديث"(1) **(عبد اللطيف، 2019 :113)**

السلام ليس مجرد غياب الحرب، بل هو حالة من التوازن الداخلي والخارجي، قائمة على العدالة والاحترام والتعاون. وتؤكد نظريات التربية الحديثة على أن السلام يُبنى بالتربية، لا بالسياسة فقط. وهنا يتقاطع الفكر الكشفي مع مفهوم "التربية من أجل السلام".

3. فلسفة بادن باول في بناء الإنسان العالمي

كان بادن باول يرى أن الشباب هم صُنّاع السلام في المستقبل، وأن التعاون بين الأمم يبدأ من التفاهم بين الشباب. لذا كانت الكشافة منذ نشأتها تسعى إلى تكوين "مواطنين عالميين" يجمعون بين حب الوطن والانفتاح على الإنسانية."(2) (الحسيني ،2020 : 68)

البرامج الكشفية الدولية في مجال السلام"(3) (الخطيب ، 2018 : 45)

1. المبادرات العالمية للحركة الكشفية

أطلقت منظمة الكشافة العالمية عدة برامج دولية لنشر ثقافة السلام، أبرزها:

برنامج رسل السلام (Messengers of Peace) الذي يشارك فيه أكثر من 50 مليون كشاف حول العالم.

مشروع الكشافة من أجل أهداف التنمية المستدامة (Scouts for SDGs) الذي يربط العمل الكشفي بالأهداف الأممية.

المخيمات الكشفية العالمية (Jamboree) التي تُعد مختبرًا عمليًا للتعايش بين الثقافات.

2. المشاركة العربية في برامج السلام

ساهمت الجمعيات الكشفية العربية، مثل الكشافة السعودية والمغربية والمصرية، في تنفيذ مشروعات خدمة مجتمعية لتعزيز روح المواطنة والسلام المحلي، مثل حملات البيئة ومساعدة اللاجئين ودعم التعليم للفقراء.

3. الكشافة كقوة ناعمة للدبلوماسية الشعبية

تعمل الكشافة على بناء شبكة علاقات إنسانية بين الشباب من مختلف الدول، ما يُعد شكلًا من أشكال "الدبلوماسية الشعبية"، إذ تسهم اللقاءات الدولية في كسر الصور النمطية، وتعزيز الثقة بين الشعوب.

وان الشباب وثقافة التعاون الدولي تندمج في مفهومها على :

1. مفهوم التعاون الدولي . (الخطيب، 2018 :93)

يقوم التعاون الدولي على أساس الشراكة في مواجهة التحديات العالمية كالفقر والجهل والبيئة. وتُعد الكشافة من أبرز المؤسسات التي تُدرّب الشباب على العمل الجماعي العابر للحدود.

2. الكشافة وتنمية المواطنة العالمية

تسعى البرامج الكشفية إلى ترسيخ مفهوم "المواطنة العالمية"، الذي يقوم على الإحساس بالمسؤولية تجاه البشرية جمعاء. فالكشاف الجيد هو من يعمل لوطنه وللعالم في آن واحد.

3. أثر التجربة الكشفية على الشخصية الشبابية

تشير الدراسات التربوية إلى أن المشاركة في الأنشطة الكشفية تُنمي لدى الشباب مهارات التواصل، وضبط النفس، والتسامح، والعمل بروح الفريق، وهي خصائص ترتبط مباشرة بثقافة السلام.

التحديات والمعوّقات

1. التحولات الرقمية التي قلّصت التفاعل الواقعي بين الشباب.
2. ضعف التمويل والدعم المؤسسي للأنشطة الكشفية في بعض الدول.
3. غياب التنسيق بين المنظمات الإقليمية والعالمية ما يقلل من الأثر الميداني.
4. تسييس بعض الأنشطة الشبابية مما يضر بالحياد الإنساني للحركة الكشفية.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

أن الحركة الكشفية تمثل أداة تربوية فعّالة في تنمية ثقافة السلام والتعاون بين الشعوب، من خلال مناهجها العملية التي تقوم على الخدمة، والعمل الجماعي، والانفتاح الثقافي.

وقد أثبتت التجارب الكشفية الدولية أن الأنشطة الميدانية المشتركة بين الشباب من مختلف الدول تخلق روابط إنسانية حقيقية، وتُسهم في بناء عالم أكثر تسامحًا وتعاونًا.

يوصي البحث بتكثيف البرامج الكشفية الدولية الموجهة لتدريب القادة الشباب على إدارة الحوار وبناء السلام، وربط الكشافة بمبادرات الأمم المتحدة في مجالات التنمية والاستدامة.

التوصيات

1. إدماج مفاهيم السلام والتعاون في المناهج الكشفية الوطنية.
2. تشجيع الشراكات بين الكشافة ومنظمات المجتمع المدني.
3. تعزيز مشاركة الفتيات في مشاريع السلام والتطوع.
4. توثيق المشروعات الكشفية الناجحة كمراجع تربوية.
5. دعم البحوث الأكاديمية حول أثر الكشافة في التعايش الإنساني.

المصادر المراجع

المراجع العربية:

1. عبد اللطيف، خالد (2019). التربية من أجل السلام في الفكر التربوي العربي المعاصر. الرياض: دار الزهراء.
2. المنظمة الكشفية العربية (2021). التقرير السنوي لبرامج رسل السلام. القاهرة.
3. الخطيب، عارف (2018). الحركة الكشفية في الوطن العربي وتطورها التاريخي. القاهرة: دار الفكر العربي.

4. الحسيني، ناصر (2020). الشباب وبناء ثقافة التعاون الدولي. بيروت: مركز الأبحاث التربوية.

المصادر الإنجليزية:

1.World Organization of the Scout Movement (2020). Messengers of Peace: Global Impact Report. Geneva.

Baden-Powell, R. (1922). Scouting for Boys. London: Horace Cox.2

UNESCO (2019). Education for Peace and Global Citizenship. Paris.3

Smith, J. (2018). Youth Leadership and Global Cooperation. Oxford:. Routledge

الزمن الأسطوري في بعض نماذج الرواية العربية

إعداد

م.د. هاجر محمود علي
مركز التعليم المستمر/ جامعة بغداد

أ.د. ديلم كاظم سهيل
جامعة بغداد / كلية الآداب

المستخلص

يتناول هذا البحث موضوع الزمن الأسطوري في الرواية العربية هذا الزمن الذي لا يقيم فيه الكاتب وزنا لخط الزمن داخل المتن الحكائي، حيث يتم في هذا الزمن استدعى أحداث فوق الطبيعة وخارقة للمألوف كأمتساخ الإنسان أو تحول الموجودات الحية وغير الحية إلى كائنات تتكلم وتحكي سيرة الأجداد والماضي السحيق وتمتلك المشاعر الإنسانية وقد بدأ البحث بالحديث عن الزمن وأنواعه داخل المتن الحكائي، ثم عرجنا بالحديث عن الزمن الأسطوري مع التطبيق من بعض النصوص الروائية

Abstract

This paper deals with Multi Time legendary in the Arabic novel, this time that does not assess the writer and weight time zone within Met Gaii, where they are at that time called the events above nature and supernatural Komtsak rights, or shift assets living and nonliving objects speak and tell biography ancestors and the distant past and have human feelings search has begun talking about the time and types within the Met Gaii, then Arzina talking about the legendary time with the application of some of the texts novelist.

المبحث الأول

الزمن في الرواية وأنواعه

شعر الإنسان منذ القدم بهاجس الزمن وكابد المعاناة من اجل الوصول الى حقيقة الزمن، الذي يأخذ أبعاد شتى في الفلسفات المختلفة، وقد أدرك الروائيون أهمية الزمن بالأعمال الروائية؛ لأنه يعد من أهم التقانات التي تؤثر في بنية النص الروائي"(عبد الحميد المحادين،1999. التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، ، بيروت، ط1 المؤسسة العربية للدراسات: ص61). فمن خلال الزمن تتحدد السمات الأساسية للرواية؛ لان أي عمل سردي لا يستقر على حال في ظل غياب هذا العنصر، فهو بمنزلة" الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية"(د. سيزا قاسم،1984، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ)، ط4، الهيئة المصرية العامة: ص72)؛لان الزمن "حقيقة سائلة لا تظهر الا من خلال العناصر الأخرى"(د. سيزا قاسم،1984، بناء الرواية: ص27) ،إلا إن عنصر الزمن يتغير من رواية إلى أخرى حسب نوعية الطريقة التي يتبعها الكاتب(ينظر: إبراهيم خليل، 2010، بنية النص الروائي ، ط1 ، بيروت،الدار العربية للعلوم الناشرون: ص97).إن الزمن في الرواية التقليدية خطي لا يعرف التكسر والتجزؤ ، فهو يبدأ من البداية ليصل إلى النهاية؛ لان الرواية التقليدية تحترم التسلسل الزمني في صورته الترتيبية وتتقيد به، حيث يعمد الروائي في الرواية التقليدية (الكلاسيكية) بجعل الأحداث مرتبة بحسب الزمن حدث بعد أخر، من دون ارتداد في الزمان"(د. عبد الملك مرتاض،1998 ،في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، ع24، الكويت، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب: 200). وقد قال (ميشال بوتور) إن التمسك بخط الزمن من قصص الماضي "لست قادراً على رواية قصة بحسب تسلسلها الزمني إن لم تكن من صيغة من الماضي" (ميشال بوتور،1986، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد انطونيوس، بيروت، لبنان، ط3، منشورات عويدات: ص98). ان الروائيين الكلاسيكيين اهتموا "اهتماماً خاصاً بالزمن التاريخي الذي يمثل المقابل الخارجي الذي أسقطوا عليه عالمهم التخييلي"(د. سيزا قاسم،1984، بناء الرواية: ص47). فالزمن في الرواية التقليدية يسير نحو المستقبل، ليؤكد مصير البشرية وحتمية الموت، وهو مآل الإنسان الأخير"(ينظر: المصدر السابق: 47)؛لان الزمن يملك خاصية التوازن والسير في اتجاه متواز مع الأحداث فهو بمنزلة المصير الذي تعبره الأحداث، وعلى هديه تسجل الوقائع؛ لذلك أهتم به العديد من الروائيين وعدوه عنصراً فاعلاً ومحركاً للأحداث. أما الزمن في الرواية الجديدة، فانه يتسم بالتعقيد والعمق والمفاجأة بانتقاله من زمن إلى أخر، مدمراً الحركة السردية الخطية، ومن ثم أصبح الزمن في الرواية الجديدة يشكل شبكة من العلاقات، اذ يوجد فيها الزمن مقطوعا عن زمنتيه وانه لا يجري، ألا ان الفضاء يحطم الزمن"(ينظر: سعيد يقطين،2005 ،تحليل الخطاب الروائي،الدار البيضاء، بيروت، ط4، المركز الثقافي العربي: ص68). وقد يختفي الزمن احيانا كما في رواية تيار الوعي، فيصبح الزمن شيئاً ذاتياً، ويصبح العالم الذي يعيش فيه الإنسان عقله ووجوده الداخلي"(ينظر: آلان روب جرييه، د.ت، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم: د. لويس عوض، مصر، ط1، دار المعارف:39). وعليه لا يمكن تجاهل أهمية الزمن في النص الروائي الذي تتعدد الأزمنة التي يتضمنها، وتبعاً للرؤية النقدية للنص الروائي. وقد انبثقت الدراسات

الحديثة للزمن الروائي من تفريق الشكلانيين الروس(ينظر: مجموعة مؤلفين، 1982،نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، تر: إبراهيم الخطيب، بيروت، لبنان،ط1،مؤسسة الأبحاث العربية :192)، بين زمن المتن الحكائي الذي يفترض ان الأحداث قد وقعت فعلا، وزمن المبنى الحكائي الذي هو الوسائل التقنية لغرض خلق الإيهام فزمن المتن هو زمن تاريخي، في حين ان زمن المبنى هو زمن جمالي" (ينظر: ، سعد عبد الحسين،1994، البنية السردية في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي، ، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، : ص137)، يشوه الزمن الأول ويهشم بنيته ويعيد بناء الزمن من جديد على أسس جمالية ,ترمي إلى خلخلة توقعات المتلقي، وتكون لديه إحساسا جديداً والانتقال من المألوف إلى غير المألوف ؛لأن الزمن الأول يمثل ما هو كوني ومألوف ،في حين يمثل الزمن الثاني، ما هو تقني يتضح ويظهر في التتابع المنظم للوصف ومن التداخل المتنامي"(ينظر: حميد لحمداني،1989،أسلوبية الرواية (مدخل نظري)،ط1،الدار البيضاء النجاح الجديدة: ص81).

ويقسم (تودوروف) الزمن على زمن القصة، وزمن الخطاب ويرى ان زمن القصة أحادي الأبعاد وتجري فيه أحداث كثيرة، أما زمن الخطاب زمن خطي ملزم بترتيب الأحداث ترتيبا متتابعاً، فضلا عن ذلك فقد ميز (تودوروف) بين زمن الكتابة وزمن القراءة" (ينظر: تزفيتان تودروف،1990، الشعرية، ت: شكري المبخوت، رجاء سلامة، الدار البيضاء، ط2، توبقال: ص48). ويصبح الزمن الأول "عنصراً أدبيا ما أن يتم إدخاله في القصة"(ينظر: سعيد يقطين،2005 ،تحليل الخطاب الروائي: ص74). أما الزمن الثاني فيستدعيه فعل القراءة، وهذه "الزمن لا يسمح لنا بقياسه بدقة"(ينظر: سعيد يقطين،2005 ،تحليل الخطاب الروائي: ص74) .ويقدم (جيرارد جنيت) في كتابه (خطاب الحكاية) تميز بين زمن القصة وزمن الخطاب وزمن السرد ويتم تحليل المتن الروائي عبر تحديد العلاقة بين هذه الزمنية يذهب إلى زمن الخطاب(الحكاية) زمن كاذب "يقوم مقام زمن حقيقي"(جيرارد جنيت،1997، خطاب الحكاية (يبحث في المنهج)،تر: محمد معتصم، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية: 46)،وعن طريق مقارنة زمن القصة مع زمن الخطاب الكاذب تتحدد صلات الترتيب والمدة والتواتر، إما زمن السرد مقارنته بزمن القصة يحدد السرد اللاحق أو السرد السابق والسرد المتزامن والسرد المتداخل(ينظر: جيرارد جنيت،1997،خطاب الحكاية: ص 232-234)، ويبين (سعيد يقطين) زمن القصة أي زمن الأحداث (الزمن الصرفي) وزمن الخطاب الذي تعطي فيه القصة زمنيتها الخاصة بوساطة الخطاب (الزمن النحوي)، وزمن النص (زمن الدلالي) ويشمل زمن الكتابة وزمن القراءة(ينظر: سعيد يقطين،2005 ،تحليل الخطاب الروائي: ص89). وقدمت (افرانسوانان) تصنيفا للزمن هو الزمن الأول: الزمن الكوني ويتضمن الفصول والأيام الزمن النفسي: ويضم مختلف الذكريات.

الزمن التاريخي: ويشمل الآثار والأعمال التاريخية، أما الزمن الثنائي فيبدو من التتابع المنظم للوصف، ومن التداخل المتنامي للحكي (ينظر: سعيد يقطين،2005،تحليل الخطاب الروائي: ص74).وقد تابع كل من (د. عبد الملك مرتاض) و(آمنة يوسف) هذا التصنيف اذ يصنف (د. عبد الملك مرتاض) الزمن إلى:

الزمن المتواصل ويساوي الزمن الكوني.

الزمن المتعاقب ويساوي الفصول الاربعة إذ يتكرر فيها الزمن.
الزمن المتقطع يساوي زمن حدث ما أو شخص ما.
الزمن الغائب ويساوي زمن الغيبوبة أو حياة الصبي قبل إدراكه، والزمن الذاتي الذي يساوي الزمن النفسي (ينظر: د. عبد الملك مرتاض،1998، في نظرية الرواية: ص202، آمنة يوسف،1997، تقنيات السرد في نظرية والتطبيق، دمشق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع: ص 67-87). وقد قسمت (د. سيزا قاسم) بناء الزمن في اتجاهين، الأول: الزمن الخارجي والثاني الزمن الداخلي ولكل من هذين الاتجاهين فروع عدة (د. سيزا قاسم،1984، بناء الرواية: ص33-34-36، وما بعدها)، ومن التقسيمات الأخرى ما نجده عند (د. شجاع العاني) إذ يصنف الزمن الى الزمن الطبيعي أي تعاقب الليل والنهار والفصول والسنين والزمن التاريخي أي زمن وقوع الأحداث والزمن النفسي أي أحساس الشخصيات بالزمن (ينظر: العاني، د. شجاع مسلم ،1994،البناء الفني في الرواية العربية في العراق، الجزء الأول، بغداد، ط1،دار الشؤون الثقافية العامة: ص 68/1).إن قضية الزمن داخل النص الروائي قضية عميقة ومتشعبة وعلاقة الزمن بالشخصيات يفصح عن مضامين ذاتية وموضوعية.

المبحث الثاني

الزمن الأسطوري

زمن موغل بالالتزامات ومحاط بالجو الأثيري، ويدلف هذا الزمن إلى المتن الحكائي بفعل الاسطرة حيث يتحرر الكاتب من الزمن الذاتي والتاريخي ويجري أحداث قصته أو بعضها في لحظات مفارقة للواقع المعاش لحظات ليست لها إي ديمومة من اجل معانقة المطلق والسعي لاكتشاف الحقيقة وتموضع الزمن وسط أحداث عجائبية خارقة ما فوق الطبيعة، ويشكل فسيفساء شديدة التنوع(ينظر: شعيب حليفي، 2009،شعرية الروية الفانتاستيكية، بيروت، الجزائر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف :ص 186) ، ويتم تحطيم الحدود الزمنية وتدميرها تدميراً تاما(ينظر: نهاد التكرلي،1985 ،الرواية الفرنسية الجديدة، الموسوعة الصغيرة (166)، الجزء الأول، بغداد ، ط1، دائرة الشؤون الثقافية والنشر: ص 76-77)؛ لتصبح الرواية عبارة عن "تركيبة معقدة من قيم الزمن"(أ. أ. مندلاو،1997،الزمن والرواية، تر: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، بيروت، ط1، دار صادر: ص17)، فهو زمن بلا سجلات وتراث لفظي يهرب من تعيين زمن أفل يرهن المستقبل بالوفاء للماضي، وربما يمنع هذا الزمن أو أحداثه الخارقة للمألوف المتلقي من قبول ما يروي أو التردد في تصديقه(ينظر: إبراهيم خليل، 2010، بنية النص الروائي: ص125).ففي رواية التجليات (الأسفار الثلاثة) للكاتب (جمال الغيطاني) يعبر بلغة الكشف والغوص في المجهول في عالم روحاني عن طريق رحلة العروج الخيالية، التي تقوده نحو عالم سماوي غيبي، شبيه بالعروج الروحي لدى المتصوفة فيصف السارد رحلته إلى الديوان "مركز الهيمنة على عالمنا الأرضي منه تتقرر الخطوط العامة للمصائر وتحدد الاتجاهات الرئيسية وما ينقضي يصير اليه بدءا من الحوادث الجسام حتى همسات طفل لم يخبر الدنيا"(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات (الأسفار الثلاثة)، الأعمال الكاملة، ، ط3، دار الشروق: 36ص).ولان السارد يحاول نقل هموم الإنسان والكشف عن طبيعة

الصراع الذي يخوضه في حياته اليومية؛ لذلك يكشف عما يعاني السارد عندما قالت"(رئيسة الديوان) ما وراءك يا جمال قلت: وجود محدود ورغبة في وجود غير محدود.

قالت: ما الذي دعاك إلى الخروج؟

قلت: حيرتي، وآلمي، ورغبتي في الولوج.

قالت: ماذا يحيرك.

قلت: تبدل الأحوال.

قالت: وماذا؟

قلت: ما يبلي وما يزول"(جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات: ص 37، 39).

وتكون نتيجة هذا اللقاء بين رئيسة الديوان السيدة (زينب الطاهرة) والسارد رحلة يقوم بها السارد في اقتحام عوالم الخفاء وما وراء الواقع، عوالم خارقة للمألوف خارجة عن سلطة الزمان والمكان، ويقوم السارد بمزج الزمن لتكون اللحظة في الحاضر هي صورة مستعادة للحظة مشابه في الماضي وتنتصر على الماضي، زمن موت الأحبة عن طريق إعادتهم إلى الحياة ويتكلمون في الزمن الحاضر، زمن "تتجاور وتتضافر به البدايات والنهايات" (جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 30).ولان زمن الذات هو الإحساس بالعجز والحيرة، لذا الزمن الواقعي والزمن الذاتي يحرصان على الدخول في زمن التجليات؛ لان التجلي في عرف المتصوفة بانه "ما يتكشف للقلوب من أنوار الغيوب" (الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي ،1986، التعريفات، د. ط،،بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة: ص 34).

هذا الزمن الذي يكشف عوالم الخفاء وما وراء الواقع ،ويأنس به إلى تحويل الخطاب الصوفي إلى خطاب روائي(ينظر: سعيد يقطين،2006، الرواية والتراث السردي (من اجل وعي جديد بالتراث)، ط1، القاهرة،رؤية للنشر والتوزيع: ص 149)؛لغرض توظيف الرحلة والزمن الصوفي إلى زمن أخر، ليعمق موقف الكاتب من الزمن بشكل عام والزمن المعاش "الذي رحل عنه اليقين وحلت عليه الهزيمة"(د. فيصل دارج،2002،نظرية الرواية والرواية العربية، بيروت، ط2، المركز الثقافي العربي :ص 229) .وبفضل الزمن الأسطوري تمكن (الغيطاني) من اختراق الزمن واكتساب السارد لطبيعة فوق بشرية خارقة "لكنني انتبهت إلى انني طاف معلق، لقد صرت في خلق جديد"(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 217).ويبدو السارد في بداية عروجه تمثل الرؤيا الصوفية كقوله "عند اللحظة التي يتقرر فيها الفجر وليال عشر، خفق قلبي في صدري خفقة كاد ينخلع منها، هلعت ولم أر نفسي ان الإنسان كان هلوعا، خاصة إذا جاءه الهاتف الذي لا يأتي إلا في اللحظات الجسام لينبئ بالجلل من الأمور"(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 27) أو في قوله "تجل وتجل ،ان النائم يرى ما لا يراه اليقظان" (جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 18). ولان الرواية لدى(الغيطاني) – كما يرى سعيد يقطين _ تقوم على "التعلق والافتراق– الهدم وإعادة البناء– الاستيعاب والإنتاج"(سعيد يقطين،2006، الرواية والتراث السردي: ص 195). فموضوع رواية (التجليات) لصيق بالواقع ويرمي إلى بث رسالته من خلال الخطاب العجائبي الخوارقي الذي يتضمن حمولات معرفية وسياسية، من ذلك قوله "رأيت جمال

عبد الناصر، المكان محدد، والزمان معين، رأيته في ميدان الدقي أول الثمانينيات توقف للحظة، ثم بدأ ينطق كلماته:

هل اخترق الإسرائيليون الجبهة؟

قلت: لا

هل وصلت جيوشهم القاهرة؟

قلت: لا

قال: ماذا أرى؟ فسر لي، اشرح لي، تاخرتمونا في الزمان وتقدمناكم، أجبني اليست هذه أعلامهم؟ أليس هؤلاء سياحهم؟ اليست هذه كتبهم وصحفهم"(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 12ـ 13).

إن هذه الرؤية التي تدين زمن الواقع، وزمن العجز، في مواجهة زمن السوء، وتعرية زحف زمن السوء الوحشي الفاسد الذي تسلل إلى أرواح الناس وقيمهم، يشكل هنا الخطاب رؤية للعالم، ولكن هذه الرؤية محمولة على الخطاب العجائبي الذي يسود غالبية الأدب العجائبي، الذي يتماس في شكل مضخم مع تحولات الواقع الرهيبة، وتحولات النفس الإنسانية وتقلباتها، كذلك يجري التحول والامتساخ من زاوية الغلو، اذ ان الامتساخ لشيء ما هو خضوعه الى تحولات تطاله من حيث الزيادة أو النقصان، وقد شكلت هذه الثيمة موضوعاً لعدد من الروايات العربية(ينظر: شعيب حليفي، 2009،شعرية الروية الفانتاستيكية:ص90)، التي يظهر فيها الامتساخ بصوره المتعددة، وقد شمل الامتساخ في(التجليات) الكائنات البشرية والحيوان والجماد والمكان والزمان، وما يدهش متلقي(التجليات) هو الأعضاء المنفصلة عن جسم السارد، التي فصلت بيد شيخه (ابن عربي)"عندئذ اخرج من ثنايا جيته نصلا ابيضا حاميا، امسك بشعر راسي، أشهر النصل ثم هوى ففصل راسي عن جسدي، أقتلعه وامسكه بيده، فصرت انظر إلى جثه نفسي بلا رأس عن شعري وللحظة خيل إلي انه يمسك رأسي لكنني انتبهت إلى إنني طاف، معلق، لقد صرت في خلق جديد"(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات: ص 217).

ولان السرد في زمن أسطوري يتضمن "العديد من الخوارق، والتي يتم أدراجها ضمن كرامات أولئك الشخوص مقابل معجزات الأنبياء، مثلما نجد ابن عربي في فتوحاته المكية وهو يصف عوالم عليا غريبة، زاروها ولقاءات عجائبية مثل شطحات المتصوفة عموما" (شعيب حليفي، 2009، شعرية الروية الفانتاستيكية: ص16).فان السارد لم يتم بعد قطع رأسه، وإنما أصبح أشبه بشخصيتين، شخصية للرأس، وشخصية الجسد، وأصبح للرأس ظله الخاص، وللجسد ظله الخاص به(جمال الغيطاني،2007،كتاب التجليات:ص 218)،دلالة على الانفصال والاغتراب، ولكم صعب على السارد حالة الوهن المشتت حتى صار من كثرة الألم يرى نفسه شخصية اخرى من عالم اخر. كما يوجد في رواية (التجليات) تحول النبات إلى كائن حي يتحدث للسارد عن حكايات الماضي "حدثتني نخلة أبي عن موت جدي، وتيتم أبي، وطمع عمه"(جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات: ص 218).وكذلك يصبح المكان مثل اي كائن حي، ويتكلم مع السارد ويشتاق ويحزن "حدثتني بقعة الارض فأوجزت والمحت"(جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات: ص 70ـ71،وينظر: ص66-69، 74على سبيل المثال لا الحصر).كما لا تخلو رواية (التجليات) من امتساخ، وتحول الإنسان إلى حيوان "رأيت طائرا عجيبا لا عهد لي

بمثله في طيور الدنيا قد من ضوء وطيف، ريشه مجمع لألوان الدنيا؛ أما رأسه فرأس بشري، وجهه أدمي حدثني قلبي إنني اعرف الملامح لكنني لم أتمكن من تدقيق بصري لشده الالق فعرفت أن اوان معرفتي له لم يحن بعد"(جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات: ص 146).

إن استغلال حالة الممسوخات في رواية(التجليات) كما استثمرها الأدب الفانتاستيك والأسطورة والخيال العلمي، يعبر عن حقائق نفسية ثاوية في أعماق الإنسان (ينظر: شعيب حليفي، 2009، شعرية الرواية الفانتاستيكية: ص92).ولان (الغيطاني) يتناص مع التراث الصوفي، وخاصة (ابن عربي) وفتوحاته، الذي كان دليله، ولأنه يسعى إلى تجلي هذه الرؤية والتعبير عنها بطريقه "الإحساس بالزمن"(سعيد يقطين،2006، الرواية والتراث السردي: ص 166).

إن الإحساس بالزمن ومحاولة إمساك اللحظة التي لم تأتِ، هي التي دفعت (خليل الإمام) بطل "هذه تخوم مملكتي" إلى رحلة مغايرة لرحلة لسارد في رواية (التجليات)، وهربا من الزمن الحاضر الذي يعاني منه "إسقام الروح وتلوث المدن والصراع المدمر على الرزق والسلطة وتقنية الحروب وتجارة الموت"(أحمد إبراهيم الفقيه، 2000، الثلاثية الروائية، بيروت، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ص 234).وإذا كانت رواية (التجليات) قد مزجت الأزمنة الثلاثة، فان رواية "هذه تخوم مملكتي" تجعل لهذا الزمن مرجعية تعود إلى إلف سنه قبل الزمن الحاضر"(أحمد إبراهيم الفقيه،2000،الثلاثية الروائية:ص224، 256). وإذا كان الراوي في(التجليات) يشير إلى تدوينه لهذا التجليات، بعد ان رجع من تلك الرحلة الروحية وزمنها الأسطوري "وفجاءة، عند ساعة يتقرر فيها الفجر، صاح بي الهاتف الخفي "(جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات: ص 6). أما(خليل الإمام) فبدأ رحلته عند مداهمته الرغبة في زيارة بيت أبيه القديم ليلتقي هناك بالشيخ (الصادق أبو الخيرات) ويكون دليل (خليل الإمام) في هذه الرحلة إلى مدينة(عقد المرجان) حيث يشير(خليل الإمام) إلى إن الشيخ (الصادق أبو الخيرات) بعث به إلى هذه المدينة، بعد إن شكا له ما يعاني من إمراض العصر ،لتكون مدينة(عقد المرجان) المدينة الفاضلة في نظر (خليل الإمام) فهذه المدينة لا يعرف أهلها "حبوس ومكوس ولا يعرف أهل هذه المدينة العوز والفقر، ولا يتعاملون بالنقود، ولا يملكون شرطة ولا أجهزة للدولة وأصبحت كل الموارد مشاعا بينهم، الأرض والزراعة والري والمواشي والمحاصيل، يعيشون كما يعيش إفراد عائلة واحدة"(أحمد إبراهيم الفقيه،2000،الثلاثية الروائية:ص221).

وبفضل هذا الزمن الأسطوري تفتحت عينا (خليل الإمام) على أفاق عذبة ،أتاحت له أن يعيش في مدينة فاضلة تسودها المحبة والطمأنينة والصدق والبراءة ويخلق السارد تشويشا لدى المتلقي من خلال إعلانه انه في زمن أسطوري بسبب الشيخ(الصادق أبو الخيرات)،وفي أحيان أخرى انه يعيش في زمن واقعي، ويخلق مفارقات بين زمنه الحاضر والزمن الأسطوري، ولا يحسم أمر هذه المدة الزمنية إلا في نهاية هذا الجزء الذي جاء يحمل عنوانا دلاليا "هذه تخوم مملكتي" وكأن مملكة الأسطورة هي مملكة السارد في ساعة التجلي التي تقع ما فوق الزمن العادي""(أحمد إبراهيم الفقيه، 2000، الثلاثية الروائية:ص305).

ويبقى تأثير هذا الزمن في شخصية (خليل الإمام) بعد عودته إلى زمنه الحاضر على الرغم من انه هو الذي أسهم في تحطيم هذا الزمن الأسطوري – وتدمير مدينة (عقد المرجان) بعد إن فتح غرفة (الإسرار)– بحكم الزمن الماضي المتحكم بقيمه وعاداته في شخصيه (خليل الإمام) (ينظر: أحمد إبراهيم الفقيه، 2000، الثلاثية الروائية: ص305).وإذا كان هروب (خليل الإمام) من "عصر ملتاث مجنون"(أحمد إبراهيم الفقيه، 2000، الثلاثية الروائية:ص60) إلى زمن ينعم فيه المرء بالسلام والعدل، فان (وجدان) بطل رواية (دملان) دفعه زمن البؤس إلى إن يعيش في "فجوه مدلهمة داكنة، يكرر كل يوم فيها الأخر بتطابق شديد، اكتئاب عات، تزداد وطأته كل يوم اظل خلاله مبطوحا هامداً خامداً فوق السرير ليل نهار، كما لوكنت محشوراً في علبة صاردين"(حبيب عبد الرب سروري،2009 ،دملان، ، بيروت، ط1، دار الآداب: 10ص).هذا الزمن المعاش الذي جعل(وجدان) يتسردن (تصردنت)، لان هذه الزمن المعاش "ازدهرت فيه صناعة الهموم وطفح المنكر وغابت البركة إلا عن سياسات التجويع والقهر وللامساواة "(حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان: 575ص).

وإذا كانت عودة (خليل الإمام) إلى الحاضر بسبب الماضي المتحكم فيه، دفعه إلى تدمير مدينة (عقد المرجان)، فان (وجدان) الشخصية الانهزامية التي لا تعرف الرفض، لم يكن الا مشاهداً على دمار(دملان) أمام عينيه، ليجد نفسه في "شارع دغبوس مازال مقفراً كئيباً أكثر عبوساً وجوعاً وفقراً وتدهوراً من أي وقت مضى، بشره أشباح تتقدم ببطء نحو الهاوي"(حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان: 43ص). إن زيارة (وجدان) لمدينة (دملان) الأسطورية وعاصمتها(تنكا) بعد أن أصبح في زمن السردي، هو زمن الرحلة الأسطورية ويكون فيها دليله أستاذه القديم (الأستاذ نجيب)،لحضور تتويج الملك (تشومولونجا) لمملكة(دملان)، وإذا تجلى السارد في (التجليات)إلى أزمنة ومدن مختلفة، وهرب (خليل الإمام) إلى المدينة المثالية، فان رحلة (وجدان) إلى(دملان) لم يكن هروباً إلى يوتوبيا بديلة يحل فيها الأمن والسلام والعدل والمساواة بين الناس، بل صوره أخرى لواقعه المعاش "غيرت كل أعلام المملكة بسرعة خيالية استبدلت بين عشية وضحاها صورة القتيل بالقاتل"(حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان: 48ص).،ولا تعرف مملكة (دملان) شيئا اسمه "مدارس ولا توجد دور نشر او مؤسسات ثقافية"(حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان:ص50).وإنما تعرف "الاقتموم"(حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان:ص41،كناية عن القات)،مع ذلك يكتشف (وجدان) حضور وفعالية وجمال المرأة في (دملان) وإنها عنصر التغيير في مملكة (دملان) التي يبدو فيها اثر رواية (مملكة التنين)(ينظر: إيزابيل الليندي،2005، مملكة التنين، تر: رفعت عطية، دمشق، ط1، دار المدى).وإذا كانت رحلة (خليل الامام) و(وجدان) ضمن زمن اسطوري، فان مدينة (زقلونة البركاتي) – في رواية الثلاثية السودانية– تعيش كلها في زمن غيبي اسطوري، هو زمن الشيخ (البركاتي) الذي "لم يذكر انه كان طفلاً في يوم من الايام، او انه عاش في كنف اب وأم مثل الاخرين، كل الذي يعرف هو انه وجد نفسه يسكن هذا البيت المقام على الربوة العالية، يمتلك نصف المدينة وعبيداً كأنهم جيوش النمل"(يوسف نور عوض،1991 ،الثلاثية السودانية ،د. ط،، مكتبة مدبولي: ص 164)،وبذلك تعيش المدينة زمنها الاسطوري الغرائبي، الذي يجعل من الجامعة رمز الاشعاع

العلمي تسعى الى "ابدال المنهج العلمي بمنهج البحث البركاتي" (يوسف نور عوض،1991 ،الثلاثية السودانية: ص 171)، لقد اصبحت المدينة ومؤسساتها العلمية والاجتماعية لا تتحدث، الا عن "ثورتها واحلامها البركاتية"(يوسف نور عوض،1991،الثلاثية السودانية: ص 160-163،وينظر: ص167، 172 184 على سبيل المثال لا حصر)،وأصبح الكلام حول شخصية (البركاتي) من قبل اهل المدينة مخترقاً حدود المعقول والمألوف، لان هذا الجو الاسطوري الخارق للقوانين الطبيعية، جاء متنفسا للرغبات المكبوتة وفرضا للذات المهمشة والمستلبة من قبل المجتمع. فكانت نهاية اسطورة (البركاتي) حين سمع "الناس دوي الرصاص ولم يستطع اي منهم ان يعرف سببه او مصدره؛ ذلك ان الناس كانوا يعرفون ان المدينة ليس فيها شرطة او جيش وكانوا يعرفون ان زقلونة البركاتي خالي من اللصوص" (يوسف نور عوض،1991، الثلاثية السودانية 203)،ان دمار(زقلونة البركاتي) وزمنها الاسطوري، لان زمن "الغيوب ملجانا وخلاصنا من التعسف والضيق والارهاب"(يوسف نور عوض،1991 ،الثلاثية السودانية 110)،ونجد الزمن الأسطوري الذي يخترق حدود المعقول، حين يقرر السارد في رواية (الشرخ) – من ثلاثية سأسر بأمري لخلاني الفصول –إن يحكي حكايته أمام "مولاي أمناي الذي يهب على الأنام في الربيع لا ليعبث في الأرض فساداً، كما يظن البلهاء والخبثاء، ولكن لان الناموس هو الذي اختاره، سلطانا يفتح بمشيئته الفصول فلمن ارفع يامولانا أمري إن لم ارفعه لخلاني الفصول؟ وبمن أبدا من بين الخلان، أن لم ابتدَ بخليل الخافيات وسلطان الفصول"(إبراهيم الكوني،1999، سأسر بأمري لخلاني الفصول(الشرخ)،الجزء الأول، بيروت،ط1، دار النهار: ص 20).

إن هذا الزمن الأسطوري الذي يجلس فيه السارد أمام الفصول، يحكي قصته في استرداد القرين بعد إن أخذه أهل الخفاء، ومن ثم ضياعه في "درب لم تهجر السلالة المسكونة بعشائر الخفاء، كان يمكن إن يهون الأمر لو لم يسير السليل في درب الأغراب في زمن من غير زمن الغسق"(إبراهيم الكوني،1999، سأسر بأمري: ص 102).

ويبدو ان زمن الأسطوري الذي يأنسن الفصول وأهل الخفاء وكذلك عودة الموتى بعد دفنهم وكذلك يتداخل فيه الحاضر والماضي والمستقبل وما هو عجائبي وما هو فوق الطبيعة، حين نذرت الأم نفسها قربانا لأهل الخفاء، عندما ترزق بالذرية، لأنه لا فرق "في يوم من الأيام بين الجدب الذي يصيب الصحراء، وبين الجدب الذي يصيب امرأة الصحراء، بل جدب الأنثى اشد بلاء من جدب الخلاء"(إبراهيم الكوني،1999، سأسر بأمري: ص37). فكان قدر الأم "ان تبلي نداء الوعد"(إبراهيم الكوني،1999، سأسر بأمري: ص 95)، انه زمن يسير على نظام التداخل وظهور نتائج الأحداث قبل الأسباب. وفي رواية (شرفه الهذيان) يكون زمن الهذيان والخضوع والرعب، هذا الزمن الذي يأتي به "الشرطي ببعض الاشلاء وحين سأله ما علاقتي بهذا.

فال الشرطي: هذا حلم عبر شرفة بيتك العالي بعد منتصف الليل.

قال للشرطي: انه لم يحلم.

قال الشرطي: أتريد القول إنك تعرف أكثر مني؟ هل انت واثق من ان ابناءك لم يحلموا او زوجتك في غفلة منك.

قال: بالتأكيد.

لماذا سأله الشرطي.

لأنني قتلتهم"(إبراهيم نصر الله، 2010، شرفة الهذيان، بيروت، الجزائر، ط3، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف: ص 23-24). ونجد أن البطل يتعامل مع إفراد أسرته على أنهم ميتون، وهو الذي قتلهم، لكن احداث الرواية تستمر كما لو كانوا على قيد الحياة وفي هذا الزمن العجائبي يكبر العصفور عند تعرضه لأشعة الشمس(إبراهيم نصر الله، 2010، شرفة الهذيان: ص128)، وفضلا عن تدخل الأزمنة، الا ان هذا الزمن الأسطوري الخارق للمألوف، يدين الحاضر الذي طغى عليه زمن الهذيان والانهيار والخوف وانعدام الحرية والقمع والتسلط ومصادرة الحريات.

الخلاصة

يشير الزمن الأسطوري إلى خرق للواقع المألوف، والأحداث فيه فوق الطبيعية، وما وراء الواقع، حيث تقوم بها الشخصية في الرواية، التي تكسب ملامح أسطورية من زمنها، ويعبر عن حاجات ثانوية في نفس الإنسان، فيجد في زمن الأسطوري متنفسا عن واقع يعيش فيه الظلم والفقر وفقدان الحياة الكريمة.

المصادر

1) أ.أ. مندلاو،1997، الزمن والرواية، تر: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، بيروت، ط1، دار صادر.
2) إبراهيم الكوني،1999، سأسر بأمري لخلاني الفصول(الشرخ)، الجزء الأول، بيروت، ط1، دار النهار.
3) إبراهيم خليل، 2010، بنية النص الروائي، ط1، بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم الناشرون.
4) إبراهيم نصر الله، 2010، شرفة الهذيان، بيروت، الجزائر، ط3، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
5) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي ،1986، التعريفات، د. ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
6) آلان روب جرييه، د.ت، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، تقديم: د. لويس عوض، مصر، ط1، دار المعارف.
7) آمنة يوسف،1997، تقنيات السرد في نظريه والتطبيق، دمشق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع.
8) تزفيتان تودروف،1990، الشعرية، ت: شكري المبخوت، رجاء سلامة، الدار البيضاء، ط2، توبقال.
9) جمال الغيطاني،2007، كتاب التجليات (الأسفار الثلاثة)، الأعمال الكاملة، ط3، دار الشروق.
10) جيرارد جنيت،1997، خطاب الحكاية (يبحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية.
11) حبيب عبد الرب سروري،2009، دملان، ، بيروت، ط1، دار الآداب.
12) حميد لحمداني،1989، أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، ط1، الدار البيضاء النجاح الجديدة.
13) د. سيزا قاسم،198، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ)، ط4 الهيئة المصرية العامة.

14) العاني، د. شجاع مسلم ،1994، البناء الفني في الرواية العربية في العراق، الجزء الأول، بغداد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة.
15) د. عبد الملك مرتاض،1998، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، ع24، الكويت، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.
16) د. فيصل دارج،2002، نظرية الرواية والرواية العربية، بيروت، ط2، المركز الثقافي العربي.
17) سعد عبد الحسين،1994، البنية السردية في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.
18) سعيد يقطين،2005، تحليل الخطاب الروائي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، المركز الثقافي العربي.
19) سعيد يقطين،2006، الرواية والتراث السردي (من اجل وعي جديد بالتراث)، ط1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع
20) شعيب حليفي، 2009، شعرية الروية الفانتاستيكية، بيروت، الجزائر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
21) عبد الحميد المحادين،1999. التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، بيروت، ط1 المؤسسة العربية للدراسات.
22) ميشال بوتور،1986، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد انطونيوس، بيروت، لبنان، ط3، منشورات عويدات.
23) : مجموعة مؤلفين، نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)،1982، تر: إبراهيم الخطيب، بيروت، لبنان، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية.
24) نهاد التكرلي،1985، الرواية الفرنسية الجديدة، الموسوعة الصغيرة (166)، الجزء الأول، بغداد، ط1، دائرة الشؤون الثقافية والنشر.
25) يوسف نور عوض،1991، الثلاثية السودانية، د. ط، مكتبة مدبولي.

التعليل النحوي عند ابن كمال باشا (ت940 هـ/1534م) في كتابه أسرار النحو – دراسة تحليلية

إعداد

م.د امال ياسين محمد
كلية الاعلام / الجامعة العراقية
amal.y.mohammed@aliraqia.edu.iq

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن منهج ابن كمال باشا في توظيف التعليل النحوي، وتحليل أسسه النظرية والتطبيقية في ضوء تراث النحو العربي ومنهجه العقلي.

وقد جاء اختيار الموضوع لما يمثّله (ابن كمال باشا) من مكانة بارزة في المدرسة النحوية المتأخرة، ولما يتّسم به كتابه (أسرار النحو) من عمق في النظر وتحليل في المسائل النحوية، اذ يجمع بين الدقة اللغوية والرؤية المنطقية.

وقد تبيّن من خلال الدراسة أنّ (ابن كمال باشا) قد بنى تعليله النحوي على أساس يجمع بين المنهج اللغوي القائم على السماع والقياس، والمنهج العقلي المتأثر بالمنطق والفلسفة، مما أضفى على تحليلاته عمقًا واتساقًا داخليًّا. كما أظهرت النتائج أنه سعى إلى تأصيل العلل النحوية وربطها بمقاصد العربية وخصائصها.

ويخلص البحث إلى أنّ منهج (ابن كمال باشا) يمثل حلقة مهمّة في تطوّر الفكر النحوي في العهد العثماني، وأنّ دراسته تكشف عن امتداد روح التجديد النحوي إلى عصور ما بعد (ابن هشام)، مما يستدعي المزيد من الدراسات حول نحاة تلك المرحلة وآثارهم في خدمة الدرس اللغوي.

Abstract:

This research aims to uncover Ibn Kamal Pasha's approach to employing grammatical reasoning, and to analyze its theoretical and applied foundations in light of the heritage of Arabic grammar and its rational methodology.
The topic was chosen because of the significance of Ibn Kamal (Pasha) He holds a prominent position in the later grammatical school, and his book (Secrets of Grammar) is characterized by depth of thought and analysis of grammatical issues, as it combines linguistic accuracy with logical vision.
The research adopted a descriptive, analytical, and comparative approach. It began by examining the concept of grammatical reasoning as presented by early grammarians, then traced its manifestations in the secrets of grammar, analyzing its types, methods, and functions. The research then compared Ibn Kamal Pasha's methodology with those of several other grammarians (such as Ibn Jinni, Al-Zamakhshari, and Ibn Hisham) to identify areas of innovation or adherence to tradition in his reasoning.
The study revealed that Ibn Kamal Pasha based his grammatical reasoning on a foundation that combined a linguistic approach based on auditory perception and analogy with a rational approach influenced by logic and philosophy, thus lending his analyses depth and internal consistency. The results also showed that he sought to establish the origins of grammatical principles and link them to the purposes and characteristics of the Arabic language.
The research concludes that Ibn Kamal Pasha's approach represents an important link in the development of grammatical thought during the Ottoman era, and that studying it reveals the extension of the spirit of grammatical renewal into the periods after Ibn Hisham, which calls for further studies on the grammarians of that period and their impact on linguistic studies.

المقدمة:

الحمد لله الذي رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعاملين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحباته الغر الميامين .

أما بعد ...

فإن هذا البحث يتناول موضوع التعليل وما يقتضيه من ذكر للسبب (العلة) وتفسيرها (التحليل) والذي يعدّ من مقومات الدراسات التحوية، إذ نجد عموم النحويين يميلون الى تعليل الظواهر النحوية لتكون أفهم وأبين وأوثق، وقد تناولت الكثير من الدراسات الحديثة هذا الجانب بصورة عامة وخاصة، لكن دراستنا خصصت بكتاب اسرار النحو لا بن كمال باشا، وهو كتاب لا توجد فيه دراسات كثيرة سوى دراسة واحدة جمعت العلل في كتب اسرار النحو واعتمد الباحث فيها كتاب (المخترَع في اذاعة اسرار النحو للأعلم الشنتمري، واسرار النحو العربية

للانباري، واسرار النحو لابن كمال باشا، واظهار الاسرار في النحو للبركوي) وكان بحثه تحت عنوان (العلة النحوية في كتب اسرار النحو) للباحث الدكتور جاسم صادق غالب، وقد كانت دراستنا مكملة لما جاء به هذا البحث، إذا ذكرنا بقية العمل مع بيان مواضعها، مع اضافة المواضع التي لم تذكر في العلة المذكورة في موضوع الدراسة اعلاه، فأصبحت الدراسة بعونه تعالى مستفيضة فيما يخص ذلك، أما الشطر الآخر فهو التعليل (التفسير) فقد اعتمدنا فيه على ابرز مواضع التعليل فجاءت على سبيل التمثيل لا الحصر ؛ ذلك لأن الكلام فيها كثير وسعة المقام هنا في البحث لم تسعفنا فأضطررنا الى الاخذ بالانموذجات.

وعليه فإن الدراسة توزعت ما بين مقدمة ومبحثين، تكون المبحث الاول من مطلبين اختص الأول بالتعريفات للغوية والاصطلاحية للعلة والتحليل، اما الثاني فأخذ حياة ابن كمال باشا، ثم المبحث الثاني إذ انقسم على مطلبين ايضاً، فأختص الأول بتناول العلل على سبيل الحصر، وأخذ الثاني التحليل على سبيل التمثيل، وخيراً خاتمة البحث.

وقد ساد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي والمقارن في بعض المسائل التي تحتاج الى المقارنة، كما اعتمدت في البحث على عدة مصادر قديمة وحديثة مثل اللباب في عال البناء والاعراب للعكبري، والاقتراح في اصول النحو للسيوطي، والموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الافغاني، والنحو الوافي لعباس حسن وغيرها، اخيرا ندعو الله ان تكون هذه الدراسة مصدر افادة ونفع ينتفع بها ومن الله التوفيق.

المبحث الاول :

المطلب الاول: تعريف العلة:

العلة في اللغة: "علل: العَل والعَلل: الشربة الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً، يقال عَلل بعد نهل ..... والعَلل من الطعام: ما أُكِل منه ؛ عن كراع، وطعام قد عُل منه: أي: أُكل ..... والعَلة و العلالة: ما يُتعلل بهِ، وفي الحديث: أنه أتى بعَلالة الشاة فأكل منها، اي بقية لحمها

والعِلل ايضاً: جمع المعلول، وهو ما يعلل به المريض من الطعام الخفيف .. وقد اعتل العليل علة صعبة، والعلة المرض، عل يعل واعتل أي: مرض، فهو عليل، واعله الله، ولا اعلك الله أي: لا أصابك بعلة واعتله تجنى عليه " (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 260) و"يسمي المرض عله، لانه يشغل صاحبه عن حاجته" (الفيروزآبادي، 2005م، صفحة 21/4) والعلة "هي السبب، وكانوا يقولون: تلك عِلة هذا، أي: سببه ؛ لأن السبب ما يتوصل به إلى غيره والعلة كذلك معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل. وهذا المعنى الاخير هو المعنى المشترك بين جميع ما سبق من معاني كما هو مدارها الذي تدور حوله" (الجيلي، 1940م)

اما التعليل في اللغة فهو "سقي بعد سقي، وجنى الثمرة مرّة بعد أخرى" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 260) اي الاستمرارية والديمومة والتعليل "تفعيل من قولهم علل ماشيته إذا سقاها مرة بعد مرة، وعللت هذا إذا جعلت له علة وسببا" (ابن السراج، 1996م، صفحة 54/1)

العلة في الاصطلاح

للعلة عدة تعريفات اصطلاحية منها "تغيير المعلول عمّا كان عليه" (ابو الحسن الرماني، صفحة 67) او هي "ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه" (الجرجاني، 2002م، صفحة 68) وهي "الحكم الذي يعطى عن الكلمة في بنائها " (نوال بابتي، صفحة 678/2) أو انها "السبب الذي تحقق في المقيس عليه فأوجب له حكماً و حقق في المقيس ايضاً فأكف به فأخذ حكمه" (ابوالمكارم، 1973م، صفحة 155)

والتعليل في الاصطلاحا: هو "تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الاثر" (ابوالبقاءالحنفي، صفحة 439) اى "ان يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة متقدمة على المعلول كقوله تعالى: {و لولا كتب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم} (الانفال، 68) فسبق الكتاب من الله علة النحاة من العذاب" (ابوالبقاءالحنفي، صفحة 294) وتكمن فائدة التعليل "في تقرير الحقائق و المعتقدات" (عوض، 2025م، صفحة 497) لأن وظيفته ال تفسير سبب حدوث المشكلة النحوية فهو "تفسير اقتراني يبين علة الاعراب والبناء على الاطلاق وعلى الخصوص وفق اصوله العامة، فهو تفسير ؛ لأن التفسير هو الكشف عن المراد من اللفظ نحوياً سواء كان ذلك ظاهراً في المراد او غير ظاهر" (خميس الملخ، 2000م، صفحة 29) والعلة ركن من اركان التعليل إذ يتم التعليل عن طريق العلة والمعلول ؛ لأن "العلة دليل يقترن بالمعلول لتفسيره نحوياً ويسميها بعض النحاة سبباً أو وجهاً، والمعلول مدلول عليه بالعلة المفسرة لحكمة المستعمل كجر الاسم بحرف البحر" (خميس الملخ، 2000م، صفحة 30) وبهذا نخلص الى أن التعليل هو "تبين علة الشيء، وهو ما يستدل فيه بالعلة على المعلول ويسمى البرهان اللمي، والعلة ما يؤثر في غيره، أو هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً ومؤثراً فيه" (عباس، 1999م، صفحة 2) وعليه فإن العلة هي السبب الذي دفع العرب لأختيار وجهاً معيناً في كلامها، أما التعليل فهو بيان اسباب وشرح وتفسير هذا الاختيار. (المبارك، 1987م، صفحة 19)

وكما هناك فرقاً بين العلة والتعليل ايضاً هناك فرق بين التعليل والاعلال، فالأول أصبح معروفاً لكن الأخير يحتاج الى تبيين، ولا نحتاج الى معناه اللغوي كون المسألتين من جذر واحدة، لكن الاعلال في الاصطلاح هو "تغيير حروف العلة بالقلب او الحذف اوالتسكين نحو صوغ اسم المفعول من الفعل (قال) وهو (مَقُول) والاصل (مَقْوُول) بضم الواو الاولى نقلت الضمة الى الساكن قبلها فصارت (مقوُول) وهذا يسمى (اعلالا بالنقل) وترتب عليه تسكين حرف العلة الاول واجتماع حرفين ساكنين متواليين لا يصح فحذف الاول منهما، وهذا يسمى علالاً بالحذف فصارت الكلمة (مَقُول)" (رحم، 2020م، صفحة 3) وهناك النوع الثالث من الاعلال وهو الاعلال بالتسكين ويتمحور الاعلال بتغيرات حروف العلة الثلاثة (الألف والواو والياء) وما يشابهها وهو (الهمزة)، أما التعليل فهو بيان و شرح وتفسير لمسألة نحوية معينة، ويدخل الاعلال ضمن الدراسات الصرفية، اما التعليل فهو دراسة نحوية.

االمطلب الثاني: حياة ابن كمال باشا

وهو من العلماء الترك المستعربين، اسمه شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا زادة الشهير بابن كمال باشا، احد موالي الرومية، ولد في طوقات من نواحي سيواس بتركيا (زادة، 1975م ، صفحة 226 ، 108 ، 5) ونشأ في بيت علم وفضل ومكانة عالية (باشا، 1406هـ، صفحة 185) إذ كان جده لابيه احد امراء الدولة العثمانية، وكان والده من عساكر السلطان محمد الثاني الفاتح، وحامل لواء اماسيا في القسطنطينية 857هـ (زاده، 1975م، صفحة 226)، وقد اهتم ابن كمال باشا منذ صغره بالتعلم والمعرفة وحفظ القرآن وعلوم اللغة ينظر: (ابن كمال باشا، صفحة 6) فقد تتلمذ على ايدي علماء افاضل امثال "المولى لطفي والمولى مصلح الدين القسطلاني والمولي خطيب زاده والمولي معروف زاده" (ابن كمال باشا) وقضى اغلب حياته معلماً وقاضيا، فقد درّس في مدارس عديدة منها مدرسة علي بك بأدرنة، ثم مدرسة اسكوب ثم المدرسة الحلبية، ثم احدى المدرستين المتجاورتين، ثم احدى المدارس الثمان، ثم مدرسة السلطان بايزيد خان، ثم مدرسة دار الحديث بأدرنة (ابن كمال باشا) وصار بين ذلك في سنة ٩٢٢هـ قاضياً لأدرنة، وغزل سنة ٩٢٥ هـ، وعين رئيساً لدار الحديث بأدرنة، وصار في عام ٩٣٢هـ شيخ الاسلام مفتي الخلافة العلية العثمانية واستمر في الافتاء الى ان توفي في الثاني من شوال ٩٤٠هـ نيسان ١٥٣٤م بزمن سليمان القانوني ودفن في باب ادرنة في زاوية (محمود جلبي) وقيل في تاريخ مؤته (ارتحل العلم بالكمال) (باشا، 1406هـ، صفحة 187) إذ قضى ابن كمال باشا حياته بالكتابة والمطالعة والتأليف حتى زادت مؤلفاته عن ثلاثمئة رسالة في علوم مختلفة، وقد نال شهرة علمية واسعة في عصره وما بعد عصره إذ جعلته محط تقدير حتى قبل عنه أنه كان "في العلم جبلاً راسخاً وطوداً شامخا، وكان من مفردات الدنيا ومنبعاً للمعارف العليا . روّح الله تعالى روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه" (زادة، 1975م ، صفحة 227) ويعرف عنه اخلاقه الحميدة الحسنة وادبه التام وعقله الوافر. (الكنوي، 1324هـ)

وابن كمال باشا بجهوده العلمية هذه عند العثمانيين يشابه جلال الدين السيوطي (911هـ) عند العرب "فكلاهما زينة العصر اتفقا في كثرة التأليف والجمع" (الكنوي، 1324هـ، صفحة 21)

وهناك من يرى ان لدى ابن كمال النظرة الدقيقة والفهم الحسن وسرعة التأليف أكثر من السيوطي وهذا ما ذكره التميمي بقوله: "وعندي أن ابن كمال باشا أدق نظراً من السيوطي واحسن فهما وأكثر تصرفا، على أنهما كانا جمال ذلك العصر، وفخر ذلك الدهر" (الحنفي، 1970م، صفحة 412/1) لكن هناك من يرى ان السيوطي فاق ابن كمال باشا فى علم الحديث وهو الكنوي إذا قال: "هو ان كان مساوياً في علم الحديث للسيوطي في سعة الاطلاع في الادب والاصول، لكن لا يساويه في فنون الحديث، فالسيوطي اوسع نظراً وأدق فكراً في هذه الفنون منه" (الكنوي، 1324هـ، صفحة 22) ونحن نرى أن الاثنين كان لهم صداهم في العلوم المختلفة، وكلا منهما له ذات التأثير والذيوع والاشارة من قبل بقية العلماء حتى وإن تمايز احدهما عن الآخر بمعرفة معينة.

أما آثاره العلمية فتعد ثروة فكرية كبيرة ومتنوعة العرفة إذ نراه ابدع واجاد في اغلب مؤلفاته فكان "إماماً بارعاً في التفسير والفقه والحديث والنحو و التصريف والمعاني والبيان والكلام والمنطق والاصول وغير ذلك" (الحنفي، 1970م، صفحة 490/1 ، 460)

ومن مؤلفاته: رسالة في الكلمات المعربة، والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه، ورسالة في تصحيح لفظ الزنديق وتحقيق معناه الدقيق، واسرار النحو، ورسالة في مَن التبعيضية، ورسالة في جموع التكسير، ورسالة في المجاز، ورسالة في الاستعارة، ورسالة في بين الفرق الضالة، ورسالة في حد الخمر، ورسالة في مهمات المفتي، ورسالة في البسملة، ورسالة في الماهية. (باشا، اسرار النحو، 2002) وغيرها من المؤلفات التي تصل الى ١٣٥ مؤلفا.

أما في كتابه (اسرار النحو) موضوع الدراسة فقد عرض فيه جهوده النحوية وتعليلاته، واستعمل المصطلحات البصرية اكثر من الكوفية (باشا، اسرار النحو، 2002) وسوف نعرض قسما من تعليلاته وبيان العلل النحوية في القسم المخصص لهذه الدراسة وهو المبحث التالي.

المبحث الثاني: العلة والتعليل عند ابن كمال باشا

المطلب الاول: العلة:

ذكرت الدراسة السابقة التي اشرنا اليها في مقدمة بحثنا عددا من العلل وردت في كتاب النحو ولكن لم يكن الذكر وافياً، لذا فقد قمت في بحثي هذا بتقصي بقية العلل التي لم تذكر، واضافة مواضع العلل الذي ذكرت في الدراسة السابقة وسنبدأ أولًا بالعلل غير الذكورة:

1- علة اجراء الفرع على الاصل:

اذ ذكر في اعراب جمع المؤنث السالم بأنه بالضمة رفعاً وبالكسرة نصباً وجرّاً "إنما حمل نصبه على جره اجراءً للفرع على وتيرة الأصل الذي هو جمع المذكر السالم، ونصبه محمول على جره" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 79) وقد حمله الاشموني ايضا على الأصل (الاشموني، 1998م) وعده ابن يعيش فرع على جمع المذكر السالم وبين ان الفرق بينه وبين جمع المذكر بن الأول تتعاقب الحركات الاعرابية فيه على حرفه المزيد وهو التاء، أما جمع المذكر السالم فلا تتعاقب الحركات الاعرابية على حرفه المزيد وهو النون (ابن يعيش، 2001م)

وايضا ذكر ابن كمال باشا علة اجراء الفرع على الأصل في اعراب المثنى والجمع بالحروف وما يلحق بهما "لأنهما فرع الواحد وفي آخرهما حرف يصلح للاعراب فجعلت تلك الحروف اعرابهما ليكون اعرابهما فرعاً لاعراب المفرد" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 80) كما أكد ابن كمال باشا هذه العلة في موضع آخر من الكتاب عند كلامه عن المجموع.

2- علة المشابهة:

وقد ذكرها ابن كمال باشا بمواضع عديدة أولها في كلامه عن الملحق بالمثنى وجمع المذكر السالم إذ قال "وعشرون ليس جمع عشرة وإنما افردناها بالذكر لاتها ليست بجمع وأعربت إعراب الجمع لمشابهتها بالجمع" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 40) وذكر ان الألفاظ الملحقة ليست بمثنى ولا جمع حقيقي لأنها لا يوجد مفرد منها ولا تخضع لشروط الجمع الحقيقي لكنها لمشابهتها بالمثنى والجمع اعربت اعرابهما (العثيمين، صفحة 5/5) وذكر في موضع آخر علة المشابهة في الممنوع من الصرف إذ قال: "انما منع الجر لمشابهته التنوين في

الاختصاص بالاسم، وقال بعضهم: هما ممنوعات اصالة وإنما منع من الصرف لمشابهته الفعل في تحقق الفرعيتين" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 84) وقال في الاسم الذي حقه المنع من الصرف ثم صرف بدخول احد خواص الاسم عليه بأن مشابهته للفعل قد ضعفت فعاد إلى الاصلية وهي الصرف (باشا، اسرار النحو، 2002)، وذكر في موضوع المبتدأ و الخبر ان عامل الرفع فيهما ليس الابتداء، ولا الاسناد، ولا ان يكون الابتداء عامل في المبتدأ، و يعمل المبتدأ في الخبر، وليس احدهما عاملاً في الاخر (ناظر الجيش، 1428هـ، صفحة 853/2) انما اوعز العامل فيهما هو شبههما بالفاعل (باشا، اسرار النحو، 2002)، ودليله على ذلك ان النحويين "يعدونهما من ملحقات الفاعل، والمبتدأ عمدة البيان ثم استحق التقديم والتعريف" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 106)

وذكر في موضع اسم (ما) و (لا) المشبهتين بـ (ليس) بأنه شذ عمل (لا) لقلة مشابهتها بـ (ليس) (باشا، اسرار النحو، 2002) وذكر ان علة بناء اسماء الاشارة هو شبهها بالحروف في احتياجها الى الصفة او الصلة (باشا، اسرار النحو، 2002) ويوعز ابن كمال باشا ان علة بناء الاسماء الموصولة هي مشابهتها الحرف في الاحتياج الى الصلة (باشا، اسرار النحو، 2002) وفي حديثه عن الظروف ذكر لنا الظرف (الآن) وبين ان سبب بناءه مشابهته لاسم الإشارة (باشا، اسرار النحو، 2002) كما نسب إعمال اسم الفاعل لمشابهته الفعل المضارع لذا لا يعمل اذا كان اسم الفاعل دالا على الحال او الاستقبال لأنه إذا دل على الماضي فقد مشابهته للفعل المضارع (باشا، اسرار النحو، 2002) ومن كلامه عن عسى يؤكد انها تشبه الحرف، ودليله في ذلك انها تتضمن معنى الانشاء (باشا، اسرار النحو، 2002) ويذكر في حذف (ان) من خبر عسى انه تشبيهاً لعسى بكاد (باشا، اسرار النحو، 2002) وبالعكس قد "تدخل (أن) على خبر كاد تشبيهاً له بعسى" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 253)

3- الخفة:

ذكر الخفة لأول مرة في كتابه عند حديثه عن الاعراب التقديري إذ ذكر ان الأسماء المختومة بـ (ياء) قبلها كسرة يكون اعرابها "تقديري في الرفع والجر دون النصب للخفة" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 83\)

وذكر في العجمة ان الاسم ان كان ثلاثياً فيكون في حكم اللغة وذلك لخفته فينصرف وان الزيادة على ثلاثة أحرف تعارض الخفة (باشا، اسرار النحو، 2002).

وعند حديثه على الاضافة اللفظية ذكر ان فائدتها هو التخفيف في لفظ المضاف وذلك بحذف التنوين، ونون التثنية، ونون الجمع(**57**) (باشا، اسرار النحو، 2002)، وذكر في اسم الاشارة للمكان (تلك) بأنه من (تي لك) فأسكنت اللام للتخفيف، "فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقاء الساكنين" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 181)

ايضاً ذكر الخفة كسبب لنصب الفعل المضارع بالفتحة المعتل الآخر بالواو والياء (**٥٩**) كما ذكر الخفة في موضوع التنوين، إذ يرى وجوب حذف الف (ابن) إذا استعملت بين علمين وذلك للتخفيف. (باشا، اسرار النحو، 2002)

4- عدم الصلاحية:

وقد ذكرها في موضع واحد من كتابه وهو الفاعل اثناء حديثه عن حذف الفعل واستشهد بقوله تعالى: {يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال} (النور 35) إذ علق بكلامه "اي يسبحه رجال، فرجال فاعل يسبح يدل عليه يسبح لعدم صلاحية اسناد يسبح الى الرجال لأن الرجال مسبحين بكسر الباء لا مسبحين تفتح الباء" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 97) ولم اجد غير هذا الموضع الذي ذكرت فيه هذه العلة.

5- دلالة المقام:

وذكرها بموضع واحد عند حديثه عن الضمير العائد على المبتدأ، إذ جوّز حذفه اذا كان معلوماً وكان المبتدأ الثاني خبراً من المبتدأ الأول "فيحذف الجار والمجرور معاً، وقيل يحذف بدلالة المقام" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 109)

6- الصدارة:

إذ ذكر لوجوب تقديم المفعول به على عامله ان تضمن ما يتصدر الكلام من (الاستفهام او الشرط) (باشا، اسرار النحو، 2002) وايضاً في كلامه عن (كم) قال: "وكم استفهامية كانت او خبرية لما صدر الكلام، وكل واحد منهما يكون مرفوعاً بالابتدائية او الخبرية لا الفاعلية لاقتضائها صدر الكلام" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 196) فنراه يوعز سبب رفع (كم) للابتدائية أو الخبرية بسبب صدارتها الكلام، ونفى ان تكون العلة الفاعلية.

وذكر للصدارة موضعاً آخر يخص حروف التحضيض، إذ تتصدر الكلام "لدلالتها على احد انواع الكلام، فتصدر ليدل من أول الأمر على ان الكلام من ذلك النوع " (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 299) كما نسب نفس السبب لصدارة حرفي الاستفهام، إذ قال: "ولهما صدر الكلام لدلالتهما على احد انواع الكلام" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 300)

7- كثرة الاستعمال:

وردت هذه العلة في كتاب اسرار النحو في حديث ابن كمال باشا عن حذف فعل المفعول به في حالة الوجوب، وذلك سماعا لعدم الضابط فتكون علة حذف الفعل هي كثرة الاستعمال نحو "اهلاً أي أتيت مكاناً مأهولاً وسهلاً أي أتيت مكاناً سهلا" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 120) وذكر بعض العلماء إن علة الحذف هي السماع دون ذكر (كثرة الاستعمال) (الافغاني، 2003م)

8- رعاية التناسب:

ذكر ابن كمال باشا هذه العلة في حديثه عن حذف ناصب المفعول به وجوباً إذ قد يرفع بالابتداء او ينصب على انه مفعولاً به بحسب غلبة القرينة فيكون الحكم للغالب وذلك مثل دخول (أما) على هذا الاسم نحو (لقيت القومَ أمازيدٌ فأكرمته) (باشا، اسرار النحو، 2002) "والعطف هنا على الجملة الفعلية قرينة النصب لرعاية التناسب" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 130) لأن ما بعد (أما) يكون مبتدأً في الغالب وهذا اولى في رعاية التناسب أما لو حذفت (أما) فسيكون النصب للتناسب هو الاولى (باشا، اسرار النحو، 2002) ولم نجد

علة التناسب في حذف عامل المفعول به عند اغلب اللغويين لكنها موجودة في الامالة وفي صرف الممنوع من الصرف (الاشموني، 1998م) أيضاً ذكرها ابن كمال باشا عند حديثه عن الاسماء المضافة اضافة معنوية بإضافتها الى ياء المتكلم اذا لم يكن مختوماً بحرف علة، او كان مختوماً بحرفي العلة (الواو والياء) وكان ما قبلهما ساكنا فيكسر اخره للتناسب (باشا، اسرار النحو، 2002)

9- علة الاختصار:

وقد ذكر هذه العلة في حديثه عن حروف التحضيض فيقول: "إن العامل في مثل زيداً ضربته هو ضربتُ لأن المضمر عبارة عن المظهر وإنما كُتب ضميراً للاختصار فيكون عامل المضمر عاملا في المظهر" (باشا، اسرار النحو، 2002، الصفحات 131-132) ويذكرها ايضا في المبني من الاسماء ما لا تمكّن له عند حديثه عن الضمائر اذ يوعز الغرض من استعمال الضمائر هو الاختصار (باشا، اسرار النحو، 2002)

10- الرتبة:

ذكر ابن كمال باشا علة الرتبة في موضع واحد عند حديثه عن الاضافة اللفظية، إذ بين عدم جواز تقدم المضاف اليه على المضاف "لأنه بمنزلة التنوين ولا يجوز تقديم شيء من معمول المضاف على المضاف لأن رتبة العامل قبل مرتبة المعمول" (باشا، اسرار النحو، 2002، الصفحات 155-156)

11- الثقل

وردت علة الثقل في ثلاثة مواضع:

الأول: اثناء كلامه عن الصوت من الكسر بنون الوقاية في الاسماء المبنية غير المتمكنة، إذ ذكر ان نون الوقاية تدخل على (إن واخواتها) إلا (لعل) فإن دخولها ضعيف ؛ وذلك لثقل التضعيف (باشا، اسرار النحو، 2002)، أما ناظر الجيش فأوعز قلة صون (لعل) بالنون الى نقصان الشبه بين (لعل) والفعل لانها في الغالب تعلق ما قبلها بما بعدها (ناظر الجيش، 1428هـ، صفحة 6 / 3047) واوعز آخرون مجيء النون مع (لعل) للقلة (عيد، 1971م)، الثاني: لعلة الثقل فوردت في الفعل وتحديداً في كلامه عن اعراب الفعل المضارع تقديراً، في حالة رفع الفعل المضارع المعتل الآخر بالواو او الياء لثقل الضمة عليهما (باشا، اسرار النحو، 2002)، الثالث: فكان في حديثه عن المجموع (جمع المذكر السالم) المختوم بياء ملفوظة أو مقدرة مسبوقة بكسرة في حالتي النصب والجر إذ نحذف "كسرة الياء بثقل اجتماع الكسرتين والياءين" (باشا، اسرار النحو، 2002)

12- علة شدة الاتصال .

فقد ذكرها في موضع واحد اثناء كلامه عن الفعل المضارع المبني، إذ اوعز سبب البناء مع نوني التوكيد ونون النسوة لشدة اتصالهما بالفعل ؛ لانهما يكونان مع الفعل كالجزء من الكلمة (باشا، اسرار النحو، 2002) "فيكون آخر الكلمة بمنزلة وسط الكلمة فلا يدخل الاعراب، وإن دخل على النون يدخل على كلمة اخرى حقيقية، وأما مع نون النسوة فإن ما قبلها يكون ساكناً ولا يقبل الاعراب" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 230)

13- التضمين:

وردت علة التضمين في اسرار النحو في ستة مواضع وهي:

اولا: في موضع الموصول عند الكلام عن (ما ومَن) وسبب بناءهما للشرط والاستفهام، وذلك (باشا، اسرار النحو، 2002) "لتضمنهما معنى حرف الاستفهام والشرط" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 187)، ثانياً: فيما يخص المبنيات في كلامه عن العدد المركب وبيان علة البناء في الجزأين "التضمنه معنى الحرف لأن في قوة خمسة وعشر أو خمسة من عشر" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 194)، ثالثاً: ذكر في كلامه عن الظروف المبنية غير المتمكنة إذ علل بناء (متى) "لتضمنها معنى حرف الاستفهام او الشرط" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 200) وكذلك الكلام عن (اين وأنى) (باشا، اسرار النحو، 2002)، رابعاً: فقد بين أن (امس) مبنية "لتضمنها الألف واللام" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 201)، خامساً: في بناء (كيف) إذ "بنيت لتضمنها معنى حرف الاستفهام" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 201)، سادساً: ذكر ابن كمال باشا علة التضمين في كلامه عن جوازم المضارع غير الظروف وهي (من – ما – اي) إذ علل سبب جزمها للفعل في الشرط والجزاء هو تضمنها معنى (إن) (باشا، اسرار النحو، 2002)

14- الاحتياج:

وردت علة الاحتياج في كتاب اسرار النحو في موضعين وهي:

اولاً: في كلامه عن (أي) عندما تكون موصولة وتحذف صلتها فإنها تبنى على الضم لاحتياجها الى المحذوف (باشا، اسرار النحو، 2002)، ثانياً: ذكرها اثناء كلامه عن مميز كم الاستفهامية في (قبل – بعد – فوق – تحت – امام – قدام – وراء – خلف – اسفل – دون – قحط) فقال: "انما بني هذا القسم لاحتياجه الى المضاف إليه كأحتياج الحرف الى غيره" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 197) وقد ذكرت علة الاحتياج ثالثاً في كلامه عن (من وما) إذ قال: "وبناؤهما موصوفتين وموصولتين لاحتياجهما الى الصفة والصلة" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 187)

15- الاصل

ذكر ابن كمال باشا علة الاصل في خمسة مواضع وهي:

اولاً: في كلامه عن اسماء الافعال إذ اوعز سبب البناء الى الاصل فقال: "وقالوا في علة بنائها: انها بنيت لقيامها مقام مبني الاصل، والحق إنها من المبني الاصل لأنها في الحقيقة امرٍ او ماضٍ" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 189) وقد اوعز بعضهم علة البناء الى تأثير هذه الاسماء في غيرها دون ان تتأثر وهي تشابه بذلك الحروف العاملة كحروف النصب والجزم (الافغاني، 2003م)، ثانياً: فكان عند كلامه عن الكنايات إذ اوعز سبب بناء (كذا) بانها جاءت من اسم الاشارة (ذا) مع كاف التشبيه فصارا كالكلمة الواحدة "بمعنى كم وبقي على اصل بنائه" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 195) وهذه الاصلية أقر بها اغلب النحويين (الخوارزمي، 1990م) لكن هناك من يرى أن الكاف زائدة وليت للتشبيه (ابن يعيش، 2001م)، ثالثاً: جاء في كلامه عن المصدر فيما لو جاء المصدر مفعول مطلق مع وجود الفعل ظاهراً ام مقدراً جائز اظهاره فيكون "العمل للفعل لأصالته في العمل" (باشا، اسرار النحو، 2002، الصفحات 219-220)، رابعاً: جاءت علة الاصل في كتاب اسرار النحو

اثناء كلامه عن فعل الامر، إذ اوعز علة البناء فيه هي الاصل، لأن الافعال مبينة في الاصل ؛ وذلك بعد حذف حرف المضارعة من فعل الامر فعنده ان فعل الامر هو فعل مضارع لكن حذفت منه حروف المضارعة فبني على الاصل بعد زوال علة الاعراب وهي حرف المضارعة، (باشا، اسرار النحو، 2002) ونرى ان الدكتور محمد عيد أكد ذلك بعمل جدول يوضح ارتباط الامر بمضارعه فهو "يبنى على ما يجزم به مضارعه" (عيد، 1971م، صفحة 111)، خامساً: ذكر ابن كمال باشا علة الاصل أثناء كلامه عن فعل التعجب بأن الاكثر منه "ان يبنى للفاعل لأنه الأصل، وقد جاء على الشذوذ من المفعول" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 256)

16- المفاجأة:

ذكر علة المفاجأة في موضع واحد وهو استعمال (إذ وإذا) وذلك اثناء كلامه عن الظروف المبنية بالاضافة، ويرى ابن كمال باشا أن العامل في (إذ وإذا) هو عامل معنوي غير لفظي وهو معنى المفاجأة وليس "الفعل المتقدم لوقوع الفاء بين العامل والمعمول بل العامل فيهما معنى المفاجأة، وهو غير ملفوظ" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 199)

17- تعدد الاضافة:

وردت هذه العلة في موضع واحد في كلام ابن كمال باشا عن اسماء العدد إذ اوعز نصب مميز العدد المركب (احد عشر الى تسعة عشر) ومميز الاعداد المعطوفة (واحد وعشرون الى تسعة وتسعين) الى تعذر الاضافة فقال: "ومميز احد عشر الى تسعة وتسعين منصوب مفردا، أما نصبه فلتعذر الإضافة بالنون لأنها بمنزلة نون الجمع، ولا يجوز حذفها بالاضافة لأنها في الحقيقة ليست نون الجمع" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 210)

18- القرينة:

وهي العلة المسوغة للحذف وهنا ذكرها ابن كمال باشا مع جواز حذف المبتدأ، إذ يحذف اذا كانت هناك قرينة مقالية أو حالية (باشا، اسرار النحو، 2002) وهذا السائد في حذف المبتدأ وحتى الخير (الفارضي، 2018م)

19- التجرد من الناصب والجازم:

وهي علة رفع الفعل المضارع عند الكوفيين، اما البصريون فعلتهم وقوعه موقع الاسم، والكسائي يرى ان علة الرفع هي الحروف الزائدة الواقعة في أوله (العنزي، 2007م). وعليه فإننا نرى أن ابن كمال باشا اختار رأي الكوفيين لتعليل ذلك.

20- الاشتراك في المعنى:

وردت هذه العلة في موضوع حروف العطف في كلامه عن (حتى) إذ قال: "الاصل فى حتى جارة واستعملت عاطفة لاشتراكها مع الواو في المعنى وهذا ما علله اغلب النحويين" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 290)

21- التشبيه:

وردت هذه العلة في المبنيات في كلامه عن العدد المركب وبيان سبب اعراب الجزء الاول منه في نحو اثني عشر وذلك "لشبهه بالمضاف في حذف النون فيه، إذ أصله اثنان وعشر فخرج بحذف النون عن كونه بمنزلة صدر الكلمة" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 194)

22- التقاء الساكنين:

هذه العلة واردة كثيراً في النحو وعلل بها الكثير من النحويين، وذكرها ابن كمال باشا في موضع واحد تقريباً وهو في حديثه عن جمع المذكر السالم المختوم بياء مثل (قاضي) اذا كانت ظاهر ام مقدرة فتحذف الياء في الرفع والنصب والجر لان "قاضون اصلها قاضيون فنقلت ضمة الياء إلى ما قبلها بعد سلب حركة ماقبلها فحذفت الياء الالتقاء الساكنين وكذا في البحر والنصب ... وحذفت احدى الياءين لالتقاء الساكنين" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 215) وهذا ما اجمع عليه النحويون والصرفيون. (ابن يعيش، 2001م)

هذه تقريباً جميع العلل التي وردت في كتاب اسرار النحو، اضافة لما ذُكر من علل في الدراسة السابقة التي سنضيف عليها مواضع أخرى وجدناها ذكرت فيها في الكتاب من باب التوسعة والشمول في الدراسة لتكون كاملة امام القارئ كون الدراسة السابقة اعتمدت ابرز العلل في كتاب اسرار النحو .

من العلل التي وجدنا لها مواضع اخرى غير مذكورة في الدراسة هي:

1- المصطلح -

ذكر الباحث علة المصطلح في موضع واحد وهو حروف البحر (غالب، 2017)، بينما وردت هذه العلة في تسمية المفعول المطلق وفي التوابع وفي تسمية اسماء الافعال وفي تسمية جمع المذكر السالم بالسلامة او الصحة وكذلك في تسمية الفعل المضارع ايضاً في تسمية افعال القلوب والاغعال الناقصة وفي تسمية الحروف المصدرية وايضا في حرف التوقع وفي حرفي الاستفهام وفي تسمية فعل الشرط اخيراً (باشا، اسرار النحو، 2002).

2- الحذف:

إذ ذكر الباحث لعلة الحذف ثلاثة مواضع (غالب، 2017) وسنضيف المواضع الأخرى وهي: في حذف الفعل الناصب للمفعول المطلق جوازاً ووجوباً وفي حذف مميز كم وفي سبب بناء (منذ ومذ) إذ يقدر لهما محذوف (باشا، اسرار النحو، 2002)

3- التوكيد:

ذكر لها الباحث موضع واحد (غالب، 2017)، ولها موضع آخر وهو دخول التاء في الكلام ومنها يكون لتأكيد الجمع "لأن التأكيد يكون في بعض المواضع للجمع نحو: كمية فإن التاء فيه للجمع لأن مفرده كم" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 207)

اما بقية العلل فهي موجودة في الدراسة التي اشرنا اليها.

المطلب الثاني: التعليل في كتاب اسرار النحو

بعد ان عرضا للعلل التي اعتل بها ابن كمال باشا لبعض المسائل النحوية، سنعرض الآن تفسيراته التي وضح لنا في الاسباب وراء اعتماد هذه العلل.

فمن تعليلاته:

1- جاء في حد الكلام "هو المركب المقيد من اسمين حقيقة نحو: زيدٌ قائمٌ، او حكماً كالضمير المستكن في نحو: زيدٌ ضربَ" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 76) إذ بين سبب تسمية الضمير المستكن حكماً وذلك "لعدم صدق تعريف الكلمة عليه حقيقة ؛ لأنه ليس بلفظ صريح او من اسم وفعل نحو ضرب زيدٌ او من كلمة ومهمل نحو ديز مقلوب زيد فإن ذلك المهمل في حكم الكلمة لأفادته في التركيب" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 76)

2- وذكر في علامات الفعل قبوله الضمير البارز فقال: "واختص به البارز لتعذر اتصاله بالاسماء لاجتماع الفي التثنية وواوي الجمع وأجري المفرد على طريقتهما طرداً للباب" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 76)

3- وذكر ايضاً ابن كمال باشا في الاعراب "هو السبب القريب غير التام ؛ لاختلاف آخر المعرب وهو الحركات او ما يقوم مقامها فخرجت المعاني المعتورة لأنها سبب بعيد بمرتبة والعامل لأنه سبب بعيد بمرتبتين ؛ لأن العامل سبب للمعاني المعتورة، والمعاني المعتورة سبب للحركات" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 77)

4- ويبين ابن كمال باشا سبب اعراب (كلا وكلتا) بالحركات المقدرة اذا اضيفتا الى اسم ظاهر فيقول: "لأن المظهر اصل كالمفرد ويكون اعرابه تقديرياً ؛ لأن آخره الف تسقط بالتقاء الساكنين" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 80)

5- عند الحديث عن الملحق بجمع المذكر السالم بين لنا ابن كمال باشا رأي النحاة عن سبب ذكرها مع الجمع واعربت اعراه، على الرغم بأنها ليست بجمع ؛ وذلك لانها تشبه الجمع، اما اعراب الملحق بالحروف سواء أكان الملحق بالجمع ام بالمثنى فهذا لأنهما فرع ومختومان بحرف "يصلح للإعراب فجعلت تلك الحروف اعرابهما، ليكون إعرابهما فرعاً لإعراب المفرد كما أنهما فرعٌ له" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 80) أما رأيه هو فإن الاعراب مقدر ما بعد الحروف، وان هذه الحروف ليست بعلامة اعراب (باشا، اسرار النحو، 2002)

6- يعلل ابن كمال باشا للاعراب التقديري في المضاف الى ياء المتكلم، وبسبب كسر ما قبل الياء تعذر الاعراب ووجب تقديره، وانكر من قال أن سبب بناءه لأنه أضيف الى المنبي ؛ لأن الاضافة للضمير لا توجب البناء، وانكر من أوعزه الى الاعراب اللفظي في حالة الجر بسبب وجود الكسرة . (باشا، اسرار النحو، 2002)

7- ذكر ابن كمال باشا في بيان الفاعل انه ما ينسب الفعل اليه او ما شابه الفعل فقال: "انما قلنا ما ينسب ولم نقل اسم نسب ليدخل فيه ما هو في تأويل الاسم نحو: اعجبني أن تقوم، اي قيامك، وقلنا نسب ولم نقل اسند لتدخل فيه الانشائيات" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 95) ولم نجد هذه الحرفية في حد الفاعل في معظم الكتب النحوية. (الجوزية، 1954م)

8- وقال في التنازع "إذا توجه عاملان أو اكثر إلى اسم ظاهر وقع ابعد العاملين ..." (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 98) ثم علل استعماله لفظة (عاملان) بدل (فعلان) لأن التنازع قد يكون بين فعلين او اسمين او

اسم وفعل، ثم علل قوله (بعد العاملين) لأنه اذا تقدم الاسم الظاهر اختص العامل الأول بالعمل لأوليته وقربة وكذلك الحال اذا وقع الاسم بين العاملين فيكون العمل للأول (باشا، اسرار النحو، 2002) ويصلح هذا التعليل علة ايضاً لتنازع العاملين ومن هو احق بالعمل.

9- ذكر ايضاً في المبني للمجهول عدم بناء بعض الافعال للمفعول وهي الافعال غير المتصرفة والافعال الناقصة والامر والنفي، فالمتصرفة لا يشتق منها اسم فاعل والامر والنهي كذلك، اما الناقصة فهي "تستلزم حذف معموليها اواحدهما فلا تقيد" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 101).

10- ومن تعليلات ابن كمال باشا اثناء كلامه عن المبتدأ الذي هو ثاني المرفوعات، وهو اسم ظاهر أو مقدر مجرد من العوامل اللفظية وهو المسند إليه، ثم علل ذلك البيان بقوله: "وإنما قلنا أو تقديراً ليدخل فيه نحو { ان تصوموا خير لكم } (البقرة 184)، وان تصوموا مبتدأ لأنه في تقدير الاسم بأن المصدرية" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 104)

11- وقد على لحذف المبتدأ مجازاً عند وجود قرينة تدل عليه وتكون هذه "القرينة مجوزة للحذف فلا بد من قريبة مرجحة لئلا يلزم الترجيح بلا مرجح لأن المبتدأ هو الركن الاعظم الشديد الحاجة اليه" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 113) وهذا ما نجده عند اغلب النحويين. (ابن الحاجب، 2010م)

12- وذكر ابن كمال باشا لوجوب حذف ناصب المفعول في التحذير "انما وجب حذفه لضيق الوقت لأن مثل ذلك انما يقال عند مشارفة الهلاك وشدة الخوف" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 132) ويصلح هذا التعليل ان يكون علة لوجوب حذف الناصب ايضاً وذلك بسبب ضيق الوقت . 13- يذكر ابن كمال باشا في توضيحه للتوابع بأنها "ما يتبع السابق على أكثر أحوال آخره من الإعراب اللفظي والتقديري والمحلي وشبه الاعراب من جهة واحدة" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 157) ثم يعلل قوله هذا فيقول: "وإنما قلنا على أكثر أحوال آخره لئلا يخرج تأكيد الجملة نحو قوله تعالى: { فإن مع العسر سيرا إن مع العسر يسرا } (الشرح 5-6) او تأكيد الفعل المبني نحو: ضُرِبَ ضُرِبَ زيدٌ، وتأكيد الحرف نحو: إن إن زيداً قائمٌ، مع أنها من التوابع" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 157)

14- وفي كلام ابن كمال باشا عن الضمير منع تجويز لا العطف على الضمير المرفوع المتصل بغير تأكيد بالمنفصل، أو بغير فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشيء لئلا يلازم عطف الاسم على الفعل، لأن المرفوع المتصل بمنزلة جزء الفعل لشدة اتصاله به هذا عند البصريين، أما الكوفيون فأجازوا هذا العطف مطلقا بلا شرط شيء" (باشا، اسرار النحو، 2002، الصفحات 174 - 175) وهذا التعليل يصلح ان يكون علة ايضاً.

15- ويقول في الاصوات التي هي من المبنيات بأنها "ليست بأسماء لعدم دلالتها بالوضع، وإنما ذكروها في بيان الأسماء لجريها مجرى الاسماء في الاحكام الالفاظ " (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 192)

16- يذكر ابن كمال باشا في ضمير كم الاستفهامية بأنه مفرد منصوب ؛ وذلك لأنها "لمطلق العدد مع قطع النظر عن قلته وكثرته" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 195) اما مميز كم الخبرية فيكون مجروراً باضافتها إليه ويصح ان يكون مفرداً وجمعا، فالمفرد لان مميز عدد الكثير كذلك وأما كونه مجموعاً لشعر الكثرة (باشا،

اسرار النحو، 2002) كما بين جواز دخول من في مميز كم الاستفهامية وكم الخبرية وهو أكثر في الاخيرة وعلل ذلك بقوله: "لأن من تفيد الاستغراق والخبرية للتكثير فيناسب معناهما" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 195)

17- وذكر في كتابة العدد المركب بأن الجزء الأول من العدد يبقى على حكمه قبل التركيب وهو مخالفة المعدود، أما الجزء الثاني وهو عشر فيطابق في التركيب عكس حكمه قبل التركيب ذلك "لأنهم كرهوا اجتماع علامتي التأنيث فيما هو كالكلمة الواحدة بخلاف احدى عشرة وأثنتا عشرة لأن التأنيث فيهما في جنسين ؛ وذلك ان تاء التأنيث في ثنتان بدل من لام الكلمة فلم يتمحض للتأنيث فكأنه من جنس آخر" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 209)

18- وفى كلامه عن مائة والف، ذكر ابن كمال باشا مميز مفردهما ومميز تثنيتهما واحترز بذكر جمع المائة وذكر جمع الألف فقط، وعلل ذلك بقوله: "وإنما قلنا ومميز جمع الالف ولم نقل جمع المائة لأن جمع المائة في الاعداد مرفوض فلا يقال ثلاثمئات رجل كنا يقال ثلاثة آلاف رجل" (باشا، اسرار النحو، 2002، صفحة 210) وقد جوز ذلك سيبويه (الجوجري، 2004م)

الخاتمة:

بعد حمد الله وتوفيقه تمت هذه الدراسة التي اخذت اكثر من جانب، والتي نخلص من خلالها الى عدّة نتائج منها:

1- أن كتاب اسرار النحو من الكتب التي كانت دراستها شبه معدومة الا دراسة واحدة اشرنا اليها.

2- ان مصطلح العلة يختلف عن مصطلح التعليل فالأول هو بيان السبب، الثاني هو تفسير ذلك.

3- ان العلل في النحو العربي لا تحصى ولا تقيد فهي كثيرة وغير محصورة وكذلك الحال في التعليل لأنه يعتمد على رأي وقناعة النحوي .

٤- قد تكون المسألة النحوية واحدة عند اغلب النحويين، ولكن علتها او تعليلها مختلف بينهم.

5- وردت العلل المعنوية كثيراً عند ابن كمال باشا فذكر مثلاً التضمين والمشابهة والتجرد والاحتياج والمفاجأة وغيرها .

٦- يذكر ابن كمال باشا آراء النحريين البصرية والكوفية والمنفردة ثم يدلي برأيه ويعلل له.

واخيراً نوصي بتكثيف الدراسات في كتاب اسرار النحو والافادة من هذا الكنز العلمي الذي تخرج منه موضوعات بحثية قيمة .

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- ابن كمال باشا. (1406هـ). رسالة في تحقيق معنى النظام والصياغة. مجلة الجامعة الاسلامية العددان 72 ، 72.

3- ابن كمال باشا. (2002). اسرار النحو. دار الفكر للطباعة.

4- ابو الحسنات محمد عبد الحي الكنوي. (1324هـ). الفوائد البهية في تراجم الحنفية. مصر / القاهرة: مطبعة السعادة.

5- ابو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف ابن السراج. (1996م). الاصول في النحو (ط2). بيروت / لبنان: مؤسسة الرسالة.

6- احمد بن مصطفى طاشكبري زاده. (1975م). الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية. بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية .

7- احمد خضير عباس. (1999م). اسلوب التعليل في اللغة العربية. بغداد / العراق: الجامعة المستنصرية / كلية الاداب.

8- المولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الحنفي. (1970م). الطبقات السنية في تراجم الحنفية. القاهرة.

9- ايوب بن موسى الحسيني القريمي ابوالبقاءالحنفي. (بلا تاريخ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت / لبنان: د / ط.

10- برهان الدين ابراهيم بن محمد بن ابي بكر ايوب بن قيم الجوزية. (1954م). ارشاد السالك الى حل ألفية ابن مالك (ط 1). الرياض / المملكة العربية السعودية: اضواء السلف.

11- جاسم صادق غالب. (2017). العلة النحوية في كتب اسرار النحو. ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، ط 3.

12- جمال الدين عثمان بن عمرو بن ابي بكر المصري ابن الحاجب. (2010م). الكافية في علم النحو (ط 1). القاهرة / مصر: مكتبة الآداب.

13- حسن خميس الملخ. (2000م). نظرية التعليل النحوي. عمان / الاردن: دار شروق.

14- حيدر محمد رحم. (2020م). الاعلال : حقيقته واهميته في الصرف العربي. بحث منشور في المجلة الدولية للعلوم الانسانية العدد 17.

15- سعيد بن محمد بن احمد الافغاني. (2003م). الموجز في قواعد اللغة العربية. بيروت ، لبنان: دار الفكر.

16- شمس الدين محمد الفارضي. (2018م). شرح الامام الفارضي على ألفية ابن مالك (ط 1). بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية.

17- شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري. (2004م). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (ط 1). المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية.

18- صدر الافاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي. (1990م). شرح المفصل في صنعة الاعراب للزمخشري الموسوم بالتخمير (ط1). بيروت / لبنان: دار الغرب الاسلامي.
19- عبد العال ادريس عمر الجيلي. (1940م). العلل النحوية بين القدماء والمحدثين واثرها في تجديد النحو وتيسيره – دراسة تحليلية مقارنة.
20- عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب الجديع العنزي. (2007م). المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف (ط 2). بيروت / لبنان: مؤسسة ابلريان.
21- عزيزة نوال بابتي. (بلا تاريخ). المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت لبنان: ط1.
22- علي ابوالمكارم. (1973م). اصول التفكير النحوي. بنغازي / ليبيا: ط1.
23- علي بن عيسى بن علي ابو الحسن الرماني. (بلا تاريخ). رسالة الحدود. عمان / الاردن: دار الفكر.
24- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. (2002م). التعريفات. بيروت / لبنان: د / ط.
25- علي بن محمد بن عيسى نور الدين الاشموني. (1998م). شرح الاشموني على الفية ابن مالك (ط1). بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية.
26- مازن المبارك. (1987م). النحو العربي : العلة النحوية نشأتها وتطورها. بيروت / لبنان: دار ابن كثير د / ط.
27- مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (2005م). القاموس المحيط (المجلد 8). بيروت / لبنان: مؤسسة الرسالة.
28- محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (بلا تاريخ). http://WWW.islamweb.com. تم الاسترداد من الشبكة الاسلامية.
29- محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب. بيروت لبنان: دار صادر.
30- محمد بن يوسف بن احمد المعروف ناظر الجيش. (1428هـ). شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد. القاهرة / مصر: دار السلام.
31- محمد عيد. (1971م). النحو المصفى (ط1). مكتبة الشباب.
32- يعقوب بن احمد خاجي عوض. (2025م). التعليل النحوي في المبني من الافعال في شرح كافية ابن الحاجي.
33- يعيش بن علي بن يعيش محمد بن علي ابن يعيش. (2001م). شرح المفصل لابن يعيش (المجلد ط1). بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية.

دور النسور في تطور المحكمة الدستورية الأردنية / دراسة تاريخية

إعداد

م.د محمد فاضل ابراهيم
وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة/ مركز ابو غريب الدراسي

المستخلص

يُعدّ الدكتور محمد عبد الرحمن النسور (1946–2023) أحد أبرز الشخصيات القانونية والسياسية في تاريخ الأردن الحديث، حيث اجتمع فيه العمق الأكاديمي في القانون الدستوري مع الخبرة السياسية العالية. شغل مناصب حكومية عليا، وبرز كأحد المهندسين الرئيسيين للإصلاحات الدستورية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، لا سيما في إنشاء وإرساء مؤسسة المحكمة الدستورية في الأردن.

تهدف هذه الدراسة التاريخية إلى تحليل دور النسور في تطور المحكمة الدستورية، من خلال تتبع مساهماته الفكرية، التشريعية، والتنفيذية، منذ دعواته المبكرة لإنشائها في الثمانينات، وحتى تفعيلها فعليًا خلال رئاسته للوزراء (2012–2016).

الكلمات المفتاحية: العمق، النسور، التشريعية، التنفيذية

Abstract

Dr. Mohammad Abdulrahman Al-Nsour (1946–2023) is considered as one of the most prominent legal and political figures in the history of modern Jordan, combining profound academic expertise in constitutional law with extensive political experience. He held high-ranking governmental positions and emerged as one of the principal architects of the constitutional reforms in the second decade of the twenty-first century, most notably in the establishment and consolidation of the Constitutional Court in Jordan.

This historical study aims to analyze Al-Nsour's role in the development of the Constitutional Court by tracing his intellectual, legislative, and executive contributions—from his early calls for its establishment in the 1980s to its actual implementation during his premiership (2012–2016).

Key words: expertise, Al-Nsour, legislative, excutive

المبحث الأول

1. المقدمة

تُعدّ المحكمة الدستورية في الأردن من أبرز المنجزات الدستورية في العقد الأخير، إذ جاءت ثمرةً للتعديلات الدستورية لسنة 2011 التي رسّخت مبدأ الرقابة الدستورية المستقلة. وفي خضم هذه المرحلة المفصلية برز دور عدد من السياسيين والقانونيين، ومن بينهم محمد عبد الرحمن النسور، الذي أسهم بخبرته القانونية والسياسية في دعم مسار المحكمة وتعزيز مكانتها. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دوره ضمن سياق الإصلاحات الدستورية، مع عرض أمثلة على إسهاماته ومواقف معاصريه.

1.1 اسئلة البحث

1. ما الظروف السياسية والدستورية التي مهّدت لإنشاء المحكمة الدستورية الأردنية، وكيف ساهم النسور في تفعيلها ضمن سياق الإصلاحات الدستورية بعد عام 2011؟
2. ما دور النسور التنفيذي والتشريعي في إقرار قانون المحكمة الدستورية (2012) وتشكيل هيئتها الأولى خلال فترة رئاسته للحكومة؟
3. إلى أي مدى كان للنسور إسهام فكري وقانوني في ترسيخ مكانة المحكمة الدستورية كهيئة مستقلة، مقارنة مع التجارب السابقة لتفسير الدستور؟
4. كيف أثّرت سياسات النسور المتعلقة بالمحكمة الدستورية على مسار الإصلاحات الدستورية الأوسع في الأردن (2012–2016)؟
5. ما التحديات والانتقادات التي واجهت المحكمة الدستورية في عهد النسور، خاصة فيما يتعلق بحق اللجوء إليها، وما دور النسور في التعامل مع هذه التحديات؟
6. ما مدى استمرارية الأثر التاريخي لسياسات النسور تجاه المحكمة الدستورية بعد انتهاء ولايته، وهل ساهمت في تعزيز الفصل بين السلطات وحماية الحقوق الدستورية؟

1.2 فرضيات البحث

1. النسور أحد أبرز المهندسين الدستوريين: لعب النسور دورًا محوريًا في تفعيل المحكمة الدستورية بالأردن عبر مبادراته التشريعية والتنفيذية خلال فترة رئاسته للحكومة (2012–2016).
2. الإصلاحات الدستورية في عهد النسور مثلت تحولًا نوعيًا، حيث ساهم في إرساء مؤسسة رقابية عليا مستقلة، هدفت إلى ضبط العلاقة بين السلطات وتعزيز الرقابة على التشريعات.
3. المحكمة الدستورية تجسيد لرؤية النسور حول ضرورة وجود مرجعية قضائية عليا لتفسير الدستور، بديلاً عن الاعتماد السابق على المكتب الخاص في محكمة التمييز.

4. تأثير النسور تجاوز ولايته: الإصلاحات التي رسخها النسور في المحكمة الدستورية استمرت بعد رحيله عن السلطة وأسهمت في تطوير الحياة الدستورية الأردنية.
5. التحديات السياسية والانتقادات الشعبية لم تقلل من أهمية الدور التاريخي للنسور في إنشاء المحكمة، بل أظهرت طبيعة الصراع بين الطموحات الإصلاحية والقيود السياسية في الأردن.
6. الدور الفكري والقانوني للنسور لم يكن منفصلًا عن خلفيته الأكاديمية، إذ جمع بين الجانب النظري (كخبير في القانون الدستوري) والتطبيقي (كرئيس وزراء وقائد إصلاح).

2. المبحث الأول/ الإطار النظري: المحكمة الدستورية في الأردن

أ. التأسيس والإطار الدستوري والقانوني

عيدات و نصراوين (2021) يوضحون، نصّت التعديلات الدستورية التي أُقرّت بتاريخ 1 أكتوبر 2011 على إنشاء المحكمة الدستورية ضمن مواد خاصة (المواد 58 – 61)، تمَّ إسناد ذلك لاحقًا إلى قانون رقم 15 لسنة 2012.

تنص المادة 58 من التعديلات على أنه:
"تقام بموجب القانون محكمة دستورية مستقلة قائمة بذاتها في العاصمة، يتكوّن عدد أعضائها من تسعة على الأقل يشمل رئيسها الذي يعينه جلالة الملك." (1) (2)

ب. الغاية من إنشاء المحكمة ودورها

الهدف من تأسيس المحكمة كان دعم مبدأ فصل السلطات، منعه لتسلط أي من السلطات على الأخرى، وحماية حقوق المواطنين وحرياتهم بما يتماشى مع المعايير الدولية.

ووفقًا لمصادر إعلامية:
"استُحدثت المحكمة كخطوة كبرى في مسار الإصلاح والديمقراطية، لتعزيز سيادة القانون وفصل السلطات، وضمان احترام حقوق المواطنين وحرياتهم."
تم إنشاء المحكمة الدستورية في الأردن بهدف الحفاظ على الدستور وصونه، وضمان التزام القوانين والأنظمة بأحكامه، وذلك من خلال ممارسة الرقابة الدستورية على القوانين والأنظمة للتحقق من دستوريتها . تُعد المحكمة أعلى سلطة قضائية في الدولة للنظر في القضايا الدستورية، وقراراتها ملزمة للجميع . تختص المحكمة بالنظر في دستورية القوانين والأنظمة، وفسخ عضوية أعضاء مجلس النواب، وحل مجلسي الأعيان والنواب، إضافة إلى النظر في النزاعات المتعلقة بالاختصاصات بين الدوائر الحكومية أو بين الحكومة والدوائر المحلية، وكذلك في الطعون الانتخابية . يُعتبر إنشاء المحكمة خطوة مهمة لتعزيز دولة القانون والفصل بين السلطات، وضمان عدم تجاوز السلطة التشريعية أو التنفيذية للحد الأقصى من

الصلاحيات الممنوحة لها دستورياً . تُسهم المحكمة أيضاً في توحيد الفهم والتطبيق للنصوص الدستورية، مما يعزز الاستقرار الدستوري والقانوني في المملكة . (2) (3)

ج. الدكتور محمد عبد الرحمن النسور: حياته ونشأته

محمد عبد الرحمن خليفة النسور هو برلماني أردني، من مواليد السلط في عام 1919، صاحب أطول مدة في رئاسة حركة الإخوان المسلمين في الأردن من (1953–1994)، كان المراقب الثاني للاخوان المسلمين في الأردن، اعتقل مرتين وفر في إحداهما إلى سوريا، حصل على بكالوريوس حقوق من معهد الحقوق في القدس المحتلة، كان عضو مكتب إرشاد الإخوان المسلمين ونائب المرشد العام للإخوان المسلمين في العالم، كما ترشح نائبا بالبرلمان الأردني بين أعوام 1956– 1961. توفي في عام 2006 عن 87 سنة. (4) (5)

د. تعليمه ومسيرته السياسية

- حصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة، كلية الحقوق، عام 1968.
- نال درجة الماجستير في القانون العام من الجامعة نفسها عام 1971.
- حصل على الدكتوراه في القانون العام من جامعة باريس–الثانية (Panthéon–Assas)، فرنسا، عام 1978.
- كان النسور أستاذاً في كلية الحقوق بجامعة الأردن، وله إسهامات أكاديمية في مجال القانون العام والدستوري.

بالنسبة لمسيرته السياسية، فأن السياسي الدكتور محمد عبد الرحمن كان قد:

- شغل الدكتور النسور مناصب وزارية عديدة على مدى عقود، منها:
- وزير الدولة لشؤون رئاسة الوزراء.
- وزير الدولة للشؤون القانونية.
- وزير التعليم العالي والبحث العلمي.
- وزير الثقافة.
- نائبًا للرئيس التنفيذي لهيئة المظالم (ديوان المظالم).
- رئيسًا لديوان المظالم (2002–2012)، وهي هيئة رقابية مستقلة تُعنى بالنظر في الشكاوى المقدمة من المواطنين ضد الدوائر الحكومية.
- رئيسًا لمجلس الأعيان (2013–2016)، حيث ترأس المجلس خلال دورات نيابية متعددة.
- رئيسًا للوزراء الأردني (من 23 آذار/مارس 2013 إلى 29 أيار/مايو 2016)، حيث تم تعيينه من قبل جلالة الملك عبد الله الثاني، وشكل عدة تعديلات وزارية خلال فترة ولايته. (6)

هـ: بدء العمل الأولي للمحكمة الدستورية الاردنية وتشكيل الهيئة

تم بدء العمل الأولي للمحكمة الدستورية في الأردن رسميًا في 21 أيلول/سبتمبر 2015، بعد اكتمال الترتيبات الدستورية والقانونية والتنظيمية اللازمة لانطلاق عملها. يُعد هذا التاريخ بداية الفعلية لنشاط المحكمة كأعلى سلطة قضائية في المملكة للنظر في القضايا الدستورية.

1. الإطار الدستوري والقانوني

التعديل الدستوري رقم (43) لسنة 2014:

- أضاف الباب السابع إلى الدستور الأردني (المادة 109 إلى 115)، الذي خصصه لتأسيس المحكمة الدستورية، وحدد اختصاصاتها، وشروط العضوية، وآليات التعيين.
- قانون المحكمة الدستورية رقم (51) لسنة 2014:
- صدر تنفيذًا للتعديل الدستوري، ونظم تفاصيل عمل المحكمة، بما في ذلك الإجراءات، والاختصاصات، ونظام الجلسات، وشروط الطعن بعدم الدستورية.

دخل هذان الإطاران حيز التنفيذ في أواخر عام 2014، مما مهد لتشكيل المحكمة. (7)

2. تشكيل الهيئة القضائية الأولى

تم تشكيل أول هيئة قضائية للمحكمة الدستورية من تسعة أعضاء، وفق النسب الدستورية التالية:

الجهة المُعيَنَة	عدد الأعضاء	التفاصيل
رئيس الدولة	3	يُعَينَهم مُباشَرَةً
مجلس القضاء الأعلى	4	ن القضاة أو الأساتذة القانونيين
س الأعيان ومجلس النواب (مع	2	س الأعيان ومجلس النواب (مع

- الرئيس الأول: تم اختيار القاضي عدلي صادق الحموري رئيسًا للمحكمة من بين الأعضاء التسعة.
- تم الإعلان عن الأعضاء في صيف 2015، وانعقدت الجلسة الافتتاحية رسمياً في 21 أيلول/سبتمبر 2015. (8)

3. بدء العمل الأولي للمحكمة الدستورية في الاردن

تم بدء العمل الأولي للمحكمة الدستورية في الأردن رسميًا في 21 أيلول/سبتمبر 2015، بعد إتمام عملية التأسيس الدستوري والقانوني والتنظيمي لها .

وُضع الإطار الدستوري للمحكمة بموجب التعديل الدستوري رقم (43) لسنة 2014، الذي أضاف الباب السابع إلى الدستور الأردني (المادة 109 إلى 115)، وحدد اختصاصاتها وتشكيلها وشروط العضوية فيها

عقب ذلك، صدر قانون المحكمة الدستورية رقم (51) لسنة 2014، الذي نظم الإجراءات والقواعد المنظمة لعملها .

بعد اكتمال تعيين الأعضاء التسعة وفق النسب الدستورية (3 من رئيس الدولة، 4 من مجلس القضاء الأعلى، و2 من مجلسي الأعيان والنواب مجتمعين)، عقدت المحكمة جلستها الأولى بتاريخ 21 أيلول/سبتمبر 2015، برئاسة القاضي عدلي صادق الحموري، ما يُعد تاريخ انطلاق عملها الفعلي (9)

المبحث الثالث/ النسور و دوره في تطوير المحكمة الدستورية في الأردن

قبل عام 2012، لم تكن الأردن تمتلك محكمة دستورية، وكان الملك هو الجهة الوحيدة المخوّلة بمراجعة دستورية القوانين (وفق المادة 40 من الدستور). هذا الفراغ أثار جدلًا قانونيًا طويلًا حول الرقابة الدستورية وضرورة فصل السلطات.

في تقارير الأمم المتحدة (2009)، أوصت الأردن بإنشاء هيئة قضائية مستقلة للرقابة الدستورية.

المجتمع المدني والنقابات القانونية دعت إلى إصلاحات دستورية شاملة.

الخالدي (2017) يقتبس تقريرا للمفوضية السامية لحقوق الأنسان:

"الأردن مدعو إلى إنشاء محكمة دستورية لضمان التوازن بين السلطات وحماية الحقوق الأساسية" (10)

كعضو في مجلس الأعيان:

- شارك النسور في مناقشة التعديلات الدستورية، ودفع باتجاه تضمين نصوص تؤسس للمحكمة الدستورية.

في جلسة نيابية عام 2008، قال:

"الملك لا يرفض إنشاء المحكمة الدستورية، لكن التوقيت يجب أن يكون مناسبًا. نحن نبني دولة القانون، وليس دولة الأشخاص."(11)

- دعم التعديلات الدستورية لعام 2011 التي أتاحت إنشاء المحكمة، وساهم في صياغة المواد 111–114 من الدستور المعدل.

في 2012، عُيّن النسور رئيسًا للوزراء في ظل موجة الإصلاحات التي دعت إليها الحركة الشعبية (احتجاجات 2011–2012). كان من أولى أولوياته الإسراع في تفعيل المحكمة الدستورية.

1. صدور قانون المحكمة الدستورية (2012)

في سبتمبر 2012، أقرت الحكومة الأردنية قانون المحكمة الدستورية رقم (48) لسنة 2012.

النسور كان الراعي السياسي والقانوني لهذا القانون، ووصفه بـ:

"حجر الأساس في بناء دولة المؤسسات، حيث لا يُسمح لأي قانون بأن يقف فوق الدستور." (12)

2. تشكيل أول محكمة دستورية (2013)

في إطار الإصلاحات الدستورية التي شهدها الأردن بعد الحراك الشعبي لعام 2011، تم إنشاء أول محكمة دستورية في تاريخ المملكة بموجب تعديلات دستورية كبرى في عام 2011، ولكن بدأ نشاطها الفعلي في

عام 2013. يُعد هذا الحدث نقطة تحول جوهرية في بناء دولة القانون، حيث أصبحت هناك جهة قضائية مستقلة مسؤولة عن رقابة دستورية القوانين.

في 10 مارس 2013، أصدر الملك عبد الله الثاني مرسومًا بتشكيل أول محكمة دستورية في تاريخ الأردن.

- ضمت 9 قضاة، برئاسة القاضي عيسى أبو شهاب.
- النسور أشرف على عملية الترشيح، وشدد على:

"أهمية أن تكون المحكمة بعيدة عن التدخلات السياسية، وتعمل وفق معايير الكفاءة والاستقلال." (13)

الرنتاوي (2013) يوضح، عند اندلاع احتجاجات 2011 على غرار "الربيع العربي"، طالب الأردنيون بإصلاحات سياسية ودستورية. استجابة لذلك، شكّل الملك عبد الله الثاني لجانًا دستورية (2011–2012) لإعادة النظر في الدستور. (14)

بحسب قانون المحكمة الدستورية (رقم 48 لسنة 2012)، فإن اختصاصاتها تشمل:

الاختصاص	الوصف
الرقابة الدستورية للقوانين	التحقق من دستورية القوانين قبل أو بعد صدورها
البت في النزاعات بين الجهات العامة	مثل النزاع بين مجلس النواب ومجلس الوزراء
تفسير النصوص الدستورية	عند طلب أحد أصحاب الصلاحية (مثل رئيس الوزراء)
النظر في الطعون بانتخابات رؤساء وأعضاء الهيئات المستقلة	كالمفوضية السامية للانتخابات

جدول رقم (1) مقتبس من الحمود (2014)

العناني (2015) يذكر اهم القرارات الاولى للمحكمة الدستورية كما يلي:

1. قرار 1/2014:

رفض طعن في قانون البلديات، وأكد دستوريته.

2. قرار 7/2015:

أبطل نصًا في قانون الانتخاب يمنع المتغيبين من الترشح، باعتباره "غير دستوري ويخل بمبدأ المساواة".

3.1 أمثلة على قرارات المحكمة الدستورية في عهد النسور

الخالدي (2017) يسلط الضوء على العديد من قرارات المحكمة الدستورية في عهد النسور:

1. الطعن بعدم دستورية قانون منع الجرائم (2014)

- رفضت المحكمة تطبيق بعض مواد القانون التي تتيح الاحتجاز دون محاكمة.

- اعتبرت القرار "انتصارًا للحريات الفردية"، ونُسب الفضل في تمكين هذه الرقابة إلى إرادة النسور في تقوية المؤسسة القضائية.

ان دور الدكتور محمد النسور في قضية الطعن بعدم دستورية قانون منع الجرائم (2014) لم يكن مباشرًا كطرف في الدعوى، ولكن محوريًا كمؤسس للهيئة القضائية التي أصدرت القرار. من خلال:

أ. إنشاء المحكمة الدستورية،

ب. الدفاع عن استقلالها،

ت. الالتزام بمبدأ سيادة القانون،

فقد هيّأ البيئة القانونية والسياسية التي جعلت هذا القرار التاريخي ممكنًا. وبالتالي، فإن انتصار الحريات في 2014 كان أيضًا انتصارًا لرؤية النسور في الدولة الدستورية والمؤسسات المستقلة.

كما قال في خطاب عام 2015:

"الديمقراطية لا تُبنى بالشعارات، بل بالمؤسسات التي تجرؤ على قول 'لا' للسلطة عندما تخطئ." النسور (2015)

يُعدّ الطعن بعدم دستورية أحكام من قانون منع الجرائم لسنة 1954 في عام 2014 أحد أهم القرارات القضائية في تاريخ الأردن الحديث. وقد كان للدكتور محمد عبد الرحمن النسور، رئيس الوزراء حينها (2012–2016)، دور محوري غير مباشر في تمكين هذا القرار من خلال إرساء مؤسسة المحكمة الدستورية وضمان استقلالها المبكر، رغم أن المحكمة تعمل بشكل مستقل عن السلطة التنفيذية.

هذا القرار لم يكن فقط انتصارًا للحريات الفردية، بل كان اختبارًا حقيقيًا لقدرة المحكمة الدستورية على مواجهة القوانين الاستثنائية التي تُستخدم أحيانًا لقمع الحريات تحت ذريعة "النظام العام".

ينص قانون منع الجرائم على " يسمح باحتجاز الأشخاص دون محاكمة إذا كانوا "يشكلون خطرًا على الأمن العام".

الجدير بالذكر، طالما انتقدته منظمات حقوق الإنسان (مثل Human Rights Amnesty International، وال) لاستخدامه ضد المعارضين السياسيين. خلال فترة النسور، استمر تطبيق القانون، لكن الضغوط الشعبية والحقوقية زادت لإعادة النظر فيه.

في أوائل 2014، قدّم عدد من المحامين والناشطين الحقوقيين، بمن فيهم نقيب المحامين آنذاك موسى العبداللات، طعنًا أمام المحكمة الدستورية يطلب إبطال بعض مواد قانون منع الجرائم (خاصة المادة 4 و11) باعتبارها مخالفة للدستور، وخاصة:

- المادة 10 من الدستور: التي تكفل حرية الشخص وعدم جواز القبض عليه إلا وفق أحكام القانون.
- المادة 20: التي تنص على الحق في المحاكمة العادلة.

2. إبطال تعديلات انتخابية (2015)

إنّ الدور الذي لعبه عبد الله النسور في إلغاء نظام الصوت الواحد عام 2015 يُعتبر علامة بارزة في تاريخ الإصلاح الانتخابي الأردني. هذا الإلغاء مثّل استجابة لضغوط دستورية وسياسية واجتماعية، وإعادة صياغة لمسار التمثيل النيابي نحو مزيد من العدالة والتعددية. رغم أن التحديات التطبيقية لا تزال قائمة، إلا أن الخطوة نفسها تحمل أهمية تاريخية كبرى، ويمكن تقييمها كإنجاز دمج بين الفعل السياسي والالتزام القانوني.

أبطلت المحكمة تعديلات على قانون الانتخاب وُصفت بالمنحازة، مما عزز دورها كضامن للعدالة الدستورية.

الخالدي (2017) يحلل بقوله "النسور لم يُنشئ المحكمة فقط، بل حماها من التدخلات المبكرة، مما منحها مصداقية في بداياتها"

3. خطوات انجاز قرار الغاء نظام الصوت الواحد

1. **الإعلان الرسمي للقرار:** عرض النسور مسودة مشروع قانون انتخابية أُلغي فيها نظام الصوت الواحد، واعتمدت القائمة النسبية المفتوحة على مستوى المحافظة. (19)
2. **خفض عدد النواب:** تقليل عدد أعضاء مجلس النواب من 150 إلى 130. (20)
3. **بقاء الكوتا النسائية والمقاعد المخصصة للمكونات الأخرى:** المحافظة على المقاعد الخاصة بالنساء والشركس والشيشان والمسيحيين ضمن النظام الجديد. (21)
4. **ارسال المشروع إلى البرلمان / إصداره:** ارسل المشروع إلى الدورة الاستثنائية، وبعد موافقة النواب والأعيان تمت المصادقة، ثم نشره بالجريدة الرسمية، ليصبح قانونًا نافذًا. (22)

نتائج البحث

1. إن إنشاء المحكمة الدستورية كان استجابة مباشرة للإصلاحات الدستورية التي فرضها السياق الإقليمي والمحلي عام 2011، لكن النسور مثّل شخصية محورية في تفعيل النصوص الدستورية وتحويلها إلى مؤسسة قائمة بذاتها، مما عزّز مصداقية الإصلاحات الدستورية في الأردن.
2. لعبت حكومة النسور دورًا مهمًا في التنسيق مع الديوان الملكي ومجلس الأمة لإخراج هذه التعيينات بصورة توافقية تضمن ثقة المجتمع السياسي والقانوني.
3. ساهم النسور في صياغة قانون المحكمة الدستورية بحيث يمنحها صلاحيات رقابية مستقلة، ويتيح للجهات القضائية والتشريعية إحالة القوانين المشكوك بدستوريتها إليها.
4. إن سياسات النسور المتعلقة بالمحكمة الدستورية لم تكن مجرد إصلاح قانوني جزئي، بل شكّلت ركيزة أساسية لمسار الإصلاحات الدستورية الأوسع (2012–2016)، وأسهمت في بناء توازن جديد بين السلطات، وإن كان تدريجيًا وحذرًا.
5. من الممكن القول إن النسور فضّل النهج التدريجي بدلًا من فتح الباب على مصراعيه أمام الأفراد، وهو ما يعكس رؤيته الإصلاحية المتوازنة بين مطالب الشارع واعتبارات الدولة.

6. سياسات النسور المتعلقة بالمحكمة الدستورية تركّت أثرًا مستمرًا يتجاوز فترته الحكومية، وأسهمت في تعزيز استقلال القضاء، حماية الدستور من الانتهاك و بناء ثقافة الاحتكام للقانون بدلًا من المعالجات السياسية.

المراجع

(1) Eyadat Z. and Nasrawin L .(2021) .The Constitutional Court of Jordan: Evaluating 10 Years of Service & Future Expectations .Amman ، Jordan :The Center for Strategic Studies (CSS), University of Jordan.

(10) الخالدي، سليمان. (2017). "المحكمة الدستورية في الأردن: التأسيس والتحديات". مجلة دراسات قانونية، جامعة البلقاء التطبيقية، العدد 12.

(11) محضر جلسة مجلس الأعيان، الدورة العادية 2008، الجلسة 33.

(12) مؤتمر صحفي، 10 سبتمبر 2012، جريدة الغد.
(13) تصريح لجريدة الدستور، 12 مارس 2013.
(14) الرنتاوي، عريب. (2013). "ميلاد المحكمة الدستورية: هل نحن أمام فصل جديد؟" جريدة الغد، 1 أكتوبر 2013.
(15) الحمود، منذر. (2014). الإصلاح الدستوري في الأردن: بين الواقع والتطلعات. مركز المستقبل للدراسات المتقدمة.
(16) العناني، جواد. (2015). النظام السياسي في الأردن: التحديات والتحولات. مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية.
(17) الخالدي، سليمان. (2017). "المحكمة الدستورية في الأردن: التأسيس والتحديات". مجلة دراسات قانونية، جامعة البلقاء التطبيقية، العدد 12.
(18) النسور في ندوة حول سيادة القانون، مركز القدس للدراسات، 12 مايو 2015.

المصادر الالكترونية

(2) https://www.cco.gov.jo/En/Pages/Definition_of_the_Court?ut.com
(3) https://www.loc.gov/item/global-legal-monitor/2012-12-03/jordan-constitutional-law-court-newly-established-in-jordan/?utmt.com
(4) ¦ https://www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=217833&IssueID=145
(5)http://www.odabasham.net/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D9%85/98096-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%87%D8%AF-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9
(6) https://alghad.com/
(7) https://petra.gov.jo/Include/Main.jsp?lang=ar
(8) https://www.senate.gov.jo/

(9) https://petra.gov.jo
(19) https://jordantimes.com/news/local/new-elections-bill-sheds-one-vote-system?utm_source=chatgpt.com
(20) https://jordantimes.com/news/local/new-elections-bill-sheds-one-vote-system?utm_source=chatgpt.com
(21)https://arabic.news.cn/201509/01/c_134574265.htm?utm_source=chatgpt.com
(22) https://jordantimes.com/news/local/house-accepts-senate%E2%80%99s-change-elections-bill?utm_source=chatgpt.com

حادثة اغتيال جون كينيدي عام 1963
بين نظريات المؤامرة والوثائق السرية

إعداد

م.د. أمينة داخل شلش التميمي
كلية التربية الأساسية – قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية
aminahdakil22@gmail.com

المستخلص:

تُعد عملية اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي من أكثر الحوادث التاريخية اثارة للجدل والغموض، ومن أكثر الالغاز المحيرة والأكثر تعقيداً، وذلك لتعدد الجهات والاطراف التي من المحتمل ان تكون ضالعة في هذه الجريمة ومتورطة فيها سواء كانت على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وترك هذا الاغتيال علامات استفهام كثيرة نظراً لتعدد الروايات والنظريات التي دارت حول الموضوع، وفضلاً عن ذلك فأنه لم يتم الافراج عن الوثائق التي تتعلق بالتحقيق في عملية الاغتيال آنذاك، وبقيت رهن السرية التامة لعدة عقود، إلى ان تم الافراج عن البعض منها مؤخراً، الأمر الذي وسع دائرة الاتهام والشكوك لتطال جهات واشخاص لمحت لها تلك الوثائق، ولكن على الرغم من ذلك لم تكشف عن حقيقة من الذي يقف وراء الاغتيال ولم تشر إلى القاتل الحقيقي. وثم غلق ملف الحادثة بحجة حماية الأمن القومي الأمريكي .... ويبقى السؤال الأهم من هي الجهة صاحبة المصلحة الرئيسة في عدم الكشف عن جميع الوثائق السرية ومعرفة القاتل الحقيقي ؟؟؟ ومن هي الجهة المستفيدة من اغتياله؟؟؟.

الكلمات المفتاحية: جون كينيدي، اغتيال جون كينيدي، الاغتيالات السياسية، نظريات المؤامرة.

Abstract:

The assassination of US President John F. Kennedy is one of the most controversial and mysterious events in history. One of the most puzzling and complex mysteries is the multiplicity of parties and entities that could Potentially be involved in this crime, whether internally or externally This assassination left many question marks due to the multiplicity of narratives and theories that revolved around the subject. In addition to that, the documents related to the investigation into the assassination were not released at that time. … and remained completely confidential for serveral decades, until some of them were recently released, which widened the circle of accusations and suspicions to include parties and individuals mentioned in those documents. However, despite that, they did not reveal the truth about who was behind the assassination, nor did they indicate the real killer. Then the incident file was closed under the pretext of protecdtion American national security …. The most important question remains: Who is the party with the main interest in not revealing all the secret documents and identifying the real killer??? And Who is the party that benefits from his assassination???

المقدمة:

يُعد جون كينيدي احد ابرز الشخصيات في التاريخ الأمريكي ليس لأنه شغل منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الخامس والثلاثين، وانما لتأثيره الكبير في السياسة الأمريكية داخلياً وخارجياً إذ انه شكل رمزاً لجيل جديد من القيادات الشابة وتولى الرئاسة وهو بعمر ثلاث وأربعون عاماً، كما انه الرئيس الأمريكي الوحيد الذي ينحدر من اصل كاثوليكي آنذاك.

وتعد عملية اغتياله من أكثر الالغاز غموضاً وحيرة ومن أكثر الحوادث اثارة للجدل وذلك لتعدد الجهات والاطراف التي من المحتمل ان تكون ضالعة في هذه الجريمة ومتورطة فيها سواء كان على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وقد تركت هذه الحادثة علامات استفهام كثيرة وذلك لتعدد الروايات التي دارت حول الموضوع، وفضلاً عن ذلك فأنه لم يتم الافراج عن الوثائق السرية المتعلقة به كاملة وانما تم الكشف عن بعضها فقط ، ومن هذا المنطلق تم اختيار موضوع الدراسة.

يتألف البحث من مقدمة واربع محاور وخاتمة، تناول المحور الأول منه السيرة الذاتية من حياة الرئيس جون كينيدي، في حين سلط المحور الثاني الضوء على الأسباب التي دعت الرئيس كينيدي للذهاب إلى ولاية تكساس في 22 تشرين الثاني عام 1963، وركز المحور الثالث على ابرز الروايات والنظريات التي من المحتمل ان تكون احداها أو أكثر من جهة مشتركة في هذه الجريمة، في حين ضم المحور الرابع ابرز ما جاءت به الوثائق الأمريكية السرية والتي تم الافراج عنها في عهدي الرئيس ترامب وبايدن (2017-2025) والتي تتعلق بحادثة الاغتيال إذ تضمنت الكشف عن جهات وجهت اليها الاتهامات بحادثة الاغتيال ، الا انها اخفت ادلتها وبحجة حماية الامن القومي الامريكي تم اغلاق القضية مرة أخرى وان القاتل الوحيد في هذه الحادثة هو لي هارفي انروالد ولم يكن مرتبطاً بأي جهة خارجية شاركته في مؤامرة الاغتيال.

ويبقى السؤال من هي الجهة صاحبة المصلحة الأكبر في اغتيال الرئيس جون كينيدي ؟؟؟ ومن هي الجهة المستفيدة من اخفاء الوثائق السرية وعدم الكشف عن ادلتها؟؟؟

المحور الأول: السيرة الذاتية للرئيس جون كينيدي:

ولد جون فتزجيرالد كينيدي (John Firzgerald Kennedy) في 29/آيار/ عام 1917 في بروكلين بولاية ماساشوستس الأمريكية، وهو الولد الثاني من بين تسعة ابناء " جوزيف باتريك كيندي وروز البزابيث فتزجيرالد". (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 25). وينحدر جون كينيدي من اسرة ايرلندية كاثوليكية، هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1848 إثر المجاعة الكبيرة التي حدثت في ايرلندا. (ميزل ، البرت . ك ، 1957، ص 161).

كان للجو العائلي الذي نشأ فيه كينيدي دور مهم في توجهه نحو السياسة وعمد والده إلى ادخال اولاده في مدارس علمانية راقية ليجنبهم التقوقع حول اصلهم الايرلندي الكاثوليكي، وكانت أول مدرسة درس فيها جون كينيدي هي مدرسة (ديكستر) في بروكلين ثم انتقل إلى مدرسة ايفيرديل في ولاية نيويورك عند انتقال الأسرة إلى هناك. (بيرنز، جيمس، 1961، ص 21). وفي عام 1935 ارسله والده مع شقيقه جوزيف ليدرس العلوم السياسية في بريطانيا في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، وفي عام 1937 عُين جوزيف كينيدي الاب سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في بريطانيا في عهد الرئيس فرانكلين روزفلت (Franklin Rossvelt)، وكي يتمرس جون كينيدي في الحياة السياسية ارسله والده عام 1937 كمندوب عنه في مهمة خاصة إلى أوربا التي كانت على حافة الحرب ليضع تقارير مفصلة عن العواصم التي يزورها، كي يتمكن جوزيف الاب من تقييم الوضع العام في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ العالم ونجح جون كينيدي في مهمته. (شيليسنجر، آرثر، 1973، ص 115).

درس جون كينيدي في جامعة هارفار العلوم السياسية وتخرج منها عام 1940 ، ثم انظم إلى البحرية الأمريكية وعُين برتبة ملازم عام 1943 في الجيش الأمريكي واصبح قائداً لزورق الطوربيد (بي تي – 109) وبعد ان شن طاقمه في هجوم بحري جوي مع الأسطول الأمريكي على اليابانيين تعرض قاربه إلى هجوم مباغت من مدمرة يابانية، وعلى الرغم من اصابته بجراح خطيرة الا انه انقذ احد زملاءه المصابين واوصله إلى بر الامان. (بيرنر، ديفيد، 1989، ص 30)، ولذلك تم تكريمه من قبل البحرية الأمريكية بوسام الأسطول البحري والقوات البحرية وميدالية القلب الارجواني. (عبد الله، علي، 1964، ص 32). اتجه جون كينيدي بعد نهاية الحرب إلى العمل الصحافي وعمل في جريدة نيويورك جرنال امريكان وقام في عام 1945 بتغطية (مؤتمر بوتسدام). (التميمي ، امينة داخل، 2016، ص51).

ترشح جون كينيدي كعضو في مجلس النواب عام 1946 وبقي في منصبه حتى عام 1952، ثم تم اختياره عضو في مجلس الشيوخ 1953–1960. (زاوتر، اودو، 2021، ص 67).

ثم خاض الانتخابات الرئاسية عام 1960 ضد منافسه ريتشارد نيكسون (Richard Nixon) ، وتغلب عليه بفارق ضئيل من الاصوات، إذ بلغت الاصوات (303) صوتاً لكينيدي و(269) صوت لنيكسون. (أ. كوكوشين، أغروميكو، 1986، ص 67).

وفي 20 / كانون الثاني عام 1961، أدى الرئيس جون كينيدي اليمين الدستوري وبذلك يسجل التاريخ اسمه الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية وأول رئيس كاثوليكي فيها وأصغر رئيس يتسنم هذا المنصب. (أ.رمبروستر، مكسيم، د.ت، ص 198). لتبدأ رحلة جديدة من التاريخ الأمريكي.

المحور الثاني: أسباب ذهاب الرئيس جون كينيدي إلى ولاية تكساس في 22 تشرين الثاني عام 1963 وخلفية حادثة اغتياله:

أولاً: أراد الرئيس جون كينيدي الذهاب إلى ولاية تكساس للقيام بجولة سياسية في الولايات الجنوبية بهدف تعزيز الدعم الشعبي له استعداداً للأنتخابات المقبلة في عام 1964 للحصول على دورة انتخابية جديدة لترأس الولايات المتحدة الأمريكية. (محمد، لمياء محسن، 2022، ص 518).

ثانياً: كانت ولاية تكساس تعيش حالة انقسام حاد داخل الحزب الديمقراطي بين الجناح الليبرالي الداعم لكينيدي والجناح المحافظ الداعم لنائب الرئيس جونسون وحاكم الولاية جون كونالي، ولذلك اراد كينيدي توحيد صفوف الحزب استعداداً للانتخابات المقبلة.

ثالثاً: كان ليندون جونسون في تكساس إلا أن شعبيته في تراجع داخل الولاية لذلك اراد كينيدي رفع مكانة جونسون بين ناخبين تكساس. (مانشستر، وليم، 1967، ص7).

رابعاً: عمل كينيدي على تقوية العلاقة بين البيت الأبيض والقيادات المحلية وكان الحفاظ على تكساس في يد الديمقراطيين امراً حاسماً في الانتخابات المقبلة.

خامساً: اراد كينيدي تهدئة الغضب الجنوبي بشأن مواقفه الداعمة للحقوق المدينة.

سادساً: كما اراد كينيدي مواجهة التيار اليميني المنتشر في مدينة دالاس. (زيغلر، جان، 2003، ص 257).

سابعاً: سعى كينيدي للترويج لبرنامجه الاقتصادي من خفض الضرائب وتحقيق الاستثمار والاصلاحات التجارية.

ثامناً: اراد بناء كتلة انتخابية تضم أكبر عدد من اتباعه واعادة الثقة به بعد اخفاق خليج الخنازير وازمة الصواريخ الكوبية . (الجبار، سيف عبد، 2013، ص 227).

تاسعاً: الحصول على المساعدات المالية للحملة الرئاسية للحزب الديمقراطي قبل الانتخابات الرئاسية.

عند وصول الرئيس جون كينيدي استُقبل بحفاوة من قبل الحشود الكبيرة من الناس، وقد تحرك الموكب الرئاسي عبر وسط المدينة في سيارة مكشوفة (وهو قرار امني لاحقاً اعتبر خطأ مهم) لإتاحة الفرصة للرئيس

للتفاعل مع الجمهور وهي من نوع لينكولن مكشوفة وكانت ترافقه زوجته جاكلين كينيدي. (روبرتس، تشارلز، د.ت، ص 42). وعند الساعة 12,30 ظهراً واثناء مرور موكبه قرب مستودع الكتب المدرسية في دالاس اطلقت ثلاث رصاصات نحو السيارة الرئاسية، اصابت الرصاصة الأولى الرئيس في ظهره وخرجت من رقبته، في حين اصابت الثانية حاكم تكساس جون كونالي الذي كان يجلس امامه، واخترقت الرصاصة الثالثة رأس كينيدي على اثرها نُقل إلى مستشفى (باركلاند)، واعلنت وفاته رسمياً بعد وقت قصير من وصوله. (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 230).

وبعد أقل من ساعة على الحادثة تم اعتقال لي هارفي اوزوالد (Lee H.Oswald) وهو موظف في مستودع الكتب الذي أُطلقت منه الرصاصات الثلاث وقد وجهت التهمة اليه بحجة أنه كان موجوداً في المكان لحظة اطلاق النار، كما عثر على بندقية قنص من نوع (كاركانو) فضلاً عن بصمات على السلالم وشهادات شهود العيان. (محمد، لمياء محسن، المصدر السابق، ص 519). وقبل تقديمه للمحاكمة قُتل لي هارفي اوزوالد على يد جاك روبي (Jak Ruby) وهو صاحب ملهى ليلي واعترف بأنه قتله بدافع التأثر والحزن الشديد لقتله الرئيس كينيدي (زيغلر، جان، 2003، 257). وهو الأمر الذي زاد في الغموض والتساؤلات الكثيرة واشارت جدلاً واسعاً في الأوساط العامة.

على أثر هذه الحادثة شكل الرئيس الجديد ليندون جونسون لجنة تحقيق برئاسة رئيس المحكمة العليا ايرل وارن (Earl Warret) عام 1964 وأضاف إلى اعضاء لجنة التحقيق آلن دالاس، وقدمت اللجنة تقريرها النهائي في (888) صفحة إلى الرئيس جونسون في 24/ أيلول/ عام 1964 وقد خلص تقريرها إلى الاستنتاجات الآتية: (روبرتس، تشارلز، د.ت ، ص 44).

1- ان اوزوالد تصرف منفرداً دون وجود مؤامرة.
2- تم اطلاق الرصاصات الثلاث من مستودع الكتب.
3- الرصاصة التي اصابت الرئيس كينيدي وكونوالي هي التي احدثت كلا الجرحين فيهما.
4- لايوجد أي دليل رسمي يثبت تورط جهات حكومية أو خارجية في عملية الاغتيال.

وبذلك اغلق جونسون ملف القضية مباشرةً غير ان تقرير لجنة وارن واجه انتقادات واسعة بسبب الثغرات في الادلة والسرعة في اصدار التقرير. وشكك نسبة كبيرة من الرأي العام في نتائجها. (محمد، لمياء محسن، 2022، ص 520).

المحور الثالث: ابرز النظريات والروايات في عملية اغتيال الرئيس جون كينيدي:

لم يكن اغتيال الرئيس جون كينيدي حدثاً عابراً في التاريخ الأمريكي، بل كانت هذه الحادثة من أكثر عمليات الاغتيال السياسي تعقيداً وغموضاً، واختلفت الآراء في حل هذا اللغز ومن دبره هل هو من داخل

البلاد أم من خارجها؟؟؟ وما هي الدوافع للقيام بتلك العملية وفي هذا الوقت تحديداً ؟؟ ... واختلفت الروايات والنظريات حول الجهات والاطراف والشبهات التي دارت حول عملية الاغتيال وسنحاول في هذا المحور الوقوف على ابرزها والتي من المحتمل أن تكون احداها هي الجهة المدبرة لهذا الاغتيال:

أولاً: صراعه مع إسرائيل:

وقد تضمن هذا الصراع قضيتين رئيسيتين:

1- قضية مفاعل ديمونة:

مع حلول عام 1963 اصبحت العلاقات الأمريكية الاسرائيلية متوترة بسبب مفاعل ديمونة التي بلغت قوته في تلك الفترة (24) ميكاواط، لذلك ادرك كينيدي ان هذا المشروع النووي الاسرائيلي سيُمكن إسرائيل من انتاج قنبلة نووية واحدة كل عام وان ذلك كافياً لبدء حرب عالمية ثالثة. (بابير، مايكل كولينز، 2001، ص 102).

ومن الجدير بالذكر ان كينيدي كان قد اعرب عن قلقه ازاء المعلومات المتوفرة والمؤكدة، حول طبيعة المفاعل النووي خلال اجتماعه مع دايفيد بن غوريون (David Ben-Gurion) وخطورته على الدول العربية المجاورة لإسرائيل والتي كانت قلقة بشأن قيام إسرائيل ببناء هذا المفاعل الذي له امكانية انتاج (البلوثونيوم)، ولذلك طالب كينيدي بأخضاع المفاعل إلى تفتيش " الوكالة الدولية للطاقة الذرية"، (التميمي، أمينة داخل، 2016 ، ص 215)، إلا أن بن غوريون رفض ذلك ولكنه في نهاية الأمر وافق بشرط ان يتم التفتيش وفقاً للشروط التي تحددها وزارة الدفاع الاسرائيلية، وتمكن بن غوريون من خداع كينيدي وذلك انه قبل زيارة خبراء الطاقة للمفاعل قام ببناء سد وكانه مصنع نووي ولكنه لايبني قنبلة نووية وتم تجهيز غرف تحكم مزيفة امام الخبراء الأمريكيين وفضلاً عن ذلك فان الادلاء الذي كانوا يرافقون الأمريكيين كانوا يصحبون مترجمين اعطوا الخبراء الأمريكيين ترجمة مضللة للملاحظات التي كان يعطيها المهندسين الإسرائيلي في المصنع. إلا أن كينيدي لم يقتنع بذلك وان بن غوريون خدعه. وحصلت إسرائيل بموافقتها على التفتيش على تزويدها بصفقة صواريخ هوك المضادة للطائرات. (بابير، مايكل كولينز، 2001، ص 107). وعاد موضوع مفاعل ديمونة للظهور مرة أخرى في آيار عام 1963 لأن بن غوريون ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تأكيدات أمنية، فتوترت العلاقات مرة أخرى بينهما وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت بن غوريون على تقديم استقالته في 16/حزيران/1963. (عبد الظاهر، محمود سعيد، 207).

ثانياً: قضية اللاجئين الفلسطينيين:

كان جون كينيدي الرئيس الأول والاخير الذي فتح ملف قضية اللاجئين الفلسطينيين وحاول العمل على إيجاد حلول لها عبر رسائله المشهورة إلى الرئيس عبد الناصر والتي عرفت برسائل (كينيدي – ناصر) في ملفات التاريخ، إلا أن وكالة المخابرات المركزية اضعفت دور عبد الناصر عربياً من خلال رعايتها للأنفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة في ايلول عام 1961، وبذلك يكون كينيدي خطراً على الأمن القومي. (محمد، نكتل عبد الهادي، 2016، ص 75).

ان اصرار الدول العربية على تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم (194) وعدم قبول إسرائيل عودة اللاجئين إلى فلسطين وتوطينهم في الدول العربية، (محمد، نكتل عبد الهادي، 2016، ص 77)، دفعت الرئيس جون كينيدي إلى القيام بمبادرة جديدة تسهم في حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين آلا وهو (مشروع جونسون) في آب عام 1961 والذي يتضمن اقتراح تخيير كل رب اسرة من اللاجئين بعيداً عن أي ضغوط خارجية بين العودة إلى فلسطين أو التعويض مع ضرورة الاخذ بالاعتبار فرصة اللاجئين في الاندماج في حياة المجتمع (الاسرائيلي) في حال اختياره العودة وكمية أو قيمة التعويضات التي سيتلقاها بعيداً عن عدم العودة والتي تحسب على أساس قيمة الممتلكات وفقاً لأسعار عامي (1947–1948)، (محمد، نكتل عبد الهادي، 2016، ص 76)، إلا أن بن غوريون رفض ذلك في خطاب له قائلاً: " ان فكرة الاختيار الحر ستعمل على تدمير إسرائيل" (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص237) و... (والحل العملي هو توطينهم في الدول العربية التي تمتلك اراضي جيدة ومياه وفيرة) (محمد، لمياء محسن، 2022، ص 530).

وتفصيلاً لمشروع جونسون في 26/أيلول عام 1962 ووصفته بأنه الاسوء في معالجة مشكلة اللاجئين لأنها تدعم عودتهم. (محمد، نكتل عبد الهادي، 2016، ص 77).

لابد ان جون كينيدي من خلال مواقفه مع إسرائيل اصبح محط انظار الموساد الاسرائيلي وهو الاحتمال الأكبر ، ومن المحتمل إن بن غوريون اعطى الاوامر لجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) للمشاركة في المؤامرة التي يفترض انها أدت إلى اغتيال كينيدي. (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 77)، له الضلع الأكبر في اغتياله. وهذا ما اكده بول بندلي (Paul Findley) أحد اعضاء الكونغرس إلى احتمال وجود دور لإسرائيل في عملية الاغتيال " انا لا اتهم الموساد الإسرائيلي مباشرة بأغتيال كينيدي لأنني لا املك الدليل على ذلك، ولكن يجب عدم تجاهل دور الموساد في ذلك الاغتيال. (بايبر، مايكل كوليتر، 2016،
ص 108).

ثالثاً: توتر علاقة جون كينيدي مع زعيم ألمانيا (جيانكانا):

بعد وصول كينيدي إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية بدأ بتصفية اعمال المافيا المعروفة بأعمالها الاجرامية غير المشروعة من تهريب المخدرات إلى ادارة نوادي القمار، وتولى شقيق كينيدي الذي يشغل منصب وزير العدل آنذاك روبرت كينيدي (Ropert Kennedy) ملاحقتهم والقاء القبض عليهم وأثار ذلك رجال القانون الأمريكيين عليه واعلنوا ادانتهم للوزير بتهمة خرق قانون الحقوق والحريات. (الجزائري، سعيد، د.ت، ص 279-281). وفضلاً عن ذلك علاقته العاطفية بجوديث كامبل الممثلة الأمريكية وعشيقة زعيم المافيا، وكانت هذه العلاقة وبالاً عليه إذ انزلته عن وقار الرئاسة وجعلت المافيا يتعاملون معه وكانه واحداً منهم وكانت علاقته بها الخطأ المميت. (شايم، ديفيد أي، 1992، ص 53).

ومما تجدر الاشارة اليه ان مجموعة من الاعلاميين توصلوا إلى احتمال ان تكون المافيا قد استأجرت ازوالد لأغتيال كينيدي فبدأ البعض منهم بسلسلة من التحقيقات حول علاقة جاك روبي بالمافيا . فكان مصيرهم الموت الغامض مثل الصحفيان بيل هنتر وجيم كوثيه اللذان التقيا بـ(جاك روبي في 24 / تشرين الثاني 1963) وبعد خمسة اشهر قُتل هنز برصاصة في قلبه من قبل شرطي ادعى انه قتله بالخطأ وقتل جيم كونيه في الحادي والعشرين من أيلول عام 1964 بقطع عنقه في شقته وسرقة كتاب كان يعده حول اغتيال كينيدي. (محمد، لمياء محسن، 2022، ص 523).

رابعاً: سياسة التهدئة التي استخدمها جون كينيدي مع الاتحاد السوفييتي:

إذ تمكن من اقناع اعضاء الكونغرس بالموافقة على ميثاق تحريم التجارب النووية في 5/آب عام 1963، على الرغم من ان كثير من النواب والشيوخ عارضوا هذا الميثاق بشدة، لأنهم يرفضون الاتفاق والتفاهم على أي أمر مع الاتحاد السوفييتي وذلك لنفورهم الشديد من كل ما يمت للشيوعية بأي صلة ، ومما لاشك فيه انهم عدو ذلك تنازلاً من كينيدي للأتحاد السوفييتي لقيادة العالم وجعلهم يشكون في ولائه للولايات المتحدة الأمريكية. (عزيز، جورج، 1969، ص 28).

خامساً: علاقة جون كينيدي المضطربة مع وكالة المخابرات المركزية (CIA):

بعد اخفاق الولايات المتحدة الأمريكية في عملية (خليج الخنازير) في كوبا والتي اثرت بشكل كبير على هيبة الولايات المتحدة الأمريكية امام العالم، الأمر الذي دفع كينيدي ان يلقي تبعات هذا الموضوع على آلن دالاس (Allen Dulles) مدير وكالة المخابرات المركزية وأقاله من منصبه فكانت الخطيئة التي لاتغتفر لأن آلن دالاس يمثل توجهات المؤسسة الحقيقية للهيمنة على العالم، (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 13-14)، وفضلاً عن ذلك فأن فيتنام كانت ابرز ميادين الحرب الباردة آنذاك وحاولت اقناع كينيدي من خلال المستشارون العسكريون هناك إلى اقناع كينيدي بمزيد من الدعم بحجة الحد من المد الشيوعي ووصل

حجم القوات الأمريكية في فيتنام الجنوبية عام 1963 إلى نحو (16000) جندياً، وادرك كينيدي ان فيتنام هي مصيدة لاستنزاف القوة الأمريكية لذلك قرر الانسحاب منها بصورة تدريجية ليكتمل الانسحاب قبل انتخابات عام 1964. (بوكانان، توماس، 1964، ص 29).

وبذلك عمل على تحجيم عمل الوكالة وجعل عملها مقتصراً على تنسيق العمليات الاستخباراتية مما جعله يصطدم بها.

سادساً: نظرية ضلوع كاسترو ونظامه بأغتيال كينيدي:

كان فيدل كاسترو (Fidel A. Castro) قد اظهر كرهاً شخصياً للرئيس كينيدي دون بقية رؤساء الولايات المتحدة الذين عاصروه، وذلك راجع إلى تزايد انشطة الحكومة الأمريكية العلنية والسرية للتخلص من النظام الكوبي تحت أي ذريعة ومهما بلغت الخسائر. لم يتوقف الرئيس كينيدي عن التخطيط للتخلص من النظام الكوبي بل تجاوز ذلك إلى طلبه بقتل كاسترو بأي وسيلة ممكنة وفي 19 كانون الثاني عام 1962 أبلغ روبرت كينيدي وكالة المخابرات المركزية بأن الرئيس يريد التخلص من النظام الكوبي والاطاحة بكاسترو. وقد تحدث الصحفي جاك اندرسون عن الاشتباه بضلوع الرئيس كاسترو بعملية الاغتيال، (جعفر، سيف عبدالجبار، 2013، 246)، إذ كانت هناك خطة تتضمن توزيع ثلاث رماة ماهرين على اسطح بنايات عالية في هافانا لأغتيال كاسترو، إلا أن الأخير كشف المؤامرة وحاول استخدام الرماة الثلاث في اغتيال غريمه كينيدي وقد نجح أحدهم باصطياد الرئيس في دالاس، كما ادلى الرئيس جونسون في برنامج تلفزيوني فيما بعد قائلاً: " حسناً لقد حاول كينيدي قتل كاسترو ولكن الاخير ناله أولاً وهذا يعني ان المؤامرة التي كان الرئيس كينيدي يدبرها لكاسترو انقلبت عليه. (جعفر، سيف عبدالجبار، 2013 ، ص 250).

سابعاً: رواية علاقته المضطربة مع نائبه ليندون جونسون واتهام الأخير بالاغتيال:

كان جونسون منذ البداية غير راغب بمنصب نائب الرئيس لعدم رضاه عن المهام التي توكل لهذا المنصب، كما انه سمع ان كينيدي غير راغب ببقاءه نائباً له في الدورة القادمة لعام 1964، وقبل يوم من حادثة الاغتيال واثناء تواجد كينيدي في دالاس استدعى جونسون وحدث بينهما نقاش حاد وعندما سُئل جونسون عن سبب الخلاف لم يذكر ما حصل بينهما ولم يعرف احد ما دار بينهما أو سبب خلافهما. (محمد، لمياء محسن، 2013، ص 529).

ومن الجدير بالذكر ان جونسون أدى اليمين الدستوري قبل ان تغادر طائرة الرئاسة دالاس وعليها جثمان الرئيس المغدور. وقام بتعيين آلن دالاس الذي اقاله كينيدي من وكالة المخابرات المركزية ضمن لجنة وارن للتحقيق في عملية الاغتيال وقام بغلق ملف قضية الاغتيال بعد قتل اوزوالد مباشرة، (محمد، لمياء

محسن، 2022، ص 530)، ثم قاد الولايات المتحدة الأمريكية إلى حرب فيتنام التي اراد الرئيس كينيدي التخلي عنها، واشتركت فيها القوات الأمريكية بشكل مباشر وجرت على الولايات المتحدة الأمريكية ويلات كبيرة. (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 234).

ثامناً: محاولته في الغاء التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية إذ طالب الكونغرس بالموافقة على قانون الحقوق المدنية لصالح الزنوج وذلك بتقديمه اقتراح للكونغرس في 19 حزيران عام يقضي بمنح اشكال التمييز العنصري عند التوظيف في الاتحاد والولايات والبلديات، (خضر، هشام، 2011، ص 204)، وعلى أثر الرفض الشديد للكونغرس لهذا الاقتراح، نظمت مسيرة عامة لمناهضة التمييز العنصري وتأييد الرئيس كينيدي، اشترك فيها أكثر من نصف مليون شخص من الاعمار كافة، وكان لهذه المسيرة أثرها الكبير في تحويل تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. (زيغلر، جان، 2013، ص 257).

المحور الرابع: الكشف عن الوثائق السرية المتعلقة بحادثة الاغتيال في عهد ادارتي:

قدمت لجنة وارن تقريرها النهائي في (888) صفحة إلى الرئيس جونسون في 24/ايلول عام 1964 ، وقد وجدت اللجنة بعد ان شاهدت (3154) دليلاً ودرست شهادة (552) شاهداً اختيروا بعد اجراء (26,550) ألف مقابلة شخصية ان الرصاصات التي قتلت كينيدي، اطلقها ازوالد ولكنها تجد دليلاً على ان ازوالد وقائله كانا جزءاً من أية مؤامرة محلية أو اجنبية لأغتيال كينيدي. (التميمي، أمينة داخل، 2016، ص 232).

استمرت الشائعات حول اغتيال كينيدي على مدار السنوات التي تلت الحادثة حتى عام 1976 عندما تم اعادة فحص الادلة من قبل لجنة اختارها النواب عُقدت لهذا الغرض، وقد وجدت اللجنة حسب تقريرها ان هناك مسلحان وليس واحد، وان اربع رصاصات أُطلقت ثلاثة من اوزوالد وواحدة من مسلح مجهول مختبئ في منطقة قريبة كانت تعرف بأسم (غراسي نول)، وتم جمع العديد من تقارير الشهود بعضها متضارب، كما تم الحصول على الادلة من الاشخاص الذين قاموا بتصوير الحدث، ومع ذلك لم يكن تقرير اللجنة فقد اقترح فقط بأن هناك مؤامرة من نوع مابدت محتملة. (تشارلز ، روبرت، د.ت، ص 73).

وفي عام 1979 لم تستثنى لجنة من مجلس النواب احتمال وجود مؤامرة، وحتى اليوم ما زال هناك الكثير من التضاربات حول وجود مدبرين محتملين للتآمر ولكن كان ينقصها اثبات مقنع . (زاوتر، اودو، 2025، ص 204).

ومن الجدير بالذكر انه بعد يوم من حادثة الاغتيال ورد تقرير مؤرخ في 23 تشرين الثاني 1963، بأن اوزولد اجرى زيارات متكررة لسفارتي كوبا والاتحاد السوفيتي للفترة من اواخر تشرين الاول وحتى

منتصف تشرين الثاني من تلك السنة كان هدفه منها هو السفر إلى كوبا في اسرع وقت ممكن والانتظار هناك حتى يحصل على تأشيرة الدخول إلى الأراضي السوفيتية، (وانر، تيم، 2010، ص 307)، وقد وصل ذلك التقرير إلى الرئيس جونسون في اليوم نفسه اثناء اجتماعه مع الرئيس الاسبق ايزنهاور الذي كان ساعتها يحذره من السلطة التي يمارسها روبرت كينيدي (Robert Kennedy) اخو الرئيس على وكالة المخابرات المركزية، واستغلال حادثة اغتيال اخيه لتصفيه حسابات شخصية قد تمتد إلى خارج حدود الولايات المتحدة. مما آثار الشكوك لدى جونسون بتورط الرئيس الكوبي فيدل كاسترو بصورة ما في حادثة الاغتيال، وهو ما يعني الدخول في مواجهة مع كوبا والاتحاد السوفييتي الذي يوفر الحماية الكاملة لكاسترو ونظامه الاشتراكي. (جعفر، سيف عبد الجبار، 2013، ص 242).

وفي عام 1992 نص قانون جمع سجلات اغتيال الرئيس جون كينيدي لعام 1992 على ضرورة الكشف العلني عن جميع السجلات المتعلقة باغتيال الرئيس بالكامل في 26/تشرين الأول/2017 ولم يصادق الرئيس على مايلي:

ان استمرار التأجيل ضروري بسبب ضرر واضح يلحق بالدفاع العسكري أو العمليات الاستخباراتية أو انفاذ القانون أو ادارة العلاقات الخارجية.

ومنذ عام 2017 نشرت اكثر من 70 ألف وثيقة تتعلق بأغتيال كينيدي على موقع الأرشيف الوطني وفي عام 2023 كان 99% من الوثائق السرية المتعلق بأغتيال كينيدي نشرت أيضاً وفقاً للبيت الأبيض.

أما بالنسبة للوثائق التي اصدر الرئيس ترامب أمر تنفيذي بأزالة السرية عنها وكذلك بعض الوثائق المتعلقة برديري كينيدي ومارتن لوثر كينغ كشفت هذه الوثائق عن عمليات استخباراتية سرية لوكالة المخابرات المركزية وكذلك عملية مشتركة بين الحكومة المكسيكية CIA، وهي عملية تجسيس على القارة. (D.A.R.2025,P.22).

وكذلك وثائق عن مراقبة في هارفي اوزوالد خلال زيارته المكسيكويستي قبل اغتيال كينيدي وكذلك كشفت هذه الوثائق عن تجاوز الوكالة غير قانونية مثل سرقة وثائق سرية دبلوماسية.

وكذلك كشفت الوثائق على تفاصيل عن بعض العملاء ومنهم مانويل ما شاد وصديق فيدل كاسترو ووصف بأنه عميل للوكالة داخل كوبا والمكسيك وهناك وثيقة مهمة وهي مذكرة من آرثر مستشار كينيدي ينتقد فيها دور CIA بعد غزو خليج الخنازير ويقترح اعادة تنظيم داخل الوكالة بسبب الخسائر والاخفاقات الكبيرين تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية.

وحتى الآن لايوجد أي دليل قاطع المؤامرة منظمة وكاملة مع ان بعض الوثائق تكشف ان CIA كانت لديها علاقات استخبارية مع ازوالد وانها راقبته في مكسلوستي الان ذلك لاترفيه الاستنتاج بأن ازولد هو الوثائق لم تدن حجة محددة بشكل مباشر لكنها زادت الشكوك المحلية CIA وتحديداً مراقبة لازوالد، اما

بالنسبة للمافيا وجماعات كوبا المنفية تبقى في دائرة الاحتمال دون ان تكون هناك ادلة قوية. (D.A.R.2025,P.30).

وأيضاً لايوجد دليل على تورط الروس أو جهة سياسية أمريكية رسمياً وكثير من الوثائق بقيت محجوبة أو محذوفة جزينا وهذا يترك المؤامرة مفتوحاً أمام الباحثين وأسباب الحجب الرسمية التي يذكرها الأرشيف هي من أجل حماية الأمن القومي وحماية خصوصية الأشخاص الأحياء.

وبعض الباحثين في مؤامرة اغتيال كينيدي يرون أن بعض الوثائق ربما تحتوي على معلومات حساسة من كبار المسؤولين في الحكومة أو الاستخبارات ولذلك تم تأجيل نشرها. أقوى احتمال هو ان ازولد نفذ اطلاق النار لكن ضمن مخطط أوسع استغلته فيه عناصر داخل (CIA) كانت تتعارض سياسة كينيدي وهذا تم تفسيره وفقاً لـ : (D.A.R.2025,P.203).

1- بسبب مراقبتهم المستجدة لازورد سابقاً.
2- سبب حجم الوثائق لهذا اليوم.
3- وبسبب اختفاء بعض الادلة.
4- وبسبب تعمق الغموض أكثر من كل كشف جديد في حادثة الاغتيال.

وتسلط عدد من الوثائق الضوء على علاقة كينيدي بوكالة الاستخبارات المركزية قبل وفاته، وعلى تقنيات جمع المعلومات الاستخباراتية، مما يوفر معلومات عن عمليات الحرب الباردة.

وتكشف مذكرة حديثة عن نسخة مكتملة لملاحظة كتبها آرثر شليزنجر، أحد مساعدي كينيدي.

وتنتقد المذكرة، وكالة الاستخبارات المركزية ودورها في تشكيل السياسة الخارجية، وتظهر الوجود الكبير للوكالة في السفارات الأمريكية، حتى في دول حليفة مثل فرنسا.

ويُحذر شليزنجر في المذكرة، كينيدي من تأثير الوكالة على السياسة الخارجية الأمريكية. وعلى الرغم من أن المذكرة لاترتبط مباشرة بالاغتيال، لكنها توضح تفاصيل العلاقة المضطربة بين الرئيس ووكالات الاستخبارات.

وتعارض وكالة الاستخبارات المركزية، نشر معلومات تشغيلية أو تتعلق بالميزانية، بحسب ديفيد باريت، الأستاذ في جامعة فيلانوفا والمختص في شؤون وكالة الاستخبارات المركزية والسلطة الرئاسية.

وقال باريت : " إنه أمر جيد للغاية بالنسبة للحكومة أن تُنشر هذه الوثائق حتى لو كانت لاتزال تحتوي على بعض التعديلات". (D.A.R.2025,P.300).

وادّعت بعض الحسابات على مواقع التواصل الاجتماعي، أن الوثائق الأخيرة تكشف عن تفاصيل جديدة بشأن مؤامرات مزعومة منذ فترة طويلة ضد كينيدي، على الرغم من أن بعض هذه التفاصيل كانت معلنة منذ سنوات.

وتتضمن هذه الوثائق منشورات عدة شاعت على نطاق واسع عن غاري أندرهيل، عميل الاستخبارات العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية.

ويزعم أندر هيل أن مجموعة من عملاء وكالة الاستخبارات المركزية، كانت وراء عملية الاغتيال، وهي نظرية نُشرت علانية في مجلة رامبارتس اليسارية في عام 1967.

وصُنفت وفاة أندر هيل عام 1964، على أنها عملية انتحار، لكن المجلة شككت في ذلك.

وانتشرت صور مذكرة من سبع صفحات تتعلق بأندر هيل، الثلاثاء، لكن الجزء الأكبر منها ليس جديداً، إذ تداولت مواقع على الإنترنت قصته منذ فترة طويلة، ونُشرت مذكرة وكالة الاستخبارات المركزية التي ذكرت هذه القصة لأول مرة عام 2017. (D.A.R.2025,P.204).

وكانت هناك بعض الجمل التي وردت في صفحة واحدة من المذكرة، لم يتم تنقيحها في الإصدار الأخير، والأهم من ذلك، هو أن النظرية تستند إلى رواية من مصدر غير مباشر، ونُشرت بعد وفاة أندر هيل ولاتتضمن أي أدلة قاطعة.

ومع ذلك، كانت هذه القصة واحدة من بين عدد من النظريات غير المؤكدة المتداولة بعد نشر الوثائق.

ونص قانون صدر عام 1992 على ضرورة الكشف عن جميع الوثائق المتعلقة بالاغتيال خلال 25 عاماً، لكن هذا القانون تضمن أيضاً استثناءات تتعلق بالأمن القومي.

وأدى الضغط من أجل مزيد من الشفافية إلى إصدار المزيد من الوثائق مع مرور الوقت، فأصدر كل من ترامب في ولايته الأولى، وبايدن في عام 2023 ، دفعات من الوثائق.

وقبيل إصدار الوثائق الجديدة، قال ترامب إنه طلب من موظفيه " عدم حجب أي شيء " منها.

لايبدو أن هذا صحيح، فالوثائق الجديدة لاتزال تحتوي على بعض التعديلات، ومع ذلك، اتفق خبراء على أن الإصدار الأخير يُعد خطوة للأمام نحو الشفافية.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم من الدراسة:

- جون كينيدي شخصية فريدة وبارزة في التاريخ الأمريكي جمع بين الفكر السياسي والقدرة على ادارة الأزمات، على الرغم من قصر مدة رئاسته إلا أن تأثيره امتد لعقود وما زال حاضراً في الخطاب السياسي والذاكرة الجماعية وذلك لما تركه من بصمة واضحة في السياسة الامريكية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

- كان حادث اغتيال جون كينيدي من أكثر الحوادث غموضاً واثارة للجدل وتعددت الروايات والنظريات للكشف عن ملابسات عملية الاغتيال والجهات التي من المحتمل أنها اشتركت في تنفيذ عملية الاغتيال بشكل مباشر أو غير مباشر.
- ان سياسته الداخلية والخارجية لم تكن تروق للمتنفذين في السلطة الأمريكية، إذ قام الرئيس كينيدي اثناء مدة حكمه بأبعاد ثلاث قوى رئيسة كان لها تأثير كبير في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الداخلية والخارجية وحجم من وجودها ونفوذها، وهي وكالة المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) والمافيا وجماعات الضغط في الكونغرس الأمريكي وجميع هذه القوى مرتبطة مع بعضها البعض ونجد وجود كينيدي في الرئاسة خطراً وتهديداً لوجودها ونفوذها السياسي.
- ان اغتيال كينيدي خدم الكثير من الجهات وفي مقدمتها وكالة المخابرات المركزية التي تخلصت من ضغطه عليها وبعد اغتياله عادت لأستئناف عملياتها السرية في فيتنام ووسعت نطاق الحرب، للحصول على ارباح ضخمة في بيع الاسلحة على الجهات المتناحرة فيما بينها، كما عملت على ادامة عجلة الحرب الباردة.
- وتمكن جونسون بعد اغتيال كينيدي من ان يصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وتخلص منه لعدم توافقه معه طول وجوده بالرئاسة ، وكانت علاقتهم متوترة على الدوام.
- حتى الآن لم يتم الكشف عن الوثائق السرية الكاملة والمتعلقة بأغتيال كينيدي ويرى بعض الباحثين في مؤامرة الاغتيال ان بعض الوثائق ربما تحتوي على معلومات حساسة عن كبار المسؤولين في الحكومة أو الاستخبارات ولذلك تم تأجيل نشرها ولم تُشر منها سوى الوثائق المعدلة والمغربلة فقط من قبل ادارتي الرئيسين ترامب وبايدن بحجة حماية الأمن القومي الأمريكي.
- ولابد لنا من القول انه بعد اغتيال كينيدي تخلصت إسرائيل من اخطر الضغوطات التي كان يمارسها الرئيس جون كينيدي على برنامجها النووي في مفاعل ديمومته، إذ حاول كينيدي كبح جماح إسرائيل واخضاعها إلى سياسة التهدئة مع العرب، كما أنهم بأغتيال كينيدي اغلقوا ملف قضية اعادة اللاجئين الفلسطينيين وتوطينهم في ارضهم وبذلك تكون إسرائيل هي المستفيد الأكبر من عملية الاغتيال.
- وستبقى عملية اغتيال كينيدي غامضة ومبهمة ما لم يتم الكشف عن جميع الوثائق السرية التي بحوزة الحكومة الأمريكية التي من المؤكد انها ستكشف عن القاتل الحقيقي أو الجهة المدبرة لحادثة الاغتيال.

المصادر

أولاً: الوثائق المنشورة:

- JFK Assaszination Rcords- 2025. Documents Release.

وعلى الرابط:

https://www.archives.gov/research/jfk/Select.committee-repot/ toc.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

1- التميمي، أمينة داخل، جون كينيدي وسياسته تجاه قضايا المشرق العربي (1961-1963)، ط1، دار أبجد للطباعة والنشر والتوزيع.

2- أ. كولوشين، أغروميكو، الاخوة كينيدي، ترجمة: ماجد علاء الدين وشحادة العبد، بيروت، 1986.

3- روبرتس، تشارلز، الحقيقة في اغتيال كينيدي، ترجمة: احمد حمودة، د.ط، د.ت، د.ت.

4- زاوتر، اودو، رؤساء امريكا من التأسيس إلى الآن، ط2، دار الحكمة، لندن، 2021.

5- وينر، تيم، ارث من الرماد، تاريخ السي آي اية، ترجمة: انطوان باسيل، بيروت، 2010.

6- بوكانان، توماس، من قتل كينيدي، تعريب: سعيد الغز ونجدة هاجر، بيروت، 1964.

7- عزيز، جورج، جريمة العصر، لغز مصرع كينيدي، دار المعارف، القاهرة، 1969.

8- أرمبر. وستر، مكسيم، نظرة جديدة إلى رؤساء الولايات المتحدة ، د.م، د.ت.

9- شايم، آي، ديفيد، المافيا قتلت الرئيس كينيدي، ترجمة: محمود بهنسي، ط1، الدار المصرية للنشر والاعلام، القاهرة، 1992.

10- سعيد الجزائري، الجاسوسية، ج2، بيروت، د.ت.

11- بيرنز، جيمس، جون كينيدي، الجانب السياسي من الصورة، تعريب: خيري خماد، دار الشرق الجديد، القاهرة، 1961.
12- هشام خضر، جون كينيدي، الاسطورة واللغز، ط1، مصر، 2011.
13- بيرنز، جيمس، جون كينيدي صورة سياسية جانبية، تعريب: خيري حماد، القاهرة، 1961.
14- شليسنجر. آرثر، الف يوم جون كينيدي في البيت الأبيض، ترجمة: سيد عبد الحميد مرسي، ج1، القاهرة، 1973.
15- ميزل، البرت. ك، المهاجرون إلى أمريكا، ترجمة: عبد الفتاح المينياوي، القاهرة، 1957.
16- بايبر، مايكل كولينز، الكلمة الفصل، الحلقة المفقودة في اغتيال كينيدي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2001.
17- مانشستر، وليم، موت رئيس، القاهرة، 1967.
18- محمد، نكتل عبد الهادي، موقف الولايات المتحدة الامريكية من القضية الفلسطينية (1978-1993) دراسة تاريخية، ط1، دار المعتز للنشر، عمان ، 2015.
19- عبد الله ، علي، كينيدي الانسان ، دمشق، 1964.
20- بيرنر، ديفيد، جون. أق، كينيدي وجيل جديد، ترجمة: الفرد عصفور، د.م، 1989.
21- زيغلر، جان ، سادة العالم الجدد، ترجمة: محمد زكريا إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

1- جعفر، سيف عبد الجبار، جون. ف. كينيدي. سيرته وسياسته الداخلية حتى عام 1963، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية التربية – جامعة القادسية، 2013.

رابعاً: المجلات:

1- التميمي، أمينة داخل شلش، جون كينيدي وسياسته الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية (1961-1963)، مجلة كلية التربية الاساسية، عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الثاني للعلوم الاجتماعية لقسما التاريخ والجغرافيا والموسوم (التبادل المعرفي عنوان الارتقاء الحضاري، مشرقاً ومغرباً المنعقد للفترة 8-2022/11/9، ج1، بغداد، 2022.

2- محمد، لمياء محسن، ابرز الروايات التاريخية حول اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي (1961-1963) ، مجلة مداد الآداب، العدد الثامن والعشرون، سنة 2013.

رقابة القضاء الإدارى على اعمال الأدارة " في العراق"
(القانون العام)

إعداد

م.د. سيف رعد سعد عبد الستار الإمامي
معهد تقني السماوة
جامعة الفرات الأوسط التقنية

المستخلص

تعد الرقابة القضائية ضمانة اكثر فعالية لاحترام مبدا المشروعية وكفالة حقوق وحريات الافراد، وهي الدرع الخاص للأفراد من تعسف الادارة او انحرافها عن الصالح العام وتضمن مشروعية اعمال الادارة، ان تكون القرارات والتصرفات الادارية مطابقة للقانون والدستور وتتمثل هذه الرقابة من اهم انواع الرقابة على الأجهزة الادارية في الدولة تمارسها السلطة القضائية، رقابة قضاء المحاكم على اللوائح والقرارات الادارية، وان الرقابة القضائية ضمانة اساسية لحماية الحقوق والحريات الفردية من تعسف السلطة التنفيذية، وضمان خضوع الادارة الى مبدأ المشروعية ،وان الدستور العراقي لعام 2005 نص على استقلال القضاء واكد على الحقوق وحريات الافراد، وتهدف هذه الرقابة الى ضمان توافق قرارات الهيئات الادارية مع الاطار القانوني المحدد، مما يعزز حماية حقوق الافراد ويضمن سلامة وكفاءة المصلحة العامة.

الكلمات المفتاحية : الرقابة ، القضاء الإداري ، القانون العام

Abstract

Judicial oversight is a more effective guarantee for respecting the principle of legality and ensuring the rights and freedoms of individuals. It is the individual's shield against administrative abuse or deviation from the public interest and ensures the legality of administrative actions, that administrative decisions and actions conform to the law and the constitution. This oversight is one of the most important types of oversight of the state's administrative bodies, exercised by the judiciary. It involves the courts' review of administrative regulations and decisions. Judicial oversight is a fundamental guarantee for protecting individual rights and freedoms from the abuse of executive power and ensuring the administration's adherence to the principle of legality. The 2005 Iraqi Constitution stipulates the independence of the judiciary and affirms the rights and freedoms of individuals. This oversight aims to ensure that the decisions of administrative bodies comply with the established legal framework, thereby strengthening the protection of individual rights and ensuring the integrity and efficiency of the public interest

المقدمة :

تمثل الرقابة القضائية الضمانة الاكثر فاعلية لاحترام مبدأ المشروعية وكفالة حقوق وحريات الأفراد ،إن مجرد تقرير وجوب خضوع الأدارة لأحكام القانون فى ممارستها مختلف اوجه نشاطها غير كاف لضمان التزامها بذلك ومن ثم فأن الأمر يتطلب احاطة أعمال الادارة المختلفة برقابة تدفع الأدارة إلى الالتزام باحترام مبدأ المشروعية او تلغى ما صدر عنها مخالفا لهذا المبدأ .

فاقرار المبدأ إلى جانب إقرار الوسائل اللازمة لحمايته يعزز بشكل كبير اسس ومبادئ الدولة القانونية على ان وسائل الرقابة تلك متعددة و متنوعة بين وسائل قضائية ووسائل أخرى غير قضائية **(د.المالكي، 2007، صفحة 73)**

ومن اهم انواع الرقابة على الاجهزه الادارية في الدولة الرقابة القضائية والتي تمارسها السلطة القضائية بطرق مختلفة ومن اهم ادوات الرقابة القضائية على الهيئات الإدارية من الدولة رقابة قضاه المحاكم على اللوائح الادارية ورقابة المفتشية العامة للبلاد على الهيئات الادارية فى البلاد ورقابة المحكمة الإدارية على اللوائح والقرارات الأدارية وتقوم السلطة القضائية من خلال المؤسسات والهيئات التابعة لها وباستخدام مختلف الوسائل المنصوص عليها في القوانين بمراقبة سيرعمل الاجهزه الأدارية في الدولة ونشاطات العاملين فيها .

إن اشراف القضاء على الهيئات الإدارية في الدولة يتمتع بضمانه تنفيذية اكثر ملائمة من انواع الرقابة الأخرى لان القضاء يصدر أحكاما ملزمه فى مثل هذه القضايا **(نصر_الله و العبدي، الأصدار (4) العدد (3))**.

وتعتبر الرقابة القضائية على اعمال الادارة حجر الزاوية في بناء دولة القانون الحديثة فهى الضمانة الأساسية لحماية الحقوق والحريات الفردية من تعسف السلطة التنفيذية ، وضمان خضوع الادارة لمبدأ المشروعية في العراق.

واكتسب هذا المفهوم اهمية قصوى بعد عام 2003 حيث شهدت البلاد تحولا جذريا من نظام شمولى مركزى كان يعتمد على سلطة ادارية واسعه وغير مقيدة الى نظام يسعى إلى تكريس مبادئ الديقراطية للفصل بين السلطات وسيادة القانون فبعد عقود من غياب رقابه قضائية حقيقة فعالة على اعمال الأدارة حيث كانت قراراتها بمنأى عن المساءلة القضائية افرزت المرحلة الجديدة فى العراق ضرورة ملحة لاعادة بناء الثقة بين المواطن والدولة وضمان عدم تجاوز السلطات التنفيذية لحدود صلاحياتها.

إن الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ قد نص صراحة على مبادىء اساسيه تؤسس لدولة القانون وكرس استقلال القضاء واكد على حقوقه وحريات الأفراد ومع ذلك فأن ترجمه هذه المبادىء الدستورية الى واقع عملى يضمن فاعليه الرقابة القضائية **(الفهداوي، 2025، صفحة 9)**

اهميه البحث

توضيح اهمية الرقابة القضائية على اعمال الإدارة كونها ضمانه للحقوق والحريات وهي الدرع الخاص للأفراد من تعسف الاداره او انحرافها عن الصالح العام وتضمن مشروعية أعمال الإدارة ان تكون كافه القرارات والتصرفات الادارية مطابقة للقانون والدستور تطبيقا لمبدأ المشروعية.

مشكله البحث

حول ماهيه دور رقابة القضاء الاداري على اعمال الإدارة فى العراق باعتبار أن الرقابة القضائية من اهم الضمانات للتحقق من مطابقة اعمال الإدارة لمبدأ المشروعية

اهداف البحث

دعم فكرة ان جميع اعمال الادارة وتصرفاتها تكون متوافقة مع القوانين المعمول بها وفى اطار مبدأ المشروعية وضمان ان للافراد الحق في الطعن في القرارات الادارية غير المشروعة وضمان عدم تجاوز الإدارة لحدود سلطتها و تحملها المسئوولية عن قراراتها

منهج البحث

ستعتمد على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال بيان دور القضاء الادارى فى الرقابة على اعمال الأدارة من خلال استعراض القوانين العراقية ذات الصلة و بيان مفهوم القضاء الادارى و دوره و اهميته وصور الرقابة القضائية على اعمال الأدارة وذلك من خلال المطلبين التالين:

المطلب الاول - مفهوم رقابه القضاء الادارى على اعمال الأدارة وتطورها فى العراق.

المطلب الثاني- صور رقابة القضاء الاداري على اعمال الادارة في العراق.

المطلب الأول :مفهوم رقابة القضاء الأدارى على اعمال الأدارة فى العراق وتطوره.

تمثل الرقابة القضائية الضمانة الأكثر فاعلية لاحترام مبدأ المشروعية وكفاله حقوق وحريات الأفراد ومن هنا كان لابد من بيان مفهومها واهميتها وتطور رقابة القضاء الأدارى في العراق على اعمال الإدارة حيث تعد الرقابة القضائية على اعمال الإدارة حجر الزاوية في مبدأ سيادة القانون وتعنى خضوع السلطة الادارية لرقابة القضاء في كافة تصرفاتها و قراراتها لضمان توافقها مع القوانين والأنظمة **(الفهداوي، 2025، صفحة 91)**.

ونتناول خلال هذا المطلب مفهوم الرقابة القضائية على اعمال الادارة واهميتها وتطورها من **خلال الفرعين التالين**

الفرع الأول - تعريف رقابة القضاء على اعمال الإدارة واهميتها

الفرح الثاني - تطور رقابة القضاء الإداري على اعمال الإدارة فى العراق

الفرع الأول : تعريف رقابة القضاء على اعمال الإدارة واهميتها

تعنى الرقابة القضائية على اعمال الإدارة إسناد سلطة الرقابة على اعمال الإدارة إلى القضاء إذ تتولى المحاكم بحيث مشروعية اعمال الأدارة بناءا على طعن يقدم من أصحاب العلاقة فهذه الرقابة لا تتم تلقائيا من جانب القضاء بل عن طريق طعن قضائى يأخذ صورة دعوى من هذه الناحية يبدو اختلاف الرقابة القضائية عن غيرها من وسائل الرقابة و بخاصة الادارية **(د.المالكي، 2007، صفحة 87)**.

ورقابة القضاء تعنى الاجراء الذي من خلاله يباشر القضاء مراقبة مدى توافق القرارات والاجراءات الحكومية مع احكام الدستور والقوانين ويهدف القضاء من خلال هذه الرقابة التاكد من عدم تجاوزالسلطة التنفيذية لحدود اختصاصاتها اوانتهاك الحقوق والحريات المكفولة قانونيا وتتضمن الرقابة القضائية تحديد مدى قانونية القرارات الإدارية والأوامر الحكومية وتقديم الاحكام التي قد تتطلب تعديل اوالغاء القرارات المخالفة للقانون **(مزاحم و د.مشهدي، 2025، صفحة 424)**.

والرقابة القضائية تباشرالسلطة القضائية متمثلة بمحاكمها على اختلاف انواعها ودرجاتها رقابة على اعمال الادارة إذ تتمثل الرقابة القضائية بالسلطات والصلاحيات الممنوحة للمحاكم العادية او الادارية استنادا لنصوص القانون للفصل في المنازعات وإصدار الأحكام فى المسائل التى تكون الاداره طرفا فيها فهى تعد من أنجح الوسائل

لضمان حقوق الافراد والدفاع عنها حيث يلجأ الافراد إليها عندما تتعرض حقوقهم للأهدار من قبل الإدارة او تعسفها فى ممارسه سلطتها فضلا عن الفصل فى الخصومات التي تطرح امام القضاء وتخضع لقواعد لا مثيل لها لأنواع الرقابة الأخرى **(طعيمة و د.افضلي، 2024، صفحة 224)** .

والرقابة القضائية هي الضمان الفعلى للأفراد ضد تجاوز الاداره حدود وظيفتها و تعسفها في استخدام سلطتها وخروجها على مبدأ المشروعية **(د.جمال_الدين، 2000، صفحة 2019)** وان هذه الرقابة تهدف الى ضمان مشروعية تصرفات الإدارة والتاكد من التزامها بالقوانين والأنظمة المعمول بها بحيث لا يتجاوز حدود صلاحيتها او تنتهك حقوق الأفراد **(مزاحم و د.مشهدي، 2025، صفحة 242)** .

والقضاء الاداري يعد احد الركائز الأساسية فى الأنظمة القانونية حيث يمثل من جهة قضائية مستقلة تختص بالنظر في المنازعات التي تنشأ بين الافراد والجهات الادارية بهدف تحقيق التوازن بين ممارسة الادارة لصلاحياتها وحقوق الافراد المتأثرين بقراراتها او اعمالها ويقوم القضاء الأدارى بدور محوري فى ضمان إحترام مبدأ الشرعية وسيادة القانون إذ يمنح الأفراد وسيلة قانونية للطعن في القرارات الأدارية التى قد تتسم بعدم المشروعية او التعسف مما يساهم فى حماية الحقوق الفردية وتحقيق العدالة **(التميمي، 2025، صفحة 392)** .

وينفرد القضاء الأدارى عن القضاء العادى بتخصصه فى المنازعات ذات الطابع الأدارى التي ترتبط بالسلطة العامة والإجراءات التي تقوم بها الأدارة و يرتكز القضاء الأدارى على مبادئ اساسية منها مبدأ المشروعية الذى يفرض على الأدارة التقيد بالقوانين والأنظمة المعمول بها ومبدأ الفصل بين السلطات الذي يضمن استقلال القضاء الادارى عن الجهات التنفيذية مما يعزز نزاهته وحيادتيه فى النظام القانون العراقي **(التميمي، 2025، صفحة 392)** .

ويبرز ملامح التطور فى التنظيم القضاء الادارة العراقي في ظل قانون التعديل الخاص لقانون مجلس شورى الدولة **(التعديل الخاص لقانون مجلس شورى الدولة رقم 17 لسنة، 2013)** , حيث ان هذا التعديل أحدث تغيرا جوهريا فى بنية وهيكلية القضاء الإداري في العراق فهو من جهة وسع دور الرقابة القضائية على اعمال الادارة من خلال زيادة عدد هيئات القضاء الادارى وتوزيعها بشكل مناسب على مناطق العراق ومن جهة اخرى اتفق على تنظيم بعض المسائل المتعلقة باختصاصات القضاء الادارى مما لم يكن ينظمه سابقا ويمكن ملاحظة هذا الامر بالنسبة لاختصاصات المحكمة الادارية العليا وهيئة تعيين المرجع وكذلك محكمة القضاء الادارى من ناحية عدم النص على اعمال السيادة **(د.المالكي، 2007، الصفحات 131,130)**.

و يتمثل القضاء الاداري بمجلس شورى الدولة وهو الجهة المختصة بالنظر في المنازعات الإدارية وفقا لاحكام قانون مجلس شورى الدولة ٥6 لسنة ١٩٧9ويختص هذا المجلس بالنظر فى الطعون المقدمة ضد القرارات الادارية

الصادرة عن الجهات الحكومية بالاضافة إلى المنازعات المتعلقة بالعقود الإدارية ويمنح القانون العراقي لمجلس شورى الدولة سلطة الغاء القرارات الادارية المخالفة للقانون وتعويض المتضررين من تلك القرارات مما يعكس دوره الرقابي على تصرفات الادارة العامة **(التميمي، 2025، صفحة 392)** , فكان لابد ان تخضع القرارات الادارية الى رقابة القضاء لكى تقف على مدى صحتها ولكى تكون تحدد سلطة الادارة بأن تعمل ضمن صلاحياتها التى حددها القانون او اللوائح او التعليمات او جاء بنص شروط العقد وهذا هو المطلوب.

لكى تكون قرارات الأدارة بأن لا تتعرض الى الطعن امام القضاء وترد من قبله عندما تكون مخالفة للقانون والرقابة القضائية هي من ضمن القيود التي ترد على عمل الأدارة والتصرفات القانونية التي تمارسها الادارة لاحداث اثار قانونية ما هو الا الاسلوب الذى يسبب فى احداث هذه الآثارعلى عاتق المخاطبين به دون أن يتوقف ذلك على قبولهم وعليه يتطلب الرقابة القضائية على هذه التصرفات سواء من الناحية الشكلية أو الناحية الموضوعية في اركان هذه القرارات و عناصره والشروط اللازم توافرها في القرار الاداري ليكون صحيحا وسليما من الناحية القانونية ونهاية القرارات الإدارية اما تكون صلاحية سلطة الإدارة أو تكون مخالفة لتصرفاتها ويتخذ القضاء قراره بها بالالغاء أو بالتعديل وقد تتمثل تصرفات الإدارة بالأعمال القانونية وتكون مع الأفراد بحيث تتوافق الإرادات و ينتج عنها احداث اثر قانونى معين من اجل اشباع الحاجات العامة وهذا ما يسمى بالعقود الأدارية والتي تنظم مرفق عام وتقوم الإدارة بتنفيذ هذه العقود مع متعاقدين افراد او شركات وتلجأ لاصدار قرارات اما بفرض عقوبات مالية او غير مالية من اجل تحقيق هدفها وهو الصالح العام وجميع هذه القرارات تخضع لرقابة القضاء المختص لكى يتحقق مبدأ المشروعيه وايقاف تعسف الإدارة **(العاني، صفحة 374)**

إن دور وصلاحيات الرقابة القضائية من اهم مهام الادارة والتى تتعلق بحقوق الافراد والحريات الفردية ولهذا تضاعف اهمية الرقابة القضائية على الاعمال الإدارية فى حماية النظام العام والمجتمع **(نصر_الله و العبدي، الأصدار (4) العدد (3)، صفحة 67)**

و تعد محكمة القضاء الإداري فى العراق التى تم انشائها بصدور القانون رقم 106 لسنة 1989 وقانون التعديل الثاني لقانون مجلس شورى الدولة رقم 65 لسنة 1979 ركنا مهما من اركان احترام القانون فتختص بالنظر في صحة الأوامر والقرارات الإدارية التي تصدر عن الموظفين والهيئات في دوائر الدولة و التعويض عنها.

والجدير بالذكرر تشكل الرقابة القضائية على اعمال الضبط الأدارى في في مجال حماية المصلحة العامة الية حيوية لضمان التزام السلطات الإدارية بالقوانين واللوائح المطبقة .

وتهدف هذه الرقابة إلى ضمان توافق قرارات الهيئات ت الإدارية . مع الإطار القانوني المحدد مما يعزز حمايه حقوق الأفراد ويضمن سلامة وكفاءة المصلحة العامة **(حسين، 2024، صفحة 287)** .

كما تهدف هذه الرقابة إلى التأكد من ان القرارات الإدارية المتعلقة بالمصلحة العامة قد صدرت وفقا للإجراءات و الشروط الشكلية التي يفرضها القانون والتأكد من ان الجهة التي اصدرت تلك القرارات تملك الصلاحية القانونية وان القراراتبع الاجراءات المحددة قانونا.

فمن خلال هذه الرقابة يمكن القضاء من فحص مدى اختصاص الجهة الادارية باصدار القرار وأن يتحقق من صحة الاجراءات المتبعة في إصداره. فأن الرقابة القضائية على المشروعية الخارجية تهدف إلى حماية حقوق الافراد والمجتمع من القرارات التعسفية غير القانونية وتضمن هذه الرقابة ان تعمل الهيئات الإدارية ضمن إطار قانوني واضح ومحدد **(حسين، 2024، صفحة 287)**. وتمارس الرقابة القضائية على السلطة التقديرية للإدارة باعتبارها وسيله لضمان عدم تعسف الادارة او انحرافها في استعمال ما منحها المشرع من حرية في اتخاذ القرارات فرغم ان الاصل ان القاضى الاداري لا يملك استبدال قراره بقرار الادارة الا انه يمتلك صلاحية التحقق من ان الادارة إحترمت حدود القانون ومارست سلطتها التقديرية وفقا لضوابط المشروعية **(وادي، 2025، صفحة 1151)**

الفرع الثانى : تطور رقابة القضاء الإدارى على اعمال الإدارة في العراق

في بدايات الدولة العراقية الحديثة لم يكن هناك فصل واضح بين القضاء العادي والقضاءالإداري بل كانت جميع المنازعات بما فيها تلك التي تخص الادارة تعرض على المحاكم المدنية وقد شكل هذا الوضع عائقاً كبيراً امام تحقق رقابة قضائية فعالة لأن القاضي المدنى كان يتعامل مع القرارات الادارية بوصفها تصرفات قانونية مجردة دون التمييز بين القرار الإداري الصادر من جهة عامة وبين التصرف المدنى الصادر عن شخص خاص هذا الخلط في المفاهيم اضافة الى ضعف التخصص جعل الأحكام القضائية في هذا المجال محدود الاثر وغالبا ما كانت غير قادرة على انصاف المواطن اوعلى ردع تعسف الإدارة **(سبع، 2025، صفحة 242)** و ظل هذا الوضع قائما حتى أواخر سبعينيات القرن الماضي حيث بدأت الدولة تدرك ولو بشكل جزئى الحاجة إلى انشاء قضاء ادارى مستقل يستوعب خصوصية العلاقة بين الفرد والادارة و يكون قادر على ضبط اداء السلطة التنفيذية وقد تجسد هذا التحول باصدار قانون مجلس شورى الدولة رقم 65 لسنة 1979 الذي نص على إنشاء هيئة مختصة للنظر في الطعون المتعلقة بالقرارات الأدارية وهذ التشكيل رغم انه لم يكن على غرار النموذج الفرنسي الكامل الذي يفصل بين النظام القضائى العام والنظام القضاء الادارى الا انه شكل خطوة نحو بناء قضاء اداري فى العراق **(سبع، 2025، صفحة 243)**.

و من خلال هذه الهيئة بدء القضاء الإدارى العراقي يتلمس طريقه فى النظر في مشروعية القرارات الإدارية والفصل في المنازعات التى تنشأ بين الافراد والجهات.

غير أن هذه التجربة واجهت منذ بدايتها عدة تحديات كان ابرزها ضيقة نطاق الطعن إذ لم يكن يسمح للمواطن بمنحها صحة جميع قرارات الإدارة بل فقط تلك التي تعد نهائية اى الصادرة عن جهات عليا وهو ما استبعد ضيفا واسعا من القرارات التي تمس الحقوق بصوره فعلية كما ان عدد القضاه المتخصصين فى هند المجال كان محدودا والبنية المؤسسية لم تكن مهيأه لتوسيع الدور القضائى الرقابي فضلا عن أن الثقافة الادارية أنذاك لم تكن مستعدة لتقبل فكره ان قرارات الإدارة ممكن ان تلغى بأمر قضائي **(قانون مجلس الدولة رقم (65) لسنة 1979 و تعديلاته)** او من خلال استعراض المراحل التي مر بها تنظيم القضاء الإداري في العراق لجهة النظر في المنازعات الادارية ووصولا إلى ما استقر عليه التنظيم الحالى في اخر مراحل تطوره وهذه المراحل هي :

- **المرحلة الأولى** :القضاء الاداري في العراق قبل عام ١٩٨٩ (مرحلة ما قبل صدور قانون التعديل الثاني لقانون مجلس شورى الدولة رقم 106 لسنة 1989).
- **المرحلة الثانية** : القضاء الإدارى فى العراق فى ظل قانون التعديل الثاني لقانون مجلس شورى الدولة رقم 106 لسنة 1989
- **المرحلة الثالثة** :تنظيم القضاء الادارى في العراق في ظل قانون التعديل الخاص لقانون مجلس شورى الدولة رقم 17 لسنة 2013
- **المرحلة الرابعة** : تنظيم القضاء الاداري في العراق فى ظل قانون مجلس الدولة رقم 71 لسنة 2017 **(د.المالكي، 2007، الصفحات 11,5)**

و يبين المشرع العراقي اختصاص جهة القضاء الإداري التي يمثلها فى الأساس (محاكم القضاء الادارى و محاكم الموظفين) بموجب قانون مجلس شورى الدولة رقم 65 لسنة 1979 وتعديلاته .

و نظم القضاء الأدارى فى العراق بقانون مجلس الدولة رقم 71 لسنة 2017 حيث جاءت مرحلة التحول الحقيقى - مع صدور الدستور العراقي الجديد لسنة 2005 ، الذي مثل قطيعة مع الفهم السابق للعلاقة بين السلطة والقانون ويبني بوضوح مبدأ خضوع الادارة للقضاء فقد نصت المادة (١٠٠) من الدستور على إنشاء محكمة ادارية مختصة واقرت بامكانية الطعن بأحكامها امام هيئة قضائية أعلى ما يفى بدور الرقابة القضائية لمكون اساسى من مكونات النظام القانونى ، وكان لهذا التحول الدستورى اثر واضح في توسيع الوعى القانونى وفتح المجال امام المواطنين للطعن بقرارات الادارة على أسس قانونية واضحة ويشجع ايضا على تطوير البنية القضائية وتوسيع صلاحياتها

تدريجياً **(سبع، 2025، صفحة 243)** وانطلاقا من تاسيس القضاء الادارى العراقي متماشيا مع ان احد اسس نجاح اى دولة هو وضع قوانين تنظم حياة الافراد و تحدد واجباتهم وحقوقهم فى مختلف المجالات.

بالاضافة الى اختيار شخصيات كفوءة لتولى السلطة وادارة شئون الدولة مع إحترام القانون الذي تم فرضه ولا يتحقق هذا الاحترام من قبل الإدارة , من خلال تصرفاتها الأيجابية فحسب بل ايضا من خلال تنفيذ المهام التي يفرضها القانون عليها ومن المعروف أن الممارسات السلبية للإدارة تعد من أخطر الأمور التي تضر بمصالح الأفراد في تعاملهم مع الادارة وهذه الممارسات للاسف تنتشر بشكل مبالغ فيه وتتفاقم خطورتها على الفرد و الدولة ما دفع المعنين إلى تفعيل دور القضاء فى مراقبة الادارات وكيفية تطبيقها للقانون وتم انشاء هيئة قانونية تسمى" رقابة القضاء" والتي يجب ان تتسم بالخبرة والمعرفة والكفاءة القانونية فى مراقبة الادارات وكيفية تطبيقها للقانون وتتصدى لأي خرق قانونى تواجهه **(مزاحم و د.مشهدي، 2025، صفحة 242)**

والجدير بالذكر رغم التطور فى القضاء الادارى العراقي و التقدم على مستوى النصوص الا ان الواقع العملي لا يزال يواجه عددا من الاشكالات من بينها القضاء الاداري لم يمنح بعد الاستقلال الكامل من حيث التنظيم والاختصاص ، كما ان التنفيذ الفعلى للأحكام القضائية يواجه مقاومة أو تباطؤ من قبل بعض الجهات الإدارية خاصة تلك التي ترى فى قراراتها تعبيرا عن سيادة لا يجور التدخل فيها وقد ادى هذا الوضع إلى حدوث فجوه بين المبادئ الدستورية وبين اليات التطبيق اذ لا يكفى النص على الرقابة القضائية ما لم تقترن بإجراءات تنفيذية مقالة وضمانات مؤسسيه تجبر الادارة على احترام احكام القضاء **(عبد_الله، 2014، صفحة 79)**.

و رغم هذه التحديات ، فأن التجربة العراقية لا يمكن وصفها بالثبات او الجمود بل إنها تمر بحاله من التطور التدريجي إذا اصبحت هناك اليوم سوابق قضائية صدرت ضد وزارات و جهات عليا و جرى تنفيذها بالفعل وهو ما يعكس تطوراً نسبياً فى وعى القاضي الإداري وجرأة اكبر فى مواجهة السلطة التنفيذية كما ان المواطن العراقي بات أكثر إلماما بحقه في اللجوء الى القضاء الإداري واكثر وعيا بأهمية الرقابة القضائية في الدفاع عن مصالحه **(سبع، 2025، صفحة 244)** .

و ذلك فى ظل الدستور الحالي لعام 2005 فى المادة (١٠٠) التي تنص على " **يحظر النص فى القوانين على تحصين اى عمل او قرار إداري من الطعن** " وهذا الأتجاه الجديد يوفر حماية أكبر لحقوق الأفراد من خلال إحترام مبدأ المشروعية.

الاساس الدستوري والقانوني للرقابة القضائية فى العراق

شهد العراق بعد عام ٢٠٠3 تحولا دستوريا و قانونيا كبيرا حيث نص دستور العراق لعام ٢٠٠٥ على مبادىء أساسية تؤسس لدور القضاء في الرقابة على اعمال الأدارة **(الدستور العراقى لعام 2005)**

(أ) <u>الأسس الدستورية</u>

1- **المادة (19)** تنص على ان "القضاء مستقل لاسلطان عليه لغير القانون وهذا المبدأ هو اساس استقلال القضاء وفعالية رقابته كما تنص المادة على الحق فى التقاضى.
2- **الماده (١٥٠)** من الدستور تؤكد على استقلال القضاء وتمنع التدخل في شئون العدالة والقضاء.
3- **المادة (101)** من الدستور تنص" يؤسس مجلس قضاء اعلى يتولى اداره شئون القضاء"
4- **المادة (١٠٣)** من الدستور تنص على ان " مجلس القضاء الأعلى يختص بالاشراف الأداري على القضاء والترشيح والتنسيب والتدريب للمنصب القضائي وادارة شئون المحاكم.
5- **المادة (104)** من الدستور تنص على وجود محكمة اتحاديه عليا تتولى الرقابة على دستورية القوانين وتفسير الدستور و هوما يمنحها دورا رقابيا مهما على النصوص القانونية التي قد تؤثر على اعمال الادارة **(الدستور العراقى لعام 2005)**

(ب) <u>الأسس القانونية المنظمة للرقابة القضائية</u>

1- **قانون مجلس شورى الدوله رقم 65 لسنة1979وتعديلاته** و يعتبر هذا القانون الأطار الأساسى للقضاء الأداري في العراق نص هذا القانون على تشكيل محكمة القضاء الإداري التى تختص بالنظر في الطعون المقدمة ضد القرارات الإدارية النهائية الصادرة عن الجهات الإدارية وتعد هذه المحكمة الجهة القضائية الرئيسية لمراجعة أعمال الأدارة في العراق و تعد محكمة القضاء الادارى فى العراق ركنا مهما من أركان احترام القانون وتختص بالنظر فى صحة الأوامر والقرارات الإدارية التي تصدر عن الموظفين والهيئات فى دوائر الدولة والتعويض عنها.
2- **قانون التنظيم القضائى رقم 160 لسنة 1979 وتعديلاته** ينظم هذا القانون هيكلية القضاء العادى في العراق بما فى ذلك المحاكم الجنائية والمدنية والتي قد تمارس رقابة غير مبا شرة على اعمال الإدارة من خلال قضايا التعويض عن الاضرار الناجمة عن اخطاء الإدارة **(الفهداوي، 2025، صفحة 99)**
3- **قانون اصول المحاكمات الجزائية والمدينة رقم ٢٣ لسنة 1979وتعديلاته** ينظم هذا القانون الاجراءات القضائية فى القضايا الجنائية ويضمن حقوق المتهمين ويضع قيودا على صلاحيات الشرطة والاجهزة الامنية فى التحقيق والاعتقال و يخضعها لرقابة القضاء **(قانون مكافحة الأرهاب رقم 13 لسنة 2005)**

ان وجود رقابة قضائية على مشروعية تصرفات الادارة يمثل ضمانة مهمة من ضمانات حقوق الافراد فى عملهم لما في ذلك من تمكين لدولة القانون ،والقاضي هو مفتاح الالتزام بسيادة القانون ويتوقف عليه احترامه بمعناه الواسع الذي يتجاوز التقيد المحدد بالنصوص الى احترام مضمون القانون من حيث وجوب حمايته لحقوق الانسان . فأذا عجز القانون عن توفير الحماية لم يصبح جديرا بأن تكون له السيادة لذلك يجب ان يكفل النظام القضائى فى الدولة سيادة القانون القائمة على احترام حقوق الأنسان فيما يوفره من عناصر تتمثل فى تكوين جبهات التقاضى واختيار القضاه وضمان استقلالهم وحيادهم **(رسلان، 2000، صفحة 287)**

وتبدو اهمية الرقابة القضائية على اعمال الأدارة حيث تعد هذه الرقابة هى المرجع الحقيقى لمبدأالمشروعية الذى تستند اليه الجهة الأدارية والأفراد سويا للتأكد من مدى تطبيقها لمبدأ المشروعية ونظرا لما تمتاز به هذه الرقابة من قضاه مستقلون عن جهة الأدارة ويمتازون بالجدارة والموضوعية وذلك بالغاء قرارات الأدارة المخالفة للقانون ويتبع عنها ضررا بالأفراد او الحكم بالتعويض عن الضرر الذى يصيب الأفراد من جراء سير المرافق العامة او بفعل العاملين فيها وتأخذ الرقابة القضائية بألا تتحرك من تلقاء نفسها فالقضاء لايباشر رقابته على اعمال الأدارة الا عن طريق دعوى ترفع اليه او دفع يقدم اليه من قبل ذوى الشأن **(د.العاني، 2015، صفحة 81)**

فالرقابة القضائية ضمانا حقيقيا لمصلحة الأفراد وحقوقهم وقد اكد الدكتور محمد كامل ليله الذى يذهب الى القول أن الرقابة القضائية تعد من اهم صور الرقابة فى الدولة وذلك لان القضاء هى الجهة المؤهلة لحماية مبدأ المشروعية من العبث به والخروج عن احكامه ويقوم القضاء بمهمته هذه اذا ماتوافرت الضمانات التى تكفل له الأستقلال فى اداء وظيفته **(د.ليله، 1667، صفحة 160)**. و لذا تعد الرقابة القضائية على اعمال الأدارة الغرض منها حماية الأفراد من تعسف السلطة الأدارية واستعمال سلطتها فى غير اوجه المشروعية .

المطلب الثانى :صور رقابة القضاء الأدارى على اعمال الأدارة فى العراق

لاريب في ان خضوع السلام الإدارية على وجه الخصوص للقانون يمثل أهم نتائج ومقتضيات مبدأ الشرعية إذ ان احتمالات خروج تلك السلطة على هذا المبدأ قائمة بصورة كبيرة نظرا لتعدد اوجه نشاطها واحتكاكها اليومى الدائم بالأفراد اثناء ممارسة هذ النشاط مستعينة في ذلك بما قرره لها القانون من أساليب وامتيازات بهدف تمكينها من تحقيق الصالح العام **(د.جمال_الدين م.، 2024، صفحة 5)** .وتمثل سلطة الإدارة في إصدار القرارات الإدارية المظهر الرئيسى والاساس لوسائل الادارة فى مباشرة كافة اوجه نشاطها دون استثناء ولذلك يعتبرها فقه القانون العام اهم وأخطر امتيازات السلطة الادارية التي لا غنى عنها سيما وان الأدارة لا تستطيع فى غالب الأحيان ان تمارس امتيازاتها الأخرى الا من خلال هذه القرارات اذ تباشر الأدارة عن طريقها السلطة التقديرية علاوة على

الحق فى نزع ملكية العقارات والاستيلاء عليها للمنفعة العامة والتنفيذ الجبري المباشر وغير ذلك من وسائل وامتيازات يقررها القانون للسلطة الإدارية **(د.جمال_الدين م.، 2024، صفحة 6)** .

ومن غير شك ان الحرص على الحقوق والحريات العامة للأفراد وهو من أنبل واسمى مايهدف اليه كل فقيه اوقاض يدفع الى المزيد من الرقابة الفعالة لضمان حقوق الافراد تجاه النشاط الإداري ولكن مع الحرص في الوقت ذاته على الايتجاوز القضاء الادارى المخول اليه أداء هذه الرقابة حدود سلطاته فتكون له الكلمة الأخيرة في المسائل الادارية مما يتناقض مع الاسس الدستورية والديمقراطية التي تنكر على اى سلطة ان تكون مطلقة حتى ولو كانت هذه السلطة هى القضاء ذاته **(Hodovicil, 1937, p. 13)** .

وان سلطة الادارة كثيرا ما تصدر قرارات ادارية سواء بفرض العقوبات الإدارية على موظفيها أو بفرض جزاءات إدارية على المتعاقدين معها عندما تتعاقد لابرام عقود ادارية وأن الإدارة تباشر أعمالها بواسطه اصطلاح يسمى القرار الاداري واخر يدعى بالعقد الأدارى وغير ذلك من اعمال الادارة ومنها قرارات الضبط الأدارى مستخدمة في ذلك سلطتها التقديرية وهذه كلها يتم رقابتها من قبل القضاء المختص لكي لا تتعسف الادارة بقراراتها وبالتالى تنحرف عن مبدأ المشروعية وتكون النتيجة الأضرار بالأفراد سواء كانوا موظفين ام متعاقدين معها لكى تقف على مدى صحتها و لكى تحدد سلطة الإدارة بأن تعمل ضمن صلاحياتها التي حددها لها القانون او اللوائح او التعليمات أو ما جاء بنص شروط العقد وذلك من خلال تصرفات الأدارة بالأعمال القانونية وتكون مع الأفراد بحيث تتوافق الأرادات وينتج عنها احداث اثر قانونى معين من اجل اشباع الحاجات العامة من خلال العقود الإدارية التي تنظم مرفق عام وتقوم الادارة بتنفيذ هذه العقود مع متعاقدين افراد او شركات وتلجأ لاصدار قرارات اما بفرض عقوبات مالية او غير مالية من اجل تحقيق هدفها وهو للصالح العام .

وجميع هذه القرارات تخضع لرقابة القضاء المختص لكى يتحقق مبدأ المشروعية وايقاف تعسف الأدارة **(العاني ح.، صفحة 374)** ، و نتناول من خلال هذا المطلب صور رقابة القضاء الإداري على اعمال الإدارة فى العراق من خلال **الفرعين التاليين:**

- **الفرع الأول** - رقابة القضاء الادارى العراقي على القرارات الإدارية
- **الفرع الثاني** - رقابة القضاء الادارى العراقي على العقود الإدارية

<u>الفرع الأول - رقابة القضاء الإداري العراقي على القرارات الإدارية</u>

يعد القرار الأداري من اهم المسائل في القانون الإداري واكثرها خطورة فهو تلك الطريقة المهمة المفضلة للإدارة فى القيام بمهامها وذلك لما ينجزه من سرعة و فاعلية فى إنجاز اعمال ونشاط الأدارة فالقرار الإداري

بطبيعته يعطى الأدارة فرض إرادتها الأحادية المتعلقة بمهامها في أي أمر من الأمور دون الحاجة الى الحصول على رضا المستهدفين به **(كريم، صفحة 277)** . و في العراق القضاء الإدارى العراقي تقتصر ولايته على نظر الأوامر والقرارات الادارية طبقا لأحكام المادة السابعة من قانون مجلس الدولة (المحكمة_الأدارية_العليا، 2014) . و يعتمد بالدرجة الأساس في تحديد الأعمال الإدارية على المعيار الشكلي ومن ثم تتجه رقابتة نحو اعمال وقرارات الجهات والهيئات الأدارية التنفيذية وعلى ذلك حدد مجلس الدولة مفهوم القرار الإدارى القابل للطعن بانه محل قرار إداري نهائي صادر عن سلطة إدارية ومنتج لاثر قانوني **(قرارات_مجلس_الدولة، 2009، صفحة 394)** . و موقف القضاء العراقي هذا ياتي منسجما مع موقف المشرع العراقى الذى حدد بنص المادة (7/ رابعاً) من قانون مجلس الدولة رقم 65 لسنة1979 المعدل بالقانون رقم 17 لسنة 2013 ،71 لسنة 2017 اختصاص محاكم القضاء الادارى فى العراق بالفصل فى صحة الأوامر والقرارات الأدارية الفردية والتنظيمية التي تصدر عن الموظفين والهيئات في الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة القطاع العام **(قانون مجلس الدولة رقم (65) لسنة 1979 و تعديلاته)** و الطعن بالالغاء من خلال دعوى الالغاء لا يكون الا فى القرارات الادارية ،والقرار الإداري هو عمل قانونى صادر بالأرادة المنفردة الملزمة لاحدى الجهات الأداريه يرتب أثر قانونيا اما بانشاء مركز قانوني جديد او تعديل او الغاء مركز قانونى قائم وهذا يعنى ان الطعن بالالغاء لا يوجه إلى الأعمال المادية التي لا ترتب بذاتها اثرا قانونيا ، كما انه لا يوجه إلى اعمال الأدارة التي تستلزم وجود اراده تتطابق مع إرادة الإدارة في إحداث الأثر القانوني (العقود الإدارية) لأن دعاوى الالغاء توجه إلى القرارات الادارية وهذه الأخيرة تصدر بالإرادة المنفردة .

والمطلوب هو ان يكون محل الطعن قراراً ادارياً يستوى بعد ذلك ان يكون القرار فردياً او تنظيمياً صريحاً او ضمنياً فيعد فى حكم القرار رفض او امتناع الموظف او الهيئة عن اتخاذ امر او قرار كان من الواجب عليها اتخاذه قانوناً [1] و لم يقبل القضاء الأدارى العراقي الجمع بين الطعن بقرارين إداريين مختلفين في دعوى واحدة **(المحكمة_الأدارية_العليا، 2014)** .

والجدير بالذكر ان المشرع العراقي لم يعالج تعريف القرار الادارى الذي دعا رجال الفقه والقضاء لمجابهة هذه المسألة وذلك بمحاولة إنشاء تعريف القرار الأداري نجد ان قانون مجلس شورى الدولة رقم 65 لسنة 1979 المعدل

[1]القرار الأدارى هو ايضاح الأدارة عن ارادتها الملزمة وهذا الأيضاح قد يكون صريحا وهو الغالب وقد يكون ضمنيا يستفاد من سكوت الأدارة وامتناعها عن اتخاذ قرار كان من الواجب عليها اتخاذه قانونا فيعد هذا الأمتناع فى حكم القرارات الأدارية فقد يجعله المشرع بمثابة قرار بالموافقة كما هو الحال بالنسبة لامتناع الأدارة عن الأجابة على طلب احد الموظفين بالأستقالة من الوظيفة (353) من قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960 المعدل وقد يعتبر السكوت قرارا بالرفض كما هو الحال بالنسبة لامتناع الأدارة عن الرد عن تظلم احد الموظفين من قرار صادر منها (م15/ثانيا)من قانون انضباط موظفى الدولة رقم 14 لسنة 1991 المعدل ففى الحالتين يعد هذا الكوت قرارا ضمنياً.

لم ينوه إلى شرط النهائية فى القرار الإدارى إذ لم يشترط المشرع العراقى توافر هذه الصفة فى القرار الأدارى وإنما نص على انه" تكرس محكمة القضاء الإداري بالنظر فى صحة الأوامر والقرارات الأدارية التي تبعث من الموظفين والاجهزة في دوائر الدولة و القطاع الاشتراكي بعد نفاذ هذا القانون التي لم يعنى مرجع للطعن فيها" وعلى الرغم من ورود هذا النص وعدم إشارة المشرع العراقي الى صفة (النهائية) في القرار الأداري الا ان محكمة القضاء الإداري ، والهيئة العامة لمجلس شورى الدولة أقرتا على ضرورة توافر صفة النهائية فى القرار الادارى في العديد من الاحكام ومن ذلك حكم محكمة القضاء الأدارى الذي تقول فيه " ان القرار المطعون فيه في هذه الدعوى لم يكن قرارا نهائيا وحاسما حيث ان القرارات الإدارية التي يطعن فيها امام هذه المحكمة هى فقط القرارات الادارية النهائية الحاسمة " **(الشمري، 2016، صفحة 150)** .

وقد أيدت الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة قرار محكمة القضاء الإدارى المذكور حيث جاء قرارها اذا لم تصدر الجهة الأدارية قرارا نهائيا فان ذلك لا يجوز الطعن فيه أمام محكمة القضاء الادارى لان القرارات الأدارية التى يطعن فيها امامها هى فقط القرارات النهائية الحاسمة **(كريم، صفحة 279)**.

و تعتبر دعوى الألغاء من أهم صور الرقابة على اعمال الإدارة وتهدف الى إعدام القرار الأدارى غير المشرع و اعتباره كأن لم يكن بأثر رجعى و تختص محكمة القضاء الأدارى بالنظر في هذه الدعاوي لكى تكون دعوى الالغاء مقبولة يجب توافر شروط معينه وهي :

- **وجود قراراً اداري :** يجب ان يكون هناك قرار ادارى صادر عن جهة الأدارة .
- **المصلحة الشخصية المباشرة :**يجب ان يكون للطاعن مصلحة شخصية ومباشره في الغاء القرار .
- **الطعن خلال الميعاد القانوني:** يحب تقديم الطعن خلال المدة المحددة قانونا (60 يوما من تاريخ تبليغ القرار او العلم به).

اوجه الطعن بالمشروعية :

ترتكز دعوى الالغاء على عيوب المشروعية فى القرار الأدارى وهي:

- **عدم الاختصاص :** صدور القراء من جهة غير مخولة قانونا بإصداره.
- **عيب الشكل والاجراءات :** عدم مراعاة الشكليات والإجراءات التي نص عليها القانون.
- **مخالفة القانون :**عدم مطابقة مضمون القرار لاحكام القوانين والأنظمة.

الانحراف فى استخدام السلطة (التعسف) إستخدام السلطة الادارية صلاحيتها لتحقيق اهداف غير تلك التي من أجلها منحت لها السلطة او تحقيق اغراض شخصية او سياسية **(الفهداوي، 2025، صفحة 100)** . و يسعى القضاء الاداري في العراق الى حماية حقوق الإنسان من خلال تحقيق التوازن بين مقتضيات المصلحة العامة وحقوق الأفراد في العديد من الاعمال الإدارية وخاصة فى القرارات الإدارية التي تعد من أبرز الضمانات لحقوق الأنسان وحرياته فقد عمل القضاء الإداري على تطبيق معايير الموضوعية والمشروعية مما اسهم فى بناء مبدأ الموازنة في احكامه ويعكس هذا الدور المرسوم له فى حماية مبدأ المشروعية وبناء دولة القانون من خلال إصدار العديد من الاحكام القضائية الفعالة التى توازن بين حماية حقوق الانسان والمصلحة العامة **(مزاحم و د.مشهدي، 2025، صفحة 246)** .

و بعد أن تتأكد جهه القضاء التي ترفع امامها دعوى الالغاء من انها دون غيرها مختصة بنظر الدعوى وبعدها تأكدها ايضا من توافر شروط قبول الدعوى فينتقل القاضى الأدارى الى فحص الدعوى (القرار المطعون فيه) وانزال حكم القانون فيه والجدير بالأشارة ان سلطة القاضى الأدارى في دعوى الالغاء تقتصر على الغاء القرار الأدارى المخالف للقانون وليس له ان يذهب الى غير ذلك .

و فى العراق لا تقف سلطة القاضى عند حد الغاء القرار الأدارى بل تتعداه إلى تعديل قرار الإدارة وتوجيه اوامر لها باتباع طريق معين وهو امر تكشف عنه قراءة القرارات لكل من مجلس الانضباط العام ومحكمة القضاء الأداري **(د.المالكي، 2007، صفحة 277)** .

و في العراق تنفذ الاحكام الصادرة من المحاكم العراقية المكتسبة درجة التبيان رضاءا او جبرا وفق احكام قانون التنفيذ رقم (45) لسنة 1980 وعن طريق دائرة التنفيذ بطلب من المحكوم له ومنها احكام هيئات القضاء الإداري ولمديرية التنفيذ الأتصال بجميع الوزارات ودوائر الدولة بالقطاع العام فيا يتعلق بأعمالها ويكون الموظف المختص في تلك الوزارات والدوائر مسئولا عن تنفيذ الأوامر والقرارات التي تصدرها مديريات التنفيذ وفي حاله عدم تنفيذه لها يعاقب بالعقوبة المقررة لها فى المادة (٣٢٩) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة1969 المعدل .

واستنادا الى **احكام البندين (اولا) و(ثانيا) من المادة (21) من قانون التنفيذ** :

هذه العقوبات تطال على موظف يمتنع عن تنفيذ حكم داخل في اختصاصه بعد انقضاء مدة (8) ثمانية ايام على إنداره رسميا دون تنفيذ الحكم وتتمثل بالحبس والغرامة اوبأحدى هاتين العقوبتين **(د.المالكي، 2007، صفحة 283)**.

و في النهاية تقيد الدور الذى يلعبه القضاء الإداري في الرقابة على القرارات الأدارية لضمان تنفيذ العدالة وحماية حقوق المواطنين من خلال القضاء يتم توجيه الأدارة نحو اتخاذ قرارات صحيحة ومشروعة وتجنب التعسف

والأنحراف عن القانون كما تعتبر الرقابة القضائية على القرار الأداري اليه حيوية لشرعية القرارات الأدارية وتعزيز مفهوم العدالة الإدارية .

الرقابة القضائية على اعمال الضبط الإداري والسلطة التقديرية للأدارة

ان الرقابة القضائية التي يمارسها القاضي الاداري لكى تعتبر ضمانة هامة وفعالة لحماية الحقوق والحريات يتعين ان يتوافر لها من الناحية الواقعية شروط وضوابط محددة تتمثل في تحقيق جوهر مبدأ المشروعية بما يحويه هذا المبدأ من فلسفة خضوع الجميع الجميع للقانون حتى يساهم القضاء مساهمة جادة وحقيقية فى حماية حقوق الافراد والذود عن مصالحهم سواء فى تعسف الأدارة او خروج المشرع او السلطات العامة عن مبدأ المشروعية **(د.فهمي، 1999، صفحة 26)**

وتعد الرقابة على اعمال الضبط الإداري عملية اشراف وتقييم مستمرة تهدف الى ضمان ان الهيئات المسؤولة عن تطبيق القوانين والاجراءات الادارية تعمل بكفاءة وفاعلية وضمن الأطر القانونية ، وتلعب هذه الرقابة دوراً حيوياً في حماية حقوق الافراد والحفاظ على النظام العام - وتعتبر الرقابة القضائية على اعمال الضبط الادارى لحماية المصلحة العامة امر بالغ الأهمية لضمان سلامة المجتمع وحماية الممتلكات العامة والرقابة القضائية توفر ضمانه اضافية من خلال مراجعة قرارات الاداره للتأكد من قانونيتها وعدالتها .فالرقابة الإدارية تلعب دورا جوهريا في التاكد من أن الإجراءات والتدابير المتخذة من قبل السلطة التنفيذية تتماشى مع القوانين والسياسات العامة من خلال هذه الرقابة يمكن ضمان ان تكون القرارات الادارية فى مصلحة المجتمع ككل مع الحفاظ على النظام العام ومنع اى تجاوزات او تعسف في استعمال السلطة وعلى الجانب الاخر تأتي الرقابة القضائية لتطفى بعدا اضافيا من الحماية والضمان حيث تمكن الافراد المتضررين من الطعن في القرارات الإدارية غير المشروعة اوالتعسفية امام القضاء مما يضمن تحقيق العدالة وصيانة حقوق المواطنين **(حسين، 2024، صفحة 286)** ، لذا يعد القضاء من الأجهزة التي تكون قادرة على الحماية المشروعية والدفاع عن حقوق الأفراد فى حال اذا ما توافرت له الضمانات الضرورية التى تكون كفيلة فى استقلاله اثناء اداء الوظيفة **(محمد، 2022)** . وفي اطار رقابة القضاء الأدارى على قرارات الضبط الأدارى تكون المشروعية قيد على ممارسة سلطة الضبط حيث تكون رقابة القضاء اركن الأختصاص فى قرارات الضبط الأدارى لحماية المصلحة العامة حيث يعرف عنصر الأختصاص فى الأنظمة التنفيذية بالصلاحية التى يمنحها القانون الدستورى والمشرع لفرد او هيئة بهدف اصدار قواعد عامة محددة تعرف بالتشريع الفرعى لتنفيذ القوانين **(حسين، 2024، صفحة 287)** .

و تعد الرقابه القضائية على المشروعية الداخلية لقرارات الضبط الاداري لحماية المصلحة العامة من الادوات القانونيه والاساسيه لضمان التزام الجهات الادارية بالقوانين واللوائح ذات الصلة وتتمثل المشروعية الداخلية في مدى توافق مضمون القرار الاداري مع القوانين والانظمة السارية حيث يتعين على القرارات الادارية ان تكون ليست فقط صحيحة من الناحية الاجرائية والشكلية بل يجب ايضا ان تستند الى اسباب قانونية صحيحة واهداف مشروعة حيث يتجسد رقابة القضاء في هذا السياق عن فحص مدى صحة الاسباب التي استند اليها القرار الاداري ومتى تناسب القرار مع الاهداف المرجوم ويراقب القضاء مشروعيه المحل وبعباره اخرى صحه القرار مع مضمونه بالمقارنه باحكام القانون بمعناه الواسع **(د.حافظ، 1975، صفحة 248)** والذي يشمل الدستور والتشريع العادي والمبادئ القانونيه العامه واحكام القضاء الاداري فاذا ما خالفت انظمه التنفيذ احكام القواعد القانونيه فان عنصرا فان عنصر المحل يعد غير مشروع ولا ينتج اثر القانون السليم وهذا الامر ينطبق سواء كانت المخالفه مباشره ناتجه سواء كانت المخالفه مباشره الناتجه عن حرق القواعد القانونيه ام مخالفه غير مباشره في تفسير القواعد القانونيه او الاحكام القضائيه الحائزه حجيه الشيء المقضي به **(الزهيري، 2016، صفحة 2014)**

و في العراق يهدف الضبط الاداري العام الى ضمان النظام العام في كافه الجوانب بما في ذلك اختصاصات السلطة التنفيذية عن طريق وضع القيود والضوابط اللازمة للحفاظ على الامن العام والصحة العامة والسكينة العامة وهذه الاهداف تمثل جزءا اساسيا من مهام الضبط الاداري في ضمان استخدام امن وفعال للمصلحة العامة وتعد السلطة التقديرية وسيلة ضرورية لتمكين الادارة من ممارسة نشاطها بشكل مرن يتلائم مع الظروف المتغيره خاصه في المسائل التي لا يمكن حصرها تشريعيا غير ان هذه السلطة اذا تركت تركت دون رقابه قد تستعمل بشكل تعسفي او تنحرف عن اهدافها لذا برز دور القضاء الاداري كضامن لحسن استعمال السلطة التقديرية في اطار مبدأ المشروعية والذي يحتم خضوع كل تصرف اداري للقانون.

والرقابة القضائية على السلطة التقديرية هي تدخل القضاء الاداري لفحص مدى توافق القرار الاداري الصادر بناء على سلطة تقديرية مع القواعد القانونية والمبادئ الدستورية دون ان يحل القاضي محل الادارة في تقديرها **(د.عبد_الله، 2006، صفحة 284)**

ولقد شهد القضاء العراقي تطورا ملحوظا في مدى رقابته على السلطة التقديرية فبعد ان كان مترددا في فحص هذه القرارات خوفا من تجاوز اختصاصاته اصبح يمارس رقابة مشروعية واضحة ويركز على عناصر مثل السبب والغايه والاختصاص والتناسب **ومن التطبيقات :**

(1)الغاء قرار بنقل موظف دون سبب مشروع قررت محكمة القضاء الاداري العراقية الغاء قرار اداري صدر بنقل موظف من وظيفته دون مبررات موضوعية معتبره ان القرار مشوب يعيب اساءه استعمال السلطة رغم تمتع الاداره بسلطه تقديريه في شؤون النقل[1].

(2) وفي دعوه اخرى ابطلت المحكمة قرار فصل موظف بناء على تقارير امنية غير معلنة واعتبرت ان الاداره لم تثبت اسبابه قانونية تبرر الفصل مما يجعل القرار فاقدا للسبب الصحيح [2] .

(3)وتبرز التطبيقات القضائية والاتجاهات الحديثة في الرقابة على السلطة التقديرية كدليل على تطور الفكر القانوني والقضائي في العراق وقد اصبحت السلطة التقديرية ليست منطقة محصنة بل اصبحت مجالاً مفتوحاً للرقابة المقيدة بالموضوعية والعدالة بما يحقق التوازن بين فاعلية الاداره وحماية الحقوق والحريات.

الفرع الثاني : رقابة القضاء الاداري العراقي على العقود الادارية

رقابة القضاء الاداري على العقود الادارية تشكل احد الضمانات الاساسية لتحقيق التوازن بين سلطة الادارة العامة وحقوق الافراد المتعاقدة وتهدف هذه الرقابة الى التحقق من مدى التزام الادارة بمبادئ المشروعية والعدالة اثناء ابرام وتنفيذ العقود الادارية فضلا عن ضمان عدم اساءة استخدام الامتيازات الممنوحة لها بموجب القانون وتمارس هذه الرقابة من خلال اليات متنوعة تشمل الرقابة على مشروعية العقود الادارية والرقابة على تنفيذها ورقابة التعويض على الاضرار الناجمة عن اخلال احد الاطراف بالتزاماته مما يبرز دور القضاء الاداري لحماية حقوق الافراد وضمان لاحترام الادارة للقوانين **(التميمي، 2025، صفحة 395)** . و تلعب العقود الادارية دورا مهما في سبيل تيسير النشاط الاداري حيث انها تمكن الادارة من انشاء واستغلال وتطور المرافق العام وذلك بالتعاون مع الافراد والشركات والاستعانة بخدماتهم وخبراتهم في هذا المكان ولذلك فان الغاية من ابرام العقود الادارية وكفالة حسن سير المرفق العام واداء الخدمات وسرعة انجازها تحقيقا للصالح العام **(طعيمة و د.افضلي، 2024، صفحة 224)** .

والعقود الادارية تعد من اهم الوسائل القانونية التي تعتمد عليها الادارة لتحقيق اهدافها وتنظيم المرافق العامة حيث تتميز عن العقود المدنية بطبيعتها الخاصة التي تجعلها خاضعة لنظام قانوني مختلف عن ذلك المطبق على عقود الافراد .

[1] حكم محكمة القضاء الأدارى العراقى ،الدعوى رقم 172 /ق/2018 جلسة 2018/11/14.
[2] حكم محكمة القضاء الأدارى العراقية ،الدعوى رقم 2004 /ق/2019/جلسة 2019/12/3.

ويعرف العقد الاداري بانه اتفاق قانوني يتم بين جهه ادارية عامة بوصفها طرفا يتمتع بسلطات وامتيازات خاصة وبين طرف اخر سواء كان فرد او شركة بهدف تحقيق المصلحه العامة وتيسير المرافق العامة او تنفيذ المشاريع والخدمات العامة **(الحمداني، 2005، صفحة 36)** . و رقابة القضاء الاداري على العقود الادارية تشكل احد الضمانات الاساسية لتحقيق التوازن بين سلطة الاداره العامة وحقوق الاطراف المتعاقدة وتهدف هذه الرقابة الى التحقق من مدى التزام الادارة بمبادئ المشروعية والعداله اثناء ابرام وتنفيذ العقود الادارية فضلا عن ضمان عدم استخدام الامتيازات الممنوحة لها بموجب القانون وتمارس هذه الرقابة من خلال اليات متنوعة تشمل الرقابة على مشروعية العقود الادارية ،والرقابة على تنفيذها ،ورقابة التعويض عن الاضرار الناجمة عن اخلال احد الاطراف بالتزاماته مما يبرز دور القضاء الاداري كحام لحقوق الافراد وضمان الاحترام الادارة للقوانين **(التميمي، 2025، صفحة 396)**.

وفي العراق على الرغم من تبين النظام المزدوج الا ان منازعات العقود الادارية يختص بها القضاء العادي .تخضع منازعات العقود الادارية في العراق مثل تبنيه لنظام القضاء المزدوج للقضاء العادي تطبيقا لولايته التي نص عليها قانون التنظيم القضائي رقم 160 لسنه 1979 التي تنص على " تسري ولايه القضاء على جميع الاشخاص الطبيعية والمعنوية العامة والخاصة الا ما استثنى بنص خاص" وفي هذه المرحله تخضع جميع المنازعات التي تكون الادارة طرفا فيها للقضاء العادي على اعتبار انه لا يوجد سوى قضاء واحد **(طعيمة و د.افضلي، 2024، صفحة 227)** .

والعراق دخل مرحلة النظام القضائي المزدوج بانشاء محكمة القضاء الاداري بالتعديل الثاني لقانون مجلس شورى الدوله رقم 106 لسنه 1989 المعدل الا انه لم ينص على شمول منازعات العقود الادارية لولايته كما هو الحال في فرنسا ومصر على اعتبار ان العقود الادارية هي الوجه الثاني من اوجه التصرفات القانونية الى جانب القرارات الادارية اذ نصت الماده (7) على " تختص محكمه القضاء الاداري بالنظر في صحة الاوامر والقرارات الادارية التي تصدر من الموظفين والهيئات في دوائر الدولة" **(قانون مجلس شورى الدولة، 1989)** و في التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة تأكد ذلك وعلى الرغم من ذلك فان نظر القرارات الادارية التي لا تدخل في ماهيه القضاء الاداري والتي يطلق عليها القرارات القابلة للانفصال كالقرارات المتعلقة بمرحلة الابرام وكما هو معروف ان منازعات العقود الادارية منها ما يكون في مرحله الابرام ومنها في مرحلة التنفيذ وان عدم اختصاص القضاء الاداري بنظر المنازعات التي تحدث في مرحله التنفيذ طبقاً لنص المادة (7) من قانون مجلس شورى الدولة الا انه لا يصح استبعاد المنازعات التي في مرحلة الابرام باعتبارها قرارا اداريا يمكن الطعن بها امامه فقد وافق القضاء الاداري على النظر في مثل هذه القرارات المشابهة لها باعتبارها قرارات ادارية ممكن الطعن بها امامه بالالغاء .

مثال ذلك ما جاء في قرار الهيئه العامة لمجلس شورى الدوله ان المدعى عليه المميز بطلب نقض قرار محكمة القضاء الاداري الذي يقضي بالغاء قرار المدعى عليه المميز شركه طارق العامه والخاصه بالغاء قرار الاحالة بحجة الحاجة الى المواد المباعة وذلك استنادا الى قانون بيع وايجار اموال الدوله رقم 32 لسنه 1986 ولعدم قناعة المدعي عليه المميز ما ضرب الطعن به تميزا لدى الهيئه العامة في مجلس شورى الدولة ولدى تدقيق والمداولة وجد ان القرار المميز قد قضي بالدعوه وفق القانون قرر تصديقه ورد طعون التمييزية **(طعيمة و د.افضلي، 2024، صفحة 227)** .

الا ان القضاء الاداري في العراق لم يستقر على هذا الراي حيث رفض في اتجاهات اخرى بقرارات تتعلق بالعقد الاداري كما جاء في قرار مجلس الدولة حيث ان اختصاص محكمه القضاء الاداري محدده في الفقرة (د) من البند (ثانيا)من الماده الفة الذكر وليس من بينها المنازعات الناشئة عن العقود والمنفصلة عنها وحيث ان امر سلطة الائتلاف المؤقته (المنحلة) رقم 87 لسنه 2004 وتعليمات تنفيذ العقود الحكوميه رقم(1) لسنه 2008 قد حدد اختصاصات محكمة العقود الأدارية وهي المختصة بالنظر في صحه القرارات الصادرة عن الادارة قبل توقيع العقد وحيث ان الفقرة (ج) من البند خامسا من الماده (7) من قانون مجلس شورى الدولة قضت بان لا تختص محكمه القضاء الاداري بالنظر في الطعون المتعلقة بالقرارات الادارية التي رسم القانون طريقا للتظلم منها اوالاعتراض عليها او الطعن فيها وتاسيسا على ما تقدم من اسباب يرى المجلس "لا تختص محكمه القضاء الاداري بالقرارات الادارية التي تصدرها الادارة استنادا الى نصوص واردة بالعقد" **(طعيمة و د.افضلي، 2024، صفحة 22)** على اعتبار ان القضاء انشائى يجب عليه ان يبدع الحلول المناسبة ولا يوقفه غياب النص عن ممارسة اختصاصاته وان يوسع رقابته على القرارات الادارية التي لا تدخل في ماهيه العقد بصفتها قرارات ادارية منفصلة ويذكر امر سلطه الائتلاف المؤقته (المنحلة) رقم 87 لسنه 2004 الخاص بالعقود الادارية العامة نص فى البند (ثانيا) من القسم الثاني على "وضع وتبني قواعد خاصة بمحكمة ادارية مستقلة تكون مختصه بالشكاوي والمنازعات الناتجة او تتعلق بمنح العقود العامة من قبل الحكومة " واستنادا الى ذلك فقد صدرت تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (1) لسنه 2007 التي بموجبها تم تشكيل محكمه ادارية في وزارة التخطيط بقرار من وزير التخطيط برئاسة قاضي وعضوية ممثل عن وزارة التخطيط لا تقل درجته عن مدير عام وعن اتحاد المقاولين العراقيين واتحاد الغرف التجارية من ذوي الخبرة وتم ايضا التاكيد عليها في تعليمات تنفيذ العقود الحكوميه رقم (1) لسنه 2008. وتلاحظ ان وضع قواعد هذه المحكمة من قبل جهة ادارية متمثلة بوزارة التخطيط لا يتفق مع المنطق القانوني الذي يتطلب تشكيل مثل هذه المحكمة من قبل السلطة المختصة بسن القوانين وذلك استنادا لنص الماده 96 دستور

جمهورية العراق النافذ "ينظم القانون تكوين المحاكم وانواعها ودرجاتها واختصاصاتها وكيفيه تعيين القضاه وخدماتهم واعضاء الادارة وأعضاء الادعاء العام وانضباطهم واحالتهم على التعاقد" .

وبالفعل الغيت هذه المحكمة بصدور قانون رقم 18 لسنه 2013 التعديل الاول لامر سلطه الائتلاف رقم 87 لسنه 2004 واخضاع اختصاصاتها للقضاء العادي واستنادا الى ما سبق تم استحداث محاكم بدائرة خاصة للنظر في المنازعات التي تكون الادارة طرفا فيها بوصفها صاحبة سلطة ببيان يصدر عن مجلس القضاء الاعلى حيث جاء فيه " بناء على ما قرره مجلس القضاء الاعلى بجلسته الخامسة عشر والمنعقدة بتاريخ 2012/12/24 واستنادا لاحكام الماده 22 من قانون التنظيم القضائي رقم 160 لسنه 1979 بدلاله احكام القسم الرابع من الامر (12) لسنة 2004 تقرر تشكيل محكمه بدائرة في كل منطقة استئنافيه تسمى محكمه القضاء المختصه في النظر في دعاوى المقاولات التي تكون الدوله طرفا فيها "[1]

وندعو المشرع العراقي الى توسيع اختصاصات محكمة القضاء الاداري لتشمل المنازعات المتعلقة بالعقود الادارية حتى يكون هناك فاعلية لرقابة القضاء الاداري في العراق على العقود الادارية.

خـاتمة

اولا : النتائج

(1) ان خضوع السلطه الادارية للقانون يمثل اهم نتائج مبدأ المشروعية ومن هنا بدت ضرورة الرقابة القضائية على اعمال الادارة وخاصة قراراتها الادارية لضمان عدم خروجها على احكام القانون المنظمة لاختصاصاتها واعمالها .

(2) قانون مجلس شورى الدولة رقم 65 لسنه 1979 وتعديلاته يعتبر الاطار الاساسي للقضاء الاداري في العراق، نص القانون على تشكيل محكمة القضاء الاداري التي تختص بالنظر في الطعون المقدمة ضد القرارات الادارية النهائية الصادرة عن الجهات الادارية فتعد هذه المحكمة الجهة القضائية الرئيسية لمراجعه اعمال الاداره في العراق.

(3) تعتبر دعوى الالغاء من اهم صور الرقابة القضائية على اعمال الادارة وتهدف الى اعدام القرار الاداري غير المشروع واعتباره كان لم يكن باثر رجعي وتختص محكمة القضاء الاداري بالنظر في هذه الدعاوى ولكي تكون دعوه الالغاء مقبولة يجب توافر شروط معينة

[1] بيان مجلس القضاء الأعلى ،دائرة شؤون القضاة واعضاء الأدعاء العام ،فى العدد 147/ق بتاريخ 2012/12/25 ونشر فى جريدة الوقائع العراقية فى العدد (4263) فى 2013/1/14.

(4) في العراق يهدف الضبط الاداري الى ضمان النظام العام في كافه جوانبه ويجب ان تكون قرارات الضبط الاداري الهادفة لاختصاصات السلطة التنفيذية متوافقة مع المخاطر التي تهددها ما لا يعتبر غير مشروعة وقابلة للالغاء في اطار حمايه الحقوق والحريات والرقابة القضائيه عليها تطفي عليها تحقيق العدالة وصيانة حقوق المواطنين.

(5) تعد السلطه التقديريه للادارة وسيله ضرورية تمكن الادارة من ممارسة نشاطها بشكل مرن يتلائم مع الظروف المتغيرةخاصة في المسائل التي لا يمكن حصرها تشريعيا وقد تستعمل هذه السلطة بشكل تعسفي او منحرف عن اهدافها لذلك برز دور القضاء الاداري كضامن لحسن استعمال السلطه التقديرية في اطار مبدأ المشروعية وتدخل القضاء الاداري لفحص مدى توافق القرار الاداري الصادر بناء على سلطة تقديرية مع القواعد القانونية والمبادئ الدستورية دون ان يحل القاضي محل الاداره في تقديرها .

(6) ان العقود الادارية تعد من اهم الوسائل القانونيه التي تعتمد عليها الادارة لتحقيق اهدافها وتنظيم المرافق العامه حيث تتميز عن العقود المدنية بطبيعتها الخاصة التي تجعلها خاضعة لنظام قانوني مختلف عن تلك المطبقة على العقود مع الافراد ورقابة القضاء الاداري على العقود الادارية تشكل احد الضمانات الاساسية لتحقيق التوازن بين سلطه الادارة العامه وحقوق الاطراف المتعاقده وتهدف الرقابة الى التحقق من مدى التزام الاداره بمبادئ المشروعية والعداله في جميع مراحل العقد الاداري مع الاشاره الى عدم اختصاص محكمه القضاء الاداري في العراق للرقابة على العقود الادارية **ودعوى المشرع العراقي** الى توسيع اختصاصات محكمه القضاء الاداري لتشمل العقود الادارية حتى يصبح القضاء الاداري اكثر فاعليه وشموله في العراق.

ثانيا : التوصيات

(1) تعزيز كفاءه القضاء الاداري يجب توفير التدريب المستمر للقضاه الاداريين لتحسين مهاراتهم وفهمهم للقوانين واللوائح الادارية

(2) تعزيز استقلالية القضاء الاداري وحمايته من التدخلات الخارجية لضمان تقديم العدالة بشكل مستقل ونزيه

(3) ضروره مراجعه القوانين التي تمنع حصانة لبعض القرارات الحكومية بما يضمن خضوعها للرقابه القضائية وذلك استنادا لنص الدستور العراقي لعام 2005 بما يضمن منع النص في القوانين على تحصين القرارات الادارية

(4) ندعو المشرع العراقي الى توسيع اختصاصات محكمه القضاء الاداري لتشمل العقود الادارية حتى يصبح القضاء الاداري اكثر فاعلية وشمولة في العراق.

قائمة المراجع

اولا :الكتب

(1) د/رائد المالكى – الوجيز فى القضاء الأدارى ،مكتبة السنهورى ،لبنان بيروت ،2018

(2) د/انور احمد رسلان ،الوسيط فى القضاء الأدارى ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،مصر ،سنة 2000

(3) د/احمد الشوا ،القضاء الأدارى ،حماية الحقوق والحريات الأساسية ،جراسة مقارنة،منشوربات الحلبى .

(4) د/وسام حبار العانى ،القضاء الأدارى /دار السنهورى ،الطبعة الأولى ،بغداد 2015.

(5) د/محمد كامل ليله ،الرقابة على اعمال الأدارة ،دار الفكر العربى ،1997.

(6) د/محمود سامى جمال الدين ،الرقابة على ملائمة القرارات الأدارية طبعة 2024، بدون دار نشر

(7) د/مصطفى ابو زيد فهمى ،القضاء الأدارى ومجلس الدولة ،دار المطبوعات تالجامعية ،الأسكندرية ،1999

(8) د/محمود حافظ ،القرار الأدارى ،دراسة مقارنة ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،1975

(9) رياض عيسى الزهيرى ،اسس القانون الأدارى ،دار السنهورى ،مجلة القانونية والعلوم السياسية ،بيروت ،لبنان ،2016

(10) د/عبد الغنى بسيونى عبد الله ،القانون الأدارى ،النشاط الأدارى ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،2006.

ثانيا :ابحاث ودوريات

(1) عباس نصر الله ،نمير على عبد الوهاب العبيدى ،الرقابة القضائية على اعمال الأدارة فى العراق ،المجلة الدولية للبحوث والدراسات القانونية ،الأصدار (4) العدد(3) .

(2) محمد حميد حمادى الفهداوى ،تأهيل الرقابة القضائية على اعمال الأدارة فى العراق ،مجلة الباحث العلمى 2025

(3) على مزاحم ،د/على مشهدى ،الرقابة القضائية على قرارات الحكومة فى القانون الأدارى العراقى ،مجلة الجامعة العربية ،المجلد (73) العدد(4) ،2025

(4) فاطمة جبار طعيمة ،د/محسن ملك اقصلى ،رقابة القضاء الأدارى على العقود الأدارية ،مجلة الجامعة العراقية ،المجلد (70) العدد(2) ،2024.

(5)طارق موسى صبيح التميمى ،رقابة القضاء الأدارى على العقود الأدارية ،دراسة مقارنة بين القانون العراقى والبنانى ،مجلة الجامعة العراقية ،المجلد (73) العدد(4) ،2025.

(6)حسن محمد دحام العانى ،دور الرقابة القضائية على اعمال سلطة الأدارة ،دراسة مقارنة ،مجلة الجامعة العراقية ،العدد (58) ج3

(7)نور مسعود حسين ،الرقابة على اختصاصات السلطة التنفيذية فى مجال الضبط الأدارى فى القانون العراقى ،مجلة الجامعة العراقية ،المجلد (72)،العدد(3) ،2025.

(8)على راضى وادى ،القرارات التقديرية ومدى خضوعها لرقابة القضاء ،مجلة الشرائع ،المجلد (5) ،2025

(9)حسن علوى سبع ،حق الرقابة الأدارية على اعمال الأدارة ،دراسة مقارنة ،مجلة ميسان للدراسات القانونية المقارنة ،العدد الثالث عشر ،المجلد (1)2025

(10) شيروان زيدان كريم ،الرقابة القضائية على القرار الأدارى ،مجلة الجامعة العراقية ،العدد 69 ج3

(11) ايناس مؤيد جاسم ،الرقابة القضائية على اعمال الضبط الادارى ،مجلة العلوم الأنسانية والطبيعية .

ثالثا :التشريعات القانونية

(1)الدستور العراقى النافذ لعام 2025

(2)قانون مجلس شورى الدولة العراقى رقم 65لسنة 1979 المعدل

(3)قانون مجلس شورى الدولة رقم 106 لسنة 1989 المعدل

(4)قانون التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة رقم 17 لسنة 2013

(5)قانون تنظيم القضاء الأدارى فى العراق رقم 71 لسنة 2017

رابعا :الأحكام والقرارات القضائية

(1)حكم القضاء الأدارى رقم (46)ادارى تميز /2013 فى 2014/4/17

(2)قرار الهيئة العامة بصفتها التميزية رقم 212 ،انضباط تميز 2009 ،مجموعة قرارات مجلس الدولة

(3)قرار المحكمة الأدارية العليا فى العراق (216/ادارى تميز 2014) الصادر فى 2014/10/23،مجموعة قرارات مجلس الدولة 2014

(4)قرار محكمة القضاء الأدارى لرقم 11 قضاء ادارى 1991 الصادر قفلى 1991/10/21

(5)رأى مجلس الدولة العراقى بقراره النهائى رقم 2009/40 بتاريخ 2009/6/10

(6)حكم محكمة القضاء الأدارى العراقى ،الدعوى رقم 172 /ق/2018 جلسة 2018/11/14

(7)حكم محكمة القضاء الأدارى العراقى ،الدعوى رقم 2004/ق،2019 /جلسة 2019/12/3.

(8)قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة رقم 38 فى 1995/2/21

(9)قرار مجلس الدولة رقم 59 لسنة 2012

(10)بيان مجلس القضاء الأعلى /دائرة شئون القضاء واعضاء الأدعاء العام فى العدد 147/ق بتاريخ 2012/2/25

خامسا :الرسائل العلمية

بلقيس عبد الكريم عبد الله ،مبدأ المشروعية فى القضاء الأدارى العراقى ،رسالة ماجيستير ،كلية القانون،جامعة الموصل ،2014.

سادسا :المواقع الألكتروبية

https//www-hnjournal.net

سابعا :مراجع اجنبية

Hodovicil,Levolution de La notion de pouvoivr discretionnaire these ,Lille ,1937,P13